

مكتبة الدراسات القرآنية

مُعْتَرَكُ الْأَفْئِرَانِ
فِي
عَجَازِ الْقُرْآنِ

لِلْحَافِظِ جَلَالِ الدِّينِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ السَّيُوطِيِّ

تَحْقِيقُ
عَلِيِّ مُحَمَّدٍ دَاوُدَ

الْقِسْمُ الثَّالِثُ

مطبعة الطبعة والنشر
دار الفكر العربي

<p>کتابخانه</p> <p>مرکز تحقیقات اسلامی - کتب نوری علوم اسلامی</p> <p>شماره ثبت: ۰۱۴۵۳۲</p> <p>تاریخ ثبت:</p>
--



مرکز تحقیقات اسلامی - کتب نوری علوم اسلامی

بسم الله الرحمن الرحيم

حرف الفاء

(فسق) : أصله الخروج ، وتارة يرد بمعنى الكفر ، وبمعنى المضيان ؛ وكلٌ خارج عن أمر الله فهو فاسق . يقال فسقت الرطبة إذا خرجت عن قشرها .
(فما فوقها ^(١)) : الضمير راجع للبعوضة . ولما ذكر الله في القرآن الذباب والنمل والعنكبوت عاب الكفار ذلك . فأزل الله ^(٢) : « إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةٌ فَمَا فَوْقَهَا » .
قال قطرب : الحروف المقطعة والأمثال وضعها الله لإطفاء شغف الكفار حيث قالوا ^(٣) : « لَا نَسْمَعُ لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْقَوَا فِيهِ » ؛ فوضع الله هذه الحروف والأمثال يسمونها ، لأنها عربية لم يسمعوها قبل ذلك ، ثم يبلغ الرسول رسالته بعد ذكرها ذلك .
(فَأَزَلُّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا ^(٤)) ؛ أي عن الجنة أو عن الشجرة ؛ والزَلُّ متعد من زَلَّ القدم . وأزلهما بالألف من الزوال ، وضمير التثنية لآدم وحواء ؛ وكذا ^(٥) فأخرجهما مما كانا فيه .
والصحيح كما قدمنا أن آدم أكل منها نسياناً ، وحلف له إبليس ، فظن

(٣) البقرة : ٣٦

(٢) فصلت : ٢٦

(١) البقرة : ٢٦

(٤) في إعادة الضمير على آدم وحواء .

أنه لا يحلف أحد بالله كاذباً ، فجعل الله له الأكل من الشجرة ميباً في إخراجه من الجنة ؛ لعنكم منها :

أنه كان في حكمة الحكيم أن يكون خليفة في الأرض ، ويقوم فيها ؛ فأراد آدم أن يقيم في الجنة ، فجعل الله يأكل الحنطة وتناولها ميباً لخروجه من الجنة ؛ لينفذ ما قضى وقدر .

وكذلك النبي صلى الله عليه وسلم أراد أن يكون مقامه بمكة ، وكان في حكمة الحكيم أن يمكث في المدينة مدة ، ويعلى كلمة فيها ، فجعل جفاء المشركين ميباً لخروجه منها ؛ لسبق مقاديره إلى موافقتها .

كذلك العبد المخلص يريد أن يكون في طاعة ربه ، ولا يقع في مخالفته ؛ وكان في حكمة الحكيم أن يكون غفوراً وغافراً ؛ فجعل خذلان العاصي ميباً لخروجه عن أمره ، ثم يمن عليه بالتوبة ، فيتداركه برحمته ، فيظهر حكمته وتقديره ، ويبدي للعالمين عفرانه .

ومنها^(١) لكون الكفار في صلبه إذ لم تكن الجنة محلاً للكافرين ؛ وكذلك المؤمن يخرج من النار لكون المرفة في قلبه ؛ إذ ليست النار محلاً للعارفين .

ومثال المؤمن والكافر في صلب آدم كتاجر أخفى السك في وسط البُحْدُق^(٢) حتى لا يحس به قاطع الطريق ، فإذا بلغ اللأمن كان السك قد أخذ بطرف من رائحة البُحْدُق . وكذلك البُحْدُق تعلق به شيء من رائحة السك ،

(١) من حكم إخراج آدم من الجنة .

(٢) في ١ : الأنهمدال . والبُحْدُق - كصفر : بنر فلونا . (القاموس) .

فيسطونها على بساطٍ قهَبَ الرياح فتلائى الروائح المستعارة ، كل رائحة تعود إلى أصلها ، فيبقى الأصل على ما مُخلَق عليه . فكذلك الكافر والمؤمن في صُلب آدم ؛ فأصاب الكافر رائحة من المؤمن ، فيعمل منها الحسنات ، وأصاب المؤمن رائحة من الكافر فيعمل منها السيئات ؛ فإذا كان يوم القيامة يحضرهم الله في بساطٍ واحد ، قهَبَ رياحُ القيامة ، وترجع حُزْبُ الكافر إلى المؤمن ، ويرثُ بها منزله في الجنة ، وسيئات المؤمن إلى الكافر ويرثُ بها منزله في النار [٢١٨] فتلائى الموارى ، وتبقى الأصول على ما قدر وقضى ؛ قال تعالى (١) : « ليميز الله الخبيث من الطيب » . وقال (٢) : « وليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم » .

ومنها أنه كان في خروجه من الجنة رحمة من الله له وإكراما بالنبوة والتكاليف . والفائدة فيه أنه يرحم من عصاه في جواره ، فالأولى ألا يعاقب من عصاه في جوار إبليس .

قيل : إنه قال : يا رب ، إني أستحي من ولد محمد . فقال له : سأمهّد له عُدرك ؛ فقال (٣) : « ولم نجد له عزما » ؛ أى لم يمتدّد الذنب ، ولم يثبت عليه ؛ بل اعتذر وندم . وكذلك مهّد الله عُدْر هذه الأمة المحمدية بقوله (٤) : « للذين عملوا السوءَ مجاهلة » . وقال (٥) : « وخلق الإنسان ضعيفا » . (٦) « خلق الإنسان من عَجَل » . أدبك بأوامر ولم يرض أن يعاتبك غيره منه إليك ، فاعتذر منك إليك .

(٧) « فخلق آدم من ربه كلمات » ، أى أخذ ، قيل ، على قراءة الجماعة . وقرأ ابن كثير بنصب آدم ورفع الكلمات ؛ فخلق على هذا من اللقاء ،

(١) الأنفال : ٣٧	(٢) الذكيات : ١٣	(٣) طه : ١١٥
(٤) النحل : ١١٩	(٥) النساء : ٢٨	(٦) الأنبياء : ٣٧
(٧) البقرة : ٣٧		

والكلمات هي قوله : « رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا » ، بدليل ورودها في الأعراف .
وقيل غير ذلك .

وهذه إحدى الخصائص التي خصَّ الله آدم بها ؛ خلقه الله بيده ، ونفخ فيه من روحه ، وأسجد له ملائكته ، وأمرهم بحمله إلى الجنة على أكتافهم ، وعلمه أسماء كل شيء ، ثم عرضهم على الملائكة ، وأدخله الجنة بخير عمل إلا أمره بالصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكلمه مواجهة . ولما عطس قال : الحمد لله ، فأجابه الله بقوله : يرحمك الله ؛ يا آدم لهذا خلقتك . فهذا معنى قوله تعالى (١) : « وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ » .

(فَلَمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنْ هُدًى (٢)) : إن شرطية ، وما زائدة للتأكيد . والهدى هنا يراد به كتاب الله ورسالته .

(فَمَنْ تَبِعَ (٣)) - شرط ، وهو جواب الشرط الأول . وقيل : « فلا خوف » جواب الشرطين .

واعلم أن الكتاب كتابان : كتاب من الله إليك ، وكتاب منك إليه يد الحفظة ؛ فإذا قبلت كتابه الذي فيه الأمر والنهي ، والوعد والوعيد ، ونزول البلاء عليك ، ووجود الرضا منك ؛ وإن كان فيه ما يخالف هواك ؛ أقرأه لا يقبل كتابك في يوم القيامة وإن كان مملوءاً زلات ؛ وهي لا تضره ؛ ألا تراه يقول في إبراهيم (٤) : « وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَا فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ » . واصطفاك أنت بكتابك ، قال تعالى (٥) : « ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا » .

(٣) البقرة : ١٢٠

(٢) البقرة : ٢٨

(١) هود : ١١٠

(٤) فاطر : ٣٢

والأصطفاءُ فعلُ الله ، وفعلُ الله مبنى على الابتداء ؛ قال تعالى (١) :
« كما بدأكم تعودون » .

والصلاحُ فعلُ العبد ، وفعلُ العبد مبنى على الخواتم ؛ قال صلى الله عليه وسلم :
الأعمال بالخواتم .

وأعلم أن مَنْ سأل الله شيئاً سأل الله منه ، فمن لا يقومُ لله فيما سأل منه
لا يعطيه ما يسأل ، ومن قام لله فيما سأل منه أعطاه بلامؤنة ؛ ألا ترى أن الله
أعطى لإبراهيم المال في الدنيا والولد والمعجزات بغير سؤال ، فلما سأل إبراهيم
بقوله (٢) : « إني ذاهبٌ إلى ربي سيهدين » - سأل منه الكل ، فقال له : أسلم ،
أي الكل إلى الكل ، إن أردت الوصول إلى الكل . ولما سأل منه إحياء الموتى
سأل الله منه إمانة الحى ؛ ألا ترى أنه قال (٣) : « فلما أسلما » - يعنى وضع السكين
على حلقه قال : إلهى بك ولك وإليك ؛ أى بك الصبر على فراقه ، ومنك
إعطاؤه ، ولك الحكم فيه ، وإليك يرجع الأمر كله .

فإن قلت : ما الحكمة في جزع إبراهيم وصبر إسماعيل ؟

والجواب : إسماعيل عرف - بروية المعرفة - أن إبراهيم إنما ابتلى بذبحه ،
لأنه التفت بقلبه عن الله ، فلو أن الولد التفت بقلبه لابتلى كما ابتلى إبراهيم . وأيضاً
جزع إبراهيم على مفارقة حبيب لم يكن له وصلة في ذلك الوقت إلى مَنْ هو أحب
إليه منه . وإبراهيم لم يجزع ؛ لأنه وصل إلى الحبيب المجازى .

وقيل لما وضع السكين على حلقه أراه الله نوراً من أنواره أنساه ما يحيد
من الألم لوجود لنة ذلك النور ؛ كنساء مِصْرَ اللواتى فطعنَ أيديهن بروية يوسف .

وقيل إن الله قال له : يا إبراهيم ، جرعتَ على مفارقة حبيب زائل عنك ، وضاق ذرعك به ، فكيف بمفارقة الحبيب الباقي ؟ فكان جزعه لهذا السبب لا الولد .

(فضلكم على العالمين ^(١)) ؛ أى عالم أهل زمانهم ؛ لأنه يجب الاعتقاد بتفضيل هذه الأمة المحمدية لفضل نبيهم .

قيل : أعطى الله الكريم عشر معجزات ، وأكرم قومه بعشر كرامات ، وشكى عليهم عشر شكيات ، وعاقبهم بعشر عقوبات :

أول المعجزات ^(٢) : « فأرسلنا عليهم الطوفان ، والجراد ، والقمل ، والضفادع ، والدم » ، والمصا ، واليد ^(٣) ، والحجر ، والألواح ، والصحف .

وأما الكرامات : وإذا أنجيناكم . وإذا فرقنا بينكم البحر . ثم بعثناكم من بعد موتكم . وظللنا عليكم الغمام ، وأزانا عليكم الن والسلوى ثم عفونا عنكم من بعد ذلك فتاب عليكم . يغفر لكم خطاياكم . قد علم كل إنسان مشربهم . وإذا آتينا موسى الكتاب .

والشكيات : ثم اتخذتم العجل . قالوا أرنا الله جهرة . فبدل الذين ظلموا قولا . ادع لنا ربك . ثم يحرقونه . ثم قست قلوبكم من بعد ذلك . فبما نقضهم ميثاقهم ، وكفرهم بآيات الله ، وقتلهم الأنبياء بغير حق ^(٤) .

والعقوبات : ضربت ^(٥) عليهم الذلة والمسكنة . والجزية . وباهوا ^(٦) بغضب من الله . فاقتلوا أنفسهم . يذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم .

(١) الأعراف : ١٤٠ (٢) الأعراف : ١٣٣ (٣) خرجت بيضاء من غير سوء .

(٤) هذه تسعة لا عشرة . وقد سبق في صفحة ٦٢١ من الجزء الأول . وزاد هناك :

لن نصبر على طعام واحد . سمنا وعصينا . نوليت من بعد ذلك . ولم يذكر هناك : ادع لنا ربك . فبما نقضهم ميثاقهم .

(٥) البقرة : ٦١ (٦) آل عمران : ١١٢

كونوا قردة خاسئين . فأرسلنا عليهم رجلاً من السماء . والله يخرج ما كنتم تكتمون .

(فرَقْنَا بكم الْبَحْرَ ^(١)) ؛ أى جعلناه فرقا ، اثني عشر طريقاً على عدد الأسباط . والبحرُ المراد به القلزم .

(فاقتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ^(٢)) : رُوى أَنَّ من عبد العجل قتل من عبده حتى بلغ القتل فيهم سبعين ألفاً ، فضا الله عنهم .

(قتاب عليكم ^(٣)) : قبله محذوف لدلالة الكلام عليه ، وهو فحوى الخطاب ؛ أى فلتتم ما أمرتم به من القتل قتاب عليكم .

(فانفجرت ^(٤)) : قبله محذوف تقديره : فضربه فانفجرت ، أى سالت . ومنه انفجر ؛ وكان هذا الاستثناء في فحش التيه ، وكان الحجر من جبل الطور ، وهو المشهور ؛ لأنه أبلغ في الإعجاز ؛ ولهذا كانوا يحذونه في كل مرحلة .

ولا خلاف أنه كان حجراً مربعاً منفصلاً له أربع جهات كانت تنبع من كل جهة ثلاث عيون إذا ضربه موسى عليه السلام ، وإذا استغنوا عن الماء ورحلوا جفت العيون .

وقيل إن هذا الحجر هو الذي وضع موسى ثوبه عليه قراً بثوبه ، ومر على ملا من بني إسرائيل حين رموه بالأذرة ^(٥) ، فلما وقف أتاه جبريل عليه السلام ، فقال له : إن الله تعالى يقول لك : ارفع هذا الحجر ، فإن لي فيه قدرة ، ولك فيه معجزة ؛ فرفعه ووضعه في مخلائته . وكان موسى ضربه اثنتي عشرة ضربة ،

(١) البقرة : ٥٠ (٢) البقرة : ٥٤ (٣) البقرة : ٦٠

(٤) الأعراف والمآدور : من يصيبه قتل في إحدى خصتيه (القاموس) .

فيظهر بكل ضربة مثل تَدَى المرأة فيعرفه فتفجر الأنهارُ منه ، ثم يسيل الماء .
فإن قلت : هل الانفجارُ والانبجاس^(١) بمعنى واحد ؛ لأنه اختلف
التصير بينهما^(٢) ؟

والجواب أن الانبجاس أقلُّ من الانفجار ؛ لأن الانفجار انصباب الماء
بكثرة ؛ والانبجاس ظهور الماء ؛ فالواقع هنا طلب موسى عليه السلام من ربه ؛
قال تعالى^(٣) : « وَإِذْ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوِيهِ » . فطلبهم ابتداءً قليل - إجابة
لطلبه : فانفجرت ، مناسبة لذلك . وفي الأعراف طلب بنو إسرائيل من موسى
عليه السلام السقي ؛ قال تعالى^(٤) : « وَأَوْحِنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ إِذْ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ » ؛
قليل - جواباً لطلبهم : فانبجست ؛ فناسب الابتداءُ الابتداءً والتأيةُ التأيةً .

واعلم أن الله تعالى وضع الدولة على ثلاثة أحجار ، [والقدرة في ثلاثة
أحجار]^(٥) ، والملك في ثلاثة أحجار ؛ أما الدولة فوضعها في الكعبة ، وجعلها
موضع طواف المؤمنين . وجعل مقام إبراهيم قبة للمؤمنين . والحجر الأسود
جعله بينه وبين خلقه عهداً وشهداً .

وأما القدرة فوضعها الله في حجر موسى ، وحجر ناقة صالح ، وحجر موسى
الذي برأه الله بسببه مما قالوا .

وأما الملك ففي خاتم سليمان ، وصخرة بيت المقدس ، وحجر دلود .

وبالقدرة يخرج من الحجر الماء والذهب والنار .

(١) في سورة الأعراف (١٦٠) : أن اضربه بعصاك الحجر فانبجست منه اثنتا عشر عينا .

(٢) تفسير ابن كثير : ١ - ١٠١ ، والكشاف : ١ - ٥٧ .

(٣) البقرة : ٦٠ (٤) الأعراف : ١٦٠

(٥) زيادة بضمها الفتح الآتي .

(فَكُلُّوا) : خطاب لبنى إسرائيل ؛ وجاء هنا بالقاء^(١) التي لترتيب ؛
لأن الأكل بعد الدخول فيها ، وجاء في الأعراف بالواو^(٢) بعد قوله : اسكنوا ؛
لأن الأكل مقارن للسكنى .

(فَارْضُ^(٣)) : مُسِنَّةٌ . وَيَكْرُ : صغيرة .

(فَاقِعٌ^(٤)) : شديد الصفرة .

(فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا^(٥)) : أى اختلفتم ، وهو من للدَّاراة ؛ أى الدافعة .

(فَذَبَّحُوهَا^(٦)) ، من الذبيح الذى هو قَطْعُ الحلقوم والودجين^(٧) . وبهذا
استدل مَنْ قال بذبح البقرة ولا يحزىء غيره .

(فَأَتَمَّنَّ^(٨)) ؛ يعنى وَفَى بِهِن . ولما ادَّعى عبدة الله تعالى ابتلاء بعشر :
خمس فى الرأس ، وخمس فى الجسد ؛ فَأَتَمَّنَّ ؛ أى وفى بهن .

وقال بعض : هو على الظاهر ، وتحت كل واحدة منهن إشارة .

وقيل أراد بالكلمات الدعوات ؛ وهى قوله^(٨) : « رَبَّنَا [١٢١٩] إِنْى
أَسَكْتُ » . ولا تُخْزِنِى .

وقيل ابْتُلَى بالنار ، فقال : حسبى الله .

وقيل : لما وضع السكين على حلق إسماعيل قال : منك ما أرى ، ومتى
ما ترى ؛ فَأَنْجَاهُ الله بهذه الكلمات .

(١) آية البقرة (٥٨) : وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ . وآية

الأعراف (١٦١) : وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا . (٢) البقرة : ٦٨

(٣) البقرة : ٦٩ (٤) البقرة : ٧٢ (٥) البقرة : ٧١

(٦) الودج - محرّكة : عرق فى الضيق . (٧) البقرة : ٢٤

(٨) إبراهيم : ٢٧

وقيل : غير هذا .

قال بعضهم : ابتلى الله خليله بشرة أشياء ، ثم أثنى عليه بشرة . ثم أعطاه عشرة .

أما الابتلاء فهو مناظرة التمرود ، والكوكب والقمر والشمس ، وبكسر الأصنام ، ومناظرة الأب ، وبالمجرة ، وبنار التمرود ، وبذبح الولد ، وبالإخلاص في قول الله له : أسلم . وبالعشر كلمات ، وبالملائكة الذين بعثهم الله إليه شبه الجوس يعرض عليهم الإيمان .

وأما الثناء عليه فسماء أمة قاتل الله حنيفاً ، شاكرًا لأنعمه ، وفيها صديقاً نبيّاً قياً ، أو أباً متنبياً .

واصطفاه بالاجتباء والاهتداء ، والبركة والبشارة بإسحاق ، والحجة على قومه ، والإمامة والمقام ، ونسبة الأمة الحمدية ، على جميعهم السلام ، والخلة في قوله تعالى ^(١) : « واتخذ الله إبراهيم خليلاً » .

(^(٢) فمن عني له من أخيه شيء ...) الآية . فيها تأويلان .

أحدهما أن المعنى من قتل فعني عنه فعله أداء الدية بإحسان ؛ وعلى أولياء المقتول اتباعها بمعروف ؛ فعل هذا « من » كناية عن القاتل ، وأخوه هو المقتول أو وليه . وعني من العفو عن القصاص . وأصله أن يتعدى بمن ؛ وإنما تعدى هنا باللام ؛ لأنه كقولك : تجاوزت لفلان عن ذنبه .

والثاني أن المعنى إن من أعطيت الدية فعله اتباع بمعروف ، وعلى القاتل أداء بإحسان ؛ فعل هذا « من » كناية عن أولياء المقتول ، وأخوه هو القاتل أو عاقلته ، وعني بمعنى يسر ؛ كقوله ^(٣) : « خذ العفو » ؛ أي تيسر .

(١) النساء : ١٢٥ (٢) البقرة : ١٧٨ (٣) الأعراف : ١٩٩ ،

وفي القرطبي (٢ - ٣٤٦) : أي ابتلى من الناس ما عناه من أخلاقهم وتيسر .

ولا إشكال في تعدّي عُني يالَى على هذا المعنى .

(^(١) فَنِ اعْتَدَى بِدِ ذَلِكْ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ) ؛ أَى قَتَلَ قَاتِلَ وَلِيّهِ بِدِ أَخَذِ الدِّيةَ مِنْهُ فَلَهُ الْقصاصُ مِنْهُ . وَقِيلَ عَذَابُ الْآخِرَةِ .

(^(٢) فَنِ تَطَوَّعَ) ؛ أَى صَامَ وَلَمْ يَأْخُذْ بِالتَّطَرُّعِ وَالتَّكْفَارَةِ . وَذَلِكَ عَلَى الْقَوْلِ بِالتَّسْخِ . وَقِيلَ تَطَوَّعَ بِالْإِزَادَةِ فِي مَقْدَارِ الطَّعَامِ ، وَذَلِكَ عَلَى الْقَوْلِ بِعَدَمِ التَّسْخِ .

(^(٣) فَنِ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ) ؛ أَى كَانَ حَاضِرًا غَيْرَ مُسَافِرٍ . وَالشَّهْرُ مَنْصُوبٌ عَلَى الظَّرْفِيَّةِ . وَالْمُرَادُ بِهِ شَهْرُ رَمَضَانَ الْمُتَقَدِّمِ .

(^(٤) فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي) ؛ أَى فِيمَا دَعَوْتُهُمْ إِلَيْهِ مِنَ الْإِيمَانِ وَالطَّاعَةِ .

(^(٥) فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ) : تَسْمِيَةُ الْمُتَقَوِّبَةِ بِاسْمِ الذَّنْبِ ؛ أَى قَاتِلُوا مَنْ قَاتَلَكُمْ ، وَلَا تَبَالُوا بِمَحْرَمَةِ صَدِّكُمْ عَنْ مَكَّةَ .

(^(٦) فَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ) : وَأَقْلُ ذَلِكَ شَاةٌ تَذْبَحُونَهَا .

(^(٧) فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا) : نَزَلَتْ فِي كَعْبِ بْنِ عُجْرَةَ لَمَّا رَأَاهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : لِمَ تُوْذِيكَ هَؤُلَاءُ رَأْسُكَ ؟ فَقَالَ : نَعَمْ . فَقَالَ لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : احْلِقْ رَأْسَكَ ، وَصُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ، أَوْ أَطْعِمِ مِئَةَ مَسَاكِينَ ، أَوْ انْصُكْ ^(٨) بِشَاةٍ ؛ فَعْنَى الْآيَةِ : إِنْ مَنَّ كَانَ فِي الْحَجِّ وَاضْطَرَّ مَرَضًا أَوْ قُلَّ إِلَى حَلْقِ رَأْسِهِ قَبْلَ يَوْمِ النَّحْرِ جَازَ لَهُ حَلْقُهُ ؛ وَعَلَيْهِ صِيَامٌ ، أَوْ صَدَقَةٌ ، أَوْ نَسْكَ ، حَسْبًا قَسَرَ فِي الْحَدِيثِ .

(١) البقرة : ١٧٨	(٢) البقرة : ١٨٤	(٣) البقرة : ١٨٥
(٤) البقرة : ١٨٦	(٥) البقرة : ١٩٤	(٦) البقرة : ١٩٦
(٧) البقرة : ١٩٦	(٨) النحل كنصر وكرم .	

وقاس الفقهاء على خلق الرأس سائر الأشياء التي يمنع الحج منها ، إلا الصيد ووطء النساء ..

وقاس الظاهرية ذلك على خلق الرأس ؛ ولا بد في الآية من ضمير لا يستقل الكلام دونه ؛ وهو المسمى فتوى الخطاب ؛ وتقديره : فمن كان منكم مريضاً أو به أذى من رأسه فحلق رأسه عليه فدية .

(فاذكروني أذكركم^(١)) : قد قدمنا مراراً أن منزلة العبد من الله حيث أنزله العبد ؛ ولهذا لما قال داود : يا رب ، كنّ لسيّدك كما كنت لي . فأوحى الله إليه : قل له يكون لي كما كنت لي أكون له كما كنت لك .

وقد أمرنا الله بهذا في آيات من كتابه ؛ قال تعالى : " وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم . فاقبحوا ينسح الله لكم . إن تنصروا الله ينصركم . يحبهم ويحبونه . هل جزاء الإحسان إلا الإحسان " .

وقد اختلفت الأقاويل في قوله : اذكروني أذكركم - نحواً من أربعين قولاً ؛ فإن ذكرته بالإيمان يذكرك بالجنة ؛ لقوله : " وعد الله المؤمنين " . وإن ذكرته بالاسترجاع يذكرك بالرحمة . وإن ذكرته بالاستغفار يذكرك بالمغفرة . وإن ذكرته بالإففاق يذكرك بالخلف . وإن ذكرته بالشكر يذكرك بالزيادة . وإن ذكرته بالصبر [٢١٩ ب] يذكرك بالأجر . وإن ذكرته بالصوى يذكرك بالفرج . وإن ذكرته بالتوكل يذكرك بالكفاية . وإن ذكرته بالتوبة يذكرك بالقبول . وإن ذكرته بالدعاء يذكرك بالإجابة . وإن ذكرته بالمجاهدة يذكرك بالهداية . وإن ذكرته بالطاعة يذكرك بالوادة . وإن ذكرته بالسجود

يذكرك بالقرب . وإن ذكرته بالإحسان يذكرك بالرحمة . وإن ذكرته بالاستقامة يذكرك بالأمن . وإن ذكرته باقراض يذكرك بالتضيق . وإن ذكرته بالقرائن يذكرك بالفلاح . وإن ذكرته بالخشية يذكرك بالقوز . وإن ذكرته بالاعتصام يذكرك بالنصر . وإن ذكرته في نفسك ذكرك في نفسه . وإن ذكرته في مملأ ذكرك في ملاء خير من مملأ . وإن ذكرته بالنواقل ذكرك بالحجة . وإن تقربت إليه شبراً تقرب منك باعاً . وإن أتته مئياً أتاك هروءة . وإن أتته بقراب^(١) الأرض خطيئة ولم تشرك به أنك بمنزلها مغفرة ؛ وهو الغفور الرحيم .

وفي الخوراة : يا ابن آدم أظهرت الذنوب مني وأخفيتني عن الخلق ، وأبدت الحسنات خلقي ولم تخلصها لي ، وأكلت رزقي ولم تشكرني ، وبارزتنى بالمعاصي ولم تستح مني ، ولم تحذرنني ؛ أما ما أظهرت من الذنوب فقد غفرتها لك ، وما أتيت من الحسنات بنير إخلاص فقد قبلتها منك ، وما أكلت من رزقي ولم تشكرني فلم أحرمك الزيادة ، وما بارزتنني به ولم تستح مني فأنا أستحي أن أعذبك بمد شهادتك لي بوحدايتي ، وأنا الغفور الرحيم .

فتأمل أيها المعاصي هذه الكرامات التي أكرمك بها ، دعاك أولاً بنفسه بقوله : والله يدعو إلى دار السلام ؛ من دار أولها بكاء ، وأوسطها عناء ، وآخرها فناء ، إلى دار أولها عطاء ، وآخرها لقاء ؛ وهي أحسن البنيان المسدس ؛ فإن الله خلقك مسدساً ؛ فخمسة منها يدعوك إلى خمس جهات والله سادسهم : يدعوك من تلك الجهات كلها إليه ؛ فالأمل يدعوك من بين يديك ، والشيطان يدعوك من خلفك ، والهوى يدعوك عن يسارك ، والشهوة عن يمينك ، والدنيا

(١) قراب القى بالكسر ، وقرابه ، وقرابته - بالضم : ما قارب قدره (القاموس) .

تَحْتَكُ ؛ وَاقِفٌ مِنْ فَوْقَكَ ؛ فَذَلِكَ قَوْلُهُ ^(١) : « وَلَا خَمْسَةَ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ » .

فَإِنْ كَانَتْ هَمَّتْكَ فِي دَارِ الْأَشْجَارِ وَالْبَسَاتِينِ وَالْأَنْهَارِ فَقَدْ دَعَاكَ لَهْمُكَ
بِقَوْلِهِ : « جَنَّاتٌ عِدْنُ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ » . وَإِنْ كَانَتْ هَمَّتْكَ الطَّعَامُ
وَالشَّرَابُ فَقَدْ دَعَاكَ لَهْمُكَ بِقَوْلِهِ : « كُلُوا وَاشْرَبُوا » . « ^(٢) يُطَافُ عَلَيْهِمْ
بِحِجَابٍ مِنْ ذَهَبٍ » . « وَلَا يَحْمَرُّ طَعْمُهُمْ بَشَمُونٌ ^(٣) » . وَإِنْ كَانَتْ هَمَّتْكَ التَّمَتُّعُ
بِالنِّسْوَانِ فَقَدْ دَعَاكَ لَهْمُكَ بِقَوْلِهِ : « وَحُورٌ عِينٌ كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ » ،
لَوْ تَفَلَّتْ إِحْدَاهُنَّ عَلَى الْبَحْرِ لَمَذَّبَ ، وَلَوْ أَطَاعَتْ إِحْدَاهُنَّ عَلَى الدُّنْيَا لَأَضَاءَ مَا فِيهَا .
وَإِنْ كَانَتْ هَمَّتْكَ الْإِبَاسُ فَقَدْ رَغَّبَكَ بِقَوْلِهِ ^(٤) : « يُحْمَلُونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ
ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ » . وَإِنْ كَانَتْ هَمَّتْكَ الْعِلْمَانُ وَالْوِلْدَانُ
فَقَدْ رَغَّبَكَ بِقَوْلِهِ ^(٥) : « وَلِلَّذِينَ تَحُدُّونَ ^(٦) » . « غِلْمَانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ
مَكْنُونٌ » .

وَإِنْ كَانَتْ فِي الشَّرْبِ وَالخَمْرِ فَقَدْ ذَكَرَ لَكَ أَنَّ فِيهَا أَنْهَارًا مِنْ خَمْرٍ
لَقَدْ لَشَارِبِينَ . وَإِنْ كَانَتْ هَمَّتْكَ رِضَاؤُهُ وَالنَّظَرُ إِلَيْهِ فَقَدْ دَعَاكَ فِي مَوَاضِعَ
مِنْ كِتَابِهِ ، وَحَرَّضَكَ عَلَيْهِ ، فَمَا ظَنُّكَ بِرَبِّ كَرِيمٍ يَدْعُوكَ لِلضِّيَافَةِ وَتَقْبُلُ دَعْوَتَهُ ؛
أَتَرَاهُ لَا يَرْضِيكَ ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ الْمَلَائِكَةَ تَبَشِّرُكَ حِينَ نَزَعَكَ ، وَأَعْطَاكَ
فِي حَيَاتِكَ مَرَاكِبَ الْجَمَالِ إِلَى بَيْتِهِ ، وَأَعْنَقَ الرِّجَالَ إِلَى قَبْرِكَ ، وَالْبِرَاقَ إِلَى
حَشْرِكَ ، قَالَ تَعَالَى ^(٧) : « يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَقَدْ آتَى » .

(فَصِدَّةٌ مِنْ أَيَّامِ أُخَرَ ^(٨)) : هَذَا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ بِهِذِهِ الْأُمَّةُ ؛ حَيْثُ أَبَاحَ لَهَا
التَّفْرِيقَ فِي قَضَاءِ رَمَضَانَ ، وَهُوَ مِنْ خَصَائِصِ هَذِهِ الْأُمَّةِ ، قَالَ تَعَالَى ^(٩) : « يَا أَيُّهَا

(١) المائدة : ٧	(٢) الزخرف : ٧١	(٣) الواقعة : ٢١
(٤) الحج : ٢٣	(٥) الواقعة : ١٧	(٦) الطور : ٢٤
(٧) مريم : ٨٥	(٨) البقرة : ١٨٤	(٩) البقرة : ٨٣

الذين آمنوا كُتِبَ عليكم الصيامُ كما كُتِبَ على الذين من قبلكم .

فإن قلت: قد قلتم: إن هذا الصيام من خصائص هذه الأمة، فما معنى الصيام

على غيرها؟

فالجواب أنه اختلف: قيل ثلاثة أيام من كل شهر . وقيل: عاشوراء .

[١٠٢٤] ؛ ففي هذه الآية الشريفة، نرى عذرين ونهيين ونسخين ورحمتين

وكرامتين .

أما المذران فتقوله: « كما كُتِبَ على الذين من قبلكم » . والثاني: « أياما

محدودات » ؛ أي قلة تمنح سريعا .

وأما النسخان فتقوله: « وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين » ، أي

في بدء الإسلام إن من لم يصم ثم أطعم لم يكن له^(١) بذلك .

والثاني أن الجماعة كانت حراما في ليالي رمضان ، فأباح الله لهم بسبب

عمر^(٢) قوله^(٣): « أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم » -

يعني الجماع .

وأما الأمران فتقوله^(٤): « ولتكملوا العدة » ؛ وقوله^(٥): « ولتكبروا

الله على ما هداكم » .

وأما النهيان ففي المواكلة والجماعة بالنهار؛ وهو قوله^(٦): « ثم أتموا الصيام

إلى الليل » .

(١) في ابن كثير (١ - ٢١٥) : كان من أراد أن ينظر اقتدى حتى نزلت الآية .

(٢) في ابن كثير (١ - ٢١٤) : كان عمر قد أصاب من النساء بعد ما نام ، فأتى النبي

فذكر له ذلك ، فأنزل الله عز وجل : أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم ...

(٣) البقرة: ١٨٥

(٤) البقرة: ١٨٧

(م ٢ - في إعجاز القرآن)

وأما الرحمتان : « فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ » ؛ فرخص له في الإفطار والقضاء بأيام أخر .

وأما الكرامتان فتقوله : « شَهْرُ رَمَضَانَ » . وليلة القدر التي هي خير من ألف شهر ! فالصيام أفضل الطاعات ؛ لأنه يصوم بأمر ، ويفطر بأمر : كَلُوا وَاشْرَبُوا . والجوع والعطش وغير المتمتع من عذاب أهل النار ، والله لا يجمع على الصائم عذابتين ، ويمطون النوف في الجنة بصبرهم ؛ قال تعالى (١) : « أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الثَّوْقَةَ بِمَا صَبَرُوا » . وكل عمل لا يخلو من وجهين : إما طاعة مع الذمة ، أو معصية مع الشهوة ؛ فيجعل الله قبول الطاعة بالصوم قوله : « فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْمَرْءَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ » ، وجعل غفران المعصية بالصوم ؛ قال تعالى : « وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا ... فصيام شهرين ... » .

وانتهاء الناهي أفضل من ائثار الأوامر ؛ ألا ترى أنه قال : مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرَ مِثَالٍ . قال (٢) : « وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى » . والصوم من انتهاء الناهي ؛ والزهد في الحلال أفضل من الزهد في الحرام ، والصوم من الزهد في الحلال ؛ وفي نداء عباده تعالى بالإيمان من اللطائف والفضائل ما لا يحيط بها إلا هو ، كأنه سبحانه يقول : يَا مَنْ أَفْرَرْتُمْ بَوَاحِدَاتِي ، وَعَرَقْتُمْ دَيْمُومِي ، لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَتِي .

قال بعضهم : النداء على عشرين وجها :

خمس من الله في الدنيا ، وخمس للآدميين في الدنيا ، وخمس من الملائكة في الدنيا ، وخمس من الملائكة في الآخرة .

أما الذى من الله فنداء الجنس : يا أيها الناس . - ونداء النسبة : يا بني آدم ، يا بني إسرائيل . ونداء الدعة : يا أيها الذين آمنوا ؛ لأن الله جمع أوصاف المؤمنين ونعوتهم ومعانيهم في هذا النداء ؛ لأنه لم يبق حسنة إلا دخلت معه ، كما أن الله علم على ذاته القدسية ؛ ومن ذكره فكأنما ذكر جميع أسمائه التي هي ألف اسم : ثلاثمائة في التوراة ، وثلاثمائة في الإنجيل ، وثلاثمائة في الزبور ، وواحد في صُحف إبراهيم ، وتسع وتسعون في القرآن ؛ فأول جميع الكتب الله .

ونداء للنجاة : يا أيها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم .

ونداء الإخافة : يا عبادي الذين آمنوا . يا عبادي الذين أسرفوا .

وأما الذى للآدميين : نداء الشريعة ، وهو لإبراهيم حيث قال له : وأذن في الناس بالحج . ونداء الكتاب ليوسف ^(١) : يا أيها العزيز مسنا وأهلنا الضر . ونداء الإيمان لمحمد صلى الله عليه وسلم قوله : ربنا إنا سمعنا منادياً ... الآية . ونداء الجمعة للمؤمنين : يا أيها الذين آمنوا إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة . ونداء الجمعة للمناقين .

وأما الذى لللائكة في الدنيا : فملك ينادى في كل صباح : يا أبناء الثلاثين ، لا تغتربوا بالشباب . يا أبناء الأربعين ، لا تجترثوا . يا أبناء الخمسين ، ألا تستحيون . يا أبناء الستين ، قد دنا حصادكم . يا أبناء السبعين ، الرحيل الرحيل .

وملك ينادى بالمقابر كل يوم : يا أهل القبور ، من تبطون اليوم ؟ قالوا : تبط أهل المساجد الذين يذكرون الله ولا نذكركم ، ويصلون ولا نصلي ،

ويعومون ولا نصوم . وملك ينادى عند رأس قبر النبي صلى الله عليه وسلم :
ألا مَنْ زال عن سنة صاحب هذا القبر فقد برىء من شفاعته . وملك ينادى
في الموقف : مَنْ حَجَّ وكَسِبَ حرام ردَّ اللهُ حجَّه .

وأما الذى من الملائكة في الآخرة فأولُه عند البعث : أيتها العظام البالية ،
والأنجساد النخيرة ، اهلموا إلى الحساب [٢٢٠ ب] عند ربِّكم . وملك عند
الحساب : أبشروا يا أمة محمد ، فإنَّ رحمة الله قريبٌ منكم . وملك عند الخامسة
يقول : أين فلان ابن فلان ؟ هلم إلى العرَض على الرحمن . وملك ينادى عند
الفراغ من الحساب : ألا إنَّ فلان ابن فلان سعيدٌ سعيدة لا يشقى بعدها أبدا .
وملك آخر على أهل الشقاوة ينادى : ألا إنَّ فلان ابن فلان شقى شقاوة لا يمدُّ
بعدها أبدا . أعادنا الله من ذلك بمنه .

(فإني قريبٌ أجيبُ دعوة الداع^(١)) : يعنى بقبولهم ورحمتهم ،

لا يقرب المسافة .

وسبب نزول هذه الآية أنه عليه الصلاة والسلام سُئل أين ربُّنا ؟ فوقنا
أو تحتنا ، أو بيننا أو يسارنا ، أو خلفنا أو قدَّامنا ؟ فأُمر الله^(٢) : « وإذا سألكَ
عبادى عني فإني قريبٌ » . يعنى وحاجتكم أنا ، لا المكان ؛ فإنَّ وجدتموني
فما تصننون بالمكان وأنا منزَّه عن المكان .

وفي رواية : إن اليهود سأله عليه السلام أقرب ربُّنا فنَّاجيه أم بعيد
فنَّاديه ؟ فأُمر الله^(٣) : « ونحن أقربُ إليه من حبل الوريد » ؛ يعنى بالعلم
والقدرة والإجابة لا بالذات ، فادعُوني سيرا أو جهرا ؛ فإني قريبٌ أجيبُ ؛

إِنْ سَأَلْتَنِى الْعَاصِىُ غُفِرَتْ لَهُ ، وَإِنْ سَأَلَنِى الْحَسَنُ أُعْطِيَتْهُ مَوْالَهُ .

فَهَيْثَا لَكُمْ آيَتِهَا الْأُمَّةُ الْحَمْدِيَّةُ ، نَسَبَكُمْ إِلَى آدَمَ فِي قَوْلِهِ : يَا بَنَى آدَمَ .
وَبِالشَّرِيعَةِ إِلَى نُوحٍ فِي قَوْلِهِ ^(١) : « شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا » .
وَبِالْأُمَّةِ إِلَى إِبْرَاهِيمَ . وَبِالْأُمَّةِ إِلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَبِالْعِبَادِيَّةِ إِلَى نَفْسِهِ ،
وَالْحِكْمَةِ فِيهِ حَتَّى يَشْفَعَ آدَمَ فِيكُمْ ، فَيَقُولُ : يَا رَبِّ ، هُمْ أَوْلَادِي ، وَيَقُولُ نُوحٌ :
أَهْلُ شَرِيعَتِي . وَيَقُولُ إِبْرَاهِيمُ : أَهْلُ مِلَّتِي . وَيَقُولُ مُحَمَّدٌ : أُمَّتِي . وَيَقُولُ اللَّهُ :
عِبَادِي وَخَوَاتَمِي ؛ فَالَّذِي نَسَبَكَ إِلَيْهِ أَتَرَى أَنَّهُ يُرِيدُ مَعَاذَتَكَ . وَقَدْ قَالَ لِنُوحٍ
لَمَّا أَرَادَ عَقُوبَةَ وَلَدِهِ : إِنْ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ . أَوِ الرَّسُولَ الَّذِي يُبْعَثُ إِلَيْكَ يَرِيدُ
تَضْيِيقَ أُمَّتِهِ ، وَهُوَ لَمْ يَذْنَبْهُمْ فِي الْأَرْبَعَةِ مَتَامَاتٍ : مَقَامَ التَّحِيَّةِ لِلْمَوْلَاءِ فِي قَوْلِهِ :
السَّلَامُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ . وَمَقَامَ الشُّكْرِ فِي قَوْلِهِ : وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ
آمِنٌ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ . وَمَقَامَ الْحَاجَةِ سَأَلَ مِنْ اللَّهِ عَشْرَ حَاجَاتٍ ، فَأَعْطَاهُ مَا سَأَلَ
قَوْلُهُ تَعَالَى ^(٢) : « غُفِرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ... » إِلَى آخِرِ السُّورَةِ . وَمَقَامَ
الِشَّفَاعَةِ : « وَلِبَاسٍ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى » .

أَفَتَرَى أَنَّهُ يَرْضَى بَقَاءَ أُمَّتِهِ فِي النَّارِ وَهُوَ فِي الْجَنَّةِ ؛ وَلِذَلِكَ يَقُولُ لَهُ جِبْرِيلُ :
أَنْتَ مَنْعَمٌ ، وَأُمَّتُكَ فِي النَّارِ ، فَيَسْتَأْذِنُ فِي الشَّفَاعَةِ فِيهِمْ فِي حَدِيثٍ طَوِيلٍ .

وَقَدْ عَاتَبَهُ اللَّهُ يَوْمَ بَدْرٍ لَمَّا كَانَ فِي الْعَرِيشِ وَأَصْحَابِهِ فِي الشَّمْسِ ، فَقَالَ :
يَا بَعْدُ ، أَنْتَ فِي الظِّلِّ وَأَصْحَابُكَ فِي الشَّمْسِ ؛ أَهَكَذَا هِيَ الصُّعْبَةُ ! فَيَسْبَحَانِ
الطَّيْفَ بِمَبَادِهِ وَخُصُوصَاتِهَا بِهَذِهِ الْأُمَّةِ .

وَفِي الْحَدِيثِ : أَنَّ جَمِيعَ الْأَنْبِيَاءِ قَالُوا رَبَّنَا ، كَمَا قَالَ آدَمُ : رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا .

وإبراهيم : رَبَّنَا واجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ . وغيرهما . فلما بلغ الأمرُ إلى أمة محمد هكَّنُوا أن يُضيفوه إلى أنفسهم ، فيقولوا : ربنا ، فسكتوا ؛ فأضاف الله نفسه إليهم بقوله : وقال ربكم ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ . وكان جميع الأمم لم يكن لهم جرأة على أن يدعوا ربهم ، ولكن كانوا يقولون : ادْعُ لَنَا رَبَّكَ . هل يستطيعُ ربُّكَ .

وهذه الأمة رفع الله الواسطةَ بينهم وبينه ، وأمرهم بالدعاء ؛ فإن لم يدعوا فهو يدعوهم لينفرد ذنوبهم .

وتأمل قوله تعالى : "فَاتَى قَرِيبٌ" ، ولم يقل هو كما قال : يسألونك ماذا ينفقون قل العَفْو . قل هو أَدَى قل إصلاح لهم خير . وقال : فليَسْتَجِيبُوا لِي إِذَا دَعَوْتُهُمْ إِلَى الْمَغْفِرَةِ ، فإن دعوتى بلا غلة أجبتهم بلا مهمة ، وإن دعوتى بالصفاء أجبتهم بالعطاء ، وإن دعوتى بلسان الشهادة أجبتهم بإعطاء الولاية . وإن دعوتى بالنعمة أجبتهم بالشهادة ، وإن دعوتى بجميع الجوارح أجبتهم بإجابة ناصح ، وإن دعوتى بالإخلاص أجبتهم بالإخلاص ، وإن دعوتى بالمغفرة أجبتهم بتبديلها ببشرة ، وإن دعوتى بالخوف والرجاء أجبتهم بالرحمة والجزاء . وإن دعوتى بالاضطرار أجبتهم بالافتخار . وإن دعوتى بأسمائى الحننى أجبتهم بالمعطف الكبرى .

فانظروا أيها الأمة ما أرحمهم بنا ! وقد رأينا جواب الذاكرين بقوله : اذْكُرْكُمْ [١٢٢١] . وأجاب المخسرين : بل الله يسنُّ عليكم . وأجاب الذايعين : أَسْتَجِبْ لَكُمْ . وأجاب الخائفين : أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا . وأجاب المقربين بالوصلة^(١) : « فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى » . وأجاب المستغفرين

بالغفرة : إنه كان غفّاراً . وأجاب المتضرّعين بقوله ^(١) : « يوم لا يُخزى اللهُ
النبي » .

فإن قلت : قد رأينا مَنْ يَدْعُو ولا يستجيب له .

والجواب إذا وقع الدعاء من المضطرّ حصل جوابه على كل حال . ومن وفق
للدعاء لم يحرم الإجابة . ومن وفق للتوبة لم يحرم القبول . ومن وفق للشكر
لم يحرم المزيد . ومن وفق للصبر لم يحرم الجزاء . ومن وفق للتوكل لم يحرم
الكفاية . ومن وفق للعمل الصالح لم يحرم المودة عند الله وعند خلقه .
ومصدق هذا كله قوله تعالى ^(٢) : « أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَا » . وهو الذي
يقبلُ التوبة عن عباده . لئن شكرتم لأزيدنكم . وجزأهم بما صبروا .
ومن يتوكل على الله فهو حسبه . ^(٣) إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيَجْعَلُ
لهم الرحمنُ وُزْرًا » .

فإن قلت : بين لنا الاضطرار وشروط الدعاء .

فالجواب : إن الاضطرار ألا تبقى فيك علاقة مع غيره سبحانه ، وإن أخلصت
له في الدعاء وتضرعت ، ورجوت وخِيت ، واستغثت به ، فلا بد من إجابتك
إما عاجلاً فتبلغ سُؤلك أو يكفرك به من ذنوبك ، أو يؤخر لك لمصلحتك ،
أو يرفع درجتك ، وللهُ يُمطِّيك سُؤلك فتغفل عنه ، وهو يحبُّ المُلِحِّين
في الدعاء . ألا تسمعه سبحانه يقول لبعض الداعين : اعطوه سُؤله ؛ فإني أكره
صوته ، فإجابة الدعاء في الوقت الذي يريد ، لا في الوقت الذي تريد ؛ ورحم
الله القائل :

اللَّهُ يَغْضَبُ إِنْ تَرَكْتَ سُؤَالَهُ

وإِنْ آدَمَ حِينَ يُسْأَلُ يَغْضَبُ

وقد وعدنا الله تعالى بالكرامة على أنواع من الطاعات ؛ فأكرم الساجد بالقربة ، ودخول البيت الحرام بالأمن . والجهاد بالجنة . والصدقة بأضعافها . والزكاة بالفلاح . والدعوة بالإجابة ؛ لكن العلة منا وإلينا ، وشؤم نفوسنا عائد علينا ، كما قال إبراهيم بن آدم لما قالوا له : يا أبا إسحاق ؛ الله يقول : ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ؛ ونحن ندعوه ولا يُسْتَجِيبُ لنا ؟ فاطرق ساعة وقال : لَأَنَّ قُوتَكُمْ مَاتَتْ فِي عَشْرَةِ أَشْيَاءَ ؛ فَنَاقُوا : هَاتِهَا . قَالَ : عَرَفْتُمْ اللَّهَ وَلَمْ تُوَدُّوا حَقَّهُ ، وَقَرَأْتُمْ كِتَابَهُ وَلَمْ تَعْمَلُوا بِهِ ، وَعَرَفْتُمْ رَسُولَهُ وَتَرَكْتُمْ سُنَّتَهُ . وَقَلْتُمْ الشَّيْطَانُ لَنَا عَدُوٌّ فَأَوَاقَعْتُمُوهُ ، وَادْعَيْتُمْ حَبَّ الْجَنَّةِ وَلَمْ تَعْمَلُوا لَهَا . وَقَلْتُمْ مَخَافُ النَّارِ وَوَهَبْتُمْ لَهَا أَبْدَانَكُمْ . وَقَلْتُمْ : الْمَوْتُ حَقٌّ وَلَمْ تَهَيِّئُوا لَهُ . وَانْتَبَهْتُمْ مِنَ النَّوْمِ وَاسْتَعْتَمْتُمْ بِعُيُوبِ إِخْوَانِكُمْ . وَأَكَلْتُمْ رِزْقَهُ وَلَمْ تَشْكُرُوهُ . وَدَفَنْتُمْ مَوْتَاكُمْ وَلَمْ تَعْتَبِرُوا بِهِمْ ؛ فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لَكُمْ !

وفي الحديث ما بعضه قوله : مَطْعَمُهُ حَرَامٌ ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ ، ويقول : يَا رَبِّ يَا رَبِّ ؛ فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لَهُ !

وصدق الصادق المصدوق ؛ فإن الدعاء مثل الطائر ، وكيف يطير مقصوص الجناح .

فاجتهد في إخلاص المطعم والملبس ، وتخفيف أوقات الإجابة وأماكنها المنفعة في الحصن الحصين لابن الجزري ؛ وخصوصاً بعد الأذان ، وقبل الإقامة ، وبعد الصلوات ، وخصوصاً صلاة الجمعة ؛ والسَّحَرُ أسرع إجابة لخلوته بالمحبوب .

وبعضهم ترك الدعاء لعلهم بأن الله لا ينفق عنه ، واشتغل بذكره ، للحديث القدسي : من شغل ذكرى عن مسألتى أعطيته أفضل ما أعطى السائلون ؛ ولهذا أشار ابن عطاء الله بقوله : طلبك منه اتهام له ... الخ . وبعضهم لم يرفع رأسه للدعاء حياة منه . وبعضهم قال : الدعاء تحكم على الله ، وقد سبق تقديره قبل وجودي ؛ فإن سبق سعادتي فأنا له ، وإن لم يسبق فكيف أطلب منه ما لم يرد . وبعضهم دعاء في الشدة ، وأعرض عنه في الرخاء ؛ وهذا حالنا كما قل سبحانه (١) : « فإذا مس الإنسان ضررٌ دعأنا » . وبعضهم قل : لا أقول نحن ؛ لأن الملائكة قالت : نحن نسبح [٢٢١ ب] بحمدك ، فلم يرض الله منهم ، وإيليس قل : أما ، قلنه الله . وفرعون قل : أليس لي ملك مصر ؛ فأغرقه الله . وقارون قال : عندي ؛ فخسف الله به الأرض .

وأعلى من هؤلاء من امتثل أمر ربه في الدعاء ، ورأى نفسه عبداً مملوكاً لا يتدر على شيء ؛ وإنما قام بحق الربوبية ، فطلبه لحيته في الطلب ، وفروض الأمر له ؛ كما قال بعضهم لما قيل له : سل تعط ، فقال : عالم من جميع الوجوه يقول لجاهل من جميع الوجوه : سل تعط ، لا أعلم ما يصلح بي ؛ ولكن يختار هو لي ؛ ولهذا قل ابن عطاء الله : لا يكن طلبك سبباً إلى المطاء منه ، فيقتل قنمك عنه ، وليكن طلبك لإظهار العبودية ، وقياماً بحقوق الربوبية .

فإن قلت : إذا سبق المطاء منه فما فائدة الطلب ؟ وقد أعطانا بغير سؤال ؟

فالجواب إذا سبق في أزيله المطاء وفق عبده لطلبه ، فيجيب ؛ ويفرح العبد بذلك ، ولو أعطاك بغير سؤال لطمع الكافر والمؤمن .

وهذه أسباب ومسايطر يوفق الله العبد إليها في أى وقت شاء على يد من يشاء لا يسأل عما يفعل وهم يسألون .

والكلام هنا طويل ، وقد ألفت فيه تأليفاً عجيباً سميت مفاتيح الطلب ، فانظره إن ظفرت به ، وإلا ففي هذه النبذة كفاية إن شاء الله .

(فَإِذَا أُمِمْتُ^(١)) : الخطاب للمُجْرَمِينَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ وَغَيْرِهِمْ ، وَمَعْنَاهُ : إِذَا كُنْتُمْ بِحَالِ أَمْنٍ ، سِوَاهُ تَقَدُّمِ مَرَضٍ أَوْ خَوْفِ عَدُوٍّ ، أَوْ لَمْ يَتَقَدَّم .

(فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ^(٢)) : وَالتَّمَتُّعُ هُوَ أَنْ يَحْتَسِرَ الْإِنْسَانُ فِي أَشْهُرِ الْحَجِّ ثُمَّ يَحْجُجُ مِنْ عَامِهِ ؛ فَقَدْ تَمَتَّعَ بِإِسْقَاطِ أَحَدِ السَّفَرَيْنِ لِلْحَجِّ أَوِ الْعُمْرَةِ .

وقال عبد الله بن الزبير : التمتع هو أن يُخَفَّرَ عَنْ الْحَجِّ بِعَدْوٍ حَتَّى يَفُوتَهُ فَيَحْتَسِرَ عُمْرَةً يَتَحَلَّلُ بِهَا مِنْ إِحْرَامِهِ ، ثُمَّ يَحْجُجُ مِنْ قَابِلٍ قِضَاءً لِحَاجَتِهِ ، فَهُوَ قَدْ تَمَتَّعَ بِفِعْلِ الْمُنَوَّعَاتِ لِلْحَجِّ مِنْ وَقْتِ تَحَلُّهِ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ الْقَابِلِ .

وقيل : التمتع هو قرآن الحج والعمرة .

(فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَّامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتَ^(٣)) : يَعْنِي مَنْ لَمْ يَجِدِ الثَّاءَ فَلْيَصُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ، وَقَتُّهَا مِنْ إِحْرَامِهِ إِلَى يَوْمِ عَرَّةٍ ؛ فَإِنْ قَاتَهُ صَاحِبُ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ وَسَبْعَةٌ إِذَا رَجَعَ إِلَى بِلَادِهِ .

(فَمَنْ قَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ^(٤) ...) الْآيَةُ ؛ أَيْ أُلْزِمَ الْحَجَّ نَفْسَهُ فِي شَوَّالٍ وَفِي الْقَعْدَةِ وَذُو الْحِجَّةِ .

(فَلَا رَفَثَ^(٥)) ، وَهُوَ الْجَمَاعُ ، (وَلَا فُسُوقَ^(٦)) ، وَهِيَ الْمَعَاصِي ؛

إذ علامة قبول الحج ترك المعامى ، ولا جزاء له إلا الجنة ، كاصح .

(^(١)) فإذا قضيتُم مناسيكم فاذكروا اللهَ كذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشْدَّ ذِكْرًا) ؛ لأن الإنسان كثيراً ما يذكر آباءه . والعارف يذكر الله أكثر ؛ لأنه مخترعه وخالقه كيف شاء ، ورازقَه من أين شاء ، ومميتَه متى شاء ، ومحييه إذا شاء ؛ فكيف ينفلح من هذه صفته ، وقد دعا الخلق إلى نفسه ؟ فالسابق منهم همه اسمه ، فدعاه بلفظ الرب ، وقل (^(٢)) : « وَأَنْبِئُوا إِلَى رَبِّكُمْ » . و (^(٣)) قَرُّوا إِلَى اللَّهِ » .

والمقصد منهم همّة الرزق ؛ فدعاه بقوله (^(٤)) : « وَاقْعُدُوا عَلَى دَارِ السَّلَامِ » . وقال (^(٥)) : « يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ » .

والظالم همّة غفران ذنوبه ، فدعاه بقوله (^(٦)) : « سَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ » . فعلى كل حال العبد لا ينفلح عن سيده .

ولما كانت العربُ تذكر أباهما كثيراً مفخرة عند الجرة أمر الله بذكره عوضاً عن ذلك ؛ لأنه الغارُ النافع .

(فَعَلَا مِنْ رَبِّكُمْ ^(٧)) : التجارةُ في أيام الحج أبلها الله لعباده ، ولا يضر نيتها ، ولا تفسد العبادة بها خلافاً لبعض الصوفية .

والصحيح أن النية الصحيحة تغلبُ التيسر حسناً ، والحسن قبيحاً . ولشريك النية الصالحة جائزة ، بل مطلوبة في الأفعال ؛ ورضى الله عن السيد التتبع دق عليه ،

(١) البقرة : ٢٠٠	(٢) الزمر : ٥٤	(٣) القاريات : ٥٠
(٤) يونس : ٢٥	(٥) البقرة : ٢١٧	(٦) آل عمران : ١٣٢
(٧) البقرة : ١٩٨		

قال لبعض العلامة : قُمْ حَتَّى لَكَ الْبَابُ . . . قَامَ ، قَالَ بَعْدَ رَجُوعِهِ : بَأَى تَبِيرِ
قَسَمَتَهُ لَهُ . قَالَ : نَذَّةٌ فَتَحَ الْبَابَ . قَالَ : هَلَا نَوَيْتَ قَضَاءَ حَاجَتِهِ إِنْ اِحْتِاجَ ،
وَالسَّلَامَ عَلَيْهِ وَمَصَافَحَتَهُ ؛ وَصَارَ يَدُدُّ لَهُ سَبْعَ نِيَّاتٍ . هَكَذَا كَانَ رَاضِي اللَّهِ
عَنْهُمْ يُبَشِّرُ كَوْنِ أَفْهَمَ لَتَضْعِيفِ حَسَنَاتِهِمْ ، وَنَحْنُ بِالضَّدِّ مِنْ هَذَا ؛ فَلَيْسَ لَنَا
نِيَّةُ النَّتَةِ . .

فَلَا تَتَحَرَّكْ أَيْهَا الْأَخُ حُرُوكَةً إِلَّا اللَّهُ تَكْثُرًا بَيْنَكَ ؛ كَلِمَتُكَ بِالسَّجْدَةِ بِنِيَّةِ
الزِّيَادَةِ اللَّهُ ، وَانتَظَرِ الصَّلَاةَ [١٢٢٢] ، وَكُنْكَ عَمَانِيَّةً ، وَعَكُوفُكَ عَلَى
الطَّاعَةِ وَسَلَامَةِ النَّاسِ مِنْ شُرْكَ ، وَتَعَلَّمَ وَتَعَلَّمَ وَاسْتَفَادَةَ أُخْرٍ ، وَنَحْوَهَا .

وَبَدْخُولِكَ الْأَسْوَاقِ : ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى ، وَالسَّلَامَ عَلَى إِنْجِرَانِكَ ، وَشَهَادَةِ
الْبَقَاعِ لَكَ ، وَمَنْعَ الشَّيْطَانِ وَمَطَرَدَهُ ؛ وَتَغْيِيرُ مَا رَأَيْتَ مِنَ الْمُنَاكِرِ إِنْ قَدَرْتَ
صِيَانَةً ، وَأَمْرُكَ بِالْمَعْرُوفِ صَدَقَةً ، وَرُؤْيَا نِعْمَةِ فَرَاعِكَ وَتَوْفِيقِكَ . وَقَدْ عَلِمْتَ
ذَا كَرَّ اللَّهُ فِي الْغَائِلِينَ كَالْمُجَاهِدِ خَلْفَ الْقَارِيْنِ ؛ وَلَا تَشْغَلْكَ رُؤْيَا شَهْوَةٍ ؛ فَتَضُدَّ
بِقَدَمَيْكَ لَزِيَارَةِ إِخْوَةٍ لَتَلَا نَحْوَهُمْ لَزِيَارَتِكَ ، وَقَضَاءَ حَاجَتِهِمْ ؛ وَرَدَ السَّلَامَ عَلَى
مَنْ سَلَّمَ مِنْهُمْ ، وَسَمَّاهَا فِي بَيْعٍ ، وَرُؤْيَا صَالِحٍ ، وَرُؤْيَا آيَاتِهِ تَعَالَى ؛ مِنْ تَصَرُّفِ
الْخَلْقِ فِي بَعَائِثِهِمْ وَحَرَكَاتِهِمْ وَأَلْوَانِهِمْ ، وَمَا جِيلُوا عَلَيْهِ مِنْ حُبِّ الدُّنْيَا ، وَاخْتِلَافِ
أَغْرَاضِهِمْ ، وَتَصَرُّفِهِمْ فِي الْمَأْكَلِ وَالْمَلْبَسِ ، وَاخْتِلَافِ الْمَلْعِ . .

وَالْكَلَامُ هُنَا طَوِيلٌ . . وَالتَّصَدُّقُ أَنَّهُ يَجِبُ عِلْمُ حَقِيقَةِ النِّيَّةِ ، وَتَخْلِيفُهَا
. مِنْ كُلِّ جُزْءٍ يَنْهَوِي حَتَّى ، وَمِنْ كُلِّ خَطَرٍ أُخْرَوِي نَذْبًا ؛ وَهِيَ تُمَيِّزُ الْأَغْرَاضِ
بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ ؛ وَمَا يَتَّقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ .

لَمَّا خَلَّتِ الْحُرُوكَةُ وَعَقَبَهَا ^(١) بِأَغْتَا وَاحِدَةً نِيَّةً خَالِصَةً ، وَإِعْدَادُ الرَّاجِعِ

(١) مِنْ بَابِ قَتَلَ - كَانَ لِلصَّبَاحِ .

اختيار، واقتراثها بحكم قضاء وبإله، فلهذا، أو عنى: بشىء خاص فناية، وتعيين،
الإرادة عزم وعزم ومثبته.

وللحنفية: إن المشيئة مشتقة من الشيء، وفى كتب الفقه أنها إرادة لا فعل،
صحيح: إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى، ومن قاتل لشكون
كلمة الله هي العليا فهو فى سبيل الله، ومن هم بحسنه ولم يعمل به كنت له
حسنة، وإن الله تعالى لا ينفقوا إلى صبوركم وأعمالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم،
ونظره تعالى إلى القلب للنية، والنية والعلم وغيرها مما ينسب للقلب، وهو قائم
بالنفس، والعقل فى القلب.

وتأمل قوله تعالى (١): «لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا» (٢) «إِنَّ فِي ذَلِكَ
لَعِزَّةً لِّرَبِّكَ» كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

فتأمل أيها الاخ صنع الله فى هذا المؤمن، حيث جعل له داخل ضميره شعبة
سالكاً (٣) فى وسط الأحشاء أضواء من الشمس اللامعة، حتى جاز الهوى، وملك
طريق السماء، فلم يسكن على شيء دون الرب جلّ جلاله؛ فصار حاله فى الضمير
كمود نصيب له فى الأرض، فإذا اتصل بالأرض بما والأرض به، نبتت
المعرفة به، فصارت نزهة للعارفين، ثم الشهادة عطاء المحبين، ثم المطبة
على السابقين.

(لَوْ أَنَّ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ) (٤): قد قدمنا أن هذه الآية أبلغت
التعجل والتأخر. وقيل: إنه إخبار عن غفران الإثم، وهو الذنب الجاني،
سواء تعجل أو تأخر. وعلى الأول فيكون لمن اتقى أن يأتى بالتعجل.

(٢) أى الضمير.

(٣) ق: ٣٧

(١) الحج: ٤٦

(٤) البقرة: ٢٠٣

والتأخر لا يتم عليه . ويحل الثاني بين القرآن إنما هو لنسب اتقى الله في حجة .
الحديث : مَنْ حَجَّ هذا البيت فلم يَرُقَّت ولم يفسق خرج من ذُنُوبِهِ كيوم ولدته
أمه . فالإمام مهملته إما بالقرآن أو بالإباحة للمفهومين من الآية .

(فَعَبَّه جَمًّا) (١) : الضمير يعود على مَنْ لا يطيع من يأمره بالصوى
تكرياً وطمأنينة ، وهو الذي يقال له : اتق الله ، فأخذة العزة بالإثم . والباء يُمثل
أنه تكون سببه ، أو بمعنى مع . وقال الزمخشري (٢) : هي كقولك : أخذ
الحلس الأمير بكذا ؛ أى الزمهم إياه . فالعنى حمله العزة على الإثم .

(فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) (٣) : تهديد لمن زلَّ بعد البيان . ويحتمل
أن يكون الخطاب بقوله (٤) : « ادخلوا في السلم » - لأهل الكتاب ، على معنى
الأمر لهم بالدخول في الإسلام . ولما سمع بعض الأعراب قارئاً يقرأ : فاعلموا
أن الله غفورٌ رحيم - قال له : أخطأت . فقال : من أين علمت ؟ قال : أبلغهم
على الصبية ؟

(فَالَّذِينَ دِينُهُمُ الْأَقْرَبُ) (٥) : بيان مَصْرُفَ ثَقَّةِ التطوع . وتقدم
في الترتيب الأهم فالأهم ؛ وإن أريد بالنفقة الزكاة المفروضة فذلك منسوخ .

(فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْحَيْضِ) (٦) : أى اجتنبوا جماعهن في الهرج ،
لأننا عدله من أحكامها وبين فتحيها ، والاستثناء يلحقها . وقد فسر ذلك الحديث
بقوله : لتشد عليهما إزارهما وشاتك بأعلاهما .

(١) البقرة : ٢٠٦	(٢) الكشاف : ١ - ٩٨
(٣) البقرة : ٢٠٩	(٤) البقرة : ٢٠٨
(٦) البقرة : ٢٢٢	(٥) البقرة : ٢١٥

(فَأَوْا^(١)) ، أى رجعوا إلى الوَيْطَاءِ ، وكفروا عن اليمين ؛ فإن الله يقفر ما في [٢٢٢ ب] الإيلاء من الإضرار بالمرأة .

(فَنِصْفُ مَا قَرَضْتُمْ^(٢)) ، يعنى من الصَّدَاقِ لمن طلق قبل الدخول ؛ فإن كان لم يفرض لها صداقاً ، وذلك في فكاك التّفويض ، فلا شيء عليه من الصَّدَاقِ ، ويؤمر بالتمتة ؛ لقوله^(٣) : « وَمَتَّوْهُنَّ » .

(فَإِذَا أُمِيتُمْ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ^(٤)) : قبل المني إذا زال الخوف فصلوا الصلاة التى علمتموها وهى التامة . وقيل : إذا أُمِيتُمْ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ كما علمكم هذه الصلاة لتتجزئكم في حال الخوف ؛ فالدّكر على القول الأول ، بمعنى الصلاة . وقد ذكر الله الصلاة اثني عشر اسماً : القرآن^(٥) : « إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُوداً » . والأمانة^(٦) : « إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ » . والحسنات^(٧) : « إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبُنَّ السَّيِّئَاتِ » . قال ابن عباس : إن الصلوات الخمس يكفرن الخطايا : والتوبة^(٨) : « ذَلِكَ ذِكْرِي إِذَا كُرِيَ » - يعنى توبةً لثانين . والبقاء^(٩) : « وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتِ » . والذكر^(١٠) : « الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ » . والاستغفار^(١١) : « وَالْمُتَّقِينَ بِالْأَسْمَاعِ » . والنسيح^(١٢) : « قَسْبُحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ » . والركوع^(١٣) : « وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ » ؛ أى صلّوا مع الصّالحين . والسجود^(١٤) .

(١) البقرة : ٢٢٦ (٢) البقرة : ٢٣٧ (٣) البقرة : ٢٣٦ (٤) البقرة : ٢٣٩ (٥) الإسراء : ٧٨ (٦) الأحزاب : ٧٢ (٧) هود : ١١٤ (٨) الكهف : ٤٦ (٩) آل عمران : ١٩١ (١٠) آل عمران : ١٧ (١١) الروم : ١٧ (١٢) البقرة : ٤٣ (١٣) عشرة فقط إلا إذا عدنا قوله : قال ابن عباس - واحدة ، وقوله : والسجود واحدة .

وقل القول الثاني فمضى الذكر الشكر ، وعلى كلاً القولين فالواجب على الإنسان أن يذكر الله في كل حال .

ولقد ذكرنا على سبعة أوجه : ذكر اللسان ، وهو الحمد والثناء وذكر
اليد والرجل وهو التسليم والرضاء ، وذكر الأبدان وهو الجهد والجاهد . وذكر كماله
وهو الميرة والبكاء ، وذكر اليدين وهو السخاء والعطاء ، وذكر الرجلين
وهو المشي إلى الحج ، وثبات النفس لقاء . وذكر الروح وهو الخوف والرجاء .
(فلنذكر جن (١)) : الضمير يعود على المعتقدات اللواتي يتوفى (٢) أزواجهم
الذين يخرجون من ديارهم أربعة أشهر وعشراً ، وليس لأولياء الأزواج إخراجهم ،
فإذا كان المخرج من قبلكم فلا جناح على أحد فيما فعلن في أنفسهن من زوج
وغيره .

(٣) لمن شرب منه فليس مني) : هذا من قول طالوت لما جاز على نهر
فلسطين اختبر طاعتهم بمنعهم من الشرب .

(٤) فشربو أمته إلا قليلاً منهم) : وكانوا ثمانين ألفاً ، ولم يشرب منهم
إلا ثلاثمائة وبضعة عشر عند أصحاب بدر ، فأما من شرب فاشتد عليه العطش ،
وأما من لم يشرب فلم يعطش .

(ففضلنا بعضهم على بعض (٥)) : يعني أن الله فضل الأنبياء والمرسلين
على بعض من غير تعيينه الفاضل على الفضول ، لكن الإجماع على تفضيل أولى
الزعم منهم . واختلف فيما بينهم ، فقيل آدم لأنه أبو البشر . وقيل نوح لأنه أول

(٣) البقرة : ٢٤٩

(٢) في ١ : يتوفون

(١) البقرة : ٢٤٠

(٤) البقرة : ٢٠٣

رسول جث في الأرض . وقيل إبراهيم ؛ لأنه خليل الله . وقيل موسى ؛ لأنه
كليم الله . وقيل عيسى ؛ لأنه روح الله .

والإجماع على أن نبينا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم سيدهم وإمامهم ،
والمبعوث إليهم ، وإلى الملائكة ، لا يختلف في هذا القول إلا جاحد ومن
لا خلق له .

فإن قلت : ما معنى قوله عليه السلام : " لا تفضلوني على يونس بن متى ؟ "
فالجواب أنه قال ذلك على وجه التواضع والانبطاع ، والتنبية للمخاطب
على ألا يتعرض لأنباء الله ورسله بالغيبة . أو قال ذلك قبل أن يعلم بفضله على
سائر أنبيائه ورسله .

وانظر كيف يكون حال من يتعرض بالنقص لهم من هؤلاء القصاص
والمؤرخين بنسبة الذنب لهم ، كآدم ، وداود ، ويونس ، وغيرهم ؛ ورعى الله
عن الإمام على حيث يقول : من حدث بما يقول هؤلاء القصاص جلدته حدين
لا ارتكب من حرق^(١) ، ومن رفع الله محله هذا في الجملة ، فكيف
بمن تنقص أو عاب سيدهم وإمامهم ؛ والذي عليه مدار أمرهم . قال صلى الله عليه
وسلم : " كنت نبيا ، وآدم بين الماء والطين " ؛ ويظهر لك تفضيله على أولى العزم
من الرسل في قوله تعالى^(٢) : " وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن
نوح " ؛ قدّمه على أولى العزم منهم ؛ تنبيها لك على أنك لا تعلم حقيقة هذا ؛
إنما يظهر كمال شرفه إذ يستشرف من شرف المحشر ، فيشرف بالشفاعة ؛ فأدم

(١) في اللاموس : صرف الحديث : أن يزد فيه . (٢) الأحزاب : ٧

وَمَنْ سِوَاهُ تَحْتَ لُؤَاثِهِ ، وَكُلُّهُمْ [يَقُولُ :] ^(١) نَفْسِي نَفْسِي ، وَهُوَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَفْسُهُ لِصَاحِبِ النَّفْسِ ، وَيَقُولُ : لَا أَسْأَلُكَ نَفْسِي وَلَا فَاطِمَةَ ابْنَتِي ، وَإِنَّمَا أَسْأَلُكَ أُمَّتِي ، أُمَّتِي ، يَا مَنْ لَا يُخْلِفُ الْمِيْعَادَ . وَقَدْ وَعَدْتَنِي أَلَّا تُخْزِيَنِي فِيهِمْ [١٢٢٣] . فَأَقْسَمُ عَلَيْكَ يَا سَيِّدَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ بِمَنْ أَعْطَاكَ هَذِهِ الْكَرَامَةَ وَالْمَنْزِلَةَ الرَّفِيعَةَ ؛ لَا تَنْسَ عَبْدَكَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ الْعَظِيمِ ؛ بَلْ فِي الدُّنْيَا ؛ يُنْقِذْنِي مِنْ شَرِّ هَوَايَ وَشَهْوَتِي ، وَيُقْبِلَ بِي عَلَيْهِ وَعَلَى طَاعَتِهِ ، وَيَسْتَعْمَلَنِي فِي خِدْمَتِهِ ، وَلَسْتُ بِأَهْلٍ لِذَلِكَ ، إِنْ لَمْ نَسْكُنْ نَفْعَةً مِنْ بَحْرِ جُودِكَ ، وَإِلَّا فَهِيَ نَا مُتَعَلِّقَةٌ بِذَيْلِكَ ، مَتَوَسِّلَةٌ لَكَ بِمَدْحِكَ وَالصَّلَاةِ عَلَيْكَ ؛ وَهِيَ مِنْ أَعْظَمِ الْوَسَائِلِ عِنْدَكَ ؛ اللَّهُ دَرَكٌ مِنْ مَحْبُوبٍ مَا أَعَذَّبَ ذِكْرُكَ أَمْ غَرَّتْ غَرَّتْكَ مِنْ غَيْرِ جَاءَ لِيُغْرِفَ عِنْدَ مَشَاهِدَتِكَ . قَالَ : مَا هَذَا وَجْهَ كَذَابٍ ، غَايَةُ جَمَالِ يَوْمِئِذٍ أَنْ أَقْتَنَ نِسْوَةً ، وَجَمَالَكَ قَدْ أَقْتَنَ الْكَوْنَيْنِ ، كَمْ عَادَاكَ مِنْ عَادٍ إِلَيْكَ ، كُلُّ قَلْبٍ قَلَاكَ فَأَقْلَبَهُ ^(٢) الْقَدَرُ فَأَتَقَلَّبَ إِلَيْكَ ، مَا طَلَبَ عَيْشَ عِبَادَةِ الْأَنْبِيَاءِ حَتَّى صَلَيْتَ بِهِمْ فِي صَوَامِعِ السَّمَوَاتِ ، مَا جَلَّ عُرُوسَ رِسَالَتِكَ لَيْقَةَ الْإِسْرَاءِ عَلَى مَنْصِبِ قَابِ قَوْسَيْنِ إِلَّا لِيَعْلَمَ عُذَالُ : « ^(٣) أَجْمَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا » مَا حَوَتْ صَدَقَةُ آدَمَ مِنْ بَيْتَةِ الْوُجُودِ ؛ اجْتَمَعَ فِي مَدْرَسَةِ دَرَسِ رَئِيسِ الْمَلَائِكَةِ ، يَسْأَلُ مَا الْإِسْلَامُ ؟ وَمَا الْإِيمَانُ ؟ وَمَا الْإِحْسَانُ ؟ وَمِنْ خَوَاصِّ الْجَنِّ مَنْ غَلِبَهُمُ التَّعَجُّبُ ، قَالُوا ^(٤) : « إِنَّا سَمِعْنَا قِرَاءَتَنَا عَجَبًا » . وَمِنْ فَضْلِهِ الْإِنْسُ مَنْ كَانَ بِهِ الْإِنْسُ ^(٥) : كَ « ثَانِي اثْنَيْنِ إِذَا هُمَا فِي الْقَارِ » ، إِنْ كَانَتْ شَمْسُ السَّمَاءِ تَطْهَرُ الظَّاهِرَ فَشَمْسُ شَرْعِكَ تَطْهَرُ الْغَيْبَ . اتَّقُوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ ؛ فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ اللَّهِ ؛ إِذَا كَانَ فِي النُّجُومِ هَدًى لِلْسَّالِكِ فِي السَّالِكِ ، فَكَمْ بِنُجُومِ آيَاتِكَ مِنْ مَهْتَدٍ إِلَى الْحَقِّ .

(١) زيادة يقتضيا تمام المعنى . (٢) ألقبه : قلبه وحوله عن وجهه (القاموس) .

(٣) البقرة : ٣٠ (٤) الجن : ١ (٥) اثوبة : ٤٠

(فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ ^(١)) : الضمير يعود على عَزِيزٍ . وقيل على الخضر ؛ وذلك أنه مرَّ على قرية ، وهي بيت المقدس لما خرَّجَهَا بِحُثٍّ نَصَرَ ؛ وقيل قرية الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت ؛ فسأل عن كيفية إحيائهم ، فأراه الله ذلك هيئاً في نفسه ؛ ليزدادَ بصيرة ، وأَمَاتَهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ ، وذلك أنه أَمَاتَهُ غُلُوةً يَوْمٍ ، ثُمَّ بَعَثَهُ قَبْلَ الْغُرُوبِ مِنْ يَوْمٍ آخِرٍ بِمِائَةِ عَامٍ ؛ فَظَنَّ أَنَّهُ يَوْمٌ وَاحِدٌ . ثُمَّ رَأَى بَقِيَّةَ مِنَ الشَّمْسِ ، فَخَافَ أَنْ يَكْذِبَ ؛ فَقَالَ : يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ .

وروى أنه قام شاباً على حاله ، فوجد أولاده وأولادهم شيوخاً .

وكذلك قصة أصحاب الكهف ، لما بعثهم قال بعضهم لبعض : كَمْ لَبِثْتُمْ ؟ وكذلك يسألون في القيامة : كَمْ لَبِثْتُمْ ؟ قالوا : لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ^(٢) فَسَأَلَ الْعَادُّينَ ؛ كُلٌّ ذَلِكَ دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ الدُّنْيَا كُلُّهَا كَثِيرٌ مَا كَفَلِيلُهَا ، وَلَا يَلْبِثُ الْإِنْسَانُ فِيهَا إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ . وهذا مشاهد ، وليس الخبر كالميان .

(فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ ^(٣)) ؛ أَي تَبَيَّنَ لَهُ كَيْفِيَّةُ الْإِحْيَاءِ ، فَأَرَاهُ اللَّهُ فِي نَفْسِهِ ذَلِكَ . وَلَمَّا قَالَ : انْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ؛ أَي يَتَغَيَّرُ . وَانْظُرْ إِلَى حَارِكَ كَيْفَ تَرَكْتَهُ مَرْبُوطًا بِحَبْلِ مِنْ لَيْفٍ ، وَلَمْ يَتَغَيَّرْ . قَالَ : أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ - بِهَيْزَةٍ قَطَعَ وَضَمَّ اللَّيْمَ ^(٤) - اعْتِرَافًا . وَقَرِءْ بِالْفَوْصِلِ وَالْجُزْمِ عَلَى الْأَمْرِ ؛ أَي قَالَ لَهُ الْمَلِكُ ذَلِكَ .

فَإِنْ قُلْتَ : مَا الْحِكْمَةُ فِي أَنَّ عَزِيرًا سَأَلَ الْإِحْيَاءَ ، فَتَابَهُ ؛ وَإِبْرَاهِيمَ سَأَلَ مِثْلَ ذَلِكَ فَأَجَابَهُ ؟

فالجواب أن عزيراً سأل عن القدرة ، فقال : أنى يُحْيى هذه الله بعد موتها ؟ وإبراهيم سأل عن كيفية القدرة ، فقال : كيف يحيى الموتى ؟ لأن قوله أنى بمعنى كيف ؛ إذ لا يشك نبيُّ الله فى القدرة ؛ فسؤاله إنما كان على جهة الاستخبار لا الإنكار ، كما زعمه بعضهم .

وقيل : إن إبراهيم عرف بالقلب ، فأراد أن يرى بالعين ؛ وذلك أنه لما قال النمرود : أنا أحيى وأميت ؛ قتل رجلاً وأحيا آخر ؛ فقال إبراهيم ^(١) : « ربِّ أرنى كيف يحيى الموتى » ؛ لأنى أعلم أنه ليس فذلك كفعله ؛ فأراه الله ذلك فى أربعة من الطير ؛ وفُرق أجزاءها ، وجعل جزءاً من الحمام مع جزء من الدبِّك ، وخلط بينهما مع بعض ؛ ليكون أبلغ فى القدرة حيث رجع كلُّ جزء إلى صاحبه ، فاطمأن قلبه كما طلب ؛ ولهذا كانت هذه الطير طير العبرة ؛ وطير الجنة الطاووس الذى كان سببَ خروج آدم من الجنة . وطير التجربة الحمار الذى كان لنوح فى السفينة حتى دخل إبليس بين قوائمه . وطير الفتنة لداود حيث تصوَّر له فى المحراب . وطير المأساة لسيان . وطير الحجة لعيسى حيث صورته من طين ، وفتح فيه ؛ فصار طائراً يأذن الله . وطير الكرامة لمحمد صلى الله عليه وسلم . وطير اللعنة [٢٢٣ ب] للنمرود حيث دخل فى خياشيمه وهى البعوض ، وأمهل ثلاثة أيام ، لعله يتوب . وطير الملكة للحبشة لما أرادوا هدم الكعبة ؛ فأرسل الله عليهم طيراً أياكيل ترُميهم بحجارة من سجيل ، على كل واحد اسمُ صاحبه . وطير المعرفة للمارفين يطير حتى يتعلق بالمولى سبحانه ^(٢) .

(فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِمَحْرَبٍ مِنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ^(٣)) ؛ أى إن لم تنهوا

(١) (٢) قال ابن كثير (١ - ٣١٥) : اختلف المفسرون

(١) البقرة : ٢٦٠

فى هذه الأربعة ما هى . وإن كان لا طائل تحت تعيينها ؛ إذ لو كان فى ذلك مهر لصر عليه

(٢) البقرة : ٢٥٩

القرآن .

عن الربا حورٍ بتم . ومعنى فأذنوا : فاعلموا . وقرئ . بالد ؛ أى أعلموا غيركم .
(فَاكْتُبُوهُ ^(١)) : ذهب قوم إلى أن كتابة الدين واجبة بهذه الآية .
وقال قوم : إنها منسوخة بقوله : فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا . وقال قوم : إنها
على التنبؤ .

(فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ ^(٢)) : قال قوم : لا تجوز شهادة المراتين إلا مع عدم
الرجال . وقالوا : معنى الآية : إن لم يكونا ؛ أى لم يوجد . وأجازه الجمهور ؛
لأن المعنى إن لم يستشهد رجلان فرجل وامرأتان ؛ وارتفاع رجل بفعل مضمَر ،
تقديره فليكن رجل ؛ فهو فاعل . أو تقديره فليستشهد رجل ؛ فهو مفعول لم يسم
فاعله ؛ أو بالابتداء ؛ تقديره : فرجل وامرأتان يشهدون .

(فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ ^(٣)) ؛ أى إن وقعتم في الإضرار المتقدم في قوله ^(٢) :
« وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ » .

(فَرِهَانٌ مَّقْبُوضَةٌ ^(٤)) : بهذا احتج الشافعي على صحة الرهن . واحتج
مالك بأنه شرط كمال . وأجمع العلماء على صحة قبض المرتهن وقبض وكيله .
وأجاز الجمهور وضعه على يد عدل .

(فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا ^(٥)) ؛ أى أمن صاحب الحق المديان ^(٦) لحسن
ظنه به ، فليستغن عن الكتابة ، وعن الرهن ؛ فأمر أولاً بالكتابة ثم بالرهن ،
ثم بالائتمان ؛ فالدين ثلاثة أحوال . ثم أمر المديان بأداء الأمانة ؛ ليكون عند
ظن صاحبه به .

(١) البقرة : ٢٨٢ (٢) البقرة : ٢٨٢ (٣) البقرة : ٢٨٢

(٤) رجل مديان : يفرض كثيرا وسنفرض كثيرا ، ضد (القاموس) .

(قَابَهُ آثِمٌ قَلْبُهُ^(١)) : معناه قد تعلق به الإثم اللاحق من المعصية في كتمان الشهادة ؛ وارتفع آثم بأنه خيرٌ إنَّ ، وقلبه فاعل به . ومحوز أن يكون قلبه مبتدأ وآثم خبره . وإنما أسند الإثم إلى القلب وإن كانت جملة المكاتم هي الآثمة ؛ لأن الكتمان من فعل القلب ؛ إذ هو يضرها ، ولئلا يظن أن كتمان الشهادة من الآثام المتعلقة باللسان .

(فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ^(٢)) : قرئ بالجزم فيها عطفاً على بحاسبكم ، وبرفسها على تقدير فهو يغفر .

(قَالَنَ حَاجُّوكَ^(٣)) ؛ أي جادلوك . والضمير يعود على نصارى نجران ، أو اليهود .

(فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ^(٤)) ؛ أي إنما عليك تبليغُ رسالة ربك ؛ فإذا بلغت ما عليك . وقيل إنها موادة منسوخة بالسيف .

(فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ^(٥)) : الضمير يعود على مريم . وفيه وجهان^(٦) :

أحدهما - أن يكون مصدراً على غير الضمير^(٧) .

والآخر - أن يكون اسماً لما يقبل به ، كالمُوط اسم لما يُستعط به ؛ يعني أن الله رضى بها المسجد مكان الذكر ؛ لأنها قالت^(٨) : « إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا » ؛ يعني خلعت .

(١) البقرة : ٢٨٣ (٢) البقرة : ٢٨٤ (٣) آل عمران : ٢٠
(٤) آل عمران : ٣٧ (٥) أي القبول . (٦) هنا في الأصلين .
والقرطبي : مصدر على غير المصدر ، والأصل تقبلاً (١-٦٩) ، وفي الكشاف (١-١٤٣)
أن تكون مصدراً على الله . حذف مضاف بمعنى فقبلها بذى قبول حسن ، أي بأمر فقبول حسن .

(فَأَنْفَخَ فِيهِ فَيَكُونُ طَائِراً يَأْذَنُ اللَّهُ ^(١)) ، وقرئ طيراً - يباء ما كنه على الجمع . قيل : هو الخفاش ؛ لأنه أكل الطير خلقاً ؛ ولها أسنان وثدي ، وهي تحيض .

قال وهب : كان يطير ما داموا ينظرون إليه ، فإذا غاب عن أعينهم سقط ليلى أن الكمال لله تعالى ، وأن فعل الخالق مخالف لفعل المخلوق . وذكر : يأذن الله ، ليرفع وهم من توهم في عيسى الربوبية . وأراد على قراءة نافع بالالف للنوع ^(٢) .

فإن قلت : ما وجه تذكير الضمير هنا وتأنيته في المائدة في قوله ^(٣) : فتنفخ فيها ؟ وهل يجوز أن يكون كل واحد منهما مكان الآخر ؟

والجواب أنه أنت الضمير في المائدة ؛ لأنه يعود على الهيئة ، وذكره هنا ؛ لأنه يعود على الطير ، أو على الكاف من « كهيئة » ؛ وإنما خصه بالذكر هنا ؛ لأنه إخبار قبل الفعل ، وفي المائدة خطاب الله له في القيامة . قال الزمخشري ^(٤) : في الأولى الضمير للكاف ؛ أي في ذلك الشيء المماثل لهيئة الطير ، فيكون طيراً ؛ أي فيصير طيراً كسائر الطيور . وقال في قوله : فتنفخ فيها الضمير للكاف ؛ لأنها صفة الهيئة التي يخلقها عيسى ، وينفخ فيها ، ولا يرجع إلى الهيئة المضاف إليها ؛ لأنها ليست [١٢٢٤] من خلقه ولا تنفخ في شيء . قال : وكذلك الضمير في تكون ... انتهى كلامه ، وهو في غاية الوضوح .

(فَوَرَّم ^(٥)) : الضمير للملائكة ؛ أي من ساعدهم . وقيل المعنى

(١) آل عمران : ٤٩ (٢) أي طائراً . (٣) المائدة : ١١٠

(٤) الكشاف : ١ - ٢٨٠ (٥) آل عمران : ١٢٥

من شبرم^(١) . والمعنى أن الله أمدَّ المسلمين بهذا العدد ؛ ليزيدهم قوة .
فلن كان في يوم بدر قد قاتلت فيه الملائكة ، وإن كان في يوم أحد قد شرط
أن تصبروا وتتقوا ، فلما خالفوا الشرط لم تنزل الملائكة .

(فما وهنوا^(٢)) : الضير قرئين على إسناد القتل للنبي ، وهو لمن بنى منهم
على إسناد القتل إليهم .

(فأتاكم غمًا بغم^(٣)) ، أى جازاكم غمًا بسبب الغم الذى أدخلتموه
على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى المؤمنين ، إذ عصيتم وتنازعتم . وقيل :
أتاكم غمًا متصلًا بغم ، وأحدُ الغمَّين ما أصابهم من القتل والجراح ، والآخر
ما أوجب من قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(فسلتم^(٤)) : أى جئتم .

(فزادكم^(٥)) : الفاعل ضمير القول ، وهو أن الناس قد جمعوا لكم .
والصحيح أن الإيمان يزيد وينقص ، فعماء هنا قوى إيمانهم وثقتهم بالله .
(فاقبلوا^(٦)) ، أى رجعوا بنعمة السلامة وقبض الأجر .

(فلا تخافونم وخافون^(٧)) : يعنى أن الشيطان يخوف أولياءه
فيخوفونكم أيها المؤمنون ، فلا تخافونم .

وقراءة ابن عباس وابن مسعود : يخوفكم أولياءه^(٨) . وقيل المعنى : يخوف

(١) الشبر - بالفتح : الإصطاء ، والمر .

(٢) آل عمران : ١٤٦

(٣) آل عمران : ١٥٣ (٤) آل عمران : ١٥٢ (٥) آل عمران : ١٧٣

(٦) آل عمران : ١٧٤ (٧) آل عمران : ١٧٥ (٨) فى القرطبي : المعنى

بخوفكم أولياءه ، أى بأولياءه أو من أولياءه ، فحذف حرف الجر ، ووصل الفعل إلى
الأمم نصب .

الناقطين ، وهم أولياؤه من كفار قريش ؛ فالنحول الثاني على هذا محذوف .

(فلا تحسبنهم ^(١)) : بالتاء وفتح الباء خطاباً للنبي صلى الله عليه وسلم ، وبالياء وضم الباء ، أسند الفعل للذين يفرحون ؛ أى لا يحسبون أنفسهم .

(فإن آتستم منهم رشداً ^(٢)) : الخطاب لأولياء الأيتام أن يدفعوا إليهم أموالهم إذا رشدوا ، وهو المعرفة بمصالحه وتدير ماله ؛ وإن لم يكن من أهل الدين . واشترط قوم الدين ، واعتبر مالك البلوغ والرشد . وحينئذ يدفع المال . واعتبر أبو حنيفة البلوغ وحده ما لم يظهر سفة . وقوله مخالف للقرآن .

(فليستغفف ^(٣)) : أمر الوصي النبي أن يستغف عن مال اليتيم ولا يأكل منه شيئاً ، ومن كان فقيراً قليلاً كل بالمعروف من غير إسراف . وقيل : المراد أن يكون له أجره بقدر عمله وخدمته . وقيل نسخها : ^(٤) إن الذين يأتون أموال اليتامى ظلماً . قل هر بن الخطاب : لا بأس للوصي الفقير أن يستغف من مال محجور له ، فإذا أيسر رده .

(فانكحوا ما طاب لكم من النساء ^(٥)) : أى ما حل ؛ وإنما قال « ما » ولم يقل « من » ؛ لأنه أراد الجنس . وقال الزمخشري ^(٦) : لأن الإناث من الغلاء يجرى مجرى غير الغلاء . ومنه قوله تعالى ^(٧) : « أو ما ملكت أيمانكم » .

(فإن طبن لكم عن شيء منه نفساً فكلوه هنيئاً مريئاً ^(٨)) : إباحة للأزواج أو لأولياء على ما تقدم من الخلاف - أن يأخذوا ما دفعه النساء من صدقاتهن عن

(١) آل عمران : ١٨٨ (٢) النساء : ٦ (٣) النساء : ١٠

(٤) (٥) الكشاف : ١ - ١٨٦

(٦) (٧) النساء : ٣

(٨) (٩) النساء :

طبيب أنفسهم . وقد قال بعضهم : مَنْ أَصَابَهُ أَلَمٌ فَلْيَأْخُذْ مِنْ صَدَاقِ زَوْجِهِ أَرْبَعَةَ دَرَاهِمَ ، وَيَشْتَرِ بِدَرَاهِمِينَ عَسَلًا وَيُدْرِهِمِينَ زَيْتًا وَيَشْرِبْهَا بِمَاءٍ مَطَرٍ ؛ فَإِنَّ اللَّهَ يَسْفِيهِ ؛ لِأَنَّ اللَّهَ قَالَ فِي الزَّيْتِ مَبَارَكًا ، وَفِي الْمَطَرِ مَبَارَكًا ، وَفِي الْعَسَلِ شِفَاءٌ ، وَفِي الصَّدَاقِ الْمَنَاءُ . وَإِنْ أَضَافَ إِلَيْهَا آيَةٌ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ قَبِيهِ الشِّفَاءُ أَيْضًا .

(فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً ^(١)) ؛ إِنَّمَا أَنْتَ ضَمِيرُ الْجَمَاعَةِ فِي « كُنَّ » ، لِأَنَّهُ قَصْدُ الْإِنَاثِ . وَأَصْلُهُ أَنْ يَعُودَ عَلَى الْأَوْلَادِ ، لِأَنَّهُ يَشْمَلُ الذَّكَورَ وَالْإِنَاثَ . وَقِيلَ : يَعُودُ عَلَى التَّرَوِكَاتِ . وَأَجَازَ الزَّمَخْشَرِيُّ ^(٢) أَنْ تَكُونَ كَانُ تَامَةً ، وَالضَّمِيرُ مُبْهِمٌ ، وَنِسَاءٌ تَقِيرُ .

(فَوْقَ اثْنَتَيْنِ ^(٣)) : ظَاهِرُهُ أَكْثَرُ مِنْ اثْنَتَيْنِ ؛ وَلَقَدْ جُمِعَ ^(٤) عَلَى أَنَّ لثَلَاثَ فَا فَوْقَهُنِ اثْنَتَيْنِ ، وَأَمَّا اثْنَتَانِ فَاخْتَلَفَ فِيهِمَا ؛ فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : لِهَمَا النِّصْفُ . كَالْبَيْتِ الْوَاحِدَةِ . وَقَالَ الْجُمْهُورُ : لِهَمَا الثَّلَاثَانِ . وَتَأَوَّلُوا فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَا فَوْقَهُمَا . وَقَالَ قَوْمٌ : إِنْ فَوْقَ زَائِدَةٍ كَقَوْلِهِ ^(٥) : « فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ » . وَهَذَا ضَعِيفٌ . وَقَالَ قَوْمٌ : إِنَّمَا وَجِبَ لِهَمَا الثَّلَاثَانِ بِالسَّنَةِ لَا بِالْقُرْآنِ . وَقِيلَ بِالتَّقْيَاسِ عَلَى الْأَخْتَيْنِ .

(فَلِهَا النِّصْفُ ^(٦)) : نَصْرٌ عَلَى أَنَّ لِبَيْتِ النِّصْفِ إِذَا افْتَرَدَتْ ؛ وَدَلِيلٌ عَلَى أَنَّ لِلْأَبْنِ جَمِيعَ الْمَالِ إِذَا افْتَرَدَ ؛ لِأَنَّ لِلذَّكَرِ مِثْلَ حِظِّ الْأُنثَى .

(فَلَا مَةَ الثَّلَاثِ ^(٧)) : لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لِلْأُمِّ الثَّلَاثَ إِلَّا بِشَرْطَيْنِ :

أَحَدُهُمَا عَدَمُ الْوَلَدِ . وَالْآخَرُ إِحَاطَةُ الْأَبْوِينِ بِالْإِبْرَاثِ ؛ وَلَقَدْ دَخَلَتْ الْوَلُو

(١) النِّسَاءُ : ١١ (٢) الْكِتَابُ : ١ - ١٩٢ (٣) فِي قَوْلِهِ - فِي آيَةِ نَفْسِهَا :

(٤) النِّسَاءُ : ١١

(٥) الْأَنْفَالُ : ١٢

كُنْ نِسَاءً .

لِنَعْلَمَ بِأَنَّ [٢٢٤ ب] أَحَدَ الشَّرْطَيْنِ عَلَى الْآخَرِ . وَسَكَتَ عَنْ حِظِّ الْأَبِّ اسْتِغْنَاءً
بِفَهْمِهِ ؛ لِأَنَّهُ لَا يَبْقَى بَعْدَ الثَّلَاثِ إِلَّا الثَّلَاثَانِ وَلَا وَارِثٌ إِلَّا الْأَبَوَانِ ؛ فَاتَّعَنَى ذَلِكَ
أَنَّ الْأَبَّ يَأْخُذُ بِقِيَّتِهِ وَهُوَ الثَّلَاثَانِ .

(فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِلْأُمِّ السُّدُسُ ^(١)) : أَجْمَعَ الْعُلَمَاءُ عَلَى أَنَّ ثَلَاثَةً مِنَ
الإِخْوَةِ يَرِثُونَ الْأُمَّ إِلَى السُّدُسِ . وَاخْتَلَفُوا فِي الْاِثْنَيْنِ ؛ فَمَذْهَبُ الْجُمْهُورِ أَنَّهُمَا
يَرِثَانِهَا إِلَى السُّدُسِ . وَمَذْهَبُ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُمَا لَا يَرِثَانِهَا إِلَيْهِ ؛ بَلْ هُمَا كَالْأَخِ
الْوَحِيدِ . وَحُجَّتُهُ أَنَّ لَفْظَ الإِخْوَةِ لَا يَقَعُ عَلَى الْاِثْنَيْنِ ؛ لِأَنَّهُ جَمْعٌ لَا ثَنِيَّةَ .
وَأَقْلَ الْجَمْعِ ثَلَاثَةٌ . وَقَالَ غَيْرُهُ : إِنْ لَفْظُ الْجَمْعِ قَدْ يَقَعُ عَلَى الْاِثْنَيْنِ ، كَقَوْلِهِ ^(٢) :
« وَكُنَّا مُحْكَمِينَ شَاهِدِينَ » . وَ ^(٣) « تَوَرَّوْا الْمَحْرَابَ » . ^(٤) « وَأَطْرَافَ
النَّهَارِ » .

وَاحْتَجَّوْا بِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « الْاِثْنَانِ فِصَاعِدَا جَمَاعَةٍ » .

وَقَالَ مَالِكٌ : مَضَتْ السُّنَّةُ أَنَّ الإِخْوَةَ اِثْنَانِ فِصَاعِدَا . وَمَذْهَبُهُ أَنَّ أَقْلَ الْجَمْعِ
اِثْنَانِ ؛ فَهَذَا يَحْبِيبُ الْأَخَوَانَ فِصَاعِدَا الْأُمِّ عَنِ الثَّلَاثِ إِلَى السُّدُسِ ، سَوَاءً
كَانَا شَقِيقَيْنِ ، أَوْ لَأَبٍ ، أَوْ لَأُمٍّ ، أَوْ مُخْتَلِفَيْنِ ؛ وَسَوَاءً كَانَا ذَكَرَيْنِ أَوْ اِثْنَيْنِ ،
أَوْ ذَكَرًا وَانْثَى ؛ فَإِنْ كَانَ مَعَهُمَا أَبٌ وَرِثَ بَقِيَّةَ الْمَالِ ، وَلَمْ يَكُنْ لِلْإِخْوَةِ شَيْءٌ
عِنْدَ الْجُمْهُورِ ، فَهُمْ يَحْبِبُونَ الْأُمَّ وَلَا يَرِثُونَ .

وَقَالَ قَوْمٌ : يَأْخُذُونَ السُّدُسَ الْقَدِيمَ حَاجِبِينَ عَنْهُ الْأُمَّ ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ أَبٌ
وَرِثُوا .

(فَهُمْ شَرَكَاؤُ فِي الثُّلُثِ ^(٥)) : يَعْنِي إِنْ كَانَ الإِخْوَةُ لِلْأُمِّ اِثْنَيْنِ فَأَكْثَرُ

(٣) م : ٢١

(٢) الْأَنْبِيَاءُ : ٢٨

(١) النِّسَاءُ : ١١

(٥) النِّسَاءُ : ١٢

(٤) طه : ١٣٠

فلهم الثلث بالسواء بين الذكر والأنثى ؛ لأن قوله : « شركاء » يقتضى التسوية بينهم ؛ ولا خلاف فى ذلك .

ولما وقع النزاع بين قَبيحَيْنِ فى أقل الجمع ، هل هو اثنان أو ثلاثة ؟ رأى أحدهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فاشتكى إليه ، فقال صلى الله عليه وسلم : كل منكم مصيب ؛ فإن أقل جمع الثنية اثنان ، وأقل جمع الأفراد ثلاثة . فاعلم كيف أرضاها صلى الله عليه وسلم بقوله .

(فاستشهدوا عليهن أربعة منكم^(١)) ؛ إنما جعل شهداء الزنى أربعة تحليفا على المدعى ، وسترا على عبادته ؛ ولما قل صلى الله عليه وسلم : هَلَّا سترتَ بردائك . وفى حديث آخر : من ابتلى بشيء من هذه القافورات فليستتر عنا بستر الله ، ومن أبدى لنا صفحة وجهه أقننا عليه الحد . وقيل : ليكون شاهدان على كل واحد من الزانيين .

(فأمسكوا من فى البيوت^(٢)) : كانت عقوبة الزنى الإمساك فى البيوت ، ثم نُسح ذلك بالإيذاء المذكور والتويمخ . وقيل إن الإمساك فى البيوت للنساء والإيذاء للرجال ، فلا نسخ بينهما . ورجعه ابن عطية والزنجشري وابن القيس بقوله فى الإمساك : من ناسككم ، وفى الإيذاء : منكم ، ثم نسخ الإمساك والإيذاء بالرجم للمُعصن ، وبالجلد لغير المُعصن . واستقر الأمر على ذلك ؛ فأما الجلد فذكر فى سورة النور ، وأما الرجم فقد كان فى القرآن ثم نسخ لفظه ، وبقي حكمه . وقد رجم صلى الله عليه وسلم ماعزا الأسلمى وغيره .

(فأغروا عنها^(٣)) : لما أمر بالإيذاء لزانى أمر بالإغراض عنه إذا تلب ،

وهو تركُ الإيذاء ، وفيه ترجية للتائب . وقد أخبرنا الله في أربع آيات من كتابه أنه يتوب على المؤمنين ؛ قال تعالى ^(١) : « لقد تاب الله على النبي ... » الآية . ^(٢) « ويتوب الله على المؤمنين » . ^(٣) « والله يريد أن يتوبَ عليكم » . ^(٤) « إنما التوبةُ على الله » . وأخبرنا في ثلاث آيات أنه يقبل توبتهم ؛ قال تعالى ^(٥) : « ألم يعلموا أن الله هو يقبلُ التوبةَ عن عباده » . ^(٦) « وهو الذي يقبل التوبةَ عن عباده » . ^(٧) « قابل التوب » .

وذكر لنا أنه ينفر لهم في ثلاث آيات ؛ قال تعالى ^(٨) : « والذين إذا فعلوا فاحشةً أو ظلموا أنفسهم ... » الآية . و ^(٩) « من يعمل سوءاً أو يَظْلِم نفسه ... » الآية . ^(١٠) « قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم ... » الآية .

وأخبرنا في آيتين أننا إن رجعنا إليه قبلنا ؛ قال تعالى ^(١١) : « وأنيبوا إلى ربكم » . وقال ^(١٢) : « فَرِّقُوا إِلَى اللَّهِ » .

وقد قدمنا أن في هاتين الآيتين إشارةً إلى فلاح التائب ومحبه له . وقال تعالى ^(١٣) : « إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ » ؛ فقدم محبة التائب على التطهر ؛ وما ذلك إلا أن التائب تنفعُ ندامته واستغفاره ، وطلب العذر والدعاء [١٢٥] من مولاه ؛ ولذلك كان المعصوم على الإطلاق يستغفر الله ويتوب إليه في اليوم أكثر من مائة مرة .

(١) التوبة : ١١٢	(٢) الأحزاب : ٧٣	(٣) النساء : ٢٧
(٤) النساء : ١٧	(٥) التوبة : ١٠٤	(٦) الشورى : ٢٥
(٧) غافر : ٣	(٨) آل عمران : ١٣٥	(٩) النساء : ١١٠
(١٠) الزمر : ٥٣	(١١) الزمر : ٥٤	(١٢) التاريات : ٥٠
(١٣) البقرة : ٢		

وقال الصحابي : إن كنا نعدّ لرسول الله صلى الله عليه وسلم في المجلس الواحد : رب اغفر لي وتبّ عليّ - أكثر من سبعين مرة ؛ فكيف بك أيها التّريّيقُ ! ولا يخلصك من ذلك إلا بكثرة الاستغفار ، والصلاة على النبي المختار صلى الله عليه وسلم ؛ فإنهما يمتحقان الذنوب تحقّقاً . قل صلى الله عليه وسلم : التائب من الذنب كن لا ذنب له .

وإذا تأملت الآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية ، تجد فيها حجة الله للتائب والمستغفر ؛ ألا ترى أن الله قدّمه في آيات من كتابه ، كتوبه تعالى ^(١) : « التّائبون العابدون الحامدون » . « ^(٢) فمن ظالم لنفسه ومنهم مقتصد » . وفي الحديث : طوبى لمن وجد في صحيفته استغفاراً كثيراً .

وقد قرن الله صحبة التّائبين مع الصّابرين ، والمجاهدين والمحسنين ، وللتوكلين والمُتقين والمقاتلين في سبيله ، والمتّبعين لنبيه ؛ فما أشرَفَها من خصلة إن وقَّك الله إليها ! وإياها من نعمة يجب عليك شكرُها ! وكيف لا تشكره عليها والشكرُ نعمة أخرى ؛ لکنه سبحانه يُعطى الكثير ، ويرضى باليسير ؛ فالسان ترجمان القلب . ولو جل الله في قلبك رؤية هذه النعم لحركته فيما يدفع عنك النقم ؛ أعجبتك نفسك ، فرضيت أفعالها ! ألم تعلم أن أصل كلّ معصية الرضا عن النفس . سرحت لسانك في أعراض إخوانك ، وهل خلقه لك إلا لتسبّحه ، أو تذكر نِعَمه ، أو تستغفر من ذنوبك الصادرة منك ! فإنّا لله وإنا إليه راجعون على مصائبنا وعدم اهتبالنا بما كسبه جوارحنا ، نأله سبحانه السلامة والعافية في ديننا ودنيانا ، بحماه نينا وحيينا .

(فاحشة ومَقْتًا^(١)) : قد قدمنا أن الفاحشة معناها الزنى ، وزاد في هذه الآية « مَقْتًا » ؛ لأنَّ تزويجَ الرجل زوجة أبيه أشدَّ من الزنى .

(قَتِيَانِكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ^(٢)) : هنَّ الإماء . ويجوز نكاحهنَّ إذا لم يجد طَوْلًا للمحصنات .

(فَانْكَحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ^(٣)) ؛ أى ساداتهنَّ المالكين لهن .

(فَإِذَا أَحْصَيْتُمُوهُنَّ...^(٤)) الآية . معناها إذا زنت الأمة بعد أن أحصت فعلها نصفُ حَذِّ الحرة .

(فَتِيلًا^(٥)) : هو الخيط الذى فى شق نواة التمرة . وقيل : ما يخرج بين إصبعيك وكفّيك إذا فتلتها ؛ وهو تمثيل وعبارة عن أقل الأشياء ؛ فيدل على الأكثر بطريق الأولى .

(فَارْجُوه إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ^(٦)) : الردُّ إلى الله هو النظر فى كتابه . والرد إلى الرسول هو سؤاله فى حياته ، والنظر إلى سنته بعد وفاته .

(فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ...^(٧)) الآية . معناها أن من اليهود من آمن بالنبي صلى الله عليه وسلم ، أو بالقرآن المذكور فى قوله^(٨) : « مَصَدَقًا لِمَا مَعَكُمْ » . أو بما ذكر من حديث إبراهيم . فهذه الفخائر فى « به » . وقيل منهم ؛ أى من آل إبراهيم ، ومنهم من كفر كقوله^(٩) : « فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ » .

(١) النساء : ٢٢	(٢) النساء : ٢٥	(٣) النساء : ٤٩
(٤) النساء : ٥٩	(٥) النساء : ٥٥	(٦) آية ٤٧ من البقرة قصها .
(٧) الحديد : ٢٦		

(فكيف إذا أصابتهم مُصيبة بما قدمت أيديهم ^(١) ...) الآية . معناها :
كيف يكرن حالهم إذا عاقبهم الله بذنوبهم ، ويقولون : لم نرد إلا موافقتك
يا محمد ، مع أنهم كاذبون في قولهم ، فانظر هذه الملاحظة الواقعة من أمر الله
لرسوله في شأنهم .

(فلا وربك لا يؤمنون ^(٢)) : لا هنا مؤكدة للنفي الذي بعدها . ومعنى الآية
أنهم لا يؤمنون حتى يرضوا بحكم النبي صلى الله عليه وسلم .

ونزلت بسبب المنافقين الذين تخاصموا . وقيل بسبب خصام الزبير
مع الأنصارى في اللواء الذي قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : أن كان ^(٣)
ابن عمتك . وحكمها عام .

(فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم ... ^(٤)) الآية . أشار بها إلى أن من
أطاع الله ورسوله يحشر معهم . وهي مفسرة لقوله : صراط الذين أنعمت عليهم .
(فاقْرَؤُوا ثُبَاتٍ ^(٥)) ؛ أى اخرجوا للجهاد جماعات متفرقين ، أو جماعات .
وفيها إشارة إلى السرايا ، وأن من خرج بها فهو كالمجاهد ، ولا يقال إن المجاهد
لا يكون إلا مع الإمام ؛ وقد صح أنه صلى الله عليه وسلم قتل : لولا أن أشق
على أمتي ما قدمت خلاف ^(٦) سرية . وقد كان صلى الله عليه وسلم يبحث
السرايا ويحرض عليها ؛ وقد وصف من تخلف [٢٢٥ ب] عنها بأنه
من المستهزئين .

(فيما تفضيهم ميثاقهم ^(٧)) : ما زائدة للتأكيد ، والباء تتعلق بمحذوف

(١) النساء : ٦٢ (٢) النساء : ٦٥ (٣) في القرطبي (٥ - ٢٦٦)
أراك تحارب ابن عمتك . (٤) النساء : ٦٩ (٥) - ٧١ : ٧١
(٦) خلاف سرية ، أى خلفها وبعدها (صحيح مسلم : ١٤٩٦) (٧) النساء : ١٥٥

تقديره : بسبب نقصهم فعلن : ما فعلنا ، والباء ^(١) تناق بقوله : « حرّمنا عليهم » ، ويكون « فيظالم » على هذا بدلا من قوله فيما نقصهم .

(فآمنوا خيرا لكم ^(٢)) : انتصب خيرا هنا ، وفي قوله ^(٣) : « اتتهوا خيرا لكم » - بفعل مضر تقديره : وأتوا إيمانا خيرا لكم . هذا مذهب ميبويه ، وعلى هذا فتصبه على النعت لمصدر محذوف . وقال بعض الكوفيين : هو خبر كان المحذوفة ، تقديره يكن الإيمان خيرا لكم .

(فمن اضطر ^(٤)) : راجع إلى المحرمات المذكورة قبل هذا ، أباحها الله عند الاضطرار .

(فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ ^(٥)) : ذكر الله في هذه الآية صفة الوضوء ، وذكر فيها أربعة أعضاء : اثنان محدودان وهما اليدين والرجلان ، واثنان غير محدودين وهما الوجه والرأس . فأما المحدودان فتغسل اليدين إلى المرفقين ، والرجلان إلى الكعبين وجوبا بإجماع ، فإن ذلك الحد هو الذي جل الله لهما .

واختلف هل يجب غسل المرفقين مع اليدين وغسل الرجلين مع الكعبين أم لا ؟ وذلك مبني على معنى إلى ؟ فمن جعل إلى بمعنى مع في قوله : إلى المرافق وإلى الكعبين - أوجب غسلهما ، ومن جعلها بمعنى الغاية لم يوجب غسلهما .

واختلف في الكعبين : هل هما اللذان عند معقد الشراك لذكرهما بلفظ الجمع ، كما ذكر المرافق ؛ لأنه على ذلك في كل رجل كعب واحد .

(١) في ١ : له - تحريف . (٢) النساء : ١٧٠ (٣) النساء : ١٧١

(٤) المائدة : ٣ (٥) المائدة : ٦

وأما غير المخلودين فاتفق على وجوب إيعاب الوجه ، وحذوه طولا من أول منابت الشعر إلى آخر الذقن واللحية ، وحذوه عرضاً من الأذن إلى الأذن . وقيل من العذار إلى العذار .

وأما الرأس فذهب مالك وجوب إيعابه كالوجه . ومنهـب كثير من العلماء جواز الاختصار على بعضه ؛ لما روى في الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مسح على ناصيته ؛ ولكنهم اختلفوا في القدر الذي يجزىء على أقوال كثيرة .

وسير الأمر في غسل هذه الأعضاء في الوضوء أن الله أكرم هذه الأمة في الجنة بالخواتم والخلخال والأسورة والتيجان والنظر إلى الله ؛ فأمرهم بغسل هذه الأعضاء ، ليظهرهم من الذنوب الواقعة منها ، فيلتووه ولا ذنب عليهم ؛ ولذلك قال صلى الله عليه وسلم : إني لأعرف أمتي يوم القيامة ؛ لأنهم غرّ محجلون من آثار الوضوء ؛ فلا يحافظ عليه إلا مؤمن ؛ لأن مفتاح الجنة لا إله إلا الله ، ومفتاح الصلاة الوضوء : قال الله تعالى^(١) : « وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ ، وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ » .

فانظر كيف سواهم مع رسول الله ، لقوله^(٢) : « إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمْ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ » . «^(٣) وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ » .

فإن قلت : لم يمنع التيمم من مسح رأسه ؟

والجواب أن وضع التراب على الرأس علامة القراق من الحبيب ؛ والله تعالى لا يحب فراقهم ، فلم يحمل لهم ما يتفادون به على القراق .

(فَأَطَهَّرُوا^(١)) : هذا أمرٌ بالفُسل لمن وجب عليه ؛ وفيه إجمال ، بخلاف الوضوء ، فإنما فُصله لأنه من خصائص هذه الأمة ، ولم يكونوا يعرفونه ، بخلاف الفُسل ، فإنما علوه مما تقدم . وبهذا أمر الله الأمم المتقدمة ، وميرته ليزوق الإنسان وبآل ما أصابه من اللذة في الوقاع ، وأن الدنيا لا تخلو من كدرٍ ، وفي معنى النظافة ؛ ولهذا لا ينبغي للإنسان أن تمر عليه جمعة إلا ويفسل فيها مرة ، مع أنه يكفر السيئات ، ويرفع الدرجات ؛ وقد صح أنه يكفر بعدد شعر جسده من السيئات .

فإن قلت : ما معنى الحديث : هذا وضوئي ووضوء الأنبياء قبلي أما غسل الأعضاء ثلاثاً ؟ مع قولكم : إنه من خصائص هذه الأمة ؟

والجواب أنه كان من خصوصية الأنبياء لأئمتهم ، لما قدمناه من أن الله أراد بذلك تطهيرهم ؛ ولهذا تقول الأنبياء والأمم يوم القيامة : كادت هذه الأمة أن تكون كلها أنبياء ؛ فما أشرفها من أمة نبي كريم !

(فَأَغْرَيْنَا^(٢)) ؛ أي أثبتنا وألصقنا ، وهو مأخوذ من^(٣) الغراء .

(فَتَرَفَ^(٤)) : سكون وإتطاع ؛ لأنه صلى الله عليه وسلم بُعث بعد انقطاع الرسل ؛ لأنها كانت متوارة ، كما جاء أمة رسولها عذبوه إلى وقت رفع عيسى ، فانقطعت الرسل إكراماً لهذا النبي الكريم .

(فَلَمَّ يُعَذِّبْكُمْ بِذُنُوبِكُمْ^(٥)) : رد عليهم ؛ لأنهم قد اعترفوا [٢٢٦] أنهم أبناء الله وأحباؤه ، فرد الله عليهم أنه يهذبهم وينتقم منهم ، والأب

(١) المائة : ٦ (٢) المائة : ١٤ (٣) وهو ما يلصق الشيء بالشيء ، كالصنغ وغيره (الفرابي : ٦ - ١١٢) . (٤) المائة : ١٩ (٥) المائة : ١٨

لا يعذب ولده ، والحبيب لا يرضى بمذاب حبيبه ؛ فقيه تبكيت لهم ، وإشارة إلى أن من [أحبه]^(١) يرفع درجته ، ولا يكون العبد محبوباً عند مولاه إلا بعد الإخلاص في العبودية ، والقيام بحقوق الربوبية .

وأما من يدعى المحبة وهو عرى عنها فهو كاذب في دَعْوَاه ، غَيْرُ واصل لما يستأنه .

واعلم أن العبد مع الله على ثلاثة أوجه :

حَال يكون للعبد عليه . وَحَال يكون لله على العبد . وَحَال يكون على رأس العبد شاء ذلك العبد أو أبى .

فأما الحَالُ التي تكون للعبد على الله فهي حال الشدة والمحنة ، فالعبد على الله الأجر والموض ؛ قال تعالى^(٢) : « ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَلَمٌ وَلَا نَصَبٌ » .

وأما الحَالُ التي تكون لله على العبد فهي حال النعمة والرخاء ، والله على العبد الشكر والنعمة ؛ قال تعالى^(٣) : « وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا » . وقال^(٤) : « ثُمَّ لَنَسْأَلَنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ » .

وأما الحَالُ التي تكون على رأس العبد فهي حال القضاء والقدر ؛ قال تعالى^(٥) : « قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا » .

وإذا علمت هذا فرادُ الله منك في حال النعمة - الشكر ، وبجازيك بالزيادة^(٦) : « لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ » . وفي حال النعمة الصبر ، وبجازيك

(١) مكان ما بين القوسين كلمة غير مقروءة في الأصلين . (٢) التوبة : ١٢٠

(٣) إبراهيم : ٣٤ (٤) الشكائر : ٨ (٥) التوبة : ٥١

(٦) إبراهيم : ٧

بِالثَّوَابِ الْجَزِيلِ ^(١) وَجَزَاءَهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةٌ وَحَرِيرٌ ^(٢) . وَفِي حَالِ الطَّاعَةِ -
الإخلاص ، ومجازيك بالقبول ^(٣) : « فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا
صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا » . وَفِي حَالِ الْعَصِيَةِ التَّوْبَةُ وَالرَّجُوعُ إِلَيْهِ ،
ومجازيك بالخفرة .

فَمَنْ لَدَّعَى عِبَتَهُ تَعَالَى وَهُوَ غَيْرُ مِمَثَلٍ لِأَمْرِهِ فَهُوَ كَاذِبٌ فِي دَعْوَاهُ ،
غَيْرُ مَدْرَكٍ مَا يَتَمَنَّى . وَهَذِهِ دَعْوَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى وَهُمْ مُخَالِفُونَ فِي أَمْرِهِ ؛ فَيَاكَ
والتَّشْبَهُ بِهِمْ ؛ فَالتَّشْبَهُ بِأَهْلِ الْخَيْرِ قِلَاحٌ .

وَإِذَا كَانَ مَبْحَاثُهُ بِسَآئِلِ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ فَكَيْفَ يَمْنُ لَمْ يَعْمَلْ ،
وَقَدْ قَالُوا : عَمَلٌ بَلَا إِخْلَاصَ كَحَقِيقَةٍ بَلَا رُوحٍ ؛ فَلَا تَسْكُرُوا الْعَمَلَ بِالْبَهْرَجِ ،
غَدِيرٌ صَافٍ أَنْفَعُ مِنْ خَلِيجٍ كَدِيرٍ . مَا أَشْبَهَ حَجَرَ الْمَاءِ ^(٤) بِالْجَوْهَرِ ، لَكِنْ بَيْنَ
الثَّانِينَ بَوْنٌ بَعِيدٌ . رُبَّحُ الْمَرَاثِي مُنْتَنٌ يَشِينُ الْقُلُوبَ الصَّافِيَةَ .

(فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ^(٥)) : هُوَ مِنَ الْقِرْقَةِ . وَقِيلَ مِنَ الْفَصْلِ ؛
أَيُّ أَفْصَلٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ بِحُكْمٍ .

(فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً ^(٦)) : قَدْ قَدِمْنَا أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ
عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ الْأَرْضَ الْقَدِيمَةَ أَرْبَعِينَ سَنَةً ، مَدَّةَ عِبَادَتِهِمُ الْعِجْلَ ، حَتَّى مَاتَ
كُلُّ مَنْ قُلَّ : إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا ؛ وَلَمْ يَدْخُلَهَا أَحَدٌ مِنْ ذَلِكَ الْجِيلِ إِلَّا يَوْشَعَ
وَكَلَابٌ ^(٧) ، وَمَاتَ هَارُونَ فِي النَّبِيِّ ، وَمَاتَ مُوسَى بَعْدَهُ فِي النَّبِيِّ أَيْضًا . وَقِيلَ

(١) الْإِنْسَانُ : ١٢ (٢) السَّكْفُ : ١١٠ (٣) الْبَهْرَجُ : الْبَاطِلُ وَالرَّدَى
(الْقَامُوسُ) . (٤) الْمَاءُ : الْبُلُورَةُ ، وَالْجَمْعُ مَاءٌ وَمِهْوَاتٌ (الْقَامُوسُ) .
(٥) الْمَائِدَةُ : ٢٥ (٦) الْمَائِدَةُ : ٢٦
(٧) فِي الْقُرْطُبِيِّ (١٢٠ - ٦) وَكَالِبٌ .

إن موسى وهارون لم يكونا في التَّيْبَةِ ؛ تقوله : فافْرُقْ بيننا وبين القوم الفاسقين .
 وخرج يوشع بنى إسرائيل بعد الأربعين سنة ، وقَاتَلَ الجَّارِينَ ، وَفُتِحَ الْمَدِينَةُ .
 وَالْعَامِلُ فِي أَرْبَعِينَ مُحَرَّمَةً - عَلَى الْأَصْحَاحِ ؛ فَيَجِبُ وَصْلُهُ مَعَهُ . وَقِيلَ الْعَامِلُ فِيهِ
 يَتِيهُونَ ؛ فَهَذَا هَذَا يَجُوزُ الْوَقْفُ عَلَى قَوْلِهِ : " مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ " . وَهَذَا ضَعِيفٌ ؛ لِأَنَّهُ
 لَا حَامِلَ عَلَى تَقْدِيمِ الْمَسْئُولِ هُنَا ، مَعَ أَنَّ الْقَوْلَ الْأَوَّلَ أَكْمَلُ مَعْنَى ؛ لِأَنَّهُ بَيَانٌ
 لِمُدَّةِ التَّحْرِيمِ وَالتَّيْبَةِ مَعًا .

(فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ^(١)) ؛ أَيْ لَا تَحْزَنْ عَلَى مَنْ فَسَقَ مِنْهُمْ
 يَا مُحَمَّدُ ، لِإِنْكَارِهِمْ هَذِهِ الْقِصَصَ فِي كِتَابِكَ ، مَعَ عَلَيْهِمْ بِهَا فِي كُتُبِهِمْ . وَقِيلَ
 الْخَطَابُ لِمُوسَى .

(فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا ^(٢)) : تَمْثِيلُ قَاتِلِ الْوَاحِدِ بِقَاتِلِ الْجَمْعِ بِتَصَوُّرٍ
 مِنْ ثَلَاثِ جِهَاتٍ : أَحَدَاهَا : الْقِصَاصُ فِي قَتْلِ الْوَاحِدِ وَالْجَمْعِ سَوَاءً . وَالثَّانِي :
 اِتِّهَافُ الْحَرَمَةِ ، وَالْإِقْدَامُ عَلَى الْمُصِيبَانِ . وَالثَّالِثُ : الْإِثْمُ وَالْعَذَابُ الْآخِرُونَ .

قَالَ مُجَاهِدٌ : إِنَّ اللَّهَ وَعَدَ قَاتِلَ النَّفْسِ بِمِثْلِهَا وَخُلُودَ فِيهَا ، وَالغَضَبُ وَالْعَنَةُ ،
 وَالْعَذَابُ الْعَظِيمُ . فَإِنْ قَتَلَ جَمِيعَ النَّاسِ لَمْ يَزِدْ عَلَى ذَلِكَ . وَهَذَا الْوَجْهُ هُوَ الْأَظْهَرُ ؛
 لِأَنَّ الْقَصْدَ بِالْآيَةِ تَعْظِيمُ قَتْلِ النَّفْسِ ، وَالتَّشْدِيدُ فِيهِ ؛ لِيَزْدَجِرَ النَّاسُ عَنْهُ .
 وَكَذَلِكَ الثَّوَابُ فِي إِحْيَائِهَا كَثُورٌ إِحْبَاءُ الْجَمِيعِ ، لِتَعْظِيمِ الْأَمْرِ وَالتَّرغِيبِ فِيهِ .
 وَإِحْيَاؤُهَا هُنَا إِفْقَادُهَا مِنَ الْمَوْتِ ، كَمَا نَقَاذُ الْفَرِيقِ وَشَبِيهِهِ . وَقِيلَ بَتَرَكْ قَتْلَهَا .
 وَقِيلَ بِالْمَقُولِ إِذَا وَجِبَ الْقِصَاصُ .

(فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ ^(٣)) : تَوْبَةُ السَّارِقِ [٢٢٦ ب] هِيَ أَنْ يَتَدَمَّ
 عَلَى مَا مَضَى ، وَيُقْلِعَ فِيمَا يَسْتَقْبِلُ ، وَيُرَدَّ مَا سَرَقَ إِلَى مَنْ يَسْتَحِقُّهُ .

واختلف إذا تاب قبل أن يصل إلى الحاكم ، هل يسقط عنه القَطْعُ ؟
وهو مذهبُ الشافعي لظاهر الآية ، أو لا يسقط عنه ؟ وهو مذهب مالك ، لأن
الحدودَ عنده لا تسقط بالتوبة ، إلا المحارب ؛ للنص عليه .

(فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ^(١)) : هم الخاقون ، كبد الله بن أبي بن
سَلُول وأصحابه .

(فَمَنْ لَمْ يَأْتِ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِ ^(٢)) : لا يكون فيه سبب
لخلق . وقيل أمرٌ من الله لرسوله بقتل اليهود . والفَتْحُ : هو ظهور النبي صلى الله
عليه وسلم والمسلمين .

(فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَمَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ تَائِبِينَ ^(٣)) : مِنْ قَصْدِهِمُ الِاسْتِعَانَةَ
باليهود على المسلمين ، وإضمار المداوة للمسلمين .

(فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ^(٤)) : قرأ صلى الله عليه وسلم
هذه الآية ، وقال لهم : قوم هذا ، يعنى أبا موسى الأشعري . والإشارة بذلك -
والله أعلم - إلى أهل اليمن ؛ لأن الأشعريين من أهل اليمن . وقيل المراد أبو بكر
الصدِّيق وأصحابه الذين قاتلوا أهل الردة . ويقوَّى ذلك ما ظهر من أبي بكر
الصدِّيق رضي الله عنه من الجِدِّ في قتالهم ، والعزم عليه ، حتى خالف في ذلك
عزم الناس ، فاشتدَّ عزمه ، ووافقوه ، وأجمعوا معه حتى نصرهم الله على أهل الردة .
ويقوَّى ذلك أيضا أنَّ الصفات التي وُصف بها هؤلاء القوم هي في أوصاف
أبي بكر ؛ ألا ترى قوله تعالى ^(٥) : « أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ » .
وكان أبو بكر ضميًّا في نفسه قويًّا في الله ؛ وكذلك قوله ^(٦) : « يجاهدون

فِي سَبِيلٍ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ۖ ؛ إشارة إلى مَنْ خَالَفَ أَبَا بَكْرٍ وَلَا مَةَ فِي قِتَالِ أَهْلِ الرَّدَّةِ ، وَلَمْ يَرْجِعْ عَنْ عَزْمِهِ .

فَإِنْ قِيلَ : أَيْنَ الرَّاجِعُ مِنَ الْجَزَاءِ إِلَى الشَّرْطِ ؟

وَالْجَوَابُ أَنَّهُ مَحْذُوفٌ ، تَقْدِيرُهُ : مَنْ يَرْتَدِّدُ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ ^(١) .

(فَعَمُوا وَصَمُوا ^(٢)) : عِبَارَةٌ عَنْ تَمَادِيهِمْ عَلَى الْخِلَافَةِ وَالْمِصْيَانِ .

(فَاجْتَنِبُوهُ ^(٣)) : نَصٌّ فِي التَّحْرِيمِ ، وَالضَّمِيرُ يَمُودُ عَلَى الرَّجُلِ ^(٤) الَّذِي هُوَ خَبَرٌ عَنْ جَمِيعِ الْأَشْيَاءِ الذَّكُورَةِ .

(فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ ^(٥)) ؛ أَيْ يَقُولُ اللَّهُ لِلرَّسْلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ : مَاذَا أَجَابَكُمْ الْأُمَمُ مِنْ إِيْمَانٍ وَكُفْرٍ ، وَطَاعَةٍ وَمَعْصِيَةٍ . وَالْمَقْصُودُ بِهَذَا السُّؤَالِ تَوْيِيخُ مَنْ كَفَرَ مِنَ الْأُمَمِ ، وَإِقَامَةُ الْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ . وَاتَّصَبَ مَاذَا أُجِبْتُمْ بِاتِّصَابِ مَصْدَرِهِ . وَلَوْ أَرَادَ الْجَوَابُ لِقَالَ : مَاذَا أُجِبْتُمْ ؟

فَإِنْ قِيلَ : يَفْهَمُ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى : فَيَقُولُ لِلرَّسَلِينَ مَاذَا أُجِبْتُمْ أَنَّهُ يَخَاطَبُهُمْ هُنَاكَ ، وَكَذَا الْخُطَابُ مِنْهُ سُبْحَانَهُ حَيْثُ وَقَعَ ؛ كَقَوْلِهِ لِعِيسَى ^(٦) : « أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ؟ » وَقَدْ قُلْتُمْ إِنَّ كَلَامَهُ تَعَالَى قَدِيمٌ مُلَازِمٌ لِلذَّاتِ الْقَدِيمَةِ ، وَقَوْلُ الرِّسْلِ : « لَا عِلْمَ لَنَا » مَا مَعْنَاهُ ؟ لِأَنَّهُمْ عَلِمُوا بِمُجَابَاةِ قَوْلِهِمْ وَإِنْكَارِهِمْ .

وَالْجَوَابُ أَنَّ اللَّهَ يَسْمَعُهُمْ خُطَابَهُ حِينَئِذٍ ، لَا أَنَّهُ يُحَدِّثُهُ ؛ لِأَنَّهُ قَدِيمٌ قَائِمٌ بِذَاتِهِ ؛

(١) قَوْلُهُ : مَحْذُوفٌ غَيْرُ وَاضِعٍ لِأَنَّهُ هُنَا الَّذِي قَدَرَهُ هُوَ نَسِ الْآيَةِ . وَلِوَالِ الْكُشَافِ

(١ - ٢٦٢) ؛ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ مَكَانَهُمْ أَوْ بِقَوْمٍ غَيْرِهِمْ ، أَوْ مَا أَشْبَهَ ذَلِكَ .

(٢) الْمَائِدَةُ : ٧١ (٣) الْمَائِدَةُ : ٩٠ (٤) فِي الْآيَةِ تَحْسِبُهَا .

(٥) الْمَائِدَةُ : ١٠٩ (٦) الْمَائِدَةُ : ١١٦

ومكنا نداءه سبحانه لرسلي والأمم يومئذ ، كقوله^(١) : « وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ » . والرسلي صلوات الله وسلامه عليهم لم يذهلوا عن جواب قومهم لهم في الدنيا ؛ لأنهم آمنون يومئذ ؛ وإنما تأذّبوا مع الله سبحانه ردّ العلم إليه سبحانه . قال ابن عباس رضي الله عنه : المعنى لا علم لنا إلا ما علمتنا . وقبل معناه علمنا ما قط في جنب علمك . وروى هذا قولهم^(٢) : « إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ » ؛ لأن من علم الخفيات لم تغف عليه الظواهر . وسؤال الله لهم مع علمه توبيخ واحتجاج على الخلقين .

وانظر الصحابة رضي الله عنهم كيف تأذّبوا بهذا الخلق العظيم في آخر حجة الوداع لما قال صلى الله عليه وسلم : أي يوم هذا ؟ أي شهر هذا ؟ أي مكان هذا ؟ فأجابوا بقولهم : الله ورسوله أعلم ، مع أنهم علموا الشهر واليوم والمكان ؛ لكنهم تأذّبوا مع صلى الله عليه وسلم ، وتوهموا لعله أن يريد غير هذا .

(فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ^(٣)) : هذه عادة الله سبحانه في عتاب من طلب من الرسول آية فكفرها ؛ وأصحاب المائدة سألوها من عيسى ، قال الله : إِنِّي مَرْزُؤُهَا عَلَيْكُمْ ، فكفروا ، فسخمهم الله قردة وخنازير . قال عبد الله [٢٣٧] بن عمر : أشد الناس عذابا يوم القيامة من كفر من أصحاب المائدة ، وآل فرعون ، والمنافقون .

(فانظروا^(٤)) : أمر الله رسوله أن يأمر قريشا بالسير في الأرض للاعتبار بمنازل الكفار الذين كانوا قبلهم .

(٣) المائدة : ١١٥

(٢) المائدة : ١٠٩

(١) القصص : ٦٥

(٤) آل عمران : ١٣٢

فإن قلت : ما الفرق بين قوله ^(١) : فانظروا ، ثم ^(٢) انظروا ؟

والجواب أنه جل للنظر مسبباً عن السير في قوله : فانظروا ؛ فكأنه قال :
سيروا لأجل النظر . وأما قوله ^(٣) : قل سيروا في الأرض ثم انظروا - فعناه إباحة
السير للتجولة وغيرها من النافع ، وإيجاب النظر في المالكين .

(فإنهم لا يكذبونك ^(٤)) ، بتشديد الذال بمعنى لا يكذبونك معتدين
لكذبك ، وإنما هم يمحذون الحق مع علمهم به . ومن قرأه بالتخفيف قيل معناه
لا يمحذونك كاذباً . يقال : أ كذبتُ فلاناً إذا وجدته كاذباً ، كما يقال أحمده
إذا وجدته محموداً . وقيل هي بمعنى التشديد ؛ يقال أ كذب فلان فلاناً ، وكذبه
بمعنى واحد . وهو الأظهر ؛ لقوله بعد هذا : يمحذون .

ويؤيد هذا ما روى أنها نزلت في أبي جهل ؛ فإنه قال لرسول الله صلى الله
عليه وسلم : إنا لا نكذبك ، ولكن نكذب ما جئت به ، وإنه قال للأخمس
ابن شريق : والله إن محمداً لصادق ، ولكنني أحسده على الشرف .

(فلا تكونن من الجاهلين ^(٥)) ؛ أي من الذين يجهلون أن الله لو شاء
لجسمهم على الهدى . وقد قدمنا أن قول الله : فلا تكونن - بالتأكيد - لرسوله
لإفراط محبته فيه ، لأن العادة أن يكون الاجتهاد على قدر المحبة ، بخلاف
قوله لنوح ^(٦) : « إني أعظك أن تكون من الجاهلين » ؛ لأنه صفى ، ولا يبلغ
قدر المحب .

(فرطنا ^(٧)) ؛ أي ضيعنا وأغفنا . والمراد بالكتاب في الآية اللوح المحفوظ .
والكلام على هذا عام . وقيل القرآن ؛ ومعناه أن الله لم يفرط فيه من شيء ؛

(١) آل عمران : ١٣٧ (٢) الأنعام : ١١ (٣) الأنعام : ٣٣

(٤) الأنعام : ٣٥ (٥) هود : ٤٦ (٦) الأنعام : ٣٨

فيه هداية الخلق ، والبيان لهم . وقد قدمنا أن جميع العلوم الدنيوية والدينية مستنبطة منه .

(قلوا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا^(١)) : في هذه الآية عرض وتخصيص على التضرع ، ومدح لهم في رجوعهم إلى الله ، ودليل على أن من أخذ الله بذنوبه فلم يرجع إليه يقسوقه ، كما ذكر في هؤلاء الكذابين .

(فلما نسوا ما ذكروا به^(٢)) : أى من الشدائد ، ولم يتعظوا بها ، فتح عليهم أبواب الرزق والنعم ، ليذكروا عليها فلم يشكروا ، فأخذهم الله .

(فطردهم^(٣)) : هذا جواب النفي في قوله^(٢) : ما عليك .

(فأى الفريقين أحق بالأمن^(٤)) : استفهم عن المؤمنين والكافرين لعلمهم بحييون ؛ فأجاب عن السؤال بقوله^(٥) : « الذين آمنوا ... » الآية . وقيل إن الذين آمنوا استئناف ، وليس من كلام إبراهيم .

(فإن يكفر بها هؤلاء^(٦)) : أى أهل مكة .

(فقد وكننا بها قوماً ليسوا بها بكافرين^(٧)) : هم الأنبياء المذكورون وقيل الصحابة . وقيل كل مؤمن . والأول أرجح لدلالة ما بعده على ذلك . ومعنى توكلهم بها توفيقهم للإيمان بها ، والقيام بحقوقها .

(فبهذا هم اقتد^(٨)) : استدل به من قال إن شرع من قبلنا شرع لنا . وقد قدمنا أن الاختلاف إنما وقع في القروح . والخلاف : هل يقتدى النبي صلى الله

(١) الأنعام : ٤٣	(٢) الأنعام : ٤٤	(٣) الأنعام : ٥٢
(٤) الأنعام : ٨١	(٥) الأنعام : ٨٢	(٦) الأنعام : ٨٩
(٧) الأنعام : ٩٠		

عليه وسلم فيها بمن قبله أم لا ؟ والهاء في « اقتدِه » للوقف ؛ فينبغي الوقف عليها ، وتسقط في الوصل ؛ ولكن من أثبتها فيه راعى ثبوتها في خط المصحف .

(فأخرجنا به ^(١)) : أى بالماء . ومنه ^(٢) : أى من النبات . وذكر الله الإخراج في كتابه في خمس آيات : إخراج القدرة ، وهو الصبيان . ^(٣) والله أخرجكم من بطون أممانيكم . وإخراج النعمة كهذه ؛ وكتوله ^(٤) : « فأخرج به من الثمرات رزقا لكم » . ^(٥) فأخرجنا به أزواجنا من نبات دنى ، كالحب والعنب . وإخراج العقوبة ^(٦) : « فأخرجهم مما كانوا فيه » . وإخراج الهيبة : ^(٧) « يخرجون من الأجداث سراعا » . وإخراج الكرامات ^(٨) : « يخرجهم من الظلمات إلى النور » ؛ أى من الكفر إلى الإيمان ، ومن النكرة إلى المعرفة .

فإن قلت : لم جمع الظلمات ، وأفرد النور ، وجمع السموات وأفرد الأرض حيث وقع في كلامه سبحانه [٢٧٢ ب] ؟

والجواب لما شغب سبحانه الكفر على شعب كثيرة جمه ، بهذا الاعتبار ، والنور واحد أفردة وهو الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر . وكما نشاهد السموات بلامه الكواكب ، والمنة لله علينا فيها ، لأن فيها منفعتنا ذكرهن بلفظ الجمع ، بخلاف الأرض ، لأننا لا نشاهد غير الأرض التي نحن عليها ، ولا منفعة لنا في غيرها ، ولو كانت لنا فيها منفعة فالسموات أعظم خدمتهن ، والاستدلال بكواكبهن ، وخدمة أهلن لنا كما قلنا .

(٣) البقرة : ٢٢

(٢) النحل : ٧٨

(١) الأنعام : ٩٩

(٦) المارج : ٤٣

(٥) البقرة : ٣٦

(٤) طه : ٥٣

(٧) البقرة : ٢٥٧

(فاعبدوه^(١)) : مسبب عن مضمون الجملة ، أى من كان هكذا فهو المصحف .
للمباداة وحده .

(فكلوا مما ذُكر اسمُ الله عليه^(٢)) : أباحت هذه الآية أكل ما ذُكر اسمُ الله عليه ، والنهى عما ذبح للنصب وغيرها ، وعن الميتة . وهذا النهى يقتضيه دليل الخطاب من الأمر ، ثم صرح به في قوله^(٣) : « وَلَا تَأْكُلُوا مما لم يذكُر اسمُ الله عليه » . وقد استدلل بذلك مَنْ أوجب التسمية على الذبيحة ، وإنما جاء الكلام في سياق تحريم الميتة وغيرها ، فإن حملناه على ذلك لم يكن فيه دليل على ذلك . وقال عطاء : هذه الآية أمرٌ بذكر الله على الذبيح والأكل والشرب .

(فما كان إشرَكائهم فلا يصلُ إلى الله^(٤) ...) الآية : كانوا إذا هبت الرياح فحملت شيئاً من الذى لله إلى الذى للأصنام أقرؤوه ، وإذا حملت شيئاً من الذى للأصنام إلى الذى لله ردؤوه ، وإذا أصابهم سنةٌ أكلوا الذى لله وتحاموا نصيب شركائهم ، وهذا من جهلهم . ولهذا رد الله عليهم بقوله^(٥) : « ساء ما يحكمون » .

(قُلِ الْحُجَّةُ الْبَاقَةُ^(٦)) : لما أبطل حجَّتهم أثبت حجة الله ، ليظهر الحق ، ويبطل الباطل .

(فَإِنْ شَرِدُوا فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ^(٧)) ، لأنهم يكذبون في شهادتهم ، ونسبتهم لله ما لا يليق به ، فكيف تشهد يا محمد وأنت على الحق ؟

(قَالِقُ الْحَبِّ وَالْتَوَى^(٨)) : أى يفرق الحب تحت الأرض ، والمنطة

(٣) الأنعام : ١٢١

(٦) الأنعام : ١٥٠

(٢) الأنعام : ١١٨

(٥) الأنعام : ١٤٩

(١) الأنعام : ١٠٢

(١) الأنعام : ١٣٦

(٧) الأنعام : ٩٥

بمخرج النبات منها ، ويفلق النوى لمخرج الشجر منها . وقيل أراد الشق الذي في النواة والحنطة . والأول أرجح لمومه في أصناف الحبوب .

(قالق الإصباح^(١)) : أى الصبح ؛ فهو مصدر سمي به الصبح . ومعنى قلته إخراج من الظلمة . وقيل : إن الظلمة التي تنفلق عن الصبح ، فالتقدير قالق ظلمة الإصباح .

(فتفرق بكم عن سبيله^(٢)) : أى تفرقكم عن سبيل الله . والقيل مستقبل ، حذفت منه المضارعة ، ولذلك شدده .

(فرقوا دينهم وكانوا شيعا^(٣)) : جمع من فرق دينه من اليهود والنصارى وأهل البدع . وقرئ : فارقوا ، أى تركوا . وفي الحديث : افرقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة ، والنصارى على اثنتين وسبعين ، ومشتق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة . قيل : ما هي يا رسول الله ؟ قال : ما أنا عليه وأصحابي . ولولا الإطالة لذكرت فرق هذه الأمة ومذاهبها . وقد تكفل بذكرها أئمتنا للاحتراز منهم ، جزاهم الله عن هذه الأمة خيرا .

(فجاءها بأسنا بيانا^(٤)) : لا يصح عطف هذه الآية بالقاء ، لأن مجيء الأس قبل الإهلاك . ويحتمل أن يكون استئنافا على وجه التفسير للإهلاك ، فلا يحتاج إلى تكلف . والمراد أهلكنا أهلها ، فجاءهم ، ثم حذف للمضاق بدليل : «^(٥) أو هم قاتلون » ، من القائلة بالنهار . وقد أصاب العذاب بعض الكفار المتقدمين بالليل ، وبعضهم بالنهار ؛ و « أو » هنا للتنويع .

(فما كان دعواهم^(٦)) : أى ما كان دعاؤهم واستعانتهم إلا الاعتراف

(١) الأنعام : ١٥٩

(٢) الأنعام : ١٥٣

(٣) الأنعام : ١٠٦

(٤) الأعراف : ٥

(٥) الأعراف : ٤

بأنهم ظالمون . وقيل : المعنى أن دَعَوَاهُمْ هنا ما كانوا يدعونه من دينهم ، فاعترفوا لما جاءهم المذاب بأنهم كانوا ظالمين في ذلك .

(فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ ^(١)) : أى على الرسل والأمم .

(فَبِمَا أَغْوَيْنَنِي ^(٢)) : القاء للتعليل ، وهو متعلق بفعل قسم محذوف ، تقديره أقسم بالله بسبب إغوائك ، لأغوين بنى آدم . وما مصدرية . وقيل استغماية ؛ ويبطله ثبوت « فَبِمَا ^(٣) » مع حرف الجر . وفي الحديث أنه قال : " لا أزال أغوى بنى آدم ما دامت الأرواح فيهم " . فقال الله : " وعزتي وجلالي [١٢٢٨] لأبرح أغفر لهم ما استغفروني ، وأنا الغفور الرحيم " .

(فَمَكُوا فَاِحِشَةً ^(٤)) : هى ما كانت العرب تفعله من الطواف بالبيت عرايا : الرجال ، والنساء . ويحتمل عموم القوا حش .

(فَنَ أَظْلَمَ مَنَ اقْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ^(٥)) : هذه الآية بالقاء ، وفي الثانية ^(٦) من الأسماء . وفي يونس ^(٧) لما فيها من المناسبة اللفظية ؛ لأنه افتتح آية الأسماء بقوله ^(٨) : « وَأَوْحِيْ إِلَىٰ هَٰذَا الْقُرْآنُ لَا تُذِرْكَ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ » . ثم قال ^(٩) : « وَمَنْ أَظْلَمَ » . وختم الآية بقوله : « إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ » . ليكون آخر الآية لفظ أول الآية ، وتتبع هذه الآيات يطول ذكرها ، فحين ما ذكرته على ما لم تذكره .

(فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ ^(١٠)) : هذا من قول أولام -

(١) الأعراف : ٢ (٢) الأعراف : ١٦ (٣) يريد ثبوت الألف في « ما » ، إذ أنها محذوف إذا كانت ما استغماية . (٤) الأعراف : ٢٨ (٥) الأسماء : ١٤٤ (٦) في الأسماء : ٢١ ، ٩٣ بالواو والسابقة ١٤٤ بالقاء . (٧) يونس : ١٧ (٨) الأسماء : ١٩ (٩) الأسماء : ٢١ (١٠) الأعراف : ٣٩

وهم الرؤساء والقادة ، لأخراهم - وهم الأتباع والسفلة : لم يكن لكم عينا من فضل في الإيمان والتأوى بوجب أن يكون عذابنا أشد من عذابكم ، بل نحن وأنتم متساوون .

(فتوقوا العذاب بما كنتم تكسبون^(١)) : هذا يحتمل أن يكون من قولهم أيضا ، أو من قول الله لهم .

(فصبر جيل^(٢)) : هذا وعد من يعقوب بالصبر ، وارتفاعه على أنه مبتدا تقديره صبر جيل أمثل ، أو خير مبتدا تقديره شأى صبر جيل . روى أن يعقوب عليه السلام لما طال بكأوه ، واشتد حزنه ، نهاه الله عن ذكر يوسف ، ثم أمر جبريل عليه السلام أن يتصور بصورة يوسف ، فلما بصر به يعقوب تأوه ، فأوحى الله إليه : قد علمت ما تحت أظفرك ، لو كان ميتا لتشرته لحسن وفائك . فقال : يا جبريل ، ما أعلمنى بحياته ؟ فأحب أن أشم ريحه . فقال له : الآن بعد ما شكوته ودعوته بلسان الضرورة سأوصل إليك يوسف .

وكذلك أنت يا مؤمن وعدك ربك بالإجابة عند الاضطرار ، وبغفران الذنوب عند الاستغفار ، فقال^(٣) : « استغفروا ربكم إنه كان غفارا » .

(فتأما^(٤)) : أى عبدهما . ويقال بمعنى الشاب ؛ والعرب تسمى الملوك شاباتا كان أو شيخا قى . فحامل هذه الإضافة .

وفى قوله^(٥) : وراودته التى هو فى بيتها : يوضح لك أنك فى بيته وتحت يده ، فإذا اجتنبت الكبائر وما أشبهها يفر عنك الصغيرة ؛ لأنك فى بيته ؛

(٣) نوح : ١٠

(٢) يوسف : ١٨

(١) الأعراف : ٣٩

(٥) يوسف : ٢٣

(٤) يوسف : ٣٠

قال تعالى^(١) : « إِنَّ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ » . كما عفا عن يوسف للنظر إليها والحطابة لاجتنابه الذنوب إليها ؛ لأنه كان في بيتها .

(فقد سرق أخ له من قبل^(٢)) : هذا من كلام إخوة يوسف ، ومرادهم أن هذا الأمر صدر من ابن لأم لا منّا ؛ وقصدوا بذلك رفع المعزة عن أنفسهم ورموا بها يوسف وشقيقه . واختلف في السرقة التي رموا بها يوسف على ثلاثة أقوال :

الأول : أن عنته ربته فأراد والده أن يأخذه منها ، وكانت نجيته ولا نصبر عنه ، فجعلت عليه منطقة لها ، ثم قالت : إنه أخذها منها ، فاستعبده بذلك ، وبقي عندها إلى أن ماتت .

والثاني : أنه أخذ صنما لجدّه والد أمه فكسره .

والثالث : أنه كان يأخذ الطعام من دار أبيه ويعطيه للمساكين .

(فَأَسْرَهَا يَوْسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْذِرْهَا لَهُمْ^(٣)) : الضمير للجملة التي بعد ذلك وهي قوله^(٤) : « أَتُمْ شَرٌّ مَكَانًا^(٥) » .

(فَتَحَسَّسُوا مِنْ يَوْسُفَ وَأَخِيهِ^(٦)) ؛ أي تعرفوا خبرهما . والتحسس طلب الشيء بالحواس الأربعة : السَّمْعُ ، والبَصَرُ ، والشم ، والذَّوق . وإنما لم يذكر الولد الثالث ؛ لأنه بقي هناك اختياراً منه ؛ لأن يوسف وأخاه كانا أحب إليه لصغرهما .

(١) النساء : ٣١ (٢) يوسف : ٧٧ (٣) قالوا ذلك ليعرّوا
 من ضلّه لأنه ليس من أمهم . (٤) في القرطبي : أسرق نفسه قولهم : إن يسرق
 فقد سرق أخ له من قبل . وقبل لأنه أسرق نفسه قوله : أتم شر مكاناً ، ثم جهر فقال : والله
 أعلم بما تصفون . (٥) يوسف : ٨٧
 (م . هـ - في إعجاز القرآن)

فإن قلت : أليست الحواس خمسة ؟

قلت : الذى مشى عليه الفخر فى تفسير قوله تعالى^(١) : « يوم تشهد عليهم السنتهم وأيديهم وأرجلهم » - أن الحواس أربعة ، فجعل اللذوق واللمس واحداً ، ألا ترى أن الشم لا تكليف فيه البتة ، ولا يتعلق به أمر ولا نهى ؛ ولما كان الاسم الشريف من أربعة أحرف دلّ على أن الحواس أربعة ؛ فالألف للسمع ، والحاء للبصر ، والميم للشم ، والدال للذوق .

ووقع للفخر فى سورة الحمد مناسبة اسمه صلى [٢٢٨ ب] الله عليه وسلم أحد ومحمد من الحمد ؛ لأنه أول ما خلق الله العقل ، فكان أول ما نطق به الحمد ، وآخر ما نطق به الحمد ، وكان آخر الأنبياء محمد عليه الصلاة والسلام ؛ فناسب الاسم أن يكون من نوع المبدأ ، فاشتق له من الحمد اسمان : محمد وأحمد ، فأهل السماء هو أحمدم ، وأهل الأرض هو محمودم .

(فلما دخلوا على يوسف^(٢)) : هنا محذوفات يدلّ عليها الكلام ، وهى : فلما رحل يعقوب بأهله حين بلغه خبر يوسف - آوى إليه^(٣) أبويه ؛ أى ضمّهما وتعاثا ؛ ورأى يعقوب أناساً كثيراً ، فقال : يا يوسف ، من هؤلاء ؟ قال : يا أبت ، إن هؤلاء كلهم عبيدى ، وقد اعتقهم كلهم لرؤيتك .

فكذلكم أتم يا أمة محمد ؛ يقول الله عز وجل : يا محمد ، يوسف أعتق عبيده برؤية آيه ، وإنى أعتق برؤيتك جميع عصابة أمتك .

(فأولئك الذين كفروا ببرّهم وأولئك الأغلال فى أعناقهم^(٤)) : هذه

(١) النور : ٢٤ (٢) يوسف : ٩٩ (٣) الرمد : ٥ ، والآية من غير فاء ، وقد ذكرت فى الأصل بالقاء قبل أولئك . وقد ذكر بعد أنها لرامدة .

على القراءة بالعطف بالقاء المقتضية للتسبب والتعقيب ، ولا يصح العطف بالقاء ؛ لأن السبب على ثلاثة أنواع : ظاهر ، وخفي ، ومتوسط . وإنما يحتاج إلى القاء في المتوسط والخفي ، وأما هنا فظاهر كونه سبباً فيما بعده ، فلا يحتاج في عطفه إلى ما يبين كونه سبباً .

والآية عند بعض العلماء من باب القلب . والأصل فيها : وأولئك في أعناقهم الأغلال ؛ لأن الأغلال محيطة بأعناقهم كإحاطة الظرف بالمظروف ، وأعناقهم هي المظروف . وقد قالوا : إن القلب لا يجوز إلا في الضرائر أو فيما قل من الكلام ، وقد جعلوا منه ^(١) : « ما إن مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءَ بِالصُّبَّةِ أُولَى الْقُوَّةِ » .

وفي الآية دليل على أن منكر البعث كافر ، واشتملت على اللفظ العام والإبهام ، ثم التفسير ؛ لأن قوله : وأولئك الأغلال في أعناقهم - تفسير للعذاب النازل بهم . وهذا من باب ذكر السبب عقب السبب ؛ لأن الكفر سبب في غل الأعناق .

فإن قلت : هل هذا على التوزيع ، أو كل واحد في عنقه أغلال ؟

فالجواب أن آية الحاقة ^(٢) تدل على التوزيع لكل واحد غل واحد ؛ أو تكون الأغلال في رءوسهم ، وهو يقوم مقام سلاسل متعددة في عنق كل واحد من سائرهم ، حتى لا يظهر منه شيء . وقيل : إن هذا مجاز فيكونون في الدنيا ممنوعين من الإيمان ، كتوله تعالى ^(٣) : « إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَعُونَ » .

(٢) آية الحاقة (٣٠) هي قوله تعالى : خُذُوهُ فَغُلُّوهُ .

(١) القصص : ٢٦

(٣) يس : ٢٨ .

والإشارة بأوائك وتسكراها للذين قالوا : « إذا كُنتا تراباً »^(١) .

(فَأَخْرِجْ مِنْهَا^(٢)) : الضمير يعود على الجنة ، وإن لم يخرج لها ذكر ، أو من السماء ، كما قال في آية الأعراف^(٣) : « فَاقْبِضْ مِنْهَا » .

ويحتمل أن يعود الضمير على جملة الملائكة ، وعلى هذا فيكون إبليس من الملائكة ، وهو الظاهر من القرآن ، ومن كثير من الأحاديث ؛ وافقاه ابن عطية بأن الملائكة مصوون ؛ قاله الأصوليون . وحكى الطبري عن ابن عباس أن الله خلق ملائكة فأمرهم بالسجود لآدم ، فأبوا فأرسل الله عليهم نارا فأحرقتهم . وردت بثبوت المعصية للملائكة .

(فَمَا أَغْوَيْتَنِي^(٤)) : قد قدمنا مراراً أن الإغواء هو الحمل على الوقوع في المعاصي ، فلا يقدر على إغواء الخاصين بوجّه ، لكن يزبن لهم فقط ؛ لأن التزيين هو تحسين القبائح ، فالإغواء يستلزم الفعل ، والتزيين لا يستلزمه . فإن قلت : ما الفرق بين قسمه في الإعراف بالإغواء^(٥) . وفي من : قال^(٦) : « فَبِزَيِّتِكَ لَا غَوِيَنَّهُمْ » ؟

فالجواب أنه أقسم بالأول في الفعل ، وفي الثاني بالصفة . قال بعضهم : فادّعتهم يقولون : هذا مناقض لأصل الزمخشري ؛ لأنه ينفي الصفات جملة ، يقول : إن الله سميع لا يسمع ، بصير لا يبصر ، عليم لا يعلم ، مرید لا يرادة ، قادر لا بقدره ؛ بل سميع لذاته ، بصير لذاته ، عالم لذاته .

(فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ^(٧)) : هذا تأكيد بعد تأكيد ،

(١) الرعد : ٥ (٢) الحجر : ٤٤ (٣) الأعراف : ١٣

(٤) الأعراف : ١٦ ، وفي الحجر : قال رب بما أغويتني (٣٩)

(٥) الأعراف : ١٦ (٦) من : ٨١ (٧) الحجر : ٢٠

بعض ما تضمن الأول . وقال غيره : لو وقف على كلهم لصلحت للاستثناء وصاحت على معنى المبالغة ، مع أن يكون [٢٢٩] البعض لم يسجد ، وهذا كما يقول القائل : كل الناس يعرف هذا ، وهذا يزيد لأن المذكور أمر مشتهر ، فلما قال أجمعون رفع الاحتمال [بأن بعضهم لم يسجد ، واقضى الكلام أن]^(١) جميعهم يسجد .

وقال البرد : لو وقف على « كلهم » لاحتمل أن يكون سجودهم في مواطن كثيرة ، فلما قال أجمعون دل على أنهم سجدوا في موطن واحد .

قال ابن عطية : واعترض على قول البرد بأنه جل قوله أجمعون حالا بمعنى مجتمعين ، ويلزمه على هذا أن يكون أجمعين ، هذا على أن يقرب من التنكير ؛ إذ هو معرفة لكونه يلزم اتباع للعارف ، والقراءة بالرفع تأني قوله .

فإن قلت : ما فائدة إتيانه في الجبر وفي ص بهذا اللفظ دون غيرها .

فالجواب أنه لما بالغ في السورتين^(٢) في الأمر بالسجود - وهو قوله : قَعَمُوا له ساجدين - في السورتين بالغ في الامتثال فيهما قليل : " فسجد الملائكة كلهم أجمعون " لتنع التوفقة بين أولاهما وآخرهما .

(قِيمَ تَبَشِّرُونَ^(٣)) : هذا من قول إبراهيم عليه السلام على وجه التعجب من ولادته في كبره ، أو على وجه الاستبعاد لذلك ، حسبما قلناه . وقرئ بتشديد النون وكسرها على إدغام نون الجمع في نون الوقاية ؛ وبالكسر والتخفيف على حذف أحد النونين ، وبالفتح - وهو نون الجمع .

(١) ما بين القوسين غير واضح في الأصول . (٢) ص : ٢٢ ، ون الحبر : ٢٠ - كما تقدم .

(٣) الحبر : ٥٤

(فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ ^(١)) : يعنى أحبار اليهود والنصارى ؛ لأن جيمهم يشهدون أن الرسل من البشر .

ويؤخذ من هذه الآية وجوب سؤال الجاهل عما يحتاج إليه في أمر دينه ، ولا يُعذر بجهله . وفيها دليل على أن خبر التواتر يفيد العلم ؛ لأن المعنى : فاسألوا أهل الذِّكْرِ لتعلموا إن كنتم لا تعلمون ؛ فهو سؤال عما لم يعلم ليُعلم . فإن كان المستولون بالغين عدد التواتر فهو خبر تواتر ، وإلا فهو خبر واحد محصل للعلم في الوجهين .

(فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكَرَةٌ ^(٢)) : القاء للتوبيخ ، وليس هو من باب ذكر اللازم ، وإنما هو من باب ذكر الشيء عقيب تقيضه ؛ لأن لازم كونه إما واحدا التصديق لا الإنكار والكفر .

(فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ ^(٣)) : هذا كقولهم ^(٤) : « مِنْ تَحْتِهِمْ غَوَاشٍ » ، ومن فوقهم غَوَاشٍ . وهل السقف إلا فوقهم . وقد قدمنا سِرَّ التعبير من فوقهم فيما نقلناه عن ابن عطية .

(فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ ^(٥)) : حال ^(٦) مقدرة . وجهنم الطبقة الأولى من النار .

فإن قلت : كيف قال هنا : ادخلوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ ، مع أنها مأوى المصاة من هذه الأمة ؟

(١) النحل : ٤٣ (٢) النحل : ٢٢ (٣) النحل : ٢٦
 (٤) الذى في سورة الأعراف ، آية ٤١ : لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش ، وكذلك
 نهرى الظالمين . (٥) النحل : ٢٩
 (٦) في القرطبي (١٠ - ٩٩) : أى يقال لهم ذلك عند الموت .

والجواب أن دخولهم فيها ليس على جهة الاستقرار ؛ وإنما هو على جهة الدخول لما تحتها ؛ لأن النصارى قبل فى الثانية ، واليهود فى الثالثة .

ورُدَّ هذا بأن الرسل مهبا كثرت كانت عقوبة مكذبيها أشدَّ ، وقوم موسى كفروا بموسى فقط ، والنصارى كفَرُوا بيسى وهو بعد موسى فذابهم أشدَّ ؛ لأنه سبقه من الأنبياء كثيرون دَعَوْا إلى مثل ما دعا هو قومه .

(فَمَتُّوْا^(١)) : أى فى الدنيا . وهذا على وجه التهديد لمن عقل .

(فهو وليّهم اليوم^(٢)) : فسرّه الزمخشري بوجوه^(٣) : منها أن الضمير راجع لكفار قريش ، وأنه ذين لأبائهم أعمالهم فهو وليّ هؤلاء ؛ لأنهم منهم ؛ فلى هذا يكون الألف واللام فى اليوم لتعريف الحضور ، وعلى الوجوه الأخر التى ذكر هو وغيره تكون إما لتعريف الماهية ، أو لتعريف العهد .

(فأحيا به الأرض^(٤)) : الفاء للتعقيب ، وخصوصا فى مكة ؛ لحرارة أرضها كما قلنا أنها تصبح أرضها خضراء بصبّ المطر أول الثيل .

(فَرِثٍ وَدَمٍ^(٥)) : قد قلنا فيما قلناه عن الزمخشري^(٦) أن القرث ما فى الكرش من القدر ؛ وهذا من عجيب القدرة أن اللبن متوسط بين القرث والدم ، ولا يذير أن له لونا ولا طعما ولا رائحة . قال أبو حيان : من بين فرث ودم حال من ضمير نسقكم ؛ أى خارجا من بين فرث ودم . وقيل متعلق بنسقيكم المقدر ؛ إذ لا يتعلق بجروران بفعل واحد . ويجوز هنا لاختلاف معناها ؛ لأن من الأولى لتبعض ، والثانية لاجتماع الناية .

(١) الكشاف : ١ - ٢٨٨ .

(٢) النحل : ٦٣ .

(٣) النحل : ٥٥ .

(٤) الكشاف : ١ - ٢٢٨ .

(٥) النحل : ٦٦ .

(٦) النحل : ٦٥ .

(فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ) [٢٣٩ ب] الَّذِينَ فَضَّلُوا بَرَادَى رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ أَفَتَنْعِمَ اللَّهُ بِمُجْحَدُونَ^(١) :
 فِي هَذِهِ الْآيَةِ دَلَالَةٌ عَلَى الْوَحْدَانِيَّةِ ، كَمَا أَنَّ اللَّهَ يَقُولُ : أَنْتُمْ لَا تَسَوِّتُونَ بَيْنَ أَنْفُسِكُمْ وَبَيْنَ عِبِيدِكُمْ ، وَلَا تَجْمَلُونَهُمْ شُرَكَاءَ لَكُمْ ، فَكَيْفَ تَجْعَلُونَ عِبِيدِي شُرَكَاءَ لِي ؟
 وَالْآخِرُ أَنَّهَا عِتَابٌ وَذَمٌّ لِمَنْ لَا يَحْسُنُ إِلَى مَمْلُوكِهِ حَتَّى يَرُدَّ مَا رَزَقَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ ، كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ : " أَطْعِمُوهُمْ مِمَّا تَأْكُلُونَ ، وَأَلْبَسُوهُمْ مِمَّا تَلْبَسُونَ " . وَفِيهَا دَلِيلٌ عَلَى صَحَّةِ إِطْلَاقِ لَفْظِ الْبَعْضِ عَلَى النِّصْفِ وَعَلَى أَكْثَرِ مِنْهُ ؛ لِأَنَّ الْفَاضِلَ أَكْثَرُ رِزْقًا مِنَ الْمَفْضُولِ . وَحُكِيَ الْخِلَافُ فِي الْبَعْضِ : هَلْ يُطْلَقُ عَلَى النِّصْفِ أَمْ لَا ؟

فَإِنْ قُلْتَ : التَّفَاوُتُ إِنَّمَا هُوَ فِي الرِّزْقِ التَّكْمِيلِيُّ الزَّائِدُ عَلَى مَا يُقِيمُ الرِّمْقَ وَيَسْتَرِ الْبَدَنَ . وَأَمَّا الْحَاجِي فَهُمْ فِيهِ مَعَ الْمَالِيكَ مُسَوِّوْنَ ؛ فَهَلَا قِيلَ : فَمَا الَّذِينَ فَضَّلُوا بَرَادَى فَضْلَ رِزْقِهِمْ ، كَمَا قُلْتَ^(٢) : « وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ » ؟

وَالْجَوَابُ : لَوْ قِيلَ : فَمَا الَّذِينَ فَضَّلُوا بَرَادَى فَضْلَ رِزْقِهِمْ لَسَكَانَ فِيهِ غَثَائَةٌ لَتَكَرَّرَ لَفْظُ الْفَضْلِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ؛ وَهَذَا يُقَالُ لَهُ فِي عِلْمِ الْبَيَانِ الْإِسْتِخْدَامُ ؛ وَهُوَ أَنْ يَجْعَلَ بِاللَّفْظِ عَنْ غَيْرِهِ خَوْفَ السَّامَةِ وَالْمَثَلِ . وَأَيْضًا فَضْلُ الرِّزْقِ أَخْصَرُ مِنَ الرِّزْقِ ؛ فَاسْتَعْمَلَ الْأَخْصَرَ فِي الثَّبُوتِ ، وَالْأَعْمَ فِي النِّقْيِ ؛ لِأَنَّ نَقْيَ الْأَعْمِ يَسْتَلْزِمُ نَقْيَ الْأَخْصَرِ .

فَإِنْ قُلْتَ : لَفْظُ الرَّدِّ يُقْتَضَى سَابِقِيَّةً : الْمَلِكُ وَالْحَوْزُ ؛ وَالْمَالِيكَ لَمْ يَكُنْ لَمْ ذَلِكَ بَوَاجِهَ ؛ فَهَلَا قِيلَ : فَمَا الَّذِينَ فَضَّلُوا بِمُعْطِينَ رِزْقِهِمْ لِمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ ؟

وهذا نحو ما أوردوا في قوله تعالى ^(١) : « أَوْ لَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا » ؟

والجواب : إنه إشارة إلى تأكيد النفي ، وأن هذا امتنعوا من إعطائه للمالك يمكن إن كان يكون للمالك بدلا عنهم ، فكانوا قابلين لأن يملكوه ؛ لأن الذي أعطاه لسادتهم كان قادراً على إعطائه لهم دون ساداتهم بناء على أن من ملك أن يملك يعد مالكا ، وإن فسرنا الرزق بما منعه السادات بمالكهم في قوله : « فَمَا الَّذِينَ فَضَّلُوا بِرَازِي رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَكَونَ النَّعْمَةُ فِي قَوْلِهِ : « أَفَبِعِزَّةِ اللَّهِ - الرزق. وإن جاءناه تمثيلا ؛ أي كما أنفقوا أن يشاركتهم أحد في رزقهم كذلك ينبغي ألا يجعلوا مع الله شريكا ؛ فيكون المعنى أفيالذلائل الدالة على وحدانية الله يحدون .

وانظر إذا ردوا كل رزقهم عليهم لا يكونون فيه سواء ، وإنما يستون معهم برزقهم عليهم نصف فضل رزقهم ؛ فإما أن يكون على حذف مضاف ، أو يكون الرزق مضافاً إلى ضمير ما ملكت أيمانهم ، ويكون الذين فضلوا به مملوكهم هو رزق مملوكهم الذي يساويهم به في نفس الأمر .

(فلا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ ^(٢)) : الضمير يعود على مَنْ عبد غير الله وأشركهم في العبادة ، مع أنهم لا يملكون شيئا ، فنبههم سبحانه بهذه الأمثال والمواعظ ليتنبهوا ويرجعوا ، لكن من النصيحة خطاب غير العاقل ، والعاقل تكفيه الإشارة ، ولا يستغرب هذا في حقهم ؛ لأننا مثله في عدم الفهم والإدراك .

(فهو يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ . الحمد لله بل أكثرهم لَا يَعْلَمُونَ ^(٣)) : إما أن المراد به الكفار باعتبار من سيؤمّن منهم وهم أقلهم ،

فأظلمهم يظلمون ؛ وإما أن يراد به الأصنام، وعبر بالأكثر عن الكل ؛ وهو جيد.
ومحتمل أن يكون المحدث من كلام الله تعالى ؛ أتى على نفسه بنفسه ، أو أمراً
لنبي صلى الله عليه وسلم خاصاً به ، أو عاماً له ولأمته : قولوا المحدث على ما أنتم
علينا ؛ بأن هدانا ووفقنا .

وفي قوله : « يَسْتَوُونَ » دليل لمن يقول : إن أقل الجمع اثنان كما قلنا .
وتنق للسلواة يقع في القرآن على وجهين : تارة مطلقاً كهذه الآية ، وكقوله :
« ^(١) هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ » ، وتارة مع تعيين الأرجح ؛
كقوله ^(٢) : « لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ
مُتَقَاتِرُونَ » . وكقوله ^(٣) : « لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ ... »
الآية . وإنما لم يبين هنا الأفضل لظهوره قبل ، وكذلك كل أحد يعلم أن أصحاب
الجنة هم المتقانون . وذلك أن أصحاب النار يدخل فيهم العصاة من المؤمنين
والكفار ، فهل قصد تفضيل أصحاب الجنة بالإطلاق على أصحاب النار بالإطلاق ،
أو على الكفار ؟ قلنا أعيد ذكر الأفضل علم أن المراد بأصحاب النار أصحابها
حقيقة ، وهو [١٢٣٠] من حكم عليه بالخلود فيها .

فإن قلت : الآية خرجت مخرج المدح فاعل ذلك ، فهلاً ذكر فيها صدقة
السرّ قط ؛ لأنها أفضل ؟

والجواب : أنه قصد التنويه على كثرة إغاثته ومبادرته إلى أفضل البرّ كيفما
أمكنه ، وبدأ بالسر ؛ لأنه أفضل .

(فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ ^(٤)) : الضمير القرية المذكورة في المثل ^(٥) .

(١) الزمر : ٩ (٢) الحجر : ٢٠ (٣) الحديد : ١٠
(٤) التحل : ١١٢ (٥) في أول الآية : وضرب الله مثلاً قرية كانت آمنة مطمئة
بأنبياء رزقها وغناها من كل مكان فكفرت ...

واختلف فيها ؛ فقبل مكة ، لأنها كفرت بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، فأصابهم الجذب والخوف من غزو النبي صلى الله عليه وسلم إليهم . وقيل : إنما قصد قرية غير معينة أصابها ذلك ، فضرب الله بها مثلاً ؛ وهذا أظهر ؛ لأن المراد وعظ أهل مكة بما جرى لغيرهم ؛ والضمير في قوله ^(١) : « فأذاقها الله لباس الجوع والخوف » لأهل القرية : فاعل قوله : بما كانوا يصنعون . والإذاقة واللباس هنا مستعاران ، أما الإذاقة فقد كثر استعمالها في البلايا حتى صارت كالحقيقة . وأما اللباس فاستعير للجوع والخوف لاشتغالها على اللابس ومباشرتهما له كمباشرة الثوب .

(فحقَّ عليها القول ^(٢)) ؛ أى القضاء الذى قضاه الله . والضمير يعود على القرية التى أمر متربفها ففسقوا فيها ؛ أى قضينا عليه بالفسق ، وعلى قراءة مدَّ الهمزة من « أمرنا » فهو بمعنى كثرنا . وقراءة أمرنا - بتشديد الميم فهو من الإمارة ؛ أى جعلهم أمراء قسوة وانكساراً .

(فَضَلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ ^(٣)) : أى فى رزق الدنيا ؛ ليتخذ بعضهم بعضاً سُخْرِيًا .

(فَاسْأَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ ^(٤)) : هذه الآية خطابٌ لنبينا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم ، ومعناها سل المعاصرين لك من بنى إسرائيل عما ذكرنا من قصة موسى ، لتزداد بذلك يقينا . وقال الزمخشري ^(٥) : المعنى قلنا لموسى : سل بنى إسرائيل من فرعون ؛ أى اطلب منه أن يرسلهم معك ؛ فهو كقوله :

(١) النحل : ١١٢ (٢) الإسراء : ١٦ (٣) الإسراء : ٢١

(٤) الإسراء : ١٠١ (٥) الكشاف : ١ - ٥٠٩ .

أرسل معي بني إسرائيل . [أو سلمهم] ^(١) أن يعضدوك ويكونوا معك . وهذا أيضا على أن يكون الخطاب لموسى . والأول أظهر .

والعامل في إذْ على هذا القول الأول آتينا موسى ، أو قل مضمرا . والعامل فيه على قول الزمخشري القول المحذوف .

(فَجَوَّةٌ ^(٢)) : متسع . ويقال معناه أى موضع تصيبه الشمس .

(فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ ^(٣)) : لفظه أمر وتخيير . معناه أن الحق قد ظهر ، فيختار كل إنسان لنفسه إما الحق الذى ينبغى به ، وإما الباطل الذى يردى به ، ففى ضمن ذلك تهديد .

(فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ ^(٤)) : الباء سببية . والمعنى صار به النبات مختلطا ، أى ملتقا بمضاه يسمي من شدة تكاثفه .

(فَأَصْبَحَ مَسِيًّا ^(٥)) : أى متفتتا ، وأصبح بمعنى صار .

(فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا ^(٦)) : يريد به من قضى أنه يؤمن .

(فَارَدْتُ أَنْ أَعِيبَ ^(٧)) : العيب العيب . وهـ —ذا مؤخر فى المعنى من ذكر غصبها ؛ لأن خوف الغصب سبب فى أنه عابها . وإنما قدم العناية به ، وأسند الإرادة هنا لنفسه ؛ لأنها لفظ عيب فتأدب بالآسندها إلى الله ؛ وذلك كقول إبراهيم : « ^(٨) وإذا مرضت فهو يشفين » . فأسند المرض إلى نفسه والشفاء إلى الله ، تأدبا .

(١) من الكشاف .	(٢) الكهف : ١٧	(٣) الكهف : ٢٩
(٤) الكهف : ٤٥	(٥) الكهف : ٤٥	(٦) الكهف : ٥٧
(٧) الكهف : ٧٩	(٨) الشعراء : ٨٠	

وإختلاف في قوله ^(١) : «أَرَدْنَا أَنْ يُبَدِّلَهُمَا رَبُّهُمَا» : هل هو مسند إلى ضمير الخضر أو إلى الله . وقوله ^(٢) : «أَرَادَ رَبُّكَ» أسندها إلى الله في هذه ؛ لأنها أمر مغيب مستأنف لا يعلم ما يكون منه إلا الله .

وقال بعض الصوفية : لما قال : فَأَرَدْتُ ، فَأَرَدْنَا - تعرض له جبريل ، فقال : مَنْ أَنْتَ ؟ وما فلاك ؟ فأسند في الثالثة إلى فاعل الأمور الذي يده مقالدها .

(فَاتَّبِعْ سَبِيلَ ^(٣)) ؛ أي طريقاً يوصله .

(إِنَّهُ جَزَاءُ الْحَسَنَى ^(٤)) ؛ أي من ثمادى على الكفر قتله ، وهو معنى قوله : ^(٥) «فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ» . وَمَنْ أَسْلَمَ أَحْسَنَ إِلَيْهِ .

(فَاسْتَطَاعُوا ^(٦)) : أصله استطاعوا ، وحذفت التاء في هذا تخفيفاً .

(فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ ^(٧)) : أي أشار . وقيل : كتب في التراب ؛ إذ كان لا يقدر على الكلام ، مع أنه سليم من الخرس ؛ وإنما جعل الله له ذلك علامة على تحمل أمراته .

(فَحَمَلَتْهُ ^(٨)) : يعني في بطنها .

(فَأَجَاءَهَا ^(٩)) : معناه ألبأها ، وهو منقول من جاء بهمة التمدية .

(فَإِنَّمَا تَرَيْنَ ^(١٠)) : هي إن الشرطية دخلت عليها ما الزائدة للتأكيد .

وترين فعل خاطبت به مريم ، دخلت عليه النون الثقيلة للتأكيد .

(١) الكهف : ٨١	(٢) الكهف : ٨٢	(٣) الكهف : ٨٥
(٤) الكهف : ٨٨	(٥) الكهف : ٨٧	(٦) الكهف : ٩٧
(٧) مريم : ١١	(٨) مريم : ٢٢	(٩) مريم : ٢٣
(١٠) مريم : ٢٦		

(فَأَنْتَ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ ^(١)) : لما رأت الآياتِ علمت أن الله مبينُ
عذرها ؛ قالوا لها : « ^(٢) يا مريم لقد جئتِ شيئا فريتا » . من القرية ،
وهي الشنعة .

(فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ^(٣)) ؛ أى إلى ولدها ليتكلم ، وصمت [٢٣٠ ب] هى ،
كما أمرت . فتولى الله تبرئها ؛ كذلك يعقوب بلغ به البلاء حتى ضاق به الأمر ،
فاظهر الله له الفرج ببشارة القيس . وكذلك موسى وعيسى ، وكذلك عائشة
لما ضاق بها الأمر حتى تركت العلائق ورفعت قلبها عن العلائق ، فانزل الله
طهارتها ، فقال لها أبوها : قومى قبلى رأسَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت :
بحمد الله لا بحمدكما ؛ لأن الله طهرنى بالآيات .

كذلك أنت يا محمدى ؛ إذا ضاق بك الأمر ، وترك العلائق إلا من الله
فتح عليك باب البشارة ، وأدخلك دار كرامته .

(فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ ^(٤)) ؛ أى من تلقائهم ، ومن أقسامهم ،
وأن الاختلاف لم يخرج عنهم . والأحزاب : اليهود والنصارى ، والحق خلاف
أقوالهم كلها .

(فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ^(٥)) : قد قدمنا أن الويل هو الحزن والشبور .
وروى هذا الكفر الذى كفروا عن قتادة أن بنى إسرائيل جمعوا من أنفسهم
أربعة أبارغاية فى المكاة والجلالة عندهم ، وطلبوا أن يبينوا أمر عيسى ، فقال
أحدهم : هو الله نزل إلى الأرض ، فأحيا من أحياء وأمات من أمات . ثم صد
قال له الثلاثة : نيس الأمر كذلك . واتبه يعقوبية .

(٣) مريم : ٢٩ .

(٢) مريم : ٢٧ .

(١) مريم : ٢٧ .

(٥) مريم : ٢٧ .

(٤) مريم : ٢٧ .

نم قال أحد الثلاثة : عيسى ابن الله ، فقال له الاثنان : كذبت ، واتبعه
النسطورية . نم قال أحدهما : عيسى أحد ثلاثة : عيسى إله ، وأمه إله ، والله إله .
فقال له الرابع : كذبت واتبعه الإسرائيلي . فقال الرابع : عيسى عبد الله وكلمته
ألقاها إلى مريم ، فاتبع كل واحد من الأربعة فريق من بنى إسرائيل ، نم اقتلوا ،
وغلب المؤمنون ، وقتلوا ، وظهرت البعوية على الجميع .
وروى أنه في ذلك نزلت ^(١) : « إن الذين يكفرون بآيات الله ... »
الآية .

فإن قلت : ما الفرق بين وصفهم هنا بالكفر ، وفي الزخرف بالظلم ؟
فالجواب أن الكفر أبلغ من الظلم . وقصة عيسى في سورة مريم مشروحة فيها ،
ذكر نسبهم فيها إلى الله تعالى ، حتى قل ^(٢) : « ما كان لله أن يتخذ من ولدٍ
مُسبحانه » ، فذكر بلفظ الكفر . وقصته في الزخرف مجملة فوصفهم بلفظ دونه
وهو الظلم . وقيل غير هذا من الأجوبة حذفناه اختصاراً .

(فلا تعجل عليهم ^(٣)) ؛ أى لا تستعجل عذابهم وتطلب تسجيله ، وإنما نعد
مدة بنائهم في الدنيا .

(قلنا أتناها نُودى يا موسى... ^(٤)) الآية . ضمير الإتيان راجع إلى النار ،
ولم يناده من الشجرة ؛ وإنما ناداه عند وصوله إليها ، وإنما أمره بخلق نفاثه ؛
لأنهما كانتا من جلد حمار ميت ، فأمر بخلق النجاسة . واختار ابن عطية
أنه إنما أمر بخلقهما ليتأدب ، ويعظم البقعة المباركة ، ويتواضع في المناجاة
مع خالقه .

وآين هذا المقام من مقام سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم لما زج به في عالم العزة ! أراد أن يخضع عليه ، فإذا النداء : يا محمد ، لا تخضع لنيلك . فقال : يا رب ، سمعتك تقول لموسى : فأخضع لنيلك . فقال : يا محمد ؛ لئن أمرت موسى بنزع نعليه على جبل الطور فقد أبجنا لك أن نطأ بنيلك على بساط النور ؛ لأنك المكرم عندنا ، والعزير لدينا .

اللهم بحرمته لديك اعف عنا واغفر لنا .

قال أصحاب الشجرة في القرآن أربعة : آدم^(١) : « ولا تقربا هذه الشجرة » . وموسى^(٢) : « نودى من شاطئ الوادى الأيمن فى البقعة المباركة من الشجرة » . ومريم^(٣) : « فأجاءها الخاض إلى جذع النخلة » . ومحمد صلى الله عليه وسلم^(٤) : « إذ يبايعونك تحت الشجرة » .

فآدم دنا من شجرته باختيار نفسه ، فصارت عليه محنة ، حتى خرج منها بسببها . وموسى دنا من شجرته بالأمر ، فصارت عليه بركة ، وأوصله بالوادى المقدس . ونودى منها إني أنا ربك . ومريم دنت من شجرتها باختيار نفسها ، فصارت عليها محنة ، حتى قالوا ما قالوا ، ونالها من الألم ما نالها ، ولم تصل إلى ذرقها إلا بالامتناء . والنبي صلى الله عليه وسلم دنا من شجرته من حيث الأمر ، فادت عليه رحمة ، وبأبعوه تحتها ، وظهر الإسلام ، واستقام الشرع .

وكذلك مثل الله الكلمة الطيبة بالشجرة الطيبة . وقيمة الشجرة بالثمار والأنوار ، وقيمة المؤمن بمعرفة الجبار ، كأنه تعالى يقول : قلبك بموضع شجرة إنباتها معرفتى ، وثمرها شهادتى ، ونورها حديثى [٢٣١] ومنها تصوير يا عبدى

(١) البقرة : ٣٥ (٢) فى آية ٣٠ من القصص . (٣) مريم : ٢٢

(٤) الفتح : ١٨

موحّدي ؛ ... آدم قصد شجرة وفيها للعدو نصيب ، فأصابه من الذلّ والمحن والخروج من الجوار ما أصابه . والشجرة التي هي في موضع نظري ومقام معرفتي إذا قصدها الشيطان أن يراني أسلمها له ، وإذا أنظر إليها كل يوم ثلاثمائة وستين نظرة لحرمتها ؛ أفتراني أسلمها للشيطان إذا قصدها ! بل أطرده وأكافئه كما كافأت آدم ، حين قصد شجرة فيها للعدو نصيبٌ أخرجته منها لنصيبه ، والشجرة التي هي نصيبى أ كافئه بأن أضع ذنوبك على عنقه ، وأدخلك الجنة لنصيبى فيك .

فإن قلت : قد اختلفت الألفاظ في قصة موسى ؛ ففي موضع قال : آتاه ، وفي موضع : جاءها . وفي آية^(١) : « إني أنا ربك » . وفي آية : « إني أنا الله » ؟

فالجواب إن لفظ جاء وأتى بمعنى واحد ، لكن كثر هنا لفظ الإتيان ؛ نحو : فأتياه ، فلأتيتك ، ثم أتى ، ثم انتوا صفًا . وكثر في النمل لفظ جاء ، نحو : فلما جاءهم . وجئتكم من صعبًا . فلما جاء سليمان .

وإنما أبرز الضمير في هذه الآية بقوله : ربك ؛ لأنه خاطبه مرتين ، كل مرة بما يليق به ؛ ففي الأولى أظهر له النعم في إنجائه من فرعون ، وتحنن شعيب له ، وإكرامه بالكلام . فلما تأنس وزالت عنه الدهشة خاطبه بالألوهية المشمرة بالخوف من هذا الاسم العظيم .

فسبحان اللطيف بعباده ، المُنعم عليهم بنعمه : خلقهم بلا مثل ، وصورهم بلا مشاورة ، ورباهم بلا قوة ، وهدهم بلا شفاعاة ، ورزقهم بلا دعوة ، وأمراضهم بلا واسطة ، وشفاهم بلا دواء ، وأمانتهم بالعدل ، وأحياهم بالقدره ، وغفر لهم بالرحمة .

وقد قدمنا أن موسى خرج لطلب النار ، فوجد الجبار . ويوسف خرج للنزهة فوجد العبودية . وبلقيس خرجت للنظر فوجدت المعرفة . وطالوت خرج لطلب حمارة فوجد الملك .

وأنت يا محمدى إذا خرجت من الدنيا لطلب مولاك أفتراك لا تجده وقد خرجت لأجله ! كلا ، بل تجده ، ويذكرك ما اشتيت عينك ، ولذت نفسك . ألا تراه قال لموسى لما توجه لتلقاء مدين وجاع وعي ورغ رأسه فقال : أنا الغريب الفقير المريض - فأجابه : الغريب الذى ليس له مثل حبيب ، والفقير الذى ليس له مثل نصيب ، والمريض الذى ليس له مثل طبيب . فرضى بهذه الكلمات .

(فلا يصدك عنها ^(١)) : الضمير للساعة ؛ أى لا يصدك عن الإيمان بها والاستعداد لها . والخطاب لموسى . وقيل إتيينا ومولانا محمد ؛ وهو بعيد ؛ لأنه قد استمد لها . وقيل الضمير للصلاة ؛ وهو بعيد .

(فتزدى ^(٢)) ؛ أى تهلك . وهذا القمل منصوب فى جواب لا يصدك .

(فالتقاها فإذا هى حية ^(٣)) : لما ذكر موسى عليه السلام المنافع التى كانت فى عصاه بسؤال الله له أمره أن يلقاها ليرى فيها عجائب غير التى كانت فيها ، ويعلم أن الله يؤيده وينصره ويمزّه ، فالتقاها امثالاً لأمر ربه ، فقلب الله أوصافها وأعراضها ، فصارت حية تسمى ؛ أى تنتقل من مكان إلى مكان . والحية اسم جنس يقع على الذكر والأنثى ، والصغير والكبير .

وقد قدمنا أن الله سمّاها بأسماء مختلفة : بالحية ، والثعبان ، والجنان ؛ فأراد بالحية أول أمرها صغيرة رقيقة ، ثم تزايد وتصير كالثعبان فى سرعة حركة الجان .

وقيل : كان لها عُرْف كعُرف القرس ، وكان بين خَلْيَيْهَا أربعون ذراعاً .
قال ابن عباس : انقلبَت ثعباناً ذكراً يتلعُّ الحجرَ والشجرَ ، لها كلامٌ كالرعدِ
القاصف . فلما رآها موسى كذلك خاف . وقد قدمنا أن خوفه إنما كان من أجل
علمه أنها كانت من الشجرة التي أكل منها آدم . وقيل : لأنها كانت معجزة
بالخوف منها ، فخاف منها كلُّ أحد . فقال الله له : يا موسى ، اذهب بها
إلى فرعون ، وخُذْهَا ، وَلَا تَخَفْ ؛ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى .

وموسى أَمَنَهُ اللهُ من أربع مخاوف : من إلقاء العصا ، وفرعون ، وقومه ،
ومن قتل القبطى ؛ فَأَمَنَهُ اللهُ مِنْهَا جَمِيعاً .

وأنت يا محمدى إذا رجعتَ إليه أقرأه لا يُنجيك من غمِّ الدنيا ، وعند
النُّزْعِ ، وفي القبر ، وفي [٢٣٣ ب] أهوال النيامة . وقد قال لك : إن الله
مع المؤمنين . إن الله مع الصابرين . إن الله مع الذين اتَّقَوْا . إن الله
لَمَعَ الْحَسَنِينَ .

موسى كانت في يمينه العصا ، فضرب البحر بها فانشق حتى جاوزَه
هو وقومه ، والمؤمن الذى يده كتابُ رَبِّهِ أترأه لا يضرب به بحرَ الموت
فيتنلق له ، ويقول له : كن على رحمة فتزع روحه نوماً برفق كالقطر من الصفا ،
كما صح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال الملك الموت : أرفق بأمتى . فقال له :
أبشر ، فإنى بكل مؤمن رفيق .

(فاقذفه في اليم^(١)) : اليم : هو البحر ، وأمر الله في هذه الآية لَأُمَّ موسى
أن ترميه في بحر النيل ؛ لأن فرعون لما ذكر له أن هلاكه على يده .

من بنى إسرائيل أمر بذبح كل ذكر يولد لهم ، فألقته في تابوت ، وألقت التابوت في البحر ، وكان فرعون في موضع يُشرف على النيل ، فلما رأى التابوت أمر به فيدق إليه ، وامرأته معه ، ففتحه فأشفقت عليه امرأته ، وطلبت أن تتخذه ولداً ، لأنها لم يكن لها ولد ، فأباح لها ذلك ؛ فذلك قوله ^(١) : « وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مَنِي » . فهذه المحبة صنعت امرأة فرعون ، وكذلك صفورا نعت محبتها لموسى ، وزليخا ليوسف ، وخديجة لمحمد صلى الله عليه وسلم .

فالؤمن الذي يحب الله ومحبه الله أقترأ لا تنفعه محبته ، وهو يقول : يحبهم ويحبونه ، ولم تكن هذه المحبة إلا لأمة الحبيب ، لأنه كان حبيباً ، وحبيباً كحبيب حبيب ، ألا ترى آدم كان صفيّاً ، فلم يجد أحد من قومه الصفوة ، وإبراهيم كان خايلاً فلم يجد أحد من قومه الخلّة ، وهكذا سائر الأنبياء ، لكن من علامة المحبة أولها الإفلاس ، وآخرها الوسواس ، ومن قرأ منه دعاه بكثرة الإحسان حتى يستحي من الله ، فيرجع إليه .

(فتقول هل أدلكم على من يكفله ^(٢)) : يعنى أن فرعون لما أخذه من التابوت ، وأسلمه لأسية صارت ترضعه في المراضع ، فلم يقبل الثدي مَرْضَعَةً ، حتى شاع خبره ، فذهبت أخته إليهم ، وقالت ^(٣) : « هل أدلكم على من يكفله » .

(فرَدَّ نَاهُ إِلَى أُمِّهِ ^(٤)) : وهذا من مَنَنِ الله عليه لما قلت لهم : أنا أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون ، وحرَضْتُم بهذا الكلام قالوا لها : أنت تعرفين هذا الكلام ؟ قالت : لا ، غير أنى أعلم من هذا البيت الحرص على التقرب

(٢) طه : ١٠

(٣) طه : ١٠

(٤) طه : ٣٩

(٥) القصص : ١٣ ، وفيه (٤٠) : فرجناك إلى أمك .

إلى الملكة والجد في خدمتها ورضاها ، فتركوها وسألوها الدلالة ، فجاءت بأم موسى ، فلما أخذته القمّة ثديها ، فقرحت آسية لذلك ، وقالت لها : تكونين^(١) معي في القصر . فقالت لها : ما كنت لأدع بيتي وولدي - تعني هارون . ولكنه يكون عندي . فأحسنت آسية إليها غاية الإحسان ؛ واعتزّ بنسب إسرائيل بهذا الوليد الحميد ، فهذا معنى رجوعه إلى أمه ، وإقرار عيناها ، وذهاب الحزن عنها . وهذا كله من ثقتها بربها ، وتسليم الأمر إليه بعد امتثال أمره ؛ ولولا أن الله ربّط على قلبها بالصبر لكادت تبدي به ، لكن رجعت إلى ربها ، فجمع الله شملها به . ويعتقوب لما رجع في حفظ يوسف إلى أولاده وقولهم له : وإنا له لحافظون ، واطمأن إلى حفظهم ابتلاء الله بمفارقتهم . ولما زال عن حفظ إخوته ردّه الله إلى حفظه ، فظهر له العباد والبلاد ، وردّ عليه والده .

وأنت يا محمدى لو رجعت إلى الله وتوكلت عليه لحفظك في أملاك ومالك وولدك ، وجمع بينك وبين أحبتك يوم القيامة ، ولكك أسأت الأدب ، واطمأننت إلى الخلقين ، فكيف تطمع بنيل مرثوبك وقد أعرضت عنه ؟
فإن قلت : أى فرق بين^(٢) الرجوع في هذه الآية وفي آية القصص بالرد ؟ والجواب ما بمعنى واحد . ولما كان لفظ الرجوع ألطف خصّت به هذه الآية . وعبر في القصص بالرد لمناسبة قوله^(٣) : « إنا رادّوه إليك » .
(فَنَجِّنَاكَ مِنَ الْغَمِّ^(٤)) : لما خاف من قتل القبطى أمته الله بقوله^(٥) :
« لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ » .

(١) و ١ : تكونين . (٢) الرجوع في طه : ٤٠ ، والرد في القصص : ١٣ .
وانظر الهامش السابق ولم ٤ في الصفحة السابقة . (٣) القصص : ٢
(٤) طه : ٤٠ (٥) القصص : ٢٥

وكذلك المؤمن يخاف من غَمِّ القيامة ، فيسمع النداء : لا تخف [١٢٣٢] ؛
فالمراد به غيرك .

(فَتَنَّاكَ فَتُونًا ^(١)) ؛ أى اختبرناك اختباراً حتى ظهر منك أنك تصلح
للبوءة والرسالة . وقيل : خلصناك من محنة بعد محنة ؛ لأنه خلاصه من الذبح ،
ثم من اليم ، ثم من القصاص بالقتل .

والفتون يحتمل أن يكون مصدراً أو جمع فتنة .

(فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ^(١)) : يعنى الأعوام العشرة التى استأجره فيها
شعيب لرعى الأغنام ، فقال له شعيب فى العام الرابع : يا موسى ، كلما وُلدت
أنثى من الحملان فهى لك فى هذه السنة ، فكان موسى يُلقى عصاه فى الماء ،
ويسقى الأغنام منها ، فولدت كلها أنثى فى تلك السنة ، فقال شعيب عليه السلام
فى السنة العاشرة : كلما ولدت ذكوراً من الحملان فهى لك ؛ فولدت فى تلك السنة
كلها ذكوراً . فاجتمع له أغنام كثيرة ، فرجع مع أهله إلى مصر ؛ فَأَنَسَ
فى الطريق ناراً ، كما قال الله تعالى ، فلما دنا منه السكليم صار نوراً ، وكذلك نار
الخليل لما دنا منها الخليل صارت روضة ورحمة . وكذلك جب يوسف كان مملوماً
عزيرت وحيات ، فلما دنا منه الصديق صار رحمةً ، وكذلك البحر لما دنا منه
السكليم صار يبسا ، وكذلك القبر موضع الوحشة والديدان فإذا نام فيه الحبيب
صار عليه روضة من رياض الجنة . وكذلك يوم القيامة - يوم الحمرة والندامة -
فإذا قام فيه الحبيب يصير يوم العز والقربة ، والدنوة والرتبة . وكذلك النار موضع
الملامة فإذا دخل عليها الحبيب صار موضع إظهار الكرامة .

(فَأَنبِيَاءَ قَوْلًا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ^(١)) : ضمير الثانية يعود على موسى وهارون ، وضمير الإفراد على فرعون . يعنى أن الله أمرهما بالإتيان إليه ليُخبراه بالرجوع عما هو فيه ؛ ليأقرا في إخبارهما له بإقامة الحجبة عليه . وفى ضمن ذلك دعوة إلى الإيمان . والمراد بإرسال بنى إسرائيل معها لإخراجهم عن ملكه ، ومن دائرة حكمه . وفى ذلك تحقير لشأنه وإبطال ما ادَّعاه من السلطان .

فإن قلت : لم حذف من هذه الآية اسم فرعون وأثبتته فى الشراء ؟ والجواب أنه تقدم ذكره فى قوله : « اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ » . فلم تكن إعادة اسمه ظاهرا مع الاتصال والتقرب ؛ إذ لم يفصل بين ظاهره ومضمرة إلا كلمتان . أما آية^(٢) الشراء فوجه إظهاره أنه قد اجتمع فيها أمران : أحدهما : الفصل بين مضمرة الاسم وظاهره ، مع إتيان الظاهر مضافاً إليه فضله إلى ما ذكر من الفضل بوضع وعشرين كلمة .

والثانى : أمر موسى عليه السلام أولاً ، وإنما أورد ياتيانه قوم فرعون . قال تعالى^(٣) : « وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰ ... » الآية ؛ فقد يتوهم أن الجارى على هذا أن لو قبل عوض قوله : فَأَنبِيَاءَ فِرْعَوْنَ - فَأَنبِيَاءَ - إلا أنه لم يقصد ثانياً إلا ذكر متبوعه ، فلم يكن بدّ من الإفصاح باسمه غير مضمرة .

وأما قوله تعالى فى الأولى : قَوْلًا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ - بتثنية فقط « رسولاً » فولد على اللغة الشهيرة . وأما قوله فى الثانية : إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ - فعلى لغة مَنْ يقول رسول للواحد والاثنين والجماعة والمذكر والمؤنث ؛ فورد

(١) طه : ٤٧ (٢) هى قوله تعالى : فَأَنبِيَاءَ فِرْعَوْنَ قَوْلًا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ

(الشراء : ١٦) . (٣) الشراء : ١٠

الأول في الترتيب الثابت على اللغة الشهيرة ، والثاني على اللغة الأخرى ، على ما قد تقدم في مثل هذا .

وعكسُ الوارد مخالف للترتيب ، ولا يناسبه . وأما قوله : « إنا رسول ربك » بإضافة اسمه تعالى إلى ضمير الخطاب فإنه يناسب من حيث ما فيه من التلطف والرفق لما تقدمه من قوله تعالى ^(١) : « قَوْلًا لَهُ قَوْلًا لَيْنًا » . وقد تفسر هنا القول ، وتبين ما فيه من التلطف في قوله تعالى في آية النازعات ^(٢) : « قُلْ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى . وَأَهْدِيكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى » . وناسب هذا ما بُنيت عليه سورة طه من تأنيس نبينا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم ، وتأنيس موسى كليمه بقوله ^(٣) : « وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى » ، وما بعده إلى قوله : « قَدْ أُوتِيتَ [٢٣٢ ب] سُؤْلَكَ يَا مُوسَى » ؛ وما بعده . فلما كان مَبْنَى هذه السورة بحملتها على التلطف والتأنيس ناسب ذلك بما أمر موسى عليه السلام من دُعاء فرعون وأنه واطفه ، وأمر موسى عليه السلام وأخيه هارون بذلك ؛ فقبل لها ^(٤) : « قَوْلًا لَهُ قَوْلًا لَيْنًا » . وجرى على ذلك قوله : « إنا رسول ربك » ؛ فأشعرت هذه الإضافة بالتلطف الرباني .

ولما لم تكن سورة الشعراء مبنية على ما ذكر ؛ وإنما تضمنت تعنيف فرعون وملأه وإغراقهم ، وأخذ المكذبين للرسول بتكذيبهم ؛ وهذا في طرف من التلطف - وردَ فيها : « قَوْلًا إنا رسول رب العالمين » ، بإضافة اسمه تعالى إلى العالمين ؛ لتحصيل أنه مالك الكل ، وأنهم تحت قهره تعالى ، وفي قبضته ، وعدل عن الإضافة إلى ضمير الخطاب ؛ إذ لم يقصد هنا ما قدم من التلطف .

ونظير الوارد في هاتين الآيتين قوله تعالى^(١) : « ولو شاء ربك ما فعلوه » -
تأنيساً لنبينا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم ، ثم ورد فيما بعد^(٢) : « ولو شاء الله ما
فعلوه » . فتيف على ذلك ؛ وقد تبين جليل المظلم ، وهو التناسب ، ونأمل
أمرهما الله هنا بالإخبار بهما رسولاً ربّه ، وأمرهما في آية أخرى بالتلطف له
في الموعظة ؛ لأنه أعون على قبول النصيح ، وإيقاظ الدعوة ، وإمالة القلوب
إلى ما تدعى إليه ؛ وهذا كله قوله تعالى^(٣) : « ادعُ إلى سبيل ربك بالحكمة
والموعظة الحسنة » .

واختلف في معنى القول اللين ؛ فقيل : عِدَاءُ شباباً لا يهرم بعده ،
وملكاً لا ينزع منه إلا بالموت ، وأن تبقى له لذة الطعم والمشرب والمنكح
إلى حين موته .

وقيل : لا تواجهاه بما يكره ؛ فإن في ذلك تنفيراً له ؛ أو لما له من حق التربية
لموسى ؛ فقد روى أن الله عز وجل قل : كانت لفرعون على موسى حق التربية ،
فأردت أن أكافئه بقولي : « فتولا قولاً لينا » . وقيل كنياء ، وكان له ثلاث كنى :
أبو العباس ، وأبو الوليد ، وأبو مرة .

وقد روى أن إبليس أتى إليه ودق عليه الباب ، فقال : من ؟ فقال له إبليس :
من ادعى الربوبية يعرف من أنا ؟ فقال له فرعون : هل علمت من هو شر منّا^(٤) ؟
قال إبليس : من باع آخرته بدننيا غيره .

فانظر هذا اللطف العظيم مع من ادعى الربوبية ، فكيف بمن أقر له بالعبودية
وعبدته مدة مديدة ، أترأه لا يعامله بما تدهش له النفوس من العيشة الهينة ؟

(٣) النحل : ١٢٥

(٢) الأنعام : ١٣٧

(١) الأنعام : ١١٢

(٤) في هامش ب : منى .

(فَمَنْ رُبُّكُمْ يَا مُوسَى^(١)) : خطاب لها ، مع أن موسى الأصل في النبوة وهارون تابع له .

(فُتُحِّتْكُمْ^(٢)) : معناه يهلككم . وقيل سحت وأسحت ، وقد قرئ بفتح الياء وضمتها . والمعنى متفق .

(فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ^(٣)) ؛ أى اعزموا واشذوه . وهذا من قول موسى على وجه الإسراع في مقصودهم لئلمه بباطلهم .

(فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ^(٤)) : يعنى بعد كمال الأربعين يوماً التى كلمه الله فيها فى قوله : « وواعدنا موسى ثلاثين ليلة » ؛ فتناول منها ورقة زيتون ، فأمر بعشرة أخرى ، فانظر بالله ورقة زيتون منعت متناولها عن المراد ، فكيف تنال مرادك مع تناول شهواتك ، وخصوصاً إن كانت من ظلم للعباد .

(فَلَا يُخْرِجَنَّكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى^(٥)) ؛ أى فى طاعتك لإبليس ، فاجعل للسبب مع السبب .

فإن قلت : لم خص آدم بالشقاء والنوبة فى قوله : فتاب عليه وهدي ، وحواء كانت المنسية ؟

فالجواب : أن آدم كان نيتاً وحواء كانت من جملة الأولياء الذى يجب أن يكون^(٦) مأمون العاقبة ، ومن شرط الولاية كثرة الحزن والخوف إلى آخر الزمان .

وخص آدم بالخطأ ؛ لأنه كان المخاطب أولاً والمقصود بالكلام ، وأضاف

(١) طه : ٤٩	(٢) طه : ٦١	(٣) طه : ٦٤
(٤) طه : ٨٦	(٥) طه : ١١٢	(٦) هذا فى الأصول .

الإخراج إلى إبليس والإنزال إلى نفسه بقوله ^(١) : « اسكن أنت وزوجك الجنة » ؛ لأن المضيف إذا كان كريماً لا يُخرج ضيفه من ضيافته ، فلما خرج قال له : يا آدم ، أسكنتك في جوار العدو لتعصيه فيها ، وتطيعني ، فأقول هذا بذاك ، والمحبة بيننا باقية ، كذلك يوم القيامة يقول : عبدى أنصتُ عليك برضاك ، وأطعنى برضائى ، وعصيتنى مخالفاً لأمرى ، دع الطاعة فى مقابلة النعمة ، والزلة فى مقابلة البلية ، والمعرفة بيننا باقية .

(فإِذَا يَأْتِيَنَّكُمْ [٢٢٣] مَنِ هَدَى ^(٢)) : إن الشرطية دخلت عليها ما الزائدة وجوابها .

(فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشَقُّ ^(٣)) : أى لا يضل فى الدنيا ، ولا يشق فى الآخرة .

(فَلَا تَسْتَعْجِلُونَ ^(٤)) : أى لا تستعجلون العذاب .

وقيل المراد هنا آدم ؛ لأنه لما وصل الروح إلى صدره أراد أن يقوم ، وهذا ضعیف .

(نَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ ^(٥) هذا) : ضمير القمل للصم ؛ وذلك أنهم لما سأله عن كسر الأصنام قال لهم هذا القول ، ومقصودُه بذلك تبكيتهُم لإقامة الطاعة عليهم ، كأنه يقول : إن كان إلهاً فهو قادر على أن يفعل ، وإن لم يقدر فليس بإله ، ولم يقصد الحقيقة المحضة .

فإن قلت : قد ورد فى الحديث : إن إبراهيم كذب ثلاث كذبات ؛ إحداها هذه .

(٢) طه : ١٢٣

(٤) الأنبياء : ٦٣

(١) البقرة : ٣٥ ، الأعراف : ١٩

(٣) الأنبياء : ٣٧

والجواب : أن معناها قال قولاً ظاهراً الكذب ، وإن كان القصد به معنى آخر . ويدلُّ على ذلك قوله ^(١) : « قَالُوا لَهُمْ إِنْ كَانُوا يُنْطِقُونَ » . وهذا التأويل أولى ؛ لأن نفي الكذب يعارضُ الحديث ؛ والكذبُ الصراح لا يجوز على الأنبياء عند أهل التحقيق . وأما المعارض فهي جائزة ، وعلى تقدير جواز الكذب فإنما جاز له ذلك ؛ لأنه فعله من أجل الله .

(قَهْمُنَا مَا سَلَيَان ^(٢)) : الضمير يعود على القضية المذكورة قبل هذا في الرجلين .

(فهِلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ ^(٣)) : لفظه استفهام ، ومعناه استدعاء إلى الشكر .

(فَتَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا ^(٤)) : عبارة عما ألقاه الحق سبحانه من أسرار آثار أسماء الأفعال ، وسرى إليها من ذلك السر ، فتكوّن الولدُ في رحمها ؛ وذلك الإلقاء إما بواسطة الملك المعبر عنه بالروح أو دونه ؛ وإضافة الروح إلى ضميره تعالى إضافة الملك إلى المالك . وقد كثرت الأقاويل في الروح ، حتى أنهاه بعضهم إلى أربعمائة قول ، ولا يعلم حقيقة إلا الله ، كما قال : مِنْ أَمْرِ رَبِّي ، أى من عجائب ربي . وقيل : من حلم ربي . وقيل الروح آدم ، ونفخنا فيه من روحى . وقيل جبريل ، وأيدناه بروح القدس . وقيل الروح : الخلق العظيم الذى فى عالم العزة يأمر بما يأمره الله به جميع الملائكة ، وهو خلق عظيم أعظم العوالم يستبح كل يوم اثنى عشر ألف تسبيحة ، يخلق الله من كل تسبيحة ملكاً يحى ^(٥) يوم القيامة صفواً واحداً ، نذلك قوله ^(٦) : « يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا » .

(٣) الأنبياء : ٨٠

(١) النبأ : ٣٨

(٢) الأنبياء : ٧٩

(٥) أى هذا الخلق .

(١) الأنبياء : ٦٣

(٤) الأنبياء : ٩١

فإن قالت : لم أنت الضمير هنا وذكره في التحريم ، مع أن القصة واحدة ؟
والجواب أنه لما كان المقصود في سورة « اقتربت »^(١) ذكرها وما يؤول إليه
أمرها حتى ظهر ابنها وصدرت هي وابنها آية ، وذلك لا يكون إلا بالتفخ في جهاتها
خُصَّت بالتأنيث ، وما في التحريم^(٢) مقصور على ذكر إحصائها وتصديقها
بكلمات ربها ، وكان التفخ في جميعها وهو مذكور ، فلذا قل : « فيه » .

وأيضاً فهنا أنت بعد ذكر جملة من الأنبياء والرسل بخصائص عليّة ، وآيات
نبوية ناسب ذلك ذكر مريم وابنها بما مُنحَا . وأما آية التحريم فتقصود فيها ذكر
عظمتين عظيمتين تبين بهما حكم السببية بالإيمان أو الكفر ، وهما قضية امرأتى نوح
ولوط ، وإن انضواهما إلى هذين النبيين الكريمين انضوا الزوجية
التي لا أقرب منها ، ومع ذلك لم يُفنيا عنهما من الله شيئاً ، وقضية امرأة فرعون
وقد انضوت إلى الكافر لم يضرها كفره ، ثم ذكرت مريم عليها السلام لا النقاء
في الاختصاص وسبقية السعادة ، ولم يدع داع إلى ذكر ابنها ، فلا وجه
لذكره هنا .

(الفَرْعُ لَا تُكْبَرُ^(٣)) : فيه أقويل ، قيل التفخ في الصور . «^(٤) فَمَزَعَ
مَنْ فِي السَّمَوَاتِ » . وقيل : هو صوت القطيمة ، وهو قوله لأهل النار^(٥) :
« اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُون » . «^(٦) فَإِنْ يَصْبرُوا قَالْنَا مَتَوَيَّ لَهُمْ » . وقيل
يوم ذبح^(٧) الموت بين الجنة والنار . وقيل يوم يسمعون : «^(٨) وَاُمْتَازُوا الْيَوْمَ
أَيْهَا الْمُجْرِمُونَ » . وقيل يوم أمر الله آدم ابث من فديتك بئث النار من كل

(١) هذا بالأصول ، مع أن الآية في الأنبياء كما تقدم .

(٢) في قوله تعالى : فتفخنا فيه من روحنا (التحريم : ١٢)

(٣) الأنبياء : ١٠٣ (٤) النمل : ٨٧ (٥) المؤمنون : ١٠٨

(٦) صلت : ٢٤ (٧) والقرطبي : ١١ - ٣١٦ (٨) يس : ٥٩

ألف تسعمائة وتسعون إلى النار ، وواحد إلى الجنة . وقد سمي الله في كتابه ثلاثة أشياء أكبر : هذا ، ^(١) « وأذكر الله أكبر » . ^(٢) « ورضوان من الله أكبر » .

(فاعبدون ^(٣)) : خُصَّت هذه الآية بالعبادة ، لأنه لم يرد في سورتها ذكر لفظ التقوى في أمر ولا خير من أولها إلى آخرها ؛ بل ورد فيها الأمر بالعبادة [٢٣٣ ب] في قوله ^(٤) : « وما أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ » . بخلاف سورة المؤمنين ؛ فإنه تكرر فيها ذكر التقوى في ثلاثة مواضع : في قصة نوح ^(٥) : « أَفَلَا تَتَّقُونَ » . ^(٦) « أَفَلَا تَتَّقُونَ » . ^(٧) « فَرُوعِيَ فِي الْأُولَى مَا تَقَدَّمُهَا ، وَنُوسِبَ بِالثَّانِيَةِ مَا اكْتَفَى ؛ وَأَيْضًا فَإِنَّ الْعِبَادَةَ ^(٨) ... بِهَا لِيَحْصَلَ لَهُمْ ^(٩) الْإِتْقَاءُ ، فَهِيَ مُقَدِّمَةٌ فِي الطَّلَبِ لِتَحْصُلَ مَا يَنْسَبُ عَنْهَا إِذَا كَانَتْ الْإِجَابَةُ . وَعَلَى ذَلِكَ وَرَدَ دَعَاءُ الْخَلْقِ ، قَالَ تَعَالَى : يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ ؛ فَلَا تَتَّصِفُ بِالتَّقْوَى ثَانٍ عَنِ الْإِتْقَانِ بِالْعِبَادَةِ ؛ فَقِيلَ فِي الْأَنْبِيَاءِ : فَاعْبُدُونِ . وَفِي الثَّالِثَةِ ^(١٠) : فَاتَّقُونَ ، عَلَى مَفْتَحِ التَّرْتِيبِ .

(فَتَقَطَّعُوا أَمْرَكُمْ بَيْنَهُمْ ^(١١)) ؛ أَيْ اخْتَلَفُوا فِيهِ ، وَهُوَ اسْتِمَارَةٌ مِنْ جَلِّ الشَّيْءِ قِطْعًا ، وَالضَّمِيرُ لِلْمَخَاطِبِينَ ؛ وَالْأَصْلُ تَقَطَّعْتُمْ أَمْرَكُمْ بَيْنَكُمْ ، إِلَّا أَنَّ الْكَلَامَ صُرِفَ إِلَى الْغَيْبَةِ عَلَى طَرِيقِ الْإِلْفَاتِ ؛ كَأَنَّهُ يَنْمَقِ عَلَيْهِمْ مَا أُسْدَوْهُ إِلَى آخَرِينَ ، وَيَقْبَحُ عِنْدَهُمْ فِعْلُهُمْ ، وَيَقُولُ لَمْ : إِلَّا تَرَوْنَ إِلَى عَظِيمِ مَا ارْتَكَبَ هَؤُلَاءُ فِي دِينِ اللَّهِ ، وَإِنْ اخْتَلَفُوا فِي الدِّينِ فَرَجِعْهُمْ إِلَيْنَا وَحْسَابُهُمْ عَلَيْنَا .

(١) النشكوت : ٤٥	(٢) التوبة : ٧٢	(٣) الأنبياء : ٩٢
(٤) الأنبياء : ٢٥	(٥) المؤمنون : ٢٣	(٦) المؤمنون : ٣٢ ، ٥٢
(٧) يانص بالأصل نحو كلمة .	(٨) شطبت في الأصلين :	
(٩) المؤمنون : ٥٢	(١٠) المؤمنون : ٥٣	

فإن قلت : ما فائدة عطف هذه الآية بالقاء وزيادة « زُبُرًا » ؟

والجواب أن زيادته تأكيد لاقتراحهم ، ونصب الحال الواردة بيانا وتأكيدا لقبح تفرقهم ، وتشنيع مِرَّتْ كَبِهِمْ ؛ فتاسب ذلك مقصود هذه الآية لما هنا من التخويف والإنذار ، ولم يكن ليناسب آية الأنبياء^(١) ؛ ليناسبها على غيرها لما تقدمها من تأنيس نبينا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم ، وتمريفة بما منعه سبحانه متقدمي الرسل ، وما أعقبهم صبرهم على أمهم ؛ ولذلك عطفها بواو العطف ؛ كأنه يقول : نبهناهم على السؤال ، وأوضحنا لهم أمر من تقدمهم ، وعاقبة الاستجابة لمن تمسك بهدي انذار كورين ؛ وهم مع ذلك على عنادهم واقتراحهم ؛ وكأن الكلام وارد مورد التعجب من أمرهم ، ولم يشبه شدة الوعيد ؛ ليقى رجاؤه .

(فَلَاكَ^(٢)) : هو القطب الذي تدور عليه النجوم .

(فَجَّ عَمِيق^(٣)) ؛ أى طريق بعيد .

(فَكُلُوا مِنْهَا^(٤)) : ندب للأكل من الأضحية ، وهو من خصائص هذه الأمة الحمدية ، يأكلون صدقاتهم فيؤجرون عليها بخلاف من تقدم ؛ فسبحان من أنعم عليهم بنعم دنيا وأخرى ، جعلنا الله من أحبهم .

(فَاجْتَنِبُوا الرُّجُسَ مِنَ الْأَوْثَانِ^(٥)) : من لبيان الجنس ، كأنه قال الرجس الذى هو الأوثان ؛ والمراد النهى عن عبادتها ، أو عن الذبح تقربا لها كما كانت العرب تفعل .

(فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ^(٦)) ؛ أى فيبطله ، كقولك : نسخت الشمس الظل .

(٣) الحج : ٢٧

(٦) الحج : ٥٢

(٢) الأنبياء : ٣٣

(٥) الحج : ٣٠

(١) الأنبياء : ٩٣

(٤) الحج : ٢٨

(فلا يُنَازِعَنَّكَ في الأمر^(١)) ، أى في الدين والشريعة ، وضهير الفاعل للكفار . والمعنى أنهم لا ينبغي لهم منازعة النبي صلى الله عليه وسلم ، لأن الحق قد ظهر بحيث لا يَسَعُ النزاع فيه ، فجاء الفعل بلفظ النهي ، والمراد غير النهي . وقيل المعنى : لا تَنَازِعْهُمْ فَيُنَازِعُوكَ ، فحذف الأول لدلالة الثاني عليه . ويحتمل أن يكون نهياً لهم عن المازعة على ظاهر اللفظ .

(فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ^(٢)) : الظاهر أنها المكتوبة ، لا قرائنها مع الزكاة ؛ وإقامتها يأتيانها بالخضوع والحضور ، إذا ما كل مُصَلٍّ مقيم ، ولا يكتب للعبد من صلاته إلا ما عتق منها ، الصلاة طهرة القلوب ، واستفتاح لباب القيوب .

(فَاسْلُكْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ^(٣)) : لما صنع نوح السفينة ، وجعل الله علامة خروج الماء إفرة^(٤) التنور أمر جبريل أنواع الحيوان أن تأتيه فيضع يمينه على الذكّر ويساره على الأنثى .

وروى أن أول من دخل السفينة الذر ، وآخر من دخلها الحمار ، فتمسك الشيطان بذنبه ، فزجره نوح ، فلم يتبعث ، فقال له : ادخل ، ولو كان معك الشيطان . قال ابن عباس : زالت هذه الكلمة عن لسانه ، فدخل الشيطان حينئذ ، وكان في مؤخرة السفينة .

وروى أن نوحاً عليه السلام ومن في السفينة شمنن الزبل والمذرة فأوحى الله إليه أن امسح على ذنب القيل ، ففعل ، فخرج من القيل ، وقيل من أنه خنزير ، فسكنى نوحاً وأهله ذلك الأذى ، فيؤخذ من هذا أن نوع الخنزير لم يكن قبل ذلك .

(٣) المؤمنون : ٢٧

(٢) الحج : ٧٨

(١) الحج : ٦٧

(٤) هذا في الأصول . والآية : وفار التنور .

وروى أن القار آذى الناس في [١٢٤] السفينة بقرض حوائجهم ،
فأمر الله نوحاً أن يمسح على جيبه الأسد ، قتل ، فطس فخرجت منه هرة وهرة ،
فكفياهم القار .

وروى أيضاً أن القار خرج من أنف الخنزير ، وهذا كله ليس له مستند .

وروى أن إبليس لما دخل في السفينة طمع في إغواء أهلها ، فشكا نوح
إلى الله ، فأمره أن يحمل معه تابوت آدم في السفينة حتى ينظر إليه إبليس ،
فينوب حسرة ؛ ولذلك قال صلى الله عليه وسلم : الشدة بالقيد أهون من النظر
إلى الضد ؛ وإذا كانت مشاهدة العدو تمنع الاشتغال بالنفس وتمنع عن الطعام
والشراب ، فكيف لا تنوب أنت يا محمدى والحب في قلبك ، كما ذاب إبليس
حين نظر إلى عسده ؛ لو صدقت محبتك في صحبة معبودك لمنحك مشاهدته
عن الشهوات وطلب الفضول والتلذذ بالزلات ، ولا يقدر إبليس على وسوستك
وإغوائك في جميع الأوقات ؛ إلا ترى أنه لم يقدر على دخول السفينة إلا بإذن
صاحبه ، فكيف يدخل قلبك وفيه مولاك ؛ أما سمعته يقول (١) : « وإذا ذكرت
ربك في القرآن وحده ولوّا على أديبارم نفورا » . وفي الحديث : إن له صفتين :
وسواس ، وخناس ؛ فإذا خنس على ابن آدم وشمه ووجد فيه الغفلة وسوس ،
وإذا وجدته متيقظاً خنس ؛ فانظر بأي شيء تعمده ؛ إن عمرته بذكره سبحانه
والتمسك في عجايبه - طرداه عنك ، ووصلت إلى حضيرته ؛ ألا تراه سبحانه
أمر نوحاً بحمله معه الحيوان الذي لا معرفة له ، ولم يفرق بينه وبين محبوبه ؛
فكيف يذيق عبده المؤمن ألم فرقة بعد طول خدمته ، وقديم معرفته !

(١) الإسراء : ٤٦

كأنه سبحانه يقول : يا نوح ، احمل ما هو مفارق لك ، وهارب عنك ؛ لتري
أنخلق حسن خلقك ؛ فيستدلون بحسن خلقك على لطيف صنعي ؛ أنا لما ذكرني
للفنون الملازمون بيابي ، والخواص من عبادي - هديتهم ، وأنصت عليهم ؛
هذه معاملتي معهم في دار المحنة ، فكيف معاملتي معهم في دار النعمة ؟ إنك
أدخلت الخلائق في سفينتك ولك إليها حاجة ؛ فأى عجب لو أدخلت جميع
النساء في الجنة ولا حاجة لي فيها !

(قُبْدًا^(١)) : مصدر وُضِع موضع القبل ، بمعنى بَعْدُوا ؛ أى هلكوا ؛
والعامل فيه مضمحل لا يظهر .

(قَارَ التَّنُّورُ^(٢)) : يعنى بالماء ؛ ولما أخبرته امرأته بوجود الماء فيه ركب
هو وأهله السفينة ، وكان هذا التَّنُّور لآدم ، فخلص إلى نوح . واختلف في موضعه ؛
والصحيح أنه كان في مسجد الكوفة ، وقيل بدمشق .

(فَكَانَ مِنَ الْمُرْقِقِينَ^(٣)) : الضير يسود على ابن نوح ؛ لما لم يسمع
قول آية أغرقه الله بيوله ؛ وذلك أنه اتخذ قارورة وأدخل فيها نكهة لظنه أنه ينجى ،
فأظهر الله موج القدرة ، وحال بينه وبين وفده ؛ وكذلك الكافر في خروجه
من الدنيا يظهر له موج الشقاوة ، فيحول بينه وبين ما يشتهي من قبول النذر
والإقرار بالوحدانية ؛ كما قال تعالى^(٤) : « وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ » ؛
كذلك العبد العاصي يدعو ربه بالندامة ، فيظهر له موج الرحمة ؛ فيحول
بين معرفته ومحصلته ، وتبقى معرفته ؛ وذلك قوله تعالى^(٥) : « يَحُولُ بَيْنَ
الرَّءِ وَقَلْبِهِ » .

وفي الخبر أن نوحاً قال : يا رب ، أنت وعدتني بنجاة أهل وإن ابني من أهل ؛ فأوحى الله إليه : إنه ليس من أهلك الذين وعدتك بنجاتهم ، وقد واثقتك في دعائك على الكفار ؛ أفلا تواقني أنت في واحد هو ابنك بعد أن قلت لك : إنه ليس من أهلك ! كأنه سبحانه يقول : عبي ، أسلمت إليك الدنيا بأسرها عاجلاً ، والعقبى آجلاً موافقة لسؤالك وإجابة لدعائك ؛ أفلا تسلم لي واحداً من أعضائك ، وهو القلب ؛ فأكون لك نعم الرب !

(فلا أنساب بينهم ^(١)) ؛ يعني في الآخرة ؛ لأن كل واحد منهم مشغول بنفسه ، وكل منهم يفر من أبناء جنسه ، مخافة أن يتعلق بشخصه ؛ قال تعالى ^(٢) : « يوم يفر المرء من أخيه ... » الآية .

(فرضناها ^(٣)) ؛ أي فرضنا الأحكام التي فيها . وقرئ . بالنشديد مبالغة .

(فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ^(٤)) ؛ ليس على عمومه ، يخص منه المحسن والمحسنات والمبد والأمة ، وصِفَتُهُ عند الشافعي أن يفرق على جميع الأعضاء والمجلود قائم . وعند مالك في الظهر والمجلود جالس ، وتُسَر [٢٣٤ ب] المرأة بثوب لا يقيها الضرباً ، ويجرد الرجل عند مالك ، وقال ^(٥) ... يجلد على قبض ويؤخر المريض والحامل للبرء .

واختلاف هل يجوز أن يجمع مائة سوط ويضرب بها ضربة واحدة؟ وأجازه الشافعي للمريض ؛ لورود ذلك في الحديث ؛ ومنه مالك ؛ وأجازه أبو حنيفة لما في قصة أيوب .

(١) المؤمنون : ١٠١ (٢) عبس : ٣٤ (٣) النور : ١
(٤) النور : (٥) ياتن بالأصول نحو كلمة .

فإن قلت : ما الحكمة في سقوط الحد عن المريض ؟

فالجواب إن المقصود به التأديب لا القتل ؛ ولذلك أمر بالتخفيف عنه في الحر الشديد والبرد الشديد . كذلك العاصي من هذه الأمة إذا دخل النار يقول الله لمالك : لا تقربني إلى النار العظمى ، ولا تعذبني عذاب الكفرة ؛ لأن القصد في إدخاله التأديب لا التعذيب ؛ هذا حد العاصي في الدنيا ، وهذا حد الجنان في القبر .

(شهادة أحدهم أربع شهادات ^(١)) : بالنصب على انصدورية ، والعامل فيه شهادة أحدهم . وقرئ بالرفع ، وهو خبر « شهادة أحدهم » . وقوله : « بالله » ، وإياه لمن الصادقين - من صلة أربع شهادات ، أو من صلة : « شهادة أحدهم » ؛ أي يقول الزوج أربع مرات : أشهد بالله ، لقد رأيت هذه المرأة تزني ، أو أشهد بالله ما هذا الحل مني ، ولقد زنت ، وإني لمن الصادقين ؛ ثم يقول في الخامسة : لعنة الله علي إن كنت من الكاذبين .

(فارهين ^(٢)) ؛ بآلف وعدمها ، منصوب على الحال من المفعول في « تَنَحَّيْتُون » ؛ وهو مشتق من القَرَاهَة ، وهي التشايط والكيس . وقيل : أشيرين بطرين .

(فأصبحوا نادمين ^(٣)) : الضمير يعود على قوم صالح ؛ لما تبورت أموالهم كما ذكرناه - ندموا .

فإن قلت : ما بالهم لم ينفعهم الندم كقوم يونس ؟

والجواب أن ندمهم إنما كان على عدم قتلهم لولد الناقة ، ولم يندموا على قتلها ،

وكذلك ندم قاييل ؛ قدم على كونه عجز عن إخفاء أخيه لا على قتله ؛ فذلك لم ينفعهما الندم ، بخلاف قوم يونس فندمهم كان حقيقة ، وآمنوا فتنفهم لإيمانهم ؛ وهذه الأمة الحمديّة ينفعهم الندم للحديث : الندم توبة . وفي الحديث : إن الحفلة تصد بكل العبد يقابلونه بالروح المحفوظ ، فلا يحذون ما كتبوا فيمخلجوا ، وإذا النداء من قبل الله : وصلت ندامة قلبه قبل وصولكم إلى .

(فيث الله غراباً يبحث في الأرض ^(١)) : لما قتل قاييل أخاه ، وأريق دمه ، فاجتمع النُور عليه ، فتعبر قاييل في دفته ، فأخذ يدور في الأرض ، فكل قطرة وقعت من دم هايل عليها صارت سبيغة ، فيث الله غرابين يقتلان ؛ فقتل أحدهما الآخر ، ثم بحث الأرض بمنقاره ودفنه ، فافتدى به قاييل ؛ فذلك قوله تعالى ^(٢) : « ألم نجعل الأرض كفاتاً ^(٣) . أحياء وأمواتاً » ؛ والحكمة في بحث الغراب لاسوداده ، ولما كان القتل مستغرباً إذ لم يكن معهوداً قبل ذلك فاسب بحث الغراب إليه ؛ ولهذا اشتقوا من اسمه الغربة والاعتراب والغريب .

وروى أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « آمن الله على ابن آدم بلريح بعد الروح » ؛ ولولا ذلك ما دفن حبيب حبيباً ، وقاييل أول من يساق إلى النار ، وهو المراد بقوله ^(٤) : « ربنا أرينا اللذين أضلانا من الجن والإنس » ؛ وهما قاييل وإبليس .

وروى أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن يوم الثلاثاء ، فقال : يوم الدم ، فيه حاضت حواء ، وفيه قتل ابن آدم أخا . قال مقاتل : كانت

(١) المائدة : ٣١

(٢) الرسائل : ٢٥

(٣) الكافات : الموضع بكفت فيه القى ، أى يضم ويجمع ، والأرض كفات لنا .

(٤) فصلت : ١٩

السباع والطير تستأنس بآدم ، فلما قتل قايلاً هايل هربت منه الطير والوحش ، ومالت الأشجار ، وحضت القواكه ، وملحت المياه ، واغبرت الأرض .

وعن ابن أبي واقد عن ابن حبيب ؛ قال : بينما أنا عند أبي بكر الصديق إذاني بمراب ، فلما رآه بجناحيه حمد الله ، ثم قال : قال صلى الله عليه وسلم : " ما من صيد مصيد إلا ينقص من نسيجه ، ولا أنبت الله نابتة إلا وكل بها ملكاً يحصى نسيجها حتى يأتي به يوم القيامة ، ولا عضدت " (١) شجرة ، ولا قطعت إلا ينقص من نسيجه ، ولا دخل على امرئ مكروه إلا بذنب ، وما عفا الله أكثر .
يا غراب ، اعبد الله ، ثم خلى سبيله .

(فكيفهم ، وفاكهون) (٢) ؛ أى محبوبون ، كما يقال حذر وحاذر .
وفى الضمير : فاكهون : ناعمون ، وفكهمون : محبوبون ، وفاكهون أيضاً الذين عندهم فاكهة كثيرة . كما يقال : رجل لاين وتامر ؛ أى ذولبن وتمر كثير .
(فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ) (٣) ؛ أى أنزله عليك وأنبته [١٢٣٥] . وقيل : معناه أعطاك القرآن . والمعنى متقارب . وقيل : فرض أحكام القرآن ، فهو على حذف مضاف .

(فليث فيهم ألف سنة) (٤) : الضمير لنوح . والمعنى أنه بقى هذه المدة بعد بغيته . وروى أنه عُمِرَ بعد الطوفان ثلاثمائة سنة . وأكثر الصحابة على أنه قبل إدريس ، واسمه عبد الغفار .

وروى الطبراني ، عن أبي ذر . قال : قلت : يا رسول الله ، من أول الأنبياء ؟ قال : آدم . قلت : ثم من ؟ قال : نوح ؛ وبينهما عشرة قرون .

(٢) الدخان : ٢٧ ، يس : ٥٥

(٤) النكبات : ١٤

(١) عضدت : قطعت .

(٣) القصص : ٥٥

(فلزاجرات زجرا^(١)) : هي الملائكة تزجر السحاب وغيره . وقيل : الزاجرون من بنى آدم باللواعظ . وقيل : آيات القرآن المضمنة الزجر عن المعاصي .

(قاتلآيات ذكر^(٢)) : هي الملائكة تلو القرآن والذكر . وقيل : هم القائلون للقرآن ، والذكر من بنى آدم ، وهي كلها أشياء أقسم الله بها على أنه واحد .

(فنظر نظرة في النجوم . قال : إني سقيم^(٣)) : يعني أن قوم إبراهيم طلبوا منه أن يخرج معهم إلى عيد لهم ، وأراد الامتناع من ذلك ، فنظر في النجوم لأنهم كانوا منجمين ؛ وقال لهم : إني سقيم ؛ أي فيما يستقبل ؛ لأن كل إنسان لا بد له أن يمرض ؛ أو أراد أنه سقيم النفس من كفرهم وتكذيبهم له ؛ وهذا التأويل أولى . وقيل : إنه كانت تأخذه الحمى في وقت معلوم ، فنظر في وقت أخذها له ، واعتذر عن الخروج معهم لذلك . وقيل : نظر وفكر فيما يكون من أمره معهم ؛ لأنه أراد كسر أصنامهم ؛ قال : إني سقيم . والنجوم على هذا ما ينجم من حاله معهم ، وليست نجوم السماء ؛ وهذا بعيد .

(فاعظكم رب العالمين^(٤)) : المعنى أي شيء تظنون رب العالمين أن يعاقبكم وقد عبدتم غيره ؟ أو أي شيء تظنون أنه هو حق عبدتم غيره ؟ كما تقول : ما ظنك بفلان إذا قصدت تعذيبه ؛ فالمقصد على المعنى الأول تهديد ، وعلى الثاني تعظيم لله وتوبيخ لهم .

(فقولوا عنه مذبذبين . فرائغ إلى آلهتهم ، قال : ألا تأكلون^(٥)) :

(١) الصافات : ٢ (٢) الصافات : ٨٨ ، ٨٩ (٣) الصافات : ٨٧

(٤) الصافات : ٩٠ ، ٩١

لما قال لهم : إني سقيم - خافوا أن يكون طاعونا ، فخافوا منه ، وتباعدوا خوفاً من عدوهم ، قال إلى آلهتهم ، وقال هذا القول على وجه الاستهزاء بالذين يعبدونها ؛ وقد قدمنا فائدة إدخال التاء في هذه الآية .

(فجعلناهم الأسفلين^(١)) : يعنى قوم النمرود ؛ وذلك أنه قال له : يا إبراهيم ، إن كان ربك ملكاً فليجاري نبي بكركه ، وليأخذ الملك منى . فقال إبراهيم : إلهى ، إن نمرود ركب مع جنوده ، فأرسل إليه جنوداً من أضف خلقتك ، وهى البعوض ؛ لأنها إذا شبت تموت وسائر الحيوان إذا شبع يموت ؛ فأوحى الله إليه : يا إبراهيم ، لو لم تسأل جنود البعوض لأرسلت عليهم جنوداً ما لَوَّجت منه لم يكن مثل ما أهلكتهم به . قال تعالى^(٢) : « وما يعلم جنود ربك إلا هو » . فركب نمرود - لعنه الله - فى سبعمائة ألف فارس مقلع ومدرع ، وخرج إلى الخلاء يطلب المبارزة ، فأرسل الله جنود البعوض ، وقال لهم : جعلت اليوم رزقكم هذا الجند ، وقوى الله مناقرها ، فلم يحجبها الدروع والمخافير^(٣) حتى أكلت لحومهم ودماءهم ، ولم يبق منهم أحد غير نمرود ، فإنه هرب ورجع إلى بيته ، وأوحى الله إلى البعوض الموكل به أن يمهله حتى يرى ما صنع الله بجنده ؛ فلما دنا وقت عذابه جل يحوم حوله منخره ودخله بعد ثلاثة أيام تنسها لنمرود وإمهاله ، كأنه تعالى يقول : أمهلتك لحاصيك وكفرك ، لم نأخذك بنقطة ، فإن رجعت إلينا فى الثلاث فلك الأمان ، ومنا القبول والإحسان ، وإن لم ترجع فالعيب منك ؛ أما نحن فقد استعملنا فضلنا وكرمنا .

وهكذا عاوته سبحانه فى إمهال الكفرة وعدم أخذهم بنقطة ؛ فكيف بك

(١) الصافات : ٩٨ (٢) المدثر : ٢١

(٣) الثغر - كبر ، وبهاء ، وك - كتابة ؛ زرد من الدرع بلبس تحت اللقوة ، أو حلق يتنمى بها المتسلح ، وجهه منافر ومناكير .

يا محمدى إن رجئت إليه ! أترأه لا يقبلك ، وقد عاتب أنبياءه في عدم رحمتهم بالكفرة اللثام .

فإن قلت : قد عبر في آية الأنبياء^(١) بالأخسرين ، فهل هما بمعنى واحد ؟
والجواب أن الصفتين من السفالة غاية حال الكافرين ، ومن كان
من الأسفلين فقد خسر خسرانا مبيتا ، فلا تضاد بين الصفتين ؛ لأن [٢٣٥ ب]
القول لاحق في ذات المنفل وأخسر أن حقيقة في خارج عنه ، فالقول أبلغ ؛
فقدّم ما هو لاحق خارجي وأخذ ما لا يتعدى ذات المتصف به ، تكلّة وتقمّة ؛
إذ هو أبلغ على ما يجب وعلى ما قدمنا من رعى الترتيب ، والمنفل ضد الترقى .
وقيل : رُوى في الصفة مقابلة قولهم^(٢) : « ابنوا له بُذيانا » ؛ لأنه يفهم
منه إرادتهم علو أمرهم بفعالهم ذلك ، فتوبلوا بالعدوّ ، فجعلوا الأسفلين ،
وهو حسن .

(فأنهم يومئذ في العذاب مُشتركون^(٣)) : الضمير يعود على المتبعين
والأتباع ، واشتراكهم في العذاب حكم عدل ، إذ كلّ منهم مستحق ، ألا ترى
كيف وصفهم جميعا بأنهم مجرمون ؟

فإن قلت : هل يفهم من اشتراكهم في العذاب استواءهم فيه ؟
والجواب : لا استواء بينهم ؛ لأن الشركة في الشيء قد تقتضى تساوى الشركاء
في ذلك المشترك فيه وقد لا تقتضى . والفضل والمفضل وإن اشتركا في العذاب
فلفضل ضعفان ، لأنه ضلّ وأضلّ .

فإن قلت : قد قال الذين كفروا : «^(٤) إنا كلّ فيها » ، أى في النار ؟

فالجواب أنه إخبار عن التساوى فى المكان ، لا عن الواقع فيه ؛ لأنهم فى دركات متفاوتون .

وقد صحَّ أن سيدنا ومولانا محمداً صلى الله عليه وسلم سأل عن مكانها ، فقال :
الطبق السابع مأوى الناقين . والسادس مأوى من طغى وبنى وادّعى الربوبية .
والخامس مأوى الجبارين والظالمين . والرابع مأوى المتكبرين والكافرين .
والثالث مأوى اليهود . والثالث مأوى النصارى ؛ وسكت عن الأول ؛ فقال له :
أخبرنى عن الأول - وألحَّ عليه ؛ فقال : عصاة أمتك يا محمد ؛ فأغنى عليه ،
فلما أفاق بكى بكاءً شديداً ، وأغلق عليه الباب ، وصار يطلب فى أمتة ، فجاءه
جبريل وبشره بالشفاعة فيهم ؛ اللهم كما جعلته رحيمًا بنا لا تحرمنا من شفاعته ،
أقسم عليك بحماه عندك .

(فَبَشِّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ...)^(١) الآيات ، إلى قوله : (وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ) :
هذه البشارة انطلوت على ثلاثة أشياء : على أن الولد ذكر ، وأنه يبلغ أو أن الحلم ،
وأنه يكون حلماً .

قيل : ما نعت الله الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بأقل مما نعتهم بالحلم ؛
وذلك لمرّة وجوده . ولقد نعت الله به إبراهيم ، وأى حلم أعظم من حقه
لما عرض عليه أبوه الذّبح قال : ستجدنى إن شاء الله من الصابرين . والحادثة
شهدت بحلمها جميعاً . وفى هذا دليل على أن الإشارة بإسماعيل وهو الذّبيح ،
وأمر ذبحه كان بالحجاز بمنى ، وثم رمى إبراهيم الشيطان بالجمرات ؛ ولهذا قال
صلى الله عليه وسلم : أنا ابن الذّبيحين ، يعنى إسماعيل ، وعبد الله أباه الذى نذر

عبدُ المطلب لما حفر بئر زمزم أن يذبح أحد أولاده ، فخرج السهمُ على عبد الله ، فتمعه أخواله وقالوا له : أفدِ ابنك بمائة من الإبل ، ففداه بها ، ونحرها عن آخرها ، فقرأوا إلى الله ؛ فأخذ منها الناسُ ما يحتاجون والطير والسباعُ . قال علماء الإسلام ، ومن جرّى ^(١) هذه الواقعة كانت ديةُ الإبل عدد وصفه ، كما كان الكباش الذي فدى الله به إسماعيل مثالا لما وقعت به مشروعية الأضحية .

وروى أن إسماعيل أول من خط بالقلم . ورأيت في بعض التقايد أن أول من خط بالقلم من العرب هود عليه السلام وأن ^(٢) ... كان يكتب به ، فرأى في منامه من نهاء عن كتبه في الأحجار ، وأنه إنما خص الله به نبيًا يُبعث في آخر الزمان ، فينزل عليه كتابًا يُقرأ ويخط بهذا الخط العربي .

وعن الأصمعي قال : سألتُ عمرو بن العلاء عن الذبيح ؛ فقال : يا أصمعي ، أين عَزَب ^(٣) عنك عقلك ؟ ومتى كان إسحاق بمكة ؟ وإنما كان بها إسماعيل ، وهو الذي بنى البيت مع أبيه .

وذكر الطبري ، عن ابن عباس ، قال : الذبيح إسماعيل ؛ ونزعهم اليهود أنه إسحاق ، وكذبوا . وسأل عمر بن عبد العزيز يهوديًا كان أسلم وحسن إسلامه ، قال : الذبيح إسماعيل [١٢٢٦] واليهود يعلمون ذلك ، ولكنهم يحسدونكم معشر العرب أن تكون هذه القضية في أيديكم .

وفي رياض النفوس أن أمد بن القرات قال : كنت بالعراق زمن قراءتي على محمد بن الحسن ، فقلت له : اختلف الناس في الذبيح ؛ من هو ؟ وعندى أنه إسماعيل . قال : لِمَ ؟ قال : لأن الله يقول ^(٤) : « فَبَشِّرْ نَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ

(١) من جراك ومن جرائك : من أجلك . (٢) ياض في الأصول نحو كاهن .

(٤) هود : ٢١

(٣) عزب : غاب ووجد .

إسحاق يعقوب ، ، فكيف يُؤمر بذبح مَنْ قد أخبر أنه سيولد له ؟ ومن المعلوم أن الإخبار إنما يقع على مجهول العاقبة ؛ فتمن أن إسماعيل . قال الشيخ رحمه الله : هذا إن كان صحَّ الخبر قبل الأمر بالدبح .

فإن قلت : لِمَ وصف المبشر به هنا بالحلم ، وفي القاريات والحجر^(١) بالعلم ؟
فالجواب أنه وصفه هنا بالحلم لاقتياده لحكم ربه ، واستسلامه له ؛ ووصفه في غيرها بالعلم لكبره . وقيل : إن الحليم إسماعيل ، والحليم إسحاق . وعن محمد ابن كعب القرظي قال : كان مجتهدُ بني إسرائيل إذا دعا قال : اللهم إبراهيم وإسماعيل وإسرائيل . فقال : يا رب ، ما لجتهد بني إسرائيل يدعوا بهذا ، وأنا بين أظهرهم ؟ قد أسمعتني كلامك ، واصطفيتني برسالتك . قال : يا موسى ، لم يحبني أحد حبَّ إبراهيم قط ، ولا خُير بين شيء قط وبينى إلا اختارني . وأما إسماعيل فإنه جادٌ بنفسه ، وأما إسرائيل فإنه لم يأس^(٢) من روحى في شدة نزلات به قط .

فإن قلت : لِمَ كان الأمر بالدبح هنا ما دون اليقظة ؟

فالجواب : لتعلم أن النبوة اثنان : رسالة ، ورؤيا منام ؛ ولما كان إسماعيل أحبَّ إليه من كل شيء لم يُرد الله أن يواجهه خليله بما فيه كراهية له ، فأراه في المنام ؛ كأنه استعجب منه ، وهكذا عادته سبحانه مع أنبيائه وخيرته من خلقه ؛ ألا ترى رؤيا يوسف سجود إخوته وأبويه ، ورؤيا سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم دخول المسجد الحرام ، وما سواهما ؛ للدلالة على تقوية صدقهم ؛ وإذا تظاهرت الحالتان على الصدق كان ذلك أقوى دلالة من انفراد أحدهما .

(١) في القاريات آية (٢٨) : وبهروء بعلام عليم . وآية الحجر (٥٣) : إذا نبهتكم بعلام عليم . وفي آية الحجرات - تحريف . (٢) يأس

فإن قلت : قد قال الله له : قد صدقت الرؤيا ، وإنما كان يصدقها لو صح منه الذبيح ، ولم يصح ؟

فالجواب أنه قد بذل وسعه فيما أمر به من بطّعه على شقّه ، وإمرار الشفرة على حلقه ، ولكن الله منحها من القطع ، ليعلم أن القطع لله لا لسكين ، وهذا لا يتدح في فعل إبراهيم ، فلا يسى عاصيا ولا مفرطا .

فإن قلت : الله تعالى هو المعتدى منه ، لأنه الأمر بالذبيح ، فكيف يكون قاديا حتى قل : « وقدّيناه » ؟

والجواب القادى هو إبراهيم عليه السلام ، والله عز وجل وهب له الكبرياء ليعتدى به ، وإنما قل : وقدّيناه - إسنادا لفداء إلى السبب الذى هو الممكن من الفداء بهبته .

فإن قلت : لم شاوره في أمرٍ هو ختم من الله ؟

فالجواب أنه لم يشاوره ليرجع إلى رأيه ، ولكن ليعلم ما عنده ، لأنه بشر بالحلم ، وأيضا ليوطن الولد قلبه على الصبر ، ويحتسب ؛ فجاوبه عليه السلام بأحسن جواب ؛ ألا تراه قال له : يا أبت ، خذ بناصيتي ، واجلس على كتفى لكلا أوزيك إذا أصابني حرٌّ^(١) الحديد . ففعل إبراهيم ، فلما أمر السكين على حلقه انقلبت السكين ؛ فاعترمة تغير وجهه رفيع عنه الذبيح ؛ فالتو من القى عفر وجهه في التراب منين عديلة أتراه يحرقه بالنار ؟

ولما سأل إبراهيم الولد الصالح وبشر به أمر بذبحه ؛ ليعلم أن هذا الولد هو الذى طلبه ؛ وكذلك سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم سأل الله تعالى صلاح أمته

في وقت وفاته ، وطلب منه هو الخليفة بعده عليهم ، فأجاب الله دعاءه ، وأراه سؤاله فيهم : إسماعيل استسلم لقضاء ربه ، ومن عادة الصبيان الجزع من الألم ، ومن طبع الحديد القطع ، فلما صبر وغير عادته لأجل الله غير طبع الحديد لأجله ، ولم يقطع ، كذلك حال المؤمن مع الله ، إذا صبر واستسلم لقضاء غير الله طبع الموائد عليه وأثابه الحسنى .

وقيل : إنه لما صرع لذبح كشف الله له من الجنة حتى يسهل عليه [٢٣٦ب] اللقاء مع ربه ، وكذلك المؤمن في حالة الموت يكشف الله له على ما أعد له من النعيم ، فيسهل عليه خروج رُوحه . قال صلى الله عليه وسلم : لا يدخل أحد الجنة إلا رأى مقعده من النار لو أساء ليزداد شُكراً ، ولا يدخل أحد النار إلا رأى مقعده من الجنة لو أحسن ليكون عليه حَسرة^١ .

قيل : لما أوتى إبراهيم بالكبش يذاه مشدودتان إلى قرنه ، لأن إسماعيل قال له : اطلق لي رجلاً واحدة لتعلم الملائكة أي فلت ذلك عن رضا مني وطيب نفسي ، وأني لم أجزع ، فأوتى بالكبش كذلك .

وأنت يا محمدى لو وثقت ربك فيما أمرك به لرأيت العجائب من لطفه في موافقة جميع المخلوقات لك ، لكنك خالفت فاختلقت عليك الأمور ، ولتلك قال بعضهم : إني لأعلم حالى مع ربي حتى في غلامي ودابتي .

ومرَّ ابنُ الميَّارِك بفرسٍ يُباعُ بأبْحَس ثمن ، فقال : ما بال هذا ؟ قيل له : به عيوبٌ كثيرة ، من حَرْن^(١) ورَكْض ، وذَعَارَة^(٢) ، فاشتراه وقال في أذنه :

(١) التل كنصر وكرم . والدابة الحرون : التي إذا اتند جربها وفت .

(٢) من القهر ، وهو الخوف ، ومنه المذمورة : الناقة المجنونة .

إني أنوب من جميع ما عصيتُ الله به ، قايك والمخالقة ، فذللتهُ الله له ، وصار
كأحسن ما كان ، كلُّ ذلك من طاعة الله ، وعدم المخالقة .

ولما فدى الله إسماعيل من الذبح دعا بدعوات منها : اللهم اغفر لكل من
وحدك ، ومن أصابته محنة - فذكر محنتي - ففرج عنه . وقال : يارب ،
حاجتي إليك أن تنفر لكل مؤمن ومؤمنة يذكرك فإني أسألك كما بردت النار
على خليلك إبراهيم ، وأنجيته من الذبح ، كذلك خلص المؤمنين من النار .

فانظر ما أعظم حرمتك عند ربك يا مؤمن ؛ اللاتسكة والأنبياء وجميع
المخلوقات يستغفرونك ، ورسولك صلى الله عليه وسلم يشفع فيك ؛ أقره يذكرك
بهذه الفضائل ؟ بل يذكرك من النار يهودي أو نصراني كما فدى إسماعيل
بالكباش الذي تقرب به هابيل ورباه في الجنة لإسماعيل .

فإن قلت : لم وصف القداء بال عظمة ؟

فالجواب : لكيلا يدخل في حد محدود ؛ إذا كان محدوداً لوجب
الافتداء به ؛ وكذلك سائر المسلمين . وكان فيه مشقة . وقيل : لأنه من عند الله .
وانظر كيف وصفه بال عظمة ، مع أنه وصف نفسه وكتابه والأجر بالعظيم ، والفوز
العظيم ، والذاب العظيم ، والظلم شريك عظيم ، والبهتان ، وكيد النساء عظيم ،
وزلزال الساعة شئ عظيم ، والعرش العظيم ؛ وقال : " أن تسيلوا ميلاً عظيماً " .
قد اتقى إثمًا عظيماً ، ونحسبونه شيئاً وهو عند الله عظيم .

وقيل : إن الله أمر إبراهيم بتطيق قرن القداء على الكعبة إشارة له أن علق
قلبك برشي ، ولا تلتفت لسوائ ؛ لأنني ربُّ الكل .

وأنت يا محمدى إذا علق قلبك بربك ، وأخفيت ما بينك وبينه ،

وَلَمْ تُطْلِعْ عَلَيْهِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِهِ ، أَفَتَرَاهُ لَا يَقْبَلُكَ ، وَقَدْ أَخْفَى لَكَ مَا لَا يَنْظُرُ
بِإِلَّاكَ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ ؟

فَإِنْ قُلْتَ : لَمْ يَقُلْ فِي هَذِهِ الْقِصَّةِ كَمَا قُلْتَ قَبْلَ : إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ؛
فَيَكُونُ ذِكْرُهُ تَفْخِيحًا لِأَمْرِهِ ؟

فَالْجَوَابُ أَنَّهُ تَقَدَّمَ فِي قِصَّةِ إِبْرَاهِيمَ نَفْسَهَا : إِنَّا كَذَلِكَ ؛ فَاسْتَفْنَى
عَنْ إِعَادَتِهَا .

(فَاتُوا بِكُتَابِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ^(١)) : عَجَزَ قَرِيبًا بِهَذَا الْخُطَابِ ؛
لَأَنَّهُمْ لَيْسَ لَهُمْ كِتَابٌ يَحْتَجُّونَ بِهِ ، وَكَذَلِكَ ^(٢) : فَاسْتَفْتَيْتَهُمْ ؛ أَيْ سَأَلَهُمْ
عَلَى وَجْهِ التَّحْقِيرِ وَالتَّوْبِيخِ عَمَّا زَعَمُوا مِنْ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ بَنَاتُ اللَّهِ .

(فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ . مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ ^(٣)) ؛ يَعْنِي بِمَا تَعْبُدُونَ
مِنَ الْأَصْنَامِ وَغَيْرِهَا . وَمَا تَعْبُدُونَ عَطْفٌ عَلَى الضَّمِيرِ فِي إِنْكُمْ ؛ وَيَجُوزُ أَنْ تَكُونَ
الْوَاوُ بِمَعْنَى مَعَ . وَمَعْنَى فَاتِنِينَ مُضِلِّينَ . وَالضَّمِيرُ فِي عَلَيْهِ يَعُودُ عَلَى مَا تَعْبُدُونَ ،
وَعَلَى سَبِيَّةٍ ؛ مَعْنَاهَا التَّعَابِلُ . وَ« مِنْ » ^(٤) مَفْعُولٌ بِفَاتِنِينَ . وَالْمَعْنَى إِنْكُمْ أَيُّهَا الْكَافِرُ
وَكُلُّ مَا تَعْبُدُونَهُ لَا تُضِلُّونَ أَحَدًا إِلَّا مَنْ قَضَى اللَّهُ أَنَّهُ يَصِلَى الْجَحِيمِ . وَقَالَ الزَّعْزُعِيُّ ^(٥) :
الضَّمِيرُ فِي « عَلَيْهِ » يَعُودُ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى .

(فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ ^(٦)) ؛ أَيْ إِلَى حُضُورِ آجَالِهِمْ . وَقِيلَ : حُضُورُ يَوْمِ
الْقِيَامَةِ . وَقِيلَ : حُضُورُ يَوْمِ بَدْرٍ ، وَهَذِهِ مُوَادَعَةٌ مَأْسُوخَةٌ بِالْقَتْلِ .

(١) الصافات : ١٥٧ (٢) الصافات : ١١ (٣) الصافات : ١٦١ ، ١٦٢

(٤) فِي قَوْلِهِ تَعَالَى فِي الْآيَةِ الَّتِي بَعْدَهَا : إِلَّا مَنْ هُوَ مَسَّالُ الْجَحِيمِ - آيَةُ ١٦٣ مِنْ «سُورَةِ

نَفْسِهَا» . (٥) فِي الْكِتَابِ : ٢ - ٢٧٢ (٦) الصافات : ١٧٤

(فسوف يبصرون^(١)) : وعدٌ للنبي صلى الله عليه وسلم ووَعِيدٌ لهم .

فإن قلت : ما فائدة تكرير هذه الآية ؟ ولم حُذِفَ [١٢٣٧] في الثانية المفعول^(٢) ؟

فالجواب : من وجهين : أحدهما أنه اكتفى بذكره أولاً عن ذكره ثانياً ، فعذفه اختصاراً . والآخر أنه حذفه ليفيد الصوم فيمن تقدم وغيرهم ، كأنه قال : أبصر جميع الكفار ، بخلاف الأول ، فإنه في قريش خاصة .

(فإذا نزل بساحتهم فساء صباحُ المنتذرين^(٣)) : الساحة : القنأ حول الدار ؛ والعرب تستعمل هذه اللفظة^(٤) فيما يردُّ على الإنسان من محذور . وسواء الصباح مستعمل في ورود الغارة والريازيا ؛ ومقصودُ الآية التهديد بعذابٍ يحلُّ بهم بعد أن أُنذروا فلم ينفعهم الإنذار ؛ وذلك تمثيل بقوم أُنذروهم ناصح بأنَّ جيشاً يحلُّ بهم ، فلم يقبلوا نصحه ، حتى فاجأهم الجيش فأهلكهم .

وفي صحيح البخاري أنه صلى الله عليه وسلم صعد على الصفا ، ونادى بأعلى صوته : يا صباحاء ! فزعَّت إليه قريش ، فقال : ما تقولون ، لو أُنذرتكم خيلاً تُصَبِّحكم أو مصدقاً أتم ؟ فقالوا : نعم . فقال لهم : إني نذيرٌ لكم بين يدي عذابٍ شديد ؛ ثم أُنذروهم عموماً وخصوصاً ، فقال له أبو لهب : تباً لك ! ألهذا جئتنا ، فأنزل الله تعالى^(٥) : « تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ » .

(فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ^(٦)) : هذا تعجيز لم وتهكُم بهم . ومعنى يرتقوا

(١) الصافات : ١٧٩ (٢) الآية الأولى : وأبصرهم فسوف يبصرون : آية ١٧٥

والثانية : وأبصر فسوف يبصرون ، وهي هذه الآية . (٣) الصافات : ١٧٧

(٤) يريد قوله : ساء صباح ... (٥) الهب : ٩ (٦) س : ١٠

(م م - ٨ - في إيجاز القرآن)

يعطوا ، والأسباب هنا السلايم والطرق وشبه ذلك مما يُوصل به إلى العلو .
وقيل : هي أسباب السماء . والمعنى إن كان لهم ملك السموات والأرض فليصعدوا
إلى العرش ويدبروا الملك .

(فَوَاقٍ^(١)) : فيه ثلاثة أقوال : أحدها - رجوع ؛ أى لا يرجعون بعدها
إلى الدنيا ، وهو على هذا مشتق من الإفاقة . الثانى - ترداد ، أى هى واحدة
لا ثانى لها . الثالث - ما لها من تأخير ولا توقف مقسداً لفَوَاقٍ ناقة ،
وهو ما بين حَلَبَتَيْهَا ؛ وهذا القول إنما يجرى على قراءة فَوَاقٍ بالضم ؛ لأن فَوَاقٍ^(٢)
بالضم ، كذا فى الحديث ؛ والقولان الأول على الفتح ، والثانى على الغم .

(فَصَلَ الْخُطَابُ^(٣)) : هو فصل القضاء بين الناس بالحق عند ابن عباس ،
وعند على بن أبى طالب - هو إيجاب اليمين عليه والبيّنة على المدعى . وقيل كلمة
أما بعد ، فإنه أول مَنْ قالها . وقال الزمخشري^(٤) : منى فصل الخطاب : البين
من الكلام الذى يفهمه من يخاطب به ؛ وهذا هو الذى اختاره ابن عطية ، وجعله
من قوله^(٥) : « إِنْه لَقَوْلُ فَصَلٍّ » .

(فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ^(٦)) : هذا تهديد ومبالغة فى الخذلان والتخليّة
لهم على ما هم عليه .

(فَسَلَكَهُ يَنْابِيعَ فِي الْأَرْضِ^(٧)) ؛ أى أدخل المطر وأجراه . والينابيع :
جمع ينبوع ، وهو العين ؛ وفى الآية دليل على أن ماء المطر هو المخرج للعيون .

(١) ص : ١٥ (٢) فى القاموس : ويفتح . (٣) ص : ٢٠
(٤) الكشاف : ٢-٢٧٩ (٥) الطارق : ١٣ (٦) الزمر : ١٥
(٧) الزمر : ٢١

(فرطت في جنب الله ^(١)) ؛ أى في حق الله . وقيل في أمره ؛ وأصله من الجنب ، بمعنى الجانب ، ثم استعير لهذا المعنى . ومعناه اتقوا يوماً تقول فيه كل نفس : يا حسرتى على ما فرطت في جنب الله وإن كنت لمن الساخرين ؛ ندامة على استهزائه بأمر الله تعالى .

فإن قلت : لم نكرت النفس ^(٢) ؟

فالجواب أن المراد بها بعض الأنفس ، وهى نفس الكافر ؛ ويمحوز أن يراد نفس ^(٣) متميزة من الأنفس إما بلباحج في الكفر شديد أو بمذاب عظيم ؛ ويمحوز أن تكون للتكثير ؛ قال قتادة : لم يكفه أن ضيع طاعة الله حتى سخر من أمثالها .

وروى أنه كان في بني إسرائيل عالم ترك علمه ونسق - أتاه إبليس ، فقال له : تتمتع من الدنيا ثم تب . فأطاعه ، وكان له مال ، فأفقته في الفجور ، فأناه ملك الموت في ألد ما كان ؛ فقال : يا حسرتى على ما فرطت في جنب الله ؛ ذهب عسرى في طاعة الشيطان ، وأسخطت الملك الديان ، فندم حين لم ينفعه الندم ، فأنزل الله خبره في القرآن .

فلنبأمل العاقل هذا الوعيد المائل ، فإننا قد وإنا إليه راجعون ، على طمس قلوبنا ، وغفلتنا عما يراد بنا . صدق الله العظيم في قوله في بعض كتبه : " يا علماء السوء ، قد وعظتكم وأنذرتكم ، ومن قبل التبيح حذرتكم ، وكثير من الآيات أريتكم فلم تنصروا بالمواعظ والآيات ، وما تنهى الآيات والنذير عن قوم لا يؤمنون ، تطيعون أنفسكم فيما [٢٣٧ ب] تشتهون وهى تعصمكم فيما تأمرون ،

(١) الزمر : ٥٦ (٢) في الآية تنسب : أن تقول نفس يا حسرتى على ما ...

(٣) والكفائف : ٢ - ٣٠٢

بئس العبيد أنتم إذا علمتم أنكم لا تنالون ما تريدون إلا بترك ما تشتهون ،
ولا تباغون ما تأملون إلا بغيركم على ما تكرهون ؛ تريدون مراقبة النسين
والصديين والشهداء والصالحين ، بأي عمل عمَلتموه ؟ بأي غَيْظ كغَلتموه ؟
بأي رحم وصلتموه ؟ بأي قريب باعدتموه ؟ بأي بعيد قرَّبتموه ؟ وبأي زلة
لإخوانكم عَفَوْتُمْ عنها ؟ بأي شهوة تركتموها ؟ هل أنتم إلا كالحَقَق ؟
أما علمتم أن مَنْ كثر شبعه كثر لُحْمه ، ومن كثر لُحْمه كثر شهوته ، ومن
كثر شهوته كثر ذُنُوبُهُ ، ومن كثر ذُنُوبُهُ قَسَا قَلْبُهُ ، ومن قَسَا قَلْبُهُ غَرِقَ
في الآفات ؟ أما علمتم أن السيء ميت وإن كان في منازل الأحياء ، والحسن حي
وإن اضلَّ إلى منازل الأموات ؟

(فَوْجٌ ^(١)) : مفرد أفواج ، وهي الجماعة من الناس .

(فَطَرَنِي ^(٢)) : أي خلقه ابتداء ؛ ومنه فاطر السموات والأرض ، وفِطْرَةُ اللَّهِ
التي فطر الناس عليها . وأفطر بالالف من الإطعام .

(فَعَلِيهِ كَذِبُهُ ^(٣)) : هذا من قول موسى إلى فرعون ، يعني إن كان موسى
كاذباً في دعوى الرسالة فلا يضرَّكم كَذِبُهُ ، فلاي شيء تقتلونه ؟

فإن قلت : كيف قال : وإن يك كاذباً - بعد إيمانه به ؟

فالجواب أنه لم يقل ذلك على وجه التكذيب ؛ وإنما قاله على وجه زعمكم
أنه كاذب ، وقصد بذلك الحاجة عليهم . وفيه احتجاج عليهم ، كأنه قال :
قدَرْنَا كَذِبَهُ ، ماذا عليكم من كذبه ، هَبْه رجلاً منكم كذب عليكم ، فأقام
عليهم الحجة على تقدير الكذب والصدق .

(فأطلى^(١)) : بالرفع عطف على « أبلغ^(٢) » ، وبالنصب على إختار « أن » ،
في جواب لعل ، لأن الترجي غير واجب ، فهو كالتمنى في انتصاب جوابه ،
ولا قول إن لعل أشربت معنى ليت ، كما قاله بعض النحاة .

وهذا من قول فرعون لما أمر هامان ببناء الصرح الذي رام أن يصعد به
إلى السماء ، وانظر ضمت عقولها وعقول قومها : جهلهم بالله في كونهم طمعوا
أن يصلوا إلى السماء بينين الصرح .

وقد روى أنه أول من علمنا الآجر ، وصعد على الصرح بعد بنيانه ، ورى
بهم إلى السماء ، فرجع السهم مغضوباً بالدم ؛ وذلك فتنة له وقومه ،
وتحكم به .

(فقال لها وللأرض ائتما طوعاً أو كرهاً^(٣)) ، ضمير التأنيث^(٤) يعود
على السموات ، وقوله : ائتما مجاز ، وهو عبارة عن تسكين طاعتها ، وكذلك
قولها : ائتما طائعين ، عبارة على أنها لم يمتنعما عليه حين أراد تسكينها . وقيل :
بل ذلك كلام حقيقة ، أنطق الله السموات والأرض بالطوع ، ولهذا جمع
العقلاء لفعلهما فعلهم^(٥) . وقول الله لهما عبارة عن لزوم طاعتها كما يقول الملك
لمن تحت يده : اقل كذا ، شئت أو أبيت ، أى لا بد لك من فعله . وقيل
تقديره : ائتما طوعاً وإلا ائتما كرهاً . وقيل : إن الجيب له من الأرض موضع
السكبة ، ومن السموات البيت المسور ، فلذا أكرمها الله بالطواف بهما .

فإن قلت : هلا قال طائعتين على اللفظ أو طائعات على المعنى ، لأنها سموات
وأرضون ؟

(١) غافر : ٢٧ (٢) في الآية قبلها : لعل أبلغ الأسباب . (٣) فصلات : ١١
(٤) أى فعل العقلاء . (٥) أى فعل العقلاء .

فالجواب لما جُعِلن مُجيبات ومخاطبات ووُصِفن بالطلع والسكره قال :
طائعين في موضع طائعات ، نحو قوله : ساجدين — تغليبا .

فإن قلت : لم ذكر الأرض مع السماء وانتظمهما في الأمر بالإتيان ، والأرضُ
مخلوقة قبل السماء بيومين ؟

فالجواب قد خلق جرم الأرض أولا غير مدحوة^(١) كما قدمنا ، فالمعنى إتياننا
على ما ينبغي أن تأنينا عليه من الشكل والوصف ، إتياننا يا أرض مدحوة قراراً
ومهاداً لأهلك ، وإتياننا يا سماء مقيمة سقناً لهم ، ومعنى الإتيان الحصول والوقوع ،
وتنصره قراءة من قرأ وانتأ من المواتاة ، وهي المواقاة ، أي لتوات كل واحدة
أختها ولتوافقها ، قالتا : وافقنا وساعدتنا .

(فَعَدَّ سُلَيْمَانُ^(٢)) : قد قدمنا أنه لما نظر إلى مُلْكِهِ ، واستعظمه ، ابتلاه
بأن ألقى على كرسيه جسداً ، فقيل ولده الذي مات . وقيل : الصنم
الذي اتخذته بنت ملك الروم التي أمرها سليمان ثم تزوجها ، وهذه عادته
سبعته مع أبياته وأحبابه ؛ ولذلك أمر حبيبه بالألا يلتفت إلى غيره غيرة منه عليه ،
ولما لم يلتفت إلى غيره قرَّبه منه ، فكان كقَابِ قَوْسَيْنِ أو أدنى .

(فَوَيْلٌ لِلنَّاسِ لِلْعَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ^(٣)) : [١٢٣٨] الويل : وادٍ
في جهنم تستعبد منه كل يوم سبعين مرة ، وقد ذكره الله لثمانية عشر صنفاً :
اليهود^(٤) : « فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ » . «^(٥) وَيْلٌ لِكُلِّ أَفَّاكٍ
أَثِيمٍ » . و «^(٦) وَيْلٌ لِيَوْمِئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ » . و «^(٧) وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ » . . .

(١) مدحوة : مبسوطة (٢) ص : ٣٤ (٣) الزمر : ٢٢
(٤) البقرة : ٧٩ (٥) الباقية : ٢ (٦) الرسائل : ١٥
(٧) المطهفين : ١

الآيتين . و«^(١) وبل لكل همزة لُزّة » . «^(٢) يا ويلنا إنا كنا طاعين » .
«^(٣) فويل للمصلين » . «^(٤) يا ويلنا قد كنا في غفلة من هذا » . «^(٥) يقولون
يا ويلتنا » . «^(٦) واسم الويل مما تصفون » . «^(٧) يا ويلتي ليتني » .
«^(٨) وويل للمشركين . الذين لا يؤتون الزكاة » . «^(٩) وويل للكافرين
من عذاب شديد » . «^(١٠) فويل للذين ظلموا من عذاب يوم أليم »^(١١)

ولا أعلن أحداً في هذا الزمان سلم من هؤلاء الأصناف ، وخصوصاً القاسية
قلوبهم من ذكر الله ، فقد انتصفتها أجعون ، فلا تله وإنا إليه راجعون !
وهذه حالة تقتضى ختم القلوب وتغذيتها بالحرام الذى يبعد عن الربوب .

(قَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ^(١٢)) ؛ أى صنعهن ؛ وانتصابها على التمييز تفسيراً
لضمير ؛ وأعاد عليها هنا ضمير الجماعة المؤنثة لأنها لا تعقل .

فإن قلت : قد قال أولاً في يومين ، وبعده في أربعة أيام ، وهنا في يومين ؛
وهذا يقتضى أنها ثمانية أيام ؟

والجواب لما ذكر أن الأرض خُلِقَتْ في يومين علم أن ما فيها خلق
في يومين ، فثبتت الخاتمة بين أن يقول في يومين ، وأن يقول في أربعة أيام ؛
فذلك أربعة أيام ؛ ثم خلق السموات في يومين ؛ فذلك ستة أيام حينما ذكر
في مواضع كثيرة من القرآن ؛ ولو كانت هذه الأربعة الأيام زائدة على اليومين
الذكورين قبلها لكانت الجملة ثمانية أيام ، بخلاف ما ذكر في مواضع كثيرة .

(١) همزة : ١	(٢) الظم : ٣١	(٣) الامون : ٤
(٤) الأنبياء : ٩٧	(٥) الكهف : ٤٩	(٦) الأنبياء : ١٨
(٧) الفرقان : ٢٨	(٨) فصلت : ٦ ، ٧	(٩) إبراهيم : ٢
(١٠) الزخرف : ٦٥	(١١) سرد المؤلف خمسة عشر صنفاً ، ولم يكمل العدد الذى سبق أن قاله إنه ثمانية عشر صنفاً .	(١٢) فصلت : ١٢

قال بعض العلماء : إن الله تعالى خلق السموات والأرض في يوم الأحد ؛
فمن أراد البناء فليبن فيه ؛ وخلق الشمس والقمر في يوم الاثنين وصفتها السير ؛
فليصافر فيه ؛ وخلق الحيوان يوم الثلاثاء ، وأباح ذبحها وإراقة دمه ؛ فمن أراد
الحجامة فيه فليحتجم فيه ؛ وخلق البحار والأنهار يوم الأربعاء وأباح شربها ،
فمن أراد شرب الدواء فليشرب فيه ، وخلق الجنة والنار يوم الخميس وجعل الناس
محتاجين إلى دخول الجنة والنجاة من النار ؛ فمن أراد قضاء الحوائج فليسال فيه
وخلق آدم وحواء يوم الجمعة وزوجهما فيه ، فمن أراد تمتد الزوج فليزوج فيه ؛
أخذه من قول الإمام علي رضي الله عنه (١) :

لنعم السبت يوم السبت حقا	أصبر إن أردت بلا امتراء
وفي الأحد البناء ، لأن فيه	أبتدا الله خالق السماء
وفي الاثنين أسفار وريح	وأمن في الطريق وفي العطاء
وإن رد الحجامة فالثلاثاء	ففي ساعتها هرق الدماء
وإن شرب امرؤ يوماً دواء	فنعم اليوم يوم الأربعاء
وفي يوم الخميس قضا حوائج	وفيه الله يأذن بالقضاء
ويوم الجمعة التزويج فيه	ولذات الرجال مع النساء
وهذا السلم لا يحويه إلا	نبي أو وحي الأنبياء

فإن قلت : كيف ذكر الأيام التي خلق الله فيها المخلوقات ، وإنما تعتبر
بوجود الشمس ؟

والجواب إنه يحتمل أن يجعلها على التقدير ، وإن لم تكن الشمس
خلقت بعد ، وكان تفصيل الوقت أنها الأحد ويوم الاثنين ، كما ذكر فخلق

(١) بغير هذه الآيات في حاجة إلى تحرير .

الأرض غير مدحوة^(١) ، ثم خلق السموات فسواهن في يومين ، ثم دحا الأرض بمد ذلك ، وجعل فيها الرواسي وغيرها في يومين ، فتلك أربعة أيام للأرض ، وهذا معنى قوله تعالى^(٢) : « والأرض بمد ذلك دحاهما » ، كل ذلك تعباً لعباده ، وإشارة لهم في الثاني في الأمور ، لأنه كان سبحانه قادراً على قوله لما : كُنْ ، فكانت .

وفي الحديث أنه سئل صلى الله عليه وسلم عن يوم الأحد ، فقال : يوم غرس وعارة ، قالوا : كيف ذلك يا رسول الله ؟ قال : لأن فيها ابتداء الله خالق الدنيا وعمارتها .

فإن قلت : بم خلق قوله : فمسائلين^(٣) ؟

قلت : مدحوف ، كما يقال : هذا الحضر لأجل من سأل في كم خلقت الأرض وما فيها ؟ أو يقدر فيها الأفوات لأجل الطالبين إليها من المقتاتين ، وهذا الوجه الأخير لا يستقيم إلا على طريقة الزجاج .

(فرحوا بما عندهم من العلم...^(٤)) الآية : الضمير يعود على الأمم المذكورة الذين جاءتهم رسلهم بالبينات .

فإن قلت : أي علم عندهم حتى يفرحوا به ؟

فالجواب أنهم [٢٣٨ ب] كانوا يفرحون بما عندهم من العلم في ظنهم ومعتقدهم من أنهم لا ييئسئون ولا يحاسبون ، واعتبروا بعلمهم في الدنيا والآخرة ، وظنوا أنه ينفعهم ، وهذا لقول بعضهم^(٥) : « وما أعلن الساعة قائمة... الآية .

(١) مدحوة : مبحوطة . (٢) الخازنات : ٣٠ (٣) فصلت (١٠) : وجعل فيها رواسي . . . سواء فمسائلين . (٤) غافر : ٨٣ (٥) الكهف : ٣٦

وقيل : أراد علم الفلاسفة والدهريين ، من بنى يونان ؛ وكانوا إذا سمعوا
بوحى الله دفعوه وصغروا علم الأنبياء إلى علمهم ؛ وعن سقراط أنه سمع بموسى
عليه السلام فقيل له : لو هاجرت إليه . فقال : نحن قوم مهذبون ؛ فلا حاجة بنا
إلى من يهذبنا .

وقيل : فرحوا بما عند الرسل من العلم فرح ضحك منه واستهزاء به ، كأنه
قال : استهزءوا بالبينات وبما جاءوا به من علم الوحى . ويدل عليه قوله ^(١) :
« وحق بهم ما كانوا به يستهزئون » ؛ جزاء جهلهم واستهزائهم . وقيل :
الضمير عائد على الأنبياء ؛ وفي هذا التأويل حذف ؛ وتقديره : فلما جاءهم
رسلهم بالبينات كذبوهم ، ففرح الرسل بما عندهم من العلم والنقة به ،
وبأنه سينصرهم .

و « حاق » معناه نزل بهم وثبت ؛ وهى مستعملة فى الشر . و « ما » فى قوله :
« ما كانوا » هو المذاب الذى كانوا يكذبون به ويستهزئون بأمره . والضمير
فى بهم عائد على الكفار بلا خلاف .

فإن قلت : ما معنى ترادف هذه الفاءات فى هذه الآيات ؟

قلت : أما قوله ^(٢) : « فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون » . فهو نتيجة قوله :
« كانوا » ^(٣) أكثر منهم . وأما قوله ^(٤) : « فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا » ،
فجارى مجرى البيان والتفسير لقوله تعالى ^(٥) : « فما أغنى عنهم » ؛ كقولك :
« رزق زيد المال فنع المعروف » ، فلم يحسن إلى الفقراء . وأما قوله ^(٦) : « فلما رأوا »

(٣) غافر : ٨٣

(٢) غافر : ٨٢

(١) الزمر : ٤٨

(٤) غافر : ٨٤

بِأَمْنًا قَالُوا آمَنَّا فَكَذَلِكَ^(١) : فَلَمْ يَكْ يَنْفَعِهِمْ إِيمَانُهُمْ ، تَابَعُوا لِإِيمَانِهِمْ لَمَّا رَأَوْا
بِأَمْنٍ اللَّهِ .

فحق لمن سمع هذه الموعظة أن يبادر إلى الطاعة ، ولا يتأني . بلى ، والله ، وقعت
مينا الخائفة وقتلنا أنفسنا بالمعاصي بنس ما اخترنا ! ك وعظما المشيب ولا قبلنا ،
علمنا أن الدنيا ثلاثة أنفاس : نفس مضي عملنا فيه ما عملنا ، ونفس لا ندرى أملكه
أم لا ؟ فليس لنا إلا النفس الذي نحن فيه . حرصنا على درهم لا ندرى لمن يبقى ،
ومزقنا ثوب المعاصي ولم نكفه بتوبة ؛ فما أسرع الماتى ! أليس هذا من الصمى ؛
إذا شغلنا بالجفنة خسرنا فكيف يكون حالنا وقد شغلنا المعاصي عن الإقبال عليه !
بنس ما استنفدا زمان الصبا في المعاصي واللهو ، ولم ننته في الكبر عن لهو ما ؛
ولو تبنا لحق لنا البكاء ؛ فكيف قد انهكنا ! إذا تاب الشيخ يقول الله عز وجل :
الآن جئنا حين ضُمَّتْ مفاصلك . الآن وقد ذهبت قوتك . الآن وقد نفذ
عمرك . الآن وقد قسا بالمعاصي قلبك . الآن وقد ضاع في البطالة وقتك . هذا
لمن تاب ؛ فكيف حال من هو في قنص الطبع محبوب عن العتاب ؛ نعتمد عمدة
التوبة بخيط المنكوبت ظاهراً وباطناً ، نتلذذ بها ، فكيف لا نحبها ؟ لو صدقت
التوبة منا لوجدنا مرارتها ، كما وجدنا حلاوتها ؛ إلهى التوبة لا ندوملى ، والمعصية
لا تنصرف عني ، ولا أدرى بم تحملى ، غير أن عفووك ورجاءك أطمئني
أن أسألك ما لا أستوجبه منك ؛ فهب لى منك توبة باقية ، واصرف أزمة
الشهوات عني ، وحققنى بحقيقة الإيمان ، وأعنى على نفسى والهوى والشيطان ،
بحرمة سيدنا ونبيينا ومولانا سيد الثقلين صلى الله عليه وعلى آله ما اختلف
اللون .

(فَإِنْ أَعْرَضُوا^(١)) : الضمير لقريش ، أى أعرضوا عنك يا محمد فآخذهم أخذة شديدة ، مثل أخذ عاد وثمود ، وقد كانوا أشد منهم قوة وأكثر أموالا وأولادا ، فإغنى عنهم ما كانوا يكتسبون .

(فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ^(٢)) : ليس فيه اعتبار الكفار بالرسالة ، وإنما معناه بما أرسلتم على قولكم ودعوتكم ، وفيه تهكم .

(فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ^(٣)) : يعنى الملائكة . ووصفهم بالعندية للشرىف والتكريم ؛ إذ يستحيل فى حقّه جلّ وعلا التجسيم ، الجسم أعمى والمعلل أكنه .

(فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ^(٤)) : الضمير فى الخلاف فيه ، يعنى ما اختلفتم أنتم والكفار من أمر الدين الحكم فيه إلى الله بأن يعاقب المبطل ويُنِيب الحق ، أو ما اختلفتم فيه من الخصومات فتحاكموا فيه إلى الذى صلى الله عليه وسلم . وهذا كقوله^(٥) : « فرُدُّوه إلى الله والرسول » .

(فَإِنَّمَا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ^(٦)) : يحتمل أن يريد بهذا [١٣٣٨] الانتقام قتلهم يوم بدر ، وفتح مكة ، وشبه ذلك من الانتقام فى الدنيا ، أو يريد به عذاب الآخرة . وقيل : إن الضمير فى منهم منتقمون للمسلمين ، وإن معنى ذلك أن الله قضى أن ينتقم منهم بالفتن والشدائد ، وأنه أكرم نبيه صلى الله عليه وسلم بموته قبل رؤيته الانتقام منهم .

والصحيح أن مقصد الآية وعيد الكفار ، يعنى إن عجزنا وفاتك قبل الانتقام منهم فيقع الانتقام منهم بعده ، وإن أخرنا وفاتك إلى حين الانتقام منهم فإننا عليهم مقتدرون .

نعم شهد له بأنه على صراطٍ مستقيم ، وكيف لا يكون على الصراط المستقيم
وقد كان يلقب^(١) البيت ، ويحلب الشاة ، ويملف الناضح^(٢) ، ويرقع ثوبه ،
ويخصف نعله ، ويغام على الحصير ، ولا يغام على الوثير ، وبسلم مبتدراً^(٣) على
من ألقى من صغير أو كبير ، ويأخذ بيد الخادم ويطأ حن معها إذا عيت ، حتى قال
الحق فيه : وإِنَّكَ أَعْلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ، وأنزل عليه الكتاب الحكيم ، وشرح
صدْرَهُ ، ويَسِّرُ أَمْرَهُ ، وَأَعْلَى فِي الْعَالَمِينَ ذِكْرَهُ ، وأمر بالامتناسك بما أوحى إليه ،
ليَقْتَدِيَ بِهِ مَنْ بَعْدَهُ ؛ فهو أحمد ، وأُمَّتُهُ الْحَامِدُونَ ، ومُسْتَغْفِرٌ وَأُمَّتُهُ التَّوَّابُونَ ؛
خصه الله وأُمَّتُهُ بخصائص لم يعطها من تقدم في الدنيا ولا في الآخرة : في الدنيا
يطول ذكرها ، وفي الآخرة لا يُقَدَّرُ قَدْرُهَا ، كالخوض ، والكوثر ، والواواء
الذي عَرْضُهُ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ مكتوب عليه : لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ؛
تقدمته آدم ونوح ، وخلفه إبراهيم وموسى ، وعن يمينه جبريل وميكائيل ، وعن
يساره إسرافيل وعزرائيل ، وساقته أصحابه وأُمَّتُهُ ، رافعاً صوته : يَا رَبِّ ، أُمِّي
أُمِّي ، وقد وعدتني الشفاعة فيهم ، وهم عبيدك ؛ فاغفر لهم ما جَنَوْا ، ولا تَوَآخِذْهُمْ
بِمَا عَصَوْا ؛ يَا أَكْرَمَ الْخَلْقِ ، يَا رَسُولَ اللَّهِ ، عَبْدُكَ الْمُصَنِّفُ قد وحل في شرك
المعاصي ، ولم يجد مُنْقِذًا يُنْقِذُهُ مِنْ غَيْرِ جَاهِلِكَ الْعَظِيمِ ، فلا تحييه منه ، وخذ بيده ،
وَلَا تَمْلِكْ لَهُ بِمَا جَفَاكَ بِهِ ، حاشا لفضلك أن تخيب راجياً ؛ الخير أكبر ، والوهاب
أوسع !

(فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ^(٤)) : هذه الآية ردٌّ على الكفار ، واحتجاجٌ عليهم ؛
لأنهم كانوا يقولون : إن له ولداً ؛ ومعناها : لو كان للرحمن ولد كما يقول

(١) بعم البيت : بكنه .
(٢) النواضع : الإبل التي يستق عليها واحداً ناضح .
(٣) مبتدراً : مبتدئاً .
(٤) الزخرف : ٨١

الكفار لم تكن أنا أول من يعبد ذلك الولد ، كما يعظمُ خدامُ الملك ولدَ الملك لتعظيم أبيه ؛ ولكن ليس للرحمن ولد ؛ وما ينبغي له أن يتخذ ولداً ، فلا تعبد غيره .

وهذا نوعٌ من الأدلة يسمى دليل التلازم ، لأنه علقَ عبادة الولد بوجوده ، ووجوده محال ، فعبادته محال . ونظير هذا أن يقول المالكى - إذا قصد الرد على الحق في تحليل النبيذ : إن كان النبيذُ غير مُسكر فهو حلالٌ ، لكنه مسكر فهو حرام .

قال الطبري : هو ملاطفةٌ في الخطاب ؛ ونحوه قوله تعالى^(١) : « وإنا أو إنا ك لعلّ هدى أو فى ضلال مبين » . قال ابن عطية : ونحوه قوله تعالى فى مخاطبة الكفار^(٢) : « أين شركائى » - يعنى فى زعمكم . وقد تسلم الزمخشري هنا بزعمه الفاسد بما لا يليق ذكره للمبتدئ ، وأما انتهى فيعلم فساد مذهبه ؛ ورضي الله عن ابن خليل السكوني فى رده عليه للنصر منه ، عامله الله بطلقه .

(فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل^(٣)) : قد قدمنا أن الله ذكرهم فى قوله^(٤) : « وإذا أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك » - فى هذا التقديم^(٥) إشارة بفضله صلى الله عليه وسلم على من سواه .

وقيل : أولو العزم الثمانية عشر المذكورون فى الأنعام ؛ لقوله تعالى^(٦) : « فيهداهم اقتده » . وقيل : كل من لقي من أمته شدة . وقيل : الرسل كلهم أولى عزم ؛ فمن الرسل على هذا لبيان الجنس ، وعلى الأقوال المقدمة للتبيين .

(١) سبأ : ٢٤ (٢) القصص : ٦٢ ، ٢٤ (٣) الأحزاب : ٢٥ (٤) (٥) فى قوله : ومنك . . . (٦) الأنعام : ٩٠

(فَضْرَبَ الرِّقَابَ ^(١)) : أصله : فَضَرَبُوا ضَرْبًا ، ثم حذف الفعل وأقام المصدر مقامه . والمراد قتلهم ، ولكن عُبِّرَ عنه بضرب الرقاب ؛ لأنه الغالب في صفة القتل .

(^(٢) فَشَدُّوا الْوِثَاقَ فِيمَا مَنَّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً ، حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا) : قد قدمنا في حرف التاء اختلاف الأوزار ، ومتى يكون ذلك ؛ وانتصب المن والفداء على المصدرية ، والعامل فيهما فلان مضمران . ومعنى لَنْ التثنية . والقداء : فك الأسير بمال . وأمر الله في هذه الآية بوثق الأسير حتى يفدى أو يُسَنَّ عليه ؛ والإمامُ مُخَيَّرٌ في ذلك أو القتل ، والاسترقاق ، وضرب الجزية .

وقيل : لا يجوز المن ولا الفداء ؛ لأن الآية منسوخة بقوله ^(٣) : « فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ [٢٣٩ ب] حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ » . فلا يجوز على هذا إلقاء قتلهم . والصحيح أنها محكمة .

(فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا ^(٤)) : يبنى علامات الساعة ، والذي جاء من ذلك مبينه صلى الله عليه وسلم ؛ أقوله : أما من أشراط الساعة ؛ وبُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ .

وقد أخبرنا أن لها دلائل ؛ منها ظهور الفتن وكثرة الما صي ، والحرص في الدنيا ، والتنافس عليها ، وتوسيد الأمر لغير أهل ؛ فحينئذ يظهر الدجال ، ويأجوج وماجوج ؛ وطلوع الشمس من مغربها ، وتفصيل هذا كله يحتاج لطول نفس ، لكنهم اختلفوا في أول الآيات ظهوراً ؛ وذلك يتوقف على صحة نقل ؛ وظهور المهدي والدجال بعده ، وعيسى بعده ، ويعلم الله ما بعد ذلك .

والصحيح أنها كأنلرز إذا ظهرت واحدة تبعثها أختها .

(فأؤلى لهم ^(١)) : في معناه قولان :

أحدهما أنه بمعنى أحق ، وخبره على هذا طاعة . والمعنى أن القول المعروف والطاعة أولى لهم وأحق .

والآخر أن أولى لهم كلمة معناها التهديد والدعاء عليهم ؛ كقولك :
وئيل لهم . ومنه قوله أؤلى لك فأؤلى ، فيوقف على أولى لهم على هذا القول ،
ويكون طاعة ابتداء كلام ؛ تقديره طاعة وقول معروف أمثل ، والمطلوب
منهم طاعة وقول معروف ، أو قولهم لك يا محمد : طاعة وقول معروف بالسنتهم
دون قلوبهم .

(فإذا عزم الأمر فلو صدقوا الله لكان خيراً لهم . فهل عسيتم ^(٢)) : أسند
« الأمر » إلى العزم مجازاً ، كقولك : نهائهم صائم ، وليله قائم . ويحتمل أن يريد
صديق اللسان ، أو صديق العزم والنية ، وهو أظهر .

وانظر كيف خرج من الغيبة إلى الخطاب بقوله : « عسيتم » ، ليكون أبلغ
في التوبيخ .

والمنى : هل يتوقع منكم الإفساد في الأرض ، وقطع الأرحام ، إن توليتم .
ومعنى توليتم : صرتم ولادة على الناس ، وصار الأمر لكم ، وعلى هذا قيل :
إمها نزلت في بني أمية . وقيل معناه : أعرضتم عن الإسلام .

(فكيف إذا توفتهم الملائكة ^(٣)) : ضمير الفاعل للملائكة . وقيل :
إنه السكفار ؛ أي يضربون وجوه أنفسهم ، وذلك ضعيف .

(فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ^(١)) : هذا قطع بأن من مات على الكفر لا يغفر الله له . وقد أجمع المسلمون على ذلك .

(فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ ^(٢)) : معناها لا تضعفوا عن مقاتلة الكفار ، وتبدؤوهم بطالب الصلح ، فهو كقوله ^(٣) : « وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْنَحْ لَهَا » .

(فَيُخَفِّكُم ^(٤)) ، أى ينزع عليكم . والإخفاء : هو أشد السؤال . و « تبخلوا » جواب الشرط .

(فَيَقُولُونَ : بَلْ تَحْسَدُونَنَا ^(٥)) : الضمير يعود على المنافقين . معناه أنهم يقولون : يمز عليكم مالا وغنية ، و « بل » هنا للاضراب عن الكلام المتقدم ، وهو قوله ^(٦) : « لَنْ تَقْبِعُونَا كَذَلِكُمْ قُلِ اللَّهُ مِنْ قَبْلِ » ، فمعناها رد أن يكون الله حاكم ألا ينعمهم .

وأما « بل » في قوله تعالى ^(٧) : « بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا » - فهي إضراب عن وصف المؤمنين بالحسد ، وإثبات لوصف المخلفين بالجهل .

(فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ ^(٨)) : يعنى من صدق الإيمان ، وصدق العزم على ما بايعوا عليه . وقيل : من كراهة البيعة على الموت ، وهذا باطل ، لأنه ذم للصحابة .

(فَجَبَلْ لَكُمْ هَذِهِ ^(٩)) : يعنى فتح خير . وقيل : إن الغانم التى وعدم بها مفانم خير ، والإشارة بـ « هذه » إلى صلح الحديبية .

(٢) الأتفال : ٦١

(٦) ل الآية تسبا .

(٢) حم : ٣٥

(٥) الفتح : ١٥

(٨) الفتح : ٢٠

(١) حم : ٣٤

(٤) حم : ٣٧

(٧) الفتح : ١٨

(فَأَزَرَهُ ^(١)) : أى قواه ، وهو من المؤازرة بمعنى المعاونة . ويحتمل أن يكون الفاعل الزرع والمفعول شطأه ، أو بالعكس ، لأن كل واحد منهما يقوى الآخر . وقيل : معناه ساواه طولا ، فالفاعل على هذا الشطأ ، ووزن آزره أفعله . وقيل فاعله . وقرئ : بقصر الميمزة على وزن فعّله .

(فَاسْتَغْلَظَ ^(٢)) ، أى صار غليظا .

(فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ ^(٣)) : جمع ساق ، أى قام الزرع على سوقه . وقيل كزرع النبي صلى الله عليه وسلم أخرج شطأه بأبي بكر ، فَأَزَرَهُ بِعُمَرَ ، فَاسْتَغْلَظَ بِعُمَانَ ، فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ بِعَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ .

(فَقَالَ الْكَافِرُونَ ^(٤)) : أى من قريش ، ووضع الظاهر موضع الضمير لقصد ذمهم بالكفر ، وأنهم أكهيم فى الفنى ، كما قال تعالى ^(٥) : « أولئك هم الكافرون حقا » ، وهل ترى كفرا أعظم من تكذيب من صدقه الله بوحىه ويتعجبوا من إنذاره لهم مع علمهم بصدقه وأمانته .

فإن قلت : عطفه هنا بالنساء بخلاف سورة ص ^(٦) بالواو يذك على أنها قضيتين .

والجواب أن آية ص إنما وردت مورد الإخبار بمرتكبات [١٢٤٠] من أفعال العرب وأقوالهم فجئى بذلك الجمل منسوقا بعضها ببعض ، وأخير تعالى أنهم فى عزّة وشقاق ، وأنهم عجبوا أن جاءهم منذر منهم ، ولم يكن من الملائكة ، وأنهم رموه بالسحر والكذب ، وأنهم تعجبوا من جعله الآلهة إلها واحدا ، وأنهم تماثلوا على قولهم ^(٧) : « امشوا واضمروا على آلتكم » ، فلما قصد هنا

(٣) النساء : ١٥١

(٢) ق : ٢

(١) الفتح : ٢٩

(٥) ص : ٦

(٤) ص : ٤ - وعجبوا أن جاءهم منذر منهم . .

الإخبار بحملة من رُتسكياتهم جاءت منسوبةً إلى بعض بالواو التي لا تقتضى رتيباً ولا نسباً .

وأما آية « ق » فنقصودُ بها التعريفُ ، فتعجبهم من البعث الأخرى واستبعادُهم إياه ، ولم يقصد هنا غير هذا ، قصده ، فربطه بالقاء ، أى عجبوا من البعث بعد الموت ، فقالوا : كذا ، فجىء لكل بما يحزره .

(فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا ^(١)) ، هى السحاب يحمل المطر . والوقر : الحمل ، وهو مفعول به .

(فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا ^(٢)) : هى السفن تجرى فى البحر ، وإعرابُ « يسرا » صفة لمصدر محذوف ، ومعناه بسهولة .

(فَالْقَمِيَّاتِ أَمْرًا ^(٣)) ، هى الملائكة تقسم أمورَ الملكوت من الأرزاق والآجال وغير ذلك . و « أَمْرًا » مفعول به .

وقيل : إن الحاملات وِقْرًا : السفن . وقيل : جميع الحيوانِ الحامل . وقيل : إن « الجاريات يُسرًا » السحاب . وقيل : الجارى من الكواكب . والأول أشهر ، لأنه قول على بن أبى طالب رضى الله عنه .

(فَوَرَبُّ السَّاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَخَلْقٌ ^(٤)) : هذا قسمٌ أقسم الله باسمه ، كقوله ^(٥) : « فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمِينَ » .

ولما ذكر الله فى هذه الآية رِزْقَ عباده ، وأنه يوصله لهم ، أقسم لهم اطمئناناً لنفوسهم ، ويقسم الله فى كتابه إما لتضيئة وإما لمتنعة . وأقسم بنفسه

ك هذه الآيات ، وَيَقِيلُهُ مِثْلُ : وَالسَّمَاءُ وَمَا بِنَاهَا ... الْآيَاتُ ، وَمَا ضَاهَاهَا ،
من أفعاله ، كقوله تعالى : وَالنَّجْمُ إِذَا هَوَىٰ . وَالطُّورُ . وَالتِّينُ . وَالْقَلِيلُ .
فَإِنْ قُلْتَ : إِنْ كَانَ الْقَسَمُ لِأَجْلِ الْمُؤْمِنِ فَإِنَّهُ يَصْدَقُهُ بِغَيْرِ قَسَمٍ ، وَإِنْ كَانَ
لِلْكَافِرِ فَإِنَّهُ لَا يَصْدَقُهُ ؛ فَمَا فائدته ؟

والجواب أن قسمه تعالى لإكمال الحجة وتأكيدها ، والحاكم يقبل الحكم
بأثنين ، إما بالشهادة وإما بالقسم ، فذكر الله القسم في كتابه كي لا تَبْنَى لَهُمْ
حجة على الله ، فَإِنَّا اللَّهُ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ على هذه العقول الخسيسة ، اختارنا من بين
جامد^(١) ونأى ، وناطق وصامت ، وذلك أنه اختار النأى^(٢) من الجامد لما كان فيه
من الخضرة والزهرة والطيب والنفعة ، ثم اختار الحيوان من النأى^(٣) لما فيه
من الحركة والقوة والتصرف والزينة ، ثم اختار الناطق من الحيوان لما فيه
من الفصاحة والذلاقة والفطنة والبصيرة ، ثم اختار الممتحن من الناطق لما أقدم
من العلم والحجة والدعوة والشرعة ، ثم اختار المؤمن من الممتحن لما آناه الله
من المعرفة والهداية والتوحيد والشهادة ، ثم اختار المحب بالثناء والبيشارة والحجة ،
قال تعالى^(٤) : «التَّائِبُونَ الْعَامِلُونَ الْحَامِدُونَ» . «^(٥) يَجِبُهُمْ وَجِبُوتُهُ» .
واسطفاك يا محمدى لوحيه ، قال تعالى^(٦) : «ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا
مِنْ عِبَادِنَا» . فأنت مختار المختار ، ووعدك برزقه كي تتفرغ لخدمته ، وضمنه لك
ولم تَشَقْ بضمائه حتى أقسم لك ، فأعرضت عن هذا كله ، واشتلت بالمعاصي
والفجور عن طاعته ، أما علمت أن زلة الوزير ليست كزلة العامة ، يعصى الوزير
فتضرب رقبته ، ويعصى أحد العامة فلا يُلْتَفَتُ إليه ، أليس من العبيد العظيم
والمرزء الجسيم - أنك تشق بمخلوق مثلك ، يقول لك : غذاؤك اليوم والعشاء على

(١) هذا بالأميين ولم أتبينها . وقد تكون معرفة من « نائب » .

(٢) التوبة : ١٤٢ (٣) المائدة : ٥٤ (٤) فاطر : ٣٢

فلا تُدَبِّرْ معه. وتَثِقْ بقوله ، ولا تَثِقْ بقول أكرم الأكرمين وأرحم الراحمين !
وأعظم من هذا أن لو قاله لك يهودى أو نصرانى لو ثقت بقوله ، ولم تَثِقْ بملكك
الذى خلقك وصورك ووعدك ، ورَضِيَ الله عن الإمام على فى قوله :

أَتَطْلُبُ رِزْقَ اللَّهِ مِنْ عِنْدِ غَيْرِهِ وَتَعْصِيحُ مِنْ خَوْفِ الْعَوَاقِبِ آمَنًا
وَتَرْضَى بِطَرْفٍ وَإِنْ كَانَ مُشْرِكًا ضَمِينًا وَلَا تَرْضَى بِرَبِّكَ ضَامِنًا

قال بعضهم : نبشت على أكثر من سبعين فوجدت وجوههم محوكة
[٢٤٠ ب] عن القبة ، وذلك أنهم ربههم . اللهم ارحمنا إذا صرنا إليك .

(قالوا سلاماً ^(١)) ، نصب على أنه فى معنى الطلب ، وهو مفعول بفعل
مضمر . وموقع ^(٢) الثانى مرفوع لأنه خبر تقديره : [عليكم] ^(٣) سلام ؛ وهذا
على أن يكون السلام بمعنى السلامة ؛ وإن كان بمعنى التحية فإنه رفع الثانى ليدل
على إثبات السلام ، فيكون قد حياهم بأكثر مما حيّوه ، وينتصب السلام الأول
على هذا على الصدرية ؛ تقديره سلمنا عليكم سلاما ، ويرفع الثانى بالابتداء تقديره
سلام عليكم .

(فَهَوَّلَى بِرُكْنِهِ ^(٤)) ؛ أى أعرض فرعون عن الإيمان ، واستمسك بقوته
وسلطانه ، وقال : موسى ساحر أو مجنون .

(فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ^(٥)) ؛ لأنها كانت بالنهار ؛ زيادة
فى نكالهم ؛ إذ ليس الميت صَبْرًا كَالْفِيلَةِ .

(قَرِئُوا إِلَى اللَّهِ إِنَّى لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ ^(٦)) ؛ أمر الله فى هذه الآية

(١) الفاربات : ٢٥ (٢) فى الآية نفسها : قال سلام ...

(٣) مكانها يان فى الأصول . والشكلة من الترطى : ١٧ - ١٥

(٤) الفاربات : ٣٩ (٥) الفاربات : ٤٤ (٦) الفاربات : ٥٠

بالإيمان به والدخول في طاعته ، ومبرر عن الأمر بذلك بلفظ الفرار ، لينبه على أن وراء الناس عقاباً وعذاباً ألماً حقه أن يُقرَّ عنه إن لم يُقرَّ منه طوعاً بقرَّ منه خوفاً ؛ ونحن لم نقرَّ منه لا طوعاً ولا خوفاً ؛ ولو علمنا ما تحت هذه الكلمة من التحذير والاستدعاء لم يهدأ روعنا ؛ ألا تراء كرَّره للإبلاغ وهز النفس للتشهير^(١) ، وتحكيم التحذير ، وإعادة الألفاظ بعينها في هذه المعاني بقرينة شدة الصوت ، لكن الجاهل ضعيف الاستخراج ؛ فيألفها من مصيبة لو عقلها العاقل .

(فإنَّ للذين ظَلَمُوا^(٢)) : هم كفار قريش وأصحابهم ممن تقدم من الكفار ، يعني أن لهم نصيباً من العذاب .

(فالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ^(٣)) ؛ أي الغلوبون^(٤) في الكيد . ويعني مَنْ تقدم الكلام عليهم^(٥) وهم قريش ، فوضع الظاهر موضع انضمر .

(قَبَائِءُ آلَاءِ رَبِّكَ تَتَمَارَى^(٦)) : هذه مخاطبة الإنسان على الإطلاق ، يعني بأي نعم ربك تشك ، وقد منَّ عليك ، وجعل رحم أمك سكتك ، والأرض مهادك ، والشمس سراجك ، والإله سلام خالقك ، ومحمد نبيك ، والسكبة قبلك ، والجنة منزلتك ، والنار سجن أعدائك ، والملائكة خدامك ، والشیطان حبال عصيانك ، والعقل والفهم والانتباه خصالك ؛ فمالك أعرضت عنا وتركت الالتفات إلينا ! أهكذا معاملتك معنا ! بش العبد ؛ لنعم الرب .

(فَا تُنْذِرُ^(٧)) : بمعنى الاستبعاد والإنكار .

(فَنُؤَلِّعُ^(٨) عَنْهُمْ) : لعلك أن الإنذار لا ينفعهم ، وأمره بالإعراض عنهم

(١) التشهير : الجدة . (٢) الظاربات : ٥٩ . (٣) الطور : ٤٢ .
(٤) أي : فوقها : فيهم . (٥) والشكاف : ١١٤-٢ . (٦) النجم : ٥٥ .
(٧) القمر : ٥ . (٨) القمر : ٦ .

لَسَا لَمْ يَقْبَلُوا كَلَامَهُ . وفيه إشارة إلى أن مَنْ لَمْ يَقْبَلِ الْإِنذَارَ يُعْرِضُ اللَّهُ عَنْهُ ،
وإذا أَعْرِضَ عَنْكَ أَيُّهَا الْأَخْ كَيْفَ يَكُونُ حَالُكَ ؟

(فَكَذَّبُوا عِبَادَنَا ^(١)) : يعنى محمداً عبداً ؛ فما أَمْرُهَا مِنْ إِضَافَةٍ لِأَنَّهُ قَرَنَهُ
بَنُونَ الْعِظَمَةِ .

(فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِي ^(٢)) : تَوْقِيفٌ فِيهِ تَذَكِيرٌ لِقَرِيشٍ ، وَالنُّذُرُ :
جَمْعُ نَذِيرٍ .

(فَصَاطِي نَعْتَرِي ^(٣)) : أَيِ اجْتَرَأَ عَلَى أَمْرٍ عَظِيمٍ ، وَهُوَ عَتَرُ النَّاقَةِ ، وَقِيلَ :
تَعَاطَى السِّيفُ .

(فَبَأَى آلَاءِ رَبُّكَ مَا تُكْذِبَانِ ^(٤)) : الْآلَاءُ : هِيَ النِّعَمُ ، وَاحِدُهَا ^(٥) إِلَى
عَلَى وَزَنٍ نَعْيٍ . وَقِيلَ الْآلَاءُ عَلَى وَزْنٍ فَعْمًا . وَقِيلَ غَيْرُ هَذَا . وَالْخَطَابُ لِلثَّقَلَيْنِ :
الْإِنْسِ وَالْجِنِّ ، بِدَلِيلِ قَوْلِهِ ^(٦) : « مَن فَرَّغَ لَكُمْ أَيْةَ الثَّقَلَانِ » .

وَرَوَى أَنَّهُ لَمَّا قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَذِهِ الْآيَاتِ سَكَتَ أَصْحَابُهُ ؛
فَقَالَ : إِنْ جَوَابَ الْجَنُّ خَيْرٌ مِنْ سَكُوتِكُمْ ؛ إِنْ لَمَّا قَرَأْتُمْ عَلَيْكُمْ قُلُوا :
لَا تُكْذِبُ شَيْءٌ مِنْ آلَاءِ رَبِّنَا .

وكرر هذه الآية تأكيداً ومبالغة . وقيل : إِنْ كُلُّ مَوْضِعٍ مِنْهَا يَرْجِعُ إِلَى مَعْنَى
الآيَةِ الَّتِي قَبْلُهَا ؛ فَلَيْسَ بِتَأْكِيدٍ ؛ لِأَنَّ التَّأْكِيدَ لَا يَزِيدُ عَلَى ثَلَاثِ مَرَّاتٍ .

(١) القمر : ٩ (٢) القمر : ١٦ (٣) القمر : ٢٩

(٤) الرحمن : ١٣ ، وما بعدها . (٥) في المخرجات (٢٢) : آلاء الله :

نعمه ، الواحد إلا ، وإلى ، نحو أنا وإلى الواحد الآلاء . ووالقائوس : والآلاء : النعم ،

واحدما إلى ، وإلى ، وإلى ، وإلى ، وإلى (٦) الرحمن : ٢١

(فيومئذ لا يُسألُ عن ذنبه إنسٌ ولا جانٌ)^(١) : قد قدمنا أن السؤال المنقح هنا على وجه الاستخبار وطلب المعرفة ؛ إذ لا يحتاج إلى ذلك ، وأما السؤال فلا بد منه ؛ قال تعالى^(٢) : « فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ » .
وأحوال القيامة مختلفة على حسب الخلق .

(فأكفِّرْ زَوَاجَنَ)^(٣) ؛ أى من كل ما يُتَفَكَّه به نوعان ، بخلاف الدنيا ؛ وإنما جعل ما فيها أنموذج على ما فى الجنة لا أنه مثلها .

(فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ . فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهَيْمِ)^(٤) : الضمير للماء كقول ووزن الميم فعل ، بضم الفاء ؛ وكُسرت الماء لأجل الياء ، وهو جمع [١٢٤١] هيم ، وهو الجمَل الذى أصابه الهيام بضم الهاء ؛ وهو داء معطش يشرب منه الجمَل حتى يموت أو يسقم . والآئى هَيْمَاء . وقيل : هو جمع هَيْم وهائمة . وقيل : الهيم : الرمال التى لا ترى من الماء ؛ وهو على هذا جمع هَيْام بفتح الهاء . وقرئ : شرب بضم الشين ؛ واختلف هل هو مصدر أو اسم للشروب . وقرئ : بالفتح ؛ وهو مصدر .

فإن قلت : كيف عطف قوله : فَشَارِبُونَ عَلَى شَارِبُونَ^(٥) ؛ ومضاهما واحد ؟ فالجواب أن المعنى مختلف ؛ لأن الأول يَقْتَضِي الشرب مطلقا ، والآخر يَقْتَضِي الشرب الكثير المشبه لشرب الهيم .

(قُلْ لَا تُعْصِدُونَ)^(٦) : تخضيب على التصديق . إما بالخالق^(٧) تعالى ، وإما بالبعث ؛ لأن الخلقة الأولى^(٨) دليل عليه .

(١) الرحمن : ٣٩ . (٢) الحجر : ٩٢ . (٣) الرحمن : ٥٢ .
(٤) الواقعة : ٥٤ و ٥٥ . (٥) الأيتان ما : فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ . فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهَيْمِ (٥٤ ، ٥٥) . (٦) الواقعة : ٥٧ . (٧) أى التصديق لما ...
(٨) الخلقة الأولى قوله فى الآية نفسها : نحن خلقناكم ...

فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ^(١) : تخفيض على التذكّر والاستدلال بالنشأة الأولى على النشأة الآخرة . وفي هذا دليل على صحة القياس .

(فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ . وَأَنْتُمْ حِينَتُمْ تَنْظُرُونَ^(٢)) : لولا هنا عرض ، والضمير في بلغت للنفس ؛ لأن سياق الكلام يقتضي ذلك ، وبلوغها الحلقوم حين الموت ؛ والفعل الذي دخلت عليه « لولا » هو قوله : تَرَجِعُونَهَا ؛ أي هلا رددتم النفس حين الموت .

ومعنى الآية : احتجاج على البشر ، وإظهار لعجزهم ؛ فإنهم إذا حضر أحدهم الموت لم يقدرُوا أن يردُّوا رُوحَهُ إلى جسده ؛ وذلك دليل على أنهم مقهورون تحت قدرته ؛ وهو القاهر فوق عباده ؛ والمقهور لا يقدر على شيء ؛ وذلك أشدَّ لحسرتة .

(فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ^(٣)) : معنى هذا على الجملة نجاة أصحاب اليمين بعد ادّتهم . والسلام هنا يحتمل أن يكون بمعنى السلامة أو النجاة . والخطاب في ذلك يحتمل أن يكون للنبي صلى الله عليه وسلم ، أو لأصحاب اليمين ؛ فإن كان للنبي صلى الله عليه وسلم فالسلام بمعنى السلامة . والمعنى سلام لك يا محمد منهم ؛ أي لا ترى فيهم إلا السلامة من العذاب . وإن كان الخطاب لأصحاب اليمين فالسلام بمعنى النجاة . والمعنى سلام لك ؛ أي نجاة لك يا صاحب اليمين من إخوانك ، وهم أصحاب اليمين ؛ أي يدعون عليك فهو كقوله^(٤) : «إِلَّا قِيلَ سَلَامًا سَلَامًا» . أو يكون السلام بمعنى السلامة ؛ والتقدير سلامة لك يا صاحب اليمين ، ثم يكون قوله : مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ - خبر ابتداء مضمرة ؛ تقديره أنت من أصحاب اليمين .

(١) الواقعة : ٦٢ (٢) الواقعة : ٨٣ و ٨٤ (٣) الواقعة : ٩١

(٤) الواقعة : ٢٦

فهنيئاً لك يا محمدى بما منحك الله من هذه التحية التي حيا بها أنبياءه
وأصفياه في قوله لنوح^(١) : « اهبط بسلام منا » . ولإبراهيم^(٢) : « قلنا
يا ناز كوني برّداً وسلاماً على إبراهيم » . حياك في الدنيا بقوله^(٣) : « وسلاماً
على عباده الذين اصطفى » . وفي الآخرة يأتيك الملك بكتاب منه : أما بعد السلام
عليك فردنا ، لأنا اشتقناك ، لا راعى الله من لا يراعى الذمم .

(فسبح باسم ربك العظيم^(٤)) : لما نزلت هذه الآية قال صلى الله عليه
وسلم : اجعلوها في ركوعكم . فلما نزلت^(٥) : « تسبح اسم ربك الأعلى » -
قال : اجعلوها في سجودكم . فلذلك استحب مالك وغيره في السجود سبحان ربي
الأعلى ، وفي الركوع سبحان ربي العظيم ، وأوجبها الظاهرية . ويحتمل أن يكون
للعنى سبح الله بذكر أسمائه ، والاسم هنا جنس الأسماء . والعظيم صفة للرب ،
أو يكون الاسم هنا واحداً ، والعظيم صفة له ، وكأنه أمره أن يسبح باسمه الأعظم ؛
ويؤيد هذا وبشير إليه اتصال سورة الحديد بها ، وفي أولها التسبيح ، وجعله
من صفات الله وأسمائه . وقد قال ابن عباس : اسم الله الأعظم موجود
في ست آيات من أول سورة الحديد . ورؤى أن الدعاء بعد قراءتها
مستجاب .

(فالذين آمنوا منكم وأنفقوا لهم أجر كبير^(٦)) : نزلت في عثمان
ابن عفان رضي الله عنه ؛ فإنه جهز جيش المشرك يومئذ . ولفظ الآية مع ذلك
عام ، وحكمها باق لكل من أنفق في سبيل الله وطاعته ، ومدخل فيه النفقة
على العيال بذية نفقتهم وإعانتهم ؛ بل هي من أعظم النفقات لأحد : درهم
ينفقه أحدكم على أهله خير من ألف ينفقها في سبيل الله .

(١) النمل : ٥٩

(٢) الحديد : ٧

(٣) الأنبياء : ٦٩

(٤) الأعلى : ١

(٥) هود : ٤٨

(٦) الواقعة : ٩٦

(فَعَلَّا عَلَيْهِمُ الْأَمْرَ^(١))^(٢) : أى مدة الحياة . [٢٤١ ب] وقيل انتظار القيامة . ونال انتظار المنتح . والأول أظهر .

(فَنَهُمُ نَهْتًا^(٣)) : قد قدمنا أن الضمير راجع لفدية نوح وإبراهيم لتقدم ذكرهما ، وإن منهم اليهود والنصارى وغيرهم .

(فَانْهَارَا^(٤)) : هو التوسع دون القيام ؛ لأنه منهي عنه للحديث : لَا يَقُمْ أَحَدُكُمْ مِنْ مَجْلِسِهِ ثُمَّ يَجْلِسُ الرَّجُلُ فِيهِ ، وَلَكِنْ تَوَسَّعُوا وَتَفَسَّحُوا . واختلف : هل هذا النهي محمول على التحريم أو الكراهية ؟

(فَانْزِرُوا^(٥)) : أى ارتفعوا . واختلف في هذا النشوز المأمور به ؛ فقيل : إذا دُعُوا إِلَى تَعْلِيٍّ أَوْ صَلَاةٍ أَوْ قُلِّ طَاعَةٍ . وقيل : إذا أُمِرُوا بِالْقِيَامِ مِنْ مَجْلِسِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ لأنه كان يجب للأفراد أحياناً ، وربما جلس قوم حتى يُوْمَرُوا بِالْقِيَامِ ؛ ولهذا أخبر الله أن جلوسهم كان يؤذى النبي صلى الله عليه وسلم فيسعى منهم ، والله لا يستحي من الحق .

(فَبَايَعَهُنَّ^(٦)) : الضمير يعود على النساء اللواتي بايَعْنَ رسول الله صلى الله عليه وسلم في ثاني يوم المتح على جبل الصفا ، وبايَعَهُنَّ بالكلام ، ولا غمس يدهم بدم امرأة . وقيل : إنه غمس يده في الماء ودفعه إلى النساء ، وغمس أيديهن فيه . وروى أنه لما بايَعَهُنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه المبايعة قَرَّرَهُنَّ عَلَى الْإِسْرَاقِ . قالت هند بنت عتبة ، وهي امرأة أبي سفيان بن حرب : يا رسول الله ، إن أبا سفيان رجلاً شحيح ، فهل علي إن أخذتُ من ماله بغير إذنه ؟ قال : خُذِي مَا يَكْفِيكَ وَوَلَدُكَ بِالْعُرُوفِ ، فَلَمَّا قَرَّرَهُنَّ

على الأئمة نين قالت هند : يا رسول الله ، أئزنى الحررة ؟ قتال عليه السلام : لا ئزنى الحررة - يعنى فى غالب الأمر ، وذلك أن الزنى فى قريش إنما كان فى الإماماء . فلما قال : ولا يَفْتُلُنَ أولادهم قالت : رَبَّيْنَاهُمْ صَغَاراً وَتَمَلَّكْتَهُمْ أَنْتَ بِيَذْرِ كَبَاراً ؛ فبسم صلى الله عليه وسلم ، فله اوقفتهم على ألا يصيبته فى معروف قالت : ما جلسنا هذا المجلس وفى أنفسنا أن نعصيك . وهذه البايعة للنساء إنما كانت فى ذلك اليوم ، ولا يعمل بها اليوم ؛ لإجماع العلماء على أنه ليس على الإمام أن يشترط عليهن هذا . قائماً أن تكون منسوخة ولم يذكر الناسخ ، أو يكون ترك هذه الشروط ؛ لأنها قد تفررت وعلمت من الشريعة فلا حاجة إلى اشتراطها .

(فلما جاءهم بالبَيِّنَاتِ ^(١)) : يحتمل أن يريد عيسى أو محمد صلى الله عليه وسلم . ويؤيد الأول اتصاله ^(٢) بما قبله . ويؤيد الثانى ^(٣) : « وهو يدعى إلى الإسلام » ؛ لأن الداعى إلى الإسلام هو محمد صلى الله عليه وسلم .

(فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ ^(٤)) : قيل إنهم ظهروا بالحجة . وقيل غلبوا الكفار بالقتل بعد رفع عيسى عليه السلام . وقيل : إن ظهور المؤمنين منهم هو بمحمد صلى الله عليه وسلم .

(قَالُوا ابْشِرْ بِهِدُونَا ^(٥)) : استبدوا أن يرسل الله بشراً ، أو تكبروا عن اتباع بشر . والبشر يقع على الواحد والجماعة .

(فَلِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسَكْنَهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ ^(٦)) : يعنى فى أداء الصداق والإتياع حين الطلاق . وبلوغ الأجل خطابٌ بآخر العدة . والإمساك بمعروف هو تحسين العشرة وتوفية النفقة .

(٢) أى بقوله تعالى والآية فيها : وإذا طلق عيسى بن مريم .

(٥) التناين : ٦

(٤) الصف : ١٤

(١) الصف : ٦

(٣) الصف : ٧

(٦) الطلاق : ٢

فإن قلت : ما الحكمة في تعبيره في آية البقرة بالسراح^(١) في مكان
الافتراق هنا .

والجواب لا اكتناف آية البقرة التمهيد عن مضارة النساء ونحرهم أخذ شيء
منهن ما لم يكن ممن ما يسوغ ذلك من ألا يتأذى حدود الله ، فلما اكتنفها
ما ذكر وأتبع ذلك بالنع عن عضلين ، وتكرر أثناء ذلك ما يفهم الأمر
بمعاملتهم والإحسان إليهم حال الاتصال والانفصال لم يكن ليناسبها - قصد
من هذا أن يعبر بلفظ : «أو فارقوهن» ؛ لأن لفظ افتراق أقرب إلى الإساءة منه
إلى الإحسان ، فعول إلى ما يحصل منه المقصود مع تحيين العبارة ، وهو لفظ
التسريح ؛ فقال تعالى^(٢) : «فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ» ؛
وليجرى مع ما تقدم من قوله تعالى^(٣) : «الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ
أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ» . وقيل هنا : بإحسان ، ليناسب به تعالى المذكور من قوله :
«أو تسريح» . وقد روعي في هذه الآية كلاً من مقصد التلطف ، وتحيين الحال
في الصحبة والافتراق ؛ ولما لم يكن في سورة الطلاق تعرض لعضل ، ولا ذكر
مضارة - لم يذكر ؛ وورد التعبير بلفظ : «أو فارقوهن» ، على الانفصال ، ووقع
الاكتفاء فيما براد [٢٤٢] من الجملة في الحالين بقوله : معروف ؛ وبأن
افتراق القستين في السورتين ، وورود كل من الصورتين على ما يجب .

(فأنفقوا عليهن حتى يضمنن حملهن^(٤)) : اتفق العلماء على وجوب النفقة
للطالقة الحامل ، عملاً بهذه الآية ، إذا^(٥) كان الطلاق رجوعياً . وإن كان بائناً

(١) البقرة : ٢٢٩ : فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان وفيها (٢٣١) : فأمسكوهن

(٢) البقرة : ٢٣١

بمعروف أو سرحوهن بمعروف .

(٣) البقرة : ١٨ - ١٩

(٤) الطلاق : ٦

(٥) البقرة : ٢٢٩

فاختلفوا في نفقتها . وأما المتوفى عنها إذا كانت حاملا فلا نفقة لها عند مالك والجمهور ؛ لأنهم رأوا أن هذه الآية إنما هي في المطلقة . وقال قوم : لها النفقة في التركة .

(فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين^(١)) : هو أبو بكر الصديق على قول من قل إن مفرد^(٢) . وقيل على بن أبي طالب . وعلى القول بأنه جمع محذوف النون للإضافة فهو على الصوم في كل صالح . والخطاب لنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم ؛ يعني إن تلوتما^(٣) عليه بما يسوءه من إفراط الغيرة وإفشاء سره ونحو ذلك فإن له من ينصره .

و، ولاء هنا يحتمل أن يكون بمعنى السيد الأعظم فيوقف على ولاء ، ويكون جبريل مبتدأ وظهير خبره وخبر ما عطف عليه . ويحتمل أن يكون الولي هنا بمعنى الولي الناصر ، فيكون جبريل مطوقاً ، فيوصل مع ما قبله ، ويوقف على صالح المؤمنين ، ويكون الملائكة مبتدأ وظهير خبره . وهذا أرجح وأظهر ؛ لوجهين :

أحدهما - أن معنى الناصر أليق بهذا الوضع ؛ فإن ذلك كرامة للنبي صلى الله عليه وسلم وتشريف له . وأما إذا كان بمعنى السيد فذلك يشترك فيه النبي صلى الله عليه وسلم مع غيره ؛ لأن الله مولى جميع خلقه بهذا المعنى ؛ فليس في ذلك إظهار مزية له .

(١) التحريم : ٤ (٢) أي كلمة صالح . وفي القرطبي (١٨ - ١٨٩) :
وقيل صالح المؤمنين ليس له الواحد ، وإنما هو صالحو المؤمنين ، فأضاف الصالحين إلى المؤمنين ، وكتب بنبر واو على المنط .
(٣) في القرطبي : يعني خمسة وعشرة (١٨ - ١٨٨) .

والوجه الثاني - أنه ورد في الحديث الصحيح أنه لما وقع ذلك جاء عمر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ، ما يشق عليك من أمر النساء ، فإن كنت طلقتهن فإن الله معك وملائكته ، وجبريل معك ، وأبو بكر معك ، وأنا معك ؛ فنزلت الآية موافقة لقول عمر ؛ فقوله : معك يقتضى معنى النصرة .

وقد أفرد جماعة من العلماء تصنيف ما نزل من القرآن على لسان بعض الصحابة . والأصل فيه موافقات عمر ، وقوله رضى الله عنه : واقفت ربي ، وواقفتي في أربع مرات : في الحجاب . وفي أسارى بدر . وفي مقام إبراهيم . وفي قوله ^(١) : « ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ... » الآية ؛ لما نزلت قلت أنا : « فتبارك الله أحسن الخالقين » ، فنزلت كذلك .

وأخرج عن عبد الرحمن بن أبي ليلى أن يهوديا لقي عمر بن الخطاب فقال : ابن جبريل الذى يذكركم صاحبك عدو لنا . فقال عمر : من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكائيل فإن الله عدو للكافرين ، فنزلت كذلك .

وأخرج الترمذى ، عن ابن عمر - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن الله جل الحق على لسان هر وقلبه » . قال ابن عمرو : ما نزل بالناس أمر قط فقالوا وقال إلا نزل القرآن على نحو ما قل هر . وأخرج ابن أبي حاتم ، عن عكرمة ، قال : لما أبطأ على الناس الخبر فى أحد خرجن يستخبرن فإذا رجلا من قبلان على بعير ، قالت امرأة : ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قالا : حى . قالت : فلا أبالى ؛ يتخذ الله من عباده الشهداء ، فنزل قوله تعالى ^(٢) : « ويتخذ منكم شهداء » .

(فَلَمَّا رَأَوْهُ زُنْتَةً ^(١)) ؛ أى قريبا ؛ وضهير الفاعل لكفار ، والمفعول لعذاب .

(فَطَافَ عَلَيْهِمُ طَائِفٌ ^(٢)) : الطائف : الأمر الذى يأتى بالبل .

(فَتَنَادَوْا مُصْرِعِينَ ^(٣)) ؛ أى نادى بعضهم بعضا حين أصبحوا ، وقال بعضهم لبعض : اغدوا على حرثكم ؛ فلما لم يعرفوها ورأوا ما أصابها قالوا : بل نحن محرومون ^(٤) ؛ أى حرمتنا الله خيرها ؛ فقال أوسطهم ، وهو أفضلهم ^(٥) : ألم أقل لكم لولا تسبحون . وهو عبارة عن طاعة الله وتمجيده . وقيل : أراد الاستثناء فى اليمين ، كقوله : إن شاء الله . والأول أظهر ؛ لقولهم بعد ذلك ^(٦) : « سبحان ربنا إنا كنا ظالمين » .

(فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَوْمُونَ ^(٧)) : أى يلوم بعضهم بعضا على ما كانوا عزموا عليه من منع الساكنين ؛ أو على غفلتهم عن التسييح .

فإن قلت : ما معنى عطفه هنا [٣٤٢ ب] بالقاء ، وفى الثانية من سورة الصافات ، بخلاف الأولى ^(٨) ؟

والجواب أن هذه الآية من كلام أهل صنماء لما رأوا جنتهم محترقة وتدمروا على ما كان منهم وجعلوا يقولون : سبحان ربنا ، فأقبل بعضهم على بعض يتلاومون .

وأما عطف أولى الصافات بالواو فلأنه عطف جملة على جملة فحسب ، وعطف

(١) الملائكة : ٢٧ (٢) القلم : ١٩ (٣) القلم : ٢٩
 (٤) القلم : ٢٢ ، ٢٧ (٥) القلم : ٢٨ (٦) القلم : ٢٩
 (٧) القلم : ٣٠ (٨) الصافات : ٢٧ ، ٥٠ الأولى : وأقبل بعضهم على بعض
 صماء لون . وفى الثانية : فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون .

الآية بعدها بالقاء ؛ لأنه عطف جملة على جملة بينهما مناسبة والتثام ؛ لأنه حكى أحوال أهل الجنة ومذاكرتهم فيها ، وما جرى بينهم في الدنيا وبين أصدقائهم ، وهو قوله : « وعندهم قاصرات الطرف عين . كأنهن بياض مكنون . فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون ... » الآية .

(فوقهم يومئذ ثمانية^(١)) ؛ أى ثمانية أملاك ، والمراد بالفوقية أنهم يزادون يوم القيامة أربعة ؛ لأنهم اليوم أربعة ، رؤسهم عند العرش ، وأرجلهم تحت الأرض السابعة . وقال ابن عباس : هي ثمانية صفوف من الملائكة لا يعلم أحد عدتهم . والأول أصح لوروده في الحديث .

(فيقول : يا ليتنى لم أوت كتابي^(٢)) ؛ أى يتمنى أنه لا يُعطى كتابه . وقال ابن عطية : يتمنى أن يكون معلوماً لا يتجرى عليه شيء . والاول ظاهر .

(فصياحه التي تؤويه^(٣)) ؛ أى تحفمه ، فيحتمل أن يريد تضمه في الالتواء إليها ، أو في نصرته وحفظه من المضرات .

(^(٤) فأذخاوا ناراً) : يعنى جهنم ، وعبر عن ذلك بالفعل الماضي ؛ لأن الأمر محقق وقيل : أراد عرضهم على النار ، وعبر عنه بالإدخال .

(^(٥) فاجراً) : مأثماً عن الحق ، وأصل الفجور الميل .

(^(٦) فزادوهم رهقاً) : ضمير الفاعل للجن ، وضمير المفعول للإنس . والمعنى أن الجن زادوا الإنس ضللاً أو إثماً عاذوا بهم ، أو زادوهم تخويفاً لما رأوا ضعف عقولهم . وقيل ضمير الفاعل للإنس ، وضمير المفعول للجن . والمعنى

(٣) الخارج : ١٣

(٢) الحالة : ٢٥

(١) الحالة : ١٧

(٦) الجن : ٦

(٥) نوح : ٢٧

(٤) نوح : ٢٥

أن الإنسان زاهدوا الجن تكبراً لمساعدوا بهم ، حتى كأن الجن يقول أنا سيد الجن والإنس .

(فَمَنْ^(١) يَسْتَمِعِ الْآنَ) ؛ أى وقت استراقه ، فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه « رصدًا » . قد قدمنا أن الرصد اسم جمع للواحد كالحرص للحراس ، ومعنى الآية : إن الله يسلك من بين يدي الرسول ومن خلفه ملائكة يكونون رَصَدًا يحفظونه من الشياطين .

قال بعضهم : ما بعث الله رسولاً إلا ومعه ملائكة يحرسونه حتى يبلغ رسالة ربه . وإذا كان الله يحفظ غير الرسل فما بالك بهم . وتأمل حكاية الشيطان الذى أتى لوسوسة القمام الذى كان فى المسجد يصلى فلم يقدر على الدخول ، فقال أخوه من الشياطين : ما بالك لا تدخل إليه ؟ فقال : نفس النائم منعى من توسوس القمام ، وكان النائم إبراهيم بن آدم .

(فَتَنِّ كَيْفَ قَدَّرَ)^(٢) : دعاء على الوائد بن المغيرة ، وذم لحاله ؛ وكرره^(٣) ناكيداً . قال ابن عطية : ويحتمل أن يكون مقتضاه بزعمه الأول حين أعجبه القرآن ، فيكون قوله : « قُتِلَ » لا يُرَادُ به الدعاء عليه ، وإنما هو كقولهم : قاتل الله فلاناً ما أشجع ! يريدون التعجب من حاله واستغمام وصفه . وقال الزمخشري^(٤) : يحتمل أن يكون ثناء عليه على طريقة الاستهزاء ، أو حكاية لقول قريش تهكماً به .

فإن قلت : ما معنى « ثم » الداخلة فى تكرير الدعاء ؟

قلت : الدلالة على أن المرة الثانية أبلغ من الأولى ؛ ونحوه قوله :

(١) الجن : ٩ (٢) الدثر : ١٩ (٣) كرده فى الآية بعدها : ثم قتل كيف قدر .
(٤) فى الكشاف : ٢ - ٣ .

ألا يا سلمى ثم اسلمى ...

فإن قلت : فما معنى المتوسطة بين الأفعال التي بعدها ؟

قلت : الدلالة على أنه قد تأتى فى التأمل والتأمل ، وكان بين الأفعال
التساقط تراخ وتباعد .

فإن قلت : فلم عطف فقال بالفاء بعد عطف ما قبله بـ (١) ؟

قلت : لأن الكلمة لما خطرت بياته بعد الطلب لم يلبث أن نطق بها
من غير لبث .

فإن قلت : فلم لم يوسط حرف العطف بين الجملتين ؟

قلت : لأن الأخرى جرت من الأولى بحرى التوكيد من التوكيد .

(فَنَ شَاءَ ذَكَرَهُ (٢)) : فاعل شاء ضمير يعود على مَنْ . وفى ذلك حذف
وترغيب . وقبل الفاعل هو الله . ثم قيد (٣) فعل العبد بشبهة الله .

(فَاقْرَءْ (٤)) : أى مصيبة قاصمة الظهر ، تقول : هزت الرجل ، إذا
كسرت قماره ، كما تقول : رأسته ، إذا ضربت رأسه .

(فَأُولَى) : قد قدمنا فى مواضع أنه كثر ذلك تأكيداً ، وأن رسول الله
صلى الله عليه وسلم لبب (٥) أبا جهل ، وقال : إن الله يقول لك : أولى لك فأولى ،
فتزل القرآن بمواقعة ذلك .

(فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا (٦)) : هى الملائكة ، لأنهم يعصفون كما تعصف الرياح

(١) الآيات هى : إنه فذكر وقدر . فقتل كيف قمر . ثم قتل كيف قمر . والعجاءة هل
ذلك غير مستعجبة لأنه عطف بالفاء أولاً ثم طلب بـ (٢) المذنب : ٥٥

(٣) فى الآية بعدها : وما يذكر أن بشاء الله . (٤) القيامة : ٢٥

(٥) القيامة : ٣٤ (٦) فى الفرق (٦ - ١١٥) : أخذ رسول الله بيده فبرز

مرة أو مرتين ، ثم قال : أولى لك فأولى . (٧) المرسلات : ٢

في سرعة مُخَيِّبِهِمْ إِلَى امْتِنَالِ أَوَامِرِ اللَّهِ . وَقِيلَ : الرِّيحُ ؛ لقوله : رِيحٌ عَاصِفٌ .
(فَالْفَارِقَاتِ فَرَقًّا^(١)) : قِيلَ الْمَلَائِكَةُ لِأَنَّهُمْ يَفْرُقُونَ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ .
وَقِيلَ الرِّيحُ ؛ لِأَنَّهَا تَفْرُقُ السَّحَابَ ؛ وَمِنْهُ^(٢) : « وَجِئْكُمْ كَيْفًا » .

(فَالْمُلْقِيَاتِ^(٣) ذِكْرًا) : هُمُ الْمَلَائِكَةُ ؛ لِأَنَّهُمْ يَلْقَوْنَ الذِّكْرَ لِلْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ . وَالْأَظْهَرُ فِي الْمُرْسَلَاتِ وَالْعَاصِفَاتِ أَنَّهَا الرِّيحُ ؛ لِأَنَّ وَصْفَ الرِّيحِ بِالْعَاصِفِ حَقِيقَةٌ . وَالْأَظْهَرُ فِي الْبَاشِرَاتِ^(٤) وَالْفَارِقَاتِ أَنَّهَا الْمَلَائِكَةُ ؛ لِأَنَّ الْوَصْفَ فِي الْفَارِقَاتِ أَلْيَقُ بِهِمْ مِنَ الرِّيحِ ؛ وَلِأَنَّ الْمُلْقِيَاتِ الْمَذْكُورَةَ بَعْدَهَا هِيَ الْمَلَائِكَةُ ، وَلَمْ يَقُلْ أَحَدٌ أَنَّهَا الرِّيحُ ؛ وَلِذَلِكَ عَطَفَ الْمُتَجَانِسِينَ بِالْقَاءِ ، فَقَالَ : وَالْمُرْسَلَاتِ ، فَالْعَاصِفَاتِ ؛ ثُمَّ عَطَفَ عَلَى مَا لَيْسَ مِنْ جِنْسِهَا بِالْوَاوِ ؛ فَقَالَ : وَالْبَاشِرَاتِ ؛ ثُمَّ عَطَفَ عَلَيْهِ الْمُتَجَانِسِينَ بِالْقَاءِ . وَقِيلَ فِي الْمُرْسَلَاتِ وَالْمُلْقِيَاتِ أَنَّهُمُ الْأَنْبِيَاءُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ^(٥) .

فَإِنْ قُلْتَ : هَلْ يَصِحُّ قَوْلُ الْقَائِلِ إِنَّ الْمُرْسَلَاتِ الرِّيحُ لِمَعْنَى قَوْلِهِ : عُرْفًا .

وَالْجَوَابُ أَنْ مَعْنَى عُرْفًا عَلَى كُلِّ قَوْلٍ : فَضْلًا وَإِنْسَامًا ؛ وَاتِّصَابُهُ عَلَى أَنَّهُ مَفْعُولٌ مِنْ أَجَلِهِ ، وَقِيلَ مَعْنَاهُ مُتَتَابِعَةٌ ، وَهُوَ مُصَدَّرٌ فِي مَوْضِعِ الْحَالِ . وَأَمَّا عَصْفًا وَنَشْرًا وَفَرَقًا فَصَادِرٌ . وَأَمَّا ذِكْرُ الْمَفْعُولِ بِهِ .

(فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ^(٦)) : تَمْجِيزٌ وَتَمْيِيزٌ بِكَيْدِهِمْ بِالْدُنْيَا ، وَتَقْرِيعٌ عَلَيْهِمْ ؛ كَقَوْلِ هُودٍ^(٧) : « فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنْظِرُونِ » . وَكَقَوْلِ

(١) الْمُرْسَلَاتِ : ٤ . (٢) الرُّومُ : ٤٨ . (٣) الْمُرْسَلَاتِ : ٥ .
(٤) فِي آيَةِ ٣ ، مِنْ الْمُرْسَلَاتِ . (٥) الْمُرْسَلَاتِ : ٣٩ . (٦) يُونُسَ : ٧١ .

موسى^(١) : « فَأَجْمُوا كَيْدَ كُمْ نَمِ اثْنُوا صَفَا » .

(فالسابقَاتِ^(٢) سَبَقًا) : قيل إنها الملائكة ، ستمام الله نازعات ؛ لأنهم ينزعون نفوس بني آدم من أجسادها ؛ وناشطات ؛ لأنهم ينشطونها ، أى يخرجونها ، فهو من قولك : نشط الدلو من البئر ، إذا أخرجتها . وسابحات ، لأنهم يسبحون في سيرهم ، أى يسرعون فيسبقون فيدبرون أمور العباد والرياح والمطر وغير ذلك حسبما يأمرهم الله .

وقيل : إنها النجوم ، وسماها نازعات ؛ لأنها تنزع من المشرق إلى المغرب ، وناشطات لأنها تنشط من برج إلى برج ، وسابحات لأنها تسبح في القللك ؛ ومنه^(٣) : « كُلُّ شَيْءٍ فِي أَمَلِكِ يَسْبَحُوكَ » ، فتدبر في جزيها ، فتدبر أمراً من علم الحساب .

(١) قَالِدُبِّرَاتِ أَمْرًا : قال ابن عطية : لا أعلم خلافاً أنها الملائكة ، وحكى فيها القولان ، كما تقدم .

فإن قلت : ما معنى « غَرَقًا »^(٤) ، على القواين ؟ وأين جواب القسم ؟

فالجواب إن قلنا إن النازعات الملائكة ففى معنى غَرَقًا وجهان : أحدهما أنه من الفرق ، أى تفرق الكفار في جهنم . والآخر أنه من الإغراق بمعنى المبالغة فيه ؛ أى تبالغ في نزع النفوس حتى تخرجها من أقاليم الأجساد . وإن قلنا إن النازعات النجوم فهو من الإغراق بمعنى المبالغة ؛ أى تبالغ في نزوعها ، فتقطع القللك كله . وإن قلنا إنها النفوس فهو أيضاً من الإغراق ؛ أى تفرق في الخروج من الجسد .

(٢) الأنبياء : ٢٢

(٣) النازعات : ٤

(٤) طه : ٦٤

(٥) في قوله تعالى : والنازعات غرقا .

(٦) النازعات : ٥

وإعراب «غرقا» المصدر في موضع الحال . ونشطا وسبقا وسبعا مصادر ، وأمرأ مفعول به .

وجواب القسم محذوف ؛ وهو بعث الموتى بدلالة ما بعده عليه من ذكر القيامة . وقيل الجواب ^(١) : « يوم ترجفُ الراجفة . تتبعها الرادفة » على تقدير حذف لام التوكيد . وقيل : هو ^(٢) : « إن في ذلك لَعِبْرَةً لِمَن يَخْشَى » ؛ وهذا بعيدٌ أبعدُه من القسم ، ولأنه إشارة إلى قصة فرعون لا لمعنى القسم .

(^(٣) فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ) : هذا من كلام الله ردًا على الذين أنكروا البعث ، كأنه يقول : لا تظنوا أنه صعب على الله ؛ بل هو عليه يسير .

(^(٤) فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ) ؛ أى وجه ^(٥) الأرض ، والباء ظرفية ، وإذا نحائية . والمعنى إذا نفخ في الصور حصلوا بالأرض أسرع شئ .

(^(٦) فَحَسْرَتُنَا دَى . فَقَالَ أَمَّا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى) ؛ يعنى أن فرعون جمع جنوده ، ونادى قومه ، وقال لهم ما قال . ويحتمل أنه أمر من يُناديهم . والأول أظهر ؛ لأنه روى أنه قام فيهم [٢٤٣ ب] خطيباً .

(^(٧) فَسَبِّحُواهَا) : الصّير يعود على السماء ، أى أنقن خلقتها . وقيل : جعلها مُستوية ، ليس فيها مرتفع ولا منخفض .

(^(٨) فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى) ، هذا أحد أسماء يوم القيامة ؛ وقد سماه الله في كتابه بثلاثين اسماً عظيمة : يوم الأزيمة . ويوم التلاق . ويوم التناد . ويوم التغابن . ويوم الثبور . ويوم الجمع . ويوم الحق . ويوم الحسومة . ويوم

(١) النازعات : ٧ ، ٦	(٢) النازعات : ٢٦	(٣) النازعات : ١٣
(٤) النازعات : ١٤	(٥) تفسير الساهرة .	(٦) النازعات : ٢٣ ، ٢٤
(٧) النازعات : ٢٨	(٨) النازعات : ٣٤	

الذين . ويوم الراجفة . ويوم الزلزلة . ويوم الشفاعة . ويوم الصاخة . ويوم
عظيم . ويوم عبوس . ويوم السر . ويوم القارعة . ويوم القمطارير . ويوم
الفصل . ويوم القيامة . ويوم النفخ . ويوم الوعيد . واليوم الموعود . ويوم
القارعة . ويوم الواقعة . واليوم المشهود . ويوم الحاقة . ويوم النشور .
يخرجون من الأجداث كأنهم جرادٌ مُنتشر ، يكشف للمرء ما أخفاه ، ويتذكر
حينئذ غفلةً وهواه ؛ فإننا لله وإنا إليه راجعون على غفلتنا على ما يراد بنا ؛ يقول
الله تعالى في بعض كتبه : عَبْدِي أُعْطَيْتَكَ مَنِيَّةَ الرِّضَى ، وَأَهْلَ السَّجُونِ ، وَأَهْلَ
الْقُبُورِ ، وَأَهْلَ النَّشُورِ ، وَأَهْلَ الْجِنَانِ ، وَأَهْلَ النَّيرانِ ؛ فَمَا لَكَ لَا تَنْتَهِمُ مَاهِيَتَكَ
الَّتِي أَنْتَ فِيهَا ؟ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ مَنْ أَحَبَّ شَيْئًا طَلَبَهُ ، وَمَنْ طَلَبَ شَيْئًا وَجَدَهُ ، وَمَنْ
خَافَ مِنْ شَيْءٍ هَرَبَ مِنْهُ ، وَمَنْ أَرَادَ سَفَرًا أَهْتَمَّ لَهُ ، وَمَنْ أَحَبَّ الْعُرُوقَ بَقِيَ
أَقْدَى بِفَعَالِهِمْ وَمَالِكُ سَيْلِهِمْ ، وَمَنْ فَضَّلَ قَوْمًا بِالْعِلْمِ يَحِقُّ أَنْ يَفْضُلَهُمْ بِالْعَمَلِ ،
فَلْيَكُنِ الْغَالِبُ مِنْ هُمُومِكَ هَمُّ الْعَمَادِ وَالْتِزَادِ لَهُ ، وَالْغَالِبُ مِنْ كَلَامِكَ ذِكْرُ
الْمَوْتِ وَالِاسْتِعْدَادُ لَهُ ، فَهُوَ أَشَدُّ شَيْءً نَزَلَ بِكَ قَطْ ، وَأَهْوَنُ شَيْءٍ فِيمَا بَعْدَهُ ،
لَأَنَّ بَعْدَهُ سَبْعِينَ هَوْلًا ، كُلُّ هَوْلٍ أَشَدُّ مِنْ لَوْتٍ ، فَلَا يَسْتَبْحِكُ الشَّيْطَانُ
فِي الدُّنْيَا ، وَالْمُتَأَقُّونَ فِي الْآخِرَةِ .

فَإِنْ قُلْتَ : لِمَ خُصَّتِ النَّازِعَاتُ بِاسْمِ الطَّامَةِ ، وَعَبَسَ^(١) بِاسْمِ الصَّاخَةِ ،
مَعَ أَنَّهُمَا شَيْءٌ وَاحِدٌ ؟

فَالْجَوَابُ أَنَّ اسْمَ الطَّامَةِ أَرْهَبُ وَأَنْبَأُ بِأَهْوَالِ الْقِيَامَةِ ، لِأَنَّهَا مِنْ
قَوْلِهِمْ : طَمَّ السَّبِيلُ ، إِذَا عَلَا وَغَابَ . وَأَمَّا الصَّاخَةُ فَالْصَّيْحَةُ الشَّدِيدَةُ ، مِنْ قَوْلِهِمْ
صَخَّ بِأَذْنِيهِ مِثْلَ أَصَاخٍ ، فَاسْتَعْبِرْ عَلَى^(٢) أَسْمَاءِ الْقِيَامَةِ بِجَازٍ ، لِأَنَّ النَّاسَ
يُصَيِّخُونَ لَهَا ، فَلَمَّا كَانَتِ الطَّامَةُ أَبْلَغَ فِي الْإِشَارَةِ إِلَى أَهْوَالِهَا خَصَّ بِهَا أَبْلَغُ

(٢) مَعْنَى فِي الْأَصْلِ .

(١) فِي النَّازِعَاتِ : ٣٤ ، وَعَبَسَ : ٢٣ .

السورتين في التخويف والإنذار . وعلى ذلك بُنيت سورة « النازعات » ؛
 ألا ترى قوله : « يوم تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ . تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ » . ووصف العاصية الكبرى ،
 وما أتبع به بُعدُ . وابتداء السورة وختامها قبلها تخويف^(١) وترهيب ، فحاسبها
 أشدَّ العبارتين موقعا ، وأرهبها . وأما سورة عبس فلم تُبَيَّنْ على ذلك الغرض ،
 وإنما بُنيت على قصة عبد الله بن أم مكتوم الأعمى . وذلك مشهور ، ثم ورد
 قوله : « فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاحَّةُ » عَقِبَ التذكير بقوله^(٢) « إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ » والتذكير
 للاعتبار بقوله :^(٣) « فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ . . » إلى قوله : « مَتَاعًا لَكُمْ
 وَلِأَنفُسِكُمْ » . ثم أتبع بعد ذكر الصاخة بقوله^(٤) : « وَجْوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ .
 ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ » . فسورة النازعات على الجهة أشدُّ في التخويف والترهيب ،
 فحاسبها أبلغ العبارتين من أسماء القيامة .

وقيل : إنما خُصَّتْ النازعات بالطماعة ؛ لأنَّ الطمَّع قبل الصبح ، وهو الصوت
 الشديد والفرع قبل الصوت ، فكانت هي السابقة . وخصَّتْ سورة « عبس »
 بالصاخة ؛ لأنها بده وهي اللَّاحِقَةُ .

(فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ)^(٥) : أمر بالاعتبار في^(٦) الطعام ، كيف
 خلَّقه الله بقدرته ، ويسرَّه برحمته ، فوجب على العبد طاعته وشكره . وتنبَّح
 معصيته والكفر به . وقيل : فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ كيف يصير ، فيزداد
 في دُنْيَا هذه حالها ، ولا يرغب في لذاتها ، كما قال صلى الله عليه وسلم للأعرابي :
 ما طعامك ؟ قال : اللحم واللبن . قال : فبلى ماذا يصير ؟ ولهذا كان صلى الله
 عليه وسلم لا يشبع من خبز الشعير زهداً فيها . قال يحيى بن سلام : بعد أن ذكر
 الله زواجر الكفار استأنف ضرب المثل لأهل الإيمان ، ايزدادوا اعتباراً بقوله :

(١) آخر سورة النبأ قبلها : لَمَّا أَذْرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ويقول

الكافر يَا بَنِي كُنْتَ تَرَايَا . (٢) عبس : ١١ (٣) عبس : ٢٤ (٤) عبس : ٣٨ : ٢٩ (٥) عبس : ٢٤ (٦) هذا في الأصلين .

فليُنظر الإنسانُ إلى طعامه الذي يحيا به ويأكله ، من أى شيء كان ؟ ثم صار بعد حفظه ابن آدم ^(١) ، وهو الجسد [١٢٤٤] . قال الحسن : لك يميل رقة ابن آدم حين يجلس . وقيل : فليُنظر الإنسان إلى طعامه ويفكر فيما هتأه من ماء وأرض ، وماء وحرّ وبرد ونحوها ، وآلة عديدة ، وأسنان ؛ منها كامرة وطاحنة ، يربق حُرّ لذوقه وسَوّغِه ، وقوة هاضمة ، ودافعة ، وإذا استوى طعامه بحرارة كبده ونحوه أعطى الله تعالى لكل جزء شعرة نصيباً .

(فأقبره ^(٢)) ؛ أى جملة ذاك قبر ، يقال : قبرت الميت إذا دفنته ، وأقبرته إذا أمرت أن يُدفن .

(فليَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ) ^(٣) : التنافس في الشيء هو الرغبة فيه ، والمخالة في طلبه ، والتزاحم عليه ، وهذا كقولهِ ^(٤) : « لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ » . فسبحان من جذب عباده إليه تارة بذكر نعيمه ، وتارة بالتحذير من عذابه ، وتارة بإحسانه إليهم لعلهم يرجعون إليه ؛ لم يسكنه ما أعطاهم من رياسة الدنيا ، وتخير الخلوقات لهم حتى وعدهم بالملك العظيم ، والقوز المقيم ، والرضوان الجسيم ، ورؤيته تعالى أعظم من هذا كله .

(قَالِ يَوْمَ ^(٥) الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ) : لما كان الكفار في الدنيا يضحكون على المؤمنين قلب الله الحقائق ، فيضحك المؤمنون من الكفار حينئذ ويقولون لهم : هذا يومكم الذي كنتم توعدون . اصنّوا هذا اليوم بما كنتم تكفرون . (فلا تُفْرِمِ بِالْشَّفَقِ) ^(٦) ؛ هو الحرّة التي تبقى بعد غروب الشمس . وقال أبو حنيفة : هو البياض . وقيل : هو النهار كله . والأول هو المعروف عند الفقهاء وأهل اللغة .

(١) هنا بالأصلين . (٢) عيس : ٢١ (٣) الطهين : ٢٦ (٤) الصافات : ٦١

(٥) المطافين : ٣٤ (٦) الانشقاق : ١٦

(فَمَّا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ^(١)) . أَيُّ شَيْءٍ يَخْلُقُ السَّكْبَاءُ مِنَ الْإِنْسَانِ : رَدِّمُ
هَذِهِ الْمِثْرَ .

(فَبَشِّرْهُمْ^(٢) بِعَذَابٍ أَلِيمٍ) : وَضَعَ الْبَشَارَةَ مَوْضِعَ النَّذَارَةِ تَهْكَمَا بِهِمْ .
(فَتَنَّبَهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ^(٣)) : إِنْ كَانَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي أَصْحَابِ الْأُخْدُودِ
فَالْفِتْنَةُ هُنَا بِمَعْنَى الْإِحْرَاقِ ، وَإِنْ كَانَتْ فِي كُفَّارِ قُرَيْشٍ فَالْفِتْنَةُ بِمَعْنَى الْفِتْنَةِ
وَالْعَذِيبِ . وَهَذَا أَظْهَرَ ، فَقَوْلُهُ^(٤) : « ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا » ؛ لِأَنَّ أَصْحَابَ الْأُخْدُودِ
لَمْ يَتُوبُوا ، بَلْ مَاتُوا عَلَى كُفْرِهِمْ . وَأَمَّا قُرَيْشٌ فَفِيهِمْ مَنْ أَسْلَمَ وَتَابَ . وَفِي الْآيَةِ
دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ السَّكْبَاءَ إِذَا أَسْلَمَ يُغْفَرُ لَهُ مَا فَعَلَ فِي حَالِ كُفْرِهِ ، الْحَدِيثُ : الْإِسْلَامُ
يَجِبُ مَا قَبْلَهُ .

وَاخْتَلَفَ هَلْ يَكْتُبُ لَهُ مَا فَعَلَ مِنَ الْخَيْرِ ؟ الصَّحِيحُ أَنَّهُ يَكْتُبُ لَهُ ؛ لِلْحَدِيثِ :
أَسْلَمْتُ عَلَى مَا أَسْلَمْتُ مِنَ الْخَيْرِ ، وَقَدْ أُلْفَ بِمَعْضُومٍ فِيهِ تَأْلِيفًا مُفِيدًا .

(فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ^(٥)) : حَذَفَ أَلْفَ مَا لَهَا اسْتِفْهَامِيَّةٌ ، وَجَوَابُهَا :
« خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ »^(٦) ، وَاسْتَفْهَمَ هُنَا عَنْ ابْتِدَاءِ الْخَلْقَةِ لِيَعْلَمَ الْإِنْسَانُ مَنْ
هُوَ ، وَمِنْ أَيِّ شَيْءٍ خُلِقَ ، كَيْ لَا يَتَكَبَّرَ ، وَكَيْفَ يَتَكَبَّرُ مَنْ خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ
نَجَسٍ نَجَسَ فِي دَمٍ نَجَسٍ ، وَلِذَلِكَ قَالَ بَعْضُهُمْ : مَا يَصْنَعُ بِالْكِبَرِ مَنْ خُلِقَ
مِنْ نَظْفَةٍ مَذْرُوءَةٍ^(٧) وَآخِرُهُ جَيْفَةٌ قَذِيرَةٌ ، وَهُوَ فِيهَا بَيْنَهَا حَامِلٌ عَذِيرَةٌ !

(فَمَا لَهُ مِنْ قُوتٍ وَلَا نَاصِرٍ^(٨)) : قَدْ قَدَّمْنَا أَنَّ الضَّمِيرَ لِلْإِنْسَانِ ، وَفِيهَا التَّنْبِيهُ
لَهُ عَلَى الرَّجُوعِ إِلَى خَالِقِهِ وَنَاصِرِهِ ، وَلَا يَأْتِ بِغَيْرِهِ مِنْ وَالِدٍ وَزَوْجٍ وَأَخٍ
وَوَلَدٍ ؛ إِذْ كَلَّمَهُمْ يَنْقُطِعُونَ عَنْهُ ، وَلَا يَحْدُ إِلَّا مَوْلَاهُ الَّذِي يَنْعَمُ بِهِ حَيًّا وَمَيِّتًا ،

(١) الْأَنْعَاقُ ٢٠ (٢) الْأَنْعَاقُ ٢٤ (٣) الْبُرُوجُ ١٠ (٤) الطَّارِقُ ٥

(٥) الطَّارِقُ ٦ (٦) الْمَنُورَةُ : الْقَذِيرَةُ (الْقَامُوسُ) . (٧) الطَّارِقُ ١٠

يقول تعالى في بعض كتبه : عهدي أحبواؤك أربعة : حبيب يصلح لأولادك ولا يصلح لأخراك ، وهما الأبوان بخدمايك وربيباك في صغرك ، فإذا كبرا يكونان ضعيفين لا يقدران على أن يربياك . وحبيب يصلح لأخراك ولا يصلح لأولادك ، وهم أولادك بخدموك في آخر عمرك . وحبيب يصاح لظاهره ولا يصلح لباطنه ، وهم الأخلاء والأصدقاء . وحبيب يصلح لباطنه ولا يصلح لظاهره ، وهن أزواجك ، فإذا أردت أن تحب أحداً فإني أحبك أولاً وآخرأ وظاهراً وباطناً ، وأنصرك في كل الأحوال ، أترك من يحبك في كل الأحوال وتحب من لا يحبك على كل حال ؟

(فسوى ^(١)) : حذف مفعول خلق فسوى ؛ لقصد الإجمال الذي يفيد العموم . والمراد خلق كل شيء فسواه ، أى أنتن خيقتنه .

(فهى ^(٢)) : حذف المفعول أيضاً ليفيد العموم [٢٤٤ ب] ، فإن كان من التقدير ^(٣) فالعنى قدر لكل حيوان ما يصاحبه فهداه إليه ، وعرفه وجه الانتفاع به . وقيل : هدى ذكور الحيوان إلى وطء الإناث لبقاء النسل . وقيل : هو المولود حين وضعه إلى موى الندى . وقيل : هدى الناس للخير والشر والبهائم للزراع . وهذه الأقوال أمثلة . والأول أعم وأرجح ، فإن هداية الإنسان وسائر الحيوانات إلى مصالحها باب واسع فيه عجائب وغرائب . وقال الفراء : المعنى هدى وأضل ، واكتفى بالواحدة ، لدلالاتها على الأخرى . وهذا بعيد .

(فذكر إنما أنت مذكر ^(٤)) ، أى ذكر كل أحد ، « إلا » من تولى ، يشت منه ، فهو على هذا متصل . وقيل : إلا من تولى استثناء من قوله : « أنت مذكر » .

(١) الأعلى : ٢ (٢) الأهل : ٣ (٣) في قدر في الآية : والذي قدر فهدى .
(٤) الناشية : ٢١ (٥) الناشية : ٢٣

عليهم بِمُصِطَرٍّ^(١) ؛ أى لا تتسأط إلا على مَنْ تولى وكفر ؛ وهو على هذا متصل لا نَسْخَ فيه ؛ إذ لا مَوَادعة فيه ؛ وهذا بعيد ؛ لأن السورة مكية والموَادعة بمكة ثابتة .

(٢) فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ : قد قدمنا أنه استعار للسوط العذاب ؛ لأنه يقتضى من التكرار مالا يقتضيه السيف وغيره ، قال ابن عطية . . قال الزمخشري^(٢) : ذِكْرُ السوط إشارة إلى عذاب الدنيا ؛ إذ هو أهون من عذاب الآخرة ، كما أن السوط أهون من القتل .

(فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ^(٣)) : قد قدمنا أن معنى الابتلاء الاختبار ، واختباره تعالى لعبده لتقوم الحجة عليه بما يبدو منه ؛ وقد كان لله عالماً بذلك قبل كونه . والإنسان هنا جنس . وقيل نزلت في عتبة بن ربيعة ، وهى مع ذلك على العموم فيمن كان على هذه الصفة ، وذكر الله في هذه الآية ابتلاءً للإنسان بالخير والشر اختباراً وفتنةً .

(فَقَدَرْنَا عَلَيْهِ رِزْقَهُ^(٤)) ؛ أى ضيقه . وقرئ بتشديد الدال وتخفيفها بمعنى واحد . وفى التشديد مبالغة . وقيل معنى التشديد جعله على قدر معلوم .

(٥) فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ : مَنْ قرأ بكسر الدال من يذهب وإنشاء من يوثق فالضمير فى عذابه ووثاقه لله تعالى . وَمَنْ قرأ بالفتح فالضمير للإنسان ، أى لا يعذب أحد مثل عذابه ولا يوثق أحد مثل وثاقه ، وهذه قراءة الكسائي . وروى أن أبا عمرو رجع إليها ، وهى قراءة حسنة صححت عنه صلى الله عليه وسلم . (فَادْخُلِي فِي عِبَادِي^(٦)) ؛ أى فادخلى فى عبادى الصالحين . وقرئ : فادخلى

(١) الناحية : ٢٢ (٢) النجر : ١٣ (٣) الكشاف ٢ - ٥٤٢
(٤) العجر : ١٥ (٥) النجر : ١٦ (٦) النجر : ٢٥ (٧) النجر : ٢٩

في عبدي بالتوحيد ، ومعناه ادخل في جسده ، وهو خطاب للنفس . وزلت هذه الآية في حمزة . وقيل في خبيب بن عدي الذي صلبه الكفار بمكة ، ولفظها يعم كل نفس مطمئنة ، لأن النفوس ثلاثة : لوامة ، وأماراة ، ومطمئنة ، والمدوح منها الأخيرة .

(فلا اقتحم العقبة^(١)) : قد قدمنا أن الاحتعام الدخول بشدة ومشقة ، والعقبة : عبارة عن الأعمال الصالحة المذكورة بعد ، وجعلها عقبة استعارة عن عقبة الجبل ، لأنها تصد ويشق صعودها على النفوس . وقيل هي جبل في جهنم له عقبة لا يجاوزها إلا من عمل هذه الأعمال و « لا » تحضيض بمعنى هلا . وقيل هي دعاء . وقيل نافية . واعترض على هذا القول بأن لا النافية إذا دخلت على الفعل الماضي لزم تكرارها . وأجاب الزمخشري^(٢) بأنها مكررة في المعنى ، والتقدير فلا اقتحم العقبة ، فلا فك رقبة ، ولا أطعم مسكيناً .

(فألهنَّها فجورها وتقواها^(٣)) : أي عرفها طرق اقبحور والتقوى ، وجعل لها قوة يصح معها اكتساب أحد الأمرين . ويحتمل أن تكون الوار بمعنى أو ؛ كقوله^(٤) : « إنا هديناه السيل إما شاكراً وإما كفوراً » .

(^(٥) فقال لهم رسول الله ناقة الله) : منصوب بفعل مضمر تقديره احفظوا ناقة الله ، أو احدثوا ناقة الله .

(^(٦) قد مدم عليهم رثهم بذنبهم فوآها) ، أي سوى القبيلة لم يفت أحد منهم وقال [٢٤٥] الزمخشري^(٧) : الضمير للدممة ، أي سواها بينهم . فانظر كيف هل عليهم بهذه اللفظة بسبب ذنبهم ، وهو التكذيب ، وعقر الناقة ، لينمظ غيرهم .

(١) البلد : ١١ (٢) الكشاف : ٢ - ٤٤٥ (٣) الشمس : ٨ (٤) الإنسان : ٣
(٥) الشمس : ١٣ (٦) الشمس : ١٤ (٧) الكشاف : ٢ - ٤٤٦

(^١) ولا يخاف عِقْبَاهَا) : ضمير الفاعل لله تعالى . والضمير في عِقْبَاهَا للدَّمدمة والتسوية ، وهو الهلاك ؛ أى لا يخاف عاقبة إهلاكهم ولا درك عليه في ذلك كما يخاف الملوك من عاقبة أعمالهم ؛ وفي ذلك احتقار لهم . قيل : وضمير الفاعل لمصاح ، وهو بعيد . وقرئ فلا يخاف بالفاء وبالواو . وقيل في القراءة بالواو إن الفاعل أشفاها . والجملة في موضع الحال ؛ أى انبعث ولم يخف عقي فعلته ؛ وهذا بعيد .

(فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى^(٢)) : مخاطبة من الله أو من النبي صلى الله عليه وسلم على تقدير : قل يا محمد .

(فَخَدِّثْ^(٣)) : أمر من الله لرسوله أن يحدث بنبئه ، وهى القرآن ، والرسالة ، وجميع النعم التى أعطاه من دينية ودُنياوية ؛ ولهذا قال صلى الله عليه وسلم : "أتحدث بنعم الله شُكْرُهَا وكتَمَانُهَا كفرها" ؛ ولهذا كان بعضُ السلف يقول : صابتُ البَارحةَ كَذَا ، وصَمْتُ من الشَّهرِ كَذَا ؛ وهذا إنما يجوز إذا ذكره على وجهِ الشكر ، أو اُبتدئ به ، لا على وجهِ الفخر والتكبر .

وانظر كيف ذكر الله فى هذه السورة ثلاث نعم ، ثم ذكر فى مُقابلتها ثلاث وصايا ؛ فقابل قوله : « أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا » بقوله : « فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَاتَنْهَرْ » . وقوله : « وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى » بقوله : « أَمَّا السَّائِلَ فَلَاتَنْهَرْ » على قول من قال : إنه السائل عن العلم . وقابله بقوله : « وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ » - على القول الآخر .

(فَإِنْ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا^(٤)) : هذا وعدٌ باليسر بعد العسر ، وتسليةٌ لنبينا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم وانتومنين لما كانوا يلقون من الأذى من الكفار ، وإنما ذكره بلفظ مع التى تقتضى المقارنة ليدل على قُرب اليسر من العسر .

(١) الشمس : ١٥ ، وقد جاء بالأصاين : فلا يخاف ، لينسق مع الباب ، وهو حرف الفاء . وفى الكشف ٢ - ١٧ : وفى مصاحف أهل المدينة والشام : فلا يخاف .
(٢) البزل : ١٤ . (٣) النضح : ١١ . (٤) انفرح : ٥ .

فإن قيل : ما وجه ارتباط هذا مع ما قبله ؟

والجواب : لما عدد عليه النعم تسلياً له وتأييلاً قوياً رجاءه بالنصر ؛
 كأنه يقول له : إن الذي أنعم عليك بهذه النعم سينصرك ويظهرك ويبدل لك
 هذا العسر يسراً قريباً ، ولعلك كررت : «^(١) إن مع العسر يسراً » مبالغة ، قال صلى
 الله عليه وسلم : «^(٢) لن يخطب عسر يسرين » . وقد روى ذلك عمر ، وابن مسعود ،
 وتأويله أن العسر للذكور في هذه السورة واحد ، لأن الألف واللام للعهد ،
 كقولك : جاءني رجل فأكرمت الرجل . واليسر اثنان لتسكيره . وقيل : إن
 اليسر الأول في الدنيا والثاني في الآخرة ؛ وقد أكثر الناس في هذه الآية وألقوا
 فيها تواليها منها كتاب «^(٣) القراج بعد الشدة » ، وجنة الرضا ، وغيرها مما يطول
 ذكر شيء منها .

وبالجملة فننذكر سبق نعمته عليه ، وكثرة نعمه إليه ، وعظيم ثوابه ،
 وصدق وعده ، وسعة رحمته وسبقها غضبه - آثر له قوة رجائه فيه ، وهان عليه
 ما يلتقاه في ضيقه ؛ قال تعالى في بعض كتبه : يامطرود ، لا تبرح ، وبامرؤدود
 لا تأبس^(٤) ، وبامهجور لا تفلق ؛ قد فتحنا لك الباب وجعلناك من الأحاب ،
 وهبك أني طردتك عن بابي ، وألزمك حجابي فإلى باب من تلجى ، وعلى
 أي جهة تقف ، فكن معي كالصبي مع أمه ، كلما زجرته رجع إليها ، وكلما
 طردته تمرغ بين يديها ، فلا يزال معها حتى تقبله ، فاقبل قدم الإقدام لبابي ،
 واكشف رأس الاستغفار وما دبر لسان الحق^(٥) والاضطرار : ربني من الضر
 وأنت أرحم الراحمين - يقع لك جواب : «^(٦) فكشفنا^(٦) ما به من ضر
 وآتيناه أهله ومثلهم معهم رحمة من عندنا وذكري للعابدين » .

(١) الشرح : ٦ (٢) لا تأبس : لا يابس . (٣) القراج من باب ضرب .

(٤) الأنبياء : ٨٤

(فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ^(١)) : هو من النَّصَب بمعنى التعب . والمعنى إذا فرغت من أمرٍ فاجتهد في أمرٍ ؛ ثم اختلف في تعيين الأمرين [٢٤٥ ب] ؛ قيل : إذا فرغت من الفرائض فانصَبْ في النوافل . وقيل : إذا فرغت من الصلاة فانصَبْ في الدعاء . وقيل : إذا فرغت من شغل دنياك فانصَبْ في عبادة ربك .

(فَارْغَبْ ^(٢)) : إنما قدم المجرور في « إلى ربك » ليدل على الحصر ؛ أي لا ترغب إلا إلى ربك وحدّه . وفي هذا إشارة إلى عدم الركون للخلق ؛ فإن الركون إليهم وحشة والإلتجاء إليهم إعراض عن الحق . وقد قدمنا من هذا المعنى كثيراً .

(فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ^(٣)) : أي غير منقوص ، يقال : مننتُ الخبل إذا قطعته . وقال مجاهد : غير محصور ؛ لأن كلَّ محسوب محصور ؛ فهو معدٌّ لأن يمنَّ به .

ويظهر في الآية أنه وصفه بعدم المن والأذى من حيث هو من جهة الله تعالى ؛ فهو شريف لا من فيه ، وأعطيات البشر هي التي يدخلها المن . قال السدي : نزلت هذه الآية في الرّاضى والزّمناء إذا عجزوا عن إكمال الطاعات كتب لهم من الأجر ما كانوا يعملون .

فإن قلت : أي حكمة في الإخبار بهذا ؟ ولم زيدت هنا الفاء ، وحذفت من آية الانشقاق وفُصِّلَتْ ^(٤) ؟

(والجواب) إنما زيدت لمراعاة الفاء التي بعدها ؛ وفائدة تكرير هذه الآية والإخبار بها للتأسي والتخلق بأفعال الحق في عدم منه ؛ لأن المن يكدر الإحسان

ويذهب بِلذته ؛ ولذلك قال تعالى^(١) : « لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالْأَذَى » .
قال المفسرون : المَنُّ أن يذكره ، والأذى أن يظهره . وقال صلى الله عليه وسلم :
لَا تَأْكُلْ طَعَامَ الْمَنَّانِ ؛ فإنه داءٌ . . . إلى غير ذلك من الأحاديث مما يطول
ذكرها .

(قن^(٢) يَمَلُّ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ) : قد قدمنا في حرف الميم ما في هذه
الآية وتسميتها بالجامعة الفادة ، ولما نزلت هذه الدورة بَكَّى أبو بكر ، وقال :
يا رسول الله ، أو أسألُ عن مثاقيل الذر من أعمالى ؟ فقال له صلى الله عليه
وسلم : يا أبا بكر ، ما رأيت في الدنيا مما تَكْرَهُ فثاقيل ذرُّ الشر ويدَّخِرُ لك الله
مثاقيل ذرُّ الخير . . . إلى آخره .

فانظر بكاءَ الشهود له بالجنة على نفسه ، وخوفه من ذنوبه مع أن الله
بشره بشفاعته في عدد ربيعة ومُخَرٍّ من هذه الأمة ، وأنت تريد الحقوق بهم مع
عدم خوفك وبكائك ، وكثرة أوزارك بحبطة بك ، ما يكون جوابك إذا قيل
لك : اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً ؟ فما أعظمها من كربة إذا
حملت حُرْمة سيئاتك ، وصرت تَقْرُوعاً بين يدي ربك ، وما مثلنا إلا كالحايط
يجمع كُلَّ ما يَلْتَقِ ، فإذا جاء يرفضها لم يقدر عليها ؛ وقد أخفى الله غضبه
في معاصيه ، فلا تحقرن منها شيئاً ؛ فإنها عند الله بمكانٍ ، وكل ما صغر في عينك
عظيم عند الله .

قال الفضيل بن عياض : أثنى رجل ، فقال : عِظْنِي ، فقرأتُ عليه^(٣) :
« إِذَا زُلْزِلَتْ » ، فتاب مدةً ثم أناني ، فقلت له : أين غَيَّبْتُكَ ؟ قال : كنتُ

(٣) الزلزلة : ١

(٢) الزلزلة : ٢

(١) البقرة : ٢٦٤

(م ١١ - في إيجاز القرآن)

مشغولاً بتحقيق الحساب الذي علمتني ؛ فقلت له : وما هو ؟ قال (١) : « فَنَ يَعْمَلُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ » ؛ ورثي بعضُ المشايخ وقد بلغ جدّاراً ، وكان في زمنِ الشَّاءِ ، وهو يتصدّبُ عرقاً فسل عن ذلك ، فقال : أخذتُ من هذا الحائط قطعة طينٍ غسل يده بها خفيفاً ، ولم استعمل من صاحبه حتى مات ، فأنا كلما مررتُ به لم أملك نفسي .

هذا حالهم ، فأنتي لنا اللّحوق بهم ! ملأنا بطوننا من الحرام ، وتراكت على قلوبنا سعائبُ الآثام ، وغلب علينا سكر النّقام ، وادّعيننا الدّعاوى الباطلة والآمال الكاذبة .

فإن قلت : ما سِرُّ تقديم الخبر في هذه الآية على الشر ؟

والجواب لما كان المطلوب في العمل تقديمُ الخبر على الشر جاء في اللفظ على الوجه المطلوب . وأيضاً لما كان فاعلُ الخبر مقدّماً في الرتبة على فاعلِ الشرّ جاء العملُ مرتباً على ترتيب عامله .

(فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ (٣)) : هذا إقامة حجّة عليهم ، واستدعاء لهم ، بملاطفة وتذكير بالنعم حيث كان الناس يتخطفون من حوثهم ، وهم لا يُعييهم ما أصاب غيرهم ؛ من الأمن وإتيان الرزق إليهم ، لحُرْمَةِ هذا البيت المعظم عند جميع بني آدم ، كأنه يقول [١٢٤٩] لهم : إن لم تعبدوه لما شرفكم بالعقل ، وجعلكم محبّين ، فاعبدوه لهذا البيت الذي شرفكم به ، ودفع عنكم من قصد ضرركم من جميع الأمم .

(فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ (٢)) : قد ذكرنا معنى التسبيح والاستغفار ، وأن هذه السورة إعلام من الله لرسوله بقرب أجله .

فإن قيل : لم أمره بالتسبيح والحمد والاستغفار عند رؤية النصر والفتح ،
وعند اقتراب أجله ؟

فالجواب إنه أمره بالتسبيح والحمد ليكون شكره على النصر والفتح
وظهور الإسلام ؛ وفيه إشارة إلى أن المرء لا يتم صحيفته إلا بخير الأعمال ،
ويهيئ زادا للقاء ربه ، ولا يغفل كما غفل في أول أجله . والاستغفار والتسبيح
من أفضل الأعمال ؛ لما فيها من تنزيه الخالق ، وانكسار القلب مع الاستغفار ؛
وهو تعالى عند النكسرة قلوبهم .

(١) (فَرَاش) : قد قدمنا أنه طير دقيق ينساقط في النار ويتصيدها ، ولا يزال
يقترن على المصباح ونحوه حتى يحترق . ومنه الحديث : أنا آخذ بمجبركم عن
النار وأنتم تقتحمون فيها تفأحم القراش والجنادب .

فإن قلت : قد شبههم في سورة القمر (٢) بالجراد المنتشر ، وهنا
بالقراش ؛ فهل بينهما توافق أم لا ؟

فالجواب أن بينهما موافقة على قول بعضهم ؛ قال القراء : القراش
فوغاء الجراد ، وهو صغيره الذي ينتشر في الأرض والهواء . قال بعض العلماء :
الناس أول قيامهم من القبور كالقراش المبثوث ؛ لأنهم يبحثون ويذهبون على
غير نظام ، ثم يدعوم الداعي فيتوجهون إلى ناحية الحشر كالجراد المنتشر ؛
لأن الجراد إنما توجهه أبدا إلى ناحية مقصودة ، وبهذا يظهر لك الجمع بين
الآيتين . وروى البيهقي في الشعب عن الثوري بن سمان أن النبي صلى الله عليه
وسلم قال : مالي أراكم تتهاونون في الكذب تهافت القراش في النار ، كل

(١) الفارعة : ، والآية : يوم يكون الناس كالقراش المبثوث .

(٢) القمر : ٧ ، والآية : يخرجون من الأجداث كأنهم جراد منتشر .

الكذب مكذوب إلا الكذب في الحرب أو الكذب لإصلاح ذات البين ،
أو الكذب على امرأته ليرضيها . قال الغزالي : ولعلك تظن أن ذلك لنقصها
وجعلها ، فاعلم أن جهل الإنسان أعظم من جهلها ؛ بل صورة الإنسان
في الإكباب على الشهوات صورة القراش في التهافت على النار ؛ فلا يزال يرتجى
بنفسه فيها إلى أن يغمس فيها ، ويهلك هلاكاً مؤبداً ؛ فليت جهل الآدمي كان
كجهل القراش ؛ فأبما اغترارها بظاهر الضوء إن احترقت تخلصت في الحال ،
والآدمي يبقى في الحال أبد الآبدين ، ومدة مؤبدة ؛ ولذلك كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول : إنكم تنهافون في النار تنهافت القراش وأنا آخذ بمحجزكم .
قلت : وقد قدسنا أن القروش صغار الإبل كالعجايل والفُسلان^(١) ؛
لأنها تُفرش للذبح وتُفرش ما ينسج من صوفها .

فإن قلت : ما ميرُ تقديم^(٢) الحولة على القروش مع احتياج الناس إليها
أكثر ومنفعتيها أهم .

فالجواب أن الحولة أعظم في الانتفاع ، لأنها للأكل والحمل . قل القراء :
ولم أسمع بالقراش يُجمع . ويحتمل أن يكون مصدراً شئياً به ، من قولهم : فرشها
الله فرشاً .

(فرقان) : له ثلاثة معان : القرآن ، ومنه^(٣) : «يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَاناً» ؛ أى
تفرقه . ويوم بدر ؛ ومنه^(٤) : «وما أنزلنا على عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ»^(٥) .

(١) جمع فصيل ، وهو ولد الناقة إذا فصل عن أمه . (٢) الأنعام : ١٤٢
(٣) الأنفال : ٢٩ (٤) الأنفال : ٤١ (٥) لم يذكر المعنى الثالث .
وفي القاموس : الفرقان : القرآن ، وكل ما فرق به بين الحق والباطل ، والنصر ، والرهان ،
والصبح أو السحر ، والتوراة ، وانفراق البحر ، ومنه : آتينا موسى الكتاب والفرقان .
ويوم الفرقان يوم بدر .

(فَالَّذِى^(١)) : سفينة ، ويستوى فيها الفرد والجمع .

(فَتَقَهُ) : فهم ، ومنه^(٢) : « لَا يَفْقَهُونَ » . وما نفقه كثيراً مما نقول^(٣) .

(فَوْمِيهَا^(٤)) : هو الذوم . وقيل الحنطة بالعبرانية . ويقال : فوموا ، أى اختبئوا ،

ويقال : الفوم الخرنوب .

(للفقراء الذين أُحْصِرُوا فى سبيل الله^(٥)) : متعلق بمحذوف ، تقديره : الإلحاق

للفقراء المهاجرين الذين حُيسروا بالعدو أو بالمرض ، والمراد بهم أصحاب النبىِّ

صلى الله عليه وسلم .

وأما قوله^(٦) : « إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ » - فالمراد أن الزكاة تُدفع للفقراء ،

وهم أحد الأصناف الثمانية . والفقير الذى له بُغْة من العيش ؛ وقد قدمت أن

المسكين أحوج من الفقير ؛ لأنه الذى لا شئ له بالسكينة . والعاملين عليها الذين

يَقْبِضُونَهَا وَيُفَرِّقُونَهَا . والمؤاكلة قلوبهم : كنفار يُعْطَوْنَهَا تَرْغِيًّا فى الإسلام ،

كإعطائه [٢٤٦ ب] للأقرع بن حابس مائة من الإبل . وقيل : هم مسلمون

يُعْطَوْنَ لِيَتِمَّ كَنَانُ إِيمَانِهِمْ . واختلف : هل بقى حكمهم أو سقط للاستغناء عنهم ؟

وفى الرُّقَاب : يعنى العبيد يشترون وَيُفْتَقُونَ . والتارمين : يعنى من عليه دين .

ويشترط أن يكون استدان فى غير فساد ولا إسراف . وفى سبيل الله : يعنى

الجهاد ، فيُعْطَى منها المجاهدون يشترون بها آلات الحرب . واختلف هل

تُصَرَّفُ فى بناء الأسوار وإنشاء الأساطيل ؟ وابن السبيل : يعنى الغريب

المحتاج .

(فَرِيضَةً^(٧)) : أى حقاً محدوداً ، ونصبه على المصدر . وقد قدمنا أن لفظة

(٣) هود : ٩١

(٦) التوبة : ٦٠

(٢) الأتقال : ٦٥

(٥) البقرة : ٢٧٣

(١) الأنبياء : ٣٣

(٤) البقرة : ٦١

(٧) التوبة : ٦٠

القرض تحمل معاني كثيرة ؛ بمعنى التدبير ؛ ومنه الحديث : زكاة الفطر فريضة ؛ أى مقدرة . وبمعنى النزول ، ومنه : «سورة أنزلناها وقرّضناها»^(١) . وقرىء بتشديد الراء ، يعنى بيئناها .

وبمعنى التحليل ؛ قال تعالى^(٢) : « ما كان على النبي من حرج فيما قرّض الله له » ، يعنى فيما أحل الله له . وقال تعالى^(٣) : « وقد قرّضتم لمن فريضة » ، أى سميتهم . وقوله^(٤) : « فمن قرّض فيهن الحج » : يعنى أوجب . وقال تعالى^(٥) : « قد قرّض الله لكم تحيلة أيمانكم » ، يعنى بيئناها .

فإن قيل : لم ذكر مصرف الزكاة في تضاعيف ذكر المنافقين ؟

فالجواب أنه خص مصرف الزكاة في تلك الأصناف ليقطع طمع المنافقين فيها ، فانصأت هذه الآية في المعنى بقوله^(٦) : « ومنهم من يلمزك في الصدقات » .

(فسوق بكم^(٧)) : خطاب لمن وقع في الإضرار في الكتاب والشهيد المتدينين في الذكر . وقد قلنا أن الفسق هو الخروج عن الطاعة ، وقد عبّر سبحانه عن المنافق بالفاسق في قوله تعالى^(٨) : « أفئن كان مؤمناً كئن كان فاقباً » .

(فرادى^(٩)) : مفردين عن أموالكم وأولادكم . وأما قوله^(١٠) : « قل إنما أعطاكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى » - فعناها أن تقوموا للنظر في أمر محمد صلى الله عليه وسلم قياماً خالصاً ليس فيه اتباعٌ سوى ولا ميل ،

(١) النور : ١ (٢) الأحزاب : ٣٨ (٣) البقرة : ٢٣٧
(٤) البقرة : ١٩٧ (٥) التحريم : ٢ (٦) التوبة : ٥٨
(٧) البقرة : ٢٨٢ (٨) السجدة : ١٨ (٩) الأنعام : ٩٤ (١٠) سبأ : ٤٦

وليس المراد بالقيام بالأمر الجذ فيه ، وأن تقوموا بدل أو عطف بيان ، أو خبر
ابتداء مضر . ومثني وفُرَادَى حال من الضمير في « أن تقوموا » . والمعنى
أن تقوموا اثنين اثنين للمناظرة في الأمر وطلباً لتحقيق . وتقوموا واحداً واحداً
لاستحضار الذهن وإجماع الفكرة .

(فُرُطاً^(١)) : من التفريط والتضييع ، أو من الإفراط والإسراف .

(فَزَعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ^(٢)) : الضمير للملائكة ؛ وقد قلّمنا أنهم إذا سموا
الوَحْيَ إلى جبريل يَفْزَعُونَ لذلك فزعاً شديداً ، فإذا زال الفزعُ عن قلوبهم قال
بعضهم لبعض : ماذا قال ربكم ؟ قالوا : الحق . ومعنى فَزَعَ زال عنها الفزع ،
فالضمير في قالوا للملائكة .

فإن قلت : كيف ذلك ولم يتقدم للملائكة ذِكْرُ يعودُ الضمير عليه ؟

والجوابُ أنه قد وضعت إليهم إشارة بقوله^(٣) : « وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ
عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ » ؛ لأن بعض العرب كانوا يعبدون الملائكة ويقولون :
هؤلاء شفعاؤنا عند الله ، فذكرُ الشفاعة يقتضي ذِكْرَ الشافعين ؛ فعاد الضمير
على الشفعاء الذين ذكّر عليهم لفظُ الشفاعة .

فإن قيل : بِمَ اتصل قوله : حتى إذا فُزِعَ عن قلوبهم ؟ ولأى شيء
وقعت حتى غاية ؟

فالجواب : أنه اتصل بما فهم من الكلام من أن تَمَّ انتظاراً للإذن
في الشفاعة وتوقفاً وفزعاً حتى يزول الفزع بالإذن في الشفاعة ؛ ويقرب من هذا
المعنى قوله^(٤) : « يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ... » الآية .

ولم يفهم بعضُ الناس اتصالَ هذه الآية بما قبلها فاضطربوا فيها حتى قال بعضهم : هي في الكفار بعد الموت ، ومعنى مُزَع عن قلوبهم - رأوا الحقيقة ؛ قبل لهم : ماذا قال ربُّكم ؟ فيقولون : قال الحق ، فيقرّون حين لا ينفعهم الإقرار .

والصحيح أنها في اللائكة لو رُود ذلك في الحديث ؛ ولأن القصد الردُّ على الكفار الذين عبدوا لللائكة بذكر شدة خوفِ اللائكة من الله وتغليبهم له .

(فُروج^(١)) : انشقاق^(٢) ؛ وذلك دليل على إتقان الصنعة . ومنه^(٣) : « أولم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما » . والفروج والانشقاق والفطور والصدوع والفتوق بمعنى واحد .
(فُرقنا^(٤)) : بمعنى مهادا ، يعني ذللناها لكم ، ولم نجعلها صلبة غليظة لا يمكن الاستقرار عليها .

(فُؤاد^(٥)) : قلب ، وجهه [١٢٤٧] أفتدة .

(فِصال^(٦)) من الرضاع ، وإنما عبر عن مدته بالفصال ، وهو القطام ، لأنه انتهى الرضاع .

فإن قلت : قد قال في سورة لقمان : « وفِصّالُهُ في عامين » ، وفي الأحقاف^(٧) : « وفِصّالُهُ ثلاثون شهرا » ؟

فالجواب أن ما في لقمان مدة رضاعه ، وفي الأحقاف تحمله وفِصّاله ثلاثون شهرا . وهذا لا يكون إلا بأن ينقص من أحد الطرفين ؛ وذلك إما أن

(١) ق : ٦ (٢) وفي القدرات (٣٧٥) : خلوق وفتوق . (٣) الأنبياء : ٣٠ .

(٤) البقرة : ٢٢ (٥) القصص : ١٠ (٦) في لقمان ، آية ١٤ ، وفي الأحقاف آية ١٥ .

تكون مدة الحمل ستة أشهر ، ومدة الرضاع حولين كاملين ، أو تكون مدة الحمل تسعة أشهر ، ومدة الرضاع حولين غير ثلاثة أشهر . ومن هذا أخذ على ابن أبي طالب مدة الحمل ستة أشهر .

(فِتْنَةٌ ^(١)) : وردت على أوجه : الشرك : « وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ ^(٢) » .
« حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ ^(٣) » : والضلال : « ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ ^(٤) » . وَالْقَتْلُ :
« أَنْ يَفْتِنَكُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا ^(٥) » . وَالْعَدَّةُ : « وَاحْذَرُوا أَنْ يَفْتِنُوكَ ^(٦) » .
وَالضَّلَاةُ : « وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ ^(٧) » . وَالْعُدَّةُ : « نَمَّ لَمْ تَكُنْ فَتَنَهُمْ ^(٨) » .
وَالْقَضَاءُ : « إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ ^(٩) » . وَالضَّلَاةُ : « إِلَّا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا ^(١٠) » .
وَاللَّرْضُ : « يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ ^(١١) » . وَالْعَبْرَةُ : « لَا تَجْعَلُنَا فِتْنَةً ^(١٢) » .
وَالْمَقْبُوبَةُ : « أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ ^(١٣) » . وَالِاخْتِبَارُ : « وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ^(١٤) » . وَالْمَذَابُ : « جَعَلَ فِتْنَةً النَّاسَ كِمَذَابِ اللَّهِ ^(١٥) » . وَالْإِحْرَاقُ :
« يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ ^(١٦) » . وَالْجَنُونَ : « بِأَيْكُمْ الْمَفْتُونُ ^(١٧) » .

(فرعون) : قد قدمنا أن اسمه الوايد بن مصعب . وقيل إن كل من ملك مصر يسمى فرعونا ، كما يقال تُبْعَ لكل من ملك اليمن ، أى يتبع صاحبه كالخليفة يخلف غيره .

وأخرج ابن أبي حاتم عن مجاهد : قال : كان فرعون فارسيا من أهل إصطخر .

(١) البقرة : ١٩١	(٢) الأتفال : ٣٩	(٣) آل عمران : ٢
(٤) النساء : ١٠١	(٥) المائدة : ٤٩	(٦) المائدة : ٤٩
(٧) الأنعام : ٢٣	(٨) الأعراف : ١٥٥	(٩) التوبة : ٤٩
(١٠) التوبة : ١٢٦	(١١) يونس : ٨٥	(١٢) النور : ٦٣
(١٣) المتكفرون : ٣	(١٤) المتكفرون : ١٠	(١٥) القاريات : ١٣
(١٦) القلم : ٦		

(رَجَا جَا^(١)) : مسالك ، واحدها فَجَّ .

(فِرْدَوْس^(٢)) : مدينة في الجنة ، وهي جنة الأعقاب . وأخرج ابنُ أبي حاتم ، عن مجاهد ؛ قال : الفردوس بستان - بالرومية ؛ وأخرج عن السُّدِّي ؛ قال : الكَرَم ؛ النبتة ، وأصله فرداسا .

فإن قلت : يُفهم من إعادة الضمير عليها مؤشرا على معنى الجنة ؛ وهذا مخالف لما ذكر في سورة المارج ؛ أنه ذكر أوصاف هؤلاء ، فقال^(٣) : «أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ» - « في جنات مكرمون ؛ فقل على أنها جنات ؛ وهو الصحيح .

قلت : لا تنافي بينهما ؛ لأنه ذكر في المارج مسكن كل فرد فرد ، وهنا ذكر جنات الفردوس التي هي مسكنه عليه الصلاة والسلام ، ومساكن من اتبعه من أمته ؛ ولذلك ورد في الحديث : «إِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ ، فَإِنَّهُ أَعْلَى الْجَنَّةِ ، وَمِنْهُ^(٤) : تفجر أنهار الجنة .

(في) حرف جر له معان : بمعنى الظرفية مكانا أو زمانا ، نحو^(٥) : « غُلِبَتْ الرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ » وهم من بعد غلبتهم سيغالبون في بضع سنين . حقيقة كالأية ، أو مجازا ، نحو : « وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حِكْمَةٌ^(٦) » . « لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلْمُتَلَكِّينَ^(٧) » . « إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ^(٨) » .

(١) الأنبياء : ٣١ ، وتوحي : ٢٠ (٢) الكهف : ١٠٧ ، والمؤمنون : ١١
(٣) الجزء الأول من قوله أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ . . . في سورة المؤمنون ١١٤ ، لا المارج .
أما قوله : في جنات مكرمون في المارج كما ذكر ، آية ٣٥ ، فلهبارة فيها اضطراب ، وحذفها ؛
لأنه ذكر هنا أوصاف هؤلاء فقال . . . وذكر في المارج في جنات مكرمون . . .
(٤) لعله إشبه إلى قوله تعالى : وجعلنا فيها جنات من نخيل وأهbab ونفردنا فيها من العيون -
آية ٣٤ من سورة يس - (٥) الروم : ٢ (٦) البقرة : ١٧٩ (٧) يوسف : ٧
(٨) الأعراف : ٦٠

ثانيها - المصاحبة كع ، نحو ^(١) : «ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ» ؛ أى معهم - «في تسع آيات» .

ثالثها - التحليل ، نحو ^(٢) : «فَذَلِكَ الَّذِي لُمْتُنِي فِيهِ» . «^(٣) لَأَمْسَكُمْ فِيهَا أَفْقَتُمْ» ؛ أى لأجله .

رابعها - الاستعلاء ؛ نحو ^(٤) : «لَأَصْلَبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ» .

خامسها - معنى الباء ؛ «^(٥) يَذَرُوكُمْ فِيهِ» ؛ أى بسببه .

سادسها - معنى إلى ، نحو ^(٦) : «رَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ» ؛ أى إلى أفواههم .

سابعها - معنى من ؛ نحو ^(٧) : «يَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا» ، بدليل الآية الأخرى ^(٨) .

ثامنها - معنى عن ؛ نحو ^(٩) : «فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى» ؛ أى عنها وعن محاصنها .

تاسعها - المقايضة ، وهي الداخلة بين مفضل سابق وفاضل لاحق ؛ نحو ^(١٠) : «فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ» .

عاشرها - التوكيد ، وهي الزائدة ، نحو ^(١١) : «وَقُلْ ارْكَبُوا فِيهَا» ؛ أى اركبوها .

(الفاء) ثلاثة أنواع ملطقة ، ورابطة ، وزاحفة للفعل بإظهار أن ، ومعناها للترتيب والتعقيب والنسب .

(١) الأعراف : ٣٨ (٢) يوسف : ٣٢ (٣) النور : ١٤ (٤) طه : ٧١
 (٥) الشورى : ١١ (٦) إبراهيم : ٩ ، والآية : فردوا . . . (٧) النحل : ٨٩
 (٨) في السورة نفسها ، آية ٨٤ (٩) الإسراء : ٧٢ (١٠) التوبة : ٣٨
 (١١) هود : ٤١

حرف الفاف

(قَسَتْ قُلُوبُكُمْ^(١)) : ليست وصابت ؛ وقاب قاسٍ ، وجاس ، وعاسٍ ، وعات ؛ أى صلب يابس جاف عن الدين غير قابل له . وهذا الخطاب لبنى إسرائيل لقبح قسوة قلوبهم بعد رؤيتهم للآيات ؛ فهى كالحجارة أو أشد قسوة ، ولم يقل أقسى مع [٢٤٧ ب] أن فعل القسوة يُبنى منه أفضل ، لكون أشد أدل على فرط القسوة .

(قَفِينَا^(٢)) : مأخوذ من القفا ، أى جاء بالثانى فى قفاً الأول .

(قالت اليهود ليست النصارى على شيء ، وقالت النصارى ليست اليهود على شيء^(٣)) : سببها اجتماع نصارى بجران مع يهود المدينة ، فذهبت كل طائفة الأخرى ، وهذا أيضاً منهم موجود فى هذا الزمان ، فإن كل طائفة منهم مُقرّة بأن الإسلام خير من دين الفريق الآخر .

(قال الذين لا يعلمون^(٤)) : هم هنا وفى الموضع الأول^(٥) كفار العرب على الأصح ، وقيل هنا : هم اليهود والنصارى .

(قال الذين من قبلهم^(٦)) : يعنى اليهود ، والنصارى على القول بأن الذين لا يعلمون كفاراً للرب . وأما على القول بأن الذين لا يعلمون اليهود والنصارى فالذين من قبلهم أمم الأنبياء المتقدمين .

(قد بينّا الآيات^(٧)) : أخبر تعالى أنه قد بين الآيات الدالة على وحدانيته وعلى صدق رسوله صلى الله عليه وسلم ، فكيف تطلب الآيات بعد بيانها ،

(٣) البقرة : ١١٣

(٢) البقرة : ٨٧

(١) البقرة : ٧٤

(٥) البقرة : ١١٨

(٤) البقرة : ١١٨ ، والآية : ولعل ...

(٦) البقرة : ١١٨

(٦) البقرة : ١١٣

أما فهمها الذين يوقنون ؛ ولذلك خصهم بالذكر بخلاف الكفار المعاندين ،
فإيهم لا تنفعهم الآيات لعنادهم .

(قاتنون^(١)) : القنوت له خمسة معان : العبادة ، والطاعة ، والقيام
في الصلاة ، والدعاء ، والسكوت .

(قَضَى^(٢)) : ورد على أوجه : الفراغ : « فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ^(٣) » .
والأمر : « إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا^(٤) » . والأجل : « فَهُمْ مَن قَضَىٰ نَحْبَهُ^(٥) » .
والفصل : « لَقَضَىٰ الْأَمْرَ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ^(٦) » . والمضي : « لَيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ
مَفْعُولًا^(٧) » . والهلاك : « لَقَضَىٰ إِلَيْهِمْ أَجَلَهُمْ^(٨) » . والوجوب : « إِنَّا قَضَيْنَا
الْأَمْرَ^(٩) » . والإبرام : « فِي نَفْسٍ يَنْغُوبُ قَضَاهَا^(١٠) » . والإعلام : « وَقَضَيْنَا
إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ^(١١) » . والوصية : « وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ^(١٢) » .
والأداء والوفاء : « ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ » ، يعني أديت
وفيت . والفراغ : « قَضَىٰ الْأَمْرَ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ^(١٣) » ؛ أي فرغ ومضى .
والحكم : « وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ^(١٤) » ؛ أي يحكم . والموت : « فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ
الْمَوْتَ^(١٥) » . والخلق : « قَضَاهُنَّ سَبْعَ سَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ^(١٦) » . والفعل :
« كَلَّا إِنَّا يَقْضِي مَا أَمَرُهُ^(١٨) » ، يعني حقا لم يفعل . والعهد : « إِذْ قَضَيْنَا
إِلَىٰ مُوسَىٰ الْأَمْرَ^(١٩) » .

(قَوَاعِدُ^(٢٠)) البيت : أساسه . والقواعد^(٢١) من النساء التي قصت عن الوالد .

-
- (١) البقرة : ١١٦ (٢) البقرة : ١١٧ (٣) البقرة : ٢٠٠ (٤) البقرة : ١١٧
(٥) الأحزاب : ٢٣ (٦) الأنعام : ٥٨ (٧) الأنفال : ٤٢ (٨) يونس : ١١
(٩) إبراهيم : ٢٢ (١٠) يوسف : ٦٨ (١١) الإبراهيم : ٤ (١٢) الإبراهيم : ٢٣
(١٣) القصص : ٢٨ (١٤) يوسف : ٤١ (١٥) غافر : ٢٠ (١٦) صبا : ١٤
(١٧) فصلت : ١٢ (١٨) عبس : ٢٣ (١٩) القصص : ٤٤
(٢٠) الآية : وإذا يرفع إبراهيم القواعد من البيت - سورة البقرة : ١٢٧
(٢١) الزور : ٦٠ - والقواعد من النساء اللاتي لا يرجون نكاحا .

وقيل انى إذا رأيتها استغفرتها . وقيل : فعلت عن التصرف .

(قِيَوْمٌ ^(١)) : من أسماء الله تعالى ، وزنه فيمُول . ومنه بناء مُبَالغة ، من القيام على الأمور . ومعناه ، مُدَرِّر الخلائق في الدنيا والآخرة . ومنه : « أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ » ^(٢) قال الواسطي : القيوم هو الذى لا ينام بالسريانية .

(قَدَرٌ) : له خمسة معان : من القدرة ، ومن التقدير ، ومن المقدار ، ومن القدر والقضاء ، ومعنى التضييق ؛ نحو ^(٣) : « وَمَنْ قَدَّرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ » وقد يشدد الفصل ويخفف . والقَدَرُ - بفتح الدال وإسكانها القضاء والمقدار ، وبالفتح لا غير من القضاء .

(قَوَّامُونَ ^(٤)) : قام له ثلاثة معان : من القيام على الرُّجُلَيْن ، ومن القيام على الأمر بتدبيره وإصلاحه ؛ وهذا بناء مُبَالغة ، وقام الأمرُ ظهر واستقام ، ومنه ^(٥) : « الَّذِينَ الْقَائِمُونَ » . قال ابن عباس : الرجال أمراء على النساء .

(قَائِمَاتٌ ^(٦)) : أى النساء الصالحات في دينهن مطيعات لأزواجهن ، أو مطيعات لله في حق أزواجهن .

(قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ^(٧)) : هذا من قول اليهود على وجه الافتخار والجرأة مع أنهم كذبوا في ذلك وزمهم الذنب وهم لم يقتلوه ؛ بل صلبوا الشخص الذى أتى عليه شبهه وهم يعتقدون أنه عيسى . وروى أن عيسى قال للحواريين : أَيْكُمْ يَأْتِي عَلَى شَيْءٍ مُؤْتَمِلٌ وَيَكُونُ رَفِيقٌ فِي الْجَنَّةِ ؟ قال أحدهم : أنا ، فأتى عليه شبهه عيسى ، قَتَلَ عَلَى أَنَّهُ عِيسَى . وقيل : بل دل على عيسى

(١) البقرة : ٢٥٥ (٢) الرعد : ٢٢ (٣) الطلاق : ٧ (٤) النساء : ٣٤
(٥) النوبة : ٢٦ (٦) النساء : ٤ (٧) النساء : ١٥٧

يهودى^(١) ، فالتقى الله شبه عيسى عليه ، فقتل على أنه عيسى ، ورفّع عيسى إلى السماء .
وسبب قتلهم له أنهم قالوا في عيسى : إنه ساحر فاعتمم ذلك ودعا عليهم ،
فجعل الله منهم قردة وخنازير ، فباع الخبر إلى ملكهم ، وخاف من دعائه ،
فأمر بقتله . ويقال : إن اسم الرجل الذى التى عليه شبه عيسى اشيوع [٢٤٨] ،
وهكذا وقع لنبينا صلى الله عليه وسلم حين اجتمع قريش لقتله ؛ قال لعل رضى الله
عنه : ارتد في مكاني حتى تدخل عليك قريش ، ويريدون قتلك ؛ فإن قتلت
كنت رفيق في الجنة ؛ فدخلوا عليه فوجدوه علياً ، وانقلبوا خاسئين ، ولم
يقدرُوا على شيء ، فقال الله لجبريل وميكائيل : انظرا إلى حبيبي كيف فداء ابن
عمه ؛ وعزّيتي وجلالى لأجنان اليهود والنصارى فداء لأمة حبيبي ؛ إني أردت
رفّع عيسى إلى ، فجعلت إيذاء اليهود سبباً لذلك ، كذلك اجعلوا وسوسة
اللعين سبباً لإغوائهم وأرحمهم مع ذلك .

فانظر هذه الرحمة النازلة عليك يا محمدى ، ورحم الله القائل : لولا المؤمن
اضاعت جنة النعيم ، ولولا الكافر اضاعت نار الجحيم ، ولولا المعاصى لضاقت
رحمة الرحيم .

(١) القناطير المقنطرة) : جمع قنطار ، وهو أنف ومائتا أوقية . وقيل ألف
ومائتا مثقال ؛ وكلاهما مروي عنه صلى الله عليه وسلم ؛ وأكدها بالمقنطرة كقولهم :
ألف مؤاقفة . وقيل المضروبة دنائير أو دراهم . وقال القراء : المقنطرة المضمة ،
كان القناطير ثلاثة والمضمة تسعة .

(٢) قرّح) ؛ أى جراح ، ومعنى الآية : إن مسكم قتل أو جراح في أحد

قد مَسَّ السَّكْفَارَ مِثْلُهُ فِي بَدْرٍ . وَقِيلَ : قَدْ مَسَّ السَّكْفَارَ يَوْمَ أَحَدٍ مِثْلُ مَا مَسَّكُمْ فِيهِ ؛ فَإِنَّهُمْ نَالُوا مِنْكُمْ وَفَلَعُمُ مِنْهُمْ ؛ وَذَلِكَ تَسْلِيَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ بِالنَّاسِ .

(١) قَدْ خَلَّتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ) : خُطَابُ الْمُؤْمِنِينَ وَتَأْنِيسُ لَهُمْ . وَقِيلَ لِّلْكَفَّارِ تَخْوِيفًا لَهُمْ .

(٢) قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْمِقِينَ فِي الْأَرْضِ) : اعْتِذَارُ عَنِ التَّوْبِيخِ الَّذِي وَبَحْتِهِمُ الْمَلَائِكَةُ ؛ أَيْ لَمْ يَقْدِرُوا عَلَى الْمَجْرَةِ ؛ وَكَانَ اعْتِذَارًا بِالْبَاطِلِ ، وَلِذَلِكَ قَالُوا لَهُمْ : « أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا » (٣) .

(قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ) (٤) : أَيْ بِالْعَدْلِ بِمُجْتَهِدِينَ فِي إِقَامَتِهِ .

فَلَمَّا قُلْتُ : مَا فَائِدَةُ تَقْدِيمِ الْقِسْطِ فِي آيَةِ النِّسَاءِ (٥) وَتَأْخِيرِهِ فِي آيَةِ الْمَائِدَةِ ؟

وَالْجَوَابُ آيَاتُ النِّسَاءِ مَبْنِيَّةٌ عَلَى الْأَمْرِ بِالْعَدْلِ وَالْقِسْطِ ، قَالَ تَعَالَى (٦) : « مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ .. » الْآيَةُ ؛ وَقَالَ بَعْدُ (٧) : « وَبِسِتَّةِ ثَمَنَاتٍ فِي النِّسَاءِ » ، ثُمَّ قَالَ (٨) : « وَأَنْ تَقُومُوا لِلنَّاسِ بِالْقِسْطِ » ؛ وَتَوَالَتْ الْآيَةُ بَعْدُ عَلَى هَذَا الْمَعْنَى ، فَهَذَا الْقِسْطُ لِيُنَاسِبَ مَا ذَكَرَ . وَأَمَّا آيَةُ الْمَائِدَةِ فَذَكَرَ قَبْلُهَا الْأَمْرَ بِالْعَهْدَةِ ، ثُمَّ تَذَكَّرَ سُبْحَانَهُ بِتَذَكُّرِ نِعْمَتِهِ ، وَالْوُقُوفِ مَعَ مَا عَاهَدَ بِهِ إِلَى عِبَادِهِ وَالْأَمْرِ بِتَقْوَاهُ ؛ فَنَاسِبٌ قَوْلُهُ : كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ ؛ ثُمَّ اتَّبَعَ لِمَا بَنَى عَلَى ذَلِكَ مِنَ الشَّهَادَةِ بِالْقِسْطِ . فَتَأَمَّلْ مَا بَنَى عَلَى هَذِهِ وَمَا بَنَى عَلَى آيَةِ النِّسَاءِ يَتَضَعُ لَكَ مَا قُلْتُ .

(قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) (٩) : هَذَا مِنْ قَوْلِ عِيسَى لِحَوَارِيِّينَ

حِينَ سَأَلُوهُ نَزُولَ الْمَائِدَةِ ، وَبِمَحْتَمِلٍ أَنْ يَكُونَ زَجْرًا لِمُسْلِمٍ عَنْ طَلِبِهَا وَاقْتِرَاحٍ

(١) آل عمران : ١٣٧ (٢) النساء : ٩٧ - (٣) المائدة : ٨
(٤) النساء : ١٣٥ - كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ . (٥) النساء : ١٢٣
(٦) النساء : ٢٥٧ (٧) المائدة : ١١٢

الآيات . ويحتمل أن يكون زَجْرًا عن الشك الذي يقتضيه قولهم : « هل يستطيع رَبُّكَ » على مذهب الزمخشري ، أو عن البشاعة التي في اللفظ ، وإن لم يكن فيه شك . وقوله : « إن كنتم مؤمنين » هو على ظاهره على مذهب الزمخشري ^(١) . وأما على مذهب ابن عطية وغيره فهو تقرير لهم ، كما نقول : افضل كذا إن كنت رجلاً . ومعلوم أنه رجل . وقيل إن هذه المقالة صدرت منهم في أول الأمر قبل أن يروا معجزات عيسى .

(قالوا نريد أن نأكل منها ^(٢)) : أي أكلاً تنسرف به بين الناس ، وليس مرادهم شهوة البطن .

(قال عيسى ابنُ مَرْيَمَ اللهم ربنا أنزل علينا مائدةً من السماء ^(٣)) : أجابهم عيسى إلى سؤال المائدة من الله ، فلبس حبة شعر وقام يصلي ويدعو ويبيكي .

(قال اللهُ إني مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ^(٤)) : أجابه الله إلى ما طلب ، ونزلت المائدة عليها خبز وسمك . وقيل زيت ورمان . وقال ابن عباس : كان طعام المائدة ينزل عليهم حينما نزلوا . والكلام في قصة المائدة كثير تركته لعدم صحت .

(قال اللهُ يا عيسى ابنُ مَرْيَمَ أأنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ... ^(٥)) الآية ، قال ابن عباس والجمهور : هذا القول من الله يكون يوم [٢٤٨ ب] القيامة على رؤوس الأشهاد ، ليرى الكافر تركة عيسى مما نسبوه إليه ؛ ويعطون أنهم كانوا على باطل . وقال السدي : لما رفع الله عيسى إليه قالت النصارى ما قلت ، وزعموا أن عيسى أمرهم بذلك ، فسأله الله حينئذ عن ذلك .

(١) الكشاف : ١ - ٢٦٢ (٢) المائدة : ١١٣ (٣) المائدة : ١١٤

(٤) المائدة : ١١٥ (٥) المائدة : ١١٦

(١) قلوا إن هي إلّا حياتنا الدنيا) : حكاية قولهم في إنكار البعث الآخرى .

(٢) قالوا يا حسرتنا على ما فرطنا فيها) : الضمير بغيرها للحياة الدنيا ؛ لأن المعنى يقتضى ذلك وإن لم يجر لها ذكر . وقيل الساعة ؛ أى فرطنا فى شأنها والاستعداد لها . والأول أظهر .

(٣) قد علم أنه ليحزنك الذى يتأولون) : قرىء يحزن حيث وقع بضم الياء من أحزن إلّا قوله (٤) : « لا يحزنهم الفزع الأكبر » . وقرأ الباقون بفتح الياء من حزن الثلاثى ، وهو أشهر فى اللغة ، والذى يقولون : قوائم شاعر سحر كاهن .

(٥) قرأ طيس) : هى الصحائف . قال الجوابى (٦) : يقال إن أقرطاس أصله غير عربى . ومعنى هذه الآية أن الله ردّها على اليهود بأنه ألزمهم ما لا بدّ لهم منه ؛ لأنهم أقرؤا بإزالة التوراة على موسى . وقيل القائلون قريش ؛ وألزموا ذلك ؛ لأنهم كانوا مقرّين بالتوراة .

(٧) قد جاءكم بصائر من ربكم) : جمع بصيرة ، وهى نور القلب ، والبصر : نور العين ، وهذا الكلام على لسان نبيّنا صلى الله عليه وسلم ؛ لقوله (٨) : « وما أنا عليكم بحفيظ » .

(قائلون (٩)) : من القائله .

(١٠) قليلا ما تذكرون) ، انتصب قليلا بتذكرون ، أى تذكرون تذكيرا قليلا ، وما زائدة للتأكيد .

(١) الأنعام : ٢٩	(٢) الأنعام : ٣١	(٣) الأنعام : ٣٣
(٤) الأنبياء : ١٠٣	(٥) الأنعام : ٩٦	(٦) المرب : ٢٧٦
(٧) الأنعام : ١٠٤	(٨) هود : ٨٦	(٩) الأعراف : ٤
		(١٠) الأعراف : ٣

(قالوا إنا كنا ظالمين ^(١)) : اعتراف منهم بأنهم كانوا ظالمين لما جاءهم العذاب ، ولو اعترفوا قبل ذلك لنقمهم .

(^(٢) قَسَمُوا) ، من القسم ، وهو الحلف ، وذكر قسم إبليس لأدم وحواء بصيغة المفاعلة التي تكون بين اثنين ، لأنه اجتهد فيه ، أو لأنه أقسم لهما وأقسما له أن يقبلا نصيبته .

(قَبِيلُهُ ^(٣)) : أمته . ومعنى الآية أن إبليس وجماعته يرى الإنسان من حيث لا يرونهم في الغالب ؛ لأنه قد جاءت في رؤيتهم أحاديث كثيرة ، فتَحْمِلُ الآية على الأكثر جَمْعاً بينه وبين الأحاديث ، وفي الآخرة يراهم الإنسان ولا يرونهم ، عكس الدنيا ، فسبحان من قَابِ الحقائق .

(قالوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آيَةً ^(٤)) : اعتذروا بذكر آية باطلين : أحدهما تقييد آياتهم ، والآخر اقترائهم على الله بأنه أمرهم ؛ فردَّ الله عليهم أنه لا يأمر بالقحشاء .

(قالت أَخْرَأَهُمْ لِأَوْلَاهُمْ ^(٥)) : قد قدمنا أن الأولى هم الرؤساء والقادة ، والأخرى هم الأتباع والنفلة ، والمعنى أن أَخْرَأَهُمْ طابوا من الله أن يُضَاعَفَ العذاب لِأَوْلَاهُمْ ؛ لأنهم أضلُّوهم . وليس المعنى أنهم قالوا لهم ذلك خطاباً لهم ، إنما هو كقوله : قال فلان لفلان كذا ، أى قال عنه وإن لم يخاطبه به .

(^(٦) قال أولَوْ كُنَّا كَارِهِينَ) : الممزة للاستفهام والإسكار ، والواو للحال ؛ تقديره : أنمود في ملتكم وما يكون لنا أن نمود فيها ونحن كارهون . وهذا

الخطاب من شعيب لقومه آتًا قالوا له : « لنخرجنكم من أرضنا أو لنعودن في ملتنا » .

فإن قلت : العود إلى الشيء يقتضى أنه فعل قبل ذلك ؛ وهذا محال في حق الأنبياء قبل الرسالة .

والجواب أن « عاد » قد تكون بمعنى صار ، فلا تقتضى تقدّم ذلك الحال الذى صار إليه ؛ قاله ابن عطية . وقال الزمخشري^(١) : إن المراد بذلك الذين آمنوا بشعيب ، وإنما أدخلوه في الخطاب معهم بذلك كما أدخلوه في الخطاب معهم بقولهم : « لنخرجنك والذين آمنوا معك من قريتنا » ، فدخلوا في الخطاب بعود الجماعة على الواحد ، ويمثل ذلك لا يجاب على قوله^(٢) : إن عُدًا في ملتكم بعد إذ تجانا الله منها ، وما يكون لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء الله » .

فإن قلت : ما معنى هذا الاستثناء من شعيب مع علمه بعصته ، وأنه لا يعود فيها ، ولا يريد الله ذلك منه ؟

والجواب : ما قدمناه من أن الأنبياء يتبرءون من إسناد الأمور إليهم ويتأدبون مع الله .

فإن قلت : ما المانع من أن الكفار ادّعوا على الرسل أنهم كانوا قبل [١٢٤٩] البعثة على ملتهم واقتروا عليهم ذلك .

والجواب يمنع منه أن هذا أمر مشاهد حسى ، وليس بعقلى ؛ وقالوا في أصول الفقه : إن عدد التواتر يقع في الأمر الحسى بخلاف العقلى ، فلو أقر

عشرون ألفاً بعدد العالم لما قبل قولهم بخلاف ما لو أخبر جماعة بدموم زيد ، فإننا نقبل قولهم على الكذب فيه . وأما الأول فالقول يكذبهم ؛ نعم يحتمل أن يكون العود على حقيقته لاحتمال كون الرسل لم يُظهروا لهم قبل البعثة أنهم مخالفون لدينهم ، فلما بعثوا إليهم أظهروا المخالفة .

فإن قلت إخراجهم إياهم من أرضهم حقوة ناشئة عن عدم العود ؛ فهلاً قالوا : لنعودن في مِلَّتِنَا أو لنخرجنكم من أرضنا ؟

فالجواب أن المقام مقام التخويف ؛ فذلك بدءوا بالإخراج .

(قال المَلَأُ من قَوْمِ فرعون^(١)) : حكى الكلام هنا عن المَلَأُ ، وفي الشعراء^(٢) عن فرعون ، فكأنه قد قاله هو وهم ، أو قاله هو ووافقوه عليه كعادة جلساء الملوك في اتباعهم لما يقولون لهم .

(قالوا : إن لنا لأجراً إن كننا نحن الغالِبين^(٣)) : هذا من قول السحرة ؛ طلبوا الأجر من فرعون إن غلبوا موسى .

فإن قلت : لِمَ ورد هنا مجيء السحرة عقب قوله^(٤) : « بأتوك بكل ساحر عليم » ، وأخر جمعهم ومجيئهم في الشعراء ، فقال^(٥) : « فجميع السحرة ... » الآيات المذكورة فاصلة .

فالجواب أن فيها إطناب يُناسب ما تقدّم من ذلك في مجاورة موسى عليه السلام ومكالمته فرعون من لدن قوله تعالى^(٦) : « وإذ نادى ربك موسى أن أنتِ القوم الظالمين » . إلى هذه الآية ، ولم يقع في قصصه عليه السلام

(١) سورة الأعراف ، آية ١٠٩ (٢) في الشعراء ، آية ٣٤ : قال المَلَأُ حوله .

(٣) سورة الأعراف ، آية ١١٣ (٤) الأعراف : ١١٢

(٥) الشعراء : ٣٨ (٦) الشعراء : ١٠

في السور الوارد فيها قصصه من الإحاطة في مراجعة فرعون مثل الوارد هنا ؛
فناسب ما أعقب به مما لم يقع الإخبار به في الأعراف . ولما كان الوارد قبل
آية الأعراف مَبْنِيًّا على الإيجاز وتحصيل المراد بأوجز كلام - فاسببه إيجاز الآية
المذكورة ، وورد كل من ذلك على ما يجب ويناسب .

(قال : نعم ، وإسكنكم لِيَنَّ الْقَرْبَيْنِ^(١)) : لما طلبوا الجَلَّ من التفرغ
من فرعون أنعم لهم بذلك ؛ فهذا عطف على معنى نعم ؛ كأنه قال للسحرة :
نُعْطِيكُمْ أَجْرًا ، ونُقَرِّبُكُمْ ، واسم رئيسهم يومئذ شمعون أو يوحنا .

فإن قلت : ما وَجْهٌ حذف « إذا » هنا وإثباتها في الشعراء ؟

والجواب أن ذلك من الإطناب المذكور ، وأيضاً فهي مضمرة مقدرة ؛
ومعناه : إن غلبتم قرَّبْتُكُمْ ، ورفعتُ منزلتكم ؛ فهي جراء . وورد في الشعراء
مُفَصَّحاً ؛ ليناسب بزيادتها ما مضت عليه آي هذه السورة من الاستيفاء
والإطناب .

(قالوا : يا موسى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُتَّقِينَ^(٢)) : أن
هنا في موضع نصب ؛ أي إما أن تفعل الإلقاء . ويحتمل أن تكون في موضع
رفع ؛ أي إما هو الإلقاء . وخبر السحرة موسى في أن يتقدم في الإلقاء أو يتأخر ؛
وهذا فعل العدل الواصل بنفسه . والظاهر أن التقدم في التخيلات والمخارق
أحبب ؛ لأن بديعتها تضي في النفوس ؛ فلما أراد الحق أن يُظْهِرَ نبوة موسى
قوًى نفسه وبقينه ، ووثقه بالحق ، فأعطاهم التقدم ؛ فبسطوا وسرُّوا حتى أظهر الله
الحق وأبطل سعيهم .

فإن قلت : ما معنى اختلاف كل السحرة وتخييرهم في الإلقاء ؟

والجواب لأنه كان في موطين ، أوائله كان قد تكرر منهم ، أو لعل به ضيقهم قال هذا وبمضهم هذا ، أو لعل المعنى الذي حكى عنهم تعطيه العبرتان ؛ وهذا أقرب شيء لما بين اللغات من اختلاف المقاصد عند الواضع الأول ، أو قصد الإيهام على الخلاف في ذلك ؛ ومع هذه الإمكانيات يسقط الاعتراض رأساً .

(قال فرعون : آمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ ^(١)) : [٢٤٩ ب] هذا قول فرعون دليل على وَهْنِ أمره ؛ لأنه إنما جعل إذْهُمْ مفارقاً لإذنه ، ولم يجعله نفس الإيمان إلا بشرط . والضمير في « به » يحتمل أن يعود على اسم الله تعالى ، ويحتمل أن يعود على عيسى عليه السلام ؛ وعندهم على الإيمان قبل إذنه ، ثم ألزمهم أن هذا كان من اتفاق منهم ؛ فقال لهم موسى : إن غلبتكم أتؤمنون بي ؟ فقالوا له : نعم ؛ فلم بذلك فرعون ؛ فلهذا قال : إن هذا المكرم مكره تموه ؛ أي صنيع صنعتوه في مصر ، لتستولوا عليها ، فلنصف تهلون ما أفعل بكم .

فإن قلت : ما وجه إظهار اسم فرعون ^(٢) في هذه الآية وحده من طه ^(٣) ؟

والجواب لأنه تقدمها قوله ^(٤) : « قال الملأ من قوم فرعون » ، ففرت هذه الآية أنهم كانوا متولين للتجربة من تكذيب الآية ، ورد ما جاء به موسى عليه ؛ ولم يجر هنا ذكر فرعون ولا فيما يلي الآية ويثقلها من المجاورة والمراجعة بين الملأ وأتباعهم إلى قوله : « رَبُّ مُوسَى وَهَارُونَ » ؛ فلما لم يقع إفساح باسمه في هذه الجملة مع أنه ليس القائل على كل حال : « آمَنْتُمْ بِهِ »

(١) الأعراف : ١٢٣ (٢) الأعراف : ١٢٣ قال فرعون آمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ

(٣) طه ٧١ : قال آمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ . . . (٤) الأعراف : ١٠٩

غير فرعون وإنْ بَعْدَ ذلك ، ولو لم يكن ليس البتة ، فإن كونه لم يَجْرِ له
ذِكْرٌ مما يقتضى أن يذكر .

ولما تقدم في سورة طه أمر موسى عليه السلام بإرساله إلى فرعون في قوله
تعالى^(١) : « اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ » ، وقوله لموسى وهارون^(٢) :
« اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ » ؛ ثم كرر ذلك ، ثم وقع بعد ذلك سؤال فرعون
لهما في قوله^(٣) : « فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَىٰ » ؛ فتكرّر اسم فرعون ظاهراً ومضمرًا ؛
ولم يَجْرِ المَلَأَ به ذِكْرًا مُّصِحِّحًا به ظاهراً البتة ولا مضمرًا سوى الجارى مضمرًا
في قوله^(٤) : « فَتَنَّا زُكْرًا وَأُنثًى مِنْهُمْ وَأَسْرَوْا النَّجْوَىٰ » . قالوا . . . إلى
ما بعد هذا - من غير إظهار البتة ، فلتكرّر اسم فرعون كثيراً ظاهراً ومضمرًا ،
وارتفاع اللبس البتة ، حَسَنٌ إتيانه مضمرًا في قوله : قال آمنتم له ؛ إذ ليس
الواردُ هناك كالوارد في الأعراف للاقتراح من حيث ما ذكرنا .

(قد جاءكم الفتح . . .)^(٥) : إن كان الخطاب للكفار فانفتح هنا بمعنى
الحكم ؛ أى قد جاءكم الفتح الذى حكم الله عليكم بالهزيمة والقتل والأسر ،
وإن كان الخطاب للمؤمنين فانفتح هنا بمحتمل أن يكون بمعنى الحكم ؛ لأن الله
حكم لهم . أو بمعنى النصر .

(قُلُوا : سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ)^(٦) : أى سمعنا بأذاننا ، وهم لا يسمعون
بقلوبهم ، فسمعهم كَلَامُ سَمَاعٍ .

(وَقَانِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً)^(٧) ؛ أى فى الأشهر الحرم ، فهذا نسخٌ
لتحريم القتال فيها . « وكافة » حال من الفاعل أو المفعول .

(١) طه : ٢٤ (٢) طه : ٤٣ (٣) طه : ٤٩ (٤) طه : ٦٢ ، ٦٣
(٥) الأمل : ١٩ (٦) الأمل : ٢١ - (٧) التوبة : ٢٦

(قَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ ^(١)) : قائل هذه المقالة رجل من بني مدية ممن صعب عليه السفر إلى تبوك في الحر ، فأمر الله نبيه أن يقول ^(٢) : « قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون » ، فحرارة هذا السفر دفعت حرا نار جهنم ، وكذلك الجوع والصب الذي يتألم الإنسان في الدنيا يقابل في الآخرة بضده .

(قَدْ أَفْلَحَ كَذَّبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ^(٣)) : هم قوم لم يعتدروا وكذبوا في دعواهم الإيمان ؛ إذ لو كانوا صادقين لم يتخلفوا عن رسول الله ، فأخبر الله رسوله بأنه سيُعذب الذين كفروا بهم عذاب أليم .

(قَدَرَهُ مَنَازِلَ ^(٤)) : الضمير لقمر ؛ والمعنى قدر سيرة في المنازل ، ليعلموا عدد السنين والأشهر والأيام والليالي ، ويكون القدر بمعنى التقدير ؛ كقوله تعالى ^(٥) : « إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَالِقُونَ » . ومعنى التصوير ؛ كقوله تعالى ^(٦) : « نَقَدَرْنَا فَنِعْم الْقَادِرُونَ » ؛ يعنى صورنا ؛ ومعنى الوجود ؛ كقوله تعالى ^(٧) : « إِلَّا أَمْرَاتِهِ قَدَرْنَا مِمَّنَ الْغَابِرِينَ » ؛ ومعنى التضاء ؛ كقوله تعالى ^(٨) : « فَابْقِ الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ » . ومعنى النضيض ؛ كقوله ^(٩) : « وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ » ؛ « فَظَنَّ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ ^(١٠) » . ومعنى النسوبة ، كقوله تعالى ^(١١) : « نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ » . ومعنى الثل ؛ كقوله تعالى ^(١٢) : « فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا » ؛ أى بمثلها ؛ ومنه سميت [١٢٥٠] القدرية قدرية ، لأهمهم يتولون بمثل قول الجوس ، ولهذا قال صلى الله عليه وسلم : القدرية مجوس هذه الأمة .

(قَدَّمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ ^(١٣)) ؛ أى عمل صالح قدّموه . وقول ابن عباس

(١) التوبة : ٨١ (٢) التوبة : ٩٠ (٣) يونس : ٥ (٤) القمر : ٤٩
(٥) الرسائل : ٢٣ (٦) النمل : ٥٧ (٧) القمر : ١٢ (٨) الطلاق : ٧
(٩) الأنبياء : ٨٧ (١٠) الواقعة : ٦٠ (١١) الرعد : ١٧ (١٢) يونس : ٢٥

السادة السابقة لهم في الروح المحفوظ . وقيل غير هذا . والظاهر أنه محمد صلى الله عليه وسلم ، لأن أُمَّته قدموه بين أيديهم .

(قل الكافرون : إن هذا لسِحْرٌ مُّبِينٌ ^(١)) : يعنون به ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم من القرآن ، وعلى قراءة - الساحر - فيحتون به سيدنا ومولانا محمداً صلى الله عليه وسلم ، ويحتمل أن يكون كلامهم هذا تفسيراً لما ذكر قبل من تعجبهم من النبوة ، أو يكون خبراً مستألفاً .

(قَادِرُونَ عَلَيْهَا ^(٢)) ، أى متمكنون من الانقلاع بها .

(قَرَّ ^(٣)) ، أى غبار يغبر الوجه ، وهذا كقوله تعالى ^(٤) : « وجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها قرة » . والقنور من التقير .

(قوماً صالحين ^(٥)) ، أى بالتوبة والاستقامة ، وقيل صالحين مع أيهم يعقوب ، فانظر كيف سوفوا التوبة ، وعلوا أنهم أخطئوا الصواب ؛ ولا ينسب لهم الخطأ ، لأنهم صلوات الله وسلامه عليهم وقع منهم هذا قبل النبوة لا بعدها .

(قل : لا يَأْتِيَكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ... ^(٦)) الآية ، تقتضى أنه وصف لما نفسه بكثرة العلم ، ليصل ذلك وصلة إلى دعائهما لتوحيد الله ؛ وفيها وجهان : أحدهما أنه قال ذلك يخبرهما بكل ما يأتيهما في الدنيا من طعام قبل أن يأتيهما ؛ وذلك من الإخبار بالنيوب الذى هو معجزة الأنبياء . والآخر أنه قال : لا يَأْتِيَكُمَا طَعَامٌ فى المنام إلا أخبرتكما بتأويله قبل أن يظهر تأويله فى الدنيا .

(٢) يونس : ٢٦

(٣) يوسف : ٣٧

(٤) يونس : ٢٤

(٥) يوسف : ٩

(٦) يونس : ٢

(٧) عبس : ٤١

(قال الذى تجأ منها^(١)) : هو ساقى القوم .

(فليلاً مما تأكلون^(٢)) ؛ أى لا تدرسوا منه إلا ما يحتاج للأكل خاصة خوف ضياعه .

(قال الملك ائتوني به^(٣)) : قبل هذا مخدوف ؛ وهو : فرجع الرسول إلى الملك قصصاً عليه مقالة يوسف ، فرأى عامة وعظه ، فقال : ائتوني به .

(قال : ارجع إلى ربك فاستأنه^(٤) ...) الآية : لما أمر الملك بإخراج يوسف من السجن وإتيانه إليه أراد يوسف أن يُبرئ نفسه مما تُسب إليه من مُراودة امرأة العزيز عن نفسه ، وأن يعلم الملك وغيره أنه سُجن ظُلماً ؛ فذكر طرفاً من قصته لينظر الملك فيها ، فينبئ له الأمر ، وكان هذا الفعل من يوسف صبراً وحلماً ؛ إذ لم يُجب إلى الخروج من السجن ساعة دُعِيَ إلى ذلك بعد طول المدة .

فإن قلت : قد قال سيدنا صلى الله عليه وسلم : رحم الله أخى يوسف ، ولو لبنت في السجن ما لبث فيه لأجبت الداعي^(٥) . وهذا يقتضى أن الإجابة أولى من المكث فيه .

والجواب أن هذا عنده صلى الله عليه وسلم على جهة المدح ليوسف والتواضع منه صلى الله عليه وسلم ، وإلا فصبر يوسف في السجن فيه فوائد ؛ منها : إظهار منزلته عند الملك وتبرئته مما قيل ، ولإزداد منزلة عنده فيصير سائساً للدولة وحافظاً ، ألا تراه كيف قال^(٦) : « اجعلنى على خزائن الأرض إني حفيظ عليم » ، وإنما طلب منه الولاية شفقة على عباد الله ، ورغبة في العدل ، وإقامة

(١) يوسف : ٤٥ (٢) يوسف : ٤٧ (٣) يوسف : ٥٠

(٤) في القرطبي (٩ - ٧٦٠) : رحم الله أخى يوسف لقد كان صابراً حليماً ، ولو لبنت في السجن ما لبثه أجبت الداعي ولم أتمس العذر .

(٥) يوسف : ٥٥

الحق والإحسان إلى الضعفاء من عباد الله ؛ لأن هذا الملك كان كافراً فأسلم لما رأى من حسن سيرته ، وكرم له في هذه الولاية من المصالح الدنيوية والدنيوية ؛ والمراد بخزائن الأرض أرض مصر ؛ لأن الملك لم يملك غيرها ؛ فتأس يا محمدى بهذه الأخلاق السكرية ، واجتهد في إصلاح هذه الأمة : وقرء كبيرهم ، وارحم صغيرهم ، وتجاوز عن مسيئتهم ، ألا ترى الصديق لم يذكر امرأة العزيز مع ما كان منها من الإساءة ؛ بل ذكر النسوة اللاتي قطعن أيديهن ، وغسعن إخوانته فيما صدر منهم ، هكذا أولو العزم في معاملتهم مع أمة فيهم ، تعلموا منه الصفح والإحسان ، فاملوا أمة بستر ذوى العصيان والدعاء لهم بالرحمة والإحسان ، راجين بذلك معاملة الله لهم ، وكما تدبر تدان .

فإن قلت : هل يجوز لنا الاقتداء بمدح يوسف لنفسه ؟

والجواب أنه مدح الصفتين اللتين أودعهما الله فيه ، فالمدح إنما هو لله لا لنفسه ، ولولا ذلك لمك الخلق . وقد أخبره الله أن [٢٥٠ ب] صلاح هؤلاء العامة إنما يكون بسببه صبره على بلائه ، وكذلك أنت يا محمدى إذا جهل أمرك ، ورجوت صلاح إخوانك ، فلا ينبغي لك السكوت ، لما فيه من المصاحبة ، هذا إن رجوت بذلك منفعة غيرك ، ولذلك استحب العلماء لبس الجيد ، والتشبه بأرباب الدنيا ، لأن العامة لا تقبل كلام رث الهيئة ، ولا تلتفت إليه ، فضلاً عن سماع كلامه ، ورعى الله عن السيد الذى طوّل بولاية القضاء قرء منها ، فلما كان بندي أعلى عليها ألف دينار ، فقال له الملك : بالأس هربت منها ، والآن أرشيت عليها ، فقال : بالأس كان غوى أولى بها ، والآن اعتقت هذه الأمة ممن يريد أكلها ، هكذا كانوا رضى الله عنهم ، يراعون مصلحة الأمة رعيًا لنبيها ، ويرحمونها لو صيت عليها . فبالبناء الطريقة ورجال الحقيقة ، استوصوا

خيراً بهذه الخليقة ، وخصوها بهذه الأمة ، فانخفضوا لها جناح الذل من الرحمة ، ولا توحشوها ما أنستها من ربها ونبيها ، وعاملوا الكل على الإطلاق بمكارم الأخلاق ؛ صلوا من قطعكم ، وأعطوا من حرمكم ، واغفوا من ظلمكم ؛ وإن لم يكونوا لها أهلاً فكونوا أنتم لها أهلاً .

(قال : إني أنا أخوك^(١)) ؛ أي قل يوسف لأخيه : إني أنا أخوك واستكنته الأسر . وحبه بتهمة السرقة ، فكتب إليه يعقوب وقال لوصله : انظره ، فإن نظر فيه وتغير لونه فاعلم أنه يوسف ؛ ثم قال له في كتابه : إن الله اصطفاك فاستحال عليك اسم السرقة ، كذلك من اصطفاه الله يستحيل أن تنسبه إلى السرقة ، فلما نظر يوسف إلى الكتاب تغير لونه ، فقال لرسول : مثل هذا الكتاب لا يقرأ إلا في الخلوة ، ثم قرأه وبكى كما قدمنا .

وأنت يا محمد اصطفاك ربك في الأزل ، وأخرجك في خير الملل ، وبعث إليك خاتم الأنبياء ورسل ، وخطبك بكتابه الذي ليس له مثل ، فامتحنته ولم تنفث إليه ؛ بل وصفت نفسك بشر الخصال ، وعرجت عليه كأنك لم تصدق بالآل ، ولم تعرف أنك تمرض عليه عند الموت ويوم السؤال ، وتطالب - مع هذا الجور والقصور - بالتعم بالذات والجبور ؛ أنت تعام ما تقامى على صفة منته ، وما تحتاج إليه من مشونة ، وتريد الوصول إلى الجوارى الحسان اللاتي لم يعطيهن إنس ولا جان ؛ هؤلاء الملائكة مع جليل قدرهم ، وكثرة عبادتهم ، يقولون يوم القيامة : سبحانك ما عبدناك حق عبادتك ، ولو استكثرت أعمالها لتباعدت من خالقها ؛ يقول تعالى في بعض كتبه : أطلب أحدكم الجنة بقيام الليل ، والحراس يحرس ليله بدايقين^(٢) ، فكيف يمن على بليته ، وهي تساوى

(١) يوسف : ٦٩ (٢) الداني - كصاحب : سدس الدرهم ، وتفتح فونه (القاموس) .

دَارِقِينَ ، أَخَذْتُ نِزْيَ كَسْرَى وَقِصْرَ ، وَتَرِيدُ أَنْ تَرَانِي أَحِبَّابِي ١ وَنَحْمَكَ ١
اعرض نفسك على كتابي تجد فيه وصفَ أَحِبَّابِي وَأَعْدَائِي ، وانظر إلى أَيْ
الصنفين أَنْتَ أَقْرَبُ ؛ فَإِنَّكَ بِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تَلْحَقُ . كَيْفَ تَأْمَنُ مَكْرِي ،
أَوْ تَطْلُبُ جَوَارِي ، وَلَسْتَ تَدْرِي فِي أَيْ الْقَرِيبَيْنِ أَنْتَ يَوْمَ الْمِثْلَاقِ حَيْثُ قُلْتَ :
هَؤُلَاءِ إِلَى الْجَنَّةِ وَلَا أَبَالِي ، وَهَؤُلَاءِ إِلَى النَّارِ وَلَا أَبَالِي ، أَمْ حِينَ خَلَقْتِكَ فِي ظِلْمَاتِ
ثَلَاثَ ، وَكُتِبَ عَلَيْكَ ، لَقَدْ الْأَرْحَامُ بِالشَّقَاوَةِ أَوْ السَّعَادَةِ ، أَوْ يَوْمَ الْمَطْلَعِ حِينَ
تُبَشِّرُ بِرِضَائِي أَوْ مَخْطِي ، أَمْ يَوْمَ يَصِيرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا ، وَلَا تَدْرِي أَيْ الطَّرِيقَتَيْنِ
تَسْلُكُ ، فَحَقُّوقُ صَاحِبِ هَذِهِ الْأَخْطَارِ أَلَا يَلْتَفَتُ إِلَى الْأَغْيَارِ ، وَلَا يَتَشَبَّهُ
بِالْأَحْرَارِ ، مَا حِيلَتْكَ إِذَا اضْطَجَعْتَ فِي حَفْرَتِكَ ، وَانْصَرَفَ الشُّعْمُونَ مِنْ
جِبْرَامِكَ ، وَبَكَى كُلُّ غَرِيبٍ عَلَيْكَ لِفَرَّتِكَ ، وَدَمَعَ عَلَيْكَ الْمُشْفِقُونَ مِنْ عَشِيرَتِكَ ،
وَنَادَاكَ مِنْ شَنْبِيرِ الْقَبْرِ ذُو مَوَدَّتِكَ ، وَرَحِمَكَ الْمَعَادِي عِنْدَ مَرَاتِعِكَ ، وَلَمْ يَخْفَ
عَلَى النَّاطِلِينَ عَجْزُ حِيلَتِكَ ؛ فَإِنْ كُنْتَ عِنْدِي حَبِيبًا ، وَإِلَى قَرِيبًا ، أَحْسَنَ
ضِيَاقِكَ ، وَأَكُونُ ^(١) أَشْفَقَ مِنْ قَرَابَتِكَ ، وَأَقُولُ لِلْمَلَأْسِكِيِّ : فَرِيدٌ قَدْ نَسَاهُ
الْأَقْرَبُونَ ، وَوَحِيدٌ قَدْ جَفَاهُ الْأَهْلُونَ ، فَأَشْفِقُوا عَلَيْهِ وَارْحَمُوهُ ، وَيَا هَوَامَ
لَا تَقْرَبُوهُ ، وَيَا أَرْضَ تَوَسَّعِي عَلَيْهِ وَلَا تَوْذِيهِ ، وَيَا رِضْوَانَ [٢٥١] اخْضَعِي عَلَيْهِ
مِنْ نَعِيمٍ مَا يُؤْنِسُهُ وَيَغْذِيهِ ، هُنَاكَ تَبْدُو كُلُّ نَفْسٍ مَا أَسْلَفَتْ ، وَرُدُّوْا إِلَى
اللَّهِ مَوْلَاهُمْ الْحَقُّ ، وَخَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ .

(قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبَا شَيْخًا كَبِيرًا ^(٢)) : هَذَا الْكَلَامُ مِنْ
مِنْ إِخْوَةِ يُوسُفَ عَلَى وَجْهِ الاسْتِعْطَافِ ؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا أَعْلَمُوهُ بِشِدَّةِ مَحَبَّةِ
أَيُّهِ فِيهِ .

(قال صَاحِبُكُمْ ^(١)) ؛ أَى فى السن ، وهو رويل ، أو فى الرأى ، وهو شمعون ، وقيل يهوذا ^(٢) .

(قال : بل سوأت لكم أنفسكم أمراً ^(٣)) ؛ قبله محذوف ، تقديره : فرجموا إلى أيهم فقالوا له : « إن ابنك سرق » ؛ عند الجمهور بفتح السين وضمها وشدة الراء وتخفيفها ^(٤) ؛ فقال : « بل سوأت لكم أنفسكم » ، لأنه علم أن كل ذلك لم يكن .

(قال : يا أَسْفَى عَلَى يوسف ^(٥)) : تأسف على يوسف دون أخيه لإفراط محبته فيه ، ووحشته له ، ومصيبته كانت الساقة ؛ فجذدت له هذه الثانية وحشته .

وهكذا عادته فيمن أحب غيره ابتلى بفراقه ، فلا تجمل محبك ومحبوبك إلا من لا يفارقك . وروى أن يوسف عليه السلام جاءه رجل فقال له : إني أحببك . قال : لا تفعل ، أحبني أبى فمضى بصره ، وأقيمت فى الحب ؛ وامرأة العزيز أحبنتى فأبطلت بالملامة ، وحُبست فى السجن ؛ وكذلك سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم أحب جبريل فأبطل بحبسه عنه مدة ، وأحب مكة فأبطل بالخروج منها ، وأحب عائشة فأبطل بقصة الإفك ؛ كل هذا غيره منه سبحانه على أحبابه ، ليكون شغلك يا محمدى بالله لا بغيره إن فهمت ، وإلا فهكذا يفعل بك .

(قالوا إِنَّكَ لَأَنْتَ يوسف ^(٦)) : قرئ بالاستفهام والخبر ^(٧) ؛ فالخبر

(١) يوسف : ٨٠ (٢) فى القرطبي (٩-٧٤١) : قال الكلبي : يهوذا وهو أهلهم .

(٣) يوسف : ٨٣ (٤) قال الزجاج : سرق يحتمل معنيين ، أحدهما علم منه السرقة ،

والآخر أنهم بالسرقة . (٥) يوسف : ٨٤ (٦) يوسف : ٩٠

(٧) أى إِنَّكَ لَأَنْتَ يوسف .

على أنهم عرفوه ، والاستفهام على أنهم توهموا أنه هو ولم يفتقروا .

(قال أبوهم : إني لأجد ربح يوسف ^(١)) كان يعقوب بيت للقدس ، ووجد ربح القيص ، وكان مع يوسف في بيته زمانا لا ربح له ، فلما فصلت العبر اتصل ربحه يعقوب . كذلك قلبك يا عدي مع مالك خزائنك ، فإذا أفتت مالك في طاعة الله تفرغ قلبك لعبادته ، وترى حينئذ من لطف الله بك حالا لا يحظر ببالك .

(قل : سوف أستغفر لكم ربى ^(٢)) ؛ وعدم يعقوب بالاستغفار ؛ لأنهم جاءوا متغربين معترفين بما جنوه ، كذلك أنت يا عبد الله ؛ إذا أذنبت وأتيت معترفا لرسولك الذي أرسل إليك متضرعا وجيلا ، فإنه يستغفر لك ، ويشفع فيك . لأن الله أمره بالاستغفار لك ، وأذن له في الشفاعة فيك . وكيف لا وهو أكرم الخلق عليه ؛ وقد وعدنا بذلك في قوله ^(٣) : « ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما » ، وإني قد منعت يا سيد الأولين والآخرين عن الإنيلن إليك بذنوب جنيتهم على على نفسي ، فأنت تعلم عذري ، ولا حيلة لي غير التعلق بجاهك العظيم والصلاة عليك ، صلى الله عليك وعلى آلك أفضل صلاة وأزكى تسليم .

فإن قلت : لِمَ وعدم الله بالاستغفار ولم يستغفر في الحين ؟

والجواب أنه وعدم بالاستغفار للسحر ، لأنه وقت إجابة ، والتمعاء في وقت الإجابة لا يُرد . فأخذ العلماء من هذه الآية التعرض لنفحات رحمة الله ، ومن راقب يراقب ، ومن غفل غفل عنه ، وقالوا : الوعد مع المطاء أفضل من المطاء بغير وعد ، فجبر قلوبهم بالوعد بالاستغفار ، ثم استغفروا فكملت الفرحتان .

(تَصَحُّهِمْ^(١)) : الضمير للرسل على الإطلاق . أوليوسف وإخوته ؛ والأول
أعم ؛ لقوله تعالى^(٢) : « وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كَذَّبُوا »^(٣) . بتشديد الذال وتحقيفها .
وقد قدمنا معناها في حرف الكاف .

(قَارَعَهُ^(٤)) : يعنى فى أنفسهم وأولادهم ، أو غزوات المسلمين إليهم ؛
وانظر قوله تعالى^(٥) : « حَتَّى بَأْتَى وَعْدُ اللَّهِ » ما المراد به ؟ وهذا تمسك أهل
الاعتزال ، وقالوا بوجوب إفاذ الوعيد ، وهو مختلف فيه عندنا ؛ لكن الكلام
القديم الأزلى الذى هو صفة ذاتية لله تعالى يستحيل فيه الخلف ، وأما كلام
النبي صلى الله عليه وسلم [٢٥١ ب] الذى هو ترجمة عن ذلك الكلام فليس
كذلك ومثله إذا قلت : مَنْ يَقْتُلْ زَيْدًا فَأَنَا أَقْتُلُهُ ؛ فتارة تقصد الحقيقة ، وتارة
تكون غير مُريد قتلَه ، لكنك تقصد المبالغة فى العبارة على جهة التخويف
والتمغيز عن فعل ذلك ، فعبارتك يمكن فيها عدم الوقوع ، وأما فى نيتك وقصدك
فلا بد من وقوعه ؛ لأنك عزمْتَ على ما أجمعت عليه ، وهو قصد حقيقى
بمخلاف الكلام لذى هو ترجمة عما فى القلب فإنه قد يكون مجازاً . وهذا هو
جواب أهل السنة عن قوله تعالى^(٦) : « وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ
جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا » .

(قَانِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ^(٧)) : إن قصد استعمال الخبر فهو استفهام ،
ولا فإن كان المعنى ثابتاً فى نفس الأمر فهو تقرير ، وإن لم يكن ثابتاً فهو إنكار .
وهو تقرير لقول ابن عطية : المراد أن من هو قانم على كل نفس بما كسبت أحق
بالإبادة أم الجذات التى لا تنفع ولا تضر ؟ وهو مطوف على مقدّر ؛ فمنهم من

(١) يوسف : ١١١ (٢) يوسف : ١١٠ (٣) أى أيقنوا أن قومهم كذّبوا .
(٤) الرعد : ٣١ (٥) النساء : ٩٣ (٦) الرعد : ٢٣
(م ١٣ - فى إعجاز القرآن)

كان بقدره : أهم : غافلون عن هو قائم ؟ ومنهم من قدره : أهم : غافلون عن هو قائم ؟ وهو الصواب : قال : وهل هذا من العمومات المخصوصة أولاً ؟ قال : إن قلنا إن ذات الباري تعالى : « يُطَلِّقُ عَلَيْهَا نَفْسٌ فَيَكُونُ عَامًّا بَاقِيًا عَلَى عَمُومِهِ ، وَإِنْ جَوَّزْنَا الإِطْلَاقَ ؛ لقوله تعالى : « تَعَلَّمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أُعَلِّمُ مَا فِي نَفْسِكَ » ؛ فيكون هذا مخصوصاً بالباري جلَّ وعَلَا ؛ إذ لا يقال إنه حفيظ على نفسه .

قيل : بما كسبت بدل على التخصيص . وقيل : بل هو متعلق بتأنيدهم ، وليس بصفة للنفس . والكسب : الصوابُ تَفْسِيرُهُ بما قاله أهل السنة ؛ لأن الأصل عدم النقل ، ومعنى قائم أى حفيظ ورقيب وعالم .

(قالت رسالهم : أُنِى اللّٰهَ شَكَّ (٢)) : أى فى ألوهية اللّٰه شك ؟ وقال الفارسي : أُنِى وحدانية اللّٰه شك ، وإنما قرره الفارسي هكذا ؛ لأن أول ما يحضّر الرسل قومهم على اعتقاد وحدانية اللّٰه ، بخلاف الألوهية ؛ إذ لم يخالف فيها أحد ؛ وقد خالف فيها المجوس الذين عبدوا الشمس وإن عبدوها فلم ينكروا البعث بدليل (٣) : « وَلَنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لِيَقُولُنَّ اللّٰهُ » . والدهرية ؛ قالوا (٤) : « مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا » . وكان بعضهم يقول فى هذه الآية : انظر كلامهم ؛ جعلوا أنفسهم مظلوفين فى الشك ، والشك ظرفاً لهم ، وكلام الرسل جعلوا الشك مظلوفاً فى أمر اللّٰه ؛ أى فى شأن اللّٰه ، وجعلوا شأن اللّٰه ظرفاً له ؛ وقالوا : هذا الوجهين : ثَقُلَى وَعَقْلَى ، أما الثقلى فلأن الظرف أوسع من المظلوف ، فالشك محيط بالكفار من جميع الجهات ، وهم مفتقرون إليه ؛ إذ التحيز مفتقر إلى الحيز ، والحال مفتقر إلى المحل لا بد منه . وقول الرسل : أُنِى اللّٰه شك - جعلوا الشك متحيزاً - لأن أمر اللّٰه ، فأمر اللّٰه أعلى منه

وأكبر ؛ فهو حيز له ؛ فهو إشارة إلى تقليل الشك ؛ أى لا يتصور أن يقع شك في الله بوجه وإن قل ؛ فإذا أنكروا أن يكون أمر الله حيزاً للشك مع ذلك فأحرى أن يكون الشك حيزاً له مع كثرته .

فإن قلت : أضاف الرسل إليهم ولم يقل رسلنا ؟

قلت : تنبيها على أن الرسل منهم بحيث يطمون حالمهم ، وأسلم لم يعمدوا منهم كذباً ، ولا علموا أنهم خالطوا سحرة ؛ فدل ذلك على أن ما جاءهم به حق . قال القزويني المحصل : مذهب أهل السنة أن الرسل ليس في خلقهم وبنياتهم زيادة علمية ، ولا خاصة ذاتية اختصوا بها عنا ، وما وجد منهم من القوة على الوحي وغير ذلك فأمور عَرَضية ، كالشجاعة لبطل . ومذهب الفلاسفة أن بنياتهم مخالفة لنا ، ولا بدّ فيهم من خاصة ذاتية اختصوا بها عنا .

(قالت لهم رسلهم ^(١)) : لم يثبت الخلفاء في الأولى وأثبتت هنا ؛ لأنها إما مقالة خاصة أو هي جواب عن قول صدر منهم ، والمقالة الأولى لهم ولغيرهم . وقيل : لما كان وجود الله تعالى أمراً نظرياً ليس بضروري ، وكَوْن الرسل مثلهم أمراً ضرورياً لا يحتاج إلى نظرية لظهوره ؛ فكأنه يقول : ما قالوا هذا إلا لم لا نبرهم [١٢٥٢] لعفلتهم وغباوتهم وجهلهم ، كما أن القائل : السماء فوقنا والأرض تحتنا - ما يخاطب بها إلا مَنْ هو في غاية الجهل والغباء .

وأجاب بعض النجباء إن قوله : أفي الله شك ؟ - خطاب لمن عاند فيه ، وهو كالعاند في الأمر الضروري ؛ فذلك أمسقط الجور ، لأن المُنْجِبَ عن ذلك يُجِيبُ به من حيث الجملة ، ولا يُقْبَلُ بالجواب على المخاطب لنبوته عنده ومعاندته ؛ فيجيب وهو معرض عنه ، بخلاف قولهم ^(٢) : « إن نحن إلا بشرٌ

مثلكم » ؛ فإنه تقرير لثباتهم ، وثبتت لها ، والمقرر لثباته خصمه يقبل عليه
الجواب ؛ لأنه لم يبطل كلامه بالإطلاق ؛ بل يقرره ويزيد فيه زيادات تبطل
دعوى خصمه .

فإن قلت : لم جمع السبل في قوله تعالى ^(١) : « وقد هدانا سبلنا » ،
وقد ذكرتم غير مرة أن طريق الهدى واحدة ؟

فالجواب أنه على التوزيع ؛ فليشكل رسول طريق باعتبار شريعته
وأحكامه ؛ قال تعالى ^(٢) . « لكل جہاننا منكم شريعة وممنهاجا » .

(قال إبراهيم رب اجعل هذا البلد ^(٣)) : المراد به مكة ؛ وهذا الدعاء
وقع من إبراهيم حين خلف هاجر « يوادي غير ذي زرع ^(٤) » ، فنفى القليل
والكثير ؛ والمراد ليس في لحم ولا شجر ولا ماء .

فإن قلت : آية البقرة مدينة ^(٥) ، وآية إبراهيم مكية ، والقاعدة أن
الاسم إذا كرر ذكره يأتي أولاً منكرأ وثانياً معرفاً .

والجواب أن الإنسان إذا دعا أولاً إما يدعو لشخص معين يقصده
ويعيّنه في ذهنه ، فإذا أراد الدعاء بعيد نكرة أو معرفة أو كيف ما كان ،
اكتفاءً بمحصول تمييزه أولاً . وقيل : هذا تأكيد ؛ هذا إذا قلنا إن النزل أولاً
هو الدعوى به ثانياً ؛ لأن الاسم إذا تقدم نكرة ثم أعاد فإمّا يميّده معرفاً ؛ قال
تعالى ^(٦) : « كما أرسلنا إلى فرعون رسولا . فعصى فرعون الرسول » .

فإن قلت : القاعدة أن يكون المبتدأ معلوماً وخبره مجهولاً ، والبلد
في هذه الآية أصله قبل دخول الفاعل عايه مبتدأ ، لأنه نعت لهذا ، ونعت المبتدأ

(١) إبراهيم : ١٢	(٢) المائدة : ٤٨	(٣) إبراهيم : ٣٥
(٤) إبراهيم : ٣٧	(٥) البقرة : ١٢٦	(٦) الزمل : ١٥ ، ١٦

مبتدأً ؛ وآمناً خبره . وفي قوله : اجعل هذا بلداً آمناً « هذا » مبتدأ ، وبلداً خبره ، وآمناً نعت أو خبر بد خبر ؛ والقصة واحدة .

وأجيب بأن الشيء في نفسه ليس هو كغيره معه ، فهو معلوم من حيث كونه ، مجهول من حيث كونه بلداً آمناً ؛ فالأول كما تقول : اجعل هذا الرجل صالحاً ، دعوت له بالصلاح فقط ، والثاني كقولك : اجعل هذا رجلاً صالحاً مع أنه رجل ، لكنك دعوت له بتحصيل المجموع . وردُّ بأنه يلزم عليه أن يجوز زيد زيد العاقل ، فيخبر بزيد العاقل عن زيد نفسه ، مع أنه لا يُفيد شيئاً ؛ لأن الأول هو الثاني .

وأجيب إنما نظيره زيد القائم زيد العاقل ، فيخبر بزيد مع غيره ، أما إذا أثبت بمجرد لفظ الأول فلا يجوز .

فإن قلت : كيف يدعو الخليل بقوله ^(١) : « واجنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ » ، وقد علم أن عبادة الأصنام مستحبة في حق النبي ، فأحرى في حق الخليل ؟

فالجواب دعا بهذا على وَجْهِ التذلل والخضوع ، وعادة الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم عدم الانبساط مع الربوبية ، لتسكن الخوف من قلوبهم ؛ وهذا فيه الاقتداء بغيره ؛ ويؤخذ من هذه الآية أنه لا يدعو الشخص بالمستحيل عقلاً ، كقول الإنسان : رَبِّ اجْعَلْنِي فِي غَيْر حَيْزٍ ، أو غير ذلك من المستحيلات . وقد ذكرها القرآني في قاعدة ما يجوز من الدعاء وقاعدة ما لا يجوز ، حذفنا ذكرها للطول .

(قالوا يا أيها الذي نُزِّلَ عليه الذكر ^(٢)) ؛ يعني بزعمك ودَعْوَاكَ لا يقرُّ أننا .

فإن قلت : الوصفُ الأخصُّ هو القرآن ، والذكرُ وصفٌ أعم ،
فلمَ عَبَرُوا بالأعمَ دونَ الأخص ؟

والجواب أنه في التعبير بالأخص تنبيهٌ وتذكيرٌ بالمعجزات التي ورد بها
القرآن ، وهم مقصدم تسمية ذلك وإخفاؤه . وانظر إلى المثل السائر : ذكرمتني
الطن وكنت ناسيا .

فإن قلت : هل أرادوا اتصافه بالجنون ، لما جاء به من الوحي إلى الذين
يسترقون السمع ؟

فالجواب أنهم أرادوا أن به جنونا [٢٥٢ ب] يصحبونه بدليل قوله
تعالى ^(١) : « أم يقولون به جنن » .

(قوم مسحورون ^(٢)) : هذا الإضراب ^(٣) منهم إضراب انتقال ، لأنهم
أضربوا عن مفهوم قولهم ^(٢) : « سُكَّرَتْ أَبْصَارُنَا » ؛ لأن مفهومه أن باقي
جسدهم لم يسكر . وما زال صحيحا ؛ فأضربوا عن هذا المفهوم ؛ وقالوا : بل
جميع قواتنا مسحورة ، ولو كان إضراب إبطالٍ للزم عليه أن تكون أبصارهم
غير مسحورة ، وليس ذلك مرادهم ؛ وقوله : « إِنَّمَا سُكَّرَتْ أَبْصَارُنَا » ظاهره
كالتناقض لقوله : « بل نحن قوم مسحورون » .

فإن قلت : ما أفاد قولهم « قوم » ، ولو قالوا : بل نحن مسحورون
لاستل الكلام .

فالجواب أنه أفاد الإخبار بكمال عبادتهم ، وأنهم جماعة كثيرون ،
وتعدد الأشخاص مظنة الضغن والقهم ، ومع هذا فكأنهم يتعامون ونعمتهم
الضلالة ولا يهتدون إلى الإيمان به بوجه .

(٢) الحجر : ١٥

(١) المؤمنون : ٧٠

(٣) الآية : بل نحن مسحورون . فالإضراب بيل .

(قال رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي)^(١) : قد قدمنا معنى الإغواء . واعتراه بالربوبية يفهم منه أن كفره كان باعتراضه على الله في أمره بالسجود لآدم . وقدما أيضاً أن الفاء لم تدخل في الحبر كما في الأعراف^(٢) اكتفاءً بمطابقة النداء لامتناع النداء منه ، لأنه ليس بالقدي يستدعيه النداء ، فإن ذلك يقع مع السؤال والطلب ؛ وهذا قسم عند أكثرهم ، بدليل ما في ص^(٣) ؛ وخبر عند بعضهم ؛ والقدي في « ص » جاء على قياس ما في الأعراف ؛ لأن ما فيها موافق لما قبله في مطابقة الفاء ، وزاد فيها الفاء التي هي لطف جملة على جملة لتكون الثانية مربوطة بالأولى ، فوافقتهما أكثر . وقال في ص^(٤) : « فَبِغِزَتِكَ » وهو قسم عند الجميع .

(قل هذا صِرَاطٌ عَلَىٰ مُسْتَقِيمٍ)^(٥) : القائل لهذا هو الله تعالى ، والإشارة بهذا إلى نجاة المخلصين من إبليس ، وأنه لا يقدر عليهم ، وإلى تقسيم الناس إلى غوي ومخلص .

(قالوا إنا أرسلناك إلى قوم مجرمين)^(٦) ؛ قالت الملائكة : أرسلنا إلى قوم لوط .

(قالوا بَشِّرْناكَ بِالْحَقِّ)^(٧) : الضمير لإبراهيم ؛ أي بَشِّرْناكَ باليقين الثابت ، فلا تسبده ، ولا تكن من القانطين : من اليائسين .

(قدَرنا إنا لَمِنَ الظَّالِمِينَ)^(٨) : إنما أسند الملائكة قل التقدير إلى أنفسهم ، وهو الله وحده ؛ لما لم من القرب والاختصاص بالله ، لا سيما في هذه القضية ، كما يقول خاصة الملك : دَبَّرْنا كذا . ويحتمل أن يكون حكاية عن الله .

(١) الحبر : ٣٩ (٢) في سورة الأعراف (آية ١٦) : قال قبا أغويتني .
 (٣) ص ٨٢ : فَبِغِزَتِكَ لأغويتهم أجمعين .
 (٤) الحبر : ٤١
 (٥) الحبر : ٥٨ (٦) الحبر : ٥٥ (٧) الحبر : ٦٠

(قوم مُشْكِرُونَ^(١)) ؛ أى لا نعرفهم .

(قالوا : بل جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ^(٢)) : يعنى جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا يَشْكُرُونَ من العذاب لقومك .

(قالوا : أَوَلَمْ نُنَبِّهْكَ عن العالمين . قال هؤلاء بَنَاتِي إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ^(٣)) : كان قوم لوط نَهَوهُ أَنْ يُضَيِّفَ أَحَدًا ، فقالوا له هذه المقالة احتجاجاً بما سبق من إنذاره ، فأجابهم بتزوج بناته إن أرادوا شيئاً ، وقد أُمِرَ بِنَاتِهِ . واختاف في عددهم ، وكان أبو البنات ، كما كان إبراهيم أبو الذكور ، وجمع الله لنبينا الذكور والإناث ، فكان له أربعة ذكور وأربع نساء ؛ وهذا من اعتدال مزاجه صلى الله عليه وسلم .

(قال الذين أوتُوا الْعِلْمَ إِنَّا أَخِزْنَى الْيَوْمِ وَالسَّوْءَ عَلَى الْكَافِرِينَ^(٤)) : أَخِزْنَى : راجع لأمر الباطن النازل بهم ، والسوء راجع لأمر الظاهر الحال بهم في أبدانهم .

بين فت : كيف أكَّدَ بَأْنَ خِطَابَهُمْ ؛ بما هو الله تعالى العالم بَأْنَ ذلك حق ؟

والجواب أن هذه المقالة صدرت منهم قبل حُلُولِ العذاب بأولئك ، فهم في قضية الإنكار لما يريد أنهم استسلموا لقضاء الله ، والمغلوب إذا استسلم تلوذ يسترف ويقر ، كقوله تعالى^(٥) : « وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا » ، وتلوذ يُنْكِرُ موجبات العقوبة ، كهذه الآية ؛ طبعاً في أن يُقبل ذلك منه ، ويُتغاضى عنه ويترك .

(١) الحجر : ٦٢ (٢) الحجر : ٦٣ (٣) الحجر : ٢٠ ، ٢١ (٤) النحل : ٢٧

(٥) النساء : ٩٤

(قال النار مثواكم ^(١)) : هذا من قول الله . وقال : « مثواكم » ولم يقل داركم ؛ لأن الدار محل السكنى ، والسكنى مظنة الطول ، فناسب الإتيان بالدار في محل المدح للمعتين ؛ لأن الإنسان قد يسكن الموضع الزمان القليل ويملأ من سكناه ، ولا يحب البقاء فيه . والمتنوى : الإقامة مطلقاً ، تطلق على القليل والكثير .

(قال : أرايتك هذا الذي كرمت على ^(٢)) : الكاف لا موضع لها من الإعراب وهذا مفعول بأرايت والمعنى أخبرني عن هذا الذي كرمته على وأنا حير منه [١٢٦٣] ، فاختصر الكلام ، فحذف ذلك . وقال ابن عطية : أرايتك هنا تأملت ومحوه لا معنى أخبرني . ومعنى الاحتناك ^(٣) الميل ، مأخوذ من تحنيك اندابة ، وهو أن يشد على حنكها بحبل فيقاد .

(قل اذهب ^(٤)) : خطاب من الله لإبليس ، وما بعده من الأوامر على وجه التهديد لإبليس . قال الزمخشري ^(٥) : ليس المراد هنا الذهاب الذي هو ضد المجيء ، وإنما معناه : امضي لشأنك الذي اخترته ، خذ لأمالك وتخليه . وبمحمل عندي أن يكون معناه الطرد والإبعاد .

(قصفاً من أريج ^(٦)) : القصف : هو الكسر ، وفيه تهديد لمن ركب البحر ولا يخاف الله .

(قبلاً ^(٧)) : قيل معناه مقابلة ومنايعة . وقيل ضامناً شامداً يصدقك . والقبلة في اللغة الضمان .

(١) الأنعام : ٩٢٨ (٢) الإسراء : ٦٤ (٣) الآية : لأحتسكن فريته
الأنبياء : ١٠١ (٤) الإسراء : ٦٣ (٥) الكشاف : ١ - ١٠١ ، ١٠٢ .
(٦) الإسراء : ٦٩ (٧) الإسراء : ٩٢

(قِيَمًا^(١)) : أى مستقيماً . وقيل قِيَمًا على الخلق بأمر الله . وقيل قِيَمًا على سائر الكتب بتصديقتها . وانتصابه على الحال من الكتاب ، والعامل فيه أنزل^(٢) . ومنع الزمخشري^(٣) ذلك الفصل بين الحال وذى الحال ، واختار أن العامل فيه فعل مضمر ، تقديره جعله قِيَمًا .

(قال له موسى : هل أتبعك^(٤)) : فى الآية مخاطبة فيها تلامف وتواضع ، وكذلك ينبى أن يكون الإنسان مع مَنْ يريد أن يتعلم منه ؛ يُخَصِّتُ لكلامه ، ولا يعارضه ، ويخلمه بنفسه وماله ، ويسرع فى قضاء حوائجه .

(قال ألم أقل لك^(٥)) : هذا من قول الخضر لموسى ؛ وذلك أن موسى نسي العهد الذى بينهما ؛ هذا قول الجمهور .

فإن قلت : ما فائدة زيادة اللام فى الثالثة ؟

فالجواب لما فيه من الزجر والإغلاظ ما ليس فى الأوليين . وفى صحيح البخارى : كانت الأولى من موسى نسياناً ، وفيه - عن مجاهد قال : كانت الأولى نسياناً ، والثانية شرطاً ، والثالثة عجزاً . قال ابن عطية : وهذا كلام معترض ؛ لأن الجميع شرط ، ولأن العهدَ يَبْعُدُ على موسى عليه السلام ؛ وإنما هو التأويل ؛ إذ جنب صفة السؤال أو النسيان . وروى الطبرى ، عن أبى كعب ، أنه قال : إن موسى عليه السلام لم ينس ، ولكن قوله هذا من معارض الكلام . قال ابن عطية : ومعنى هذا القول صحيح ، ولم يبينه ؛ ووجهه عندى أن موسى عليه السلام إنما رأى العهدَ فى أن يسأل ، ولم ير إسكار هذا الفعل شيئاً مؤالاً ، بل رآه واجباً ؛ فلما رأى الخضر قد أخذ العهدَ على أعم وجوهه فضمته السؤال

(١) الكهف : ٢ (٢) الآية التى قبلها : الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب .

(٣) الكشاف : ١ - ٦١ (٤) الكهف : ٦٦ (٥) الكهف : ٧٥

والإنكار والمعارضة ، وكلُّ اعتراض ؛ إذ السؤال أخفُّ من هذه كلها - أخذ معه ، في باب المعارض التي هي مندوحة عن الكذب ، فقال له : لا تؤاخذني بما نسيت ، ولم يقل إني نسيت العهد ، بل قال لفظاً يُعطى للتأول أنه نسي العهد ، ويستقيم أيضاً تأويله وطلبه مع أنه لم ينس العهد ؛ لأن قوله : لا تؤاخذني بما نسيت - كلامٌ جيد ، وليس فيه للعهد ذكر ؛ هل نسيه أم لا ، وفيه ترميض أنه نسي العهد ، فجمع في هذا اللفظ بين العذر والصدق ، وما يخل بالقول .

(قال انفخُوا^(١)) : يريد تنفخَ الكبير ؛ أي أوقدوا النارَ على الحديد . وروى أنه حفر الأساس حتى بلغ الماء ، ثم جعل البنيان من زبر^(٢) الحديد حتى ملأ به بين الجبلين ، ثم أفرغ عليه قطراً ؛ محاساً مذاباً . وقيل هو الرصاص . وهذا السدُّ من عجائب الدنيا ، إذ لا يُقدِّرُ على هدمه أهلُ الدنيا . ولما فرغ من بنائه قال : هذا رحمةٌ من ربي . ولما أمرى به صلى الله عليه وسلم رآه وتعجب من صنعته ، وقال رجل : يا رسول الله ، رأيتُ سدًّا يأجوج ومأجوج . فقل : كيف رأيته ؟ قال : كالبرد الحبيّر ، طريقة صفراء ، وطريقة حمراء ، وطريقة سوداء ، فقال صلى الله عليه وسلم : قد رأيته .

(قيس^(٣)) : قد قلعنا أنه الجذوة من النار تكون على رأس العود أو انقصة ونحوها .

فإن قلت : ما معنى اختلاف هذه الألفاظ والتقديم والتأخير في مواضع من السور ؟

والجواب أن ذلك يختلف باختلاف المقصد ، والتناسب ؛ ففي آية طه^(٤) رؤية موسى النار وأمره أهله بالهكث وإخباره بإيام أنه آتس [٢٥٣ ب] ناراً ،

(١) الكهف : ٩٦ (٢) زبر : مع زبرة ، وهي القطعة من الحديد . (٣) طه : ١٠

وأعلمهم بأن يأتيهم بنار يعطلون بها ، أو خير يهتدون به إلى الطريق الذي ضلوا عنه ، لكنه نقص من الازل^(١) رؤية موسى النار وأمره أهله بالمسكنة اكتفاء بما تقدم ، وزاد في القصص : قضاء موسى الأجل المضروب وميره بأهله إلى مصر ؛ لأن الشيء قد يتمل ثم يفصل ، وقد يفصل ثم يتمل ، وفي طه فصل ثم أجمل ، ثم فصل في القصص^(٢) وبالغ فيه ، وقوله في طه : « أو أجِدْ على النار هدى » ؛ أي مَنْ يخبرني بالطريق فيهديني إليه ؛ وإنما آخر ذلك الخبر فيها وقدمه فيها^(٣) مراعاة لقواصل الآي في السور جميعا ، وكرر « لعل » في القصص لفظا وفيها معنى ، لأن « أو » في قوله : « أو أجِدْ » نائب عن « لعل » . وقوله : « سأتيكم » تضمن معنى لعل . وفي القصص : أو جذوة من النار ، وفي النمل : بشهاب قبس ، وفي طه بقبس ؛ فهي في السور الثلاث عبارة عن معبر واحد ، وهذا برهان لامع .

(قال : قد أوتيت سؤلك يا موسى^(٤)) : أي أعطيتك كل ما طالبت من من الأشياء المذكورة .

(قد جئناك بآية من ربك^(٥)) : يعني قلب العصا حية ، وإخراج اليد بيضاء ؛ وإنما وحدها وها اثنان ، لأنه أراد إقامة البرهان ، وهو معنى واحد

(قالوا : إن هاذان ساجران^(٦)) : قرىء إن هاذين بالياء ولا إشكال في ذلك ، وقرىء بالتحقيق ، وهي مخنفة من التقياة ، وارتفع بعدها هاذان بالابتداء . وأما على قراءة نافع وغيره بتشديد إن ورفع هاذان فقليل : إن هنا بمعنى نعم ، فلا تنصب ، ومنه ما روي في الحديث : إن الحمد لله بالرفع . وقبل

(١) النمل : ٧ (٢) القصص : ٢٩ (٣) في القصص والنمل . (٤) طه : ٢٦

(٥) طه : ٤٧ (٦) طه : ٦٣

باسم إن ضمير الأمر والشأن ؛ تقديره إن الأمر ، وهذان لساخران مبتدأ وخبر
في موضع خبر إن . وقيل : جاء في القرآن في هذه الآية بلفظ بنى الحارث بن كعب ،
وهي إبقاء التثنية بالألف في حال نصب والخفض ، وقالت عائشة : هذا مما لحن
فيه كاتب المصحف .

وندا أكثروا في الكلام في هذه الآية وأنفوا فيها تأليفا .

(قالوا : أضغاث أحلام ^(١)) : إنما حكى الله عن قريش هذه الأقوال
الكثيرة ليظهر اضطراب أمرهم وبطلان أفوالهم .

(قَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ ^(٢)) : القبضة : مصدر قبض ، وإطلاقها
على المفعول من تسمية المفعول بالمصدر ، كضرب الأمير . ويقال قبض بالضاد
المعجمة إذا أخذ بأصابعه وكفه ، وبالضاد المهملة إذا أخذ بأطراف الأصابع .
وقد قرئ كذلك في الشاذ ؛ وإنما سمي جبريل رسولا لأن الله أرسله
إلى موسى .

(قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظِلَّةً ^(٣)) : والقسم : الكسر . قال ابن عباس :
هي قرية باليمن ، يقال لها حضور ^(٤) ، بعث الله إليهم رسولا فقتلوه ، فسخط الله
عليهم فمحنهم فمحنهم فمحنهم فمحنهم فمحنهم فمحنهم فمحنهم فمحنهم فمحنهم فمحنهم فمحنهم
لأنهم كانوا كافرين ، فلا يريد قرية معينة .

(قَائِمِينَ ^(٥)) : مُصَلِّين .

(قَاعٍ ^(٦)) : سائل ، يقال : قنع قنوعاً إذا سأل ، وقنع قناعة إذا رضى .

(١) الأنبياء : ٥ (٢) طه : ٩٦ (٣) الأنبياء : ١١

(٤) في الفرطبي (١١ - ٢٧١) : وتروى حضوراء ، بالألف المدودة .

(٥) الآية : وهم قصصنا من قرية . (٦) الحج : ٢٦ ، وهي في الآية : والقائمين

(٧) الحج : ٣٦

(قَلَى) يَفْلُ أَبْغَضَ ، وَمِنْهُ : « وَمَا قَلَى »^(١) ، وَ « لَعَلَّكُمْ مِنَ الْعَالِينَ »^(٢) .

(قَوْمًا عَالِينَ)^(٣) : مُتَكَبِّرِينَ . وَالْمُرَادُ بِهِمْ قَوْمُ فِرْعَوْنَ .

(قَالَ : طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ)^(٤) ؛ أَيْ السَّبَبُ^(٥) الَّذِي يَحْدُثُ عَنْهُ خَيْرُكُمْ وَشَرُّكُمْ هُوَ عِنْدَ اللَّهِ ، وَهُوَ قَضَاؤُهُ وَقَدَرُهُ ، وَذَلِكَ رَدٌّ عَلَيْهِمْ فِي تَطْيِيرِهِمْ وَنَسَبَتِهِمْ مَا أَصَابَهُمْ مِنَ الْقَدَحِ إِلَى صَالِحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ .

(قَالَ : إِنِّي مُهَاجِرٌ)^(٦) : فَاعِلٌ قَالِ « إِبْرَاهِيمَ » . وَقِيلَ لُوطُ . وَهَاجَرَا مِنْ بِلَادِهِمَا مِنْ أَرْضِ بَابِلَ إِلَى الشَّامِ .

(قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا)^(٧) : لَيْسَ إِخْبَارًا بِأَنَّهُ فِيهَا ، وَإِنَّمَا قَصْدُ نَجَاةِ لُوطٍ مِنَ الْمَذَابِ الَّذِي يُصِيبُ أَهْلَ الْقَرْيَةِ وَبِرَاءَتِهِ مِنَ الظُّلْمِ الَّذِي وَصَفُوا بِهِ ، فَكَأَنَّهُ قَالَ : كَيْفَ تُهْلِكُونَ أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ وَفِيهَا لُوطٌ ؟ وَكَيْفَ تَقُولُونَ : إِنَّهُمْ ظَالِمُونَ وَفِيهِمْ لُوطٌ ؟

(قَالُوا : أَاَلْهَتْنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ)^(٨) : الْغَضِيرُ لِعِيسَى ؛ وَذَلِكَ أَمَّهُمْ قَالُوا : إِنْ كَانَ عِيسَى يَدْخُلُ النَّارَ قَدْ رَضِينَا أَنْ نَكُونَ وَآلِهَتُنَا مَعَهُ ، لِأَنَّهُ خَيْرٌ مِنْ آلِهَتِنَا . وَقِيلَ : إِنَّهُمْ لَمَّا سَمِعُوا ذِكْرَ عِيسَى قَالُوا : نَحْنُ أَهْدَى مِنَ النَّصَارَى ؛ لِأَنَّهُمْ عِبَادُ آدَمِيًّا ، وَنَحْنُ عِبَادُ الْمَلَائِكَةِ فَتَقْدِمُ [١٢٥٤] تَفْضِيلُ آلِهَتِهِمْ عَلَى عِيسَى . وَقِيلَ : إِنْ قَوْلُهُمْ : « أَمْ هُوَ » يَمْنُونُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ فَإِنَّهُمْ لَمَّا قَالُوا إِنَّمَا يَرِيدُ مُحَمَّدٌ أَنْ نَعْبُدَهُ كَمَا عَبَدْتَ النَّصَارَى عِيسَى قَالُوا : أَاَلْهَتْنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ .

(١) الضحى : ٣ (٢) الشعراء : ١٦٨ (٣) المؤمنون : ٤٦
(٤) النمل : ١٧ (٥) في القرطبي : طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ ، أَيْ مَمَائِكُكُمْ . وَفِي الْفَرْدَاتِ (٣١٠) : أَيْ عَمَلُهُ الَّذِي طَارَ عَنْهُ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ .
(٦) المنكيات : ٣٢ (٨) الزخرف : ٥٨
(٧) المنكيات : ٣٦

يريدون تفضيل آلهتهم على محمد ، والأظهر أن المراد به « هو » عيسى . وهو قول الجمهور ؛ ويدل على ذلك تقدم ذكره .

(قوم خصمون)^(١) : هذا من قول الله لهم ، يعنى يريدون أن يغالطوك في عيسى وإنما هو عبد أنعمنا عليه بالنبوة والمعجزات وغير ذلك .

(قال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيراً ما سبقونا إليه)^(٢) : القائلون لهذه القلة هم أكابر قريش لما أسلم الضعفاء ، كبلال وعمار وصهيب - قالوا : لو كان الإيمان خيراً ما سبقنا هؤلاء إليه . وقيل : بل قالها كفانة وقبائل من العرب لما أسلمت غفار ومزينة وجهبنة ، وقيل : بل قالها اليهود لما أسلم عبد الله بن سلام . والأول أرجح : لأن الآية مكثفة .

فإن قلت : كان الأولى أن يقول ما سبقتمونا إليه ، لأن قول الذين كفروا للذين آمنوا مواجهة .

والجواب معنى الذين آمنوا : من أجل الذين آمنوا ، أى قالوا ذلك عنهم في غيبتهم ، وليس المعنى أنهم خاطبهم بهذا الكلام ، لأنه لو كان خطاباً لقالوا : ما سبقتمونا إليه .

(قد خلت النذر من بين يدي ومن خلفه)^(٣) : أى تقدمت من قبله ومن بعده . والنذر : جمع نذير .

فإن قيل : كيف يتصور تقدمها من خلفه ؟

فالجواب أن هذه اللجنة اعتراض ، وهى إخبار من الله تعالى أن الله قد بعث رسلاً متتابعين قبل هود وبعده . وقيل من خلفه : يعنى خذنه في زمانه .

(قال إنما العلم عند الله ^(١)) : قال هود : المذاب الذي قسم انتابه ليس لي علم وقت كونه ، وإنما يعلمه الله ، وما على إلا أن أبلغكم ما أرسلت به ، ولكني أراكم قوماً تجهلون أمر الله ووعده .

(قالوا للذين أوتوا العلم ماذا قال آنفاً ^(٢)) : قد قدمنا معنى آنفاً . والمعنى أن قریشاً كانت تقول ذلك إنما احتقاراً لكلامه ، كأنهم قالوا أى فائدة فيه ؟ وإما جهلاً ونسياناً ، لأنهم كانوا وقت كلامه صلى الله عليه وسلم مفرّضين عنه .
(ق) ^(٣) : قد قدمنا أنه جبل محيط بالأرض ، أو هو من أسماء الله تعالى : القاهر ، أو المقدر ، أو القادر .

فإن قلت : أين جواب القسم ؟ وما الفرق بينه وبين « يس » في إظهار جواب القسم ووصف القرآن بالمجيد ؟
والجواب إن جواب القسم محذوف ، تقديره ما ردّوا أمرك بحجة ، وما كذبوا ببرهان ، وشبه ذلك ، وعن هذا المحذوف وقع الإضراب ^(٤) بيل . ووصف كلامه هذا بالمجيد لشرفه ، وفي سورة يس بالحكيم ، لأنه محكم على غيره لرعاية القواصل . وقد قدمنا أن الله سماء بستين اسماً ، وما ذلك إلا لتعظيمه ؛ فاعرف قدر ما وصل إليك يا من أكرمه الله به .

(قعيد) ^(٥) ؛ أى قاعد ، وقيل مقاعد يعنى مجالس . ورواه ابن عطية بأن المقاعد إنما يكون مع قومود الإنسان ، وإنما أفردوها اسمين ، لأن التقدير عن البين قعيد وعن الشمال قعيد من « المتلقيان » ^(٦) ، فحذف أحدهما لدلالة الآخر عليه . وقل القراء : لفظ « قعيد » يدل على الاثنين والجماعة ، فلا يحتاج

(١) الأحقاف : ٢٣ (٢) ١٦ : ٤٤ (٣) ق : ١

(٤) في الآية التي بعدها : بل عجوا . . . (٥) ق : ١٧ (٦) في الآية نفسها .

إلى حذف ؛ وذكر جماعة عن مجاهد أن « قَعِيد » اسم كاتب السيئات .
(قاصِرَاتِ الطُّرُق ^(١)) : معناه أن الحور العين يقصرن أعينهن على النظر
إلى أزواجهن ، فلا ينظرن إلى غيرهم .

(قالوا : لولا نزل هذا القرآن على رجل من القمَرِ يَتَّبِعِ عَظِيمٌ ^(٢)) : لم يكفِ
قربنا معاندتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، بل ضموا إليه مكابرتهم
والاستخفاف بكتاب الله وشرائعه والاحتكام على حكمة الله في تخيير ٤٤ صلى
الله عليه وسلم من أهل زمانه . ومعنى القريتين : مكة ، وعَنَوَا بالرجل منها
الوليد بن المغيرة ، وقيل حبة بن ربيعة . والأخرى الطائف ، وعَنَوَا بالرجل منه
عروة بن مسعود . وقيل حبيب بن عُمير . ووصفوه بالنظرة لكثرة ما له ،
فأنكر الله ^(٣) [٢٥٤] عليهم اعتراضهم وتحكمهم ، وأن يكون لهم التدبير لأمر
العبادة بقوله ^(٤) : « أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ » ، والتخير لها مَنْ يصلح لها
ويقوم بها والمتولين لقسمه رحمة الله التي لا يتولاها إلا هو بياهر قدرته وببالغ حكمته ؛
ثم ضرب لهم مثلا فأعلم أنهم عاجزون عن تدبير خويصة أمرهم وما يصلحهم
في دنياهم ، وأن الله عزّ وعلا هو الذي قسم بينهم معيشتهم وقدرها ودبر
أحوالهم تدبير العالم بها ، فلم يُسَوِّ بينهم ، ولكن قاوت بينهم في أسباب العيش ،
وغير بين منازلهم ؛ فجعل منهم أقوياء وأغنياء ، ومحاربين وضملاء ، وهوالى
وخدام ؛ ليصرف بعضهم بعضا في حوائجهم ، ويستخدموهم في مهتهم ، ويستخروهم
في أشغالهم حتى يتعاضدوا ويتواثروا ، ويصلوا إلى منافسهم ، ويحصلوا على مراقبهم ؛
ولو وكلّهم إلى أنفسهم ، ولأهم تدبير أمرهم لضاعوا وهلكوا ؛ فإذا كانوا

(١) الصافات : ٤٨ (٢) الزخرف : ٢١ (٣) الزخرف : ٢٢

(٤) م ١٤ - ن إخبار القرآن

في تدبير المعيشة الدنيوية في هذه الحياة الدنيا على هذه الصفة فما ظنك بهم
في تدبير أمر الدين الذي هو رحمة الله الكبرى ورأفته العظمى ، وهو الطريق
إلى خيل حظوظ الآخرة والمسلم إلى حلول دار السلام .

(قالوا : يا أيها الساحر ادع لنا ربك بما عهد عندك ^(١)) : يعني من
إجابتك . وقولهم : « إنا لمهتدون ^(٢) » : وعد نؤوا بإخلاقه ؛ لأنهم رأوا
نسخ آيات فلم يؤمنوا . وقولهم : « يا أيها الساحر » : إما أن يكون عندهم
غير مذموم ؛ لأن الساحر كان عليم أهل زمانهم ، وكانهم قلوا يا أيها العالم .
وإما أن يكون ذلك اسماً قد أنفوا تسمية موسى به من أول ما جاءهم ، فنعاقبوا به
بعد ذلك من غير اعتقاد معناه .

فإن قلت : ظاهر كلامهم يقتضي تكذيبهم له ، وقولهم : « ادع لنا
ربك » - يقتضي تصديقه ؛ فما معنى الجمع ؟

والجواب أن القائلين لذلك كانوا مكذبين ، وقولهم : « ادع لنا
ربك » يريدون : على قولاك وزعمك ، فدعا الله موسى فكشفه عنهم
فكنوا عهدهم .

(قال : يا قوم ، أليس لي ملك مصر ^(٣)) : القائل لهذا فرعون ، وقصد
بذلك الافتخار على موسى والتمظيم لملكه ، ومصر هو البلد المعروف ، وما يرجع
إليه ؛ ومنتهى ذلك من نهر ^(٤) الإسكندرية إلى أسوان بطول النيل ؛ فانظر عقلة
القاسد ، وبلادته ، حيث فخر بتافه من الدنيا ، ولم يمتدح بمن تقدمه من الملوك
الذي كانوا أعظم منه ؛ فإنها لا تمتد إلى الأبصار ، ولكن تمتد إلى القلوب التي
في الصدور .

(١) الزخرف : ٤٩ (٢) بقية الآية السابقة . (٣) الزخرف : ٥١

(٤) يريد بحر الإسكندرية : البحر الأبيض .

(قال قريته : هذا ما لدى عتيد^(١)) : اختلف ما المراد بالقرين ؛ هل الشيطان الذي كان يغويه ، أو الملك الذي يسوقه ، أو الملك الذي يتولى عذابه في جهنم ؟ والأول أرجح ؛ لأنه هو القرين المذكور بعد ؛ وأقوله^(٢) : « نقيض له شيطاناً فهو له قرين » ؛ وأقوله : « هذا ما لدى عتيد » ؛ أى هذا الإنسان حاضر لدى قد استعدته وبسرت له جهنم ؛ وكذلك المعنى إن قلنا إن القرين هو الملك السابق . وإن قلنا إنه إحـمدى الزبانية فمعناه هذا العذاب لدى حاضر . ويحتمل أن يكون « ما » فى قوله : « ما لدى » موصولة ، فعتيد بدل منها ، أو خبر بعد خبر ، أو خبر مبتدأ محذوف ، أو تكون موصولة فعتيد صفة لها ، ويحتمل أن يكون عتيد الخبر ويكون « ما » بدلا من هذا أو منصوبة بفعل مضمر .

فإن قلت : إذا كان القرين فى الآية الثانية^(٣) بعد هذا فما فائدة تكرره وعطفه بالواو أولا ؟

فالجواب أنهم اختلفوا ؛ هل المراد بهما قرين واحد أم لا ؟ إذ المقارنة تكون على أنواع . وقال بعض العلماء : قرين فى هذه الآية الثانية ليست عطفاً بل جواباً^(٤) ، وأما عطفه بالواو فلأن هذه الآية معطوفة على ما قبلها من آيات هى إخبار عما يلقاه الإنسان المتقدم ذكره من الأهوال والشدائد فى المواقف الأخروية ، وما بين يديها : أولها قوله : « وجاءت سكرة الموت بالحق^(٥) » . ثم قال : « ونفخ^(٦) فى الصور ذلك يوم الوعيد » . « وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد » . « وقال قريته هذا ما لدى عتيد » ؛ فهذه إخبارات عن شدائد يلى بعضها

(١) قى : ٢٣ (٢) الزخرف ٣٦ (٣) قى : ٢٧

(٤) فى السكاف (٢ - ١٠٤) : أخلت الجملة من الواو لأنها استنوتت كما استأنف الجمل الواقعة فى حكاية التناول . (٥) قى : ١٩ (٦) قى : ٢٠ ، ٢١ ، ٢٣

بعضاً . فطابق ذلك وورد بعضها معطوفاً على بعض . وأما قوله بمد^(١) : « قال
قرينه ربنا ما أطغيته » فهو إخبار مبتدأ مستأنف معرف بتبرئ قرينه من حمله
[٢٥٥] على ما ارتكبه واجترحه ، ولا طريق إلى عطف ذلك على ما قبله ؛ إنما
هو استئناف إخبار ، فوجد كل على ما يرد .

(قاب قوسين أو أدنى^(٢)) ؛ أى كان جبريل من محمد صلى الله عليه وسلم
بمقدار القاب - وهو مقدار المسافة بين قوسين عريين ، ومعناه من طرف المود
إلى طرفه الآخر . وقيل من الوتر إلى المود . وقيل ليس القوس الذى يرى
بها ؛ وإنما هى ذراع تقاس به المقادير . ذكره الثعلبى ؛ وقال : إنه من لغة أهل
أهل الحجاز ؛ وتقدير الكلام : مقدار مسافة قرب جبريل من محمد صلى الله
عليه وسلم مثل قاب قوسين ، ثم حذفت هذه المضافات . ومعنى أدنى أقرب .

و « أو » هنا مثل قوله : أو تريدون . وأشبه التأويلات فيها أنه إذا نظر
إليه البشر احتمل أن يكون قاب قوسين ، أو يكون أدنى وهذا الذى ذكرنا
أن الضمائر التقدم لجبريل هو الصحيح . وقد ورد ذلك فى الحديث عن سيدنا
ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم . وبيل : إنها لله تعالى ، وهذا القول يرد عليه
الحديث والعقل ؛ إذ يجب تنزيه الله تعالى عن تلك الأوصاف من الدنوى
والتدنى وغير ذلك .

(قاضية^(٣)) : يعنى من أعطى كتابه بسم الله يتمنى أن يكون مات فى الموتة
الأولى بحيث لا يكون بعدها بحث ولا حياة .

(قاسطون^(٤)) : من قسط الثلاثى يعنى جار ، وأقسط الرباعى - بالالف ،
إذا عدل بالرومية ، ومنه^(٥) : « إن الله يحب المُقسطين » .

(٢) النجم : ٩

(١) ق : ٢٧

(٣) الحالة . ٢٢ (٤) الجن : ١٤ (٥) المائدة : ٥٠ ، والمجرات ٩ والمنحة ٨

(قصص^(١)) : له معنيان : من الحديث ، ومن قصص الأثر ، ومنه^(٢) : « قارتدا على آثارها قصصا » . « قصصيه^(٣) » .

(قَسُورَة^(٤)) - ابن عباس : هو الرامي . وقال أيضاً القسورة بلفظة أهل الحبشة هو الأسد . وقيل أصوات الناس . وقيل ارجال الشداد . وقيل سواد أول الليل .

فإن قلت : سواد أول الليل لا يليق ؛ لأن اللفظة مأخوذة من القسر الذي هو القهر والغلبة .

والجواب : أنه يليق باللفظة ؛ لأنه لا شيء أشد نفاراً لحرّ الوحش من قرب الظلام اتوحيشها .

(قَطَرِير^(٥)) : معناه طويل . وقيل شديد .

(قواريراً قوارير^(٦)) منونين ، وبتنوين الأول ؛ وهذا التنوين بدل من ألف الإطلاق ، لأنه فاصلة ، والثاني لإتباعه الأول . وقرئ قوارير - بالرفع ، على : هي قوارير ؛ والضمير في قدروها تقديرها يحتمل أن يكون للطائفتين وأن يكون للنعيمين ؛ ومعنى تقديرهم أنهم قدروها في أنفسهم ؛ أو تكون على مقادير وأشكال على حسب شهواتهم ، فجاءت كما قدروا ؛ والتقدير إما أن يكون على قدر الأكف ؛ قاله الربيع ، أو على قدر الرئى ، قاله مجاهد . قل ابن عطية : وهذا كله على قراءة مَنْ قرأ قدروها بفتح القاف . وقرئ قدروها على البناء للمفعول ؛ ووجهه أن يكون من قدر منقولاً من قدر ؛ تقول : قدرت الشيء ، وقدرت على فلان إذا جعلك قادراً له . والمعنى جعلوا قادرين له كما شاءوا ، وأطلق لهم أن يقدرُوا على حسب ما اشتروا .

(١) القصص : ٢٥ (٢) الكهف : ٦٤ (٣) القصص : ١١ (٤) المدثر : ٥١

(٥) الإنسان : ١٥ ، ١٦

(٦) الإنسان : ١٠

فإن قيل : من المعلوم أن القارورة من الزجاج ، فكيف قال من فضة ؟
فالجواب أن المراد أنها في أصلها من فضة ، وهي تشبه الزجاج في صفاتها
وشقيقتها . وقيل : هي من زجاج ، وجعلها من فضة على وجه التشبيه لشرف
الفضة وبياضها .

(قَصْر^(١)) : واحد القصور ؛ وهي الديارُ العظام . وقد قدمنا وجه تشبيه
الشرر به في عظمه وارتفاعه في الهواء . وقيل : هو الغليظ من الشجر واحد
قَصْرَة كجَمْرَة .

(قَضْبَا^(٢)) هي النِصْفَة^(٣) . وقيل علف البهائم . واختار ابن عطية أنها
[البقول]^(٤) وشبهها بما يؤكل رطباً .

(قِيَمَة^(٥)) فيلة ، وفيه مبالغة ، تقديره الله القيمة أو الجماعة القيمة ،
ومعناه أن الذي أمروا به من عبادة الله والإخلاص له ، وإقام الصلاة وإيتاء
الزكاة ، هو دين الإسلام ، فلا شيء لا يدخلون فيه ؟

(قرآنا^(٦)) : يكون بمعنى القراءة ، ويقال فلان يقرأ قرآنا حسنا ، ومنه^(٧) :
« إن قرآنَ الفَجْرِ كانَ مشهوداً » . وقد قدمنا أنه لا يُسمى بهذا الاسم غيرُ
كتابِ الله ؛ لأنه يجمع السور ويضمُّها ، والقارىء مَنْ له القراءة وَمَنْ لا قراءة
له فليس بقارىء ، ولا يكون قارئاً إلا عند وجود القراءة ، ولو كانت القراءة
قديمة لكان يجب أن يكون الحافظ لكتابِ الله قارئاً [٢٥٥ ب] له في جميع
أحواله ، فلما بطل ذلك دلَّ على أنها مُحدثة ، والقراءة غير الحفظ ، والكتابة
غير السمع . والمتلوة والقروء والمحفوظ والمكتوب والمسموع واحد ؛ ولهذا لوقال :

(١) الرسائل : ٣٢ (٢) ميس : ٢٨ (٣) في القاموس (قس) : النصفية :
نبات - فارسيه ادبيست . وفي القرطبي (١٩ - ٢٢١) : النصفية : الثت الرطب .
(٤) مكانها بيان في النسختين ، والعكيل من القرطبي . (٥) البيه : ٣
(٦) الجن : ١ (٧) الإسراء : ٢٨

والله لا قرأت القرآن ثم سمعه من غيره لم يحتمث ، وهكذا لو قال : والله لا حفظت القرآن ثم كتبه أو قرأه أو سمعه من غير أن يحفظه لا يحتمث ، فدل ذلك على تناير الكتابة والقراءة والحفظ والسمع . والله أعلم .

(قَرَّي عَيْنَا^(١)) : أى طيبي نفساً لما فعل الله لك من ولادة نبي كريم ، أو من تيسير الأكل أو المشروب ، كقولك : قررت به عينا أقره بالكسر في الماضي والفتح في المضارع ، وقررت بالـكان بالفتح في الماضي ، والكسر في المضارع .

(قَرَّخَا^(٢)) : سلفا ، والفعل منه أقرض يفرض .

(قلنا^(٣)) : مذهب العرب إذا أخبر الرئيس منها عن نفسه قال : قلنا وقلنا وصنعنا ، لعلهم أن أتباعه يفعلون بأمره كفعله ، ويَجْرُونَ على مثل أمره ؛ ثم كثر الاستعمال بذلك حتى صار الرجل من السوق يقول قلنا وصنعنا . والأصل ما ذكرت .

(قَرُّوْهُ^(٤)) : جمع قرء ، وهو مشترك في اللغة بين الطهر والحيض ، فحملته مالك والشافعي على الطهر لإثبات النشاء في ثلاثة ، فإن الطهر مذكور والحيض مؤنث ، ولقول عائشة رضي الله عنها : الأفرأ هي الأطهار ؛ وحملته أبو حنيفة على الحيض ؛ لأنه الدليل على برائة الرحم ؛ وذلك مقصود العدة ؛ فعلى قول مالك والشافعي تنتضي العدة بالدخول في الحيضة الثالثة ، إذا طلقها في طهر لم يحسبها فيه ، وعند أبي حنيفة بالطهر منها .

(قَرَّبَانِ^(٥)) : ما يُتَقَرَّبُ به إلى الله عز وجل من ذبح وغيره ، والقربة

(١) الحديد : ١١ ، ١٨

(١) مريم : ٢٦

(٢) البقرة : ٣٤ ، ول ستة وعشرين موضعاً أخرى في القرآن .

(٣) آل عمران : ١٨٣

(٤) البقرة : ٢٢٨

هي الطاعة ، ومن شرطها العلمُ بالمقرب إليه ، فعال وجود القربة قبل العلم بالمسود والنظر والاستدلال المؤدبين إلى معرفته عز وجل ؛ فهو واجب وطاعة له ؛ فكل قربة طاعة ، وليست كل طاعة قربة ؛ لأن الصلاة في الدار المصوبة تقع واجبة وطاعة ، وليست بقربة ؛ لأنه لا يُتأب عليها ؛ وإنما الفرض يسقط عند التقهات والتسكمين من أهل الحق ، ومن لا قربة له فليس بمقرب . ولا يقال مقرب إلا لمن كثرت قربه وطاعته .

(قُبُلًا^(١)) : أضاف ، جمع قبيل ؛ أي صنف صنف . وقبلا أيضا جمع قبيل ؛ أي كقبيل . وقبلا أيضا مقابلة . وقبلا عيانا . وقبلا استئنافا . وقول سليمان : لا يقبل لهم بها ، أي لا طاقة لهم .

(قِسْطًا^(٢)) : قال مجاهد : هو العدل بالرومية ، وأخرج ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير ، قال : القسطاس - بلغة الروم : الميزان .

(قَمَلٌ^(٣)) - بضم القاف وتشديد الميم : صغار الجراد . وقيل البراغيث . وقال الواصفى : هو الذبان بلسان العبرانية والسريانية ، وقرىء بفتح القاف والتخفيف ، وهو على هذا القمل المعروف ، وكانت تتماق بلعومهم ، ومن طبعها أن تكون في الشعر الأحمر أحمر وفي الأسود أسود وفي الأبيض أبيض ، ومن تغير الشعر تغير إلى لونه ، وهو من الحيوان الذي إناءه أكبر من ذكوره . وقيل : إن الصبيان يبيضه . وأما قلة التسر التي تسقط منه إذا عضت قتلت .

وروى أن موسى عليه السلام مشى بعصاه إلى كتيب أهيل ، فضربه فانتشر كله قل في مصر . ثم إنهم قالوا : ادع لنا ربك في كشف هذا عنا ، فدعا ؛ فرجوا إلى كفرهم .

(١) الأنعام ١١١ ، والكهف ٥٥ (٢) الإسراء ٣٥ ، الشعراء ١٨٢

(٣) الامراء : ١٣٣

وروى الترمذى الحكيم أنه إذا وجد الجالس على الخلاء قلة لا يقتنها ، بل يدفنها ، يَسَارُوى أنه مَنْ قَتَلَ قِلةً على رأس خلائه بات معه في شِمَارِهِ شَيْطَانَةٌ تُنْسِبُهُ ذِكْرَ اللَّهِ أَرْبَعِينَ صَبَاحًا . وقد رخص صلى الله عليه وسلم لعبد الرحمن بن عوف والزبير بن العوام لبس الحرير لدفع القمل ، لأنه لا يقبل بالخاصية . نال الجاحظ : وربما كان للإنسان قمل الطباع ، وإن تنظف وتعطر وبدل الثياب ، فعند الشافعية يجوز لبس الحرير لهذه النازلة . وقال مالك : لا يجوز لبسه مطلقاً ، لأن وقائع الأحوال عنده لا تتم . وفي فتاوى تاجي خان : لا بأس أن يطرح القملة حية ، والأدب أن يقتلها . وإذا رأى المصلّي في ثوبه قلة أو برغوثاً فالأولى أن يتخافل عنها ؛ فإن ألقاها بيده [٢٥٦] أو أمسكها حتى يفرغ فلا بأس ، فإن قتلها في الصلاة عني عن دمها دون جلودها ، فإن قتلها وتعلق جلودها بظفره أو ثوبه بطلت صلاته . قال الغزالي : ولا بأس بتمسكها كما لا بأس بقتل الحية والعقرب . قال القمولى : ولا بأس بإلقائها بغير المسجد ؛ والذي قاله صحيح ؛ للحديث : إذا وجد أحدكم القملة في المسجد فليصرها في ثوبه حتى يخرج من المسجد . رواه الإمام أحمد في الصحيح . وروى الحاكم في أوائل المستدرک من حديث أبي سعيد أنه قل : قلت : يا رسول الله ، مَنْ أَشَدُّ الناس بلاءً ؟ قال : الأنبياء . قال : ثم مَنْ ؟ قال : العلماء . قال : ثم مَنْ ؟ قال : الصالحون ؛ كان أحدهم يبتلى بالقمل حتى تقتله ، ويبتلى أحدهم بالفقر حتى لا يجد إلا العبادة يلبسها ، ولأحدهم كان أشدَّ فرحاً بالملأ من أحدكم بالعطاء ، قال : صحيح على شرط مسلم .

(قرة عَيْنٍ لِي وَلك^(١)) : مشتق من القَرَّ ، وهو الماء البارد ، ومعنى قورلم :

أقر الله عينك : أبرد الله دمعك ؛ لأن دمة السرور بلردة ودمة الحزن حارة .
(قُدُورِ راسيات ^(١)) : قد قدمنا أنها ثابتات لا تنزل ، لأنها كانت أثافيها
منها ، ويُطبخ فيها الجمل ، لا يخرج منها إلا عظامه .

(قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ ^(٢)) ؛ أي الكنايون . والإشارة إلى الكفار . وقُتِلَ
معناه لمن . قال ابن عطية : واللفظة لا تقتضي ذلك . وقال الزمخشري ^(٣) : أصله
الدعاء بالقتل ، ثم جرى مجرى الممن والقبيح .

(قُطُوفُهَا ^(٤)) : جمع قطف ، وهو ما يجنى من الثمار ويُقطف كالسنود .
(قِبْلَةٌ ^(٥)) : جهة ، وُسِّمَتِ السَّكْبَةُ بِذَلِكَ لأنها تُقَابِلُ المَعْلَى ويقابلها .
(قَيْلًا ، وَقَوْلًا) بمعنى واحد ؛ ومنه : « وَأَقُومُ قَيْلًا ^(٦) » .

(نَيْسِينَ ^(٧)) : جمع نَس ، وهو العالم . وفي الحديث : يُبْعَثُ نَسٌّ مِنْ
مُاعِدَةِ أُمَّةٍ وَاحِدَةٍ . وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال : رأيت على جمل بَعُكَاظَ ،
وهو يقول : أَيُّهَا النَّاسُ اسْمَعُوا وَاعْمُوا ، مَنْ عَاشَ مَاتَ ، وَمَنْ مَاتَ فَاتَ ، وَكُلُّ مَا هُوَ
آتٍ آتٍ ، مَا لِي أَرَى النَّاسَ يَذْهَبُونَ وَلَا يَرْجِعُونَ ، أَرْضُوا بِالْإِقَامَةِ فَأَقَامُوا ،
أَمْ تَرْكُوا هُنَاكَ وَنَامُوا ؛ إِنْ فِي السَّمَاءِ ظُلُمٌ ، وَإِنْ فِي الْأَرْضِ عِبْرٌ . سَقَفٌ
مَرْفُوعٌ . وَمِهَادٌ مَوْضُوعٌ . وَبَحَارٌ تَمُودٌ . وَنَجْمٌ تَمُودٌ ، ثُمَّ تَمُودٌ . أَنَسَمَ بِاللَّهِ
فَمَا لَا كَذِبَ فِيهِ وَلَا إِثْمًا : إِنْ فِي لَدِينِنَا هُوَ أَرْضٌ مِنْ دِينٍ نَحْنُ عَلَيْهِ ، ثُمَّ تَكَلَّمَ
بِآيَاتٍ شَرَّ لَا أَدْرِي مَا هِيَ .

قال أبو بكر : كنت حاضرًا ، والآيات عندي . وأنشد ^(٨) :

(١) سبأ ١٣ (٢) القلبيات ١٠ (٣) الكشاف : ٢-٨-٤٠
(٤) المائدة ٢٣ ، الإنسان ١٤ (٥) البقرة ١٤٤ (٦) الزمل ٦
(٧) المائدة : ٨٢ (٨) والمصريين : ٨٨

في المذهبين الأولين من من القرون لنا بصائر
لنا رأيت موارد للوت ليس لها مصادر
ورأيت قومي نحوها يمشي الأكبر والأصغر
لا يرجع الماضي ولا يبقى من الباقيين غار
أيقنت أني لا محالاً حيث صار القوم صار

وقوله هذا يدل على أنه تنبأ بعقله في هذه ، فأنمظ واعتبر ، ولو أدركته
الرسالة لنبه بعقله من كان في جهالة .

(قِطْعًا من الليل مُظْلِمًا^(١)) : جمع قطعة ، ومن فَرَأَ قِطْعًا - بنسكين
الطاء - أراد اسم ما قُطِع ؛ تقول قطعت الشيء قِطْعًا ، بفتح القاف من المصادر ،
واسم ما قطعت ، والجمع أقطاع ، فَمُظْلِمًا على قراءة فتح الطاء حال من الليل ،
وأما على إسكانها فصيغة له أو حال من الليل .

(قِطْعٌ مُتَجَاوِرَاتٍ^(٢)) : قد قلنا أن معناها قرى متصلة ، ومع تلاصقها
فإن أرضها تنوع إلى طيب ووردي ، وصاب ورخو ، وغير ذلك .

(قِيَمَةٌ^(٣)) : جمع قاع ، وهو المنبسط من الأرض . وقيل القيمة بمعنى القاع ،
وليس يجمع .

(قَرْنٌ^(٤)) : مفرد قرون ، وهو مائة سنة ، وقيل سبعون ، وقيل أربعون .
فإن قلت : قد ورد في آيات من القرآن زيادة «من» كآية الأنعام^(٥) ويس^(٦) ؛
وفي السجدة^(٧) : «وأولم يهد لهم كم أهلكنا من قبلهم من القرون يمشون في مصداكهم» .

(١) يونس : ٢٧ (٢) الزمخدر (٣) النور ٣٨ (٤) الأسام ٦
(٥) يس : ٣ (٦) السجدة : ٢٦

وفي ص^(١) : «كم أهلكنا من قبلهم من قرن فتادوا ولات حين مناص» هذه ؛ الآيات الثلاث بزيادة «من» فيها ، وسائرهما^(٢) . ورد في القرآن من مثل هذه الآي لم تزد فيها من .

والجواب أنها تزداد حيث يُراد تأكيده مضمن الآي من العهدة ، والإشارة إلى الوعيد ، وهي أبدا في أمثال هذه المواضع محرزة معنى التأكيده لا تنفك عن ذلك ، ثم إن حذفها أوجز [٢٥٦] من إثباتها ، ولكل مقام مقال ؛ فحيث ورد من هذه الآي ما قبله استيفاء تفصيل وعيدى في أمة بعينها أو أكثر ، أو تكرار التهديد وشدة التخويف من مقتضى السياق وهو فخوى الكلام ، فذلك موضع زيادتها والتأكيده بإثباتها ، وحيث لا يتقدم تفصيل على ما ذكرناه ، أو تكون آية التهديد لا تبتلع في انتضاء مقتضاها فهوذا الوعيد ، فهذا يناسبه الإيجاز بحذفها ؛ إذ لا يراد من تأكيده الوعيد ما يراد في الآي الأخر .

(قرآن في بيوتكن^(٣)) : قرىء بكسر القاف ، ويحتمل وجهين : أحدهما أن يكون من لوقار ، أو من القرار في الموضع ؛ ثم حذفت الراء الواحدة كما حذفت اللام في ظلت . وأما القراءة بالفتح فمن القرار في الموضع على لغة من يقول : قررت بالكسر أفر بالفتح . والمشهور في اللغة عكس ذلك . وقيل : هو من قار يقار إذا اجتمع . ومعنى القرار أدرج ؛ لأن سودة رضى الله عنها قيل لها : لم تحجبين ؟ فقالت : أمرنا الله أن نقرأ في بيوتنا ، وكانت عائشة إذا قرأت هذه الآية تبكى على خروجها أيام الجمل ، وخينثذ قل لها أعمار : إن الله أمرك أن تقرى في بيتك .

(١) ص : ٣ (٢) في الأنعام ٦ ، ومريم ٧٤ ، ٩٨ ، ص ٣ ، في ٣١ فيها كلها : من قرن . وفي هود ١١٦ ، والإسراء ١٢ ، وطه ١٢٨ ، والفصص ٧٨ ، والسجدة ٢٦ ، ص ٣١ ، فيها كلها من القرون . (٣) الأحزاب : ٣٣

(قال رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا ^(١)) : هذا من قول موسى ؛ والإشارةُ
بالنفس إلى القبطي ، فقال الله : أَلَمْ أَحْفَظْ خُضْرَةَ الشَّجَرَةِ مِنَ النَّارِ لَمْ تَحْرِقْهَا
وَلَمْ تَضَرْعَا ، فَكَذَلِكَ يَا مُوسَى أَحْفَظْكَ وَأُنْجِيكَ مِنْ فِرْعَوْنَ وَلَا يَضُرَّكَ بَشْيٌ ،
فَلَمَّا خَرَجَ مُوسَى مِنْ مِصْرَ حِينَ قَتَلَ الْقِبْطِيَّ سَأَلَ اللَّهَ الْهُدَايَةَ ، فَقَالَ ^(٢) : « عَسَى
رَبِّي أَنْ يَهْدِيَ بَيْنِي سُبُلَ السَّبِيلِ » ؛ فَلَمْ يَجِبْهُ حَتَّى بَعَثَ إِلَى مِصْرَ ثَانِيَةً ، فَقَالَ
عِنْدَ خُرُوجِهِ : سَمِعْتُ نِدَاءَكَ وَأَجَبْتُكَ ، وَالْيَوْمَ هَدَيْتَكَ إِلَى كَلَامِي ، إِنِّي أَنَا اللَّهُ
الْمَرْبِزُ الْحَكِيمُ ؛ فَكَذَلِكَ أَنْتَ يَا مُؤْمِنُ لَمَّا أُرْسِلْتُكَ إِلَى الدُّنْيَا عَرَفْتَ الْحَقَّ الَّذِي
تَوَجَّهْتَ إِلَيْكَ ، فَقُلْتَ : اهْدِهَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ، فَاسْمَعْ وَأَجِيبْ ، ثُمَّ إِذَا قَرُبَ
رَجُوعُكَ إِلَيَّ وَفُوضْتَ أَمْرَكَ إِلَيَّ أَقُولُ لَكَ : إِنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ، وَأَجْعَلُ
الْجَنَّةَ مَنْزِلَكَ وَمَثْوَاكَ ، كَمَا جَعَلْتُ دِيَارَ فِرْعَوْنَ وَمَقَامَهُ مِيرَاثًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ ،
فَقُلْتَ : « ^(٣) كَمْ تَرَ كُفْرًا مِنْ جَنَّاتٍ وَعِيون ... » الْآيَةُ .

فَإِنْ قُلْتَ : مَا وَرَدَ فِي الشُّعْرَاءِ ^(٤) إِنْ اللَّهُ أَهْلَكَ الْقِبْطَ عَلَى أَيْدِي
بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَوْرَثَهُمْ مَلَائِكُهُمْ وَدِيَارَهُمْ ، وَالَّذِي فِي الدُّخَانِ ^(٥) إِنْ اللَّهُ أَوْرَثَهَا
آخَرِينَ لِيَسْوَاهُمْ ؟

وَالْجَوَابُ أَنَّهُ وَقَعَ الْخِلَافُ فِي رَجُوعِ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَى مِصْرَ بَعْدَ هَلَاكِ
فِرْعَوْنَ ، وَقَدْ قَدَّمْنَا فِي مَشْهُورِ التَّوَارِيخِ أَنَّهُمْ لَمْ يَرْجِعُوا إِلَيْهَا وَلَا مَلَكَوْهَا قَطً ،
وَإِنَّمَا أَمَرَهُمُ اللَّهُ بِدُخُولِ الْأَرْضِ الْمَقْدُوسَةِ ؛ وَلِهَذَا قَالَ قَتَادَةُ : الْقَوْمُ الْآخَرُونَ هُمُ
بَنُو إِسْرَائِيلَ ، فَوَرِثُوا نَوْعَهَا فِي بِلَادِ الشَّامِ ؛ وَإِنَّمَا سَمَّاهُمْ آخَرِينَ ؛ لِأَنَّهُمْ لِيَسْوَاهُمْ

(١) القصص : ٢٥

(٢) القصص : ٢٢

(٣) القصص : ٢٣

(٤) آية الشعراء (٥٩) : كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ . وَآيَةُ الدُّخَانِ (٢٨) : كَذَلِكَ
وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ .

منهم في نبي، من قرابة ولا دين ولا ولا، لأنهم كانوا مستعبدين
في أيديهم.

وقد ذكر التعليل عن الممن أن بني إسرائيل أخرجوا إلى مصر بعد
هلاك فرعون - ويقوى قوله آية الشعراء - إليه، ونصبه بالكاف في كذلك
يدل على رجوعهم؛ أي مثل ذلك الإخراج أخرجناهم منها، وأورثناها لهم،
ومماها وراثته من حيث كانت لأناس ووصلت إلى آخرين بعد موت الأولين؛
وهو حقيقة الميراث في اللغة ورثها الشرع بالنسب وغيره من أسباب الميراث.

(قَطْنَا)^(١) : قد قلنا أن القِط في اللغة له معنيان : أحدهما الكتاب
بالنبطية، والآخر النصيب . وفي معناه - في قوله ^(٢) : « قَالُوا رَبَّنَا عَجِّلْ قِطَّنَا قَبْلَ
يَوْمِ الْحِسَابِ » ثلاثة أقوال : أحدها نصيباً من الخير، أي دعوا أن يعجل الله
لهم في الدنيا . والآخر نصيبهم من المذاب ؛ فهو كقولهم : « ^(٣) أُمْطِرْ عَلَيْنَا
حَبْرَةً مِنَ السَّمَاءِ » . والثالث صحائف أعمالنا . فبنا لقوم طبع الله على قلوبهم
[١٢٥٧] وطلبوا الحبرة أو المذاب مع علمهم أنه الحق ؛ ولولا أن الله رحمهم
بوجوده معهم لما جلتهم بالحبرة وزول المذاب ، لكنه صلى الله عليه وسلم
رحمة للعالم ، كما قال تعالى ^(٤) : « وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ » . وقال معاوية
لرجل من أهل سبأ : ما أجمل قومك حين ملكوا أمراً امرأة ! فقال له :
قَوْمُكَ أَجْمَلُ مِنْ قَوْمِي حَيْثُ تَكُونُوا حِينَ دَعَاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
إِلَى الْحَقِّ : « إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأُمْطِرْ عَلَيْنَا حَبْرَةً » ؛ ولم يتولوا :
أَعْدِنَا لَهُ .

فإن قلت : قد قال به — — — : « وَمَا لَهُمْ إِلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ » ، وهي

مناقضة لقوله تعالى^(١) : « وما كان الله ليعذبهم وأنتَ فيهم » .
 فالجواب أن هذه الآية نزلت كلها بمكة إثر قولهم^(٢) : « أو آتينا بذاب
 اليم » . ونزل قوله^(٣) : « وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون » عند خروج النبي
 صلى الله عليه وسلم من مكة في طريقه إلى المدينة ، وقد بقي بمكة مؤمنون يستغفرون .
 وقيل : إن قوله : « : « وما لهم ألا يعذبهم الله » نسخ لقوله : « وما كان الله
 معذبهم وهم يستغفرون » . وفيه نظر ؛ لأن الخبر لا يدخله نسخ . والظاهر أن :
 « ما لهم ألا يعذبهم الله » - يقتضي الوعيد . وتقديره : وما يملككم ،
 أو ما يذريهم ، ونحو هذا من الأفعال التي توجب أن تكون « أن » في موضع
 نصب . وقال الطبري : تقديره : وما يمنعهم أن يعذبوا . قال ابن عطية :
 والظاهر في قوله : « وما » أنها استفهام على جهة التقرير والتوبيخ والسؤال ؛
 وهذا أفصح في القول ، وأقطع في الحجة . والمعنى : وأي شيء لهم في انتفاء
 العذاب عنهم وهم معذبون لا محالة ؟ وكيف لا يعذبون وحالهم أنهم يصدون
 عن المسجد الحرام جوراً وتمدياً عام الحديبية ، وإخراجهم لرسول الله صلى الله
 عليه وسلم من الصد .

(قد) : حرف يختص بالفعل المتصرف الخبري المثبت المجرد من ناصب
 وجازم . وحرف تنفيس ماضيا أو مضارعاً . ولها معان :
 التحقيق مع الماضي ؛ نحو : « قد أفلح المؤمنون » .^(٤) « قد أفلح من
 زكّاهما » ، وهي في الجملة القطعية المجتبى بها القسم ، مثل إن واللام في الاسمية
 الجواب بها في إعادة التوكيد والتعريب مع الماضي أيضاً ؛ تفريجه من الحذف ؛ تقول : قام
 زيد ، فيحتمل الماضي القريب والماضي البعيد ، فإن قلت : قد قام اختص بالقريب .
 قال النحاة : وإنبنى على إعادتها ذلك لحكام ؛ منها : منع دخولها على ليس ،

(١) الأفعال : ٤٢

(٢) الأفعال : ٢٧

(٣) الأفعال : ٣٣

(٤) النعمان : ٩

(٥) المؤمنون : ١

وعسى ، ونعم ، وبئس ، لأنهن الحال ؛ فلا معنى لذكر ما يقرب ما هو حاصل ، ولأنهن لا يفذن الزمان .

ومنها وجوب دخولها على الماضي الواقع حالا ، إما ظاهرة ؛ نحو ^(١) : « وما كنا ألا نقاتل في سبيل الله ، وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا » . أو مقيدة ؛ نحو ^(٢) : « هذه بضاعتنا ردت إلينا » . ^(٣) أو جاء وك حصرت صدورهم . وخالفني ذلك الكوفيون والأخفش ، قالوا : لا يحتاج إلى ذلك لكثرة وقوعه حالا بدون قد . وقال السيد الجرجاني وشيخنا العلامة الكافي جى : ما قاله البصريون غلط ، سببه اشتباه لفظ الحال عليهم ؛ فإن الحال القدي يقربه « قد » حال الزمان ، والحال المبين للهيئة حال الصفات ، وهما متغايران .

المعنى الثالث التقليل مع المضارع ؛ قال في المنى ^(٤) : وهو ضربان تقليل وفروع الفعل نحو : قد يصدق الكذوب . وتقليل متعلق بالفعل ، نحو ^(٥) : « قد يعلم ما أأنتم عليه » ؛ أى أن ما هم عليه هو أقل معلوماته تعالى ؛ قال : وزعم بعضهم أنها في هذه الآية ونحوها لتحقيق . ويرى قل بذلك الزمخشري ؛ قال : إنها دخلت لتوكيد العلم ، ويرجع ذلك إلى توكيد الوعيد .

الرابع : التكثير ، ذكره سيبويه وغيره ، وخرج عليه الزمخشري ^(٦) : « قد نرى تقلب وجهك في السماء » ؛ أى ربما نرى ، ومضاه تكثير الرؤية . الخامس : التوقع ؛ نحو قد يقدم الغائب لمن يتوقع وقوعه وينظره . وقد قامت الصلاة ؛ لأن الجماعة ينتظرون ذلك ، وحمل عليه بعضهم قوله تعالى ^(٧) : « قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها » ؛ لأنها كانت تتوقع إجابة الله لدعائها .

(١) البقرة : ٢١٦

(٢) يوسف : ٦٥

(٣) المنى : ١ - ١٣٤

(٤) البقرة : ١٤١

(٥) النور : ٦٤

(٦) المجادلة : ١

(٧) المجادلة : ١

حرف السين المهملة

(سليمان) بن داود . قال كعب : كان أبيض ، جميلاً ، وسيماً ، وضيئاً
جميلاً ، خاشعاً متواضعاً ، وكان أبوه يشاوره في كثير من أموره مع صغر سنه
لوفور عقله وعلمه . وأخرج ابن جرير عن ابن عباس : قل : ملك الأرض
مؤمنان : سليمان ، وذو القرنين . وكافران : النرود ، ونحت نصر . قل أهل التاريخ :
ملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة ، وابتدأ ببناء بيت المقدس بعد ملكه بأربع
سنين ، ومات وله ثلاث وخمسون سنة .

(سَوَاءَ السَّبِيلِ ^(١)) : هو الطريق ، وجمعه سُبُل ، ثم استعمل في طريق
الخير والشر . وقد قدمت أن سبيل الله الجهاد ، وإن السبيل الضيق . وسواء
بافتتح والهمز من التسوية بين الأشياء . وسواء الجحيم ومطهرها ، وسبأني معاها
آخر الحرف .

(سَتَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ^(٢)) : أي يزيدم أجراً إلى الغفرة .

(سَلَوَى ^(٣)) : طائر يشبه السمانى ، كان ينزل على بنى إسرائيل من المن .
(سَجْدًا ^(٤)) : معناه رُكْعًا ؛ لأن الدخول لا يتأتى مع السجود . وقيل :
متواضعين . وقد قدمنا أن سجود الملائكة لآدم كان بوضع جباههم في الأرض ،
وأول من سجد إسرائيل ؛ ولذا جازاه الله بولاية اللوح المحفوظ .

(١) المنحة : ١ (٢) البقرة : ٥٨ (٣) والأعراف : ١٦٠ ، طه : ٨٠

(٤) البقرة : ٥٨ ، وغيرها .

(صِفِهْ فَهْ^(١)) : منصوب على التشبيه بالمفعول به . وقيل : الأصل في فِهْ ثم حذف الجار فانتصب . وقيل تمييز ؛ ومعناه أهلكها وأوبقها .

(سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ^(٢)) : ظاهره الإعلام بقولهم قبل وقوعه . وقال ابن عباس : نزلت بعد قولهم ، والمراد بهم اليهود أو الشركون أو المنافقون . وأما : « وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ^(٣) » فالمراد بهم أولاد الرجل ونسأؤه ، لأنهم ييذرون . وقيل السفهاء المحجورون ، وأموالكم ، أى أموال المحجورين ، وأضافها إلى المخاطبين لأنهم ناخرون عليها وهى تحت ولايتهم .
(سِرًّا^(٤)) وسرورا^(٥) بمعنى واحد .

(تسليما) : ملاطفة وقصد .

(سَلَفَ) الأمر ، أى تقدم ، وأسلفت الرجل أى قدمته ، ومنه : « بِمَا أَسَلَقْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ^(٦) »

(سَلَّمَ) - بفتح السين : السلامة ، والمراد به عقد القعدة بالجزية . وقرئ بكسر السين بمعنى الدخول فى الإسلام . وأما السَّلَمُ بغير ألف فهو الاشياد . ومنه : « وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَنْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ^(٧) » ، وقرئ بالألف بمعنى التحية .

(سَارِعُوا^(٨)) : بغير واو استئناف ، وبالواو عطف على ما تقدم ، ومعناه المبادرة إلى الأمر .

(سَمِيرًا^(٩)) : انتقاداً ، وهو اسمٌ من أسماء جهنم .

(١) البقرة : ١٣٠	(٢) البقرة : ١٤٢	(٣) النساء : ٥
(٤) البقرة : ٢٣٥	(٥) هذا بالألفين ، وحطها : استمرارا ، أى خفيه .	
(٦) الحاقة : ٢٤	(٧) النساء : ٩٤	(٨) آل عمران : ١٣٢
(٩) النساء : ١٠		

(سلام) : اسم من أسماء الله ، وهو بمعنى الخير ، « فاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ »^(١) . ومعنى الله : « سلام على نوح في العالمين »^(٢) . ومعنى السلامة : « اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا »^(٣) . « لهم دارُ السلام عند ربهم »^(٤) . ومعنى الشجر العظيم ، واحدتها سَلَمَةٌ .

(أَسْلَمَ) : له ثلاثة معانٍ : الدخول في الإسلام ، والإخلاص لله ، والانتقاد ، ومنه : « أسلمتُ لرب العالمين »^(٥) . « فلما أَسْلَمْنَا وَتَلَّهْ لِلْحَبِيبِينَ »^(٦) .

(سَكِينَةٌ) : وقار وطمأنينة . وقال الراغب^(٧) في مفرداته - في قوله تعالى : « هو الذي أنزل السكينةَ في قلوب المؤمنين »^(٨) : « إنه ملك يسكن قلب مؤمن ويؤمنه ، كما رُوي : إن السكينة تنطقُ على لسانِ عمرَ . وقيل في سكينه^(٩) تابوت بنى إسرائيل : إن لها وجهاً مثل وجه الإنسان ، ثم هي بدير يحفظه . وقيل : رأس^(١٠) مثل رأس الهرم وجناحان وهي من أمر الله .

(سَكَنَ) يسكن : له معنيان ، من السكون ضد الحركة . ومن السكنى في الموضع ، ومنه : « اسكن أنت وزوجك الجنة »^(١١) .

فإن قلت : إذا كان من لسكون الذي معناه الإقامة ، فما معنى عطف الأكل في البقرة بالواو بخلاف آية^(١٢) الأعراف ؟

والجواب أن مورد الآيتين مختلف في الموضعين ؛ لأن الوارد في البقرة

- | | | |
|---|---|--------------------------|
| (١) الزخرف ٨٩ | (٢) الصافات ٧٩ | (٣) هود ٤٨ |
| (٤) الأنعام ١٢٧ | (٥) البقرة ١٣١ | (٦) الصافات ١٠٣ |
| (٧) في المفردات ٢٢٢ | (٨) افتتح ٤ | (٩) الآية في سورة البقرة |
| (٢٤٨) : . . . أن يأتيكم التابوت فيه سَكِينَةٌ من ربكم . | | |
| (١٠) في المفردات : | وما ذكر أنه شيء رأسه كـرأس الهرم - فإِراء قولاً يصح . | |
| (١١) البقرة : ٣٥ | (١٢) الأعراف : ١٩ | |

قَصْدُ بِهِ مَجْرَدُ الْإِخْبَارِ وَالْإِعْلَامِ بِهِ لِرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَا جَرَى فِي قِصَّةِ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَابْتِدَاءَ خَلْقِهِ ، وَأَمْرُ الْمَلَائِكَةِ لَهُ بِالسُّجُودِ ، وَمَا جَرَى مِنْ إِبَابَةِ إِبْلِيسَ عَنِ السُّجُودِ ، ثُمَّ مَا أَمَرَ بِهِ آدَمُ مِنْ مَكْنَى الْجَنَّةِ وَالْأَكْلِ مِنْهَا ، وَلَمْ [١٢٥٨] يَقْصِدْ غَيْرَ التَّحْرِيفِ بِذَلِكَ مِنْ غَيْرِ تَرْتِيبٍ زَمَانِيٍّ أَوْ تَحْدِيدِ غَايَةٍ ، فَنَاسِبُهُ الْوَاوُ ؛ وَلَيْسَ مَوْضِعُ الْفَاءِ . وَأَمَّا آيَةُ ^(١) الْأَعْرَافِ فَتَقْصُودُهَا تَعْدَادُ نِعَمِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى آدَمَ وَذُرِّيَّتِهِ ؛ أَلَا تَرَى مَا تَقْدُمُهَا مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى : « وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ » ^(٢) . وَأَمْرُ الْمَلَائِكَةِ بِالسُّجُودِ لَآدَمَ ثُمَّ قَوْلُهُ مَفْرُودًا لِإِبْلِيسَ : « اخْرِجْ مِنْهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا » ^(٣) مَفْرُودًا بِذَلِكَ أَمْرُ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالْهَبُوطِ مُتَّبِعًا بِالتَّائِيْسِ لَهُ وَوَصِيَّةِ الْقَدِيرَةِ فِي قَوْلِهِ : « يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمْ الشَّيْطَانُ » ^(٤) ؛ فَنَاسِبُ هَذَا الْقَصْدِ الْعَطْفُ بِالْفَاءِ الْخَرِزَةُ مَعْنَى التَّرْتِيبِ ، وَالْوَاوُ لَا تَقْتَضِي ذَلِكَ ، وَإِنَّمَا بَابُهَا الْجَمْعُ حَيْثُ لَا يُرَادُ تَرْتِيبٌ ، وَلَيْسَ مَوْضِعُ شَرْطٍ وَجِزَاءٍ ؛ فَيَكُونُ ذَلِكَ مَسَوِّغًا لِدُخُولِ الْفَاءِ ؛ وَإِنَّمَا وَرَدَ هَاهُنَا لِمَا ذَكَرْتُهُ مِنْ قَصْدِ تَجْرِيدِ التَّفْضِيلِ الْحَقِصَلِ لِتَحْدِيدِ النِّعَمِ . وَلَمَّا اخْتَلَفَ الْقَصْدَانِ اخْتَلَفَتِ الْعِبَارَةُ فِيهَا .

(مَعْنَى) يَسَى : لَهُ ثَلَاثَةُ مَعَانٍ : عَمَلٌ عَمَلًا ؛ وَمِنْهُ : « وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى » ^(١) . وَمَشَى ؛ وَمِنْهُ : « فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ » ^(٢) . وَاسْرَعَ فِي مَشْيِهِ ؛ وَمِنْهُ : « وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى » ^(٣) .

فَإِنْ قُلْتَ : مَا وَجَّهَ تَقْدِيمَ الرَّجُلِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ وَتَأْخِيرَهُ فِي آيَةِ يَسَ ^(٤) ؟

(١) الْأَعْرَافُ : ١٩	(٢) الْأَعْرَافُ : ١١	(٣) الْأَعْرَافُ : ١٨
(٤) الْأَعْرَافُ : ٢٧	(٥) النِّجْمُ : ٣٩	(٦) الْجُمُعَةُ : ٩
(٧) الْقَصَصُ : ٢٠	(٨) يَسَى : (٢٠) : وَجَاءَ مِنَ الْقَصَصِ رَجُلٌ يَسْعَى .	

والجواب إنما أخره في بس لأوجه ؛ منها : أنه كان يجب أن يبدأ في جبل ،
فلما أسمع خبر الرجل سعى مستعجلاً .

وقيل : حيث قدم الظرف على رجل أراد أن يبينه أن الرجل من المدينة نفسها ،
وحيث أخر الظرف لم يرد أن يذبّه على المعنى المذكور . وقيل : لما كانت مقالة
الرجل في سورة بس تقتضى الإرشادَ آخر ذكره ليكون موالياً لإسناد قوله
إليه ؛ ولعلم القائل أن مقالة تقتضى الإنذار قدم ذكره وفصل بينه وبين مقالة
ليسط إسنادها إليه ، إذ المقالة تقتضى الإخفاء ، وهو أيضاً كذلك ، فكان بعد
إسناد المقالة إليه فيه ضربٌ من إخفائه .

وقيل غير هذا من الوجوه حذفناه لطوله .

(سَوَّةٌ أَخِيهِ^(١)) ؛ أى عورته ، وخصها بالذكر لأنها أحق بالستر من
سائر البدن ، والضميرُ في « أخيه » عائد على ابن آدم ، وأما قوله : « فَبَدَّتْ
لَهَا سَوَّةُ أَثَمِهَا^(٢) » ، فقد قدمنا أنه زال عنهما اللباسُ الذى كان عليهما ، وكانا
لا يريانها من أنفسهما ولا أحدهما من الآخر .

(سَمَاعُونَ لِكُذِبِ سَمَاعُونَ قَوْمِ آخَرِينَ^(٣)) ، أى لقوم آخرين من
اليهود الذين لا يأتون النبي صلى الله عليه وسلم لإفراط البغضة والمجاهرة .

فإن قلت : ما فائدة تكرير هذا السماع هنا ؟

فالجواب أنه إن كان سماعون الأول استئناف إخبار عن الناقبين والذين
هادوا فيكون الثانى في اليهود خاصة ، وإن كان من الذين هادوا استئنافاً
منقطعاً عما قبله فيكون سماعون الأول راجعاً إليهم خاصة ، فكرر الثانية

تأكيدا ، وبالجملة فالآية خطابٌ للنبي صلى الله عليه وسلم على ربه التسليية .
وأما قوله في راءة : « وفيكم مآعون لهم ^(١) » فمعناه خطابٌ للصحابية بأنهم
يسمعون كلامَ المناقنين في إخبارهم بابتغائهم فتنتكم ، وتنقلونها لإخوانكم
المؤمنين ، وهم مع ذلك طالبون فسادكم . وقيل مآعون ؛ أى يتجسسون
لهم الأخبار .

(سأريكم دارَ الفاسقين ^(٢)) ؛ أى دار فرعون وقومه ، وهو مصر ؛ فالعنى
أريكم كيف أفترت منهم لما هلكوا . وقيل : منازل عاد وثمود ومن هلك من
الأمم المتقدمة ليعتبروا بها . وقيل جهنم . وقرأ ابن عباس بالثاء المثناة : « سأورثكم »
من الوراثة ، وهى على هذا مصر كما قلنا .

(سأصرفُ عن آياتى الذين يتكبرون فى الأرض بنى الحق ^(٣)) : يحتل
أن يريد بها آيات القرآن وغيره من الكتب فيطمس الله فهمها ، والتدبرُ
في معانيها على التكبرين ؛ وهذا كقوله : « واتقوا الله ويسامكم الله ^(٤) » .
وفى الحديث : العلم نور يضيئه الله فى قلب الخائف . وفيه [٢٥٨] : من عمل بما علم
أورثه الله عِلْمَ ما لم يعلم . من لم يتق الله يصرفه عن فهم آياته ، ويصدّه عن
الإيمان عقوبة له على تكبره . وقيل : الصرف منهم عن إبطالها .

(سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبَ ^(٥)) ؛ أى سكن ، وبذلك قرأ بعضهم .
والغضب : شعلة نار ، وهو مذموم ، من وجدته فليستعِذ بالله منه ، وإن كان
قائما جلس ، وإن كان جالسا فليضطجع ؛ وغضب موسى إنما كان لله فى غضبه
على اتخاذ العجل فى غيبته إلى الطور ، فلما رجع ألقى الألواح التى كانت عنده

لما لحقه من الدهش ، وأخذ برأس أخيه هارون يجره ، لأنه ظن أنه فرط
في كف الذين عبدوا العجل ؛ فقال : « أَيْنَ أُم ، إنَّ القومَ استضعفوني وكادُوا
يَقْتُلُونِي ... »^(١) الآية : فسكن حينئذ موسى . وإنما دعاه هارون بأُمِّ ؛ لأنه
أدعى إلى العطف والحنو . وقرئ : ابن أُم بالسكسر على الإضافة إلى ياء المتكلم
وحذفت الياء ؛ وبالقفتح نشيهاً بخمسة عشر ، جُلَّ الاسمان اسماً واحداً .

وفي الآية تنبيه على أنَّ الغضبَ لله من النصرة لدين الله ، فلا يغفل المرء
عن الحبِّ في الله والبغض في الله . وإنما غضب موسى على مَنْ ظنَّ منه الإفادة
والانتهاء عما هو فيه . وأما مَنْ ظنَّ عدم ذلك فلا ينبغي إلا هجرانه وطرده .
ولم يرَ هل فيك نفعة من هذه النفحات فتغضب على أهلك وولَدك
وما ملكك يمينك إذا رأيتهم خالفوا أمرَ ربهم ؟ كَلَّا لو فهموا منك تفضيلاً
لَتَرَكْ دينهم . كما تغضب عليهم إذا ضيعوا دُنْيَاكَ لآسَهِوَا ، ولَسَكُنْكَ لا تغضب
عليهم لعدم صدقك مع الله فلم يزدوا إلا طُغياناً كبيراً .

(سَيَّارَةٌ^(٢)) : قوم مسافرون .

ورُوي أنَّ السَّيَّارَةَ التي أخرجت يوسف كانت من مَدْيَن . وقيل أعراب
السَّيَّارَةِ طلبوا الماءَ فوجدوا يوسف ، وسليمان طلب السمكةَ فوجد الخاتم ،
وموسى طلب النارَ فوجد الجبار . وأنت يا عبدَ الله ؛ هلَّا ترى شبكةَ الدَّامةِ
في بحرِ الاستغفار وتَصْطَادُ لنفسك الضَّعِيفَةِ حُوتَ السَّلامَةِ من الفُرْقَةِ والقَطِيعَةِ ،
فَإِنْ كُنْتَ أَحَدُكَ قَلِيلَكَ بِالْأَوْفَقِ ؛ لَا يَشْغَلُكَ شَاغِلٌ عَنِ الطَّاعَةِ بِجَهْدِ الاسْتِطَاعَةِ ،
فَإِنْ وَقَعَتْ فِي ظِلْمَةٍ أَوْ وَحْدَةٍ يُخْرِجُكَ كَمَا أَخْرَجَ يُوسُفَ ، وَإِنْ صَبَّرَهُ مُلْكًا
فَيُصَيِّرُكَ مُلْكًا كَرِيمًا فِي دَارِ ضِيَافَتِهِ ، وَيَكْشِفُكَ عَنْ كُلِّ ذَاتِهِ ، فَتَنْظُرُ
إِلَى جَمَالِهِ .

(سَيِّدَهَا^(١)) : قد قدمنا أن السبد يُراد به الرئيس والذي يفوق في الخبر قُوَّمته . والسيد في الحقيقة هو المالك . ولذا أخاف امرأة العزيز إليه ؛ لأنه مالكها ، فلما رأته خجلت واستحييت وقالت : « ما جزاءُ مَنْ أرادَ بأهلك سُوءاً إلا أن يُسَجَّنَ أو عذابُ اليم^(٢) » : قتلاً أو ضرباً وجيحاً . قالت ذلك ضجراً لما فاتها منه ، ولما ظنت أن ينسب إليها من ذلك .

وأنت يا عبد الله ، تفوتك من مولاك اغتنام الطاعات ، ولا تبكي على قتلها ، ولا تهتم من عقوبة معصيته . أما علمت أن عقوبة غيبة الحبيب أشد من عقوبة الغضب . غضبت زليخا ساعة فأورثها حزناً طويلاً ؛ كانت تقوم الليل وتقول : يا يوسف ، هل أنت نائم أو ساهر ؟ أما أنا فانا ساهرة من حبك ، ليتني لم أمر بك إلى ما ترى ! وأنت لا تخاف من غضب مَنْ لا يقوم لغضبه شيء . فلا تحسبن إمهاله لك إهمالاً ، أما سمعته يقول : « منسَدِّدِ رجهم من حيث لا يعلمون^(٣) » ؛ أي نواخذهم قليلاً ولا نبأغتهم كما يرتقى الراقى الدرجة فيتدرج شيئاً بعد شيء حتى يصل إلى الملوك ؛ قال بعضهم : معناه كلما جدّ دوا خطيئة جدّ ذناهم نعمة حتى نأخذهم بفتنة .

(سَبَّحَ شِدَاداً^(٤)) : يعني ذات شدة وجوع سَبَّحَ سنين . هذا تعبير الرؤيا ؛ وذلك أنه عبّر البقرات السمان بسبع سنين مجدية ، وكذلك السبلات الخضر واليابسة .

فإن قلت : ما وجهُ اختلاف المديّن في هذه الآية وآية البقرة في قوله : « سَبَّحَ سَنَابِل^(٥) » ؟

فالجواب أن باب ما يجمع بالآلف والتاء أن يكون القليل ما لم ينص

عليه أو يعرض عارض ؛ لأن آية البقرة مبنية على ما أعدَّ الله [١٢٥٩] تعالى .
 للنفق في سبيله وما يُضاعف له من أجر إقامته ؛ وإن ذلك ينتهي إلى سبعمائة
 ضعف ، وقوله : « والله يضاعف لمن يشاء »^(١) ، قد يُفهم الزيادة على ما نص
 عليه من العدد ، كما أشارت إليه آيات وأحاديث ، فسببنا هذه الآية على التكثير ؛
 فناسب ذلك ورود المفسر على ما هو من أبنية الجوع للتكثير لحظاً لانه — آية
 للقصودة ، ولم يكن ما وضعه للقليل في الغالب ليناسب ما لحظ فيه الغاية
 من التكثير . أما آية يوسف فإنما بناؤها على إخبار الملك عن رؤياه :
 (سبع مُنْبِلَات^(٢)) : فلا طريق هنا لاحتفظ قلة ولا كثرة ؛ لأنه إخبار
 برؤيا ، فوجهه الإتيان من أبنية الجوع بما يناسب المراد وهو قليل ؛ لأن
 ما دون العشرة قليل ؛ فلحظ في آية البقرة وما بعدها مما يتضاعف إليه هذا
 العدد ، وليس في آية يوسف ما يلحظ ، فافترق المفسدان وجاء كل على ما يجب .
 (سارب^(٣)) : قد قلنا أن « سارب » عطف على مُتَخَفٍ بالليل ،
 لا على مستخف وحده ، وأما قوله : « فأتخذ سبيله في البحر سرَّاباً »^(٤) ، فعناء
 أن الحوت سار في البحر ؛ قليل : إن الحوت كان ميتاً ، لو حيا ثم صار حياً
 بإذن الله ، ووقع في الماء ، فسار فيه . وقال ابن عباس : بل صار موضع سلوكه
 ماءً جامداً . قال ابن عطية : وهؤلاء يتأولون سرَّاباً بمعنى جولاها ، من قولهم :
 تحمل سارب ؛ أي مهمل رُغمي فيه حيث شاء . وقالت فرقة : اتخذ سرَّاباً في التراب
 من السكتل إلى البحر ، وصادف في طريقه بحرًا فتعبه . وظاهر الأمر أن السارب
 إنما كان في الماء .

ومن غريب ما روى في البخاري في قصص هذه الآيات أن الحوت إنما

حي لأنه منه عين هناك تدعى عين الحياة ما مسّت قطّ شيئاً إلا سحبي ،
ومن غريبه أيضاً أن بعض المفسرين ذكر أن موضع ملوك الحوت عاد
سجراً شريقاً ، وأن موسى مشى عليه متّبعا للحوت حتى أنفضى به ذلك الطريق
إلى جزيرة في البحر ، وفيها وجد الخضر . وظاهر الروايات والكتاب أنه إنما
وجد الخضر في شقّة البحر يدلّ عليه قوله : « فارتدّا على آثارهما قصصاً »^(١) .
ولأنما ذكر بئله : « واتخذ سبيله في البحر عجباً »^(٢) - بالولو : لأنه يحتمل أن
يكون من كلام يوشع لموسى ؛ أي اتخذ الحوت سبيله عجباً للناس . ومحتمل أن
يكون قوله تمام الخبر ، ثم استأنف التعجب ؛ فقال من قبل نفسه : عجباً لهذا
الأمر . وموضع العجب أن يكون حوتّ قدمات وأكل شقّة الأيسر ثم خفي
بعد ذلك .

قال أبو شعاع في كتاب الطبري : رأيت فإذا هو شقّة حوت وعين واحدة
وشق آخر ليس فيه شيء . قال ابن عطية : وأنا رأيت والشق الذي ليس فيه شيء
قشر له قشرة رقيقة تشفّ تحتها شوكة ، وشقّة الآخر . ومحتمل أن يكون قوله :
« واتخذ سبيله ... »^(٣) الآية إخباراً من الله تعالى ، وذلك على وجهين :
إما أن يُخبر عن موسى أنه اتخذ سبيل الحوت من البحر عجباً ، أي تعجّب منه ؛
وإما أن يُخبر عن الحوت أنه اتخذ سبيله عجباً للناس .

وقرىء : واتخذ سبيله ؛ فهذا مصدرٌ مطوف على الضمير في « أن أذكركم »^(٤) .
(سرّا يبلّهم من قِطْران^(٥)) بفتح القاف وكر الطاء ، ويفتحونها
ويسكون الطاء ؛ وإنما جُعلَ قص أهل النار من القطران ، وهو الذي تُهَنّا^(٦)
به الإبل ، لأن النار اشتعالاً شديداً .

(١) الكهف : ٦١ (٢) الكهف : ٦٢ ، فهو ليس بسم . (٣) التّحفة : ٦٢

(٤) إبراهيم : ٥٠ (٥) تهناً : هنا الإبل ح نوحات منقطة اللون : طلائعاً بالهاء ، وهو القطران .

فإن قلت : ما فائدة الإتيان بمن ، وقد كان يستغنى عنها ؟

فالجواب أن فائدة الإتيان بها تأتي توهم مجاز التشبيه ، نحو زيد أمد ،
وكقوله عليه السلام في صحيح مسلم : إن أحدكم لا يزال راكباً ما اتحل .
فترق بين خاتم فضة ومن فضة ؛ فإن الأول يحتمل أنه تشبيه محذوف الأداة ،
والثاني نص لا يتطرق إليه احتمال البتة .

وقد يقال : إن الإتيان بها هو الأصل ؛ لأن الإضافة في مثله على معنى من ،
نحو ثوب خز ؛ وإنما يستغنى [٢٥٩ ب] بذكرها مع الإضافة ؛ ولما تعذرَّت
الإضافة هنا بإضافة السرايل إلى ضمير المحدث عنهم تعين الإتيان بها رجوعاً
للأصل ، لتدل على التمييز المقصود من هذا التركيب . وفائدة قصده هنا
الإعلام بأن هناك قطراً غير ما جُل من السرايل ، ليصب عليه ، فيزداد
اشتعال النار عليهم بذلك ، أو تجدد منه السرايل إن ذهبت الأولى بذهاب
الجلود التي طليت بما شبه منه بالسرايل : « كلما نَضِجَتْ جلودهم بدَّلْنَاهُمْ
جلوداً غيرها » ، أو يسقونه فتحترق أفئدتهم كلما أحرقَتْ جلودهم نارُ الله
الموقدة التي تَطْلِعُ على الأفئدة ، أو لغير ذلك ، ولو لم تذكر « من » لما علم
أن هناك منه غير ما جلت السرايل إلا بدليل آخر .

ونظير ما ذكرناه من فائدة قصد التمييز هنا قوله صلى الله عليه وسلم
في حكاية عن قول إبراهيم : « فاجعلْ أفئدةً من الناس تهوي إليهم وارزُقهم
من الثمرات ^(١) » ولا يتأتى السريال حقيقة من القطران إلا بأن تبدل صفته من
المائمية إلى النجم ، وحينئذ يكون إخباراً ، بخلاف اليهود منه . وبشبهه على هذا
الجميل أن يكون تنكيره للنوعية ؛ أي نوع من القطران غير متعارف ؛ فظهر

من هذا أن احتمال التشبيه مع ذكر « من » قائم كما هو مع حذفها .
ويمحتمل أنه قصد التشبيه بالقطران لشدة سوادها واشتعال النار فيها ونفثها
بحيث يقال إنها من القطران ، وربما يكون من تلك السراويل الموحى التي
تقبض فيها أرواح الكفار على ما ورد مراداً بها الحقيقة في قراءة تنوين قطران ،
ووصف بأنه أقرب ؛ ويدل على أن التصريح بمن لا يُنافى التشبيه الإتيان بها مع
صريحه ؛ نحو قوله صلى الله عليه وسلم : كأنه من رجال شنوءة ، وكأنه من
رجال الزوط .

(سُبْحًا مِنَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ) : قال بعض المفسرين : إنما خصص
لفظ السبع هنا لأنها أول العدد الكامل الزائد على العدد التام الأجزاء ؛ لأن
السبعة عدد تام الأجزاء ، وهذا العدد له نسبة في المخلوقات الجملة ؛ كعدد السموات
والأرض والأيام والأعضاء ، وأبواب جهنم . وغير ذلك مما يطول ذكرها .
وذكر الله هذه السورة أسماء كثيرة ، وفيها سبع آيات ، وهي خالية من أحرف
العذاب : النساء : « لا تدعوا اليوم ثيوراً واحداً » . والنساء : « ألا تخافوا
ولا تحزنون » . والشين : « ولا تشقى » . والجيم : « لهم نار جهنم » .
جنى الكفار . والزاي : « إن شجرة الرقوم » . والقساء : « يومئذ
يضرقون » . والظاء : « أو كطلحات » . فسبحان من خص هذه الأمة
بمعلمة وخصائص يحب عليهم شكرها إن عتقوا ، ولو لم يكن لهم إلا انتفاع
هذا الكتاب المنزل عليهم بالحمد تعاليمهم وإرشاداً للهدى . وكرر عليهم ذكر
ذلك في كتابه : كقوله لئيه : « قل الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً » . « قل
الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون » .

(١) المجر : ٨٧ (٢) الفرقان : ١٤ (٣) فصلت : ٣٠ (٤) طه : ١٢٣
(٥) النحل : ٤٣ (٦) الروم : ١٤ (٧) التور : ١٠ (٨) الإسراء : ١١١

فإن قلت : لم أمر بالحمد لله على عدم اتخاذ الولد ؟

والجواب أنه لو كان له ولد فلا بد من عبادته ، وعبادة إلحين بشق علينا ، ولو كان له ولد لأعطاء أفضل الأشياء ، فانفرد بالملك كله ، ولو كان له ولد لكان له إلى النساء حاجة ، والمحتاج لا يستحق الربوبية : « ما كان لله أن يتخذ من ولدٍ سبحانه »^(١) .

فإن قلت : لم أمر عباده بالحمد قبل سائر الطاعات ؟

والجواب لأن أول كل شيء منه نعمة ، وهو الخلق السوي ، والمعرفة ، والإسلام ، والهداية ، فأمرنا بالحمد ليكون جزاؤه قد الإنسية فيشق علينا أداؤه ، وإذا أردت أن تعرف قيمة الحمد فتأمل إلى أهل الجنة حيث حمدوه إذا فرغوا من الحساب : « وقضى بينهم بالحق وقيل الحمد لله »^(٢) ، وإذا عبروا على الصراط قالوا : « الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن »^(٣) ، وإذا بلغوا باب الجنة قالوا : « الحمد لله الذي صدقنا وعده »^(٤) ، فإذا نزلوا منازلهم قالوا : الحمد لله « الذي أحلنا دار المقامة من فضله »^(٥) . فإذا فرغوا من الطعام قالوا : « الحمد لله رب العالمين »^(٦) . قال تعالى : « وآخر دعوانهم أن الحمد لله رب العالمين »^(٧) .

فانظر كيف لم يغفلوا عن الحمد في كل الأحيان مع أن الله [٢٦٠] ختم لهم بالحسنى ، فكيف تغفل يا محمد بن ناصيتك بيده ، وأعطاك سورة لا بد لك من ذكرها في صلاتك ، كل ذلك لحبه فيك ، ألا ترى أنه قسمها بينك وبينه ، وجعل جوارحك سبباً رأبوا بجهنم سبباً ، فإذا قرأتها أعتق الله من النار سبباً يسبع ، وجمع لك ذكر عشر نفر من الأنبياء قبل نبيك : نوح ؛ قال : « إن

(١) مريم : ٣٥ (٢) الزمر : ٢٥ (٣) طاهر : ٢٤ (٤) الزمر : ٢٤

(٥) طاهر : ٢٥ (٦) الناحية : ٢ (٧) يونس : ١٠

أَجْرِي إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ^(١) . وَهُود : « إِنْ أُجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ ^(٢) » .
وَمُوسَى : « إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ^(٣) » . وَإِبْرَاهِيمَ : « أَسَأَلْتُ رَبَّ
الْعَالَمِينَ ^(٤) » . وَنَبِيكَ : « أَمِرٌ مَا تَسْلِمُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ^(٥) » . وَهَارُونَ : « إِنْ
رَبِّكُمْ الرَّحْمَنُ ^(٦) » . وَإِبْرَاهِيمَ : « وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ^(٧) » .
وَعِمْد : « لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينٌ ^(٨) » . وَأَوْلَادُ يَعْقُوبَ لَمَّا سَأَلَهُمْ قَالُوا : « نَعْبُدُ
إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ ^(٩) » . وَعِمْد : « رَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ^(١٠) » .
وَإِبْرَاهِيمَ : « الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ^(١١) » . وَمُوسَى : « إِنْ مَعِيَ رَبِّي
سَيَهْدِينِ ^(١٢) » . وَسُلَيْمَانُ أَمَرَهُ اللَّهُ بِقَوْلِهِ : « أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ
عَلَيَّ ^(١٣) » . وَمُوسَى : « رَبُّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ ^(١٤) » .

وَالْمَفْضُوبُ عَلَيْهِمْ ذِكْرُهُ فِي الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي قَوْلِهِ إِذَا
غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ : « وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ^(١٥) » .

وَالضَّالِّينَ ذِكْرُهُ فِي قِصَّةِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ تَحْذِيرًا لَهُ مِنَ الضَّلَالِ وَتَطَوُّلِ
عِنْدِهِ كَمَا تَطَوَّلَ عَلَيْنَا قَوْلُهُ : « وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ^(١٦) » .
وَذَكَرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ :
« قَدْ ضَلُّوا ^(١٧) » . وَذَكَرَهُ عَنِ كُفْرَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ : « وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ
السَّبِيلِ ^(١٨) » .

فَانْظُرْ كَيْفَ أَمَرَكَ بِالْإِعْمَادِ بِهَا فِي كُلِّ صَلَاةٍ ، وَانْخَمِرْ لَكَ فِيهَا التَّوَرَاةَ

(١) الشُّعْرَاءُ : ١٤٥	(٢) صَبَأُ : ٤٧	(٣) الزَّخْرَفُ : ٤٦
(٤) الْبَقَرَةُ : ١٣١	(٥) الْأَنْعَامُ : ٧١	(٦) طه : ٩٠
(٧) إِبْرَاهِيمَ : ٣٦	(٨) الْكَافُرُونَ : ٦	(٩) الْبَقَرَةُ : ١٣٣
(١٠) الْأَنْبِيَاءُ : ١١٢	(١١) الشُّعْرَاءُ : ٧٨	(١٢) الشُّعْرَاءُ : ٦٢
(١٣) النَّحْلُ : ١١٩	(١٤) الْقَصصُ : ١٧	(١٥) الْبَقَرَةُ : ٦١
(١٦) ص : ٢٦	(١٧) الْأَنْعَامُ : ١٤٠	(١٨) الْمَائِدَةُ : ٧٧

والإنجيل ، والزبور ، والقرآن ، وصحف إلهيس وإبراهيم وموسى ، فهذا من الله بذكرها على نبيه بقوله : « ولقد آتيناك سبعاً من المثاني ^(١) » .

فإن قلت : إيتاء النعم والسكوت عنها وتناسيها هو أكل من إيتائها والمنة بها ، كما قال القائل :

وإنَّ امرأاً أَسَدَى إلى نعمة وذَكَرَ فيها مرةً لبخيل

والجواب أن التذكير بالنعمة الماضية إن كان إشاراً بورود نعمة أخرى في المستقبل فلا شيء فيه ؛ وإنما يكون امتناناً إذا لم يشعر بورود نعمة أخرى في المستقبل ، وعليه قوله تعالى : « أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوَى . وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى ^(٢) » . وأيضاً ذكرها ليرتب عليها أمراً تكليفاً فيكون أدخل في مقام الامتثال .

فإن قلت : الجملة الثانية كأنها مبينة عن الأولى . فهلاً عطفت بالقاء ، فكان يقال : « فلا تمدن عينيك ^(٣) » .

فالجواب أنه لما كانت السببية ظاهرة أغنت عن الإتيان بالقاء .

فإن قلت : مدرسة تسمية القائمة ^(٤) بالسبع المثاني ، والقرآن العظيم ، والقائمة ، وأم الكتاب ، وأم القرآن ، والواقية ، والكافية ، والكنز ، والأساس ، وسورة الحمد ، وسورة الشكر ، والواقية ، والشافية ، والشفاء ، وسورة الدعاء ، وتبليغ المائة ، وغير ذلك من أسمائها ^(٥) ؟

(١) الحجر : ٨٧ (٢) الضحى : ٦ ، ٧ (٣) الحجر : ٨٨

(٤) والإيمان : ١ - ١٥١ ، وما بعدها ، والبرهان ١ - ٣٦٩ ، قال في الإيمان : وقد وقت لها على ثيف وعشرين اسماً ، وذلك يدل على شرفها ، فإن شرف الأسماء فيه دلالة على شرف للمسمى .

فالجواب أن ذكر فضائلها وأسمائها يحتاجُ لمجلدٍ مستقل كما قال الإمام علي رضي الله عنه: لو شئت أن أضع على القائمة وقر سبعين يوماً لعلت؛ لكنني أشير لك إلى ما فتح الله به من كتب ماداتنا وأئمتنا رضي الله عنهم:

فسميت بالثنائي لأنها تنفي في كل ركعة أو في كل صلاة، أو بسورة أخرى، أو لأنها نزلت مرتين، أو لأنها على قسمين: ثناء، ودعاء، أو لأنها إذا قرأ العبد منها آية ثناء الله بالإخبار عن فعله، كما في الحديث الصحيح: إذا قال العبد: "الحمد لله رب العالمين قال الله: حمدني عبدي"... إلى آخر الحديث؛ أو لأنها تجمع فيها فصاحة المباني وبلاغة المعاني، أو لأنها عن الثناء لأن الله استثنى هذه الأمة.

وبما سُميت بالقرآن العظيم؛ لاشتغالها على المعاني التي في أم القرآن^(١). وفاتحة الكتاب، لأنها يفتح بها في المصاحف، وفي التعليم، وفي القراءة، وفي الصلاة، أو لأنها أول سورة نزلت، أو لأنها أول سورة كتبت في اللوح المحفوظ، أو لأنها فاتحة كل كلام.

وسُميت بأم الكتاب وأم القرآن لحديث أبي هريرة: إذا قرأتم الحمد فاقروا بسم الله الرحمن الرحيم، إنها أم القرآن، وأم الكتاب.

والسبع المثاني - قال الماوردي: سُميت بذلك لتقدمها وتأخر [٢٦٠ ب] ما سواها تبعاً لها؛ لأنها أمته، أي تقدمته، ولهذا يقال راية الحرب أم، لتقدمها واتباع الجيش لها. ويقال لما مضى من سني الإنسان أم لتقدمها، ولمسكة أم القرى لتقدمها على سائر القرى. وقيل أم الشيء أصله، وهي أصل القرآن لانطوائها على جميع أغراض القرآن وما فيه من العلوم والحكم وقيل: إنها أفضل السور

(١) في الإتيان: لاشتغالها على المعاني التي في القرآن.

كما يقال لرئيس القوم أم القوم . ونيل لأن حرمتها كحرمة القرآن كله . وقيل لأن مَفْرَع أهل الإيمان إليها . وقيل : لأنها مُحْكَمَةٌ ، لأن المحكمات أم القرآن^(١) . وسميت الواقية لأنها واقية بما في القرآن من المعاني ، أو لأنها لا تقبل التنصيف ، فإن كل سورة من القرآن لو قرئ نصفها في كل ركعة والنصف الثاني في أخرى لجاز بخلافها . وقال المراسي : لأنها جمعت ما لله والعبد .

وسميت بالكنز لما روى التبيهقي في الشعب من حديث أنس مرفوعاً^(٢) : إن الله أعطاني فيما من به عليّ أني أعطيت فائحة الكتاب . وهي من كنوز العرش . وفي رواية عن أبي أمامة ، قال : أربع آيات نزلن من كنز العرش لم ينزل منه شيء غيرهن : أم الكتاب ، وآية الكرسي ، وخاتمة سورة البقرة ، والكوتر ، يعني خاصة به صلى الله عليه وسلم .

وسميت الكافية ، لأنها تكفي في الصلاة عن غيرها ، ولا يكتفى غيرها عنها . والأساس ، لأنها أصل القرآن ، وأول سورة فيه .

وسورة الحمد ، وسورة الشكر ، وسورة الحمد الأولى . وسورة الحمد القصوى^(٣) ، والواقية ، والشافية ، والشفاء ، والصلاة ، لحديث : قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين ؛ أي السورة . وسورة الدعاء ؛ لاشتغالها عليه في قوله : ﴿اهدنا الصراط^(٤)﴾ .

وتعالم المسألة ، لأن فيها آداب السؤال ، ولها أسماء غير هذه ؛ وقد ذكر الله الحمد من سبعة تفر ، فوجد كل واحد منهم كرامة : لآدم حين عطس ؛ قال :

(٢) والإيمان : ١١٠

(٤) الفاتحة : ٦

(١) والإيمان : أم الكتاب .

(٣) والإيمان : القصوى .

الحمد لله ، فوجد الرحمة من الله بقوله : يرحمك الله . ونوح قال : « الحمد لله الذي
نجَّانا من القوم الظالمين »^(١) ، فوجد السلامة بقوله : « يا نوح اهبط بسلام منا
وبركات عليك »^(٢) . والخليل قال : « الحمد لله الذي وهب لي على الكبر إسماعيل
وإسحاق »^(٣) ، فوجد الفداء : « وفديناه بذبح عظيم »^(٤) . وداود وسليمان
قالا : « الحمد لله الذي فضَّلنا على كثير من عباده المؤمنين »^(٥) ، فوجد النبوة
والملك بقوله تعالى : « وكلاً آتينا حكماً وعلماً »^(٦) . ومحمد صلى الله عليه وسلم
أمره الله تعالى بالحمد ، فوجد الرِّفعة والشرف بقوله تعالى : « ألم نشرح لك
صدْرَكَ »^(٧) .

وأنت يا محمد إذا كثرت من هذه السورة وطلبت منه سبعانه شيئاً
أنزلك لا تناله وقد أعطاك الله ما أعطى الأنبياء ؟ فاحمد الله الذي هدانا لهذا ،
وخصك بهذا النبي الكريم صلى الله عليه وسلم وعلى آله أفضل صلاة
واذكى تسليم .

فإن قلت : هل للسور غيرها من القرآن هذه التسمية أو لها اسم واحد
يخصها ؟

فالجواب : قد قدمنا في حرف اللام تسمية سور باسم واحد ، ونذكر لك
الآن تسمية بعض السور بأسماء تنمى لفائدة :

فالبقرة^(٨) تُسمى بفساط القرآن لما جُمع فيها من الأحكام التي لم تُذكر
في غيرها . وسنام القرآن ، لأنها أعلاه .

(٣) إبراهيم : ٣٩

(٦) الأنبياء : ٧٩

(٢) هود : ٤٨

(٥) النمل : ١٥

(٨) الإنشقاق : ١-١٥٥

(١) المؤمنون : ٢٨

(٤) الصافات : ١٠٧

(٧) الشرح : ١

وآل عمران : اسمها في التوراة طيبة ، وفي صحيح مسلم تسميتها والبقرة
الزهارين^(١) .

والثائدة : تسمى أيضاً العقود ، والنقطة : قال ابن العرس : لأنها تنقذ صاحبها
من ملائكة العذاب .

والأنفال : تسمى سورة يذر .

وبراءة : تسمى التوبة ؛ لقوله تعالى : «لقد تاب الله على النبي»^(٢) . والفاضحة
لأن فيها : ومنهم ، ومنهم ؛ قال ابن عباس : حتى ظننا أنه لم يبقَ من أحد
إلا ذكر فيها . وسورة العذاب ؛ قال حذيفة : تسمونها سورة التوبة وهي سورة
العذاب . وقال عمر : هي إلى العذاب أقرب ، ما كادت تطلع عن الناس حتى
ما كادت تبقى منهم أحداً . والمشفقة لقول ابن عمر : ما كنا ندعوها إلا المشفقة ؛
أي البراءة^(٣) من النفاق . والقرة لأنها فحرت عما في قلوب المشركين ؛ قاله ابن عمر .
والبَحْوث ، بفتح الباء ، لما أخرج الحاكم عن المقداد ؛ قيل له : لو قدمت العام
عن [١٢٦١] الفزوا قال : أبَت علينا البَحْوث ، يعني براءة . . . الحديث .
والخافرة لأنها فحرت عن قلوب المناقين ؛ ذكره ابن العرس . والمثيرة لما أخرج
ابن أبي حاتم عن عبادة^(٤) ، قال : كانت هذه السورة تسمى الفاضحة ، فضحت
المناقين ، وكان يقال لها المثيرة ؛ أنبأت بمناقبهم وعوراتهم . وحكى ابن العرس
من أسماء البعثة ، وأظنه تصحيف للنقرة ؛ فإن صحَّ كُلت الأسماء عشرة ،
ثم رأيت كذلك ، أعني البعثة بخط السخاوي في جمال القراء ؛ وقال : لأنها
بعثت عن أسرار المناقين . وذكر أيضاً فيه من أسماء الحزبية ، والمذكلة ،
والشددة^(٥) ، والمعلمة .

(١) في الإيمان : الزهراوين . (٢) التوبة : ١١٧ (٣) في الايمان : البرئة .
(٤) في الإيمان : لقادة . (٥) في الإيمان : المشردة .

النمل : قال قتادة : تسمى سورة النمل ، لأنَّ الله عدَّد فيها من النمل على عباده .

الإسراء : تسمى سورة سبعمائة ، وسورة بنى إسرائيل .

الكهف : سماها ابن مَرْدُويه في الحديث سورة أصحاب الكهف . وروى البيهقي من حديث ابن عباس - مرفوعاً - أنها تُدعى في التوراة الحائلة ؛ تحول بين النار وبين قارئها .

طه : تسمى سورة الكلم ؛ ذكره السخاوي في جمال القرآن .

الشعراء : تسمى سورة الجامعة . ذكره الإمام مالك .

النمل : تسمى سورة سليمان .

السجدة : تسمى سورة المضاجع ؛ لقوله تعالى^(١) : « تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ » .

فاطر : تسمى سورة لللائكة .

يس : سماها رسول الله صلى الله عليه وسلم قلب القرآن . وفي حديث أبي بكر - مرفوعاً : سورة يس تُدعى في التوراة المِعمَّة ؛ نعمُّ صاحبها بخير الدنيا والآخرة ، وتُدعى المدافعة^(٢) والقاضية تدفع عن صاحبها كل سوء وتقضى له كل حاجة .

الزمر : تسمى التعرف .

غافر : تسمى سورة الطول والمؤمن ؛ لقوله فيها^(٣) : « وَقُلْ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ » . فصلت : تسمى السجدة ، وسورة المصاييح .

الجاثية : تسمى الشريعة ، وسورة الدهر ؛ حكاه الكرماني في المعانيب . سورة محمد صلى الله عليه وسلم تسمى القتال .

(٣) غافر : ٢٨

(٢) في الالتفات : المدافعة .

(١) السجدة : ١٦

ق : تسمى الباسقات . اقتربت تسمى القمر ؛ وأخرج البيهقي عن ابن عباس أنها تدعى في التوراة البيضاء ؛ نبيض وجه صاحبها يوم تسود الوجوه .
الرحمن : سميت في حديث عروس القرآن ، أخرجه البيهقي عن علي مرفوعا .
المجادلة : سميت في مصحف أبي الظاهر .

الحشر : سماها ابن عباس سورة بني النضير ؛ قال ابن حجر : كأنه كره تسميتها بالحشر ، لئلا يظن أن المراد يوم القيامة ؛ وإنما المراد به هنا إخراج بني النضير .

المتحنة ؛ قال ابن حجر : المشهور في هذه التسمية أنها بفتح الحاء ، وقد تكسر ؛ فعلى الأول هي صفة المرأة التي نزلت السورة بسببها ، وعلى الثاني هي صفة السورة كما قيل لبراءة الفاضلة . وفي جلال القراء : تسمى أيضا سورة الامتحان ، وسورة المودة .

الصف : تسمى أيضا سورة الحواريين . الطلاق تسمى سورة النساء القصوى ؛ لأن الطول والفهر أمر نبي . وقد أخرج البخاري عن زيد بن ثابت أنه قال : طول الطولين ، وأراد بذلك سورة الأعراف . والتحريم يقال لها المحترم . وسورة لم تحرم . سورة الملك تسمى المانة ، لأنها تمنع صاحبها من عذاب القبر ، وأخرج الترمذي من حديث ابن عباس مرفوعا هي المانة هي المنجية ، تنجي من عذاب القبر . وقال ابن مسعود : كنا نسميها في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم المانة . وفي جلال القراء تسمى أيضا الواقية والمناعة .

سأل : تسمى للعارج ، والواقع . عم : يقال لها النبأ ، والتداول ، والمعصرات .
لم يكن : تسمى سورة أهل الكتاب^(١) ، كذلك سميت في مصحف أبي . وسورة اليانة ، وسورة القيامة ، وسورة البرية ، وسورة الاشكال ذكر ذلك في جلال القراء .

« أُرأيت » : تسمى سورة الدين ، وسورة الماعون . الكافرون : تسمى المشقة ، وتسمى أيضاً سورة العبادة ، وذكره في جمال القراء . النصر : تسمى سورة التوديع ، لما فيها من الإيماء إلى وفاته صلى الله عليه وسلم . تبت : سورة المسد . والإخلاص تسمى سورة الأساس ؛ لاشتغالها على توحيد الله ، وهو أساس [٢٦١] الدين . قال : والقلق والناس يقال لها الموءذتان بكسر الواو ، والمنشققتان ^(١) ، من قولم : خطيب . شتق . فهذا ما وقعت عليه .

وعلى القول بأن أسماء السور المفتحة بالحروف المقطعة هي أممائها لها ، لكن ^(٢) منها ما هو أحدى ، كص ، ون ، وق . وثنائى ، كطه ، وبس ، والحواميم ، وثلاثى مثل ألم ، طسم . ورباعى : المر ، المص . وخامسى : كييمص ، وحم عسق . وقد أكثر الناس الكلام على هذه الحروف المقطعة . والذى عندى أن الله وضعها لإطفاء تشبيب الكفار حيث قالوا ^(٣) : « لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ » ، فأتى الله بها ليسمعوها لغير ابتها ، ثم يبلغ الرسول رسالته . كأن الله يقول لم : إن لم تصدقوه فأتوا بسورة من مثله في مثل هذه الحروف وأنتم لا تفهمون معناها ، وهذه دلالة لنبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، لأن الله ذكر في الكتب الماضية أنه يخرج في آخر الزمان رسولاً ، وعلامته أن تكون بعض رؤوس سور كتابه الحروف المقطعة ، وهى أسماء الله فرّقها ووضعها على بعض السور لشرفها عنده .

(سائفاً للشاربين ^(١)) : قد قدمنا أنه صفة لبن - سهلا للشرب ، حتى إنه لم يخص به أحد . وقد جعل فيه غنية عن الطعام والشراب ، ولهذا قال صلى الله عليه وسلم حين شربه : اللهم زدنا منه سكراً ، يعنى الخمر ، ونزل ذلك قبساً تحريمها . فهى منسوخة بالتحريم . وقيل : إن هذا على وجه المنفعة التى فى الخمر ، ولا تضرّ

(٢) البرهان : ١ - ١٦٥

(٤) النحل : ٦٦

(١) فى الإيمان : والمنشققتان .

(٣) فصلت : ٢٦

فيه لتحليل ولا تمريم ؛ فلا نسخ . وقيل السكر المائع من هاتين الشجرتين كالحل
والرب ، والرزق الحسن : العنب والتمر والزبيب .

(مَرَّايِلَ تَفِيكُمُ الْحَرَّ ^(١)) : قد قلعنا أن السرايل القمص . وذَكَرَ
وقاية الحر ولم يذكر وقاية البرد ؛ لأنه أهم عندهم لحرارة بلادهم . والخطاب
مهم .

(سَبِيًّا ^(٢)) ؛ هو الطريق الموصل إلى المقصود ، من علم أو قدرة أو غير
ذلك وأصل السبب الخبل ؛ ومنه ^(٣) : « فليمدد بسبب إلى السماء » . « فأتبعَ
سَبِيًّا ^(٤) » ، فسمى الطريق سبياً ، لأنه يتوصل ببلوكه إلى المقصود . وأما ^(٥)
« أسباب السموات » فمعناه أبوابها .

(تَمِيًّا ^(٦)) ؛ أى نظيراً ، وهذا مدح ليحيى عليه السلام ، وسمّاه الله
قَبْلَ وجوده ؛ وبهذه الآية احتج أهل السنة على المعتزلة ، لأنه لو كان الاسم
غير المسمى لكان المخاطب غير يحيى ؛ وقد قال له : « يا يحيى ^(٧) خذ الكتابَ
بِقُوَّةٍ » . وقوله : « سُبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ^(٨) » — لو كان الاسم غير المسمى
لكان قد أمر بأن يسبح الاسم دونه ، وهذا لا يقوله محصل . فدل ذلك على
أن الاسم هو المسمى .

(سَاوَى بَيْنَ الصَّدَقَيْنِ ^(٩)) : من النسوية بين الأشياء وجعلها مزية ،
بمعنى أتقن وأحسن ، ومنه : « فَسَوَّاكَ فَعَدَّلَكَ ^(١٠) » .

(مَرِيًّا ^(١١)) : قال مجاهد : هو بالسريانية : نهرا . وقال سعيد بن جبیر :

(١) النحل : ٨١ (٢) الكهف : ٨٥ (٣) الحج : ١٥ (٤) الكهف : ٨٥
(٥) غافر : ٢٧ (٦) مريم : ٧ (٧) مريم : ١٢ (٨) الأهل : ١
(٩) الكهف : ٩٦ (١٠) الاقطار : ٧ (١١) مريم : ٢٤

بالنبطية . وحكى شَيْفَلَةُ أَنَّهُ بِالْيُونَانِيَّةِ ، وَعَلَى كُلِّ قَوْلٍ مَا كَانَ قَرِيبًا مِنْ جِذْعِ
النخلة ، فَسَّرَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِذَلِكَ . وَقِيلَ يَعْنِي عَبَسَى ، فَإِنَّ السَّرَى
الرَّجُلَ الْكَرِيمَ .

(سُورِيًّا^(١)) : أَيْ قَوِيمًا .

(سَلَامٌ عَلَيْكَ^(٢)) : إِنَّمَا سَلَّمَ إِبْرَاهِيمُ سَلَامَ مُوَادَعَةٍ وَمَفَارَقَةٍ لَا تَحِيَّةٍ ؛ لِأَنَّ
ابْتِدَاءَ الْكَافِرِ بِالسَّلَامِ لَا يَجُوزُ ، فَإِذَا سَلَّمَ عَلَيْهِ الْكَافِرُ يَقُولُ لَهُ : وَعَلَيْكُمْ ، أَوْ عَلَيْكَ
السَّلَامُ ، بِكسر السين ، وَهِيَ الْحِجَابَةُ . وَفِي الْحَدِيثِ : إِنَّ عَائِشَةَ قَالَتْ لِيَهُودٍ
سَلُّوْا : وَعَلَيْكُمْ السَّلَامُ وَاللَّعْنَةُ . فَقَالَ لَهَا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : مَهْلًا يَا عَائِشَةُ ، فَإِنَّ
اللَّهَ رَفِيقٌ بِحُبِّ الرِّفْقِ . فَقَالَتْ : أَوَلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالُوا ؟ قَالُوا : السَّلَامُ عَلَيْكُمْ . فَقَالَ :
قَدْ قُلْتُ لَمْ وَعَلَيْكُمْ .

(سَأَسْتَغْفِرُكَ رَبِّي^(٣)) : لَمَّا طَلَبَ آزَرُ مِنْ إِبْرَاهِيمَ الْاسْتِغْفَارَ وَعَدَّهُ
أَنْ يَدْعُوَ لَهُ . قَالَ ابْنُ عَطِيَّةٍ : مَعْنَاهُ سَأَدْعُو اللَّهَ أَنْ يَهْدِيكَ ، فَيَغْفِرَ لَكَ بِإِيمَانِكَ .
وَذَلِكَ لِأَنَّ الْاسْتِغْفَارَ لِلْكَافِرِ لَا يَجُوزُ . وَقِيلَ : وَعَدَّهُ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لَهُ مَعَ كُفْرِهِ ،
وَلَمَّا كَانَ لَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ لِلْكَافِرِ حَتَّى أَعْلَمَهُ اللَّهُ بِذَلِكَ . وَيَقْوَى هَذَا قَوْلُهُ :
وَاعْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ^(٤) . وَمِثْلُ هَذَا قَوْلُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ لِأَبِي طَالِبٍ : «لَا تَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أَتُكِّمْ عَنْكَ» . وَرَوَى أَنَّهُ لَمَّا نَزَلَتْ^(٥) :
«إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً [٢٦٢] فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ» — قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ : «لَا زَيْدَنَّ عَلَى السَّبْعِينَ ، فَلَمَّا فَعَلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي وَأَصْحَابُهُ مَا فَعَلُوا ، وَقَوْلُهُمْ :
«لَنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ»^(٦) ، وَتَوَلَّيْنَاهُمْ عَنْ

(١) مريم : ١٧ (٢) مريم : ٤٧ (٣) مريم : ٤٧ (٤) الشعراء : ٨٦

(٥) التوبة : ٨٠ (٦) المناقرون : ٨

استغفار رسول الله صلى عليه وسلم لم شدد الله عليهم بقوله^(١) : « سواء عليهم أَسَدَفَرَّتْ لهم أم لم تَسَدَفَر لهم لن يغفر الله لهم إن الله لا يهدي... » الآية . وفي هذا نظر ، لأن هذه السورة نزلت في غزوة بني المصطلق قبل الآية الأخرى بمدة . وروى أنه إذا كان يوم القيامة يجعل الله آزر تحت قدم إبراهيم على صورة كبش ملأخ بالدم ويؤمر إبراهيم بذبحه ، لأنه لما حلت أمه بإبراهيم اشتبه أن يكون غلاماً فيذبحه تحت رجل النمرود رضاء له لجأزاه الله بذلك ، وحواله كبشاً ، لأنه دعا ألا يخزيه في أبيه ، كذلك أهل مصر نمتي كل واحد منهم أن يكون يوسف عبداً له ، فجعلهم الله عبيده .

وأت يا عبد الله إذا كانت نيتك ومُرادك غير عسيان الله يعاملك على نيتك ومُرادك فيجعل سيئاتك على الكفار ، ويجعلهم فداء لك عقوبة لهم ، وعلى إبليس الذي كان سبباً في إغوائك ؛ ألا تراه سبحانه يقول لك : إذا قلت أَذْنَبْتُ عَفَوْتُ وَصَفَحْتُ ، وإذا قلت اللهم اغفر لي يقول لك : قد غفرت لك وأما النفور الرحيم .

(سنكتب ما يقول^(٢)) : من قوله : لن بعث كما يزعم محمد ليكون لي هناك مال وولد ، وإنما جعله مستقبلاً ؛ لأنه إنما يظهر الجزاء والعقاب في المستقبل .

(سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضداً^(٣)) : الضمير للكفار ، وفي عبادتهم لله عبيدون ، وهذا كقولهم : « ما كنتم إياه تعبدون » .

(سيجعل لهم الرحمن وداً^(٤)) ، هو المحبة والقبول الذي يجعله الله لمن أطاعه . وقد صح في الحديث أن الله ينادي : يا أهل السماء ، إني أحب فلاناً

فاحبوه ، فيحبه أهل السماء ، ثم يوضع له القبول في الأرض . وقال بعضهم : يكتب جبريل له صحيفة فيضعها في الداء المشروب منه . وقيل : إنها نزلت في علي ابن أبي طالب . والأول أظهر لعمومه ، والبيان يشهد بذلك ، وهذه أول كرامة يكرم الله بها أوليائه .

(سَمِعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى ^(١)) : يعنى أن موسى لما أخذ العصا عادت كما كانت أول مرة ؛ وإنما أمره بالإلقاء أولاً ليستأنس بها ، وانتصب « سيرتها » على أنه ظرف أو مفعول ياستقط حرق الجر .

(سَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا ^(٢)) ، أى أنهج لكم في الأرض طرقاً تمشون فيها . وأما قوله تعالى آمراً للنحل : « فامسكوا سُبُلَ رَبِّكُمْ ذَٰلِكَ ^(٣) » - فقد قدمنا أن الله أمرها بالرجوع . وقيل بالذهاب ؛ قال أبو حيان : إن أراد بالطريق الحسى فهو مفعول به ، وإن أراد المعنوى فهو ظرف .

(سَعِيقٌ ^(٤)) : بريدٌ .

(سَخَّرْنَاَهَا لَكُمْ ^(٥)) : أى كما أمرناكم بهذا كله مخزناً لكم . وقال الزمخشري : التقدير مثل التسخير الذى علمتم سَخَّرْنَاَهَا لَكُمْ .

(سَبَّحَ طَرِاقٌ ^(٦)) : سموات ، وأحدثها طريقة ، وسعيت بذلك ؛ لأنها بعضها فوق بعض ، كطارقة النمل . وقيل : يعنى الأفلak ، لأنها طرق الكواكب .

(سَامِرًا ^(٧)) : مشتق من السمر ، وهو الجلوس بالليل للحديث ، وكانت قريش تجتمع في الليل بالسجد يتحدثون بسب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(١) طه : ٢١ (٢) طه : ٥٣ (٣) النحل : ٦٩ (٤) الحج : ٣١

(٥) الحج : ٣٦ (٦) المؤمنون : ١٧ (٧) المؤمنون : ٦٧

والعنى أنهم سامرون بذكره وسببه . وساميراً مفرداً بمعنى الجمع ، وهو منصوب على الحال .

(سراب^(١)) : هو ما يرى في القلوات من ضوء الشمس في الهجيرة حتى يظهر كأنه ماء يجرى على وجه الأرض . وشبه الله به أعمال الكفار في الآخرة بأنهم لا تنفعهم ، بل يضمحل ثوابها كما يضمحل السراب . والتمثيل الثاني في قوله : « أو كظلمات^(٢) » يقتضى بطلان أعمالهم في الدنيا ، وأنها في غاية الفساد والضلال ، كالظلمات التي بعضها فوق بعض .

(سنأ برّقه^(٣)) : السنا - بالتصغير الضوء ، وبالمد المجد والشرف .

(سبأ^(٤)) : قبيلة من العرب ، سميت باسم أبيها الذي تناسلت منه . وقيل باسم أمها . وقيل باسم موضعها ، والأول أشهر ، لأنه ورد في الحديث [٢٦٢ ب] .

(سرمد^(٥)) : دائماً ، وفيه تعديدُ النعم على عبده ، بحيث جعل لهم اختلاف الملوان ، هذا لراحتهم ، وهذا لعنائهم وشغلهم ؛ وخليفة لمن أراد أن يذكّر أو أراد شكورا .

(سأتوكم بالسنة حداد^(٦)) : أى إذا نصركم الله أيها المؤمنون ، فزال الخوفُ رجع المناقون إلى إذ آيتكم بالسب وتنفص الشريعة ، وإذا جاء الخوفُ نظروا إليكم وإخوانكم من شدة خوفهم ، تدور أعينهم كالذى يفتش عليه من الموت ، وهو عبارة عن التكلم بكلام مستكره . ومعنى « حداد » فصحاء قادرين على رفع الصوت ، لأن السلق والصلق رفع الصوت .

(١) النور : ٣٩ (٢) النور : ٤٠ (٣) النور : ٤٣ (٤) النمل : ٢٢ ، سبأ : ١٥ (٥) القصص : ٧١ ، ٧٢ (٦) الأحزاب : ١٩

(سَابِغَاتٌ^(١)) : كَامَلَات ، وَالضَّيْرُ يَعُودُ عَلَى الدُّرُوعِ الَّتِي كَانَ يَعْمَلُهَا دَلُودٌ مِنَ الْحَدِيدِ ، لِأَنَّهُ كَانَ تَحْتَ يَدِهِ كَالْعَجِينِ يَصْنَعُ بِهِ مَا يَشَاءُ ، وَهُوَ الْمُرَادُ بِقَوْلِهِ : « وَقَدَّرَ^(٢) » فِي السَّرْدِ ؛ أَيِ قَدَّرَهَا بِأَلَّا تَعْمَلَ الْحَائِقَةُ صَغِيرَةً فَتُضْمَفُ وَلَا كَبِيرَةً فَيَصَابُ لَا يَسْهَى مِنْ حَلَالِهَا . وَقِيلَ : لَا تَجْعَلِ السَّرَادَ رَقِيقًا وَلَا غَظِظًا . وَالسَّرْدُ : الْخُرْزُ أَيْضًا . وَيُقَالُ لِلْإِشْتِاقِ مِسْرَدٌ وَمِسْرَادٌ .

(سَيِّهْدِينَ^(٣)) : هَذَا مِنْ قَوْلِ إِبْرَاهِيمَ بَعْدَ خُرُوجِهِ مِنَ النَّارِ ؛ وَأَرَادَ أَنَّهُ ذَاهِبٌ إِلَى اللَّهِ ، مُهَاجِرٌ إِلَى أَرْضِ الشَّامِ . وَقِيلَ : إِنَّهُ قَالَ ذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يُطْرَحَ فِي النَّارِ ، وَأَرَادَ أَنَّهُ ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّهِ بِالْمَوْتِ ؛ لِأَنَّهُ ظَنَّ أَنَّ النَّارَ تَحْرَقُ . وَسَيِّهْدِينَ عَلَى الْقَوْلِ الْأَوَّلِ يَصْنِي الْمَهْدَى إِلَى صِلَاحِ الدِّينِ وَالدُّنْيَا . وَعَلَى الْقَوْلِ الثَّانِي إِلَى الْجَنَّةِ . وَقَالَتِ الْمُتَصَوِّفَةُ : مَعْنَاهُ ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي بِقَلْبِي ، أَيِ مُقْبِلٌ عَلَى اللَّهِ بِكَلِمَتِهِ ، تَارِكٌ لِمَا سِوَاهُ .

(سَاحَةُ الْبَيْتِ^(٤)) : فَنَاسُؤُهُ . وَالْعَرَبُ تَسْتَعْمَلُ هَذِهِ الْإِظْفَظَةَ فِيمَا يَرُدُّ عَلَى الْإِنْسَانِ مِنْ مَحْذُورٍ .

(سِوَاءٌ^(٥)) : الطَّرِيقُ : اتَّعَصَدَ الْوَاضِحُ وَالطَّرِيقُ اللَّائِحُ .

(سَلَّمَ الرَّجُلُ^(٦)) : أَيِ خَالِصٍ . وَقُرِئَ بِالْف . وَالْمَعْنَى وَاحِدٌ .

(سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ^(٧)) . . . الْآيَةُ : سَمَّاهُمُ بِالْمُخَلَّفِينَ لِأَنَّهُمْ تَخَلَّفُوا عَنْ غَزْوَةِ الْحَدِيثِيَّةِ ، وَالْمُرَادُ بِالْأَعْرَابِ أَهْلُ الْبَوَادِي ، كَزَيْبَةَ وَجُهَيْنَةَ ، وَمَنْ كَانَ حَوْلَ الْمَدِينَةِ ، لِأَنَّهُمْ ظَنُّوا أَنَّهُ لَا يَرْجِعُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ غَزْوَتِهِ تِلْكَ ، فَضَحَّحَهُمُ اللَّهُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ ، وَأَعْلَمَ رَسُولَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

(١) سَبَأُ : ١١ (٢) الزَّخْرَفُ : ٢٧ (٣) الصَّافَاتُ : ١٧٧ : نَبَا قَوْلِ بَاسِحَتِهِمْ .
(٤) النَّصَسُ : ٢٧ : سِوَاءَ الدَّيْلِ . (٥) الزُّمَرُ : ٢٩ (٦) الْفَتْحُ : ١١

بتوهم واغترارهم قبل رجوعه إليهم ، فكان كما قال : « شغللتنا أموالنا وأهلونا ... » الآية .

فإن قلت : لم أبرز الضمير في هذه الآية وحذفه فيما بعدها ؟

فالجواب أن المخبر عنهم من المخلفين طلبوا منه صلى الله عليه وسلم الاستغفار لهم لتخلفهم عنه ، وأفردوه بخطابهم ، إذ ليس ذلك من مطلوبهم لغيره ، فوردت العبارة عن ذلك بإفراد الخطاب ، وأعلم الله نبيه صلى الله عليه وسلم بنفاقهم وكذبهم في اعتذارهم بقوله ^(١) : « يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم » .

وأما الآية الثانية فليس قولهم ^(٢) : « ذرؤنا تنبئكم » خطابا خاصا له صلى الله عليه وسلم ، بل له وللمؤمنين ، والسياق يفصح بذلك ، وما أمر به عليه السلام من مجابته في قوله لهم ^(٣) : « لن تنبئونا » ، فلم يرد هنا إفراده عليه السلام بخطابهم له كما ورد في الأولى ، وجاء كل على ما يناسبه .

فإن قلت : إن خطابهم له خاص كالأول ، ولكن خاطبوه مخاطبة التعظيم بقولهم : « ذرؤنا تنبئكم » .

قلت : وعلى فرض هذا فإعادة الألفاظ في النظم أكيدة جدا ، وسها إعرازه ، وعلى هذا لا يلائم هنا الخطاب كيفما هو إلا بصورة ما للجميع . والله أعلم بالمراد .

(سكرة الموت ^(٤)) : أي غصصه ومشتقاته . وقد قدمنا الحديث أنه أشد من سبعين ضربة بالسيف ، ولما حضرته الوفاة جعل يده صلى الله عليه وسلم في إناء ماء ومسح بها وجهه وقال : لا إله إلا الله ، إن للموت سكرات ،

اللهم الرفيق الأعلى . ولما بلغ روحه مرتته قال : يا جبريل ، ما أشدَّ مرارة الموت ،
فولَّى جبريل وجهه ؛ فقال : يا جبريل ، أكرهْتَ النظرَ إلى وجهي ؟ فقال :
يا حبيبَ الله ، وَمَنْ يَقْدِرُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَيْكَ وَأَنْتَ تُعَالِجُ الْمَوْتَ !

هذا نيك [١٢١٣] المصوم قاسى منه ما سمعت ، ووعك وعك رجلين كما
صح ، فكيف بك أيها الغرور لا تبكى على نفسك ، وتعالج هواك لعله يرحمك
ويسمع أبنك !

(سائق وشهيد^(١)) : السائق : ملك يسوقه ، والشهيدُ يشهدُ عليه ، وهو
الأظهر . وقيل صعايف الأعمال . وقيل : جوارح الإنسان . لقوله تعالى :
« يَوْمَ نَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ . . . » الآية .

(سال^(٢) ، وسأل) : بالهمز : طلب الشيء والاستفهام عنه ، وسال بغير همز
من المعنيين المذكورين ، ومن السيل . ومنه سأل سائل . فنقرأ بالهمز احتمال
معنيين : أحدهما أن يكون بمعنى الدعاء ، أى دعا داع بعذاب ، وتكون الإشارةُ
إلى قول الكفار : « أَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَاباً مِنَ السَّمَاءِ أَوْ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ^(٣) » ،
وكان الذى قلها النضر بن الحارث . والآخر أن يكون بمعنى الاستخبار ؛ أى
سأل سائل عن عذابٍ واقع ، والباء على هذا بمعنى عن ، وتكون الإشارةُ إلى
قولهم : « مَنِ هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ^(٤) » ، وشبه ذلك .

وأما مَنْ قرأ سال - بغير همز - فيحتمل وجهين : الأول أن يكون مخففاً
من المهموز ، فيكون فيه المعنيان المذكوران . والثانى أن يكون من سال السيل
إذا جرى ، ويؤيد ذلك قراءة ابن عباس سال سيل ، وتكون الباء^(٥) على

(١) ق : ٢١ (٢) النور : ٢٤ (٣) الخارج : ١ (٤) الأنفال : ٣٢
(٥) يونس : ٤٨ (٦) قوله تعالى : بعذابٍ ولهم .

هذا كقولك : ذهبت يزيد . وإذا كان من السيل احتمل وجهين : أحدهما أن يكون شبهة في شدته ومُرَّة وقوعه بالسيل . وثانيهما أن يكون حقيقة . قال زيد بن ثابت : في جهنم واد يقال له سايل . فتتخلص من هذا أنه في القراءة بالهمز يحتمل وجهين ، وفي القراءة بغير همز أربعة معان .

(سَقَف مرفوع ^(١)) : يعنى السماء .

(ساقطاً يقولوا سحابٌ مرَّ كُوم ^(٢)) : كانوا قد طلبوا أن ينزل عليهم كسفا من السماء ، فأخبر الله أنهم لو رأوه ساقطاً عليهم لبلغ بهم الطغيان والجهل والعناد أن يقولوا : ايس بكسف ، وإنما هو سحاب مر كوم ، أى كثيف بعضه فوق بعض .

(سَامِدُون ^(٣)) : لاعبون ولاهون . وقيل : غافلون . والسامد : الساكت والحزين الخاشع قلبه ، فله على هذا خمسة معانٍ .

(سَائِمَات ^(٤)) : من ساح في الأرض إذا ذهب فيها . وقيل معناه صائمات ، وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم . وقيل معناه مهاجرات . والسائمون من الأصناف الثمانية المذكورة في سورة براءة ^(٥) هم الذين اختاروا الحق على كل شيء . وثبتوا على ذلك ، وتواصوا بالحق ، وتواصوا بالصبر ، وهؤلاء يقال لهم الأبدال وأرباب الكمال ، وهم سبعة رجال قد تبدلت عوالمهم وتخلصت من الشوائب البشرية جواهرهم ؛ فأخذوا بالسياحة في البلدان لطلب لقاء الرجال ؛ إذ هي كبيعة الخير ، وفي الباطن لنيل الثقات والأحوال الواردة من عين الجود بالجلال والكمال والجمال . وأما الساجدون فهم الذين أقصدت رسومهم ، وفنيت بالمجاهدة

(١) الطور : ٥ : والسقف المرفوع . (٢) الطور : ٤٤ (٣) النجم : ٩١

(٤) التحريم : ٥ (٥) التوبة : ١١٢

نفسهم وجسومهم ؛ وهم أرباب القناء المتجردون عن كل المناقد ؛ تخلصوا من رق البشرية لتحقيقهم أنه اللطيف الخبير السميع البصير ، عاشوا عيشاً تاماً كاملاً ، فإن ترك التدبير لله عيش ، كما أن التدبير نصف العيش ، ويقال لهذا الوجه الأوتاد ، وهم أربعة رجال ، مقام كل واحد مقام ركن من الأركان : شرقاً ، وغرباً ، وجنوباً ، وشمالاً ، واحداً يتصرف عندهم لتجريدك عن الكون وثبوتك بالحق . ومنه قول الشيخ القطب ابن العريف : من شهد الخلق ليفعل لم فقد فاز ، ومن شهد لم لا حياة لم فقد جاز ، ومن شهد عن الدم قد وصل ، والكلام هنا طويل ، وعلى هذه الآية الكريمة "بني التصوف" ، وسيل التعرف ، وقد صنف فيها من ذاق أهلها وعرّفهم تأليفاً عجيباً ورتبهم ترتيباً غريباً لا ينبغي لنا أن نحوم حول حماه ، ولا نتعرض لما قد تعاطاه ، [٢٦٣ ب] لأننا لسنا منهم فتستغفر الله من الكلام معهم ، وكان الأولى بنا اشتغالنا عن هذا بالانتباه من رقدة الغفلة ، وتخليصنا من ورطة الفترة ، وإيقاظنا من السكرّة ، لكن نأله سبحانه أن يهب لنا نور التنبيه من ظلمة هذه النفس ، فيظهر لنا بعينها وبيع ذنوبها ، فننقذ في الحال ، ونعزم على الأمان في الاستقبال ، ونبحث على ما خفي من دسائس النفس ، ونستعد للمنازلة في الرّمس^(١) ، ونشمر^(٢) للحمالة في المحبة ، ونطلب ممن نظر في هذا الكتاب بالدعاء إلى العبادة ظاهراً وباطناً فإنما نحن به وله .

(سَمِيَهُ عَلَى الْخَرْطُومِ^(٣)) : أصل الخَرْطُومُ أنف الدّج ، ثم استعير للإنسان استخفافاً به وتقبّحاً له ؛ والمعنى نجمل له رِسْمَةً ، وهي العلامة ، على خَرْطُومِهِ . واختلاف في هذه السّمة ؛ فقيل : هي الضربة بالسيف يوم بدر . وقيل

علامة من نار تُجمل على أنفه في جهنم . وقيل علامة تُجمل على آفه يوم القيامة ليعرف بها ، كما يحملون^(١) أهل الدنيا لمواشيهم علامة يعرفونها بها .

(سكنهم أيهم بذلك زعيم^(٢)) : قد قدمنا أن الزعيم الضامن ، ومعناها : سَلْ يا محمد قريشا أيهم زعيمٌ بذلك الأمر .

(يَسْأَمُ) : يسأم ؛ أي يمل ؛ ومنه : « وهم لا يَسْأَمُونَ^(٣) » .

(سب) : له خمسة معان : أحدها الخيل ، وقد تقدم . والاستعارة من الخيل في المودة والقرباة ؛ ومنه : « وتقطعت بهم الأسباب^(٤) » . والطريق ؛ ومنه : « فأتبع سبياً^(٥) » . وسبب الأمر : موجه .

(ساق) : ما بين القدم إلى الركبة ؛ وأما قوله : « يوم يُكشَفُ عن رِيق^(٦) » فقد قدمنا أن ذلك عبارة عن هَوَل يوم القيامة وشِدَّتِه ؛ وفي الحديث

الصحيح أنه قال : ينادي مناد يوم القيامة لتتبع كل أمة ما كانت تعبد ، فيتبع الشمس من كان يعبد الشمس ، ويتبع القمر من كان يعبد القمر ، ويتبع كل أحد ما كان يعبد ، ثم تبقى هذه الأمة وغُيِّرات^(٧) من أهل الكتاب منهم مُسَافِقُوهم ، فيقال لهم : ما شأنكم ؟ فيقولون : نتظر ربنا . قال : فيجيئهم الله في غير الصورة التي عرفوه ، فيقول : أنا ربكم . فيقولون : نموذ ما لله منك . قال : فيقول : أنعرفونه بعلامة ترونها ؟ فيقولون : نعم ، فيكشف لهم عن ساق ، فيقولون : نعم ، أنت ربنا ، ويخرون للسجود ، فيسجد كل مؤمن ، وترفع أصلاب الماهقين عظماً واحداً فلا يستطيعون سجوداً . وتأويل الحديث كتأويل الآية .

(١) حقائق الأصول . (٢) القلم : ٤٠ (٣) فصلت : ٣٨ (٤) البقرة : ١٦٦

(٥) الكهف : ٨٥ (٦) القلم : ٤٢ (٧) الضرائف : البواق . الضم جمع غابر .

والنبرات : جمع غبر (النهاية) .

(سَبْعًا طَوِيلًا ^(١)) : السَّبْعُ هنا عبارة عن التصرف في الأفعال والمعنى يكفيك النهار في التصرف في أشغالك ، وتفرغ في الليل لعبادة ربك . وقيل المعنى : إن فائق شيء من صلاة الليل فأخلفه بالنهار ؛ فإنه طويل بسع فيه ذلك ؛ وقرئت سبعا ؛ أى بانتهاء المعجزة ؛ أى سعة ؛ يقال سبَّخى ^(٢) فطنك ؛ أى وسَّعِيه ، والنسيخ أيضا التخفيف ، يقال : اللهم سبِّحْ عنه الخبي : أى خففها عنه .

(سَأَزِيَّتُهُ ^(٣)) : أى سأكلفه المشقة من المذاب في صَدُود ؛ وهى العقبة الصعبة .

(سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ ^(٤)) : ذكر الجواب بقى ^(٥) أنها عجيبة ؛ وبمحمل أن يكون خطاب المسلمين لأهل النار أو الملائكة ، فأجابوهم بقولهم ^(٦) : « لم يك من المصلين ... الخ . وإنما خص الكذيب ^(٧) يوم الدين تعظيما له ، لأنه أكبر جرائمهم .

(سَلَسَبِيلًا ^(٨)) : اسم أعجمي ، ومعناه سلسا متقاداً بجريه . وقيل سهل الانحدار في الخلق ، يقال شراب سلس وسلسال وسلسبيل بمعنى واحد ، وزيدت الباء في التركيب للمبالغة في سلامته ، فصارت الكلمة خاسية . وقيل سل فعل أمر وسيلا مفعول به ؛ وهذا في غاية الضعف .

فإن قلت : قد قل في الآية الأولى قبلها : « كن ميزاجها كافورا ^(٩) » ، فهل يمزجان [١٢٦٤] مع الحرام لا ؟

(١) المزمل : ٧ (٢) في القاموس : النسيخ : لف القطن ونحوه ، وتمريض القطن لبوض عليه الدواء . (٣) المدثر : ١٧ (٤) المدثر : ٤٢ (٥) البرق : ١٩٨ (٦) في آية ٤٦ من المدثر : وكنا نكذب يوم الدين . (٧) الإنسان : ١٨ (٨) الإنسان : ٥

والجواب أنه كالكافور في طيب رائحته ، وهو علم لذلك الماء . واسم الثاني زَنْجَبِيل^(١) ، وقيل اسمها سلسيل . وقال بعضهم : حل من الله ساسيلا ، فيجوز أن يكون اسمها هذه الجملة ؛ كقولهم : تأبط شراً ، وبرد نحره . ويجوز أن يكون معنى تسمى تذكر ، ثم قال الله : سَلْ سَيْلا ، واتصاله في المصحف لا يمنع هذا التأويل لكثرة أمثاله فيه .

(ساهرة^(٢)) : قد قدمنا أنها وجه الأرض ، وأصلها مسهورة ومسهور فيها ، فصُرف من مفعوله إلى فاعله . كما يقال عبثة راضية أى مرضية ، ويقال الساهرة أرض القيامة .

(سفرة^(٣)) : هم بالنبطية القراء ، وبالحرية الملائكة الذين يسفرون بين الله وبين عباده ، واحد سافر ، وهم الملائكة ، وقيل الذين يكتبون القرآن في المصحف ، وقيل يعنى القراء من الناس . وفي الحديث : الماهر في القرآن مع السفرة الكرام العرة ؛ أى أنه يعمل مثل عملهم في كتابة القرآن وتلاوته ، أو أنه من الأجر على القرآن مثل أجورهم .

وقد قدمنا أنه زل جملة إلى بيت العزة في سماء الدنيا ، وأن الملائكة يتدارسونه بينهم لتعظيم شأن هذه الأمة عند الملائكة وتعريفهم عناية الله بهم ورحمته لهم ؛ ولهذا المعنى أمر سبعين ألفاً من الملائكة بنشيع سورة الأنعام .

(سراير^(٤)) : جمع سريرة ، وهى ما أسرُّ العبدُ في قلبه من العقائد والنيات ، وما أخفى من الأعمال ، وبلاؤها^(٥) هو تعرفها والاطلاع عليها .
وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أن السراير الإيمان والصلاة والزكاة

(١) الإنسان : ١٧ (٢) التازعات : ١٤ (٣) عبس : ١٥ (٤) الطلاق : ٩

(٥) الآية : يوم تلبى السراير .

والنسل من الجنابة ، وهذه معظمتها ؛ فلذلك خصها بالذكر ، والعاملُ في « يوم » قوله : « رَجِعْهُ »^(١) ؛ أى يرجعه يوم تُبلى السرارُ . واعتراض الفصل بينهما . وأجيب بقوة المصدر في العمل . وقيل العامل ، قادر^(٢) ؛ واعتراض بتخصيص القدرة بذلك اليوم ؛ وهذا لا يلزم ، لأن القدرة وإن كانت مطلقة فقد أخبر الله أن البعث إنما يقعُ في ذلك اليوم . وقال من احتراز من الاعتراضين في القولين المتعلمين : الفاعل فعل مضر من المعنى تقديره : يرجعه يوم تُبلى السرارُ ، وهذا كله على المعنى صحيح في رفعه . وأما على القول الآخر فالعاملُ في يوم مضر تقديره : اذكر .

(السماء ذات الرجوع^(٣)) : أى المطر ، وسماه رجما بالمصدر ؛ لأنه يرجع كل عام ، أو لأنه يرجع إلى الأرض . وقيل الرجوع السحاب الذى فيه المطر . وقيل : هو مصدر رجوع الشمس والقمر والكواكب من منزلة إلى منزلة .
(سَعَيْكُمْ أَشْتَى^(٤)) : جمع شئت ، ومعناه مختلف ؛ فنه حسنات ومنه مينات ، وهذا جواب القسم في قوله : « والليل » .

(سَجَى^(٥)) : فيه أربعة أقوال : أدبر ، وأقبل ، وأظلم ، وسكن ، أى استتر ، واستوى أو سكن فيه الناس والأصوات ، ومنه : ليلة ساجية ، إذا كانت ساكنة الريح ، وطرف ساج ؛ أى ساكن غير مضطرب النظر . وهذا أقرب في الاشتقاق ؛ وهو اختيار ابن عطية .

(مبعثان) : تنزيه . وسبغت الله ، أى نزلت على لايابق به من الصاحبة والولد والشركاء والأعداء .

(٢) الطارق : ١١

(١) في سورة الطارق ، آية ٨

(٣) الشمس : ٧

(٤) الليل : ٤

- (سُجَّتْ^(١)) : يَمْ كُلُّ حَرَامٍ مِنْ رِشْوَةٍ وَرِبَاً وَغَيْرِ ذَلِكَ .
- (سُلَّمًا^(٢)) ، بضم السين وفتح اللام مشددة : هو الذي يُصْعَدُ فِيهِ ، ولما كان صلى الله عليه وسلم شديد الحرص على إيمانهم قال الله له : إن استطعت أن تدخل في الأرض أو تصعد إلى السماء لتأتيهم بآية يؤمنون بها فافعل ، وأنت لا تقدر على ذلك ، فاستسلم لأمر الله .
- (سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ^(٣)) : أَي تَدَبَّعُوا ؛ يُقَالُ : سُقِطَ فِي يَدِ فُلَانٍ إِذَا عَجَزَ عَمَّا يَرِيدُ ، وَوَقَعَ فِيهَا يَكْرَهُ . وَضَمِيرُ النِّبْيَةِ يُوَدُّ عَلَى الدِّينِ هَبْلُوا الْعَجَل . وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَرِيدَ الدِّينَ لَمْ يَغْيُرُوا عَلَى مَنْ عِندَهُ .
- (سُوءَ الْحَسَابِ^(٤)) : مَنَاقِشَتُهُ وَالِاسْتِنْصَاءُ فِي السُّؤَالِ ، وَهُوَ عِبَارَةٌ عَنْ وَخَاظَةِ الْعَبْدِ بِمَخْطَايَاهُ كُلِّهَا .
- (سُوءَ الدَّارِ^(٥)) : يَحْتَمِلُ أَنْ يَرِيدَ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ؛ وَهُوَ تَهَكُّمُ [٢٦٤ ب] بِهِمْ ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ لَا لَهُمْ ، وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ^(٦) : « وَبَشَّ الْيَهَادَ » ، تَهَكُّمٌ ؛ لِأَنَّ الْيَهَادَ هُوَ مَا يُنْزَرُ وَيُوطَأُ .
- (سُكَّرَتْ أَبْصَارُنَا^(٧)) : قَدْ قَدِمْنَا أَنَّ الضَّمِيرَ لِسُكْفَارِ قَرِيشِ الْمَعَادِينِ الْمُخْتَوِمِ عَلَيْهِمْ بِالْكَفْرِ ؛ وَالْمَعْنَى أَنَّهُمْ لَوْ رَأَوْا أَعْظَمَ آيَةٍ لَقَالُوا إِنَّهَا تَخِيلُ أَوْ سِحْرٌ . وَقَرِئَ بِالْتَّشْدِيدِ وَالتَّخْفِيفِ ؛ وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ مَشْتَقًّا مِنَ السُّكْرِ ، وَيَكُونُ مَعْنَاهُ خُدَعَتْ أَبْصَارُنَا ، فَرَأَيْنَا الْأَمْرَ عَلَى غَيْرِ حَقِيقَتِهِ ، أَوْ مِنَ السُّكْرِ وَهُوَ السَّدُّ فَيَكُونُ مَعْنَاهُ مُنِعَتْ أَبْصَارُنَا مِنَ النَّظَرِ .
- (سُرَادِقُهَا^(٨)) : قَالِ الْجَوَالِيْقِيُّ : هُوَ مَعْرَبٌ^(٩) ، وَأَصْلُهُ سُرَادَارٌ ، وَهُوَ الدَّهْلِيزُ .

(١) المائدة : ٤٢ ، ٦٢ ، ٦٣ (٢) الأنعام : ٣٥ (٣) الأعراف : ١٢٩
(٤) الرعد : ١٨ (٥) الرعد : ٢٥ (٦) آل عمران : ١٩٧
(٧) الحجرات : ١٥ (٨) الكهف : ٢٩ (٩) المغرب : ٢٠٠

وقال غيره : الصواب أنه بالقارسية سرادده ؛ أى ستر الدار ، وسرادق جهنم : حائط من نار ، وقيل دخان .

(سُنْدُسٌ وَإِسْتَبْرَقٌ^(١)) : قال الجواليقي^(٢) : رقيق الديباج بالقارسية .
وقال الميث : لم يختلف أهل اللغة والمفسرون في أنه معرب . وقال شينة :
هو بالهندية .

(سُوْكَ^(٣)) : أى بنيتك .

(سَلَاةٌ مِنْ طَيْنٍ^(٤)) : أى ما يسيل من الشيء ويُستخرج منه ، ولذلك
قوله بعد هذا : ثم جعلناه نُطْفَةً - لا بد أن يراد به ابن آدم ، فيكون الضمير
على مَنْ ذُكِرَ أولاً ، لكن يفسره سياق الكلام ، وإن أراد بالإنسان ابن آدم
فيستقيم عود الضمير عليه ، ويكون معنى خَلَقَهُ مِنْ سُلَاةٍ مِنْ طَيْنٍ أنه خلق
أصله وهو أبوه آدم . ويحتمل عدى أن يُريد بالجنس الذى يضمُّ آدم وذريته ،
فأَجَلَّ ذِكْرَ الإنسانِ أولاً ثم فصله بعد ذلك إلى الخلقة المختصة بآدم ، وهى من
طين ، وإلى الخلقة المختصة بذريته وهى النطفة .

فإن قلت : ما الفرق بين مِنْ وَمِنْ ؟

فالجواب ما قاله الزمخشري^(٥) إن الأولى للابتداء ، والثانية للبيان ، كقوله :
من الأوثان .

(سَوْقٌ^(٦)) : جمع ساق ، أى قام الزرع على سَوْقِهِ ، ومنه : « وَالتَفَّتْ
السَّاقُ بِالسَّاقِ^(٧) » ، أى التفت ساقه إلى ساقه الأخرى عند الساق . وقيل
ماتت ساقه فلا تحمله .

(١) الكهف : ٣١ . (٢) المغرب : ١٧٧ . (٣) طه : ٣٦ . (٤) المؤمنون : ١٢ .
(٥) الكشاف : ٧٠-٧١ . (٦) التمعن : ٢٩ . (٧) القيلة : ٢٩ .

(سُرُّ^(١)) : جمع سَعِير في قول أبي عبيدة ، ومعناه الجنون ، يقال ناقة مسعورة إذا كان بها جنون .

(سور^(٢)) (البلد : المحيط به ، وبالهمز : البقية من الشيء ، ومنه قول أم سلمة رضي الله عنها : أَسْرُوا الْأَمْكَمَ مِنْ هَذَا الشَّرَابِ ، وقوله^(٣) : « فَضْرِبْ بَيْنَهُمْ بِسُورِهِ بَابٌ » ، فمعناه أنه يُضْرَب بين المؤمنين والنافقين بسور يفصل بينهم ، وفي هذا السور باب لأهل الجنة يدخلون منه ، وقيل : إن هذا السور هو الأعراف ، وهو سور بين أهل الجنة والنار . وقيل : هو الجدار الشرقي من بيت المقدس ، وهذا بعيد .

(سُحْقًا^(٤)) : انتصب بفعل مضمر على معنى الدعاء على أصحاب السعير . ومعناه البعد ؛ ومنه : مكان سَحِيق .

(سَوَاع^(٥)) : اسم صنم كان يُعْبَد في زمان نوح عليه السلام ، وكذلك يَعُوق وَيَنْوُث ووَدَّ . وروى أنها أسماء رجال صالحين كانوا في صدر الدنيا ، فلما ماتوا صَوَّرَهم أهل ذلك العصر من حجارة ، وقالوا : ننظر إليها نتذكر أعمالهم ، فهلك ذلك الجيل ، وكثر تعظيم مَنْ بَدَمَ لَهْكَ الصُّورَ حتى عبدوها من دون الله ، ثم انتقلت تلك الأصنام بأعيانها . وقيل : بل الأسماء فقط إلى قبائل من العرب ، فكان وَدَّ لَكَلْب يدوومة الجندل ، وكان سَوَاع لَهذيل ، وكان ينوُث لمراد ، وكان يعوق لَهمدان ، وكان نَسْر لدى السكلاء من حمير .

(سُدَى^(٦)) : مهمل ، عَبَثًا ، وهذا توبيخ ، ومعناه أيظن الإنسان أن يبقى بغير حساب ولا جزاء ، فهو كقوله : « أَخْسِبْتُمْ أَنْمَا خَنَقْنَاكُمْ عَبَثًا » .^(٧) الآية .

(١) القمر : ٢٤ ، ٤٧ (٢) الحديد : ١٣ (٣) الحديد : ١٤ (٤) الملك : ١١

(٥) نوح : ٢٣ : وَلَا تَفْنَوْا دُورًا وَلَا سَوَاعًا . (٦) القامة : ٣٦ (٧) المؤمنون : ١١٥

والإنسان هنا جنس . وقيل نزلت في أبي جهل ؛ ولا يبعد أن يكون سبها
خاصاً ومنهاها عام .

(سُبَّانًا^(١)) : راحة . وقيل معناه طعاماً للأعمال والتصرف . والسبت
القطع . وقيل معناه موت ؛ لأن النوم هو الموت الأصغر ؛ ولذلك لا ينام أهل
الجنة ، والسبت : ما يغييب العقل والحواس حتى يظن الناظر أنه ميت وما هو
بميت ، وقد [٢٦٥ أ] دُفِنَ بعضهم بهذا الداء لظنهم موته ثم قام من قبره ،
ورجع لداره بسبب حفر نَبَاشٍ عليه لأخذه أكفانه ، ولذلك يؤخر الميت عن
دفنه لتلا يكون من هذا القبيل .

(سُجِّرَتْ^(٢)) : أصله من سَجَرَتِ التَّنُورَ إذا أحميته ، والبعار إذا ملأها ،
والصلى إن البعار تَذَجِرُ بعضها إلى بعض حتى تعود بحرّاً واحداً . وقيل إنها تُلَأُّ
ماراً لتعذيب أهلها . وقيل تُتَرَفَّغُ ماؤها فتبیس . والقول الأول والثاني ألبق
بالأصل . وقد قلنا أن البعار سبعة لقوله : « والبحر يمدُّه من بعده سبعة »
أنجر^(٣) : بحر طبرستان ، وبحر كرمان ، وبحر عمان ، وبحر القلزم ، وبحر
هندوستان ، وبحر الروم ، وبحر المغرب .

(سُحِّرَتْ^(٤)) : أوقلت وأحميت ، يُزَادُ في حرها يوم القيامة على ما هي
عليه الآن ، وهذه النار طيبة في الذلج سبعين سنة ، ولولا ذلك لم ينتفع بها ،
فَمِنْ حَرِّهَا على ما يَزَادُ فيها يوم القيامة ، وإذا تأملت قوله^(٥) : « ترى بشرَّ ر
كالقصر » تفهم منه أنها تأكل بعضها بعضاً من شدة غيظها ، كما قال تعالى^(٦) :
« تَكَادُ تَمَيِّزُ مِنَ الْغَيْظِ » : فأى جسم يقوى على هذه الأحوال لو لا أن

(١) الفرقان ٢٧

(٢) لقمان ٢٧

(٣) التيسير ٦

(٤) المصافات ٢٢

(٥) التيسير ١٢

(٦) التيسير ١٢

الله قَوَّاهَا ، اللهم كُنْ لَنَا حَافِظًا مِنْهَا ؛ فَإِنَّهُ لَا طَاقَةَ لَنَا عَلَيْهَا .

(سُطِحَتْ) ^(١) ؛ أَيْ بُسِطَتْ ، وَالْمُرَادُ بِذِكْرِ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ الْاِسْتِدْلَالُ بِقُدْرَةِ الْخَالِقِ عَلَى هَذِهِ الْخَلُوقَاتِ . وَقَدْ قَدَّمْنَا أَنَّ مِنَ الْعَجَائِبِ مَا قَالَهُ بَعْضُ الْمَفْسِرِينَ : إِنَّ مِنَ الْأَقَابِمِ السَّتَّةَ عِنْدَهُمْ سِتَّةَ أَشْهُرٍ مِنْهَا نَهَارٌ وَسِتَّةَ لَيْلٍ خَالِصٌ ، وَهَذَا مَذْكُورٌ فِي عِلْمِ الْهَيْئَةِ ، فَانْظُرْهُ فِي حَرْفِ الْمِيمِ . وَقَالَ قَتَادَةُ : الدُّنْيَا أَرْبَعَةٌ عَشَرَ أَلْفَ فَرَسَخٍ لِلْسُّودَانِ ، وَثَمَانِيَةَ أَلْفَ فَرَسَخٍ لِلرُّومِ ، وَثَلَاثَةَ أَلْفَ فَرَسَخٍ لِلْفَارِسِ ، وَأَلْفَ فَرَسَخٍ لِلْعَرَبِ ، وَأَلْفَ فَرَسَخٍ لِأَهْلِ التُّرْكِ وَالصِّينِ . وَقَالَ بَعْضُهُمْ : الدُّنْيَا مَسِيرَةُ خَمْسِمِائَةِ عَامٍ ؛ ثَلَاثُمِائَةِ قَفَارٍ ، وَمِائَةُ بَحَارٍ ، وَثَمَانُونَ لِيَأْجُوجَ وَمَاجُوجَ ، وَثَمَانِيَةَ عَشَرَ لِلْسُّودَانِ ، وَعِشْرِينَ لِلْبَيْضِ .

وَفِي الْخَبَرِ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ سَلَامٍ أَتَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ ، مِنْ أَى شَيْءٍ خَلَقَ اللَّهُ الْأَرْضَ ؟ قَالَ : مِنْ زَبَدٍ . قَالَ : فَمِنْ أَى شَيْءٍ خَلَقَ الزَّبَدُ ؟ قَالَ : مِنَ الْمَوْجِ ؟ قَالَ : فَمِنْ أَى شَيْءٍ خَلَقَ الْمَوْجُ ؟ قَالَ : خَلَقَ مِنَ الْبَحْرِ . قَالَ : فَمِنْ أَى شَيْءٍ خَلَقَ الْبَحْرُ ؟ قَالَ : مِنَ الظُّلْمَةِ . قَالَ : يَا مُحَمَّدُ ؛ فَمِنْ أَى شَيْءٍ خَلَقَ الْأَرْضَ ؟ قَالَ : بِالْجِبَالِ . قَالَ : وَفَرَارِ الْجِبَالِ بِأَى شَيْءٍ ؟ قَالَ : بِجِبِلِّ قَافٍ . قَالَ : وَجِبِلِّ قَافٍ مِنْ أَى شَيْءٍ ؟ قَالَ : مِنْ زَمْزَرَةٍ خَضِرَاءَ وَخَضِرَةِ السَّمَوَاتِ مِنْهُ . قَالَ : صَدَقْتَ ؛ فَكَمْ مَسِيرَةُ ثَلَاثَةٍ ؟ قَالَ : خَمْسِمِائَةِ سَنَةٍ . قَالَ : صَدَقْتَ . فَكَمْ مَسِيرَةُ حَوَالِيهِ ؟ قَالَ : مَسِيرَةُ أَلْفِ سَنَةٍ . قَالَ : صَدَقْتَ . فَهَلْ وَرَاءَ جِبِلِّ قَافٍ شَيْءٌ ؟ قَالَ : وَرَاءَهُ سَبْعُونَ أَرْضًا مِنَ الْمَسْكُ . قَالَ : فَمَا وَرَاءَهَا ؟ قَالَ : سَبْعُونَ أَرْضًا مِنَ الذَّهَبِ . قَالَ : وَمَا وَرَاءَهَا ؟ قَالَ : سَبْعُونَ أَرْضًا مِنَ الْحَدِيدِ . قَالَ : فَهَلْ وَرَاءَ هَذِهِ الْأَرْضِينَ شَيْءٌ ؟ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : وَمِنْ وَرَاءِ هَذِهِ الْأَرْضِينَ سَبْعُونَ أَلْفَ عَالَمٍ ، فِي كُلِّ عَالَمٍ مَلَائِكَةٌ لَا يَعْزَمُ عَدَدُهُمْ إِلَّا اللَّهُ ؛ وَهَذِهِ الْمَلَائِكَةُ لَا إِلَهَ لَهُمْ إِلَّا اللَّهُ وَبَنُوهُ وَلَا إِبْلِيسَ ، وَنَسِيحُهُمْ مَبْعُ كَلِمَاتٍ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ،

محمد رسول الله . قال : صدقت ؛ هل وراء هؤلاء شيء ؟ قال : نعم ، حية أدارت
ذنبها على هذه الموائم . قال : صدقت .

ثم قال : أخبرني عن سكان الأرضين . قال عليه السلام : في الأرض
السابعة ملائكة ، وفي السادسة إبليس وأعوانه ، وفي الخامسة الشياطين ، وفي
الرابعة الحيات ، وفي الثالثة القاربان ، وفي الثانية الجن ، وفي الأولى الإنس . قال :
صدقت .

فهذه الأرضون على أي شيء ؟ قال : على الثور . قال : وكيف صفة الثور ؟
قال : له أربعة آلاف رأس مابين الرأسين مسيرة خمسمائة عام . قل : صدقت ،
أخبرني عن هذا الثور على أي شيء ؟ قل : على صخرة . قال : أخبرني عن
الصخرة على أي شيء ؟ قال : على ظهر الحوت . قال : والحوت على أي شيء ؟
قال : على بحر ، والبحر قعره مسيرة ألف سنة . قال : صدقت .

أخبرني عن ماء البحر على أي شيء ؟ قال : على الريح . قال : والريح على
أي شيء ؟ قال : على الظلمة . قال : والظلمة على أي شيء ؟ قال : على نار جهنم .
قال : صدقت ؛ وما نار جهنم على أي شيء ؟ قل : على الثرى . قال : صدقت .
قال : فهل تحت الثرى شيء ؟ قال عليه السلام : سواك هذا خطأ لا يعلم ما تحت
الثرى إلا الله .

فانظر تصديق عبد الله حَبْر بنى إسرائيل والمسلمين لسيدنا ومولانا محمد
صلى الله عليه وسلم لوجود ذلك كله في التوراة التي جعل الله فيها تبيين
كل شيء وتفصيله .

فإن قلت : أي فائدة في التعريض إلى ذكر الإبل وابتدائه بها في الآية ،

وهي أدنى من خلقه السموات والأرض ؟ ومن العلوم الاستدلال بأعظم
الخلوقات أقوى .

فالجواب لاعتناء العرب بها ؛ إذ كانت معاشهم في الغالب منها في
شرب ألبانها ، وهي أكثر الموائس في بلادهم ، وأيضاً لما في خلقها من
الاعتبار ، لأنها في خلقها دالة على وحدانية خالقها ، شاهدة بتدبير منشئها وحكمته ،
حيث خلقها للنهوض بالأثقال ، وجعلها تترك حيث تحمل عن قرب ويسر ثم تنهض
بما حملت ، وسخرها منقادة لكل من يقودها بأزمعتها ، حتى حكي أن قارة قادت
ناقة لآتماري ضيفاً ، ولا تمنع صغيراً ، وبرأها^(١) طوال الأعناق لتتوه بالأوقار .
وعن بعض الحكماء أنه لما حدث من البعير وبديع خلقه ، وقد نشأ ببلاد
الإبل فيها ، فكروا ثم قال : يوشك أن تكون طوال الأعناق وصلة إلى
العقدة التي جعل الله في صدرها جامعة للأعصاب ، ومثلها في أعالي ظهورها ،
كل ذلك زيادة في قواها ، وحين أراد بها أن تكون سفائن البر صرماً على
احتمال العطش حتى أن إثمارها ليرتفع إلى العشر فصاعداً ، وجعلها ترعى كل شيء
ما بدر في البراري والمفاوز مما لا يرتفع سائر الحيوان ، فهي سيرة المؤنة ؛ ولذلك
قال صلى الله عليه وسلم : الإبل عز لأهلها ، والنعيم بركة ، والخليل معبود بنواصيها
الخير إلى يوم القيامة ؛ وكان شريح القاضي يقول لأصحابه : اخرجوا بنا إلى
الكناسة حتى ننظر إلى الإبل كيف خلقت .

قل القراني في فروقه : أعلم أن التواهي تعتمد المفسد ، كما أن الأوامر تعتمد
المصالح ، فما حرم الله تعالى شيئاً إلا لمفسدة ، وما أمر بشيء إلا لمصلحة تحصل
من تناوله .

وقد أجرى الله تعالى أن الأغذية تنقل الأخلاق لخلق الحيوان المغذى به

(١) برأها : خلقها .

حتى يقال : إن العرب لما أكرت من لحوم الإبل حصل عندها قرط الإبنار بأفواتها ، لأن ذلك شأن الإبل ، فيجوع الجميع من الإبل الأيام الكثيرة ، ثم يوضع لها مائتا كلة مجتمعة فيضع كل منها فته فيقتلونها منها حاجته من غير مدافعة عن ذلك الحب ، ولا يطرد من يأكل منه ، ولا تزال الإبل تأكل علفها كذلك بالرقيق حتى يفي جميعاً من غير مدافعة بعضها بعضاً ، بل معرضة عن ذلك ، وعن مقدار ما أكله غيرها ممن يجاورها .

وغیرها من الحيوانات تقتل عند الأغذية على حوز الغداء ، وتمنع من يأكلها معها أن يتناول شيئاً ؛ وذلك مشاهد في السباع والكلاب والأغنام وغيرها . فاقفل ذلك خلق الأعراب ، فحصل عندهم من الإبنار للضيف ما لم يحصل عند غيرهم من الأم ، كما أنه حصل عندهم أيضاً الحقد ؛ لأن الجمل يأخذ ثأره ممن آذاه بعد مدة طويلة ، ولا يزول ذلك من خاطره حتى يقال : إن أربعا أكلت أربعا ، فأورثهم أربعا ، أكلت العرب الإبل فأفادت السكرم والحقد . وأكلت الدودان القردة فأفادت الرقص . وأكلت القرنج الخنزير فأفادت عدم الفيرة . وأكلت الترك الخيل فأفادت القساوة .

فإذا تقرر هذا فهذه السباع في غاية الظلم وقلة الرحمة تأكل الحيوانات من غير اكتراث واهتمام بها ، بل تفسد تبيها وتقطع لحومها ، ولا تنال بما تجله من الألم في تمزيق أعضائها ، وثب على ذلك وثوباً شديداً من غير توقف لذلك في حاجة ولا عبر حاجة ؛ وذلك قرط ظلمها ، وقلة الرحمة ؛ تأكل الحيوانات من غير اكتراث ، وذلك متوفر في سباع الوحش أكثر منه في سباع الطير ، فإين الأسد من العقاب والصقر ؟ وإين النمر والتمهد والسبع وغيرها من الحيوانات من الحدأ والغربان ونحوهما ؟ فلما عظمت المفسدة والظلم في سباع الوحش حرمت لتلا يتناولها بنو آدم فصير أخلاقهم كذلك ، ولما قصرت مفسدة سباع الطير عن ذلك فمن الفقهاء من نهى عن ذلك التحريم دفعاً لمفسدة

سوء الأخلاق ، وإن قلت ؛ ومنهم من لم ينهض عنه ذلك للتحريم خلفه أمره ،
فانصرف به على الكراهة .

(سرّاً) له معان : ضد العلانية . ومنه ^(١) « الذين يُنفِقُونَ أموالَهُمْ بالليلِ
والنهارِ سرّاً وعلانيةً » . قال : قال أبو هريرة : نزلت في علي بن أبي طالب ، لأنه
تصدق بدينارهم في الليل ودينارهم بالنهار ودينارهم سرّاً ودينارهم علانية . والنكاح ؛
ومنه : ^(٢) « لا تُؤَاعِدُوهُنَّ سرّاً » ؛ أي لا تواعدهن في العدة خيفة أن
تنزوين بعد العدة ؛ وسرّاً ككل شيء خياري .

(سنة ^(٣)) هي ابتداء النوم ، لا تنفس ^(٤) ، كقول القائل : في عينه سنة
وأيس بنائم . فالسنة في الرأس والنوم في القلب .

(سينين ^(٥)) : جمع سنة ، وهي عبارة عما أخذ الله بني إسرائيل من القحط
والجذب لهم يرجعون ، فلم يزدكم ذلك إلا طغياناً .

(سيروا ^(٦) ، وسبحوا) بمعنى واحد ، وأمر الله قريشاً بالسير في الأرض
للاعتبار بمخلوقات الله ، والنظر فيما تقدم من الممالك ، وقد كانوا أشد منكم
قوة وأكثر جماعاً ، وأخذ بعض الصوفية من هذا أن من سافر للاعتبار بمخلوقاته
ورؤية نبات الأرض وسهلها وجبلها وأنهارها فهو أفضل من الإقامة ؛ وكيف
لا وقد قطع علائقه بمعرفة عيوب نفسه بغرته ابتعاده ؟ ألا ترى رفق الله
بالسافر ؛ فرخص له القصر والجمع ، والقطر في رمضان ، ومزيد مدة مسح الخف ،
والتنفل راكباً ، وترك الجمعة ، وعدم قضاء المسافة لمضرات زوجة أخذه بالقرعة ،

(١) البقرة : ٢٧٤ (٢) البقرة : ٢٣٥ (٣) البقرة : ٢٥٥

(٤) في الفرطى : السنة : فتور يترى الإنسان ، ولا ينفد منه مثله .

(٥) يوسف ٤٢ (٦) آل عمران ١٣٧ ، التوبة ٢ ، على الترتيب .

واستجابة دعوته ، وصحَّ أنه ضيفُ الله عالم يعصه ، إلى غير ذلك من فوائد ذكرها أبو حامد في إحيائه .

فإن قلت : قد قال في الأنعام ^(١) : « ثم انظروا » ، وعطف في غيرها بالقاء ^(٢) فما الفرق بينهما ؟

فالجواب أنه لما كانت « ثم » للتراخي ، فأمرُوا باستقراء الديار وتأمل الآثار ، وفيها كثرة ، فيقع ذلك سيرة بعد سيرة وزمان بعد زمان .

وقد قدمنا في حرف القاء أن معنى « ثم انظروا » إباحة السير للتجارة وغيرها ، فنبه بتم لتباعد ما بين الواجب والمباح .

وأما تحديد السياحة في الأرض بأربعة أشهر فهو الأجل الذي جعل الله لأممهم . واختلف في وقتها ؛ فقيل هي شوال وذو القعدة وذو الحجة والمحرم ؛ لأن السورة نزلت حينئذ ؛ وذلك عام ثلثة . وقيل : هي عيد الأضحي إلى تمام العشر من ربيع الآخر ؛ لأنهم إنما علموا بذلك حينئذ ، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث تلك السنة أبا بكر الصديق فخرج بالناس ، ثم بعث بعده علي بن أبي طالب فقرأ بعده سورة براءة يوم عرفة . وقيل يوم النحر .

(مِثْلَهُمْ ^(٣)) ؛ أي أصابه سوء وضجّر لما ظن أنهم من بني آدم وخاف عليهم من قومه .

(سَجِيلٌ ^(٤)) بالفارسية أوله حجارة وآخره طين ؛ قاله مجاهد ، يعني أنها كانت مثل الآجر المطبوخ . وقيل : هو من سجله إذا أرسله .

(مَقَابَةٌ ^(٥)) : قد قدمنا أنه الصانع الذي كان يشرب به يوسف .

(٢) التزلزلا : ٦٩ (٣) هود : ٢٧

(١) الأنعام : ١١

(٤) هود : ٨٢ ، والمجر : ٧٤ ، الفيل : ٤٥ (٥) يوسف : ٧٠

وأما قوله تعالى^(١) : «أَجَلْتُمْ سَقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ» - فمبنيها أن قوما من قريش افتخروا بسقاية الحاج وعمارَةَ المسجد الحرام ، فبين الله أن الجهاد أفضل من ذلك . ونزلت الآية في عليّ والعباس بن عبد المطلب ، وطلحة بن شيبه - افتخروا ، فقتل طلحة : أنا صاحب البيت ، وعندى منّا مني . وقال العباس : أنا صاحب السقاية . وقال عليّ : لقد أسلمت قِبل الناس وهاجرت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(سجل^(٢)) بفتح الحيشة : الرجل عند ابن عباس . وعند ابن جني الكتاب ؛ قال قوم : هو فارسيّ معرب . وأخرج ابن أبي حاتم ، عن أبي جعفر الباقر ، قال : السجل ملك ، وكان هاروت وماروت من أعوانه . وأخرج عن ابن عمر ؛ قال : السجل ملك . وأخرج عن السديّ ؛ قال : ملك موكل بالصحف . ومعنى : «يوم^(٣) تطوى السماء كطى السجل للكتب» - أن الله يطوى السماء كما يطوى السجل ليكتب فيه ، أو لتصان الكتب التي فيه . وقد ضعف بعضهم كونه ملك ؛ ولا أدري ما وجه تضييفه . وفيه ضعف .

(سنّا^(٤)) : أخرج ابن أبي حاتم عن الضحاك قال : سنّا - بالنبطية الحسن . وقيل بالحبشية . وفي الحديث سنّة سنّة ؛ أي حسنة بالحبشية^(٥) .

(مُخْرِيَا^(٦)) ، بضم الهمزة من السخرة بمعنى التحول^(٧) ؛ وبالكسر من السخرة بمعنى الاستهزاء . وقد يقال هزأ بالضم ، وقرئ هنا بالوجهين لاحتمال المعنيين ، على أن معنى الاستهزاء هنا أليق ، لقوله^(٨) : «وكنتم منهم تضحكون» ؛ وفي الزخرف استخدام بعضهم بعضاً أليق ، لقوله^(٩) : «ورحمة ربك خير مما يجمعون» .

(١) التوبة ١٩ (٢) الأنبياء ١٠٤ (٣) الأنبياء ١٠٤ (٤) النور ٤٣ (٥) في النهاية : قيل سنّا بالحبشية حسن ، وهي لغة ، وتخفف نونها ولشدد . وفي رواية سنّه سنّه وفي أخرى سناء ، سناء ، بالنشديد والتخفيف فيهما . وانظر أيضاً انقرب : ٢٠٢ (٦) الزخرف : ٣٢ (٧) أي خولا وخداما (القرطبي : ١٦ - ٨٣) (٨) المؤمنون : ١١٠

(سَدِيرٌ مَخْضُودٌ^(١)) : قد قد، خافى حرف الميم أنه البق الذى قُطِعَ شوكة .

(سَجِين) : اسم علم منقول من صفة على وزن فَعِيل للمبالغة . وقد قيل عظم الله أمره بقوله : ^(٢) « وما أدرَاكَ ما سَجِين » ، ثم فسره بقوله بأنه كتاب مرقوم ؛ أى مسطور بين الكتابة ، وهو كتاب جامع يكتب فيه أعمالُ الشياطين والكفار والتجار ، وهو مشتق من السجن بمعنى الحبس ، لأنه سبب الحبس والتضييق في جهنم ، أو لأنه مطروح في مكان والمذاب كالسجن ؛ فقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال في الأرض السفلى . وروى أنه في بئر هنالك .

وحكى كعب عن التوراة أنه في شجرة سوداء هنالك . وحكى البكالى بسند صحيح عن رجل كان بمكة : انتهت حاله في العبادة إلى مقام عظيم ، ويتصدده أصحاب الأموال التي تركها التجار بمكة ، ويسأفرون ؛ فاتفق أن رجلاً ذا مال جليل أراد السفر من مكة إلى أرض بعيدة فدُلَّ على ذلك الرجل في أن يترك عنده وديعة ، فقبل ، وسافر ، وقدر على الرجل لما حضرته الوفاة فأوصى بكل ما كان عنده لأربابه من الودائع ، فتوفى ، فأخذ الناس ودارتهم سوى ذلك للرجل فإنه لم يوجد له ذكر ، فخار دليلُ الرجل ؛ فدُلَّ على رجل كبير القدر أن يخبره بقصته ، قال : وكل من أخبره عن المتوفى بشيء كان خيراً ، قال : فلما انتهيت إلى الثاني وأخبرته قال لى : يا بنى ، ما عندى ما أدلك عليه إلا أنك تأتى ليّ الجملة لبئر زمزم آخر الليل وتنادى فيه : يا فلان بن فلان ، فإن أجابك سأل من مالك فإنه يخبرك كيف اتفق فيه ؛ فإن لم يجِبْكَ فافعل ذلك سبع ليالٍ من ليالى الجملة ؛ فإن أجابك فحسن ، وإلا فأخبرنى .

فعلت ، ولم يجِبْنى أحد ، فأخبرت الرجل بذلك ، فقال : يا بنى ، ما أرى

الرجل إلا من أهل النار ، فأسافر إلى أرض حضرموت ، وتأتني إلى بئر هناك يقال له بئر رهوت ، فتنادي فيه باسم الرجل ليلة الأربعاء ، فإنه يجيبك ضرورة فاسأله بخبرك .

قال : فسرتُ إلى الموضع فتأديتُ أول ليلة باسم الرجل ، فأجابني : من مالي ، فأخبرني أنه نسي أن يؤمِّي بمكانه حيث دفن ، قال : ولما أخبرني بمكانه من محل سكناه قال لي : باق عليك إلا ما بلغت رسالة لأخوتي يذكركنا من مكان كذا ، واسم زوجها وابنتها ، وأمارات ، وقل لها : نجلني في حل من كوفي فارقتها من غير طيب نفس منها ، ووقع بيني وبينها مهاجرة ، فتضرع لها وأرغبها لعل الله ينقذني (١٢٦٧) من هذا المقام ؛ فإني عوقبتُ من سبب قطي لرحمها .

ونعم الحكاية أنه وجد ماله ، واستغن عن الأخت لأخيها ، وعاد الرجل إلى مكة ، وعادى ليلة الجمعة باسم الرجل ، فأجابه وجزاه خيراً ؛ وأخبره أن الله قد غفر له .

ومما يؤكده صحة هذا أن الأرواح حينما ذكر - ما ذكره القرطبي في سورة قد أفلح : اختلف في مقر الأرواح على أقوال ذكر فيها قولاً إن بئر زمزم خاص بالهداء وبئر رهوت خاص بالأشقياء .

قلت : وقد وردت أحاديث صحيحة بأن الأرواح على أحوال مختلفة ؛ فمنها ما هو يلق في ثمر الجنة ، ومنها ما هو في قناديل معلقة تحت العرش ، ومنها ما هو في كفالة آدم ، ومنها ما هو في كفالة إبراهيم ، ومنها ما هو في أفنية قبورها ترد على من يسلم عليها ، ومنها ما هو لتلقى أرواح المؤمنين من إخوانهم يسألونهم عنهم ، فيقول بعضهم لبعض : دعوه يستريح من هم الدنيا وقصومها .

(السين) : حرف يختص بالمضارع ويختصه للاستقبال ؛ ويتنزل منه منزلة الجزءاء فلذا لم تعمل فيه . وذهب البصريون إلى أن مدة الاستقبال معه أضيق منها مع سوف ؛ وعبارة العرب فيها حرف تنفيس ، ومعناها حرف توسع ، لأنها قلت المضارع من الزمن الضيق - وهو الحال - إلى الزمن الواسع ، وهو الاستقبال .

وذكر بعضهم أنها قد تأتي الاستمرار لا للاستقبال ، كقوله : « سَجِدُونَ »^(١) آخرين . . . الآية . « سَيَقُولُ »^(٢) السفهاء . . . الآية ؛ لأن ذلك إنما نزل بعد قولهم : « مَا وَلَّاهُمْ » فجاءت السين إعلاماً بالاستمرار لا بالاستقبال . قال ابن هشام^(٣) : وهذا لا يعرفه النعويون ، بل الاستمرار مستفاد من المضارع ، والسين باقية على الاستقبال ؛ إذ الاستمرار إنما يكون في المستقبل . قال : وزعم الزمخشري أنها إذا دخلت على فعل محبوب أو مكروه أفادت أنه واقع لا محالة ، ولم أر من فهم وجه ذلك ؛ ووجه أنها تفيد الوعد بمحصل الفعل ؛ فدخلها على ما يفيد الوعد أو الوعيد مقتضى لتوكيده وتثبيت معناه ، وقد أومأ إلى ذلك في سورة البقرة ؛ فقال : « فَيَكْفِيكَمُ اللَّهُ » وهو السميع العليم - معنى السين أن ذلك كائن لا محالة ، وإن تأخر إلى حين . وصرح به في سورة براءة ، فقال في قوله^(٤) : « أُولَئِكَ سِيرْهُمْ اللَّهُ » : السين مفيدة وجود الرخصة لا محالة ، فهي تؤكد الوعد ، كما تؤكد الوعيد في قوله : « مَا أَنتُمْ مِنْكُمْ » .

(١) النساء : ٩١

(٢) البقرة : ١١٢

(٣) (٢) المني : ١ - ١١٩

(٤) التوبة : ٧١

(٥) البقرة : ١٣٧

(سوف) : كالسين أو أوسع زمانا منها عند البصريين ؛ لأن كثرة الحروف تدل على كثرة المعنى ، ومرادفة عند غيرهم ، وتنفرد عن السين بدخول اللام عليها نحو^(١) : « وَأَسَوْفُ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى » قال أبو حيان : وإنما امتنع إدخال اللام على السين كراهة توالي الحركات في « لَسَيُدَّ حَرَجٌ » ، ثم طرد الباقي .

قال ابن ياشاذ : والغالب على سوف استعمالها في الوعيد والتهديد ، وعلى السين استعمالها في الوعد ؛ وقد تستعمل سوف والسين في الوعيد .

و (سواء) : تكون بمعنى مُسْتَوٍ ، فتتصر مع^(٢) الكسر ، نحو : « مكانا^(٣) صَوَّى » ، وتتمد مع الفتح نحو « سَوَاءٌ^(٤) عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون » ، وبمعنى الوسط فتتمد مع الفتح نحو : « في سَوَاءٍ^(٥) الجحيم » ، وبمعنى التمام نحو^(٦) : « في أربعة أيام سواء للسائلين » ؛ أي تماما ، ويجوز أن يكون منه : « واحد^(٧) » إلى سواء الصراط ، ولم ترد في القرآن بمعنى غير . وقيل وردت ، وجعل منه في البرهان : « فقد^(٨) صلّ سواء السبيل » ، وهو وهم ، وأحسن منه قول الكلبي في قوله تعالى : « ولا^(٩) أنت مكانا سَوِيٌّ » — إنها استثنائية ، والمستثنى محذوف ؛ أي مكانا سوى هذا المكان ، حكاه الكرماني في عجائبه ، وقال : فيه بُعد ، لأنها لا تستعمل غير مضافة .

(ساة) : فعل للزم لا يتصرف .

(١) النسخة : هـ	(٢) في الأصلين : هم القصر .	(٣) طه هـ
(٤) البقرة ٦	(٥) الصافات هـ هـ	(٦) فصلت ١٠
(٧) ص ٢٢	(٨) المعجزة : ١	(٩) طه هـ

(سبحان) : مصدر بمعنى التسبيح لازم النصب والإضافة إلى مفرد ظاهر ؛
نحو : « سبحان^(١) الله » . « سبحان^(٢) الذي أشرى » ، أو مضمر ، نحو :
« سبحانه^(٣) أن يكون [٢٦٧] له ولد » . « سبحانك^(٤) لا علم لنا » ، وهو مما
أُصِيتَ فله .

وفي الصجائب للكرماني : من التريب ما ذكره الفضل أنه مصدر سبّح
إذا رفع صوته بالمدح والثناء ، وأنشد :

سَبَّحَ اللهَ وَجُودَهُ تَقْلِبَ كُلِّ شَيْءٍ
وَأَخْرَجَ ابْنَ أَبِي حَاتِمٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ : سُبْحَانَ اللَّهِ - قَالَ :
نَزَّهَ^(٥) اللَّهُ نَفْسَهُ عَنِ السُّوءِ .

(١) يوسف : ٨ (٢) الإسراء : ١ (٣) النساء : ١٧١

(٤) في الإطقان (٢ = ١٩٩) : تزيه .

(٥) يوسف : ٨

(٤) البقرة ٢٢

حَرْفُ الشَّيْنِ الْمَبْعُومَةِ

(شُعَيْب) : قال ابن إسحاق : وهو ابن ميكائيل ، كذا بخط الذهبي في اختصار المستدرک ، وقال غيره : من ملوكين . ورأيت بخط النووي و تهذيبه ابن ميكيل بن يشجن بن مدين بن إبراهيم الخليل ، كان يقال له خطيب الأنبياء ، وبُعث إلى أمتين : مدين ، وأصحاب^(١) لَيْكَةِ رسولاً ، وكان كثير الصلاة ، وعَمِيَ في آخر عمره .

وقد قدمنا قولاً بأن مدين وأصحاب لَيْكَةِ واحدة . قال ابن كثير^(٢) : ويدل على ذلك أن كلامهما وعظ بوفاء الكيل والميزان ؛ فدل على أنهما واحد . واحتج الأول بما أخرجه السدي وعكرمة ؛ قالوا : لم يبعث الله نبياً مرتين إلا شعيباً : مرة إلى مدين فأخذهم الله بالصيحة ، ومرة إلى أصحاب لَيْكَةِ ، فأخذهم الله بعذاب يوم الظلة .

وأخرج ابن عساكر في تاريخه ، عن عبد الله بن عمرو - مرفوعاً - أن قوم مدين وأصحاب لَيْكَةِ أمتان بعث الله إليهما شعيباً ؛ قال ابن كثير : وهو غريب ، وفي رفعه نظر ؛ قال : ومنهم من زعم أنه بُعث إلى ثلاث أُمَم ؛ والثالثة أصحاب الرُّم .

(شمر) بالأمر يشمر ؛ أي علمه . والشعور : العلم من طريق الجسم ، ومنه : « وَمَا يَشْمُرُونَ^(٣) » ، أي لا يشعرون أنهم يخدعون أنفسهم .

(١) أصحاب الأيكة : قوم شعيب . والأيكة : النخلة ، وسمي جماعة الشعير . وليل الأيكة : اسم القرية ، وليل : اسم البلدة . وقال أبو عبيدة : الأيكة وليكة : مدينتهم (القرطبي : ١٠ - ١٥) .

(٢) البداية والنهاية : ١ - ١٨٤ ، وارجع كذلك إلى الإثنان : ٤ - ٦٢ .

(٣) البقرة : ٩ .

فإن قلت : هل العلم والشعور بمعنى واحد ؛ لأنه يظهر من تكرير قوله :
« لا يشعرون » أنها بمعنىين ؟

والجواب ما قاله أبو الفضل بن الخطيب : إنما قال ذلك في قوله تعالى :
« ^(١)الآن ^(٢)إنهم لم السفاء ولكن لا يعلمون » ، وفيما قبلها ^(٣) : « ولكن
لا يشعرون » ؛ لوجهين :

أحدهما - أن الوقف على أن المؤمنين على الحق ، وهم على الحق - أمر عقل
نظري ، وأما أن النفاق وما فيه من البنى يُفضى إلى الفساد في الأرض فضروري ،
جار مجرى المحسوس .

والثاني أنه لما ذكر الشك ، وهو جهل ، كان ذكر العلم أحسن طباقا .
والله أعلم .

(شكور ^(٤)) : من أسماء الله ؛ لأنه الجازي للعباد على أعمالهم بميزيل الثواب .
وقيل : المتنى على العباد . وأما الشكور من عباده فهو المصروف جوارحه فيما
أمر الله به عباده من الطاعة ، وهو موجب للزيادة كما قدمنا .

وقام صلى الله عليه وسلم حق تَفَطَّرَتْ ^(٥) قدما ، وقال : أفلا أكون عبدا
شكورا ، قال شكر إذا طاعة لله في كل نعمة بما هو الأولى مع رؤية منة
الله تعالى والحياء من تتابع نعمة واستعظام صغورها ، واعتدائه بمجزئه من
شكرها ، وأنها وشكرها منة منه تعالى ، وعدم ركونه إلى غير النعم ، وأعظم
النعم حسن خلق ؛ لأنه ما ضرت أبدا كسوء خلق ، ويجب العلم بما قبَّحه الشرع

(١) البقرة : ١٣ (٢) البقرة : ١٢ (٣) إبراهيم : ٤٥ ولقمان : ٣١ وغيرهما .

(٤) تَفَطَّرَتْ : تَنَقَّطَتْ .

وبما حسنه ، وكل نعيمه فإنها منه تعالى إجماعا ، فالشكر بما يجب حتم ، وبما يستعجب ندب ، ولا كانت نعم الله تعالى مبذولة لم يشكر الجاهل إلا ما خففه بقوله الحمد لله ، ولو هي مثلا لنسخ خط وشكى ، ولو عاد بصره شكر .

(شَرَوْا^(١)) : (بمعنى باعوا ، كقوله تعالى : « وَشَرَوْهُ^(٢) » بِشَيْءٍ بَخْسٍ » .

(شَقَرَتِ السَّجْدِ الْحَرَامِ^(٣)) : تلقاه ، بلسان الحبشة ، وكان صلى الله عليه وسلم يرفع رأسه إلى السماء رجاء أن يؤمر بالصلاة إلى الكعبة ، لأنها قبلة إبراهيم ، أو كان يحب ذلك من أجل أن اليهود كانوا يقولون : يخالفنا محمد في ديننا ويتبعنا في قبلتنا ؛ فقال جبريل : وَدِدْتُ أَنْ يُحَوِّلَنِي اللَّهُ إِلَى الْكَعْبَةِ ، فَإِنَّهَا قِبْلَةُ إِبْرَاهِيمَ ؛ فقال جبريل : إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ مِنْكَ ، وَأَنْتَ كَرِيمٌ عَلَى رَبِّكَ ، فَاسْأَلِ أَنْتَ رَبَّكَ ؛ فَمَرَجَ جَبْرِيْلُ إِلَى السَّمَاءِ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ الْآيَةَ ، فَهِيَ مُتَأَخِّرَةٌ تِلَاوَةً مُقَدِّمَةٌ مَعْنًى ؛ لِأَنَّهَا رَأْسُ الْقِصَّةِ ، وَأَوَّلُ مَا نُسَخَ مِنْ أُمُورِ الشَّرْعِ أَمْرُ الْقِبْلَةِ .

فإن قلت : ما فائدة تكريرها ثلاث^(٤) مرات ؟

فالجواب أن الأولى لتسخ القصة ، والثانية للسبب ، وهو قوله : « وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ » ، والثالثة للبعد ، وهو قوله : « لَعَلَّكَ يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حِجَةٌ [١٢٦٨] » .

وقيل الأولى في مسجد المدينة ، والثانية خارج للسجد ، والثالثة خارج البلد . وقيل في الآية خروجان : خروج إلى مكان ترى فيه الكعبة ، وخروج

(٢) البقرة : ١٤٤

(٣) يوسف : ٢٠٠

(١) البقرة : ١٠٢

(٤) البقرة : ١٤٤ ، ١٤٩ ، ١٥٠

إلى مكان^(١) لا ترى أى الخائنين فيه سواء . وقيل فى الجواب غير هذا حذفناه
لفظه .

(شَهِيدٌ مِنْ رِجَالِكُمْ^(٢)) : نصّ فى رفض شهادة الكفار والعبيان
والنساء ، وأما المبيدُ فاللفظُ يتناولهم ، ولذلك أجاز ابن حنبل شهادةَهم ،
ومنها مالكٌ والشافعيّ أنقص الرُق ؛ وإنما أمر الله بالإشهاد فى البيعات
حفظاً للأموال ؛ فشهادةُ الرجلين أو رجل وامرأتين جائزة فى الأموال لا فى
غيرها بشرط العدالة ؛ ومعناها^(٣) اجتنابُ الذنوب الكبائر وتوقى الصغار
مع المحافظة على الرواة .

وروى أن آدم صلى الله على نينا وعليه وسلم لما رأى ذريته عند خروجها
من ظهره ، فسأل الله عنهم ؛ فقال له : هم الأنبياء من أولادك ، فقال : يارب ،
كم أعمارهم ؟ فأخبره بِمُتْر كل واحد ، فوجد عمر داود أربعين ، فقال : يارب ؛
قد وهبتُ له من عمرى أربعين أخرى ، فلما بقى من عمره هذه الأربعون
أتى ملك الموت ليَقْبِضَ رُوحه ، فقال : إني لم أهب شيئاً .

فقال الله له : أمراً أحدثته بين أولادك ، فمن كان عليه حق أنكره ،
فذلك أمره الله بالإشهاد ، فقال : «^(٤) واستشهدوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ » .
ولذلك وكل على كل أحدٍ من الأدمين مَلَكين شاهدين حتى لا يجدَ إلى
الإنكار سبيلاً .

فانظرْ هذا التأنيسَ العظيمَ لأُمَّةٍ هذا النبي الكريم .
وقيل : إنه كان نور المصطفى فى وَجْه آدم ينظر إليه ، فقال : يارب ، هل

(١) فى آية (١٤٩ ، ١٥٠) من البقرة : ومن حيث خرجت ..

(٢) أى شهادة .

(٣) البقرة : ٢٨٢

بقى في ظهري من هذا النور شيء؟ قل : نور أصحابه . قل : يارب ، اجعله في بقية أصابي ؛ فجل نور أبو بكر في الوسطى ، ونور عمر في البنصر ، ونور عثمان في الخنصر ، ونور علي في الإبهام ؛ فكان آدم ، صل الله عليه وسلم ، ينظر إلى تلك الأنوار ويسجب منها إلى أن أهبطه الله من الجنة ، وما رَمَى أعمال الدنيا ، فصادت الأنوار إلى ظهوره .

وَأَنْتَ يَا عَاصِي ، تَمَارِسُ المعاصي والتفواحش ، ولا تخاف من زوال نور الإيمان من قلبك ! ألم تسمع إلى قول ربك^(١) : « كَلَّا ، بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ » .

فإن قلت : ما بال آدم لم يُرد الرجوع إلى الجنة ، بل رجع فيها وهب لداود ، وكان قد بكى عليها بعد خروجه منها حتى لو أُجريت السفن في دمه لمرت ؟

والجواب أن آدم عليه السلام لما ذاق حلاوة النعمة في الجنة بكى على فراقها ، فلما خرج إلى الدنيا وكلفه الله فيها بالعبادة ، لأنها^(٢) محل تكليف ، وذاق حلاوته ، اختار ما فيه رضا الله على حظ النفس . وقيل : كره الخروج من الجنة لطلب الراحة وخوف الموت ؛ لأن الله أخبره أنه لا موت فيها ، ولما خرج إلى الدنيا ، وعلم بمرارة الموت فيها لم يُرد الخروج منها ؛ فإذا أبو بكر المطهر من الذنوب يخاف من هذه الأحوال ، فكيف بك أيها الغريق لا تخاف من الفراق ، وقطع حبل الخلاق .

(٣) شاورهم في الأمر) : أمر الله رسوله بمشاورة أصحابه في الحروب

وغيرها لا في أحكام الشريعة . وقال ابن عباس : وشاورهم في بعض الأمر ، وقد كان صلى الله عليه وسلم يشاورهم في مواطن كثيرة ؛ كيوم بدر ، ويوم الأحزاب ، والطائف ، وغير ذلك .

وينبى للإنسان أن يشاور في أموره من يثق منه بعقل صحيح وود صريح ، ولا يستغنى برأيه ؛ فإن استغنى برأيه ذل . قال صلى الله عليه وسلم : المشاورة تزيد الرجل ذكاء . وقد ورد في هذا المعنى من الأحاديث والأخبار مالا تحيط بذكره . والله الموفق .

(شَجَرٌ^(١) بَيْنَهُمْ) ؛ أى اختلط . واختلفوا فيه ؛ ومعنى الآية أنهم لا يؤمنون حتى يرضوا بحكم النبى صلى الله عليه وسلم ، ونزلت الآية والى قبلها في الحاككة بين الناقين .

فإن قلت : كثيرا ما يذكر المفسرون لنزول الآية أسبابا متعددة ؛ فبأى السبب نأخذ ؟

والجواب أن الاعتماد في ذلك أن تنظر إلى العبارة الواقعة ، فإن عبر أحدهم بقوله : نزلت في كذا ، والآخر نزلت في كذا ، وذكر أمرا آخر ؛ فهذا يراد به التفسير لا ذكر سبب النزول ، فلا منافاة [٢٦٨ ب] بين قولها إذا كان القنط ينزلها ؛ وإن عبر واحد بقوله نزلت في كذا ، وصرح الآخر بذكر سبب خلاقه فهو المتمد . وقد يكون للآية أسباب ، وقد أفرده أسباب النزول بالتصنيف جماعة أقدمهم على بن المدنى شيخ البخارى ، وألف فيه شيخ الإسلام أبو الفضل بن جعفر كتابا مات عليه مسودة فلم يقف عليه

كاملاً . وقد أُلْتُ فيه كتاب القول في أسباب النزول ، قَفْتُ عليه ليل
قلبك يميل .

(شَنَّانٌ^(١) قَوْمٌ) ؛ أى بَغْضُهُمْ وَحِقْدُهُمْ . ومعنى الآية : لا يحملنكم
عَدَاوَةُ قَوْمٍ عَلَى أَنْ تَعْتَدُوا عَلَيْهِمْ مِنْ أَجْلِ أَنْ يَعْصِدُوكُمْ عَنِ السَّجْدِ
الْحَرَامِ .

وَزَلَتْ عامُ الْفَتْحِ حِينَ ظَفَرَ الْمُسْلِمُونَ بِأَهْلِ مَكَّةَ ، فَأَرَادُوا أَنْ يَسْتَأْصِلُوهُمْ
بِالْقَتْلِ ، لِأَنَّهُمْ كَانُوا قَدْ صَدُّوهُمْ عَنِ السَّجْدِ الْحَرَامِ عَامَ الْعُدَيَّةِ ، فَهَاجَمَهُمُ اللَّهُ
عَنْ قَتْلِهِمْ لَعَلَّهُ بِأَنَّهُمْ يُؤْمِنُونَ .

(شَهَادَةُ^(٢) يَبْيُنُكُمْ) : مَرْفُوعٌ بِالْإِبْتِدَاءِ ، وَخَرَجَ اثْنَانِ . التَّقْدِيرُ شَهَادَةُ
بَيْنَكُمُ شَهَادَةُ اثْنَيْنِ ، أَوْ شَهَادَةُ « آخِرَانِ » عَلَى أَنْ تَكُونَ إِذَا بِمَنْزِلَةٍ حِينَ
لَا نَحْتَاجُ جَوَابًا .

وَيَجُوزُ أَنْ تَكُونَ شَرْطِيَّةً ، وَجَوَابُهَا مَحْذُوفٌ يَدُلُّ عَلَيْهِ مَا تَقْدِمُ قَبْلَهَا ؛ فَإِنْ
الْمَعْنَى إِذَا حَضَرَ أَحَدُكُمْ الْمَوْتُ فَيَبْنِي أَنْ يَشْهَدَ .

وَحَسِبَ نَزُولُ الْآيَةِ أَنَّ رَجُلَيْنِ خَرَجَا إِلَى الشَّامِ ، وَخَرَجَ مَعَهُمَا رَجُلٌ آخَرُ
لِتَجَارَةٍ ، فَمَرَّضَ فِي الطَّرِيقِ ، فَكَتَبَ كِتَابًا قَائِدًا فِيهِ كُلُّ مَا مَعَهُ ، وَجَعَلَهُ فِي
مَتَاعِهِ ، وَأَوْصَى الرَّجُلَيْنِ أَنْ يُؤَدِّيَا رَحْلَهُ لَوَرَثَتِهِ ؛ فَمَاتَ قَدَّمَ الرَّجُلَانِ الْمَدِينَةَ ،
وَدَفَعَا رَحْلَهُ إِلَى وَرَثَتِهِ ، فَوَجَدُوا فِيهِ كِتَابَهُ ، وَقَتَلُوا مِنْهَا أَشْيَاءَ قَدْ كَتَبَهَا ،
فَسَأَلُوا عَنْهَا ؛ فَقَالَا : لَا نَدْرِي ، هَذَا الَّذِي قَبَضْنَاهُ ، فَرَفَعُوهُمَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَاسْتَعْلَفَهُمَا ، فَبَقِيَ الْأَمْرُ مُدَّةً ، ثُمَّ عَثَرَ عَلَى إِنَاءٍ عَظِيمٍ مِنْ

فضة ؛ قيل لمن وجدته عنده : من ابن لك هذا ؟ قال : اشتريته من فلان وفلان - يعنى الرجلين ، فارتفع الأمر في ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأمر رجلين من أولياء الميت أن يحلفا ، خفا واستحفاً ، فمعنى الآية : إذا حضر الموت أحداً في السفر فليشهد عدلين بما معه ، فإن وقعت ريبة في شهادتهما حلفا أنهما ما كذبا ، ولا بدلا ؛ فإن عثر بعد ذلك على أنها كذبا أو خانا حلف رجلان من أولياء الميت ، وغرم الشاهدان ما ظهر عليهما .

قال مكي : هذه الآية أشكل آية في القرآن إعراباً ومعنى وحكماً ، وتلخيصها ما ذكرناه .

(شك^(١)) : الشك تجوز أمرين لامرئية لأحدهما على الآخر ؛ نحو : شك الإنسان في القيم غير المشف أنه سيُطر . وقيل التردد بين حكين من غير تليب لأحدهما على الآخر .

(شَمَّار^(٢) الله) : ما جعله الله عاماً لنطاقته ، وأحدثها شعيرة ، مثل الجرائم ، يقول : لا تحلوه ، وكان المشركون يحجّون ويمترون ، فأراد المسامون أن يفهموا عليهم ، فمیل لهم : لا تغيروا عليهم ولا تصدوهم . وقيل : هي الحرم ، وإحلاله الصيد فيه . وقيل : هي ما يحرم على الحاج من القضاء والصيد وغير ذلك ، وإحلاله فله .

(شَاقُوا^(٣) الله ورسوله) : أي حاربوها وصاروا في شق غير شق المؤمنين .

(٢) المائة : ٢

(١) القضاء : ١٥٧ وغيرها .

(٣) الأفعال : ١٣

(شرّد^(١) بهم مَن خَلَقَهُمْ) ؛ أى افل بهم من النِّقمة ما يَزْجِرُ غيهم من القتل والتعذيب .

ويقال : شرّد بهم : سمع بهم ، بلغة فريش .

(شَهْرًا^(٢)) : قال الجواليقي^(٣) : ذكر بعضُ أهل اللغة أنه بالسريانية .

(شَفَا^(٤) جُوف) : طرف حُفْرة . وشَفَا الوادى والقبر شَفِيره .

(شَقَقَهَا^(٥) حُبًّا) : بَلَغَ شِقَاقَ قلبها ، وهو غِلَاقُه . وقيل السويداء منه .

وقيل : الشخاف داء يَصِلُ إلى القلب يقتل مَن تَمَكَّنَ منه . وقولهم فلان مشخوف بحب فلانة إذا ذهب به الحب أقصى المذهب .

(شجرة^(٦) ملعونة) : يبنى شجرة الزُّقُوم ؛ وذلك أن قريشا لما سمعوا أن في جهنم شجرة الزُّقُوم سَخِرُوا مِن ذلك ، وقالوا : كيف تكون شجرة في النار ، والنار تُحْرِقُ الشجر ؟ فقال أبو جهل : ما أعْرِيفُ الزُّقُوم إلا التمر بالزبد ؛ وهذا كله استهزاء وتهسكُم بنينا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم ، وإلا فقد علموا قُدْرَةَ الله ؛ وكيف لا وهم يُخْرِجُونَ من الشجر الأخضر نارا ينضمون بها [١٢٦٩] .

فلن قلت : أين لعنت شجرة الزُّقُوم في القرآن ؟

والجواب أن المراد لعنة آكلها . وقيل : إن اللعنة هنا بمعنى الإبعاد والكراهية ، لأنها في أصل الجحيم .

(شَاكِلتِه^(٧)) : ناحيته وطريقته التى تُشَاكَلُه . ويدل على ذلك قوله :

(١) الأنفال : ٥٧ (٢) التوبة : ٣٦ (٣) الحرب : ٢٠٧
(٤) التوبة : ١٠٩ (٥) يوسف : ٣٠ (٦) والإسراء : ٦٠ والشجرة الملعونة .
(٧) الإسراء : ٨٤

« فَرَبُّكُمْ »^(١) اعْلَمُ بَيْنَ هُوَ أَهْدَى سِيلاً . وقيل شاكِلته طبعته ؛ وهو من الشكل ؛ يقال : لست على شكلى وشاكلى .

(شَطَطاً^(٢)) ؛ أى جَوْرًا وَاغَاوًا ؛ أى لو دَنَوْنَا مِنْ دُونِهِ إِيَّاهَا لَقُلْنَا قَوْلًا شَطَطًا .

(شَى^(٣)) ؛ أى أصنافاً مختلفة .

(شَجَرَةٌ^(٤) الْخُلْد) : هذا من قول إبليس لآدم وحواء ؛ وعدهما بأن مَنْ أَكَلَ مِنْهَا لَا يَمُوت .

(شاطىء^(٥) الْوَادِي) ؛ أى شَطْء^(٦) .

(شَاخِصَةً^(٧)) : من الشخوص ، وهو إحدَادُ النظر من الخسوف ، لا تكاد تُبْصَرُ .

(شَجَرَةٌ^(٨) تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ) ؛ أى تنبت في قعر جهنم ، وترتفع أغصانها إلى دركاتِها . وشبهه طلعها برءوس^(٩) الشياطين مبالغة في قبحه وكرهه ؛ لأنه قد تقرر في نفوس الناس كراهتها ، وإن لم يروها ؛ ولذلك يقولون للقيح النظر : وجه شيطان . وقيل رءوس الشياطين شجرة معروفة باليمن . وقيل : هو صنف من الحياة .

(شَوَابًا^(١٠) مِنْ تَحِيمِ) ؛ أى مزاجاً من تحيم حار .

فإن قلت : لم تعطف هذه الجمل بتم ؟

(١) الإسراء : ٨٤ (٢) الكهف : ١٤ ، والجن : ٤ (٣) طه : ٥٣
(٤) طه : ١٢٠ (٥) القصص : ٣٠ (٦) عاتىء الوادى وشطه : جانبه .
(٧) الأنبياء : ٩٧ (٨) الصافات : ٦٤ (٩) في الآية بعدها (٦٥) : طلعها
كأنه رءوس الشياطين . (١٠) الصافات : ٦٢

فالجواب من وجهين : أحدهما أنه لترتيب تلك الأحوال في الزمان .
والمعى أنهم يملئون البطون من شجرة الزقوم ، وبعد ذلك يشربون الحميم .
والثاني أنه لترتيب مضاعفة العذاب ؛ فالمعى أن شرهم للحميم أشد مما
ذكر قبله .

(شَكْلِهِ^(١)) : أى مثله ونوعه . والمعى أن الله تعالى نوع على أهل النار
أنواعا من العذاب .

(شَرَعَ^(٢) لَكُمْ من الدين) : قد قدمنا أن الله تعالى فتح لنا بالدين الذى
هو التوحيد والإيمان برسله وكتبه والدار الآخرة .

(شَرِيعَةٍ^(٣) من الأمر) : أى ملة ودين .

(شَطَاؤُهُ^(٤)) : قد قدمنا أنها فرائح السنبلة التى تنبت حول الأصول .
ويقال بإسكان الطاء وفتحها دون مد ، وفتحها مع المد ؛ وهى لغات .

(شَدِيدٌ^(٥) الْقُوَى) : هو جبريل . وقيل الله تعالى . والأول أرجح ؛
لقوله : ذى قُوَّة عند العرش . والقوى جمع قُوَّة .

(شَوَى^(٦)) : أطراف الجسد . وقيل : جلد الرأس . والمعى أن النار
تنزعها ثم تعاد .

(شَرَابًا^(٧) طهورا) : أى ليس ينجس كخمر الدنيا . وقيل معناه أنه لم
تصير الأقدام ، وقيل معناه : لا يصير أذى .

(شَامِخَاتُ^(٨)) : أى مرتفعات . ومنه يقال : شمخ بأفقه .

(١) س : ٥٨ (٢) الشوى : ١٣ ، وشرح : من . (٣) الجانية : ١٨
(٤) النفع : ٢٩ (٥) النجدة : (٦) الخارج (١٦) : لزامة القوى .
(٧) اللسان : ٢٩ (٨) الرسائل : ٢٢

(شَفَقٌ ^(١)) : الحرة التي تَبْقَى بعد غروب الشمس . وقيل أبو حنيفة : هو البياض . وقيل : هو النهار كله . وهذا ضعيف ، والأول هو المرووف عند الغنماء ، وأهل الفنة .

(شَاهِدٌ ^(٢) ومَشْهُودٌ) : يحتمل الشاهد أن يكون من الشهادة على الأمر ، أو يكون من معنى الحضور ، وحذف المفعول ؛ وتقديره مشهود عليه ، أو مشهود به ، أو مشهود فيه .

وقد اضطرب الناس في تفسير الشاهد والشهود اضطراباً عظيماً ؛ ويتلخص من أقوالهم في الشاهد ستة عشر قولاً ، يقابلها في الشهود اثنان وثلاثون قولاً :

قيل الشاهد هو الله تعالى ، لقوله ^(٣) : « وكفى بالله شهيداً » . والشهود على هذا يحتمل ثلاثة أقوال : أحدها أن يكون المخلق ، بمعنى أنه يشهد فيه ، أى يحضر لحساب الجزاء ، أو تقع فيه الشهادة على الناس .
وقيل إن الشاهد محمد صلى الله عليه وسلم لقوله ^(٤) : « ويكون الرسول عليكم شهيداً » . والشهود على هذا يحتمل أن يكون أمة ؛ لأنه يشهد عليهم ، أو أفعالهم ؛ لأنه يشهد بها ؛ أو يوم القيامة ؛ لأنه يشهد فيه ؛ أى يحضر ؛ أو تقع فيه الشهادة على الأمة .

وقيل الشاهد أمة محمد صلى الله عليه وسلم لقوله ^(٥) : « وتكونوا شهداء على الناس » . والشهود على هذا مائر الأمم ؛ لأنهم يشهدون عليهم ، أو أفعالهم ، أو يوم القيامة .

وقيل الشاهد عيسى عليه السلام ، والشهود أمته ؛ لقوله ^(١) : « وكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً مَا دُمْتُ فِيهِمْ » . أو أعمالهم ، أو يوم القيامة .

وقيل إن الشاهد جميع الأنبياء ، والشهود [٢٦٩] أممهم ؛ لأن كل نبي يشهد على أمته ، أو يشهد بأعمالهم ، أو يوم القيامة لأنه يشهد فيه .

وقيل إن الشاهد الملائكة الحنظلة . والشهود على هذا أعمال الناس ؛ لأن الملائكة يشهدون بها ، أو يوم القيامة ، أو صلاة الصبح ؛ لقوله ^(٢) : « إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُوداً » .

وقيل إن الشاهد جميع الناس ؛ لأنهم يشهدون يوم القيامة ؛ لقوله ^(٣) : « وَذَلِكَ يَوْمَ مَشْهُودٍ » .

وقيل : الشاهد الجوارح ، والشهود عليه أصحابها ، لقوله ^(٤) : « يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ ... » الآية ؛ أو الأعمال ؛ لأن الجوارح تشهد بها ، أو يوم القيامة لأن الشهادة تقع فيه .

وقيل الشاهد الله والملائكة وأولو العلم ، لقوله تعالى ^(٥) : « شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ » . والشهود به الوجدانية .

وقيل الشاهد جميع المخلوقات . والشهود به وجودُ خالقها ، وإثباتُ صفاتها من الحياة والقدرة وغير ذلك .

وقيل الشاهد النجم ؛ لما ورد في الحديث : لا صلاةَ بعد العصر حتى يطلعَ الشاهد ، وهو النجم . والشهود على هذا الليل والنهار ؛ لأن النجم يشهد بانقضاء النهار ودخول الليل .

(٣) هود : ٣

(٢) الإسراء : ٧٨

(١) المائدة : ١١٧

(٥) آل عمران : ١٨

(٤) النور : ٢٤

(٢٨٩ - في إيجاز القرآن)

وقيل الشاهد الحَجَرُ الأسود . والمشهود الناس الذين يحبون ؛ وقيل صلى الله عليه وسلم : الشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم عرفة ؛ وذلك لأن يوم الجمعة يشهد بالأعمال ، ويوم عرفة يشهد بجمع عظيم من الناس .

وقيل الشاهد يوم عرفة . والمشهود يوم النحر .

وقيل الشاهد يوم التَّروِيَةِ . والمشهود يوم عرفة .

وقيل الشاهد يوم الاثنين . والمشهود يوم الجمعة .

(شَفَع) : يعنى ثنى ؛ وأما قوله تعالى^(١) : « وَالشَّفْعَ وَالْوَتْرَ » فقد كثرت فيه الأقاويل . وفى الحديث إن الشفع يوم النحر ، والوتر يوم عرفة ؛ وذلك لأن يوم النحر عاشر ، فَدَدُهُ شَفْعٌ ، ويوم عرفة تاسع ، فَدَدُهُ وَتْرٌ .

وروى عنه عليه السلام أنها الصلوات ؛ منها^(٢) شَفْعٌ ووتر . وقيل الشفع التنقل بالصلاة مثنى مثنى ، والوتر : الركعة الواحدة المعروفة . وقيل الشفع : العالم ، والوتر الله ؛ لأنه واحد . وقيل الشفع آدم وحواء ، والوتر الله تعالى . وقيل الشفع الصفا والمروة ، والوتر البيت الحرام . وقيل الشفع أبواب الجنة لأنها ثمانية ، والوتر أبواب النار ؛ لأنها سبعة ، وقيل الشفع قرآن^(٣) الحج والوتر إفراجه . وقيل المراد الأعداد منها شَفْعٌ ووتر ؛ فهذه عشرة أقوال . وقيل الشفع الصلوات ، والوتر المغرب . وقيل الشفع رجب وشعبان ، والوتر رمضان . وقيل الشفع صفات الخلق كالعجز والقُدرة ، والعلم والجهل ، والبر والقبح . وقيل الشفع ما يتكرر من القرائن ؛ كالصلاة ، والصوم . والوتر : ما لا يتكرر .

(١) النحر : ٣

(٢) الشفع : خلاف الوتر ، وهو الزوج . وعرفت الركعة جعلتها ثنتين .

(٣) قرن بين الحج والعمرة : جمع بينهما لأن الإحرام ، والاسم القران .

وقرىء الوتر بفتح الواو وكسر ها ، وهما لفتان .

(شُرْعاً)^(١) ، بضم الشين : ظاهرة قَرِيْبَةٌ مِنْهُمْ . يقال شرع منا فلان ، إذا دنا ؛ وقصَّتْهُمْ أن الله تعالى أكرم موسى عليه السلام يوم السبت ، وأمره أن يأمر بنى إسرائيل بتعطيله ، ولا يشغلوا بشيء من أحوال الدنيا ، وكانت بلدة يقال لها أَيْلَة ، وكان أهلها صيادين بصطادون السمك ، فأرسل الله تعالى إليهم داود عليه السلام ، وأمره أن يمنع الصيادين عن صَيْدِ السمك في يوم السبت ، وأباح لهم في سائر الأيام ، فبلغ داود عليه السلام رسالة ربه ، فلم يقبل اليهود ، فابتلام الله تعالى ، فـكَانَتْ تَدْخُلُ سَمَكُ جَمِيعِ الْبَحْرِ فِي يَوْمِ السَّبْتِ ، ولا تَدْخُلُ فِي سَائِرِ الْأَيَّامِ سَمَكَةٌ قَطْ ، فَوَقَعَ الْقَحْطُ وَالْفَلَاءُ ، وَسَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجُوعَ ، فَاضْطَرُّوا فَخَمَرُوا حَيَاضاً وَأَنْهَاراً ، وَأَسَالُوا الْمَاءَ مِنَ الْأَنْهَارِ فِي الْحَيَاضِ يَوْمَ السَّبْتِ ، فَإِذَا رَأَوْا امْتَلَأَ الْحَيَاضُ أَنْقَرُوا شِبَاكَهُمْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ بَعْدَ الْعَصْرِ ، وَأَخْرَجُوهَا يَوْمَ الْأَحَدِ ، فَيَأْكُلُونَ وَيَبْعَثُونَ ؛ فَنَصَحَهُمُ الْمَلَاءُ وَالْحُكَمَاءُ الزَّهَادُ بِالسَّكْفِ عَنْ صَيْدِهِمْ ، فَلَمْ يَمْتَنِعُوا [١٢٧٠] . فَلَمَّا لَمْ يَسْمَعُوا مَوَاعِظَهُمْ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ كَيْ لَا يَعَاقِبُوا مَعْهُمْ ، فَلَمَّا أَرَادَ اللَّهُ عِقَابَهُمْ بَعْدَ إِمْهَالِهِمْ سَتَيْنِ أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ رَسُولاً لِيَنْصَحَهُمْ وَيُعْظِمَهُمْ ، فَلَمْ يَتَعَطَّلُوا ، فَيَوْمَئِذٍ دَخَلَ الْمَاءُ فِي الْبَلَدِ فَلَمْ يَرَوْا فِيهَا أَحَدًا مِنَ [النَّاسِ] ^(٢) ، فَفَتَحُوا أَبْوَابَ الْبُيُوتِ ، وَدَخَلُوا فَرَأَوْا الذِّكُورَ وَالْإِنَاثَ كُلَّهُمْ قَدْ مَسَخُوا قَرَدَةً ؛ قَالَ تَعَالَى ^(٣) : « فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ ... » .

الآية ، والإشارة فيه كَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ : مَنْ احْتَالَ فِي صَيْدِ السَّمَكِ جَزَاؤُهُ أَنْ أَحْوَلَ صُورَتَهُ قَرَدَةً ، فَكَيْفَ بِنِ احْتَالٍ فِي تَحْلِيلِ مَا حَرَّمَ مِنْ خَمْرٍ وَرِبَا ؛

(٢) مكانها يياض بالأصلين .

(١) الأهراف : ١٦٣

(٣) الأنعام : ١٤٤

أفلا يخاف من تحويل صورته وإن رفع الله مَسْخَ الظاهر بركة سيدنا ومولانا محمد الطاهر ؛ فإن مَسْخَ البواطن معلوم كما هو مشاهد في الشرط والجلاوزة^(١) وشبههم ؛ تراهم طول يومهم يروعون الناس ، وينضبون في وجعهم ؛ فهؤلاء مُسخوا على صورة الكلاب ، ومنهم على صورة الخنازير ؛ وهم أهل القدرة والبلادة ، وهكذا تتبع بنظر كصفة كل شخص في خدته تستدل بذلك على مسخ قلبه ما هو . وقد يبقى متعيراً لا مَسْخَ في قلبه ، إلا أن قلبه قد مات ؛ وقد أخرج بذلك الصادق الصدوق في قوله : يأتي على الناس زمان يموت فيه قلب المرء كما يموت بدنه ، أو كما قال صلى الله عليه وسلم : لأن القلب إذا لم يبق فيه تلك الحرارة الغريزية حتى ينفق مصلحته فهو ميت ، وقد يكون موته حقيقياً . والله أعلم .

والقدرة صالحة أن يكون حسياً أو معنوياً ؛ فإنه إذا لم يتنعم بقلبه في النوع الذي أريد منه ، وتوالت عليه الشهوات حتى لا يرى إلا هي ، فذلك موته ؛ لأن الفائدة التي في حياة القلب معدومة منه ؛ ولذلك شبه صلى الله عليه وسلم التذكر به بالحى ، والفاقل بالميت ؛ واحتمل أن يكون موته حسياً حيث شاء الله كما يبس عضو من أعضاء الشخص مثل يده أو رجله أو غيره من الجوارح ، وبقي بدنه صحيح القدرة صالح .

وقد ذكر بعض شراح البخارى عن بعض من سمع الحديث : أما يخشى الذى يرفع رأسه قبل الإمام في الصلاة أن يقول الله رأسه رأس حمار ! فاستهزأه ، ورفع رأسه امتحاناً بما صح عن الصادق الصدوق ؛ فقول الله رأسه رأس حمار ، وصار عجباً ينظر إليه .

فإن قلت : قد صح أنه صلى الله عليه وسلم أمان من المسخ ، فكيف يسخ هذا ؟ وما معنى الحديث ؟

فالجواب : أن معناه تحويل بعض الأجزاء من الإنسان لا مسخه كله ، وهبك أنه مسخ كله فهو أمان في الغالب وفي جميع الأمة ، وأما في بعض الأفراد فممكن والله أعلم . وإذا تأملت إخبار الله لرسوله في أصحاب السبت في مواضع تجد ذلك تحريضا وتأكيذا لنهي عن ارتكاب ما حرم الله ورسوله ، أولها قوله ^(١) : « إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ » . « وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدُوا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ » . « أَوْ نَذَرْنَهُمْ ^(٢) كَمَا آتَيْنَا أَصْحَابَ السَّبْتِ » . « قُلْنَا ^(٣) لَهُمْ : لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ » . « وَاسْأَلْنَهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ ، إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرْعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ » .

وافترقت بنو إسرائيل ثلاث فرق : فرقة عصت بالعيد يوم السبت ، وفرقة نهت عن ذلك واعتزلت ، وفرقة سكنت واعتزلت ولم تنه ولم تقص ؛ وإن هذه الفرقة لما رأت مهاجرة الناهية وطمئنان العاصية قالوا للفرقة الناهية : لم تعطلون فوما يريد الله أن يهلكهم أو يعذبهم ؟ قالت الناهية : نهام مطرة إلى الله ، ولعلهم يشقون ؛ فهلكت الفرقة العاصية ، ونجت الناهية ، واختلاف في الثالثة ؛ هل هلكت لسكوتها أو نجت لاعتزالها وتركتها المصيان ؟

فانظر يا محمدي ، كيف يكون حالك لولا أن الله من عليك بنبي كريم شفع لك وفبك ، كما قال صلى الله عليه وسلم : حياتي خير لكم ومماتي خير لكم ؛

(٣) النساء : ٤٢

(٢) البقرة : ٦٥

(٥) الأعراف : ١٦٣

(١) النحل : ١٢٤

(٤) النساء : ١٥٤

أما حياتي فأسنُّ لكم وأُشرع لكم الشرائع ، وأما عاني فإن ذنوبكم تُعرَّضُ عليّ ، فما كان منها شيئاً استغفرتُ اللهُ لكم ، فأكثرُ [٢٧٠ب] من الصلاة عليه صلى الله عليه وعلى آله في كل وقت وحين .

(شَقَّةٌ ^(١)) : أى طريق ومسافة .

(شُعُوبٌ ^(٢)) : جمع شعب بفتح الشين ، وهو أعظم من القبيلة ، ونحوه القبيلة ، ثم البطن ، ثم الفخذ ، ثم الفصيلة ؛ وهم القرابة الأذنون ؛ فضرور ربيعة وأمثالها شعوب ، وقريش قبيلة ، وبنو عبد مناف ، وبنو هاشم فخذ - ويقال يأسكان الخلاء فرقاً بينه وبين الجارحة ، وبنو عبد المطلب فصيلة . وقيل الشعوب فى المعجم والقبائل فى العرب ، والأسباط فى بنى إسرائيل .

(شَوَاطِ ^(٣)) : لخب نار وقرىء بكسر الشين ، وهما لغتان .

(شُهَبٌ ^(٤)) : جمع شهاب ، وهو كل متوقد مضى .

فإن قلت : ما فائدة تكريره فى سورة الجن ^(٥) فى موضع واحد ؟ والجواب : أنه كرره لاختلاف اللفظ ، ووصف الحرس بالشديد ، وهو مفرد ؛ لأنه يحتمل أن يُرَبَّدَ به الملائكة الحراس أو النجوم الحارسة .
(شَيْثٌ) : ولد آدم عليه السلام .

(شَيْبَا) ، وهو فى اللغة الأبيض الرأس ، وقوله تعالى : « ^(٦) لا شَيْبَةَ » ، أى لا لون فيها غير الصفرة ، وهو من وشى ، قهَّؤه واو محذوفة كمدة .

(شِقَاقٌ ^(٧)) : عداوة وقصد الخفاقة وقد قدسنا أن تكبير العزة والشقاق للدلالة على شدتهما ونفاقهم الكفار فيهما .

(١) التوبة (٤٢) : ولما كن بدت عليهم الشقة . (٢) المجرات (١٣) : جمعها .
(٣) الرحمن : ٣٥ (٤) فى الجن (٨ ، ٩) : حرساً عديداً وشهباء فمن يستقم الآن يجد شهاباً رصداً . (٥) البقرة : ٧١ (٦) من : ٢

- (شِرْعَة^(١)) ؛ أى شريعة يتبعونها ، وقد استدل بها من قبل إن شريعة من قبلنا فى القروع ليست شرعا لنا . وقيل الشريعة معناها ابتداء الطريق .
- (شِيْعًا^(٢)) : جمع شيعة ، أى متفرقين ، كل فرقة تنشيع لذهبها .
- وقوله^(٣) : « فى شِيْع الأولين » ؛ أى أمم الأولين .
- (شِقْ^(٤) الأنفس) ؛ أى مشقتها .
- (شِرْذِمَة^(٥)) ؛ أى طائفة من الناس ، وفى هذا احتقار لهم ، على أن قدمنا أنهم كانوا ستمائة ألف ، ولكن جنود فرعون أكثر منهم بكثير .
- (شِرْب^(٦)) : نصيب .
- (شِيْعَتَه^(٧)) : أعوانه ، مأخوذ من الشيع ، وهو الخطب الصغار الذى يُشعل به النار ويمين الخطب الكبار على اتقاد النار . وقيل الشيعة الأتباع من قولهم : شاعك كذا وكذا إذا اتبعك .
- (شِعْرَى^(٨)) : نجم فى السماء ، ويسمى كلب الخير ، وهما شعروبان : القميصاء ، والمعبور . وقد قدمنا تخصيصهما بالذكر لعمارة بعض العرب لهما .

(٢) الأنعام ٦٥ ، ١٥٩ ، والفص ٤ ، والروم ٢٣

(٥) الشعراء : ٥٤

(٤) النحل : ٧

(٦) الشعراء ١٥٥ ، والقمر : ٢٨ (٧) الفص ١٥ ، والصفات : ٨٣

(١) المائدة : ٤٨

(٣) الحجر : ١٠

(٨) النجم : ٤٩

حرف الهاء

(هارون^(١)) : شقيق موسى . وقبل لأمة قطعاً ، حكاهما السكرماني في عجائبه .
كان أطول منه ، فصيحاً جداً ، مات قبل موسى ، وكان ولده قبله بسنة . وفي بعض
أحاديث الإسراء : صعدت فيه إلى السماء الخامسة ، فإذا أبا بهارون ونصف لحيته
بيضاء ونصفها أسود ، تسكاد لحيته تضرب سرته من طولها . فقالت : يا جبريل ،
مَنْ هذا ؟ قال : المحب في قومه هارون بن عمران . وذاكر ابن مسكويه أن معنى
هارون بالبرانية المحب .

وقال ابن عباس : إنما سمي موسى لأنه ألقى بين شجر وماء ، فلما بالقبضية
مؤ ، والشجر سا . وفي الصحيح أنه وصفه بآدم طوال .

فإن قلت : ما فائدة لقياء الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ؟ وهل كان لقاء
لأرواحهم ؟ أو للأجساد مع الأرواح ؟

فالجواب أن الله أمرى بأجسادهم ليراهم صلى الله عليه وسلم ، ويؤمن
بهم ، ويتشرفون برؤيته . ولما رأوا فضله وتَعْظِيمَه في كتبهم طلبوا من الله أن
يُريهم وجهه الكريم ، ولما طلب موسى وعيسى أن يكونا من أمته .

(هود) : له معنيان : بمعنى اليهود ، ومنه : « كانوا^(٢) هُوداً » ، وهاد يهود
في اللغة إذا تاب . «^(٣) والَّذِينَ هَادُوا » ، أي تهودوا ، وصاروا يهوداً ، من قوله :
«^(٤) هَذَا إِلَيْكَ » .

(١) البقرة : ٢٤٨ ، وغيرهما . (٢) البقرة : ١١١ . (٣) البقرة : ١٢٢

(٤) الأعراف : ١٥٦

وهود : اسمُ نبي قَوْم عاد ، كان أشبهَ الناس بآدم . وقال ابن مسعود :
كان رجلاً جليلاً . أخرجه في السندرك . وقال ابن هشام : اسمه عار بن أرغند
ابن سام بن نوح . وقال غيره : اراجح أنه هود بن عبد الله بن رباح بن داود
ابن عاد بن عوص بن آدم بن سام بن نوح . قال الجواليقي^(١) : هود : اليهود ،
أعجمي . وحكى شيلة وغيره أن معنى « هُدنا إليك » مُبِيناً إليك - بالبرانية .
(هُدَى^(٢)) ، بالهاء مفتوحة وإسكان الدال : ما يُهْدَى إلى الكعبة من
البهائم ، واحده هَدَى وهَدْيَة .

(هاجروا^(٣)) : تركوا بلادهم وأموالهم حَبَافاً ورسوله . وفي الحديث :
المهاجِرُ مَنْ هَجَرَ ما نهى الله عنه .

(هار^(٤)) : مقلوب من هار ، أى ساقط ، يقال هار البناء وانهار
وتَهَوَّر : سقط .

(هَمَّت^(٥) طائفةٌ منهم أن يُغْلِثُوا) : هم الذين جاءوا إلى النبي صلى الله عليه
وسلم [أن يُبَرِّثُوا]^(٦) ابن الأبيرق من السرقة ؛ وهذه الآيات وإن كانت إنما
نزلت بسبب سرقة لبعض الأنصار فهي أيضاً تتضمن أحكاماً غيرها .

(هَمَيْتُكَ^(٧)) ، أى هَلَمَّ بالنبطية . وقال الحسن : هي بالسريانية . وقال
عكرمة : بالخورانية . وقال أبو زيد الأنصاري : هي بالبرانية ، وأصلها هيتلح ؛
أى تعاله . وقرئ بفتح الهاء وضماً وكسرها . والذي في ذلك كله واحد ،
وحركة التاء للبناء .

(١) الحرب : ٢٥٠ : أعجمي عرب . (٢) البقرة : ١٩٦ ، وغيرها
(٣) البقرة : ٢١٨ ، وغيرها . (٤) التوبة : ١٠٩ (٥) النساء : ١١٣
(٦) مكن ما بين القوسين ياء في الأصلين . (٧) يوسف : ٢٣

وأما من قرأ بالهمز فهو فعل من تهيات ؛ كقولك : جئت .

لما قالت له علم أنا لك وأنت لي ؛ قتل لما يوحف : أنت زوجك وأنا ربى .
وكذلك أنت يا محلى يدعى إبليس أمك له ليدخلك معه في النار ، فيقول :
تعال ، أنت للنار وهو العزيز الجبار ، فليك بشكر مولاك ، والرجوع إليه ،
ليكون لك ؛ ألا ترى زليخا غلقت الأبواب كلها عليه لتصيب الخلوة معه ،
فكنك أنت غلق الملائق كلها من قلبك لتسكن له خاصة ، ولا يقدر إبليس
على الدخول فيه ؛ لأنه لا يدخل إلا بما ليس فيه حب المولى ١ وأما البيت
الذى هو مشغوف بمخالته ، فكيف يدخل فيه ، والله يقول : « إن^(١) عبادى
ليس لك عليهم سلطان » . وقال : « لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى
تستأنسوا » . ولا تنتر بحب ولى أو عالم ، وتطمع أن يشفع فيك أحد ؛ فإن
سيد الأولين والآخرين لم يقدر على هداية أحدهم أو أحد من خلقه ؛ فكيف
بخيره ؟ وإذا كنت معه سبحانه فلا يقدر إبليس على إغوائك .

(وهم بها) : الصمير زليخا ؛ وقد أكثر الناس الكلام في هذه الآية وألقوا
فيها تواليف ، فلا تأخذ منها ما ذكره بعضهم من حل تسكته وقصوده بين رجايتها
وغيره ؛ بل هم بها إنما كانت خطرة له ولم يعزم ، بل أقنع في الحال حتى يحاها
من قلبه كما رأى برهان ربه .

وقد قلنا أن البرهان كان أنه رأى في الحائط مكتوب : « ولا^(٢) تقرّبوا
لبنى » . وقيل تكلم صبي في المهد : يا يوسف ، إن الله مطلع عليك وإن لم
نره . وقيل : رأى صورة يعقوب على الجدار عائدا على أقالمه من الغضب . وقيل :

إن زليخا شرّت صنّاً لها بدياج ، فقال لها يوسف : لم فعلت هذا ؟ قالت : أنا أستحي منه . قال : أنت تستحين من صنم لا عقل له ، فكيف لا أستحي أنا من خلقى أو قيل غير هذا . والصحيح أن الله عصمه من الخالفة ، واستغفر مما خطر له من الهم ، فكتبت له حسنة .

ويقال : إن ثلاثة من الأنبياء رأوا ثلاثة أشياء ، فازداد لهم بها ثلاثة : أولهم إبراهيم رأى ملكوت السموات والأرض فازداد له يقينا . ويوسف رأى برهان ربه فازداد عصمة . ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم أراه الله الإسراء فازداد به رؤية المولى . قال تعالى : « ما كذب القواد ما رأى ^(١) » .

(^(٢) هذا الله يزعمهم) : أى بدعواهم وقولهم من غير دليل ولا شرع . وأكثر ما يقال الزعم فى الكذب . وقرئ : يضم الزاى وفتحها ، وهما لغتان . قال السهيلي : هم من خولان يقال لهم الأديم كانوا يحملون من زردتهم وغارم ومن أنعامهم نصيبا فـ نصيبا لأصنامهم .

(هواء ^(٣)) - بالك : منخرمة لا تبى شيئا من شدة الجزع ، فشبهها بالهواء فى تفرغه من الأشياء . ومحمّل أن يريد اضطربة فى صدرهم ، وقد قدمنا قول ^(٤) الزمخشري أن البيانين محموله استعارة ، وإنه إشارة إلى ذهاب أقدتهم وعدم انضاعهم بها .

وهوى النفس .. بالقصر : ما تحبه وتميل إليه . ومنه : « ونهى النفس عن الهوى ^(٥) » . والقول بكسر الواو فى الماضى وفتحها فى المضارع . وهوى

(١) التجم : ١١ (٢) الأنعام : ١٤٦ (٣) إبراهيم : ٤٣

(٤) الكشاف : ١ - ٨٠ (٥) التازعات : ٤٠

يَهْوَى ، بالفتح في الماضي والكسر في المضارع : وقع من علو . ويقال أيضاً بمعنى البيل . ومنه : « أَفْتَدَى^(١) » من الناس يَهْوِي إِلَيْهِمْ . والهواء ، بالد والهمز : ما بين السماء والأرض .

(هَوَلًا^(٢)) وهؤلاء من عَظَاءِ رَبِّكَ) : الإشارة إلى الفريقين المتقدمين .
والعطاء : هو رزق الدنيا . وقيل : من الطاعات لمن أراد الآخرة ، ومن المعاصي لمن أراد الدنيا . والأول أظهر .

(هَشِيًا^(٣)) : متفتتا ، ومنه سمي الرجل ٢٧١ ب (هاشما .
(هَدَاً^(٤)) ؛ أى إهداما وحقوقا إلى أسفل ، وهو قمر جهنم .
(هَدَى^(٥)) ؛ أى هَدَى خَلْقَهُ إلى التوصل إلى العلم والهداية ، فضلا
منه وإحسانا .

(هَمْسًا^(٦)) : هو الصوت الخفي ، ويعنى به صوت الأقدام إلى الخشر .
(هَضًا^(٧)) ؛ أى بَخْسًا ونَقْصًا لحسناته ، يقال هَضَمَهُ واحتضمه ، إذا
نقصه حقه .

(هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ) : تمجيز لهم ، وهو من هَاتَى يُهَاتَى ، ولم يُنطق به .
وقيل : أصله أتوا ، وأبدل من الهمزة هاء .
(هَذَا ذِكْرٌ مَنْ مَعِيَ وَذِكْرٌ مَنْ قَبْلِي) : ردٌّ على المشركين . والمعنى
هذا الكتاب الذى مَعِيَ والكتب التى من قبل ليس فيها ما يقتضى الإشراك
بأنه تعالى ؛ بل كلها متفقة على التوحيد .

(١) إبراهيم : ٣٧	(٢) الإسراء : ٢٠	(٣) الكهف : ٤٥
(٤) مريم : ٩٠	(٥) البقرة : ١٤٣ ، وغيرها .	(٦) طه : ١٠٨
(٧) طه : ١١٢	(٨) البقرة : ١١١ ، وغيرها	(٩) الأنبياء : ٢٤

(هذا^(١)) الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ وَهُمْ بِذِكْرِ الرَّحْمَنِ هُمْ كَافِرُونَ) : لما كان الذكر بمدح وبذم ذكروا أن إبراهيم يذكر آلهتهم بالدم ، دلت على ذلك قرينة الحال ؛ وهم بذكر الرحمن في موضع الحال ؛ أى كيف ينكرون ذمك لآلهتهم وهم يكفرون بالرحمن ؛ فهو أحق باللامعة . وقيل : معنى يَذْكُرُ الرحمن تسمية بهذا الاسم ، لأنهم أنكروها ، والأول أغرق في غلالهم .

(هذه^(٢) أُمَّتُكُمْ) ؛ أى مِلَّتُكُمْ مِلَّةً واحدة ، وهذا خطاب للناس كافة أو المعاصرين لرسول الله صلى الله عليه وسلم .
(هَامِدَةٌ^(٣)) : يعنى لا ثبات معها .

(قَهْرَاتِ^(٤) الشَّيَاطِينِ) : يعنى حركاتهم ونزغاتهم . وقيل جنونهم .
والأول أعم .

(هَبَاءٌ^(٥)) : هى الأجرام التى لا تظهر إلا حين تدخل الشمس على موضع ضيق كالكوّة . وقد قدمنا أنه النور المتفرق^(٦) ، ومنه : « هَبَاءٌ مَّخْبِيَةٌ^(٧) » ؛ وهو ما سطع بين من بك الخيل ، من الهبوة ، وهى الغبار .
(هَوْنًا^(٨)) : رُؤْيَا ، يعنى أنهم يمشون محلم ووقار . وبمحتل أن يكون وصف أخلاقهم فى جميع أحوالهم ؛ وعبر بالشئ على الأرض عن جميع تصرفهم وحياتهم .

(هَضِيمٌ^(٩)) ؛ أى لين رطب . يعنى أن طلعها ينثر ويرطب .

(١) الأنبياء : ٣٦ (٢) الأنبياء : ٩٢ (٣) الحج : ٥

(٤) المؤمنون : ٩٧ (٥) الفرقان : ٢٣ ، الواقعة : ٦

(٦) فى القرآن : قال مجاهد : الهباء هو الشئ الذى يكون فى الكوّة كهيئة الغبار .

(٧) الواقعة : ٦ (٨) الفرقان : ٦٣ (٩) الشعراء : ١٤٨

(هؤلاء) (١) الذين أغويتم : الإشارة إلى أتباعهم من الضعفاء .

فإن قلت : كيف الجمع بين قولهم : «أغويتم» وبين قولهم : «(١) تبرأنا إليك» ، فإنهم اعترفوا بإغوائهم وتبرؤوا مع ذلك منهم ؟

فالجواب أن إغواءهم لهم هو قولهم لهم بالشرك . والمعنى إنا حملناهم على الشرك كما حملنا أنفسنا عليه ، ولكن لم يكونوا يعبدهم ؛ وإنما كان يعبدون غيرهم من الأصنام وغيرها ، فبرأنا إليك عن عبادتهم لها ؛ فتعقل من كلام هؤلاء الرؤساء أنهم اعترفوا أنهم أغووا الضعفاء وتبرؤوا من أن يكونوا هم آلهتهم ؛ فلا تناقض في الكلام . وقد قيل في الآية غير هذا مما هو تكلف بعيد .

(هل) (٢) لكم فيما ملكت أيمانكم) : هذا مثل مضروب ، معناه أنكم أيها الناس لا يشاركم عبيدكم في أموالكم ، ولا يسمونكم في أحوالكم ، فكذلك الله لا يشاركه عبيده في ملكه ، ولا يماثله أحد في ربوبيته . فذكر حرف الاستفهام ، ومعناه التقرير على النفي ، ودخل فيه قوله (٢) : « فأنتم فيه سواء تخافونهم كخيفتكم أنفسكم » ؛ أي لستم فيه سواء مع عبيدكم ، ولستم تخافونهم كما تخافون الأحرار مثلكم ، لأن العبيد عندكم أقل من ذلك .

(هلم) (٣) إلينا) هذا من قول المناهين الذين قعدوا بالمدينة عن الجهاد ، كانوا يقولون لقرايتهم وأخلائهم من المنافقين : هلم إلى المجلس معنا بالمدينة وترك القتال .

(هل) (٤) ينظرون إلا تأويله) ؛ أي عاقبة أمره وما يؤول إليه من ظهور ما نطق من الوعد والوعيد .

(١) «أَتَاكَ نَبَأُ الْخَلَصِ» : جاءت هذه القصة بلفظ الاستفهام تنبيها للمخاطب ودلالة على أنها من الأخبار العجيبة التي ينبغي أن يلقى البال لها .

(٢) «أَخِي لَهُ نِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَجَّةً» : هذا من حكاية كلام أحد الخالصين . والأخوة هن أخوة الدين . ومنه الحديث : إذا ضرب أحدكم أخاه فليجنب الوجه .

والنَجَّةُ تقعُ في اللغة على أشي بقر الوحش ، وعلى أشي الضأن ؛ وهي هنا عبارة عن المرأة ، وكأنه لم يُرد الإنصاح بقصة داود مع امرأة أوريا ، وإنما ضرب له المثل لينتبه . « هذا » ذكر الإشارة إلى ما تقدم في هذه السورة من ذكر الأنبياء وقيل الإشارة إلى القرآن بجملة .

والأول أظهر ، فكان قوله « هذا » ذكر ختام الكلام المتقدم ، ثم شرع بعده في كلام آخر كما يتم المؤلف بابا ثم يقول هذا باب ، ثم يشرع في آخر .

(هذا ، وإن (٣) للطاغين لشر مآب) تقديره : الأمر هذا . لما تم ذكر أهل الجنة غشقه بقوله : هذا ، ثم ابتداء وصف أهل النار ، ويعنى بالطاغين الكفار .

(هذا (٤) فليذوقوه حميم) : هذا مبتدأ وخبره حميم ، وفليذوقوه اعتراض بينهما .

(حل (٥) هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرُرٍ أَوْ أَرْلَانِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُنْشِكَاتُ رَحْمَتِي) : هذه الآية تدل على رحمانية الله تُؤدُّ على المشركين في عبادتهم الأصنام .

(١) ص : ٢٦ (٢) ص : ٢٤ (٣) ص : ٥٥ (٤) ص : ٥٧

(٥) الزمر : ٢٨

وسَيَّبِيهَا أَنَّهُمْ خَوَّفُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْهَا فَنَزَلَتِ الْآيَةُ مَبِينَةً أَنَّهُمْ لَا قُدْرَةَ لَهُمْ .

فَإِنْ قُلْتَ : كَيْفَ قَالَ كَاشِفَاتِ وَمُتَمَسِّكَاتِ بِالتَّائِيثِ ؟

فَاجْلُوبِ : أَنَّهَا لَا تَمُوتُ فَعَامَلَهَا مُعَامَلَةَ الْمَوْتِ . وَأَيُّضًا فَقَدْ تَأَيَّسَتْ بِمُغِيرِهَا وَتَهَكُّمِ بَنِي عَبْدِهَا .

(هَذِهِ ^(١) أَبْنَاءُ) : هُوَ قَوْلُ الْوَلِيدِ بْنِ الْخَيْرِ ، وَانْكَرَ بِقَوْلِهِ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ تَفَضَّلَ عَلَيْهِ . وَهَذَا إِنْكَارُ لُبِّثَ ، لِقَوْلِهِ بَعْدَهُ : « وَمَا ^(٢) أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً » . وَمَعْنَاهُ إِنَّ بَشْتِ عَلَى زَعْمِكُمْ عَلَى الْجَنَّةِ ، وَهَذَا تَخَرُّصٌ وَنَسْكَبٌ مِنَ الْوَلِيدِ .

(هَذِهِ الْأَنْهَارُ ^(٣) تَجْرِي مِنْ تَحْتِ) : هَذَا مِنْ قَوْلِ فِرْعَوْنَ ، وَبَعْنَى بِالْأَنْهَارِ الْخُلُجَانِ الْكِبَارِ الْخَارِجَةِ مِنْ تَحْتِ النَّيْلِ ، وَكَانَتْ تَجْرِي تَحْتَ قُصُورِهِ . وَقَدْ قَدِمْنَا أَنَّهَا أَنْهَارُ ^(٤) الْإِسْكَندَرِيَّةِ وَدِمِيَاطَ وَتَنْيِسَ ، وَطُولُونَ .

(هَذَا ^(٥) إِنْكَ قَدِيمٌ) : هَذَا مِنْ قَوْلِ مَنْ لَمْ يَهْتَدِ بِالْقُرْآنِ ، وَوَصَفُوهُ بِالْقَدِيمِ لِأَنَّهُ قَدْ قَبِلَ قَدِيمًا .

فَإِنْ قُلْتَ : كَيْفَ مِيلَ « فَيَقُولُونَ » فِي « إِذَا » وَهِيَ الْمَاضِي ، وَالْعَامِلُ مُسْتَعْبِلٌ ؟

فَاجْلُوبِ أَنَّ الْعَامِلَ فِي إِذَا مَحْذُوفٌ تَقْدِيرُهُ إِذَا لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ مِنْ عِبَادِهِمْ فَيَقُولُونَ ؛ قُلْ ^(٦) ذَلِكَ الزَّمَانُ خَرَى . وَيُظْهِرُ لِي أَنَّ إِذَا هُنَا بِمَعْنَى التَّحْلِيلِ فِي الْقُرْآنِ

(١) الْكَهْفُ : ٣٥ (٢) الْكَهْفُ : ٣٦ (٣) الزَّخْرَفُ : ٥٦
 (٤) فِي الْقُرْطُبِيِّ (١٦ - ١٨) : بِمَنْ أَنْهَارُ النَّيْلِ ، وَسُيَّطُهَا أَرْبَعَةٌ : نَهْرُ الْمَلِكِ ، وَنَهْرُ
 طُولُونَ ، وَنَهْرُ دِمِيَاطَ ، وَنَهْرُ تَنْيِسَ . (٥) الْأَحْقَافُ : ١١ (٦) الْكَشَافُ : ٢ - ٣٧٠

وفي كلام العرب ، ومنه : « ولن ^(١) يَنْفَعَكُم الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ » .

(هل ^(٢) عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ) :
خاطب بهذا الناقلين المذكورين ، وخرج من النية إلى الخطاب ، ليكون أبلغ
في التوبيخ ، ومعناها هل يُتَوَقَّعُ منكم إفساد في الأرض ، وقطع الأرحام . إن
توليتهم ؛ أي صرَّيتم ولايةً على الناس ، وصار الأمر لكم ؛ وعلى هذا قيل : إنها
زات في بني أمية . وقيل معناه : عرضتم عن الإسلام .

(ها أنتم ^(٣) هؤلاء) : منصوب على التخصيص ، أو منادى : ناداهم إلى الإيمان
بالله والإتيان في سبيله .

(هذا ^(٤) ما لدى عَتِيد) : قد قدمناه من قول القرين ؛ ومعناه هذا
الإنسان حاضر لدى قد اعتدته وبسرتة لجهنم .

(هل ^(٥) مِنْ مَزِيد) : اختلف هل تشككهم جهنم بهذا ، أو مجاز بلسان الحال .
والأظهر أنه حقيقة ؛ وذلك على الله يسير ، ومعنى طلب زيادتها أنها لم تَحْتَلِ .
وقيل معناه لا مزيد ؛ أي ليس عندي موضع الزيادة ؛ فهي على هذا قد امتلأت .
والأول أظهر وأرجح ، لما ورد في الحديث : لا تزال جهنم يُلْقَى فيها وتقول : هل
من مزيد حتى يضع الجبار فيها قدمه ؛ أي خلقاً سماه القدم ، أو قدرته ؛ لأن
الجراحة تستحيل في حق الله سبحانه . وقيل : إن الخطاب من خزنتها . والمزيد محتمل
أن يكون مصدرًا كالحيض ، أو اسم مفعول ؛ فإن كان مصدرًا فوزته مفعول ،
وإن كان اسم مفعول فوزته مفعول .

(هذا ^(٦) ما تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ) : هذا من كلام الله يحتمل أن

(١) الزخرف : ٢٩ (٢) ٢٢ : ٤٤ (٣) ٣٨ : ٤٤ (٤) ٢٣ : ٢٣

(٥) ٣٠ : ٣٠ (٦) ٢٢ : ٢٢

يقوله لاهل الجنة عند إزلافيها^(١) ، كما قال في الآية الأخرى : وهذا^(٢) يومكم
الذي كنتم تُوعِدُونَ . ويحتمل أن يكون خطابا لهذه الأمة .

والأواب الحفيظ : هو الذي يتثل أمر الله ، وينرك نواحيه .

(هل^(٣) أذاك حديث ضيف إبراهيم المكرميين) : المراد بهذا الاستفهام
التضخيم والتهويل ؛ ووصفهم بالمكرميين لأن الملائكة مكرمون ، أو لأنه خدمهم
بنفسه أو أخذهم امرأته .

(هذا^(٤) نذير من النذر الأولى) : قد قدمنا أن الإشارة إلى النبي صلى الله
عليه وسلم في حرف النون .

(همّاز^(٥)) : هو الذي [٢٧٢ ب] يسبب الناس . وأصل الهمز الفم . وقيل
لبعض العرب : الفارة تهمز ؟ فقال : السنور يهمزها .

(هل^(٦) ترى لهم من باقية) ، أى من بقية . وقيل : من فئة باقية . وقيل :
إنه مصدر بمعنى البقاء .

(هاؤم^(٧) اقرءوا كتابيه) : هاؤم اسم فعل . قال ابن عطية : تعالوا . وقال
الزمخشري^(٨) : هو صوت يُفهم منه معنى خذ . وكتابه مفعول يطلبه هاؤم ،
واقرءوا من طريق المعنى ، تقديره هاؤم كتابي اقرءوا كتابي ، ثم حذف الأول
لدلالة الأخير عليه ، وعمل فيه العامل الثاني ، وهو اقرءوا عند البصريين . والعامل
الأول وهو هاؤم عند الكوفيين . والدليل على صحة قول البصريين أنه لو أعمل
الأول لقال اقرءوه . والهاء في كتابيه للوقف ، وكذلك في حسانيه ، وماليه ،

(١) في الآية (٣١) قبلها : وأزانت الجنة للنفين غير بعيد . (٢) الأنبياء : ١٠٣

(٣) القاريات : ٢٤ (٤) النجم : ٥٦ (٥) القلم : ١١ (٦) الحالة : ٨

(٧) الحالة : ١٩ (٨) الكتاب : ٨٦، ٢

وملطانيه ؛ وكان الأصل أن تسقط في الوصل لكنها ثبتت فيه مراعاة لخط المصحف . وقد استعملها في الوصل بعضهم . ومعنى الآية أن العبد الذي يُعطي كتابه يمينه يقول للناس : أقرءوا كتابي على وجه الاستبشار والسرور بكتابه .

(هـ) (١) عن سُلطانيه) : هذا من قول الشقي ، يقول : زال عني ملكي وقُدْرَتِي حين يعاينُ العذابَ . وقيل : ذهبت عني حُجَّتِي . ومنه قوله (٢) : « ما أقرَّلَ اللهُ بها من سُلطان » .

(هـ) (٢) (هَلُوعاً) : قد فسره ، وهو قوله : « إذا مَسَّهُ الشرُّ جزُوعاً ، وإذا مَسَّهُ الخيرُ منُوعاً » . وذكر الله ذلك على وَجْهِ القَدَم لهذا الخلق ، ولعلك استأني منه المصلِّين ؛ لأن صلواتهم تَحُضُّهُمْ على قلة الاكتراث بالدنيا ، فلا يجزعون من شَرِّها ولا ييخلون بخيرها .

(هـ) (٣) (هَزَل) : لعب ولهو ، يعني أن هذا القرآن جدُّ كَلِّه لا هَزَل فيه .

(هـ) (٤) (هُدًى) ، بضم الهاء : لاصبة وعشرون وجهاً :

بمعنى الثبات : « اهْدِنَا (٦) الصراطَ المستقيم » . والبيان : « أولئك (٧) على هُدًى من ربهم » . والدين : « إنَّ (٨) الهدى هُدًى الله » . والإيمان : « ويزيد (٩) الله الذين اهتدوا هدى » . والدعاء : « ولسكل (١٠) قوم هاد » . وجعلناهم (١١) أئمةً يَهْتَدُونَ بأمرنا » . وبمعنى الرسل والكتاب : « فإمَّا (١٢) بِأَتَيْنَكُم مِّنْ هُدًى » . والعرقة : « وبالنجم (١٣) هم يَهْتَدُونَ » . والنبي صلى الله

(١) المائدة : ٢٩ (٢) يوسف : ٤٠ (٣) الخارج : ١٩

(٤) الطارق (١٤) : وما هو بالهزل . (٥) آل عمران : ٤٤ وخيرها .

(٦) النافذة : ٦ (٧) لقمان : ٥ (٨) آل عمران : ٧٣ (٩) مريم : ٧٦

(١٠) الرعد : ٧ (١١) الأنبياء : ٧٣ (١٢) طه : ١٢٣ (١٣) النحل : ١٦

عليه وسلم : « إن^(١) الذين يكتمون ما أزلنا من البينات والهدى . وبمعنى القرآن^(٢) : « ولقد جاءهم من ربهم الهدى » . والتوراة : « ولقد^(٣) آتينا موسى الهدى » . والاسترجاع^(٤) : « أولئك هم الأمم قَدُونَ » . والحجة : «^(٥) ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم » . ثم قال بعده : « والله^(٦) لا يَهْدِي الْقَوَّةَ الظَّالِمِينَ » ، أى لا يهديهم حجة . والتوحيد : « تتبع^(٧) الهدى معك تتخطف من أرضنا » . والسنة : « فبهذا هم^(٨) اقتدوا » . « وإنا^(٩) على آثارهم مُنْتَدُونَ » . والإصلاح « أن^(١٠) الله لا يهدي كَيْدَ الْخَائِنِينَ » . والإلهام : « وأعطى^(١١) كلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى » ، أى أَلْهَمَ الْمَعَاشَ . والتوبة : « إنا هَدَيْنَا^(١٢) إِبْرَاهِيمَ » . والإرشاد : « أن^(١٣) يَهْدِنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ » .

(هون^(١٤)) : هَوَانٌ وَذِلَّةٌ .

(هجر^(١٥)) : من الهجران . وبمعنى التَّهْجَرُ أَيْضًا ، وهو خُشُّ الْكَلَامِ ، وقد

يقال في هذا أَهْجَرَ بِالْأَلْفِ .

(مُنَّ^(١٦) نَجْوَى) الإشارة إلى الذين لا يؤمنون بالآخرة ، يعنى أنهم جماعة يَنْتَاجُونَ ، فأخبر الله أنه يعلم ما يفتنسون به .

(هنالك^(١٧) الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقُّ) : ظرفٌ يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الْعَامِلُ فِيهِ مُتَّصِرًا ،

أو يَكُونُ فِي مَوْضِعِ خَيْرِ الْوَلَايَةِ ، وهى بكسر الواو بمعنى الرياسة والملك ، وفتحها من الموالاة والمودة .

(هَدُوا^(١٨) إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ) : هو لا إله إلا الله محمد رسول الله ، واللفظ

(١) البقرة : ١٥٩ (٢) النجم : ٢٣ (٣) غافر : ٢٣ (٤) البقرة : ١٥٧

(٥) البقرة : ٢٥٨ (٦) القصص : ٤٧ (٧) الأنعام : ٩٠ (٨) الزخرف : ٢٢

(٩) يوسف : ٥٢ (١٠) طه : ٥٠ (١١) الأنعام : ١١٦ (١٢) الكهف : ١١٦

(١٣) القصص : ٢٢ (١٤) الأنعام : ٩٣ ، الأنعام : ٢٠ (١٥) الزمل : ٩٠

(١٦) الإسماء : ٤٧ (١٧) الكهف : ١١٦ (١٨) الحج : ٢١

أعمُّ من ذلك ، « وصراط الحميد » : صراط الله ؛ فالحميد : اسم الله . ومحمّل أن يريد الصراط الحميد ، وأضاف الصفة إلى الموصوف ، كقوله : مسجد الجامع .

(هو^(١) أذن) ، أى يسمع كل ما يقال له ويصدقّه ، وكانوا يؤذّون بهذا القول سيدنا ومولانا محمداً صلى الله عليه وسلم .

(همزة^(٢)) : هو على الجملة الذى يعيبُ الناس ويأكل أعراضهم ، واشتقاقه من الهمز واللمز ، وصيغة فُعْلة للبالغة . واختلف في الفرق بين السكتين ، قيل : الهمز في الحضور ، واللمز في الغيبة ، وقيل بالعكس . وقيل الهمز بالعين واليد ، واللمز باللسان . وقيل هما سواء .

ونزلت السورة في الأخنس بن شريق ؛ لأنه كان كثير الوقعة في الناس ؛ ولفظها مع ذلك على الصوم في كلِّ مَنْ اتصف بهذه الصفات .

(الماء) : اسم ضمير غائب يستعمل في الجر والنصب ، نحو^(٣) : « قال له صاحبه وهو يحاوره » .

وحرف للنية ، وهو اللاحق لإيتاء . واسكت ، نحو : « ما هيبة^(٤) » . « كِتَابِيَّة^(٥) » . « حَيَايَةِ^(٦) » . « مَالِيَةِ^(٧) » . « سُلْطَانِيَّة^(٨) » . « لَمْ يَنْتَسِهْ^(٩) » . وقرئ بهاءى أو اخرها أى الجمع ، كما تقدم وثقنا .

(ها) : زِدْ اسمَ فلٍ بمعنى خذ ، ويجوز مد^(١٠) ألفه فيتصرف حينئذ للمثنى والجمع ، نحو^(١١) : « هاؤم اقرءوا كتابيه » . وأثما ضمير المؤنث ؛ نحو « قَالَهُمَا^(١٢) فَبُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا » .

(١) التوبة : ٦١ (٢) همزة : ١ (٣) الكهف : ٣٧ (٤) القارعة : ١٠
(٥) الحاقة : ٢٥ (٦) الحاقة : ٢٦ (٧) الحاقة : ٢٨ (٨) الحاقة : ٢٩
(٩) البقرة : ٢٥٩ (١٠) ف : ١ : حنف . (١١) الحاقة : ٢٥ (١٢) الشمس : ٨

وحرف تنبيه، فتدخل على^(١) الإشارة ؛ نحو هؤلاء ، هاذان خضمان . هاهنا .
وعلى ضمير الرفع ؛ نحو : « هاء أتم أولاء » . وعلى نعت أى فى النداء ؛ نحو :
يا أيها الناس . ويجوز فى لغة أسد حذف ألف هذه وضمها إتباعا ، وعليه قراءة :
« (٢) أَيْهِ الثقلان » .

(هات) : فعل أمر لا يتعريف ، ومن ثم ادّعى بعضهم أنه اسم فعل .
(هل) : حرف استفهام يُطلب به التصديق دون التصوّر ، ولا يدخل على
منفّى ولا شرط ، ولا أن ، ولا اسم بعده فعل غالبا ، ولا عاطف .
قال ابن سيده : ولا يكون الفعل معها إلا مستقبلا ، وردّ بقوله : « (٣) فهل
وجدتُم ما وعد ربُّكم حقّا » .

وترد بمعنى « قد » ، وبه فُسر : « هل^(٤) أتى على الإنسان » .
وبمعنى النفي ، نحو : « هل^(٥) جزاءُ الإحسانِ إلا الإحسان » . وقد قدمنا
فى مسألى الاستفهام مباحث غير هذا .

(هائم) : دعاء إلى الشيء ؛ وفيه قولان :
أحدهما أن أصله « ها ولم » من قولك : لمتُ الشيء ، أى أصلحته ، فحذفت
الألف وركب . وقيل أصله هل أم ، كأنه قيل : هل لك فى كذا ، أمه ؛ أى
اقصده فركبا . ولغة الحجاز تركه على حاله فى التثنية والجمع ، وبها ورد القرآن ،
ولغة تميم إلحاقه^(٦) العلامة .

(هنا) : اسم يُشار به للمكان القريب ؛ نحو^(٧) : « إنا هاهنا قاعدون » .

(١) فى الإنفاق : وعلى ضمير الرفع المخبر عنه بإشارة . (٢) الرحمن : ٣١
(٣) الأعراف : ٤٤ (٤) الإنسان : ١ (٥) الرحمن : ٦٠
(٦) فى الإنفاق : إلحاقه بالعلامات . (٧) المائدة : ٢٤

وتدخل عليه اللام والكاف فيكون لبيد؛ نحو: «هناك»^(١) ابتلى
المؤمنون. وقد يشاربه للزمان انشاعا، وخُرج عليه^(٢): «هناك» تَبْلُو كل نفس
ما أسلفت. «هناك»^(٣) دعاء كَرِيَّارَبِهِ.

(هَيْت^(٤)): اسم فعل بمعنى أسرع وبأدْر؛ قاله^(٥) في المذهب.

(هِيَّات): اسم فاعل بمعنى بَعْد؛ قال تعالى^(٦): «هِيَّات هِيَّات لِّا
تُوْعَدُونَ»، أنبأ لما تُوْعَدُونَ؛ قاله الزجاج. قيل: وهذا غلط أوقعه فيه اللام،
فإن تقديره بَعْد الأمر لما تُوْعَدُونَ؛ أي لأجله.

وأحسن منه أن اللام لتبيين الفاعل، وفيها لغات؛ قرئ منها بالفتح، وبالفهم
وبالخفض مع التنوين في الثلاثة وعلمه.

(١) الأحزاب ١١ (٢) يونس: ٣٠ (٣) آل عمران: ٣٨ (٤) يوصف: ٢٣
(٥) المذهب: ١ - ٣٣٧ (٦) التؤنوت: ٣٦

حرف الواو

(وَيْلٌ) : كلمة شرّ ، وقد قدمنا معناها ؛ قال الأصمى : « وِيلٌ » كلمة قبيح
وَوَيْسٌ استعفار ، وَوَيْجٌ ترحم .

(واسع^(١)) : جواد لما يسأل . ويقال الواسع المحيط بعلم كل شيء ، كما قال
« وَسِعَتْ^(٢) كُلُّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا » . ووسع يسع سعة من الاتساع ، ضد
الضيق ، ومُوسِعٌ^(٣) : غنى ؛ أي واسع الحال ، وهو ضد القتر^(٤) « وإِنَّا أَوْسِيْمُونَ » .
قيل أغنياء . وقيل قادرون . وإلا وسعها^(٥) : طاقتها .

(وَدَّ) يود : له معنيان : من المودة والمحبة ، وبمعنى التمتي ؛ نحو : « وَدَّ^(٦) »
كثير من أهل الكتاب^(٧) . « وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ » . والود بالضم : المحبة .
وقد قدمنا أنه اسم صنم عبيد من دون الله .

(وَبَطَأُ^(٨)) : الوسط من كل شيء ؛ خيارُهُ ، وكيف لا تكون هذه الأمة
خياراً وهم يشهدون يوم القيامة للأنبياء بإبلاغ الرسالة إلى أممهم .
فإن قلت : لم آخر المجرور في هذه الآية^(٩) : « شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ » ، وقدمه
في قوله : « عَلَيْكُمْ^(٨) شُهَدَاءُ » ؟

فالجواب أن تقديم المصولات يفيد الحضر ؛ قدمه لاختصاص شهادة النبي
صلى الله عليه وسلم بأمة ، ولم يقدمه في الأمة لأنه لم يقصد الحضر .

فإن قلت : هل الأمة يشهدون كلهم ؛ برهم وفاجرهم ، أو لا يشهد إلا لمن
هو أهل لذلك ؟

(١) البقرة : ١١٥ (٢) غافر : ٧ (٣) البقرة (٢٣٦) : على الموسع قدره .
(٤) التاريات : ٤٧ (٥) البقرة : ٢٢٣ ، وغيرها . (٦) البقرة : ١٠٩
(٧) النساء : ٨٩ (٨) البقرة : ١٤٣

والجواب أن لفظ الآية عام ، لكن الذى يظهر من لفظ الآية أنه لا يشهد إلا العدل ، فلا يشهد منها إلا خيارها ، والحكم هناك كالحكم هنا ، وقد قال : « مَن ^(١) تَرْضَوْنَ من الشهداء » . وأيضا قد ذكر فى حديث قوم نوح أنهم يقولون : كيف يشهد علينا من لم يحضرنا ؟ فيقولون : يا ربنا ، أنزلت علينا كتابا فوجدنا فيه فصحتهم ، ثم يقرءون سورة نوح ؛ فهذا لا يكون جوابا إلا ممن له علم بالكتب ؛ وكثير من هذه الأمة [٢٧٣ب] لا يعلمون من الكتاب شيئا ، ومن طريق النظر من هذه الأمة إذ ذاك فى نوع من أنواع المذاب كيف يستشهدون ؟ وكيف تقبل لهم شهادة ؟ فإذا كان العالم الذى لا يخفى عليه شيء لا يَحْكُمُ بعله فيما بيننا فى ذلك اليوم ، فكيف بالغير ؟ فيا أخا البطالة والتلويث لنفسك ، انتبه ، الحاكم قد زكاك وأنت بما ارتكبت من قبيح الأوصاف تخرج نفسك ، وبذلك تفرح ، فقد خضت بحمار المهالك ، وعلى عَقَبِكَ من الخير نكصت ، أعلمك بهذه الرتبة الرفيعة لعلك تحافظ عليها فتكون ممن يشهد إذ ذاك ، فأعرضت عن الشهادة على غيرك ، وتعرضت لشهادة جوارحك عليك ! بش ما استبدلت !

وقد جاء أن أول من يُساقُ للحساب الذى العرشُ على كاهله والعرق يتهدد على جبينه ؛ فيقول الله له : ما صنعت بعهدي ؟ فيقول : يا رب ، بلغته جبريل ، فيؤتى بجبريل ، فيقول له الحق جل جلاله : هل بلغك إسرائيل عهدي ؟ فيقول : نعم ، فيخلى حينئذ عن إسرائيل ، ويسأل جبريل فيقول عز وجل له : ما صنعت فى عهدي ؟ فيقول : يا رب ، بلغته الرسل ؛ فيؤتى بالرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، فيقول لهم : هل بلغكم جبريل عهدي ؟ فيقولون :

نعم ، فحينئذ يخلى عن جبريل ؛ فأول مَنْ يسأل من الرسل نوح عليه السلام ، فيسكون من قصته ما ورد في الحديث - أنه يجاء بنوح عليه السلام ، فيقال له : هل بلغت ؟ فيقول : نعم يا رب ، فتسأل أمته : هل بلغتكم ؟ فيقولون : ما جاءنا من نذير . فيقال : مَنْ شهودك ؟ فيقول : محمد وأمه . قال صلى الله عليه وسلم : فيجاء بكم فتشهدون ؛ ثم قرأ صلى الله عليه وسلم : « وكذلك »^(١) جعلناكم أمة وسطا .

فإن قلت : يعارضنا هنا قوله صلى الله عليه وسلم : أول مَنْ يحاسب من يجوز على الصراط .

والجواب : أنه ليس بينهما تعارض ؛ لأن حساب الأمم على نوعين ؛ وبذلك يجمع الحديثان ، ولا يبقى بينهما تعارض ؛ وهو أن النوع الأول أن تسأل الأمم : بلغهم الرسل أم لا ؟ فهذا الذي يتقدم جميع الأمم على هذه الأمة ؛ لأنهم هم الشهود عليهم ؛ فلا بد من حضورهم إلى آخر الأمم .

والنوع الآخر هو سؤال الأمم كل شخص منهم منفردا عن عمله بمقتضى شريعته ؛ فهذا الذي تكون هذه الأمة أول مَنْ يحاسب . وسيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم شاهد ، كما قال تعالى : « وجئنا^(٢) بك على هؤلاء شهيدا » تقديره : كيف يكون الحال إذا جئنا بنبي يشهد على أمته بأعمالهم . ولما قرأها ابن مسعود على رسول الله صلى الله عليه وسلم ذرفت عيناها بالدموع ، وقال : حَسْبُكَ يَا بَنِي مَسْعُودٍ ؛ « وَلَا يَأْبَ الشَّهَادَةُ إِذَا مَا دُعُوا » ؛ أى لا يمتنعوا إذا دعوا إلى أداء الشهادة . وقد ورد تفسيره بذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم . واتفق العلماء على أن أداء الشهادة واجب إذا دُعِيَ إليها . وقيل : إذا دعوا

إلى تحصيل الشهادة وكتبتها . وقيل إلى الأمرين : « ولا تَسَامُوا^(١) » ؛ أى لا تَمَآوا من الكتابة إذا ترددت وكثرت ، سواء كان الحق صغيرا أو كبيرا ، ونصب صغيرا^(٢) على الحال .

(وأَشْهَدُوا^(٣) إذا تَبَايَعْتُمْ) : هذا أمر يُفهم منه الإشهاد ؛ وأهل الظاهر أوجبوه خلافا للجهمور . وذهب قوم إلى أنه منسوخ بقوله : « فَإِنْ^(٤) أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا » ، وذهب قوم إلى أنه على التلب .

(ولا يُضَارُّ^(٥) كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ) : بمحتمل أن يكون كاتب فاعلا على تقدير كسر الراء المدغمة من يضار . والمعنى على هذا سبى للكاتب والشهيد أن يضرا صاحب الحق ، أو الذى عليه الحق بالزيادة فيه أو القصدان منه والامتناع من الكتابة أو الشهادة .

ومحتمل أن يكون « كاتب » مفعولا لم يسم فاعله على تقدير فتح الراء المدغمة ، ويقوى ذلك قراءة عمر بن الخطاب : لا يضارر ، بالتفكيك وفتح الراء .

والمعنى النهى عن الإضرار بالكاتب والشهيد ، بإذائتهما بالقول أو بالفعل .
« وَإِنْ^(٦) تَفَعَّلُوا » ؛ أى وقسم فى الإضرار فإن فسوق حال بكم .
(والله^(٧) يُؤَيِّدُ بِنَفْسِهِ مَنْ يَشَاءُ) ، يعنى أَنَّ الصِّرَاطَ بِمَشِيئَةِ اللَّهِ لَا بِالْقَلَّةِ [٢٧٤] ولا بالكثرة ، فإن فئة المسلمين غلبت فئة الكافرين مع أنهم كانوا أكثر منهم .

(وَرْضَاوٍ مِنْ اللَّهِ أَكْبَرُ) ؛ أى من نعم الجنة حسبا ورد فى الحديث — أنه يقول لهم : تريدون شيئا أزيدكم ؟ فيقولون : قد أعطيتنا بُنْيَتَنَا ، فيقول : أزيدكم رضوانى فلا أسخط عليكم أبدا ، فلولا الرضوان لم يطب لهم نعيمها لتخوفهم من فراقها .

(١) البقرة : ٢٨٢ (٢) فى الآية نفسها : أن تكتبوه صغيرا أو كبيرا . .

(٣) البقرة : ٢٨٢ (٤) البقرة : ٢٨٢ (٥) آل عمران : ١٢ (٦) آل عمران ، آية ١٥

(وأبْرِئْهُ الْاُكَّةَ^(١)) والأبرصَ وأحْيِ الْوَتَى يَا ذَا اللّٰهِ وَأَنْبِئْكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ) : هذا من كلام عيسى . وروى أنهم كانوا يجمعون إليه الجماعة من العميان والبرصاء ، فيدعو لهم فيبرءون ، ويضرب بعصاه الميت أو القبر فيقوم الميت ويكلمه .

وروى أنه أحيا سام بن نوح ، وكان يقول : فلان أكلت كذا ، وادخرت في بيتك كذا .

(وَمُصَدِّقًا^(٢)) : عطف على رسولا : أو على موضع بآية من ربكم ؛ لأنه في موضع الحال ؛ وهو أحسن ؛ لأنه من جهة كلام عيسى على تقدير : جئتكم بآية : وجئتكم مصدقا ؛ ولأجل لكم عطف على بآية .

وكانوا قد حرّم عليهم النعم وتلحّم الإبل وأشياء من الحيتان والطيور ؛ فأحلّ لهم عيسى بعض ذلك .

(وَجِيهًا^(٣) في الدنيا والآخرة ...) إلى آخر الآيات : حال . « ويعلّمه^(٤) » معطوفة ؛ إذ التقدير ومعلّم الكتاب . ورسولا يضره فعل ، تقديره أرسل رسولا أو جاء رسولا .

(وما كان^(٥) من المشركين) : تنقّي للإشراك الذي هو عبادة الأوثان . ودخل في ذلك الإشراك الذي يتضمّنه دين اليهود والنصارى . (وأنا معكم^(٦) من الشاهدين) : تأكيد للعهد بشهادة الله جلّ جلاله . (وشهدوا^(٧)) عطف على إيمانهم ؛ لأن معناه بعد أن آمنوا . وقيل الواو للحال . وقال ابن عطية : عطف على كفروا ، والواو لا ترتب .

(١) آل عمران : ٤٩	(٢) آل عمران : ٥٠	(٣) آل عمران : ٤٥
(٤) آل عمران : ٤٨	(٥) آل عمران : ٦٧	(٦) آل عمران : ٨١
(٧) آل عمران : ٨٦		

(ولو افتدى^(١) به) : قبل هذه الواو زائدة . وقيل للمطف على محذوف ، كأنه قال : لن يقبل من أحدهم لو تصدق به ، ولو افتدى به . وقيل نفى أولا القبول جملة على الوجوه كلها ، ثم خص القدية بالنفس ، كقولك : أنا لا أفعل أصلا ولو رغبت إلى .

(ومن كفر) : عطف على « من »^(٢) استطاع ؛ أى من استطاع الوصول إلى مكة بصحة البدن إما راجلا وإما راكبا مع الزاد المباح والطريق الآمن ، أو الزاد والراحلة - فواجب عليه الحج . ومن لم يحج فقد كفر ، وعبر عنه بالكفر تغليظا ؛ كقوله صلى الله عليه وسلم : ومن ترك الصلاة فقد كفر ؛ فإن الله غنى عنه ، ولا يعود وبأل ذلك إلا عليه .

وفي الحديث : من مات ولم يحج ولم يحدث به نفسه مات على شعبة من النفاق . وقيل : إنما عبر بالكفر إشارة إلى من زعم أن الحج ليس بواجب .
(واعتصموا^(٣) بحبل الله جميعا ولا تفرقوا) : أى تمسكوا بحبل الله . وهو القرآن ، وقيل الجماعة ، ولا تفرقوا فتنقلا ؛ لأن الجماعة رحمة ، والفرقة عذاب ، ومن فارق الجماعة شبرا خلع ربة الإسلام من عنقه ؛ ولأجل الألفة والجماعة أمر الله باجتماع كل درب ومحلة في اليوم خمس مرات ، وفي الجمعة لأهل البلد حتى إنها لا تصبح إلا في العتيق في العيدين الكبير والصغير وفي عرفة لأهل الأرض كلهم ، كل ذلك ليجمع .

« وليعلم^(٤) » : متعلق بمحذوف تقديره : أصابكم ما أصاب لي علم ذلك علما ظاهرا لكم تقوم به الحجة عليكم ، ويتخذ منكم شهداء في قتلكم يوم أحد ، وليحضر الله المسلمين ؛ لأن إحالة الكفار عليهم تحييلهم ، ونعمر المؤمنين على الكفار هلاكهم .

(١) آل عمران : ٩١ (٢) آل عمران : ٩٢ (٣) آل عمران : ١٠٣

(٤) آل عمران : ١٤٠

(ولقد^(١) صدّقكم الله وعده) : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد وعد المسلمين عن الله بالنصر ، فنصرهم الله أولاً ، وانهزم المشركون ، وقتل منهم اثنتان وعشرون رجلاً ، « وعصيتهم » ؛ أى خالفتم ما أمرتهم به من الثبوت ، وجاءت المخاطبة فى هذا لجميع المؤمنين وإن كان الخالف بعضهم ، ووعظاً للجميع وسترأ على من فعل ذلك .

(ولقد^(٢) عفا عنكم) إعلام بأن الذنب كان يستحق أكثر مما نزل بهم من المزيمة ، لولا عفو الله عنهم ؛ فعناه لقد أتى عايكم . وارسول يدعوكم فى أخراكم ؛ أى كان يقول فى ساقهم : إلى عباد الله ؛ ففيه مدح له صلى الله عليه وسلم ، وعقب لهم ؛ لأن الأخرى هو موقف الأبطال ؛ وكيف [٢٧٤] لا وبه يتأنس الجيش ، ويؤمن من العدو ، وعاتبهم على عدم الوقوف معه .

(وطائفة^(٣) قد أعمتتهم أنفسهم) : هم المناهقون . كانوا خائفين من رجوع المشركين إليهم .

(وليبتلي^(٤) الله ما فى صدوركم) يتعلق بفعل ، تقديره : فعل بكم ذلك ليبتلى .

(ولئن^(٥) قتلتم فى سبيل الله ...) الآية : تخبر بأن مغفرة الله تعالى ورحمته تسم إذا قتلوا أو ماتوا فى سبيل الله خير لهم مما يجمعون من الدنيا .
(ولو كنتم^(٦) نظاً غليظاً القلب لا تقتضوا من حولك) : وصف الله رسوله باللين واللطاف لأصحابه ، لأنه صلى الله عليه وسلم كان لا يواجه أحداً بما يكره ، وقد أمره الله بالنظر على الكفار ؛ وبهذا وصف الله الصحابة بأنهم كانوا أشداء على الكفار ورحماء بينهم .

(وقيل لهم^(٧) : — ألوا قاتلوا فى سبيل الله أو ادنوا) من

(١) آل عمران ١٥٢ (٢) آل عمران ١٥٤ (٣) آل عمران ١٥٦
(٤) آل عمران ١٥٩ (٥) آل عمران ١٦٢

لطف الله بهذه الأمة أنه لم يبين الخالف لرسول الله صلى الله عليه وسلم من الموافق ؛ لأنه تعالى أراد السُّتر على عباده ؛ فأبشّر يا محمدى بما أنعم الله به عليك حيث ستر على عدوك .

والمراد بهذه الآية عبد الله بن أبي بن سلول ؛ لأنه لم يُرد الخروج إلى المشركين يوم أُحد ، فلما خرج صلى الله عليه وسلم غضب ، وقال : أطاعهم وعصاني ، فرجع ورجع معه نحو ثلاثمائة رجل ، ففشى في أثرهم عبد الله بن عمرو الأنصاري ، فقال : يا قوم ، ارجعوا وقاتلوا في سبيل الله ، « أو اذهبوا » يعني عن المسلمين إن لم تقاتلوا ؛ فقال له عبد الله بن أبي : « لو نعلم^(١) قتالا لا تبعناكم » .
(وَيَسْتَبِشِرُونَ^(٢) بِالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا بِهِمْ) : المعنى أنهم يفرحون بإخوانهم الذين بقوا في الدنيا من بعدهم ؛ لأنهم يرجون أن يشهدوا مثلهم ، فينالوا ما نالوا من الأمن وعدم الحزن .

وسبب نزول الآية أن جماعة من الصحابة استشهدوا فقال لهم الحق تعالى :
” تَمَنُّوا مَا تُرِيدُونَ “ ؛ فقالوا : الرجوع إلى الدنيا للشهادة في سبيلك ؛ فقال : سبق في أزمى أنه لا يرجع إلى الدنيا أحد ؛ فقالوا : أعلم إخواننا الذين بقوا فيها أنك رضيت عنا وأرضيتنا ؟

(وَلَا يَعْزُبُكَ^(٣) الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ) : الخطاب لنبينا صلى الله عليه وسلم ، سلاه الله بهذه الآية . والسارعون إلى الكفر المنافقون أو الكفار في مبادرتهم إلى أقوالهم وأفعالهم .

(وَقَتْلَهُمْ^(٤) الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ) : أمنت القتل إليهم مع أن آبائهم هم الذين

(١) آل عمران : ١٦٢ (٢) آل عمران : ١٧٠ (٣) آل عمران : ١٧٦

(٤) آل عمران : ١٨١

قتلوهم ، لكنهم رضوا بذلك ، وتبعوا من فعل ذلك منهم ؛ فهم شركاء ؛ لأن الراضى بالمعصية كفاعلها .

فإن قلت : ما فائدة تنكير الحق هنا ، وتعريفه في الآية الأولى (١) من البقرة ، ومعلوم أنه لم يقتل نبي بحق ؟

والجواب أنه عرفه لاجترأهم على قتلهم مع معرفتهم بأنه بغير حق ؛ ولعلك قرىء بالتشديد تعظيما للذنوب والشناعة للذي أتوه ؛ وإنما أباح الله تعالى من أباح منهم ، وسلط عليهم عدوه كرامة لهم ، وزيادة في منازلهم ؛ كقتل من يقتل في سبيل الله من المؤمنين ؛ قال ابن عباس وغيره : لم يقتل قط من الأنبياء إلا من لم يؤمر بقتال ؛ وأما من أسر بالقتل فإن الله نصره . وإنما عرّف الحق في البقرة إشارة إلى الحق الذي أخذ الله أن تقتل النفس به ، وهو قوله : « لا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق » ؛ فكان الأولى بالذكر ؛ لأنه من الله ، وما في هذه السورة نكرة ؛ لأنه في معتقدهم وتدينهم ، وكان هذا بالآخر أولى .

فإن قلت : المذكورون في الآيات الثلاث من بنى إسرائيل قد اجتمعوا في الكفر والاعتداء ، فما وجه اختصاص الآية بجمع التكسير فيما جمع في الآيتين جمع سلامة ؛ فبيل النسيين في الآيتين ، وقيل في هذه الآية الأخيرة الأنبياء مكسرا ؟

فالجواب أن جمع التكسير يشمل أولى العلم وغيرهم ، وجمع السلامة يختص في أصل الوضع بأولى العلم ، وإن وجد في غيرهم فيحكم الإلحاق والنشبه ، كقوله تعالى : « إني رأيت أحد عشر كوكبا .. » الآية ، وما يلحق

بهذا ، وإذا تقرر هذا نورد بجمع السلامة في قوله [١٢٧٥] في سورة البقرة : «وَيَقْتُلُونَ»^(١) النسيين بغير الحق ، مناسب من جهتين : إحداهما شرفُ الجمع لشرفِ المجموع . والثانية مناسبة زيادة المدِّ لزيادة أداة التعريف في لفظ الحق وأما الآية الأولى من سورة آل عمران فمثلُ الأولى في مناسبة الشرف ومناسبة زيادة المد للزيادة في الفعل العامل في اللفظ المجموع في قراءة مَنْ قرأ : ويقاتلون . ولما لم يكن في الآية الثالثة سوى شَرَفِ المجموع ، وكانت العرب تنسج في جموع التكسير فتوقِّعُها على أولى العلم وغيرهم أتى بالجمع هنا مكسرا لتحصل اللغتان ، حتى لا يبقى لمن يتحدث القرآن حجة ؛ إذ هم مخاطبون بما في لغاتهم ، فلا يقتصرون في شيء من خطابهم على أحد الجائزين دون الآخر إلا أن يتكرر ، فإذا ذلك يرد على وجه واحد مما يجوز فيه .

فأتم ما أجهلته ، فوف بوضوح لك به إذا استوفيته ما يُعِينُكَ على فهم الإعجاز .

(وأخْرِجُوا^(٢) مِّنْ دِيَارِهِمْ) : هذه الآيات في الذين آذاهم الكفار بمكة حتى خرجوا منها ، ولحقوا بالنبي صلى الله عليه وسلم ، وقاتلوا معه .

(وَأَنَّ^(٣) مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَنُؤْمِنَنَّ بِهِ ..) الآية : نزلت في النجاشي ملك الحبشة ، والجمهور أنها عامة في كل من أسلم من اليهود أو النصارى .

(وَجَهَنَّمَ^(٤) النَّارَ وَكُفِّرُوا آخِرَهُ) : هذه مقالة قوم من اليهود قالوها لإخوانهم ليخلصوا المسلمين فيقولوا : ما رجع هؤلاء عن دين الإسلام إلا عن علم .

(١) البقرة ٦١ (٢) آل عمران ١٩٥ (٣) آل عمران ١٩٩ (٤) آل عمران ٧٢
(م ٢١ - في إعجاز القرآن)

وقول السهيلي : إن هذه الطاقة هم عبد الله بن الضيف ، وعدى بن زيد ،
والخارث بن عوف .

(ولا تَقْتُلُوا (١) أَنْفُسَكُمْ) : أجمع المفسرون أن المعنى : لا يَقْتُلْ بَعْضُكُمْ
بَعْضًا ، وَلَقَدْ ظَهَرَ بِتَنَاوُلِ قَتْلِ الْإِنْسَانِ لِنَفْسِهِ ؛ وَقَدْ حَمَلَهَا عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ عَلَى ذَلِكَ ،
وَلَمْ يَنْسِكِرْهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا سَمِعَهُ ؛ وَكَوْنُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
دَلِيلٌ عَلَى صِحَّةِ قَوْلِهِ .

(وَمَنْ (٢) يَفْعَلْ ذَلِكَ) : إِشَارَةٌ إِلَى الْقَتْلِ ؛ لِأَنَّهُ أَقْرَبُ مَذْكُورٍ . وَقِيلَ
إِلَيْهِ وَإِلَى أَكْثَرِ الْمَالِ بِالْبَاطِلِ . وَقِيلَ إِلَى كُلِّ مَا تَقَدَّمَ مِنَ النِّهْيَاتِ مِنَ السُّورَةِ .

(وَلِكُلِّ (٣) جَعَلْنَا مَوَالِيَّ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ) : فِي مَعْنَى هَذِهِ
الآيَةِ وَجْهَانِ : أَحَدُهُمَا لِكُلِّ شَيْءٍ مِنَ الْأَمْوَالِ جَعَلْنَا مَوَالِيَّ يَرِثُونَهُ ، فِيمَا تَرَكَ
عَلَى هَذَا بَيَانٌ لِكُلِّ . وَالْآخَرُ لِكُلِّ أَحَدٍ جَعَلْنَا مَوَالِيَّ يَرِثُونَ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ
وَالْأَقْرَبُونَ ؛ فَمَا تَرَكَ عَلَى هَذَا يَتَلَقَّى بِفِعْلِ مُضَرٍّ ، وَالْمَوَالِي هُنَا : الْمَصِيبَةُ وَالْوَرِثَةُ .

(وَالَّذِينَ (٤) عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتَوْهُمْ نَصِيبَهُمْ) : اخْتَلَفَ ؛ هَلْ هِيَ مَنْسُوخَةٌ
أَوْ مُحْكَمَةٌ ؛ فَالَّذِينَ قَالُوا : إِنَّهَا مَنْسُوخَةٌ قَالُوا مَعْنَاهَا الْمِيرَاثُ بِالْحَلْفِ الَّذِي
كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ . وَقِيلَ بِالْمَوَازَاةِ لِتِلْكَ آخَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ
أَصْحَابِهِ ، ثُمَّ نَسَخَهَا (٥) وَأَوَّلُ الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ ، فَصَارَ الْمِيرَاثُ
لِلْأَقْرَبِ .

وَالَّذِينَ قَالُوا إِنَّهَا مُحْكَمَةٌ اخْتَلَفُوا ؛ فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : هِيَ فِي الْمَوَازَاةِ وَالنَّصْرَةِ
بِالْحَلْفِ لَا فِي الْمِيرَاثِ . وَقَالَ أَبُو حَنِيفَةَ : هِيَ فِي الْمِيرَاثِ ، وَإِنَّ الرَّجُلَيْنِ

(١) النساء : ٢٩ (٢) النساء : ٣٠ (٣) النساء : ٣٣
(٤) النساء : ٣٣ (٥) الأنفال : ٧٥

إذا والى أحدهما الآخر ، على أن يتوارثا صح ذلك وإن لم تسكن بينهما قرابة .
(وإذا^(١) حضر القسمة أولو القربى واليتامى والمساكين) : خطاب
للوارثين ، أمروا أن يتصدقوا من الميراث على قرابتهم ، وعلى اليتامى ؛ وقيل :
إن ذلك على الوجوب ، وقيل على الندب ؛ وهو الصحيح . وقيل نسخ بآية
الميراث .

فإن قلت : ما فائدة حذف « واكسوم » من هذه الآية وأثبتها
فيما قبل^(٢) ؟

والجواب : لأن المراد في الأولى التعبير إليه المال يارث ، ولا يحسن
القيام عليه ، فيجبر عليه ماله إبقاءً عليه ، ولا يمكن منه إلا بقدر ما يأكله
ويلبسه ، فالنهي إنما هو للأوصياء ، ونسبته المال إليهم مجاز بما لهم فيه من
التصرف والنظر . أما هذه الآية فليست في شأن أحوال السفهاء وحكمها ؛ وإنما
المراد بها المتقسمون لميراث ينحصرهم لا حق فيه لغيرهم ، فيحضر قريب فقير
ويقيم محتاج ، فتدبروا إلى التصديق عليهم والإحسان ، لا حق لهم ولا في المال ،
فن أين تلزم كسوتهم والتخصيص عليها ؛ إنما تدبروا إلى الإحسان إليهم فالتفوق
عما يخف [٢٧٥ ب] عليهم وبيع ذلك كسوتهم أو لم يبيع ، فافترق مقصود
الآيتين ، وجاء كل على ما يناسب .

(والصاحب^(٣) بالجانب) : ابن عباس : الرفيق في السفر . على بن
أبي طالب : الزوجة .

(وأولى^(٤) الأمر منكم) : هم الولاءة . وقيل العلماء . ونزلت في عبد الله

ابن حُذَافَةَ بعثه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم في مَرِيَّةَ .

(وإذا^(١) جاءهم أمرٌ من الأمنِ أو الخوفِ أذاعوا به) : قيل هم المناقون . وقيل قومٌ من ضغفاء المسلمين ؛ كانوا إذا بلغهم خبرٌ عن سرايا والجيوش وغير ذلك تسكلموا به وأشهروه قبل أن يعلموا صحتها ، وكان في إذاعتهم له مفيدة على المسلمين مع ما في ذلك من العجلة ، وقلة التثبت ؛ فانكر الله عليهم ذلك .

(وإن^(٢) كان من قومٍ بينكم وبينهم ميثاق) : معنى الآية أن المقتول خطأ إن كان قومه كفاراً معاهدين ، ففي قتله تحريرُ رقةٍ والديةُ إلى أهله لأجل معاهدتهم ، والمقتول على هذا مؤمن ؛ ولذلك قال مالك : لا كفارة في قتل الذي . وقيل : إن المقتول في هذه الآية كافر ، فلهذا تجبُ الكفارة في قتل الذي . وقيل : هي عامة في المؤمن والكافر ؛ واللفظُ مطلق إلا أنه قيده قوله : « وهو مؤمن » في الآية قبلها^(٣) . وقرأ الحسن هنا وهو مؤمن .

(وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ) ؛ أي يسألونك عما يجبُ عليهم في أمر النساء . « وما يُتلى عليكم » عطف على اسم الله ؛ أي يفتيكم الله ، والتلوُّ في الكتاب بمعنى القرآن .

(^(٤) وَالسُّتَضعِفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ) : عطف على يتامى النساء ؛ أي والذي يُتلى في المستضعفين من الولدان وهو قوله : بوحيكم الله في أولادكم ؛ لأن الحرب كانت لا تُورثُ البنات ، ولا الابن الصغير ؛ فأمر الله أن يأخذوا نصيبهم من الميراث .

(وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَى بِالْقِسْطِ) : عطف على المستضعفين ؛ أي والذي

(١) النساء : ٨٣ (٢) النساء : ٩٢ (٣) في الآية نفسها . (٤) النساء : ١٢٧

يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي أَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَى بِالْقِسْطِ . وَيَحْذَرُ أَنْ يَكُونَ مَنصُوبًا ، تَقْدِيرُهُ
وَيَأْمُرُكُمْ أَنْ تَقُومُوا ، وَالْخُطَابُ فِي ذَلِكَ لِلْأَوْلِيَاءِ وَالْأَوْصِيَاءِ وَالْقَضَاةِ وَشَبِيهِهِمْ ،
وَالَّذِي يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي ذَلِكَ هُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى : « إِنَّ^(١) الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ
الْيَتَامَى ظُلْمًا » . وَقَوْلُهُ^(٢) : « وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ » .

(وَالصُّلْحُ^(٣) خَيْرٌ) : لَفْظٌ عَامٌ يَدْخُلُ فِيهِ صُلْحُ الزَّوْجَيْنِ وَغَيْرِهَا . وَقِيلَ مَعْنَاهُ
صَلَحَ الزَّوْجَيْنِ خَيْرٌ مِنْ فِرَاقِهِمَا ؛ فَخَيْرٌ عَلَى هَذَا التَّفْضِيلِ ، وَاللَّامُ فِي
الصُّلْحِ لِلْمَهْدِ .

(^(٤) وَأَخْفِيتِ الْأَنْفُسَ الشَّحَّ) : مَعْنَاهُ أَنَّ الشَّحَّ جُلُّ حَاضِرٍ مَعَ النُّفُوسِ
لَا يَغِيبُ عَنْهَا ؛ لِأَنَّهَا جَبَلَتْ عَلَيْهِ ، وَالشَّحُّ هُوَ الْآلُ بِسَمَحِ الْإِنْسَانِ لِقَبْرِهِ بِشَيْءٍ مِنْ
حِفْظِ نَفْسِهِ . وَشَحَّ الْمَرْأَةُ مِنْ هَذَا هُوَ طَلَبُهَا لِحَقِّهَا مِنَ النِّفَقَةِ وَالِاسْتِمْتَاعِ .
وَشَحَّ الزَّوْجُ : هُوَ مَنَعَ الصَّدَاقَ أَوْ النَّضِيقَ فِي النِّفَقَةِ وَزَهَدَهُ فِي الْمَرْأَةِ لِكِبَرِ
سِنِهَا أَوْ قُبْحِ صُورَتِهَا .

(وَلَنْ^(٥) تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ) : مَعْنَاهُ الْقَوْلُ الْقَائِمُ
فِي الْأَقْوَالِ وَالْأَعْمَالِ وَالْحُبِّ وَغَيْرِ ذَلِكَ ، فَرَفَعَ اللَّهُ ذَلِكَ عَنْ عِبَادِهِ ؛ فَإِنَّهُمْ
لَا يَسْتَطِيعُونَهُ ، وَإِذَا كَانَ الصَّادِقُ الْمَعْدَّقُ يَعْدِلُ بَيْنَ نِسَائِهِ مَعَ أَنَّ اللَّهَ لَمْ يَأْمُرْهُ
بِذَلِكَ ؛ بَلْ كَانَ يَنْطَوِّعُ لِمَنْ بِذَلِكَ ، وَيَقُولُ : اللَّهُمَّ هَذَا قَلْبِي فِيمَا أَمْلَأُ فَلَا
تَوَاخِذْنِي فِيهَا لَا أَمْلَأُ ، يَعْنِي مِيلَهُ بِقَلْبِهِ ؛ وَالْأَمْرُ الْقَلْبِي مَرْفُوعٌ عَنِ الْحَرْجِ ، وَخُصُوصًا
لِلْمَحَسَنَةِ مِنْهُنَّ ؛ فَإِنَّ الْقُلُوبَ جُبَّتْ عَلَى حُبِّ مَنْ أَحَبَّنَ إِلَيْهَا وَكَرَاهَتِ مَنْ
أَسَاءَ إِلَيْهَا ، هَذَا أَمْرٌ جَلِيٌّ . وَقَدْ قَدِمْنَا أَنَّ الْحُبَّ يَتَوَارَثُ وَالْبُغْضُ يَتَوَارَثُ .
وَقِيلَ : إِنَّ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِي مِثْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقَلْبِهِ إِلَى عَائِشَةَ ، فَمَعْنَاهَا

على هذا اعتذار من الله تعالى عن عباده .

(وَلَوْ عَلَىٰ (١) أَنْفُسِكُمْ) : يتعلق بـ « شهداء » ، وشهادة الإنسان على نفسه هي إقراره بالحق ، ثم ذكر « الوالدين (٢) والأقربين » ، إذ هم مظنة التمسب والليل ، بإقامة الشهادة على الأجنيين من باب أخرى وأولى .

(وَإِنْ (٣) تَلَّوْا أَوْ تَعْرِضُوا) : قيل : إن الخطاب للحكام . وقيل للشهود ؛ واللفظ عام في الوجهين . والى : هو تحريف الكلام ، أى إن تَلَّوْا عن الحكم بالعدل ، أو عن الشهادة بالحق ، أو تعرضوا عن صاحب الحق ، أو عن الشهود له - فإنه خير بما تعملون .

وقرىء تَلَّوْا - بضم اللام من الولاية ، أى إن وليتم إقامة الشهادة أو [٢٧٦] أعرضتم عنها .

(وَإِنْ (٤) الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَنَشَكَّ مِنْهُ) : روى أنه لما وقع قتل المشبه بـ عيسى قالوا : إن كان هذا المقتول عيسى فأين صاحبنا ؟ وإن كان هذا صاحبنا فأين عيسى ؟ فاختلفوا ، فقال بعضهم : هو هو . وقال بعضهم : ليس هو ، فأجمعوا أن شخصا قتل ، واختلفوا مَنْ كان .

فإن قيل : كيف وصفهم بالشك ، ثم وصفهم بالظن ، وهو ترجيح أحد الاحتمالين ؟

فالجواب : أنهم كانوا على الشك ، ثم لاحت لهم أمارة فظنوا . وقد يقال الظن بمعنى الشك ، وبمعنى الوهم الذى هو أضعف من الشك .

(وَإِنْ (٥) مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ) : فى هذه

الآية تأويلان : أحدهما أن الضمير في موته لعيسى ، والمعنى إن كل أحد من أهل الكتاب يؤمن بعيسى حين ينزل إلى الأرض قبل أن يموت وتصير الأديان كلها حينئذ ديناً واحداً وهو دين الإسلام .

والثاني أن الضمير في موته للكتاب الذي تضمنه قوله : وإن من أهل الكتاب ، والتقدير وإن من أهل الكتاب أحد إلا ليؤمن بعيسى ويعلم أنه نبي ، قبل أن يموت هذا الإنسان ؛ وذلك حين معاينة الموت ، وهو إيمان لا ينفعه . وقد روى هذا المعنى عن ابن عباس وغيره .

وفي مصحف أبي بن كعب : قبل موتهم . وفي هذه القراءة تقوية للقول الثاني ؛ والضمير في به لعيسى على الوجهين . وقيل لمحمد صلى الله عليه وسلم . (ويصدّهم ^(١)) : يحتمل أن يكون بمعنى الإعراض ، فيكون « كثيراً » صفة لمصدر محذوف ، أي صدّاً كثيراً ، أو بمعنى صدّهم لغيرهم . فيكون كثيراً مفعولاً بالمصدر ؛ أي صدوا كثيراً من الناس عن سبيل الله .

(وكَلَّمَ ^(٢) الله موسى تكليماً) : تعريب بالكلام مؤكداً بالمصدر ، وذلك دليل على بطلان قول المعتزلة : إن الشجرة هي التي كلمت موسى . (ولا الملائكة ^(٣) المقربون) : فيه دليل لمن دل : إن الملائكة أفضل من الأنبياء ؛ لأن المعنى لن يستنكف عيسى ومن فوقه أن يكون عبد الله ؛ وفيه ردٌّ على من قال : إنهم أولاده .

(وما أكل السُّبع ^(٤)) ؛ أي أكل بعضه . والسبع : كل حيوان مفترس كالذئب والأسد والنمر والثعلب والعقاب والتمسك .

(١) النساء : ١٧٢

(٢) النساء : ١٦١

(٣) النساء : ١٦٠

(٤) المائدة : ٣

(وَسِيلَةٌ^(١)) : كل ما يُتَوَسَّلُ به من الأعمال الصالحة والدعاء وغير ذلك ،
ومنه : « أولئك^(٢) الذين يَدْعُونَ يَتَغَوَّنَ إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب » ؛
أي أولئك الآلهة الذين تَدْعُونَ من دون الله يتغنون القرابة إلى الله ، ويرجونه ،
ويخافونه ؛ فكيف تعبدونهم معهم ؟

وإعراب أولئك مبتدأ والذين يدعون صفة له ، ويتغنون خبره ، والتفاعل
في يدعون ضمير مكفّر ، وفي يتغنون للآلهة المعبودين . وقيل : إن الضمير في
يدعون ويتغنون للأنبياء المذكورين . وقيل في قوله : « ولقد^(٣) فضلنا بعض
النبيين على بعض » .

(وَلَا يَعْزُوكَ^(٤) الذين يُسَارِعُونَ في الكفر . . .) الآية . انظر كيف
سلى الله نبيه في مواضع من كتابه . وقرئ بفتح الياء وضم الزاي حيث وقع
مضارعاً من حزن الثلاثي ، وهو أشهر في اللغة من أحزن .

(وَإِذَا^(٥) جاءُوكُمْ قالوا آمَنَّا وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به) :
هم قوم من اليهود دخلوا كفاراً وخرجوا كفاراً ، ودخلت « قد » على خرجوا
ودخلوا ، تقريباً لما مضى من الحال ؛ أي ذلك حالهم في دخولهم وخروجهم
على الدوام .

(وَحَسِبُوا^(٦) ألا تكون فتنة) ؛ أي بلاء واختبار . وقرئ : تكون
بالرفع على أن تكون « أن » مخففة من التثنية ، وبالنصب على أنها مصدرية .
(وَلَتَجِدَنَّ^(٧) أفرئهم مودة . . .) الآية . إخبار بأن النصارى أقرب

(١) المائدة : ٣٥ : وابتنوا إليه الوسيلة . (٢) الإسراء : ٥٧
(٣) الإسراء : ٥٥ (٤) آل عمران : ١٧٦ (٥) المائدة : ٦١
(٦) المائدة : ٧١ (٧) المائدة : ٨٢

إلى مودة المسلمين؛ وهذا الأمر باقٍ إلى آخر الدهر، فكلُّ يهودي شديدُ
المدارة للإسلام وأهله؛ وكيف لا وهم الذين قالوا: «ليس^(١) علينا في الأميين
سبيل»، وأحبارهم يقولون لهم: قل بني العرب: مَنْ غشنا فليس منا،
فشوهم ثلاثاً تكونوا منهم.

واظر حكاية عبد الله بن عمر لما سافر معه اليهودي^٢، فوجد منه من النصيح
ما أشربه، فسأله ابن عمر عن هذه النصيحة وأنه لم يصدر منه في جانبه إلا
الودة؛ فقال له: كنت أمشي على [١٧٦ب] ظلك، لأنني لم أقدر لك على غيره
من النكاية؛ وقد شدَّد العلماء في خلطهم ومحبتهم، وكيف لا يشددون والله
يقول: «لا نجد^(٣) قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادُّون مَنْ حادَّ الله
ورسوله»، فصاحبة من حادَّ الله ورسوله تفضي إلى النار، نسأل الله السلامة.

(وكلوا^(٤)): جاء هذا الأمر بعد النهي عن الاعتداء في التشديد على
الأنفس رِقاً من الله بعباده، وخَصَّ الأكل بالذكر؛ لأنه أعظم حاجات
الإنسان.

(ومن^(٥) قتله منكم متعمداً): مفهوم الآية يقتضي أن جزاء الصيد
على التمسد لا على الناس؛ وبذلك قال أهل الظاهر. وقال جمهور الفقهاء: إن
التمسد والناس سواء في وجوب الجزاء، ثم اختلفوا في تأويل قوله: «متعمداً»
على ثلاثة أقوال: أحدها أن التمسد إنما ذكر ليناط به الوعيد الذي في قوله:
«ومن^(٦) عاد فينتقم الله منه»؛ إذ لا وعيد على الناس.

والثاني أن الجزاء على الناس بالقياس على التمسد.

(٣) المائة: ٨٨

(٤) المجادلة: ٢٧

(١) آل عمران: ٧٥

(٤) المائة: ٩٥

والثالث أن الجزاء على التعمد ثبت بالقرآن ، وأن الجزاء على الناسى ثبت بالسنة .

(وَبَالَ^(١) أَمْرِهِ) : عاقبة أمره من الشر والوَبَالَ وسوء العاقبة ؛ يقال : ماء وِيل وكَلَا وِيل ؛ أى وِيل لا يَسْتَمِرُّ أو تَضُرُّ عاقبته ، والوِيل والوخيم ضد المرى .

« وَطَعَامُهُ^(٢) » : الضمير عائد على البحر ، يعنى ما قَذَفَ به ؛ ولا يطقو عليه ؛ لأن ذلك طعام وليس بصيد ؛ قاله أبو بكر الصديق رضى الله عنه . وقال ابن عباس : طعامه : ما صلح منه .

(وَحُرْمٌ^(٣) عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا) : لما ذكر أن صيد البحر حلال ذكر هنا أن صيد البر لا يحل للمحرم تناوله .

(وَإِنْ^(٤) تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنْزَلُ الْقُرْآنُ تَبَيَّنَ لَكُمْ) : فيه معنى الوعيد على السؤال ، كأنه قال : لا تسألوا ، وإن سألتكم أبدي لكم ما يسوءكم . والمراد به « حين ينزل القرآن » زمان الوَحْي .

(وَلَكِنْ^(٥) الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ) ؛ أى يكذبون عليه بتحريم ما لم يحرم ، واخترعوا تحريمها من عندهم ؛ والذين لا يعقلون هم أتباعهم المقلدون لهم .

(وَلَا تَكُونَنَّ^(٦)) : الخطاب حينما وقع لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، أو يكون معطوفا على معنى « أمرت » فلا حذف ، وتقديره أمرت بالإسلام ونُهيته عن الشرك .

(وجعلنا^(١) على قلوبهم أكنةً أن يفقهوه وفي آذانهم وقراً.) : عبر بالأكنة والوقر مبالغة ، وهي استمارة ، يعني أن الله حال بينهم وبين فهم القرآن إذا استمعوه ، و « أن يفقهوه » في موضع مفعول من أجله ، تقديره كراهة أن يفقهوه .

(وم^(٢) يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وما يَشْعُرُونَ) : الضمير في « وم » للكفار ، و « عنه » يعود على القرآن . والمعنى أنهم ينهون الناس عن الإيمان به ، وينأون عنه بمعنى يبعدون .

وقبل الضمير في « عنه » يعود على النبي صلى الله عليه وسلم ؛ ومعنى ينهون عنه يبعدون الناس عن إذايته ، وم مع ذلك يبعدون عنه . والمراد بالآية على هذا أبو طالب ومن كان معه يحمي النبي صلى الله عليه وسلم وينصره بنفسه وماله ، ويتول له : لا تخف أحدا ، فإني أذبُ عنك بنفسى ومالى ، وهو القائل :

والله لن يصلوا إليك يجمعهم حتى أوسد في التراب دفيناً
فأنهض لأمرك ما عليك غضاضة وطب نفساً وفر منك عيونا

فبأن الله وإنا إليه راجعون ، نصر واستنصر ، ولم يجر بإيمانه القدر ، جىء بواحد من فلول ، وآخر من الحبشة ، وآخر من الروم ، وأبو طالب على الباب ؛ حرِّم الدخول ؛ اللهم لا مانع لما أعطيت ، وما معطى لما مننت ، ولا ينفع ذا الجَدِّ منك الجد .

(وذلك^(٣) القورُّ اللين) : الإشارة راجعة إلى صرف المذاب أو الرحة ؛

أى ذلك هو النجاة الظاهرة .

فإن قلت : ما فائدة حذف ضمير « هو » في آية الأنعام ؟

والجواب : أنه لم يتقدم فيها ما يستدعي إبرازه لما تقدمها من قوله تعالى : « إِنِّي أَخَافُ ^(١) إِنَّ عَصَيْتَ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ » . ثم أعقبه بقوله تعالى : « مَنْ يَصْرِفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ قَدَرِجْهُ » ، والمراد مَنْ يَصْرِفْ عَنْهُ الْعَذَابَ فِي الْآخِرَةِ قَدَرِجْهُ ، عطف عليه قوله : « وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ » ، وكأنَّ الكلامَ فِي قُوَّةِ [٢٧٧] قَدَرِجْهُ وَفَازَ ، كما في قوله : « قَنْ ^(٢) زُخْرِيحَ عَنِ النَّارِ وَأَدْخِلَ الْجَنَّةَ قَدَازَ » . والقاء هنا ، وفي قوله : « قَدَرِجْهُ » جواب الشرط . والقوز مسبب عن الرحمة ، فاكتمى بذكره في آية آل عمران ، وذكرهما في آية الأنعام ، فطغى عليه يَنَ ، ولم يتقدم من أدل السورة إلى هنا ما يتوهمه العاقل قَوْزًا ، فيتعرَّز منه بما يعطيه ضمير « هو » من المفهوم ، فلم يقع الضمير هنا .

(ومنهم ^(٣) مَنْ يَسْتَمِيعُ إِلَيْكَ) : الضمير عائد على الكفار ، وأفرد وهو فعل جماعة حملا على لفظ « مَنْ » ، و « الْأَكْثَرُ » ^(٤) : جمع كنان ، وهو الغطاء .
فإن قلت : ما معنى وروده هنا بالإفراد بخلاف آية يونس ^(٥) ؟

فالجواب : أن هذه الآية نزلت في أبي سفيان ، والمضر بن الحارث ، وعتبة ، وشيبة ، وأمية ، وأبي بن خلف ، فلم يكثرُوا كَثْرَةً مَنْ فِي سُورَةِ يُونُسَ ؛ لِأَنَّ الْمُرَادَ بِهِمْ جَمِيعُ الْكَافِرِ ، فحذف ما هنا مرة على لفظ « مَنْ » فَوَحَّدَ قَلْبَهُمْ ، ومرة على المعنى فجمع ، لأنهم وإن قَالُوا جَمَاعَةً ، وجمع ما في يونس ليوافق اللفظ المعنى .

(٣) الأنعام : ٢٥

(٢) آل عمران : ١٨٥

(١) الأنعام : ١٥

(٥) يونس : ١٢

(٤) الأنعام : ٢٥

(ولو تَرَى ^(١) إِذْ وَقِفُوا عَلَى النَّارِ ...) الآية : جواب لو محذوف ليكون أبغ ، لأن الخطاب يترك مع غاية تخيله . ووقفت « إذ » في موضع إذا التي هي لما يستقبل ؛ وجاز ذلك ؛ لأن الأمر المتيقن وقوعه يعبر عنه كما يعبر عن الماضي الوقوع . و « وَقِفُوا » معناه : حبسوا ، ولفظ هذا الفعل متعدياً وغير متعد سواء ، تقول : وقفت أنا ، ووقفت غيري . قال الزهراوى : وقد فُرق بينهما في المصدر ؛ ففي التعدى وقفت وقفاً ، وفي غير التعدى وقفت وقوفاً . ويحتمل أن يكون وقوفهم على النار دخولهم فيها ، ويحتمل إشرافهم عليها ومعاينتها .

فإن قلت : ما فائدة تكرير ^(٢) الوقوف .

فالجواب : لأهم أنكروا النار في القيامة ، وأنكروا جزاء الله ونكاه في النار ، فخم بقوله : « ^(٣) فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ » . وهذه استعارة بليغة ، والمعنى بأشروء مباشرة الدائق ؛ إذ هي من أشد المباشرات .
(وقالوا ^(٤) : إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ) : هذه الآية ابتداء كلام على تأويل الجمهور ، وإخبار عنهم بهذه المقالة لإنكارهم البعث الأخرى .

فإن قلت : ما فائدة إسقاط قولهم : « نُمُوتُ ^(٥) وَنَحْيَا » في هذه الآية ؟

والجواب : لأنها عند كثير من المفسرين متصلة بقوله : « وَلَوْ رُدُّوا ^(٦) لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ » . وقالوا : إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ

(١) الأنعام : ٢٧

(٢) في آية ٢٧ : ولو ترى إذ وقفوا على النار ... وفي آية ٣٠ : ولو ترى إذ وقفوا

على ربهم ... (٣) الأنعام : ٣٠ (٤) الأنعام : ٢٩

(٥) في سورة « المؤمنون » : إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ

(آية ٣٧) . (٦) الأنعام : ٢٨

بمبعوثين » ؛ ولم يقولوا ذلك بخلاف ما في سائر السور ؛ فإنهم قالوا ذلك ، فحكي الله عنهم .

(وما الحياة^(١) الدنيا إلا لعب ولهو) : هذا ابتداء خبر عن حال الدنيا ، واللعن لها إذا كانت فانية منقضية لا طائل لها أشبهت اللهو واللعب الذي لا طائل له إذا انقضى .

فإن قلت : قد قدم اللعب في أكثر الآيات وفي بعضها آخره ، فهل ذلك وجه ؟

والجواب : إنما قدم اللعب في الأكثر ؛ لأنه زمان الصبا واللهو ، زمان الشباب ، و زمان الصبا مقدم على زمان اللهو ، يُبَيِّنُهُ قوله في الحديد : « اعلوا أعمار^(٢) الحياة الدنيا لعب » كعب الصبيان ، ولهو كلهم الشباب ، وزينة كزينة النساء ، وتفاخر كتفاخر الإخوان ، وتكاثر كتكاثر السلطان .

وقريب من هذا في تقديم لفظ اللعب على اللهو قوله : «^(٣) وما يَنْفُها لَأَعْيِين . لو أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهُوَ لَا تَخْذَنَاهُ مِنْ لَدُنَّا » ؛ وقدم اللهو في الأعراف^(٤) ؛ لأن ذلك في القيامة ، فذكر على ترتيب ما انقضى ، وبدأ بما بدأ به الإنسان انتهاء من الحالتين . وأما النكبات^(٥) فالمرادُ بذكرها ذكر زمان الدنيا ، وأنه سريع الانقضاء ، قليل البقاء ، « وإن^(٦) الدار الآخرة لمى الحيوان لو كانوا يعلمون » ؛ أى الحياة التي لا أمد لها ولا نهاية لأمدها ، فبدأ بذكر اللهو ؛ لأنه في زمان الشباب كما قلنا أنه أكثر من زمان اللعب .

٥

(٢) الأنبياء : ١٦ ، ١٧

(٣) الحديد : ٢٠

(١) الأنعام : ٣٢

(٥) النكبات : ٦٤

(٤) الأعراف : ٥١

(وَلَدَّارٌ ^(١)) : سميت الآخرة لأنها تآخرها عن الدنيا . وقرأ السبعة من القراء : « وَلَدَّارٌ » بلامين والآخرة نمت للدار . وقرأه ابن عامر وحده : وَلَدَّارٌ - بلام واحدة . وكذلك وقع في مصاحف الشام بإضافة الدار إلى الآخرة ، وكذلك هو لَدَّار الحياة الآخرة . وقرأ نافع وابن عامر وأبو حفص عن عاصم : أَفْلَا ^(٢) تعقلون ، على إرادة المخاطبين ، وكذلك في الأعراف [٢٧٧ ب] ، وفي آخر يوسف ^(٣) ، ووافقهم أبو بكر في آخر يوسف ؛ وإنما قال فيها : « وَلَدَّارٌ » الآخرة ، بالإضافة ؛ لأن ما قبلها في هذه السورة : « وما الحياة الدنيا » ؛ فالدنيا صفة للحياة ، كذلك جعل الآخرة صفة للدار ؛ ولأنه في المصاحف بلامين إلا في مصحف الشام ، وما في يوسف بلام واحدة على الإضافة ، فوافقوا المصاحف ، وقرأه ابن عامر على الإضافة موافقة لمصنفهم ، واعتباراً بما في يوسف . ويقوى ما في هذه السورة ما في الأعراف ^(٤) : « والدار الآخرة خير » .

(وَقَالُوا ^(٥)) لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ : الضمير عائد على الكفار . ولولا تحضيض بمعنى هلاً . ومعنى الآية : هلا أنزل على محمد بيان واضح لا يقع منه توقف من أحد ، كلك يشهد له ، أو غير ذلك من تشططهم المحفوظ في هذا . فأمر عليه السلام بالرد عليهم بأن الله عز وجل له القدرة على إنزال تلك الآيات ، ولكن ^(٥) أكثرهم لا يعلمون أنها لو نزلت ولولم يؤمنوا لوجلوا بالعقوبة .

ويحتمل : « ولكن ^(٥) أكثرهم لا يعلمون » أن الله تعالى إنما جعل الإنذار في آيات معروضة للنظر والتأمل لينتدي قوم ويضل آخري .

(١) الأنعام : ٣٢ (٢) في القرطبي (٦ - ١٦٦) : قرئ . بالياء والتاء .

(٣) يوسف : ١٠٩ (٤) الأعراف : ١٦٩ (٥) الأنعام : ٣٧

فإن قيل : ما وجه إفراد الآية هنا وجمعها في المنكبات ^(١) ؟ ولِمَ طلبوا
الآية وقد أتى بمجرات وآيات ؟

فالجواب : أن « لا » في الآيتين تحضيض ؛ وإنما يجري في كلامهم عندما
يراه المتكلم به أولى أو أهم في مقصود ما أو أتم في مطلب ما ، إلى أشياء
هذا ، مما يستدعي التحضيض ، فأفردوا هنا الآية لما قصدوه من أنه عليه السلام
لو جاءهم بآية واحدة من الصرب الذي طلبوه . أما آية المنكبات فقد تقدم
قبلها : « بل ^(٢) هو آيات بينات » ، وقال بعدها : « وما يتجعد ^(٣) بآياتنا » ؛
وقل بعدها : « قل إنما ^(٤) الآيات عند الله » ، فلم يكن ليناسب بعد اكتناف
هذه المجموع توحيد آية ، ثم إن هذه الآية لم يتقدمها من التهديد وشديد الوعيد
ما تقدم آية الأنعام ؛ فتناسب ذلك ورود الفعل غير مضعف . وجاء ذلك كله
على ما يجب .

وإنما طلبوا الآية ؛ لأنهم لم يستدوا بما أتى به ، فكأنه لم يأت بشيء عندهم
لجحدهم وعنادهم ؛ وأيضا فإنما طلبوا آية تضطرهم إلى الإيمان من غير نظر
ولا تأمل .

(وكذلك ^(٥) فتنا بفضهم يعض) : أي ابتلينا الكفار بالمؤمنين ،
وذلك أن الكفار كانوا يقرأون : هؤلاء الصيّد والفقراء من الله عليهم بالتوفيق
للحق والسعادة دونا ، ونحن أشرف منهم وأغنياء ، وكان هذا الكلام منهم
على جهة الاستبعاد لذلك .

(وإنا مفسينك ^(٦) الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين) :

(١) المنكبات : ٥٠ (٢) المنكبات : ٤٩ (٣) الأنعام : ٥٣
(٤) الأنعام : ٦٥

قد قدمنا مراراً أنه صلى الله عليه وسلم معصوم من الشيطان ، وكيف لا وشيطانه أسلم ، كما قال صلى الله عليه وسلم : " إن الله أعانني عليه فأسلم ؛ فالخطابُ على هذا لأُمتِهِ .

ومعنى الآية إن أنفك الشيطانُ النهى عن مجالستهم ، فلا تقعدُ بعد أن تذكر الذمى معهم . وإما مركبة من إن الشرطية وما الزائدة .

(وما على ^(١) الذين يتقون من حسابهم من شيء) : الضمير في حسابهم للكفار المستهزئين . والمعنى ليس على المؤمنين شيء من حساب الكفار على استهزائهم وضلالتهم . وقيل : إن ذلك يقتضى إباحة جلوس المؤمنين مع الكافرين ؛ لأنهم شق عليهم النهى عن ذلك ؛ إذ كانوا لا بد لهم من مخالطتهم في طلب العاش وفي الطواف بالبيت وغير ذلك ؛ ثم نسخت بآية النساء وهي : « وقد ^(٢) نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفروا بها ويستهزأوا بها » . وقيل : إنها لا تقتضى إباحة القعود .

(وليكون ^(٣) من الموقنين) : يتعلق بمحذوف تقديره : نريه ملكوت السموات والأرض ليكون عالماً من الموقنين .

(وتلك ^(٤) حُجَّتُنَا) : إشارة إلى ما تقدم من استدلاله واحتجاجه .

(وكيل ^(٥)) : كفيل بالأمر . وقيل : كاف .

(وأعرض ^(٦) عن الشركين) : إن كان معناه أعرض عما يدهونك إليه أو عن مبادلتهم فهو مُحْكَم ، وإن كان أعرض عن قتالهم وعقابهم فهو

(٣) الأنعام : ٧٥

(٢) النساء : ١٤٠

(١) الأنعام : ٦٩

(٦) الأنعام : ١٠٦

(٥) الأنعام : ١٠٢

(٤) الأنعام : ٨٣

منسوخ ، وكذلك : « ما أنا »^(١) عليكم بحفيظ ، و « بوكيل »^(٢) .

(ولا تكسب^(٣) كل نفس إلا عليها) : رد على الكفار ؛ لأنهم قالوا :
اعبد آلهتنا ونحن نتكفل لك بكل تباعة تتوقعها في دنياك وأخرائك ؛ فنزلت
الآية ؛ أي ليس كما قلتم ، وإنما كسب كل نفس عليها خاصة .

(وسوس^(٤)) الشيطان للإنسان : ألقي في نفسه . والوسواس : الشيطان .

(ونزعنا^(٥) ما في صدورهم من غل^(٦)) : أي من كان في صدره غل^(٦)
لأخيه في الدنيا نزع منه في الجنة ، وصاروا إخوانا على سرر متقابلين ؛ وإنما عبر
[١٢٧٨] بلفظ الماضي في « نزعنا » وهو مستقبل لتحقق وقوعه في المستقبل ،
حتى عبر عنه بما يُعبر به عن الواقع . وكذلك كل ما جاء بعد هذا من الأفعال الماضية
اللفظ ، وهي تقع في الآخرة ، كقوله : « مادي^(٧) » أصحاب الجنة .

فإن قلت : أي فائدة لزيادة « إخوانا »^(٧) في آية الجبر ؟

والجواب : لأنها نزلت في الصحابة رضوان الله عليهم ، وما سواها
عام في المؤمنين . وذكر أن ابننا لطلعة كان عند علي بن أبي طالب ، فاستأذن
[الأشر^(٨)] فحبسه مدة ، ثم أذن له ؛ فقال ؛ ألهذا حبستني . وكذلك لو كان
ابن عثمان حبستني له ؛ فقال علي : نعم ، إني وعثمان وطلعة والزبير ممن قال الله
فيهم : « ونزعنا ما في صدورهم من غل^(٦) إخوانا على سرر متقابلين » .

قال بعضهم : فقال له بعض من حضر : كلا ، الله أعدل من أن يجمعك

(٣) الأنعام : ١٦٤

(٤) الأنعام : ١٠٧

(١) الأنعام : ١٠٤

(٦) الأعراف : ٤٤

(٥) الأعراف : ٤٣

(٢) الأعراف : ٢٠

(٧) الصبر : ٤٧

(٨) مكانها يابى في الأصول ، ولكتبت في ابن كثير : ٢ - ٢٥٢

وطلحة في مكان واحد . فقال : لمن هذه الآية لا أم لك ! وإنما قال له هذا القائل هذا لأن طالحة تاتل عليا مع معاوية .

والآية تدل على أن الغل لا ينافي التقوى ، والتقوى مساوية للإيمان ، وليست أخص منه ؛ بخلاف غيرها من الآيات ؛ إذ لو كانت أخص منه لما كان في قلوبهم غل .

فإن قلت : لعل الغل في قلوبهم وهم يحاهدونه .

فالجواب : الآية تأتي ذلك ، وهذه صفة مدوحة ، وهذا إن كان النزع في الآخرة ، وإن كان في الدنيا فلا كلام .

(وأنا^(١) أول المؤمنين) : أي أول قومه ، أو أول زمانه ، أو على وجه المبالغة في السبق إلى الإيمان .

(واتخذ^(٢) قوم موسى من بعده) : أي من بعده غيته في الطور .

(وأوحى^(٣) ربك إلى النحل ...) الآية : قد قسمنا أن الوحي ينقسم إلى أقسام ، هذا أحدها ، وهو الإلهام ؛ أو يكون بمعنى الأمر بأن ربك أوحى لها . وما يدل على أن هذا إلهام قوله^(٤) : « ثم كيلي من كل الثمرات » .

وأتى بصيغة الأمر مبالغة في قصدتها إلى ذلك ، كما اشترط في الأمور القصد إلى الاتصال . وقيل : إنه أمر حقيق ؛ أي ثم قال لها : كيلي من كل الثمرات . قال ابن الخطيب : ويقتضا الذي صنعتته مدس ، وقام ببرهان في علم الهندسة على أنه أحسن الخوازم ؛ لأنه مفصل الزوايا ، ليس بينها خلل ، بخلاف الربع والمثلث ؛ وذلك الاتصال وعدمه لا يظهر إلا لمن قرأت مقالات من كتاب

(٢) الامراء : ١٤٨

(٤) النحل : ١٩

(١) : الامراء : ١٤٣

(٣) النحل : ١٨

إقليدس . والشكل المسدس أقرب إلى الاستدارة كدائرة الضابط ؛ قال : وفي بنائها حكمة عظيمة ، وهو أنها تنسج ملا البيت الأعلى على ملا البيت الأسفل ؛ وهذا دليل على أنه لا بشرط في الإحكام والإتقان — لم الصانع . ذكره في المحصل .

فإن قلت : هل ترعى النور أو ما ينزل عليه وهو الترجبيل ؟

فالجواب : هو الظاهر ؛ فإنه لا يظهر لرعيها في النور أثر . والظاهر الأول لاختلاف طعم عسلها بالحلاوة والمرارة بحسب ما ترعى ، ولو رعت الترجبيل فقط لا تعد طعم عسلها . وأيضاً فالترجبيل عند الأطباء بارد ، والمصل حار .

فإن قلت : يكتسب الحرارة من النحل ؟

قلنا : نجد عسل السمير والخلنج أشد حرارة من عمل الإكليل ، ولو كان منها لما اختلف .

فإن قلت : قد قال تعالى : « فيه »^(١) شاة للناس ؛ فهل هو عام أو مطلق ؟

فالجواب : ليس على الصوم ، ولأن الأمزجة مختلفة ؛ فإنما هو شاة لمن مازجه البلغم أو السوداء في بعض الأحيان .

فإن قلت : كيف يكون شفاء لصاحب الصفراء والسوداء مع اختلاف أمزجتهما ، لأنه إن كان عندهم يقع الصفراء فلا يقع نقبضها .

وأجيب : بأن الترياق يقوى الروح ، فتتقوى الغريزة النفسية ، فتطلب

على الطبيعة الزاجية ، فضعها ، فصَحَّ بذلك كونه داءً للشَّوْءِ وتبيُّنه . وقال
أرسططاليس : إنه شفاء من مائة داء خاصة .

(وعلى ^(١) الله قَصْدُ السَّيْلِ) : يعنى أن من الناس مَنْ هداه الله بالهدايل
العقلية ، فاعتدى ؛ ومنهم من ضلَّ فجار وخالفها .

(ومنه ^(٢) شَجَرٌ) : يريد به كَلًّا الأرض ، ولَقَطُّ الشجر مشترك بين
الجزء والكل . وقال عكرمة : الشجر ما ليس له ساق .

(وسَخَّرَ ^(٣) لكم الليل والنهار ...) الآية : في تقديم الليل ما يدلُّ على
أنه علم ، والعدم سابق على الوجود ؛ أو لأن العرب إنما يؤرِّخون بالليالي ،
وأول الشهر ليله ، وفي هذا دليل على أن الليل أفضل من النهار ؛ لأن التقديم
يُؤْذِنُ بالفضل ، ومعراج التحليل ، وإدريس ، وتسكليم موسى الكليم ، وعيسى
إلى البيت المعمور . ومعراج [٢٧٨ ب] الحبيب إلى قلب قوسين كان ليلاً .
وأيضاً خدمة العباد وخلواتهم إنما تكون ليلاً ، وأيضاً قائليل من الجنة والنهار
من الجحيم ؛ وذلك أن الله لما خلق النار أمر بإخراج الظلمة من الجنة ،
لتكون نوراً صافياً كلِّها ليس فيها نار ، وجعل الليل والنهار في الدنيا علامةً
على الجنة والنار ؛ وذلك أن الراحة والأمن إنما يكون بالليل ، والتعب والشدة
بالنهار ، وقَدَّمَ الشمس ^(٤) في الآية وإن كانت مؤنثة ، لأن ضوء القمر يستمدُّ منها .

(وتَسْتَعْرِجُوا ^(٥) منه حلية تلبسونها) : قد قدمنا أن الضمير يعود على
البحر ، والمراد بها ^(٦) التلؤلؤ أو المرجان ؛ ولعلك قال في سورة الرحمن :
« يخرج ^(٧) منها التلؤلؤ والمرجان » .

(٣) النحل : ١٢

(٦) الرحمن : ٢٢

(٢) النحل : ١٠

(٥) أى الحلية

(١) النحل : ٩

(٤) النحل : ١١

(وقيل ^(١) للذين اتقوا ما ذُكر أنزلَ ربُّكم قالوا خيراً) : يعنى أنهم قالوا خيراً ، ويموز أن يكون كلاماً مبقداً من القائلين ، يعنى أنه يحتمل أن يكون من كلام المحكى عنه . ونظير ذلك أن يقول زيد يقول خيراً الحمد لله ، فتقول أنت - حاكياً لكلامه : قال زيد خيراً الحمد لله ، فهذه من كلام الحاكى . والفول يحكى به الجمل والمانرد المؤدى معناها .

(ولقد ^(٢) بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا ...) الآية : فيها دليل على أن الله يبعث لكل أمة رسولا منهم .

فإن قلت : هذا منقطع لما قلتم : إن الله يبعث شعباً إلى أمتين . وقد صح أن رسالة نوح ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم كانتا عامتين للعرب والعجم مما يدل على أن غيرها لم يرسل إلى العجم ، فترى العقل خلا من السمع .

والجواب : أن ذلك فى التفاصيل والأحكام ، وأما الإخبار بوجود الله ووحدايته فكل نبيء أرسل بذلك على العموم .

فإن قلت : قس بن ساعدة وغيره من نصحاء العرب وعبدة الأصنام كانوا لا يعرفون الإله بوجه .

والجواب : إنما ذلك فى عوامهم ، وأما رؤسائهم فيعرفون وجود الإله ، وإن كانوا معاندين فى ذلك .

(وما أرسلنا ^(٣) مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ ...) الآية : تدل على تخصيص الرسالة بالرجال ، فيحتاج به مَنْ قال إن مريم ليست نبية . وبحاج بأن الآية إنما اقتضت تخصيص الرجال بالرسالة لا بالنبوة ، وإما بأن قوله « بالبينات » متعلق بأرسلنا .

(وأنزلنا) إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم: قد قدمنا أن المراد بالذكر القرآن ، يعنى إما بتدريك علم آياته ، وإما بتفسيرك الجمل وشرح ما أشكل منه ؛ فيدخل فيه ما بيّنته السنة من أمر الشريعة ؛ فعلى الأول المراد بالناس أبو بكر ، وحرر ، وهمان ، وعلى ، وإن أراد ما بيّنته السنة فالناس عامة . وانظر قوله : « لهم » يتفكرون . والتفكر إنما يكون من العلماء .

فإن قلت : المبين بعد المبين ، وأنزل يقتضى الإجمال ، وإنزاله دفعة واحدة . ونزل يقتضى التنجيم حسبما ألم به الزمخشري في أول خطبة كتابه ، والقرآن نزل أولا دفعة إلى سماء الدنيا ، ثم نزل منها منجما ، فأنزل قبل نزل ، وجاءت الآية على العكس ؛ وهو أن بين ما نزل يقع بإزال الذكر ، فجعل متعلق أنزل بمعلق نزل .

والجواب : ما قدمناه : إن متعلق أنزل راجع إلى النبي صلى الله عليه وسلم ومتعلق نزل راجع لأمة ؛ فأنزل على النبي صلى الله عليه وسلم جملة ؛ ليبين بها ما نزل على أمة مفصلا منجما .

(وله^(٢) الدين واصبا) ؛ أى دائما . وانظر هل أراد بالدين الطاعة أو الجزاء ؟ وقد قل الزمخشري في قوله تعالى : « مالك يوم الدين » إنه يوم الجزاء . وفي الآية دليل لمن حكى الإجماع على منع الردة في الخلق كلمهم .

فإن قلت : قوله تعالى أولا : « وله^(٢) ما فى السموات » أنت دليل على وجود الصانع ، فلم عطف عليه : « وله الدين » ، وهو لا يحسن أن يكون دليلا على وجود الصانع ؛ لأنه إنما يستدل على وجوده بخلافه لا بالأحكام والشرائع

التي كلفوا بها ، لأنها مسببة عن ذلك ، فلو كان العطف بالقاء لصح لأنها تدل على السببية .

والجواب : بأن المراد من بعد خلقه للعالم ، فما من زمان يأتي إلا وهو معبود فيه مطاع ، تغبده الملائكة وبعض الناس ؛ فهذا يدل على صحة وجوده . واستدلوا في علم الكلام على وجود الصانع بطريقتين : إما حدوث العالم ، وإما إمكانه ؛ لأن الممكن لا بد له من مخصص يوقعه على أحد الجائزين ، وطريق الاستدلال بالحدوث يستلزم الإمكان ؛ لأن كل حادث ممكن ، وليس كل ممكن حادث ؛ فإن وجود حبر من زبيب أو من يافوت ممكن ، وليس هو [١٢٧٩] بمحادث ؛ إذ المراد بالحدوث بالفعل ، وهذا الجواب إنما يتم على قول من فسر الواصب بالدائم .

(والله^(١) خلقكم ثم يتوفاكم) : قد قدمنا أن الخلق أبلغ من الوجود ، ولما قدم في الآية التي قبلها التذكير بقدرة الله ، وما اشتملت عليه من الآيات والحكم — عقبه ببيان قدرته في خلق الإنسان ، وفي خلق أنفسكم . وأمسد فعل التوفى هنا الله تعالى ، وقال في سورة السجدة : « قل^(٢) يتوفاكم ملك الموت » . والجمع بينهما ينتج صريح مذهب أهل السنة القائلين بالكسب .

فإن قلت : لم قال : « ومنكم^(١) » من يراد به المحذوف الفاعل ، وقال يتوفاكم — فذكر الفاعل ؟

والجواب : أنه إذا كان المقصود الإشعار بالفعل على الإطلاق يحذف الفاعل ، كقولك رأى الهلال ، وإن كان المقصود الإخبار بفاعل الفعل يذكّر ، كقولك طمن عمر غلام الخيرة ، ولما كان التوفى قد خالفوا فيه ، وقالوا :

ما يُمكننا إلا الدهر - ذكر فاعله ، مخلاف الرد إلى أرذل العمر ، فإنه أمرٌ ظاهر لا يحتاج إلى ذكر فاعله .

وأجاب بعضهم بأنه لما ذكر فاعل البداية وفاعل النهاية أنه الله تعالى - عِلِمَ أن ما بينهما من فعله ، فاكتفى بذلك ، ولم يحتاج إلى ذكره في الرد إلى أرذل العمر ؛ لأنها حالة متوسطة بين البداية والنهاية .

(ويعبدون^(١) من دون الله ما لا يملك لهم رزقاً) : الضمير راجع للكفار ؛ يعنى أنهم يعبدون الأصنام وغيرهم .

فإن قلت : لم يخصوهم بالعبادة لأنهم يقولون : «^(٢) ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى » فلم ذكر هنا العبادة لهم ؟ وما فائدة إبراز الضمير في لهم ؟

والجواب أن ذلك الجزء الذى صرفوه لهم من العبادة ؛ عبدوهم وهم فيه من دون الله ؛ وإنما أبرز الضمير ، لأنه إذا أبرز الضمير لمن عبده فأحرى ألا يملكه لغيره ، وقد قدمنا أن شيئاً فى الآية يدل من رزقا .

(ورحمته^(٣) وسيمت كل شيء) : يحتمل أن يريد رحمته فى الدنيا ، فيكون خصوصاً فى الرحمة وعموماً فى كل شيء ؛ لأن المؤمنين والكافرين والمطيعين والمعاصين تنالهم الرحمة ونعمته فى الدنيا . ويحتمل رحمة الآخرة فيكون خصوصاً فى كل شيء ؛ لأن الرحمة فى الآخرة نعمة بالمؤمنين . ويحتمل أن يريد جنى الرحمة على الإطلاق ، فيكون عموماً فى الرحمة وفى كل شيء . وقد صح أن لله مائة رحمة ، رحمة فى الدنيا للجميع ، وبعض هذه الرحمة للتسعة وتسعين وبخمسها بالمؤمنين .

(وَقَطَعْنَاهُمْ^(١) فِي الْأَرْضِ أَمْمًا) ؛ أي فرقناهم في البلاد ، ففصل كل بلد فرقة منهم ، وليس لهم إقليم يسكنونه ؛ وذلك بقتلهم الأنبياء .

(وَإِذْ^(٢) أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ) : في معنى الآية قولان :

إن الله لما خلق آدم أخرج ذريته من صلبه وهم مثل الذر ، وأخذ عليهم العهد بأنه ربهم ، فأقرؤا بذلك ، والتزموا . وروى هذا المعنى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من طرق كثيرة ؛ وقل به جماعة من الصحابة وغيرهم .

والثاني أن ذلك من باب التمثيل ، وأن أخذ الذرية عبارة عن إيمانهم في الدنيا . وأما إيمانهم فعناه أن الله نصب لبني آدم الآية على ربوبيته ، وشهدت بها عقولهم ، فكانه أشهدهم على أنفسهم ، وقال لهم : أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ؟ فقالوا بلسان واحد : بلى ، أَنْتَ رَبُّنَا .

والأول هو الصحيح ؛ لقواتر الأخبار به ، إلا أن الفاظ الآية لا تطابقه بظاهرها ؛ فذلك عدل عنه مَنْ قَالَ بالقول الآخر ؛ وإنما تطابقه بتأويل ؛ وذلك أن أخذ الذرية إما كان من صلب آدم ، ولفظ الآية يقتضي أن أخذ الذرية من بني آدم . والجمع بينهما أنه ذكر بني آدم في الآية والمراد آدم ؛ كقولهم :

(وَإِذْ^(٣) خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ...) الآية ، على تأويل لقد خلقنا أباكم آدم من صورته . وقال الزمخشري^(٤) : إن المراد ببني آدم أسلاف اليهود ، والمراد بذريتهم مَنْ كَانَ فِي عَصْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْهُمْ .

والصحيح المشهور أن المراد جميع بني آدم حسبما ذكر . وفي الحديث : إن

(٣) الأعراف : ١٩

(٢) الأعراف : ١٧٢

(١) الأعراف : ١٦٨

(٤) السككيات : ١ - ٣٢٠

أول من أجاب الأنبياء ثم العلماء سموم فأجابوا، ثم العامة، ثم الكفار، فكلهم أقرؤا له بالربوبية.

(وإن تدعوم^(١)) [٢٧٩ ب] إلى الهدى لا يستمروا) : يحتمل أن يريد الأصنام ؛ فيكون تحقيرا لما وردا على من عبدها ؛ فإنها جادّات لا تسمع شيئا ؛ أو يريد الكفار ، ووصفهم بأنهم لا يسمعون ؛ يعنى سمعا ينتفعون به لإفراط نفورهم ، أو لأن الله طبع على قلوبهم .

(وتراهم ينظرون^(٢) إليك) : إن كان هذا من وصف الأصنام فهو مجاز ، وقوله : لا يبصرون^(٣) ؛ حقيقة ؛ لأن لهم صورة الأعين وهم لا يبصرون شيئا . وإن كان من وصف الكفار فينظرون حقيقة ، ولا يبصرون مجازا على وجه المباعدة ، كما وصفهم بأنهم لا يسمعون .

(واخوانهم^(٤) يمدونهم في النى ثم لا يقصرون) : الضمير في الجموع للشيطان ، وأريد بقوله : طائف من الشيطان^(٥) ، الجنس ؛ فلذلك أعيد عليه ضمير الجماعة . وإخوانهم هم الكفار ، ومعنى يمدونهم ؛ يكونون مَدًا لهم ؛ أى يعضدونهم . وضمير المفعول فى يمدونهم ؛ للكفار ، وضمير الفاعل للشياطين . ويحتمل أن يريد بالإخوان الشياطين ، ويكون الضمير فى إخوانهم للكفار .

والمعنى على الوجهين أن الكفار يمدهم الشيطان . وقرئ يمدونهم - بفتح الياء وضمها . والمعنى واحد . « وفى النى » يعلق يمدونهم . وقول يعلق بإخوانهم ، كما تقول : أخوه فى الله أو فى الشيطان .

(وإذا^(٦) لم تأتكم بآية قالوا لولا اجتبتكمها) : فى معناها قولان :

(١) الأعراف : ١٩٨ (٢) الأعراف : ٢٠٢ (٣) الأعراف : ٢٠١

(٤) الأعراف : ٢٠٣

أحدهما اخترعتها من قِبَلِ نَفْسِكَ ؛ فَآيَةُ عَلَى هَذَا مِنَ الْقُرْآنِ ، وَكَانَ الَّذِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِتَأْخُرِ عَنْهُ الْوَحْيُ أَحْيَانًا ، فَتَقُولُ الْكُفَّارُ : هَلَا جِئْتَ بِقُرْآنٍ مِنْ قَوْلِكَ ؟ وَالْاجْتِبَاءُ مَعْنَاهُ طَلِبْتُهَا مِنَ اللَّهِ وَتَخَيَّرْتُهَا عَلَيْهِ ، فَآيَةُ عَلَى هَذَا مُعْجَزَةٌ ؛ أَيْ يَقُولُونَ اطْلُبْ مِنْ اللَّهِ الْمُعْجَزَةَ .

(وَإِذَا ^(١) قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ) : كَانُوا إِذَا سَمِعُوا الْقُرْآنَ اسْتَنْظَلُوا عَنْهُ ؛ فَأَمَرَ اللَّهُ بِالْإِنْصَاتِ لِقِرَائَتِهِ عَلَى الْإِطْلَاقِ ، وَلَا مَعْنَى لِمَنْ قُلَّ : إِنَّ مَعْنَاهَا الْإِنْصَاتُ لِقِرَاءَةِ الْإِمَامِ أَوْ الْخُطْبَةِ ؛ لِأَنَّ الْآيَةَ مَكِّيَّةٌ ، وَالْخُطْبَةُ إِذَا شُرِعَتْ بِالْمَدِينَةِ . وَأَيْضًا اللَّفْظُ عَامٌ ، وَلَا دَلِيلَ عَلَى تَخْصِيصِهِ .

(وَجِئَتْ ^(٢) قُلُوبُهُمْ) ؛ أَيْ خَالَتْ . وَقَرَأَ ابْنُ كَعْبٍ فَرَضَتْ . وَمِنْهُ : لَا تَوَجَّلِي ، وَوَجِلُونَ .

فَاعْرِضْ نَفْسَكَ عَلَى هَذَا الْمِيزَانِ ؛ هَلْ تَجِدُ لَذِكْرِ اللَّهِ وَجِلًا فِي قَلْبِكَ ؛ فَأَنْتَ مُؤْمِنٌ حَقًّا ، وَحِينَئِذٍ فَلَا تَنْفَسُ نَفْسَكَ وَإِخْوَانَكَ مِنَ الدَّعَاءِ ، وَإِلَّا فَأَبْكَ عَلَى نَفْسِكَ لِحُرْمَانِكَ بِخَطِيئَتِكَ ، وَاسْتَغْفِرْ لَذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ .

(وَإِنْ ^(٣) فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ) ؛ أَيْ لَتَقْتُلُ الْمَدُو ؛ وَذَلِكَ أَنَّ حَرِيقَرِيشَ أَقْبَلَتْ مِنَ الشَّامِ فِيهَا أَمْوَالٌ عَظِيمَةٌ ، وَمَعَهَا أَرْبَعُونَ رَاكِبًا ؛ فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْمُسْلِمِينَ ، فَسَمِعَ بِذَلِكَ أَهْلُ مَكَّةَ ، فَاجْتَمَعُوا وَخَرَجُوا فِي مَدَدٍ كَثِيرٍ لِيَتَمَرَّعُوا بِهِمْ ، فَزَلَّ جَبْرِيلُ ، وَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ ، إِنَّ اللَّهَ يَبْذُكَ إِحْدَى الطَّلَاحَتَيْنِ ؛ إِمَّا الْمِيرَ وَإِمَّا قَرِيشًا ؛ فَاسْتَشَارَهُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ فَقَالُوا : الْمِيرَ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْ لِقَاءِ الْمَدُو ؛ فَقَالَ : إِنَّ الْمِيرَ قَدْ مَضَتْ عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ ، وَهَذَا أَبُو جَهْلٍ قَدْ أَقْبَلَ ؛ فَقَالَ لَهُ سَدُّ بْنُ عُبَادَةَ : امْضِ لِمَا شِئْتَ ، فَإِنَّا

متبعوك . وقال سعد بن معاذ : والذي بعثك بالحق او غضت هـ لما البحر
لخضناه معك .

(وَلِيَرْبِطَ^(١)) على قلوبكم وَيثبتَ به الْأَئِمَّةَ) : لما عدم الصحابة الماء قبل
وصولهم إلى مدْر أنزل الله عليهم الماء فتطهروا به ، وثبت قلوبهم زوال
ما وسوس لها الشيطان من عدم الماء او ضوئهم وغسلهم ، وأزال عنها الكسل ،
وكانوا في رحلة دَهْسة لا يثبت بها قدم ، فلما نزل المطر تابذت ، ولبدت
الطريق ، وسهل المشى والوقوف . وروى أن ذلك المطر صعب الطريق على
المشركين ، فكان فيه لطف من الله ؛ فلذلك عدّه من نعمه عليهم .

(وَإِنْ^(٢)) تَعَوَّدُوا نَعْدُ^(٣)) ؛ أى إن تعودوا إلى الاستفتاح والقتل نعد
لقتلكم والنصر عليكم .

(وَلَا تَوَلَّوْا^(٤)) عنه وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ) ؛ أى القرآن والمواعظ .

(وَإِذْ^(٥)) يَمْشُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا ...) الآية : عطف على « إِذْ^(٦) » أنتم
قليل » ، أو استئناف ، وفيها إشارة إلى اجتماع قريش بدار الندوة .

قال الثعلبي : كانوا [١٢٨٠] اثني عشر رجلا دخلوا الدار ، ودخل معهم
إبليس امته الله على صورة شيخ في يده عصا ؛ فقال له أبو جهل : إنا قد
اجتمعنا في تدبير أمر خفي ، فارجع أنت يا شيخ . فقال إبليس : إني شيخ من
أرض نجد رأيت الدهور ، وكرت الأمور على ، أنا أعلم مصالح التدبير وموافقة
التأويل والتفسير ، فأدخلوني معكم لعل أنبشكم بتأويله . وإنما نسب نفسه
لنجد ، لأنهم قالوا : لا تدخلوا معكم أحدا من أهل تهامة لحبهم في عهد ،

فلما دخلوا قال لهم عتبة : إن الموت حق ، فاصبروا حتى يقضى الله على محمد ،
فتمنعوا من شره . فقال له إبليس : أف لك ! أين أنت عن التدبير ، أنت لا تصلح
إلا لرعى المواشى ، الموصبرتم حتى يموت محمد بظلم دينه في مشارق الأرض
ومغاربها ، اتجتمعت عنده عداكر عظيمة لمحاربتكم ، فيهلككم . فقالوا : صدق
الشيخ النجدي . ثم قال شيبة : إني أرى أن نحبيه في بيت وطلق أبوابه حتى
يموت فيه جوعاً وعطشاً . فقال إبليس : وهذا أيضاً ليس بصواب ؛ فإن بنى هاشم
يحتممون ويأخذونه من أيديكم ، ويخلون سبيله ، ويقع بينكم وبين أقربائه
عداوة عظيمة . فقالوا : صدق الشيخ النجدي . فقال عامر بن وائل : نمض^(١)
محمداً على بغير ونسوقه في البادية ليهلك فيها . فقال إبليس : ليس بصواب ؛
لأن محمداً فصيح اللسان ، مليح الجنان ، قويمة القامة ، صبيح الوجه ، كل من
رآه أحبه ؛ وربما لقيه أحدٌ وهداه إلى البلاد ، فيصدق كل من يسمع كلامه ،
ويجتمع عنده جمع عظيم ، فيرجع إليكم ، ومحاربكم ؛ فصاحوا جميعاً : صدق
الشيخ النجدي .

فقال أبو جهل لعنه الله : إني أرى أن نخرج من كل قبيلة شاباً فيهجمون
على محمد في ليلة فيضربه كل واحد منهم ضربةً جميعاً بالأسلحة حتى لا يعلم قاتله
بعينه ؛ فإذا طلب أقاربُه الديةَ نجّمع الأموال من القبائل ونعطهم ونسجوا من
شره . فقال إبليس : أحسنت وأصبت ، لرأيت أحسن الرأي ، وتدبيرك
أحسن التدبير ؛ فاتفقوا على قتله صلى الله عليه وسلم ، وتفرقوا من دار الندوة ،
فنزل جبريل هذه الآية ، ثم قال : إن الله يقول لك : اخرج من مكة . فأتى
إلى أبي بكر ، وكان يأتيه كل يوم طرفي النهار ، فأتاه في الظهيرة ؛ فقال

أبو بكر : ما جاء بك في هذا الوقت ؟ فذاك أي وأمي ا فقال له : أخرج من
مك . فقال : وهل هـ إلا أمك . فقال : أما شئت أن الله أمرني بالخروج ،
وكان يقول لأبي بكر : لا تهـاجر حتى أجيد لك رقية ، فقل له : الصعبة
يا رسول الله . فقال : الصعبة . فقال : خذ إحدى هاتين الناقتين . فقال له :
لا آخذها إلا بالثمن ، ليسكون مهاجرا بنفسه وماله .

ثم قال لأصحابه : أيكم بيت على فراشي أضمن له على الله الجنة ؟ فقال
علي : أنا يا رسول الله ، وأجمل نفسي فذاك . فبات علي على فراش
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجاء الكفار يحرسونه ويرتقبون خروجه ،
وإبليس معهم ، فسلط الله عليهم الغفلة والنوم ، وبات إبليس لعنه الله ، ويقال :
إنه لم ينام قط إلا في تلك الليلة ، ولا ينام بعدها أبدا ؛ فخرج صلى الله عليه وسلم
مع أبي بكر وراحم نائمين ، فأخذ التراب وحى^(١) على رءوسهم . وقرأ سورة
يس حين قصد المرور ، فلم يره أحد بمرگه حسنة .

وفي الحديث : إن الله أوحى إلى جبريل ، وميكائيل عند رجليه ، وجبريل
يقول : من يثقت بك يا من أبي طالب باهى الله بك الملائكة ، فأنزل الله عليه :
« ومن^(٢) الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله والله رءوف بالعباد » .

(وَلَيْجَةً^(٣)) : كل شوء أذخاته في شيء ليس منه فهو وليجة فيه ، والرجل
يكون في القوم وليس منهم فهو وليجة .

(وقيل^(٤) اتحدوا مع القاعدین) : يحتمل أن يكون القائل الله تعالى ، أو

يكون ذلك من قول بعضهم لبعض ؛ وعلى الأول فهو عبارة عن قضائه عليهم بالتعود .

(والسابةون^(١) الأوثان) : قيل هم من على القبلة ، وقيل من شهد بدراً . وقيل من حضر بيعة الرضوان [٢٨٠ ب] . وقيل : من أسلم قبل الهجرة . وقيل : من اشتغل بمعاديه عن معاشه . وقيل : الذي غلب عقله على شهوته .

(والذين^(٢) اتبعوهم) : سائر الصحابة ، ويدخل في ذلك الباقون ، ومن بعدهم إلى القيامة بشرط الإحسان .

(ورضوا^(٣) بالحياة الدنيا وأمانتها) : الضمير عائد على الكفار ؛ لأن هذا شأنهم ؛ فنعوا بالدنيا ، ومكنت نفوسهم عن ذكر الاتصال منها ؛ فإياك والاتصاف بهذا الوصف ، وهو حال أكثرنا ؛ لأما نفرح بالزيادة منها ، ونحزن لفقدانها ، فبرسك أخذنا منها بركة .

(ويغلبون^(٤) من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم) : الضمير عائد على الكفار من قريش الذين تقدمت محاورتهم ، فأخبر الله أن أصنامهم لا تضر ولا تنفع . ورد على من زعم نفعهم لهم .

وقدم الضر هنا لتناسب الوارد من متصل قوله : « ولا ينفعهم » بقوله : « ويقولون^(٥) هؤلاء شفعاؤنا عند الله » .

(ومنهم من^(٦) يؤمن به ...) الآية : أخبر الله فيها بما يكون منهم في المستقبل . وقيل : إن بعضهم يؤمن وهو يكتم إيمانه ، ومنهم من يكذب .

(٢) يونس : ١٨

(٣) يونس : ٧

(٤) يونس : ٤٠

(١) التوبة : ١٠٠

(٥) يونس : ١٨

(ومنهم ^(١) مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَفَانتَ تَهْدِي الْعُمَى) : المعنى أتريد أن تهدي العُمى ؛ وذلك لا يكون .

فإن قلت : ما الفرقُ بين « من » في الاستماع ^(٢) وبين هذه ؛ لأنه جاء أولاً بلفظ الجمع وهنا بلفظ الإفراد ؟

فالجواب : أن السمع إلى القرآن كالسمع إلى النبي صلى الله عليه وسلم بخلاف النظر ؛ فكان في المستمعين كثرة ؛ فجمع ^(٣) ليطابق اللفظ المعنى ، ووَحَدَ يَنْظُرُ حملاً على اللفظ ؛ إذ لم يكثروا أكثرَهم .

وقد قدمنا أنه إذا جاء الفعل على لفظ « من » فجاز أن يطف عليه آخر على معناها ، وإذا جاء أولاً على معناها فلا يجوز أن يطف بآخر على اللفظ ؛ لأن الكلام ياتس حينئذ ، وكأنه قال : ومنهم مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ بصره ، لكنه لا يستبر ، ولا ينظر بصيرته ؛ فهو لذلك كالأعمى فسلاه الله هذه الآية ؛ والهداية إنما هي بيد الله ، ولو شاء الله لجمعهم على الهدى .

(ولكل ^(٤) أمةٍ رسولٌ فإذا جاء رسولهم قضى بينهم بالقسطِ وهم لا يظلمون) : قال مجاهد : المعنى فإذا جاء رسولهم يوم القيامة للشهادة عليهم صيرَ قَوْمٌ للجنة وقوم للنار ؛ فذلك القضاء بينهم بالقسط . وقيل : المعنى فإذا جاء رسولهم في الدنيا وبُعث صاروا ممن ختم الله بالعذاب لقوم والغفرة لآخرين لغاياتهم ؛ فذلك قضاء القسطِ بينهم ، وقرر بعض التأولين هذه الآية بقوله تعالى : « وما كنا ^(٥) مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً » ؛ وذلك يتفق بأن يحمل معذبين في الآخرة ، وأما بأن يحمل القضاء بينهم في الدنيا بحيث يصحُّ اشتباه الآيتين ؛

(١) يونس : ٤٣ (٢) في الآية ١٢ : ومنهم من يستمعون إليك ...

(٣) يونس : ٤٧ (٤) الإسراء : ١٥

(٥) م ٢٣ - في إيهان القرآن ؛

وإنما ورد في سورة يونس بالثناء على المؤمنين ؛ لأنه بمعنى المدل والتسوية في الحكم بمظنة وروده حيث يراد ، وإزالة الجواز بالأعمال من غير زيادة .

(وأُمرت^(١) أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) : هذه مخاطبة من الله لنبيه ، ويدخل تحته جميع المكافئين من أمته ، وهذه الآية قبلها يتسق معناها بمحذوفات يدل عليها هذا الظاهر الوجيز . والمعنى إن كنتم في شك من ديني فأنتم لا تعبدون الله ، فانتضت فصاحة الكلام وإيجازه اختصار هذا كله . وأمره هنا بالإيمان بخلاف أمر النمل ؛ لأنه تقدم قبلها : « وَأَوْشَاءَ^(٢) رَبُّكَ لَأَمَنَّ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا » . « وَمَا كَانَ^(٣) لِنَفْسٍ أَنْ تَوْفَّيَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ » . وبعد هذا : « وَمَا تَنْفِي^(٤) الْآيَاتِ وَالنَّذْرَ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ » . وبعد هذا كله : « كَذَلِكَ^(٥) حَقًّا عَلَيْنَا نُنَاجِي الْمُؤْمِنِينَ » . وأما آية النمل فإن قبلها قوله : « إِمَّا^(٦) أُمِرْتُ أَنْ أُعْبِدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ » . وهذا يقتضي تسليم كل شيء له والتبري من توهم شريك أو نظير ، فناسب هذا قوله : « وَأُمِرْتُ أَنْ^(٧) أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ » .

(وَأَنْ^(٨) أَقِمَّ وَجْهَكَ) ، أى قصدك ودينك .

(وَاصْبِرْ^(٩) حَتَّى يَخْضَعَكُمُ اللَّهُ) وهو خيرُ المأْكُومِينَ : وعد بالنصر والظهور على الكفار ، وإنما زاد في الأعراف^(١٠) « يَبْنِي » ، لأنه من خطاب الله لشعيب ، فناسب البسط في الكلام .

(وَيَتْلَوْهُ^(١١) شَهِيدٌ مِنْهُ) : الضمير في « يتلوه » للبرهان ، وهو البيئة ، أو

(١) يونس : ١٠٤	(٢) يونس : ٩٩	(٣) يونس : ١٠٠
(٤) يونس : ١٠١	(٥) يونس : ١٠٣	(٦) النمل : ٩١
(٧) يونس : ١٠٥	(٨) يونس : ١٠٦	(٩) الأعراف : ٨٧
(١٠) هود : ١٢		

لمن كان على بينة من ربه ، والضميرُ في « منه » لرب تعالى . ويتلو هنا بمعنى يتبع ، والشاهد يراد به [٢٨١] القرآن . والمعنى يتبع ذلك الرهان شاهد من الله ، وهو القرآن فيزيد وضوحه وتعليل دلالته . وقيل : إن الشاهد المذكور هنا هو علي بن أبي طالب ، فيلها من فضيلة اكرر ذكره في مواضع ، ولذلك قال له صلى الله عليه وسلم : الناس في شجر شتى وأنت في شجرة واحدة . وشبهه بسورة الإخلاص في قوله : مَنْ قرأ سورة الإخلاص مرة واحدة فله ثوابُ ثلث هذه الأمة ، وَمَنْ قرأها مرتين فله ثلثا ثواب هذه الأمة ، ومن قرأها ثلاث مرات فله ثواب هذه الأمة . وقال : مَنْ أحبَّ عاليا بقلبه فله ثلث ثواب هذه الأمة ، ومن أحبَّ بقلبه ولسانه فله ثلثا ثواب هذه الأمة ، ومن أحبَّ بلسانه وقلبه وجوارحه فله ثواب جميع هذه الأمة .

وقال مجاهد : نزلت في علي سبع آيات ، لأنه كاتم له أربعة أشياء لم تكن لغيره : السخاوة ، والشجاعة ، والزهادة ، والعلم . وله من جهة الرحمن أسرته أفضل النساء ، وصهره أفضل الخلق ، وشاهده جبريل ، وولده الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة .

(وَمِنْ ^(١) قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى) ، أى من قبل ذلك الشاهد كتاب موسى يشهد بأن هذا القرآن هو من عند الله . وقيل أقوال غير هذه ، هذا أصحها .

(وَيَقُولُ ^(٢) الْأَشْهَادُ) : جمع شاهد كأصحاب . ويحتمل أن يكون من الشهادة ، فيراد به الملائكة والأنبياء ، أو من الشهود بمعنى الحضور ، فيراد به مَنْ حضر الموقف .

(وَمَنْ^(١) آمَنَ) : معطوف على « أَهْلَكَ » ، أى أحمل أَهْلَكَ وَمَنْ آمَنَ من غيرهم .

(وَعَلَى^(٢) أُمَّمٍ يُمَنُّ مَعَكَ) : يبنى فى السفينة . واختار الزمخشري^(٣) أن يكون المعنى من ذرية مَنْ مَعَكَ ، ويبنى به المؤمنون إلى يوم القيامة ، فـ « مِنْ » على هذا لا ابتداءً للغاية . والتقدير على أُمم ناشئة عن معك ، وعلى الأول تكون مِنْ ليلان الجنس .

(وَأُمَّمٍ^(٤) مَنَّمْتَهُمْ) ، أى بمتاع الدنيا ، وهم الكفار إلى يوم القيامة .

(ولما^(٥) جاء أمرنا) : الأمر واحد الأمور ، ويحتمل أن يكون مصدر أمر يأمر ، أى أمرنا المريح ، أو نلحزنها ، ونحو ذلك .

فإن قلت : لم قل هنا وفى قصة شعيب^(٦) : « ولما » بالواو ، وفى قصة صالح^(٧) ولوط^(٨) : « فلما » بالفاء ؟

والجواب : على ما قال الزمخشري^(٩) : إنه وقع ذلك فى قصة صالح ولوط بعد الوعيد ، فجاء بالفاء التى تقتضى التوبيخ ، كما تقول : وعدته ، فلما جاء اليعاد ، بخلاف قصة هود وشعيب فإنه لم يتقدم ذلك فيهما ، فعطف بالواو . وقيل فى الجواب غير هذا مما يطول ذكره .

(وَنَجَّيْنَاهُمْ^(١٠) مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ) : يحتمل أن يريد به عذاب الآخرة ، ولذلك عطف على النجاة الأولى التى أراد بها النجاة من الريح . ويحتمل أن يريد بالثانى أيضاً الريح ، وكرره إعلالاً بأنه عذاب غليظ وتعديد النعمة فى نجاتهم .

(١) هود : ٤٠	(٢) هود : ٤٨	(٣) الكشاف : ١ - ٤٤٢
(٤) هود : ٥٨	(٥) هود : ٩٤	(٦) هود : ٦٦
(٧) هود : ٨٢	(٨) الكشاف : ١ - ٤٤٥	(٩) هود : ٥٨

(وَاتَّبِعُوا^(١)) في هذه الدنيا كَعَنَةً : حكم عليهم بهذا الحكم لكفرهم وإصرارهم حتى حلَّ العذابُ بهم ، وقد تيقن أن هؤلاء وافوا على الكفر ، فليمن الكافر للوفا على كفره ، ولا يلعن أحداً بعينه حتى البهيمة ؛ لأن معناها البعد من رحمة الله .

فإن قلت : لم جمع في قصة هود بين اسم الإشارة ولفظ الدنيا الجاري عليه وصفا ، واكتفى في قصة موسى^(٢) باسم الإشارة دون التابع ؟
والجواب : أن قصة هود عليه السلام في هذه السورة أكثر امتيغاً من قصة موسى عليه السلام بكثير ؛ فناسب الطولُ الطولَ ، والإيجازُ الإيجازَ ، ولا يليق العكس .

(وإِنَّمَا^(٣) لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَا) : هذا من قول قوم صالح ، أخبروه أنهم في شك من أقاويله ، وأن ذلك الشك يرتابون به زائداً إلى مرتبته من الشك ؛ ولا فرق بين هذه الحال وحالة التصميم على الكفر ، وإنما أثبتوا النونين الداخلين للتأكيد ، وأفرد الضمير في تدعوننا ، وألحقه في سورة إبراهيم^(٤) ، لأنها ولادة على الأصل في اتصال الضمير المنصوب بها . ثم يجوز حذف إحدى الضاعفتين تخفيفاً ، فنقول : إنا ، فحكتفي بالضمير عن النون المحذوفة ، وذلك من فصيح كلامهم . والأصل الأول .

(وَأَخِذْ^(٥) الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيِّئَةَ فَاصْبِرْ لَهُمْ دِيَارَهُمْ جَائِمِينَ) : إنما ذكر القمل المسند إلى الصيغة ، لأنها بمعنى الصلح وتأمينها غير حقيق . وقبل جاز ذلك وهي مؤنثة لما فصل بين القمل وبينها [٢٨١ ب] كما قالوا : حضر

(٣) هود : ٦٢

(٢) هود : ٩٩

(١) هود : ٩٠

(٥) هود : ٦٢

(٤) إبراهيم : ٩١

القاضي اليوم امرأة . والأول أصوب . وإنما أمقط تاء التأنيث من هذه النصة وأثبتها في قصة شبيب^(١) ؛ لأنه على ضربين : حقيقى ، وغير حقيقى ، فالحقيقى لا تحذف تاء التأنيث من فعله غالباً إلا أن يقع فصل ، نحو قام اليوم هند ، وكلما كثر الفصل حسن الحذف . ومن كلامهم ، كما قدمنا لو الإشارة مع الحقيقى ما لم يكن جَمْعاً .

وأما التأنيث غير الحقيقى فالحذف فيه مع الفصل حسن ؛ قل تعالى : « فَنَزَّلْنَا مُوَسَّىٰ مِنْ رَبِّهِ » وهو كثير ؛ فإن زاد الفصل ازداد حسناً ، والحذف والإثبات هنا جائزان ؛ فجاء الفعل في هذه الآية على الأول ، وفي قصة شبيب على الوجه الثانى ، جَمْعاً بين الوجهين ، إذ الآيتان في سورة واحدة ، وتقديماً للأولى على ما ينبى ، وهذا ما لم يكن الفاعل ضمير مؤنث فله أحكام تخصه . والله أعلم .

(ولما^(٢) جاءت رسلنا لوطاً) : قد قدمنا أنه أعاد الضمير ، لظنه أنهم من بنى آدم وخوفه عليهم من قومه ، وقوله لهم : « لو أن^(٣) لى بكم قوة » . ولما قالوا قالوا له : إن رُكْنَكَ لشديد .

فإن قلت : كيف ينطق بهذا وقد قال صلى الله عليه وسلم : يرحم الله لوطاً ، لقد كان يأوى إلى رُكنٍ شديد ؟ وفي الحديث : لم يبعث الله نبياً إلا في منة وعزة ؟

والجواب : أنه خشى عليه السلام أن يهمل الله أولئك العصاة حتى يصروه في الأضياف ، كما أمهلهم فيما قبل ذلك من معاصيهم ، فحسب ركناً من

(١) هود : ٩٤ : وأخذت الذين ظلموا الصبغة .

(٢) البقرة : ٢٧٥ (٣) هود : ٧٧ (٤) هود : ٨٠

البشر بما جيلهم ، وهو يعلم أن الله تعالى من وراء عقابهم ، وأيضاً فإن قومه إنما يمنعونهم لو أرادوه بضراً ، وقد كان الطبع فيهم قليلاً .

ولقد أصيب نبينا محمد صلى الله عليه وسلم في غير ما موطن من شجراً رأسه ، وكثر رباعيته ، وطرح سلا الجزور على ظهره ، ولم ينطق بشيء من ذلك عزيمة منه ونجدة .

فإن قلت : لم حذف من هذه الآية إن الزائدة في المنكبات (١) ؟
والجواب : أنها كثيراً ما تزداد ، ولما وردت هذه الآية بلفظها مرتين ، ردت الثانية بزيادتها ليعصل بين التواردين ما يرفع تناقل اللفظ المتكرر .
فإن قلت : فإنه قد تباعد ما بين الآيتين ، ومثل هذا لا يلحظ فيه ما ذكرت .

فأقول : لما كان اللفظ اللفظاً ، وكان زيادة « إن » وعدم زيادتها هنا مقبس فصيح جيء بالجائزين معاً ، وتأخرت الزيادة ، إذ هي غير الأصل إلى المتأخر من الآيتين .

فإن قلت : إن قوله تعالى : « فلكا » (٢) أن جاء البشير ، لم يقع فيه تكرار ، فلم زيد « أن » ولم يأت على الأصل ؟
قلت : لما كان جيء البشير إلى بتوب عليه السلام بعد طول الزمن ، وتباعد المدة ، ناسب ذلك زيادة « أن » لما في مقتضى وحنفيها من التراخي ، فورد كل من هذا على ما يجب .

(ولقد (٣) أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين) : قيل هو مشتق من

(١) المنكبات (٢٣) : ولما أن جاءت وسلطان لوطا ...

(٢) يوسف : ٩٦

(٣) هود : ٩٦

السلطان الذي يستضاء به . وقيل : إنه مصلط على كل منا ومخامم ، وزاد السلطان في هذه الآية وفي سورة غافر زيادة قوله : « وسلطان^(١) مبین » ، وورد في سورة يونس^(٢) والمؤمنين^(٣) ذكر تأييد موسى بأخيه هارون عليها السلام ، ولم يزد ذلك في غيرها . وانفردت سورة المؤمنين بالجمع بين تأييده عليه السلام بأخيه وسلطان مبین ، لأنه حيث يذكر سورة الرسل إليهم وتُفتح جوابهم يقال أبدا بتأييده بأخيه أو عضده بالآيات عما يقتضى القهر والإرغام ، وهو المعبر عنه بالسلطان المبین ، فيكون ذلك في مقابلة شنيع مجاوبتهم وسوء ردهم .

وبالجملة فإنه إذا اجتمع إفساحهم بالكذب واستكبارهم جمع في التمهيد المتقدم بين التأيد بهارون والسلطان المبین ، وحيث يصرح بالكذب أو ما يعطيه بينا ، كقوله^(٤) : « فَاتَّبِعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ » .

(وما كان^(٥) رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ) : هذا الجور في موضع الحال من « ربك » ، ومحمّل أن يريد بظلم منه تعالى لهم . قال الطبري : وقيل محتمل أن يريد بشرك منهم ، وهم مصلحون في أعمالهم وسيرهم ، وعدّل بعضهم في بعض ، أى أنهم لا بد من معصية تقترب بكفرهم . وهذا ضعيف ، وإنا ذهب قائله إلى نحو ما قيل إن الله تعالى يمهّل الدول على الكفر ، ولا يمهّلها على الظلم والجور ، ولو عكس لكان ذلك متعجّبا [١٢٨٢] ، أى ما كان الله ليعذب أمة بظلم في معاصيهم وهم مصلحون في الإيمان . والاحتمال الأول أصح إن شاء الله .

وجيء بالفعل هنا « ليهلك » إشارة إلى التكرار بحسب ما يكون منهم ؛ فلو كان في كل أمة وقرن بعد قرن من ينهى عن الفساد والظلم لما أخذوا

(٣) المؤمنون : ٤٥

(٢) يونس : ٦٨

(١) غافر : ٢٣

(٥) هود : ١١٢

(٤) هود : ٩٧

بنوى الظلم منهم و [لكن الله]^(١) تعالى يدفع بعضهم عن بعض ، واسكن
تكرر الفساد ، وعم كل قرن ، فتكرر عليهم الجزاء والأخذ ؛ فأشار بالفعل
إلى التكرار ، ولم يكن قوله : « مهلك »^(٢) في سورة الشعراء يعطى ذلك ،
وهنا كقوله تعالى : « أو »^(٣) لم يروا إلى الطير فوقهم صافات ويقبضن ، ولم يقل
وقابضات لما قصد من معنى التكرار .

(ولا يزالون)^(٤) مختلفين . إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم) ؛
الإشارة إلى الاختلاف في المذاهب والأديان والمال . وقيل الإشارة إلى الرحمن ،
وقيل إليهما .

(وكلاً)^(٥) نقص عليك من أنباء الرسل) : انتصب كلاً بنقص و « ما »
بدل من كلاً ، والإشارة في : « وجاءك »^(٦) في هذه ، إلى السورة .

(وإن)^(٧) كنت من قبله لمن الغافلين) ؛ أى من قبل القصص غافلاً عن
معرفة ، وفي هذا احتجاج على أنه من عند الله ، لكونه جاء به من غير تعليم .

(وكذلك)^(٨) يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الأحاديث) : قيل
هي عبارة الرؤيا ، واللفظ أعم من ذلك .

(والشمس)^(٩) والقمر رأيتهم لي ساجدين) : كرر الفعل لطول الكلام ،
وأجرى السكواكب والشمس والقمر مجرى الغلاء في ضمير الجماعة لآ وصفها
بفعل من يعقل .

(١) مكانها ياض في الأصول .

(٢) هنا بالأصول وادى في الشعراء ، آية ٢٠٨ : وما أملكنا من قرية إلا لها منذرون .
ول آية ١٣٩ : فكذبوه فأهلكناهم .

(٥) هود : ١٢٠

(٤) هود : ١١٨ ، ١١٩

(٣) الملك : ١٩

(٨) يوسف : ٤

(٧) يوسف : ٦

(٩) يوسف : ٣

هذا يوسف أنجاه مِنْ ذلِّ السَّجْنِ وَالْبُؤْسِ ، وَأَنْتَ يَا مُحَمَّدُ عَلَّمَكَ اللهُ
عِلْمَ كِتَابِهِ ، أَفَلَا يَنْجِيكَ عِلْمُكَ بِهِ مِنْ ذلِّ الذَّنْبِ ، وَيُوصِلَكَ إِلَى جِوَارِ الرَّبِّ ،
وَقَدْ اجْتَبَاكَ يَقُولُهُ تَعَالَى : « هُوَ ^(١) اجْتَبَاكُمْ » . هَذِهِ رُؤْيَا وَافِقُ تَعْبِيرِهِ عَلَى
مَا رَأَى ، وَعَصَمَهُ اللهُ ، وَوَصَلَ إِلَى الْمَلِكِ ، وَكَيْفَ لَا يَجِدُ لَكَ الْمَلِكُ الْأَعْظَمُ ،
وَمَحْفُظَكَ مِنْ مَكَايِدِ إِبْلِيسَ وَزَعَانِهِ عِنْدَ الْمَوْتِ ؟

(وَارِدُهُمْ ^(٢)) : الْوَارِدُ هُوَ الَّذِي يَسْتَقِي الْمَاءَ ، وَكَانَ سَيِّدَ الْقَافِلَةِ مَالِكُ
ابْنِ ذَعْرٍ مِنَ الْعَرَبِ الْعَارِبَةِ ، فَلَمَّا رَأَى يُوسُفَ تَفَرَّسَ فِيهِ الصَّلَاحِيَّةَ ، فَطَلَبَ مِنْ
يُوسُفَ الدَّعَاءَ ، فَدَعَا لَهُ بِالْإِسْلَامِ ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لَهُ . فَدَعَا لَهُ فَرَزَقَهُ اللهُ اثْنَا عَشَرَ
وَلَدًا ، أَغْقَبَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ قَبِيلَةً .

(وَأَمَرُوهُ ^(٣) بِضَاعَةٍ) : الضَّمِيرُ لِلْخِيَارَةِ ، وَالْمَفْعُولُ لِيُوسُفَ ؛ أَيِ اخْفَوْهُ
مِنَ الرُّفُقَةِ ، وَقَالُوا : دَفَعْنَا قَوْمُ الْأَنْبِيَاءِ عَمْرٍ .

(وَاللهُ ^(٤) غَايِبٌ عَلَى أَمْرِهِ) : فِي عَوْدَةِ الضَّمِيرِ وَجْهَانِ : أَحَدُهُمَا أَنْ يَعُودَ
عَلَى اللهِ . وَالْعَنَى أَنَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ لَا رَادَّ لِحُكْمِهِ . وَالثَّانِي أَنَّهُ يَعُودُ عَلَى يُوسُفَ ؛
أَيِ يَدْبُرُ اللهُ أَمْرَهُ بِمَحْفَظِهِ وَكَرَامَتِهِ ؛ أَلَا تَرَى أَنَّهُ لَمَّا كَانَ يُوسُفَ بِمَحْضَرَةِ وَالِدِهِ
وَبِعَيْتِهِ حَمَلَهُ إِخْوَتُهُ عَلَى أَعْنَاقِهِمْ ، فَلَمَّا غَابَ عَنْ بَصَرِهِ تَوَجَّهَتْ إِلَيْهِ الْحَيَّةُ ، وَقَامَتِ
الشَّدَائِدُ ، وَكَانَتْ عَاقِبَتُهُ الْمَلِكُ .

وَأَنْتَ يَا مُحَمَّدُ ، مَالِكٌ لَا تَخَافُ مِنْ نَظَرِ اللهِ إِلَيْكَ ، فَبِرَاكَ عَلَى مَخَالَفَتِهِ ،
وَبِحَرَمِكَ مِنْ رَحْمَتِهِ .

(وَإِنْ ^(٥) كَانَ قَبِيلُهُ قَدْ مِنْ دُبُرِ فَكَذَّبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ) ،

(٣) يُوسُفَ : ٢١

(٢) يُوسُفَ : ١٩

(١) الْحَجَّ : ٧٨

(٤) يُوسُفَ : ٢٧

لأنها جبدته^(١) إلى نفسها حين فرّ منها ، ولهذا يحكم القاضي بالقرائن المغلّبة
للفن غالبا .

وقد قدمت أن هذا الصبي كان من أقرناء زليخا وصل وزارة يوسف
بشهادته له .

وأنت تشهد خالقك بالوحدانية ، ورسوله بالرسالة ، أترأه لا يوصلك
الملك الكبير ، وهو على كل شيء قدير !

اللهم إني أشهدك بما شهدت به لنفسك ، وثبتت به لائكة قدسك ،
وثبتت بأولى العلم من جحك وإنسك ؛ إنك أنت الله لا إله إلا أنت وحدك
لا شريك لك . وإن محمداً عبدك ورسولك ، وأستودعك هذه الشهادة وأنت
تحفظ الودائع ، ولا تخيب من استودعك ، فرُدّها علينا وقت احتياجنا إليها .

(وِج) يَليج ، أى دخل ، ومنه ما يليج في الأرض . وأولج يولج ، ومنه :
« يُولَجُ^(٢) الليل في النهار » .

(وَاَبْيَضَّتْ^(٣) عَيْنَاهُ من الحزن) ، أى من البكاء الذى هو ثمرة الحزن ،
قيل : إنه عى . وقيل : كان يدرك إدراكاً ضعيفاً [٢٨٢ ب] . وفي الحديث :
إن يعقوب حزن حزن سبعم نكلى . وما ساء ظنه بالله قط ، فلذا أعطى أجراً
مائة شهيد .

(وَأَعْلَمَ^(٤) مِنْ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ) : هذا من قول يعقوب ، يبنى إلى أعلم
من لطفه ورحمته ما يوجب حسن ظنى به وقوة رجائى فيه .

(وَلِكُلِّ^(٥) قَوْمٍ هَادٍ) : روى أنها لما نزلت قال عليه السلام : أنا

(٢) يوسف : ٨٤

(٣) الحج : ٦١

(٤) جبدته : جففته .

(٥) الرعد : ٢

(٤) يوسف : ٨٦

المنذر ، وأنت يا هلى الهادى . وقيل : معناها إنما أنت نبي منذر ، ولكل قوم هاد من الأنبياء ينفذهم ، فليس قولك بمبدع ولا مستنكر . وقيل المعنى : إنما عليك الإنذار ، والله هو الهادى لمن شاء إذا شاء .

(١) وجعل فيها رواسى وأنهاراً) : قد قدمنا أن الرواسى الجبال ، وقد مرنا قاعدة تجمع الأنهار جمع قلة ، والرواسى جمع كثرة .

(٢) ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين) : قيل إنه معطوف على قوله : « رواسى » ، فيكون متعلقاً بجعل الأول . وقيل : إنه متعلق بجعل الثانى . وردّه بعض النحويين بأن فيه الفصل بين حرف العطف والمعطوف . وقد قال ابن عصفور فى شرحه الكبير : ولا يجوز فصل حرف العطف والمعطوف إلا بالقسم أو بالظرف والمجرور ، بشرط أن يكون حرف العطف على أزيد من حرف واحد . « وجعل » هنا معطوف على « جعل » الأول ، فصل بين الواو وبينه بالمجرور ، وهذا جيد إلا أن يُجاب بأنه من حرف الجمل ، فهو استئناف .

فإن قلت : هل المراد بالزوجين اثنين الذكر والأنثى ، كقوله (٣) : « ومن كل شئ خلقنا زوجين » ؟
فالجواب : أن المراد بالزوجين النوعين ، قال الزمخشري (٤) : كالأسود والأبيض ، والحلو والحامض ، والصغير والكبير ، فإنها فى أصلها كانت زوجين ثم تفرعت منها أنواع ، فصارت أزواجا .

(وإن تعجب (٥) فعجب قولهم) : انظر هل هذا أمر تقريرى ، أو هو

استدعاء له ليعجب ؟

(٣) الكشف : ٢ - ٤١١

(٤) الذاريات : ٤٩

(١) الرعد : ٣

(٤) الرعد : ٥

فإن قلت : إذا لا تدخل إلا على المحقق الوقوع ، وإن تدخل على المشكوك فيه ، والتعجب من هؤلاء محقق وقوعه ؛ لأنهم أنكروا البعث ، وخالفوا ، مع علمهم أن الله خلقهم وأوجدهم ؛ ومن أوجد المخلوقات من عدم قادر على إعادتها ؛ قال : وعادتهم يبينون بأن التعجب إنما يكون مما خفى بسببه ، فما يتعجب إلا من يخفى عليه السبب ؛ والنبي صلى الله عليه وسلم عالم بأن ذلك الواقع منهم ، أمر قَدَرَهُ الله ، وأرادهم منهم ؛ فهو في خاصته لا يتعجب منهم ، فضلا على أن يكون تعجبه منهم محققا ؛ بدليل قوله تعالى : « أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ » قال أبو حنيفة : فعجب مبتدأ وخبره قولهم إذا . ورد بوجهين : الأول أن قولهم في رتبة العلم ، وعجب نكرة . والثاني أن محل الفائدة في عجب ؛ لأنه الجمول ؛ وقولهم : إذا كنا ترابا - هو المعلوم . وقولهم : « لَنُخْلَقَ جَدِيدًا » يحتمل أن يريد بالجديد ما سبقه عدم ، ويحتمل أن يريد به ما لم يسبق بوجود . وهذا هو الأظهر ، لأجل تعنتهم ، فهم يحملون الإعادة كأنها خلق آخر لم يسبق بوجود ثابتة ، فلذا نفوها .

ومذهب أهل السنة أن الإعادة ممكنة عقلا واقعة تنمما ، وهل تُعادُ الأجساد أم لا ؟ مذهب أهل السنة أنها تُعاد ، لأن الوجود قسمان : إما متعيز أو قائم بالمتعيز ، فالأرواح إن كانت متعيزة فهي أجسام ، وإن لم تكن متعيزة فلا تهتل بنفسها ، ولا بُد لها من أجسام تحمل فيها ، فلا بُد من إعادة الأجسام خلافا للحكماء وغيرهم .

(وَتَتَجَلَّوْا لَهُ ^(١) بِالسُّيُتَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثَلَاتُ) : انظار هل المراد أنهم طُيِّبُوا الْأَمْوِينَ ، أو طُيِّبُوا السُّيُتَةَ فَقَطْ ، وهو الظاهر ، لأن

الحسنة بعدها ، فأتانهم إلا وهم قد هلكوا . ويحتمل أن يهلكوا من غير اتصال ، والمراد بالآثلاث القرون ، لأنه وقع بها من العذاب ما صدها يضرب بها المثل .

(١) وإن ربك لدو مغفرة للناس على ظلمهم) : قال ابن عبد السلام : هذه الآية نزلت على ترجيح جانب الخوف على جانب الرجاء ، لقوله : « ذو مغفرة » ، وهو للتقليل ، وإنما أخذه من كون المغفرة مصدراً محدوداً [٢٨٣] بالتاء الدالة على الواحدة ، على العقاب ، مصدر مبهم يقع على القليل والكثير ، فلو قال : إن ربك لغفار للناس لأفاد المبالغة .

قال ابن عطية : والظاهر في معنى المغفرة هنا إنما هو ستره وإمهاله للكفرة ، ألا ترى التيسير في لفظ المغفرة ، وأنها منسكرة مقلدة ، وليس فيها مبالغة ، كافي قوله تعالى : « وإني » (٢) لغفار لمن تاب » . وذكر الزمخشري (٣) في سورة غافر في قوله تعالى : « إن الله لذو فضل على الناس » أن إدخال « ذو » يدل على عظم فضله وكثرته ، ونحوه لابن عطية في سورة الروم في قوله : « فأتى القرني حقه » ، ونحوه للقاضي عياض في الإكمال في حديث سعد بن أبي وقاص في الوصية حيث قال : قد بلغ بي من الوجع ما ترى ، وإني ذو مال ، ولا يرثني إلا ابنة لي . (وكل (٤) شيء عنده بمقدار) : انظر هل المراد به القدرة وهي الإبراز من عدم إلى الوجود ، أو الإرادة وهي التخصيص ، أو العلم وهو الكشف والاطلاع . والظاهر أن المراد به الإرادة وأن كل شيء عنده مقدّر مراد ، لأنه أتى به عقيب قوله : « وما » (٥) تقيض الأرحام وما تزداد » ، نشمحل ناقص ،

(٣) الكشاف : ٢ - ٣٢٠

(٦) الرعد : ٨

(٢) طه : ٨٢

(٥) الروم : ٢٨

(١) الرعد : ٦

(٤) غافر : ٦١

وحمل زائد ، وحمل معتدل ، فقال : كل ذلك مقدر مُراد له ، لأن تخصيص الناقص بالنقص ، والزائد بالزيادة ، إنما هو راجع للارادة ، والظاهر أنه من السموات النير مخصصة ، كقوله تعالى : والله بكل شيء عليم .

(وإذا^(١) أراد الله بقوم سوءاً فلا مرد له) : هذا احتراص ، إشارة إلى أن « الْمُعَقَّبَات »^(٢) إنما يحفظونه بما أراد الله عدم وقوعه . وأهل السنة يسمون لفظ « القوم » في الطائع والعاصي ، والمعتزلة يخصصونه بالعاصي بناءً على قاعدة التحسين والتقيح عندم .

ولا مرد له ، أى لا دافع عنه ابتداءً قبل وقوعه بهم ، ولا ناصر لهم برفعه عنهم بعد وقوعه .

(ويُنشئ^(٣) السحاب الثقال) : اختلقوا في ماء المطر ، هل هو من السماء ، أو من البحار يتصعد منها بخار وتسكبه الأهوية رقة وعذوبة فيتكون في السحاب ثم ينزل مطراً .

وقيل بالوقف ؛ وهو اختيار ابن رشد في البيان . وذكر بعضهم أنه إذا سُخن ماء البحر وجُمات على القدر تشافة فإنه يعذب . وقيل : بل تنكسر حذته ويشربه المضطر إليه .

(ويُجِّع^(٤) الرعد بمحمد والملائكة من خيفته) : قيل : إن الرعد اسم ملك ؛ وردّه بعضهم لقوله تعالى : « فيه^(٥) ظلمات ورعد وبرق » . قد نكره ، فإن كان لفظ الرعد هو العلم على الملك لم يجز حذف الألف واللام منه ، كما

■ (١) الرعد : ١١

(٢) في الآية نفسها : « عَقَبَاتٍ مِنْ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ »

(٥) البقرة : ١٩

(٤) الرعد : ١٣

(٣) الرعد : ١٢

لا يُحذف من القاسم والعباس ، وإن كان العلم عليه الرعد لزم إدخال الألف واللام هنا على الاسم العلم ، وهو جائز . ويمتثل أن يكون الألف واللام للمع الصفة ، فإن لمحتما أدخلتها وإلا فلا .

وقيل الرعد صوت ملك . وقال الحكماء : اصطكاك الأجرام .

فإن قلت : لم أسند الحمد للرعد والخوف للملائكة ؟

فالجواب إن كان الرعد اسم ملك فأسند الحمد إليه إما لأنه جرم أعظم من سائر أجرام الملائكة ، فهو في مقام الحمد لافي مقام الخوف ، وإما ليدل اللفظ دالتين : دلالة مطابقة والتزام ؛ فأسند التحميد إليه مع الملائكة لدخوله فيهم ، أو يكون حذف من الأول لدلالة الثاني ، ومن الثاني لدلالة الأول ، أى ويسبح الرعد من خيفته بحمده والملائكة بحمده من خيفته .

وإن أريد بالرعد السحاب فالمراد أنه يسبح الله وحده على إبرازه إياه من العلم إلى الوجود بلسان الحال لا بالقول ، إذ لا عقل له . فذلك لم يسند الخوف إليه ، بخلاف التسبيح ، لقوله : « وإن من شيء إلا يسبح بحمده » . والخوف إنما يقع من العاقل .

(والذين^(٢) يدعون من دونه) : لم يدعهم من دون الله لكن الجزء الذى شركوهم فيه مع الله فى العبادة دعوهم فيه من دونه . « يستجيون^(٣) » : ليس هو من استغل بمعنى طلب الفعل ، وإنما هو كقول الشاعر :

وداع دعا يا من يجيب إلى النداء فلم يستجبه عند ذلك مجيب^(٤)

فلى هذا السؤال ، وإن لم يكن بمعنى أجاب يرد فيه بأن استجاب خاصة

(١) الإسراء : ٤٤ (٢) الرعد : ١٤ (٣) من الآية نفسها .

(٤) البيت لكعب بن سعد القتيبي ، برئ أخاه أبا المنصور (الثاني - جوب) .

بمن أجاب بما يوافق غرض السائل . وأجاب علامة في الجيب بالموافق والمخالف ؛ فيقال [٢٨٣ ب] لهم نفى جوابهم بالموافق ، مع أنهم لا يجيبون بشيء . على الإطلاق ، فيجيب بأن مطلوبهم من الآلهة إنما هو حصول غرضهم ، فنفاء . وأما غيره فليس مطلوباً لهم ، فلم يحتاج إلى نفيه ؛ قاله الزمخشري ^(١) .

وقوله ^(٢) : « كباسط كفيه » : يحتمل أن يريد به إلا استجابة كاستجابة باسط ، أى كاستجابة الماء من باسط كفيه إليه يطلب أن يبلغ قامه والماء جاد لا يشعر بعطشه ولا بدعائه له . وشبهه باسطاً كفيه للماء دون فانه فيه للماء ؛ لأنه داع ، وشأن الداعي أن يبسط يديه ^(٣) .

(وما ^(٤) هو ببالغة) : الفعل يقتضى التجدد ، والاسم يقتضى الثبوت ؛ فإذا أريد المبالغة عبر في الثبوت بالاسم ، وفي النفي بالفعل ؛ لأنه يلزم من نفى ثبوت الصفة وقتاً ما نفى ثبوتها دائماً ، ولا يلزم من نفى ثبوتها دائماً نفى ثبوتها وقتاً ما . وكذلك يؤتى في الأعم بالنفي ، وفي الأخص بالثبوت ؛ لأن نفى الأعم يستلزم نفى الأخص ، وثبوت الأعم يستلزم نفى ثبوت الأخص ، ونحوه للزمخشري في قوله ^(٥) : « فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم » . وجاءت هذه الآية على العكس في قوله : « ليبلغ قاه » . وما هو ببالغة ؛ فعبّر بالثبوت في الفعل ، وفي النفي بالاسم ، فنفى عنه البلوغ الثابت دائماً ، ولا يلزم منه في البلوغ المتجدد الثابت وقتاً ما .

والجواب أن القرينة هنا تنفى هذا المفهوم المتوهم ، وتعين أن المراد

(٢) الرعد : ١٤

(١) المكنى : ١ - ٤٩١

(٣) البقرة : ١٧

تَنْفِي الْجُلُوعِ عَلَى الْإِطْلَاقِ كَيْفَمَا كَانَ .

(وَيْحًا^(١)) يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حَرْمَةٍ أَوْ مَنَاجٍ زَبَدٌ مِثْلَهُ) :
الزَّمْخَشَرَى : هو كل ما يلين من المعادن ، فإذا برد اشتد وتبين ، كالذهب
والفضة والحديد والنحاس والرصاص . والحلابة : كل ما يتحلل به من الذهب والفضة
وغيرهما .

(وَالَّذِينَ^(٢)) يَتَّقُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ
يُوصَلَ) : هذا دليل على أن العهد يطلق على الوعد ، وعلى الأمر المشق
لِلْمُسْتَرَمِّ ، ولو كان العهد هنا الميثاق لما كان لقوله^(٣) : « مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ »
فائدة . وقيل هي مباينة لما قبلها ، ووقعت المباينة فيما قبلها بتسعة أوصاف ؛ وفي
هذه بثلاثة أوصاف : لأن الأولى في معرض الجزاء على الطاعة ، وهذه في
معرض العقوبة على المعصية ، فناسب المباينة في الأولى ، تأكيذاً على الثابرة
على الطاعة ، وعدم المباينة في هذه تنقيهاً عن المعاصي ، وأن العقاب يقع
على أدنى شيء من المعصية . ووجه ثان : وهو أن نقض العهد إشارة إلى
العهد المأخوذ على الخلائق يوم^(٤) : « أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ » ، فهو راجع إلى
التوحيد .

وقطع ما أمر الله بوصله : راجع إلى الإيمان بالرسول ؛ لأن تكذيبه قطع
له من مرسله ، والإيمان به إقرار بعقله مع مرسله .

والتقصد في الأرض راجع إلى المعاصي . وفي الآية حجة لمن يقول : إن
المنذوب غير مأمور به ، لأنها في معرض الذم لفاعل ذلك ، فلو كان مأموراً به لما

(١) الرعد : ١٧ (٢) الرعد : ٢٥ (٣) الرعد : ٢٥ (٤) أي يقال لهم : ألسنت بربكم .

تناوله الذم . وليس المراد من جمع هذه الأوصاف ؛ بل من اتصف بواحد منها فقط .

فإن قلت : هل قوله تعالى : « لم^(١) اللعنة ولم سوء الدار » لمن اتصف بها ، سواء كان مؤمناً أو كافراً ؟

والجواب : أن اللعنة للكفار وسوء الدار للعصاة ، فهو لفظ ونشر ؛ وإدخال اللام تهكم بهم وإشارة إلى أن اللعنة أمر ملائم لهم ومناسب لعلهم ؛ فليحذر الماقل هذا الوعيد المائل ولا يستعثر المعاصي .

(وفرحوا^(٢) بالحياة الدنيا . . .) الآية : هذا يرجع إلى الكفار الذين جلولوا الدنيا دارهم ، وهل هي إلا سجن المؤمن إن عقل ، لما يستولى عليه فيها من المموم والبلايا والحيات والقمل .

ورجعه للناسبة بينها وبين السجن ظاهرة ؛ فانظر ما أغفلنا عن الآخرة مع مشاهدتنا لهذه الأمور ! ولهذا تجد الكفار يوسّع عليهم في الدنيا ليزدادوا كفرًا وفسقًا ، وكذلك الموسّع عليه منا أكثر ترفها وعصيان ؛ ولهذا قال في حديث : أولئك قوم عجلت لهم طيباتهم في الدنيا .

(ويقول^(٣) الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه) : لولا التحفيض ، كقول القدير لفضي : لولا أحسنت إلى . فأجابهم الله بأن يقول لهم : إنما أنا عبد ، والبد ليس له مع سيده اختيار ، وسيده أعلم بأموره ، إما أن يضله أو يهدي [١٢٨٤] إليه من أناب .

فإن قلت : لم جل فعل المشيئة مضارعاً والإناية ماضياً^(١) . والمناسب العكس ؛ لأن مشيئة الله قديمة وإيابة العبد حادثة ، وفي غافر : « وما^(٢) يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ » ؟

فالجواب : أن فعل المشيئة أتى مضارعاً باعتبار متعلقها ، وهو من فعل العبد وغير مطلوب لأن أصلها من الله ؛ فلم يحتج إلى طلب متعلقها . والإيابة من فعل السيد ؛ فجاء فعلها ماضياً إشارة إلى تأكد طلبها حتى كأنها واقعة . وأيضاً مشيئة الله دائمة مستمرة ، وإيابة العبد منقطعة ؛ فهو إشارة إلى أن مَنْ أَنَابَ ليس على وثوق مِنْ بقاء إنايته واستمرارها في المستقبل إلا بهداية الله وتوفيقه .

والآية عندى صريحة في مذهب أهل السنة ؛ لقوله : « يَهْدِي^(٣) إِلَيْهِ » ؛ أي يخلق في قلبه الهداية ويُرشده إليها . وَأَنَابَ إشارة إلى ماله في ذلك من الكسب . ثُمَّ^(٤) ذَكَرَ حَالَهُمْ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِهِ وَأَعْلَانَتْ لَهُمْ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِهِ .

فإن قلت : كيف نطمئن قلوبهم بِذِكْرِهِ وقد ذكروا الله في آية أخرى^(٥) : « الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ » ؛ فهذه اتضعت أن ذكر الله موجب خَوْفَهُ وَالْوَجَلَ مِنْهُ ، والأولى اتضعت طمأنينة قلوبهم .

والجواب : أنهم لما سمعوا ذكره تعالى حدث لهم خَوْفٌ مِنْهُ وَوَجَلٌ ، ثم تبعه طمأنينة وسكون ، كما قال القائل :

(١) في الآية ضمها : إل إن الله يضل من يشاء ، ويهدي إليه من أناب .
 (٢) غافر : ١٣ (٣) الرعد : ٢٧ (٤) في الآية التي بعدها : ٢٨
 (٥) الحج : ٢٥

وإِنِّي لَتَعْرِفُونِي لَدَىٰ ذِكْرِكَ فِتْرَةً كَمَا انْتَفَضَ الْمَصْفُورُ بِثَلَّةِ الْقَطَارِ

وقال ابن عبد السلام : معنى الأولى أنهم إذا أخبروا أن الله تعالى ذكركم اطمانت قلوبهم وسكنت ؛ لأنهم يملكون أن ذلك رحمة منه بهم واعتناء بذكركم ؛ وجاء قوله ^(١) : « إِذَا ذَكَرَ اللَّهُ وَجَلَّتْ قُلُوبُهُمْ » على الأصل من حالهم ؛ لأن حالهم الخوف ؛ فإذا ذكر الله ازداد وجلُّهم وخوفهم من عقابه . وهذا جواب حسن . وهذه أمور فوقية لنا من ذلك على فوق ، فلا القلب يعلمن ولا يوجل ، اللهم أقل العثرة واغفر الزلة .

(ولو ^(٢) أن قرآنا سُيِّرَتْ به الجبال . . .) الآية ، وجوابها مقدر ؛ أى لما آمنوا به ، والقضية الشرطية تقتضى نفى الأول لانتفاء الثانى ؛ نحو : لو كان هذا إنسانا لكان حيوانا ، لكنه ليس بحيوان فليس بإنسان . وتارة تقتضى ثبوته لثبوته ؛ نحو : لو لم يكن هذا حيوانا لما كان إنسانا ، لكنه إنسان فهو حيوان . وتارة تقتضى مجرد الملازمة والارتباط ؛ نحو : لو حضر زيد لحضر ثوبه ؛ والآية من هذا القسم ، والعطف فيها تدل ؛ لأن تسير الجبال أقرب وأعجب لعظم جرمها وكونها جادا لا يقبل الانصاف بصفة الحيوان ، والسير من صفة الحيوان ، ولم يقع ذلك فيها بوجه ، ثم يليه تقطيع الأرض لكثرة وقوعه ، لاسبابها على ما قال ابن عطية من أنه تفجير أنهارها . ويليه تكليم الدوتى ؛ لأنه قد وقع لبيس عليه السلام وغيره .

(ولقد ^(٣) استهزى برسلي من قبلك . . .) الآية : فيها دليل على أنه

لا أثر للاستهزاء^(١) على الكفر مع الكفر ؛ لأن الاستهزاء كفر وزيادة ،
وتعليق الحكم على الوصف المناسب يُشعر بقلبه له ؛ والاستهزاء هو عَيْنُ
الكفر ؛ وهؤلاء لم يكونوا في زمن الفترة ؛ بل كانوا مؤمنين بغيره ، وما
عُلم كفرهم به إلا من لفظ الاستهزاء ؛ وفيها دليل على صحة العمل بالقياس ؛
لأن الآية سقت مساق التخويف للكفار ، والتسوية لتبيننا صلى الله عليه وسلم ،
وما وجه التخويف إلا من ناحية أن المشاركة في الوصف توجب التسوية في
الحكم الناشئ له ، والكفار المعاصرون لتبيننا مشاركون لمن سبقهم في
الاستهزاء . واقتضت الآية أن مَنْ سبقهم عُوقب ، فكذلك هؤلاء .
ولا معنى للقياس إلا لإثبات حكم الأصل للفرع لئلا جامعة . وتنكير لفظ
« رسل » للتشريع ، ولا يناسب التعظيم ، ولا يحصل به التخويف ؛ لأنهم
يقولون : إنما عُوقبوا^(٢) أولئك على استهزائهم بظماء الرسل فما يلزم منه
عقابنا نحن .

فإن قلت : كيف أكد هذا التسم باللام وقد مع أن الماضي بعيد عن زمن
الحال ؟

والجواب : تنزيلا له منزلة القريب ؛ ليحصل كال التخويف . ولما
أخبرهم بالإملاء^(٣) فلم العاقل منهم أن الإملاء [٢٨٤ ب] أشد من الإهمال
كثير ، لأنه يتضاعف به العذاب ، فأسرع إلى الدخول في الإسلام ، وعلم أن
تيسير أسباب الوقوع من موجبات عذاب آخر ، والأمر كذلك ؛ لأن
الله تعالى يقول^(٤) : « إِنَّمَا نُمَلِّئُ لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا » . ويحكون في مثل هذا
أن صبيا مسلما صفع يهوديا في الحمام ، فأعطاه اليهودي ديناراً مكيدة منه

(١) مكانها يباس في الأصلين . (٢) هنا في الأصول .

(٣) في الآية : فأمليت للذين كفروا . . . (٤) آل عمران : ١٧٨

السمي . فدخل ذو هيئة فسقته الطائلُ ظاناً أنه يأخذ منه أ كثر ، فقطعت يده . فافهم يا محمدى ما تحت الإسهال والإملاء من الأحوال ، ولا تحسبن إسهاله إسهالاً .

(^(١) وجعلوا لله شركاً قُلْ سَمُوم . . .) الآية : تارة تبطل الدعوى ببيان بطلان مدلول دليلها ، وأبطال عليهم بهذه مدلولهم السمي . وهو قوله ^(١) : أم بظاهري من القول ، وهو قولهم ^(٢) : « ما نه بؤدم إلا أير ربونا إلى الله زلنى » ، وقولهم : « هؤلاء ^(٣) شعاؤنا عند الله » ؛ فتبيل لهم : هل بلغكم ذلك عن الله على السنة الرسل أم لا ؟ وقد خاط الزمخشري في قوله : « شركاء » على عادته في خلط لفظ القرآن بكلامه .

وأما العقل فبطل لبطلان مدلوله ، وهو قوله : « قل ^(٤) سَمُوم أم تُنبئونه بما لا يعلم في الأرض » ؛ فهو غير معلوم لله ، وكل ما ليس بمعلوم لله فليس بموجود ولا معدوم إن قلنا إن المدوم الممكن معلوم ؛ فدل على أنه محال .

فإن قلت : كيف قال : « قل سَمُوم » وم سَمُوم ، فقالوا : اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ؟ وفي آية يونس : « قل ^(٥) أننبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الأرض » . وفي هذه السورة : « بما لا يعلم في الأرض » . وفي سورة إبراهيم : « وما ^(٦) يخفى على الله من شيء في الأرض ولا في السماء » ؟

(٢) الزمر : ٢

(١) الرعد : ٢٢

(٤) في الآية حسبا : الرعد : ٢٢

(٣) يونس : ١٨

(٦) إبراهيم : ٢٨

(٥) يونس : ١٨

... والجواب : ليس المراد مجرد النسبة ؛ بل تعيينهم . والمعنى أنه إنما يستحقُّ اسمَ الإله من اتصف بالاستغناء والكمال ، وتنزّه عن العجز والاحتياج ، فممنوا لنا شركاء متصفين بذلك ، فإنهم لا يحدونهم : وإنما خصّ الأرض بالذكر لأنها المشاهدة القريبة ، وإلا فقد عهدوا الشُّعْرَى والعبور ، وعبدوا الشمس إلى غير ذلك . ونفى علم الشيء عن الله يستلزم عدم ذلك الشيء ، وفيه دليل على أن عدم غير معلوم . وفي المسألة ثلاثة مذاهب : مذهب الجمهور إلى أنه معلوم ، وقيل إنه غير معلوم . وقيل المستحيل غير معلوم ، والممكن معلوم .

(وإِذَا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ . . .) الآية : نسيئة النبي صلى الله عليه وسلم ووعد له بتحذيرهم . ومعناها إِذَا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ مَا يَنْزِلُ بِهِم مِنَ الْعَذَابِ فَلَا تَتَوَكَّلْ عَلَىَّ أَنْ عَلَيْكَ فِي ذَلِكَ شَيْئًا ، لَأَمَّا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ ، وَقَدْ بَلَغْتَ ، أَوْ نَتَوَفَّاكَ قَبْلَ رُؤْيَاكَ ذَلِكَ فَعَلَيْنَا حِسَابَهُمْ ؛ لَأَنَّهُمْ إِذَا عَذَّبُوا بِعَذَابِنَا اتَّقَى التَّوَكُّلَ .

فإن قلت : هل هذا وعد له صلى الله عليه وسلم بتحذيرهم أو وعيد ، فأطلق الوعد على الوعيد ؟

والجواب أنهما اجتماع في هذه الآية^(١) ، وآية الزخرف^(٢) أبلغ لأن قوله تعالى : « أَوْ^(٣) نُرِيَنَّكَ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ » اقتضت رؤيته بعض عذابهم . وهو

(١) الرعد : ٤٠

(٢) في الآية نفسها : أَوْ تَوَفَّاكَ لِأَنَّا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَمَا بِنَا الْحَبَابُ .

(٣) الزخرف : ٤٢

ما ينزل بهم في الدنيا قبل وفاته، وكان بعضهم يقول : الوعد بالإحسان أو بالنصرة على الأعداء من السلطان أو الرجل ذي الهيبة ليس كالوعد بمن دونه ، لأن الأول يحصل منه كمال الطمأنينة والركون .

فإن قلت : ما الفائدة في تأكيد الآيتين بالنون مع أن أحدهما محقق الوقوع لاشك فيه ، وإنما المهم تعيين الواقع منهما ؟

والجواب : أن التأكيدهما راجع للجزء لا للشرط .

فإن قلت : إنما هو في الشرط فقط ، فاعلم أن الشرط والجزاء مرتبطان ؛ ألا ترى أن القائل : إن قام زيد فأنا أكرمه - يحسن أن يقال له صدقت أو كذبت ، والتصديق والتكذيب إنما هو للجزء لا للشرط .

(وهو) " مريع الحساب) : سرعة حسابه إما باعتبار قرب أوانه أو قصر زمانه وقلة مكثه . وقال ابن عضية في سورة آل عمران ^(٢) عن مجاهد : يحتمل أن المراد بسرعة الحساب أن الله تعالى لإحاطته بكل شيء علما لا يحتاج إلى جدول أو فكرة . ويستدل بها أن الله سبحانه يحاسب آلاف آلاف في وقت واحد من غير علم أحدهم بالآخر ، وهذا مشاهد في رؤيته صلى الله عليه وسلم في أقطار شتى على هيئات مختلفة ، ورؤية أموات في أقطار الأرض لمكر ونكير في وقت واحد [١٢٨٥] هذا يقع له التبشير بقولهم ، وآخر يضربانه ضربة يشتعل منها قبره نارا .

(وقد) " مكر الذين من قبلهم) : قد قدمنا حصة مكرم ، ولذلك أجاهم

(١) الرعد : ٤١

(٢) في آل عمران (١٩) : فإن الله عليم الحساب .

(٣) الرعد : ٤٢

بقوله ^(١) : « فَلَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ » ؛ لأن مكرهم من غير فدية ، وقُدْرَتُهُ تعالى على الفعل ، وهو عالم بهم ، لا يخفاه شيء من أمرهم .

فإن قلت : « من » لا ابتداءً للنهاية . فيمتضى أول أزمنة القبلية ، وقد يقرب الماضي من زمن الحال ، فكيف صح الجمع بينهما ؟

والجواب المراد أول أزمنة هذا المكر القريب ، وهو الزمن القريب من وقتك .

(ويقول ^(٢) الذين كفروا أنت أمرٌ سلا) : هذا تصريح بإنكارهم وقبح مقالهم ، وكيف لا وقد رأوا ظهور الخوارق المعلوم صدق من ظهرت على يديه بالضرورة ، وكان الواجب عليهم النظر ؛ لأنه واجب بالشرع خلافاً للمعتزلة ؛ فإنهم قالوا بالنقل ، ولو كان واجباً بالشرع للزم عليه إخماد الرسل ؛ لأنه يقول : ما ننظر في معجزتك حتى يجب ذلك على ، ولا يجب على إلا بقولك ، وأنا لا أصدقك .

وأجاب أهل السنة على ذلك بأن المعجزات والخوارق من الأمر القريب ، والنفوس مجبولة على النظر في غرائب الأمور ، وأيضاً إن قلنا : إن النظر بتكليف مالا يطاق ، فنقول : إنه واجب ؛ ولا يلزم ما ذكره ، وإن لم نقل بذلك فنقول : إنه متوقف على تمكن العلم بنبوء الرسل لا على حصول العلم بنبوءته . ونقول له : إنك متمكن من العلم ؛ فانظر النظر الذي يوصلك إلى ذلك العلم .

فإن قلت : مقاتلهم ماضية ، فلم قال ^(٣) ؛ « ويقول الذين كفروا » ؟

الجواب من ثلاثة أوجه :

الأول : أتى به مستقبلاً لتعجيب ، كقوله : «^(١) ألم تر أن الله أنزل من السماء ماءً فتنبج الأرض مخرجاً ، ولم يقل فأصبحت . والثاني للتصوير ، كأنها لم تزل واقعة مشاهدة . والثالث ليتناول اللفظ من قالها ومن سيقول مثلها في المستقبل .

فإن قلت : هلاً قال : لست نبيثا ، فينتفى الأعم ؛ لأن نفى الأعم يستلزم نفى الأخص ؟

والجواب أن نفى الأخص هنا يستلزم نفى الأعم ؛ لأنه قول لهم : «^(٢) يا أيها الناس ، إني رسول الله إليكم جميعاً » ، فكذبوه في هذه المقلة ، فإذا كذبوه فيها فهم لا يصدقونه في نبوته ؛ لأن النبي لا يكذب .

(وما^(٣) أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه) : فيها دليل على أن واضع اللغة هو الله تعالى . واختلف هل الكتب المنزلة نزلت بلغاتهم أو بالعربية ، وكل رسول يعبر لهم بلغتهم . وقد قدمنا ذلك . وفي قوله : «^(٤) فيضّل الله من يشاء ويهدي من يشاء » دليل على أن حصول العلم عتیب النظر عادي ، وليس بقلبي ؛ إذ لو كان عقنياً للزم من البيان الهداية . ومحتمل أن يقال لا يلزم ذلك ؛ لأن المخاطب قد لا ينظر النظر الموصل للعلم .

(^(٥) وقد أرسلنا موسى بآياتنا أن أخرج قومك من الظلمات إلى النور...) الآية . الظاهر أن «^(٥) أن » هنا تفسيرية . وقال بعض النحاة : إن النحويين

(٣) إبراهيم : ٤

(٢) الأعراف : ١٥٨

(١) الحج : ٦٣

(٥) إبراهيم : ٥

(١) إبراهيم : ٤

بمنون وصل « أن » بالجملة خبر الخبرية . وذكر ابن المطار في مخرج الجزولية جواز ذلك .

فإن قلت : هلا قال : أن أخرج قومك من الظلمات إلى النور ياذن الله ، كما قال أولاً : « لتُخرج^(١) الناس من الظلمات إلى النور ياذن ربهم » ؟

والجواب أن الأول خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ، وشريعته من أسهل الشرائع ؛ فناسب فيها ذكر الإذن ليفيد معنى السهولة واللين المأذون فيها ، وهذه الآية الثانية خطاب لموسى ، وقد كانت شريعته صعبة ؛ ألا ترى إلى قوله تعالى^(٢) : « قُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ » . وأيضاً « أخرج » فعل أمر ؛ فهو بنفسه دليل على الإذن ، فلم يحتاج إلى ذكره معه ، بخلاف قوله : « لتُخرج الناس » ، فإنه جملة خبرية لا تدل على الإذن ، فلذلك قبلت به .

(وَذَكِّرْهُمْ^(٣) بِآيَاتِ اللَّهِ) : التذكير لقوم موسى سبب في إخراجهم من الظلمات إلى النور ؛ واللفظ يُعْمُ النعم والنقم ، فإذا علموا عقوبته تعالى للأمم المتقدمة حرّكوا أنفسهم للإخراج من الكفر .

فإن قلت : كان حقه أن يقدم السبب على السبب ، فلم آخره عنه ؟ وما القائمة في تعبيره عنه بالآيات ؟

والجواب أن التذكير هو الموعظة ؛ والدعاء إلى الإسلام متقدّم عليها ، والموعظة إنما تكون [٢٨٥ ب] بعد ذلك ؛ لأنه يُرِيهِم المعجزة ابتداءً ، فإذا آمنوا وعظّمهم ليؤمنوا على إيمانهم . وعبر عنه بالآيات ؛ لأن

العقوبة كانت في أيام ، وذلك تعظيم لها ، كفولهم : يوم كذا .

(١) وَيَسْتَعْيُونَ نِسَاءَكُمْ) : لما أخبر فرعون أنه يولد من بني إسرائيل مولود يكون سبب هلاكه صار يذبح الذكور ، ويستحي النساء كما قدمنا .

فإن قلت : هلا قل : يستحيون بناتكم ؛ ليوافق أبناءكم ؟

والجواب : أن البنات في حال صغرهن لا ثوبة ، منهن ولا مشقة ، وإنما يلحق آباءهم الثوبة والمشقة إذا كبرن وصيرن نساء ، وفيها إشارة إلى الوصف الذي لأجله أحبوا البنات وهو بقاؤهن حتى يكبرن فيحتروهن ويذلوهن لبقائهن بغير رجال .

وإن قلت : هذا المطف يذبحون ويستحيون على يسومونكم (٢) مشكل ؛ لأن المطف يقتضى المغيرة ؛ فإن كان السوم هو الذبح لزم عطف الشيء على نفسه ، وإن كان غيره لزم تفسير الشيء بغيره .

والجواب أنه غيره . لكأن أعم منه ؛ فالسوم هو أوائل الضرب ومقدماته ، والذبح أخص منه .

وإن قلت : ما الفرق بين هذه الآية وآية (٣) البقرة في عطفه هنا بالواو .

والجواب : أن اللنة في آية البقرة وقعت من الله تعالى ؛ لأنه قال فيها : « وَإِذْ أَجَبْنَاكَ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ » ، فأسند الفعل إلى نفسه ، والملك كل

(١) إبراهيم : ٦

(٢) الرعد : ٦ : يسومونكم سوء العذاب ، ويذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم .

(٣) البقرة : ٤٩ : يسومونكم سوء العذاب ، يذبحون أبناءكم .. من غير واو قبل « يذبحون » .

الأشياء عنده حقير ؛ فهذا أتى بالجملة الثانية غير مطبوعة لتكون مفسرة للأولى وكأنهما شيء واحد ، لأنه لا يستعظم الأشياء إلا من لا قدرة له ، فاللثة دينار لا قدر لها عند الغنى ، وهي عند الفقير مال معتبر ؛ وأما في هذه السورة فاللثة فيها من موسى عليه السلام ؛ لأن أولها : « وإذ قال موسى لقومه » ، فناسب فيها المبالغة في العطف بالواو التي تقتضى المغايرة والتباين ، لتكثر أسباب المن .

وأجاب صاحب درة التنزيل بأن آية إبراهيم وقعت في خبر عطف على خبر آخر قبله : وهو قوله ^(١) : « ولقد أرسلنا » — « وإذ قال موسى » ، فتضمن الأول الإخبار عن إرسال موسى بالآيات ، والثاني تنبيه لقومه على نعم الله ، فيقوى معنى العطف في « يذبحون » ؛ لأنه هو وما عطف عليه داخل في جملة مطبوعة على غيرها ، فالنظام مقام الفصل ؛ بخلاف آية البقرة ؛ فإنه أخبر فيها بنحر واحد ، وهو إخباره عن نفسه بإنجاء بني إسرائيل ؛ فلذلك لم يعطف ، وأخبر في إبراهيم بخبرين معطوفين ، فلذلك عطف ؛ يريد والجملة المتقدمة في سورة البقرة إنما هي طلبية ؛ وهي قوله : « اذكروا ^(٢) نِعْمَتِي الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ ... » الآية ، والمشاكلة تقتضى الإخبار ، وتجرى مجرى واحد في الفصل والوصل ، بخلاف الخبر والطلب ؛ فإنه لا يحامل أحدهما معاملة الآخر ، ألا ترى أن المشهور عند النحويين أنه لا يجوز عطف الجملة الخبرية على الطلبية ولا العكس .

(وإذ ^(٣) تأذن ربكم) : قيل أذن ربك ، ونظيره توعد وأوعد ،

(٢) البقرة ٤٧

(١) في الآية الخامسة قبلها من السورة نفسها .

(٣) إبراهيم ٧

وتفضل وأفضل ، ولا بد في تفعل من زيادة معنى ليس في أفعل ؛ كأنه قيل :
وإذ تأذن ربك إبدانا بايضا ينفى عنه الشكوك ، ولأجل أن تفعل يقتضى
التكلف والمشقة حله الزمخشري - والله أعلم - على أن التضعيف للتأكيد
والمبالغة في الإذن .

فإن قلت : لآى شيء أضاف الرب للمخاطب ، والأصل إضافته إلى المتكلم ،
فيقال : ربنا ؟

والجواب : أنه لما طلب منهم الشكر أضافهم بأحد موجهاته ، وهو اللفظ
الدال على الترقى والحمدان ، وإضافته إليهم ليكون تأكيداً في الشكر .
وأما هو فشكره حاصل ، ومعرفة بذلك مستقرة ثابتة .

(وإنا^(١) نكفي شكاً) : قد قدمنا في قصة صالح أن الشك هو التردد
بين أمرين .

فإن قلت : قد قال في سورة هود : « قالوا^(٢) يا صالح قد كنت فينا مرجواً » ،
فلم حذف هنا ؟

والجواب : لتكرارها في تدعوننا ، ولم يحذفها لعدم تكرارها في تدعوننا ؛
لأنه خطاب لصالح وحده ، فهو ضمير مفرد .

فإن قلت : كيف جزموا [١٢٨٦] أولاً بالكفر ، ثم قالوا : « وإنا^(٣) »
لنكفي شكاً ، والشاك غير حاكم بشيء فضلاً عن أن يكون جازماً به ؟

والجواب : أن بعضهم قالوا : إنا كفرنا ، وبعضهم قالوا : إنا نكفي شكاً .
أو يحاب باحتمال أن يريدوا بالأول قسم التوحيد ، وبالكفى قسم الشرائع

(٣) إبراهيم ٩

(٢) هود ٦٢

(١) إبراهيم ٩

والأحكام . أو باحتمال العكس . أو يراد إننا كفرنا بما أُرسلتم به من حيث الجملة . وإنا لنرى شكاً في الرسل بدليل قوله : « أَفِي اللَّهِ شَكٌّ » ، فهم كفروا بالله وكفروا بما جاءت به الرسل من عنده . وقد قلنا أن قولَ الرسل : « أَفِي اللَّهِ شَكٌّ » إشارة إلى تقليل الشك ، أى لا يتصور أن يقع شك في الله بوجه وإن قل ؛ فإذا أنكروا أن يكون أمر الله حيزاً للشك مع قننه فأخرى أن يكون الشك حيزاً مع كثرته .

(ولكن^(١) الله يَمُنُّ على مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ) : لما كان وجود الله أمراً نظرياً ليس بضرورى ، وكون الرسل مثلهم أمراً ضرورياً لا يحتاج إلى نظر لظهوره قالوا لهم هذا لا نغيرم . ومعناه يَمُنُّ على مَنْ يَشَاءُ بالإيمان والخروج عن دين آبائه ، فلما سمعوا هذا منهم آذوهم فقالوا لهم :

(ولنصبرن^(٢) على ما آذَيْتُمُونَا) : وما موصولة بمعنى الذى ، أو مصدرية ، والمائد محذوف تقديره آذيتُمونا أو آذيتُمونا به .

(وقال^(٣) الذين كفروا لرسولهم ...) الآية : قد قلنا فى حرف الكاف أن الرسل لم يكونوا فى ملّة قومهم قبل الرسالة .

(وما^(٤) ذلك على الله بعزيز) ؛ أى بمتندر ولا صعب ، وأحسن منه بمتندر ؛ لأن قوله^(٥) : « إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَفَادَ لِمَكَانِهِ » فإنه غير متندر .

(وبرزوا^(٦) لله جميعاً) : قد قلنا معنى البروز فى حرف الباء ، وحينئذ فيقول الضعفاء^(٧) ...

(١) إبراهيم : ١٠	(٢) إبراهيم : ١١	(٣) إبراهيم : ١٢
(٤) إبراهيم : ١٣	(٥) إبراهيم : ٢٠	(٦) إبراهيم : ١٩
(٧) إبراهيم : ٢١	(٨) فى الآية نفسها : وبرزوا لله جميعاً قال الضعفاء الذين استكبروا إنا كنا لكم نبياً .	

فإن قلت : لِمَ عُبِّرَ هنا وفي غافر^(١) بالاسم ، وفي سبأ^(٢) : « يقولُ الذين استضعفوا الذين استكبروا » ؟

والجواب : أن الاسم يقتضي الثبوت ، وكلما ثبت الاخصُ ثبت الأعم ؛ فإذا كان مطلق الاستكبار يمنع من إيمان من اتصف بأخص الضعف فأخرى أن يمنع من إيمان من اتصف بأعمه . وأما سورة سبأ فالمراد فيها تبعية من اتصف بمطلق الضعف أن اتصف بمطلق الكفر ، فإذا كان وجود مطلق الاستكبار لا ينفع لمن اتصف بمطلق الضعف فأخرى ألا ينفع لمن اتصف بأخصه ولا ينعكس .

(وأَدْخِلْ^(٣)) الذين آمنوا وعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ : هذا إما على التوزيع ، فكل واحد جنّة أو لكل واحد جنات ، و « خالدين^(٤) » فيها ، حال من الذين آمنوا مقدّرة ؛ لأن الدخول غير مقارن لزمن الدخول .
فإن قلت : ما فائدة ذكر الأَهارى في كل موضع يذكر فيه الجنة مع أن الجنة معلومة بالماء .

والجواب أن التمدح بالماء معلوم عند الناس ؛ لأنه أصل كل شيء .
وحكى أن بعض ملوك الروم كان يُهدى لمعاوية وُيهادي معاوية ، فطلب مرة من معاوية أن يبعث له بأصل كل شيء ، فانتشار معاوية خواصه ، فأشار إليه عبد الله بن عباس بأن يبعث له قارورة مملوءة بالماء ، فلما بعثها له قل له الرومي : ما أشار عليك بهذا الأمر إلا مَنْ فيه عضو من النبوة .

(١) في غافر : ٤٧ : يقول الضعفاء الذين استكبروا ... (٢) سبأ : ٣١

(٣) إبراهيم : ٢٣

(واستفتحوا^(١)) : الضمير للرسل ؛ أى استنصروا بالله . وأصله طلب
الفتح ، وهو الحكم

(ويُسْقَى^(٢) من ماءٍ حَرِيدٍ) : معطوف على محذوف ، تقديره من^(٣) ورائه
جهنم يلقى فيها ويسقى ، وإنما ذكر السقى تحريداً بعد ذكر جهنم ؛ لأنه من
أشدّ عذابها ؛ ألا ترى كيف علمه بقوله^(٤) : (وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ
وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ) : لأن الله قضى عليهم ألا يموتوا ، فنبهان من حبس
أرواحهم مع هذه السمكات .

(وَفَرَعُهَا^(٥) فِي السَّمَاءِ) : الضمير يعود على الشجرة التي أصلها ثابت . وقرئ :
ثابت أصلها . والقراءة المشهورة أبلغ ؛ لأن «ثابت أصلها» صفة رفعت الفاعل ،
فهى فى معنى الفعل ، وأصلها ثابت مبتدأ وخبر ؛ فليس فى معنى الفعل ؛
والإخبار بالاسم عديم أبلغ من الإخبار بالفعل ، فذلك كان زيد أبوه قائم
أبلغ من زيد قائم أبوه

فإن قلت : كيف عثر عن الكلمة الطيبة بالمحمل ، وعبر عن الكلمة الطيبة
بالاسم فرغ^(٦) ؟

والجواب : المؤمن له حالتان : انتقل من الكفر إلى الإيمان ، والكافر
له حالة واحدة ثبتت عليها ، ولم [٢٨٦ ب] ينتقل عنها ؛ فذلك عثر عن مثله
بالاسم . وقد قلنا أن أصحاب الشجرة أربعة .

(وَأُنْزِلَ^(٧) مِنَ السَّمَاءِ مَاءٌ) : كلُّ ما شلَاكَ يسمى سماء . وسمى السحاب
سمايا للونه ، وهذا جارٍ على التلّاف فى البناء على ما قلنا ؛ هل هى من السماء ؟

(١) إبراهيم : ١٥ (٢) إبراهيم : ١٦ (٣) فى الآية نفسها .

(٤) إبراهيم : ١٧ (٥) إبراهيم : ٢٤

(٦) فى الكلمة الطيبة قال : ألم تر كيف صرف الله مثلاً... وفى الكلمة الطيبة قال

ومثل كلمة خبيثة (إبراهيم : ٢٦) . (٧) إبراهيم : ٢٢

أوهى من بخارٍ لطيف يصعد من البحار فيشكون منه السحاب؟ والصحيح الوقف .

(وسَخَّرَ^(١) لَكُمْ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ) : هذا مثل :
« ولا طائر يطير بجناحيه » ؛ لأن جريها ليس إلا في البحر ، وجريها في
البحر لا يقع إلا بإذن الله .

فإن قلت : ما فائدة قوله : « بأمره » مع أنه معلوم ؟

والجواب : لما كان لجريها أسباب في محاولة البحر وخدمة النواية ربما
يتوهم أن جريها بسبب ذلك ، فاحترس منه بقوله : « بأمره » ، وهذا تفهم
الحكمة في إدخال اللام في قوله في الواقعة^(٢) : « لو نشاء جَلَلْنَا حُطَامًا » دون
إدخالها في قوله : « لو^(٣) نشاء جَعَلْنَا أَجَاغًا » ؛ لأن الأول فيه لا ين آدم تسبب
ومحاولة ؛ فقد يتوهم أن ذلك من فعلهم ؛ بخلاف الماء فليس لهم لا تسبب لهم
في كونه حُلُومًا .

(وَأَنَا كُمْ^(٤) مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ) : من التبويض ، و « كل »
للمعوم ، ومتعلقها مختلف ؛ فالمعوم في الأنواع ، والتبويض في أنواع تلك
الأشخاص ؛ أي وأنا كُمْ بَعْضُ كُلِّ نَوْعٍ سَأَلْتُمُوهُ .

(وَإِنْ^(٥) تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصَوْهَا) : أفراد النعمة من باب التنبيه
بالأدنى على الأعلى ، بمعنى أن الإنسان لا يستطيع إحاطة جزئيات النعمة
الواحدة ، فأحرى ما هو أكثر . و « نعمة » مصدر محدود بالتاء ، فليس المراد

(١) إبراهيم : ٣٢

(٢) الواقعة : ٦٥

(٣) الواقعة : ٧٠

(٤) إبراهيم : ٣٤

به الجنس ؛ بل هو مفرد حقيقة ، بليل أن المصدر المحدود بالتاء يحوز تثنية وجسمه ، بخلاف المبهم .

فإن قلت : الشرط لا يكون مناقضاً للجزاء ؛ فلا تقول : إن قام زيد لم يقدر على القيام ، والعد هو عين الإحصاء ؟

والجواب . معناه إن أردتم أن تعدوا نعمة الله لا تحصوها ، مثل : فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم .

وانظر كيف وصف الإنسان بالظلم وجعد النعمة ، والمراد به العموم ، إلا إن استثنى ؛ كقوله تعالى : « والمضر^(١) » . إن الإنسان لفي خسر . إلا الذين آمنوا .

(وَهَبَ^(٢) لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ) : حمد إبراهيم ربه على أن وُهِدَ له إسماعيل وهو ابن مائة وسبعة عشر عاماً . والحمد مشتق من التثنية ؛ فهو إنما يصدق على مَنْ حمد مرةً بعد أخرى ، وكذلك هذا ، لأن وجود إسماعيل مقدم على إسحاق ؛ فقد صدق أنه حمد مرتين . قال الزمخشري^(٣) : على بمعنى مع ، أو بمعنى في ؛ والأول أولى ، لإفادتها زمن الكبر كله على الجملة .

(وَلَا^(٤) تَحْسِبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ) : هذه الآية يحملها فيها وعيد الظالمين ونسبة المظلومين . والخطاب لبينا صلى الله عليه وسلم .

فإن قلت : هو صلى الله عليه وسلم غير غافل ، وعطف هنا بالواو وفيها بدلها بالتاء .

والجواب : أن معناها الثبوت على علمك يا محمد ، ومن اعتبر من أمته

(٢) إبراهيم : ٣٩

(٤) إبراهيم : ٤٢

(١) المضر : ١ ، ٢ ، ٣

(٣) الكشاف : ١ - ٥٠٧

وغيرهم إن الله لا يُفجز ميعاده في أخذ الظالم حين ظلمه ، فإن الله يمهله ؛ ولذا عطف الآية بعدها بالقاء ، وقد يجعل العقوبة على بعض الظالمين لرحمته بهم ، وإن أخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار فيسلطون ما يلحقهم .

فإن قلت : لم تعلق النفي هنا بالأخص ، ونفى الأخص لا يستلزم نفى الأعم ؛ لأن الحسبان النفي مؤكد بالنون الشديدة ؛ فهو أخص من مطلق الحسبان ؟

والجواب : بأن النون دخلت على الفعل المنفي ، فأكدته ؛ لأن النفي دخل على الفعل المؤكد فتفاء ، فهو تأكيد للنفي لا نفي للفعل المؤكد ؛ فهو نفي أخص لا نفي أعم .

فإن قلت : ما فائدة شدة الوعيد على الظالم ؟

فالجواب إن الله لما ذكر الإيمان أنه ظنوم جعود لنعمة الله لا يستغنى بما أحل له مما حرم عليه ، وكان الواجب في حقه أن يشكر الله على ما آتاه ، ولو لم يشكره على نعمه كلها فالواجب عليه الشكر على بعضها ؛ إذ لا يقدر أحد على إحصائها ، كما قال تعالى (١) ، فلما كفر بنعم الله عليه وتعدى كفره إلى ظلم أخيه الضعيف بالغ بهذا التهديد العظيم ، لعله يرجع ؛ كما جرى لبعضهم لما ظلم ، فقال له المظلوم : أشكوك إلى السلطان . فقال له : السلطان يعرفني ؟ [٢٨٧] فقال أشكوك إلى الله ، فلما لقيه بعد أيام قال له كالمستهزئ به : ما قال لك الله ؟ فقرأ عليه الآية ، فاسترجع الظالم وأتاب . وهكذا حال من أراد الله هدايته .

(١) ن الآية بعدها : (٥٥) : وأنتز الناس يوم يأثمهم المطالب فيقول القين ظلموا وبنا آخرنا ...

فإن قلت : ما مناسة هذه الآية لقوله تعالى : « إن^(١) الإنسان ظلوم
كفر » . بختم آية النحل بقوله : « إن^(٢) الله لظور رحيم » ؟

والجواب أنه تقدم آية إبراهيم : « ألم تر إلى الذين بدأوا نعمة الله
كُفْرًا . . إلى قوله^(٣) : « وإنا لكم من كل ما سألتهموه » ، فاسببه ما ذكره
تعالى من توالي إساءته ودرور إحسانه ، ومقابلة ذلك من العبد بالتبديل . وجل
الأعداد . وصف الإنسان بأنه ظلوم كفر . وأما آية النحل فلم يتقدمها غير
ما نبه سبحانه لعباده المؤمنين من توالي آلائه وإحسانه وما ابتدأهم به من
نعمه من لدن موله : « خلق^(٤) الإنسان من نطفة » ؛ فذكر بضعا وعشرين
من أمهات النعم إلى قوله - مسها وموقفها من الغفلة والسيان : « أفن^(٥) يخلق
كمن لا يخلق » ، فاسب ختام : « وإن^(٦) تعدوا نعمة الله لا تحصوها »
تامة قرآن . فانظر هذا اللطيف الجميل بعنده والتناسب الواضح .

(وَتَبَيَّنَ^(٧) لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ) : يفهم من هذه الآية أن التواتر
يفيد العلم ؛ لأنهم لم يتبين لهم ذلك إلا بالإخبار عن الأمم السابقة .

(وَلْيَعْلَمُوا^(٨) أَنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ . . .) الآية : تفيد أن الوحدانية تثبت
بالسمع ، وهو أحد القولين عند الأصوليين ، وأثبت هذه الآية بالتمري من تاء
التفعل لتقدمها قوله تعالى : « وَلْيُنذَرُوا^(٩) بِهِ وَلْيَعْلَمُوا » ، وقد عريت
الكلمتان من حروف الشدة ، فطاف عليه : « وَلِيَذَّكَّرَ » ؛ لأن جميعها من
الرخوة بخلاف آية من^(١٠) ، فإن قبلها وليدروا ، وفيه حرفان من حروف

(١) إبراهيم : ٣٤	(٢) النحل : ١٨	(٣) إبراهيم : ٢٨ - ٣٤
(٤) النحل : ٤	(٥) النحل : ١٧	(٦) النحل : ١٨
(٧) إبراهيم : ٤٥	(٨) إبراهيم : ٥٢	
(٩) آية من : ٢٩ : « كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدروا آياته وليذكروا أولي الألباب .		

الشدّة ، فتاسبها : « وليتذكر » . والتناسب واضح .

(وما^(١) بكم من نعمة فمن الله) : نبة الله عبادة بهذه الآية مؤمنهم وكافرهم على أن يشكروه ويتأذّبوا معه . ويؤخذ منها أن الكافر منعم عليه ، وقيل غير منعم عليه ، الآية : « أنما^(٢) نعلي لهم ليزدادوا إثماً » . وقيل منعم عليه في ظاهر حاله في الدنيا ، وغير منعم عليه في عاقبته ومآله ؛ وتذكير « نعمة » للعموم لا للتقليل ؛ إذ لا يوصف عطاء الله بالقلّة ، وقوله : « ثم^(٣) إذا مسكم الضر فإليه تجأرون » - الممثلة معاوية ، لبعد ما بين غفلة الإنسان وذهوله من النعمة ، وما بين تضرّعه وذلكه زمن الضر ؛ كقوله^(٤) :

وما يكشف الغمراء إلا ابن حرّة

يرى غمراً للمعوت ثم يزورها

ويحتل أن تكون الواو للاستئناف أو الحال ؛ فيكون الكلام متصلاً بما قبله ؛ أي كيف تتقنون غير الله وما بكم من نعمة منه وحذره . وهذا يظهر لك تناسب الآيات .

(وانبئ^(٥) أديارهم) : أي كن خلفهم وفي ساقهم حتى لا يبقى منهم أحد ، وليكوبوا قدامه ؛ فلا يشتغل قلبه بهم ، ولو كانوا وراءه لاشتغل لخوفه عليهم ؛ وبهذا يظهر لك رحمة لوط بقومه الذين آمنوا معه .

(والله^(٦) يعلم ما تسرون وما تعلنون) : لما تقدم هذه الآية : لمن الله لا يؤاخذ عباده بعدم القيام بشكر النعم لذكركم المنة والرحمة عقب قوله بهذه الآية ؛ أي ما تحذرون به أنفسكم ، وليس المراد السر في اصطلاح الفقهاء ،

(١) النحل : ٥٣ (٢) آل عمران ١٧٨ (٣) النحل : ٥٣

(٤) من غوامد المكشاف . وفيه : ولا يكشف الغمراء ... (٥) الحجر : ٦٥

(٦) النحل : ١٩

وتضمنت الآية الإشار بآصاف الله تعالى بالقدره والعلم ؛ فأنقدره بقوله (١) :
« أَفَسَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ » ، وهذا العلم . وعطف ما يسرون وما يعلنون
للتسوية ؛ فهو أمر استأثر الله به ، كما قال (٢) : « إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ » .

(وإن (٣) لكم في الأنعام لَعِبْرَةٌ) : لما كان التفكير منفعه عامه في العاقل
وغيره أعقبه بالمنفعه الخاصه بالعاقل ، وأكده بأن واللام لنفقه الخطاب عن
الاعتبار والتذكر ، لا لسكوته . منكرات ثلاث . وقد قدمنا في حرف القاء أن
زيادة لكم تنبيه على العبرة ، والعبرة يراد بها الاتعاظ ؛ لقوله : « فَاعْتَبِرُوا (٤) »
يا أولي الأبصار .

(وما (٥) يَرِثُونَ) : قد قدمنا أن الله تعالى أوحى إلى النحل أن تتخذ
البيوت في الجبال والشجر وبيوت الناس حيث يريثون ؛ أي يبنون العروش ،
فلا ترى للنحل ميوتا في غير هذه الثلاثة البته .

وتأمل كيف كان أكثر ميوتها في الجبال ، وهو المتندم في الآية ، وفي
الأشجار وهي دون ذلك ، وما يريث (٦) الناس ؛ وهي [٢٨٧ ب]
أقل ميوتها .

وانظر كيف رأها حسنة الامتثال إلى أن اتخذت البيوت قبل الرعى
فهي تتخذها أولا ، فإذا استقر لها بيت خرجت منه ورعت ، فأكلت من
كل الثمرات ، ثم أوت إلى ميوتها ؛ لأن ربها سبحانه أمرها باتخاذ البيوت
اولا ، ثم بالأكل بعد ذلك .

قل في عجائب المخلوقات : يقال ليوم عيد الفطريوم الرحمة ؛ إذ فيه أوحى

(١) النحل : ١٧ (٢) لقمان : ٣٤ (٣) النحل : ٦٦
(٤) المعصر : ٢ (٥) النحل : ٦٨ (٦) في الأمان : وما يريثون الناس .

الله إلى النحل صنعة العسل . قال النزالى : لو تأملت عجائب أمرها فى تناولها الأزهار والأنوار واحترازها من النجاسات والأقذار وطاعتها لواحد من جهاتها ، وهو أكبرها شخصا ، وهو أميرها ، ثم ماسخراً الله له من أمرها من العدل والإنصاف بينها حتى إنه ليقفل منها على باب المنفذ كل ما وقع على نجاسة لتفضيت من ذلك المعجب إن كذت بصيرا فى نفسك ، وفارغا من هم بطنك وفرجك وشهوات نفسك فى معاودة أقرامك وموالاة إخوانك ، ثم دَع عَنْكَ جَمِيعَ ذَلِكَ وانظر إلى بِنائِها من الشَّع ، واختبارها من جميع الأشكال المسدس ، فلا تبنى بيتها مستديراً ولا مُرَبَّعاً ولا مَحْضاً ، بل مسدساً لخاصية فى ميل المسدس يقصر فهم المهندسين عن درك ذلك ؛ وهو أن أوسع الأشكال وأخوَّاهَا المستدير ، وما يقرب منه ؛ فإن المربع يخرج منه زوايا ضائفة ، وشكل النحل مستدير مستطيل ، فترك المُرَبَّع حتى لا تبقى الزوايا فارغة ؛ ثم لو بناها مستديرة لبقيت خارج البيوت فُرَجَّ ضائفة ، فإن الأشكال المستديرة إذا اجتمعت لم تجتمع متراصة ، ولا شكل من الأشكال ذوات الزوايا يقرب فى الاحتواء من المستدير ، ثم تراص الجملة منه بحيث لا يبقى جد اجتماعها فُرَجَّة إلا المسدس وهذه خاصية هذا الشكل .

فاتظر كيف ألهم الله تعالى هذا النحل على حِصْنِ جرمه لُطْفًا به وعنايةً بوجوده فيما هو محتاج إليه ليتنأ عيشه ؛ فسبحانه ! ما أعظم شأنه وأوسع لطفه وامتنانه !

ولو ذكرنا منافع النحل ، وما أودع فيها لاحتاج إلى مجلد ؛ ولئن مثل صلى الله عليه وسلم المؤمن بالنحلة إن صاحبته فعمك ، وإن ساررتك فعمك ، وإن جالسته فعمك . وكذلك النحلة على ما فيها منافع .

قال ابن الأثير : وجه المشابهة من المؤمن في النحلة حَذُّق النحل في فطنته وقلة أذاه وحذقته ومنقته وقناعته وسعفه في الليل وتنزهه عن الأقدار ، وطيب أكله ؛ لأنه لا يأكل من كسب غيره ، ونحوه وطاعته لأمره ، وإن للنحل آفات تقطعه عن عمله ؛ منها الظلمة ، والغم ، والريح ، والدخان ، والماء ، والنار ؛ وكذلك المؤمن له آفات ، تفرقه عن عمله غلظة النحلة ، وغيم الشك ، وريح الفتنة ، ودخان الحرام ، وماء السعية ، وبار الهوى .

وفي مسند الدارمي ، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ؛ قال : كونوا في الناس كالنحلة في الطير ، إنه ليس في الطير شيء إلا وهو يستغنى عنها ، ولو تعلم الطير ما في أجوافها من البركة لم يفعلوا ذلك بها ، خالطوا الناس بأنفسكم وأجسادكم ، وزايلوهم بأعمالكم وقهروكم ، فإن للمرء ما اكتسب ، وهو يوم القيامة مع من أحب .

والمعروف من قول علي بن أبي طالب أنه قال : إنما الدنيا ستة أشياء : مطعوم ، ومشروب ، وملبوس ، ومركوب ، ومنكوح ، ومشوم . فأشرفُ المطعوم العسل ، وهو قيء ذباب ، وأشرف المشروبات الماء يستوى فيه البر والفاجر . وأشرفُ الملبوسات الحرير ، وهو سح دودة . وأشرف المركوبات الخيل ، وعليها يقتل الرجال . وأشرف المشومات المسك وهو دم حيوان . وأشرف المنكوحات المرأة وهو مبال في مبال .

وروى الكواشي في تفسيره الأوسط : إن العسل ينزل من السماء فينبت في أماكن ، فتأني النحل فتشربه ، ثم تلقيه في الشمع المهيأ للعسل في الخلية ، لا كما يتوهمه بعض الناس إن العسل من فضيلات الغذاء وأنه قد استحال في السملة [١٢٨٨] عسلا ، هذه عبارته .

رعا يملك على كمال قدرته سبحانه أنه جمع في هذه الآية وأعماله ،
 طيل على كمال قدرته ، وأخرج منها السنن مزيجا باسمه ، كذلك على المؤمنين
 مزوج بالتخريف والرجاء .

وفي السبل ثلاثة أشياء : الشفاء ، والملاوة ، واللين : كذلك المؤمنين ، قل
 قل : « ثم ^(١) تليين جلودهم وقلوبهم على ذكر الله » . يخرج من الشارب
 خلاف ما يخرج من النكول ، والشيخ كذلك على التقصد والعتيق : أسرها
 الله تعالى بأمر حتى صار لسيبها شفة ، ودواء الأطباء : « ودواء الله خلوة » وهو
 التمسك ، وهي تاكل من كل الشجر ، ولا يخرج منها ولا خلوة ، ولا يمتريها
 اختلاف بأكلها . والله الطيب يخرج منها بادن : به .

(وشاركنهم ^(٢) في الأموال) : بكسر الهمزة ، تريا راخرام ، وراحتهم في
 القامى ، وغير ذلك ، والأولاد بضم اللام : أولادهم ، ونسبة هؤلاء عدد خمس
 وعبد المارث وشبه ذلك .

(وعذبهم ^(٣)) : من اللواطة الكاذبة من شدة الألم وغير ذلك .

(وكيفلا ^(٤)) : قمتا أن لوكل هو القامى بالأمر والشكر .

(وميد ^(٥)) : باب الكهف . وقيل عتبة .

(وليتقلب ^(٦)) : أى في أحشائه ، وتحميه : لأنهم كانوا على أنفسهم في
 بيت أحدم إلى اللبنة ، وكانت الورق التي أعطوها فحة زودوها حين
 خروجهم إلى الكهف ، وأخذ من قلوبهم : زودوا قدر أفضال من تركه .

(١) التمر : ٢٢ (٢) الإسراء : ٦١ (٣) الإسراء : ٦٥

(٤) الكهف : ١٨ : وكثير بسط لزامه بالوصف (٥) الكهف : ١٩

فإن قلت : كيف اتصل بث أحدكم بتذكر مدة لبثهم ؟

فالجواب كأنهم قالوا : « ربُّكم »^(١) أعلم بما لبثتم ، ولا سبيل لكم إلى العلم بذلك ، فخذوا فيما هو أهم من هذا وأنفع لكم ، فابشروا أحدكم إلى المدينة . قيل إنها طرسوس .

(وَلْيَبْشُرُوا^(٢) فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا) : في هذه الآية قولان : أحدهما أنه حكاية حالٍ عن أهل الكهف ، يدل على ذلك ما في قراءة ابن مسعود : وقالوا لبثوا في كهفهم ، وهو معطوف على قوله^(٣) : « سيقولون ثلاثة رابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ » ، فقوله : « قُلْ^(٤) اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا » ردٌّ عليهم في هذا المدد المحكي عنهم .

والقول الثاني أنه من كلام الله تعالى وأنه بيان لما أجمل في قوله : « فضرَبْنَا^(٥) على آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا » ومعنى قوله^(٦) : « قُلْ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا » ، أي أنه أعلم من الذين اختلوا فيهم . وقد أخبر بمدة لبثهم ؛ فإخباره هو الحق ؛ لأنه أعلم من الناس ، فكان قوله : « قُلْ اللَّهُ أَعْلَمُ » احتجاج على صحة ذلك الإخبار ، وانتصب « سنين » على البدل ، أو عطف البيان ، أو على التمييز ؛ وذلك على قراءة التنوين في ثلاث مائة . وقرئ : بغير تنوين على الإضافة ووضع الجمع موضع للفرد .

(وَأُحِيطَ^(٧) بِشَرِّهِ) : عبارة عن هلاكه .

(^(٨) وَأَعَزَّ نَفَرًا) : يعني الأنصار والخادم .

(١) الكهف : ١٩	(٢) الكهف : ٢٥	(٣) الكهف : ٢٢
(٤) الكهف : ٢٦	(٥) الكهف : ١١	(٦) الكهف : ٢٦
(٧) الكهف : ٤٢	(٨) الكهف : ٣٤	

(وَدَخَلَ^(١) جَنَّتَهُ) : أفرد الجنة هنا لأنه إنما دخل الجنة الواحدة من الجنين ؛ إذ لا يمكن دخولها معاً في دفعة واحدة .

(^(٢) وَيَقُولُ يَا ابْنَتِي لِمَ أَشْرِكْتَ بِي رَبِّي أَحَدًا) — قال ذلك على وجه التمني لما هلك بسفاته ، أو على وجه التوبة من الشرك .

(وَتَرَى^(٣) الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاكُمْ) ؛ أى ظاهرة لزوال الجبال عنها .

(وَتِلْكَ^(٤) الْقُرَىٰ أَمْلَكْنَاكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا) : الإشارة إلى عاد وثمود وغيرهم من المتقدمين . والمرادُ أهل القرى ، وفي ضمن هذا الإخبار تهديد لكفار قريش .

(وَرَاءَهُمْ^(٥)) : قيل قدامهم . وقراً ابن عباس أمامهم . وقال ابن عطية : إن وراءهم على بابه ، ولكن روعي به الزمان ، فالوراء هو المستقبل ، والأمام هو الماضي .

(وَيَسْأَلُونَكَ^(٦) عَنْ ذِي الْقُرْنَيْنِ) : الإشارة إلى قريش بإشارة اليهود لهم على اختلاف الروايات ، وذلك أنهم سألوه عن الروح ، ونفية أهل الكهف ، وذو القرنين ، وقد ذكرنا أن الله مَسْكَنُ له في الأرض ودانت له ملوكها .

(وَتَرَكْنَا^(٧) بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ ، وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَعَلْنَاهُمْ جُثَا) : المعنى أن الناس تموج يوم القيامة كوج البحر . وقيل : إن الضمير

(١) الكهف : ٣٥	(٢) الكهف : ١٢	(٣) الكهف : ١٧
(٤) الكهف : ٥٩	(٥) الكهف : ٧٩	(٦) الكهف : ٨٣
(٧) الكهف : ٩٩		

يعود إلى ياجوج وماجوج : ولأول أرجح ؛ أقوله بعد ذلك : « ونُفخ في الصور
فجمعناهم جميعا » .

(وَمَنْ ^(١) الْعَظْمُ بَنَى وَاشْتَمَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا) : قد قدمنا أن هذا استعارة
[٢٨٩ ب] للشيب ، من اشتعل النار ، وهذا القول من زكرياء حين ضعف
فطلب من الله أن يهب له الولد .

(وَلَمْ ^(٢) أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا) : أى قد سمعتُ بدعائى لك فيما
مضى ، فاستجب لى فى هذا ؛ فتوسّل إلى الله بإحسانه القديم إليه ؛
ولذلك قيل :

إذا أتى عليك المرء يومئذ كفى من تعرضه الثناء

(وَإِنِّى حِفْتُ الْمَوَالِىِّ مِنْ وَرَائِى) : أى من بعدى . قيل : خاف أن
يرثه أقاربه دون نسله . وقيل : خاف أن يضيّعوا الدين من بعده ، فطالب
من الله إقامة دينه ؛ ولهذا قل : « واجله ربّ رَضِيًّا ^(٣) » ، فاستجاب الله
دعاه وبشّره ببحيى الذى لم يعمل له من قبل سمياً .

(وَاجْبُرْنِى ^(٤) مَلِيًّا) : عطف « اجبرنى » على محذوف تقديره : احذر
رجمى لك حيناً طويلاً . وقال هذا لإبراهيم لما أبس من أتباعه .

(وَفَدَا ^(٥)) : قد قدمنا أن الوفد هو الراكب ، وسمّوا تخصيص المتقين
بالوفد لإكرامهم . وقد صح أنهم يُحشرون ركباناً . وأما الكفار فعلى وجوههم
عُنيا وبُسْكُمَا وصنما مأواهم جهنم .

(١) مريم : ٤٦ (٢) مريم : ٤٦ (٣) مريم : ٥٠ (٤) مريم : ٦٠
(٥) مريم : ٤٦ (٦) مريم : ٨٥

(^(١) وَزِيرًا) : أى معينه ، وإنما طلب موسى أخاه لشدته به أزره ، أى يقويه . ويؤخذ منه الاستعانة على الأمور بمن هو أقوى ؛ ولذلك قال موسى (^(٢)) : « وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا » .

(^(٣) وَإِنَّ لَكَ مَوَدًّا لَّنْ تَخْلُتَنَّهُ) : يعنى المذاب فى الآخرة زيادة على عذاب الدنيا ، وكان عذابه فى الدنيا كما قل : « إِنَّ (^(٤) لَكَ فى الحياة أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ » . والصحيح أَنْ الله تاب على الدامرى وغفر له لسخطه .

(وَرَضِيَ (^(٥) قَوْلُهُ قَوْلًا) : إن أريد من أذن له الرحمن الشفوع له فاللام فى له بمعنى من أجله ؛ أى رضى من المنافع من أجل الشفوع فيه . وإن أراد الشافع فالعنى رضى قوله فى الشفاعة .

(وَلَا (^(٦) يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا) : قبل المعنى : لا يحيطون بمعلوماته ؛ كقوله : « وَلَا (^(٧) يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ » . والصحيح عدى أَنْ المعنى لا يحيطون بمعرفة ذاته ؛ إذ لا يعرف الله على الحقيقة إلا الله ، ولو أراد المعنى الأول لقال : وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ ؛ ولذلك استثنى هناك إلا بما شاء ، ولم يستثن هنا .

((^(٨) وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ) : الكلمة هنا القضاء السابق بتأخير العذاب عنهم . « لَكَانَ زُلْماً » : أى واقعاً لهم .

(وَلَوْ (^(٩) أَنَا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ) : أى قبل مبغتك يا محمد لاحتججوا وقالوا : لولا أرسلت إلينا رسولا ، فبغتك لتكون لنا الحجة عليهم بِبَغْتِكَ لَهُمْ .

(١) طه : ٢٩	(٢) القصص : ٣٤	(٣) طه : ٩٧	(٤) طه : ١٠٩
(٥) طه : ١١٠	(٦) البقرة : ٢٥٥	(٧) طه : ١٢٩	(٨) طه : ١٣٤

(وَأَسْرُوا^(١)) : التَّجْوَى : الواو في أَسْرُوا ضمير فاعل يعود على ما قبله ،
« والذين^(٢) ظلموا » بدل من الضمير .

(وَلَا^(٣)) : يَسْتَحْزِرُونَ : أى لا يعبون ولا يملنون . والضمير يعود على
الملائكة ، وكيف يملنون وقد أعانهم الله وقواهم على عبادته ، فأين عبادتك
منهم ؟ وماذا يخطر ببالك من مزاحمتهم .

(وَلَا^(٤)) : يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى : أى لمن ارتضى الله بالشفاعة له .
ويمحتمل أن تكون شفاعة الملائكة للعاصي في الدنيا بالاستغفار له
أو في الآخرة .

(وَسَوَسَّ^(٥)) : قد قلنا أنه يُقال لما يقع في النفوس وسواس ، ولما يقع
من عمل الخير إلهام من الله . ولما يقع من التقدير الذى لا على الإنسان ولا
له خاطر .

(وَمَنْ^(٦)) : يَقُولُ مِنْهُمْ إِنِّى إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ : أى على فرض أن قالوا ذلك ،
ولكنهم لا يقولونها ؛ وإنما مقصود الآية الرد على المشركين . وقيل : إن
الذى قال إني إله إبليس .

(وَهُوَ^(٧)) : الذى خلق الليل والنهار والشمس والقمر كلٌّ فى فَلَكَ
يَسْبَحُونَ : التنوين فى كل عوض من الإضافة ، أى كلهم فى فلك يسبحون ،
يعنى الشمس والقمر دون الليل والنهار ؛ إذ لا يوصف الليل والنهار بالسبح فى
الفلك ، فالجمله فى موضع الحال من الشمس والقمر ، أو مستأنفة .

فإن قيل لفظ كل ويسبحون جمع ، يعنى الشمس والقمر وهما اثنان ؟

(١) الأنبياء : ٣ (٢) الأنبياء : ١٩ (٣) الأنبياء : ٢٨ (٤) طه : ١٢٠
(٥) الأنبياء : ٢٩ (٦) الأنبياء : ٢٣

فالجواب أنه أراد جنس مظلم كل يوم ونبذة . وهي كثيرة ؛ قوله [١٢٨] الزمخشري وقال الفريزوي : أراد الشمس والقمر وسائر النجوم الكسبية ؛ وعبّر عنها بضمير الجماعة المتعلاء في قوله : يسبحون ، لأنه وصفهم بمل المتعلاء ، وهو السبح .

فإن قلت : كيف قال في ذلك وهي أفلak كثيرة ؟
والجواب أنه أراد كل واحد يسبح في ذلك ، وذلك كقولك : كسام الأمير حلة ، أي كس كل واحد منهم حلة .

ومعنى الفلك جسم مستدير . وقال بعض المفسرين : إنه مذموم ، وذلك بعيد . ومعنى يسبحون : أي يمجرون أو يدورون ، وهو مستعار من السبح بمعنى الصوم في الماء . وقد قدمنا أن مجاري القمر ثمانية وعشرون ؛ لأنه يقطع الفلك في شهر ، ومجاري الشمس مائة وثمانون لأنها تقطع الفلك في سنة . ووجهه أن السنة ثلاثمائة وستون يوما وانصفها مائة وثمانون فهي تقطع في نصف السنة ستة بروج ، ثم ترجع صاعدة أوهابطة فتعش في نظائر تلك البروج ، فما مجاريها في الحنية إلا ستة بروج ، فسبحان من دبر الأشياء كيف شاء وأنتها بمحكمه ، فلا يعلم أحد بحقيقتها إلا من أطلع عليها .

(وكنّا^(١) لهم حافظين) ؛ أي حفظنا أثر سليمان وما صنع من الفساد .
وقيل معناه : عاين بمدد .

(وكذلك^(٢) ننجي المؤمنين) ؛ أي مطلقا من همومهم ، أي إذا دعوا بدعاء يونس : لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين . وقد قدمنا في

(١) الأنبياء : ٨٧ (٢) الأنبياء : ٨٨

قصة الحديث : « دَعَاؤُهُ أَخْبَى ذَا النَّوْنِ مَا دَعَا بِهَا مَكْرُوبٌ إِلَّا اسْتَجِيبَ لَهُ وَفِي دَعَائِهَا فِي مَرَضِهِ أَرْبَعِينَ مَرَّةً قُلْتُ غُفِرَ لَهُ » .

(وَالَّتِي ^(١) أَحْصَيْتَ فَرْجَهَا) : ضمير التانيث يعود على الصديقة المطهرة ، لقولها : لَمْ يَمَسَّنِي بَشَرٌ ، فَأَحْصَيْتَهُ عَنِ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ ، حَتَّى أَرَادَ اللَّهُ فِيهَا مَا أَرَادَ ، وَقَدْ قَلَمْنَا قَصَّتْهَا .

(وَحَرَامٌ ^(٢)) عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ) : قرىء بكسر الحاء ^(٣) بمعنى حرم . واختلف في معنى الآية ؛ قيل حرام بمعنى ممتنع على قرية أهلكها الله أن يرجعوا إلى الدنيا ، ولا زائدة في الوجهين . وقيل حرام بمعنى حتم لا محالة ، ويتصور فيه الوجهان ، وتكون لنافية فيهما ؛ أي حتم عدم رجوعهم إلى الله بالتوبة ، أو حتم عدم رجوعهم إلى الدنيا . وقيل المعنى ممتنع على قرية أهلكها الله أنهم لا يرجعون إليه في الآخرة ، « ولا » على هذا نافية أيضا ؛ فقيه رد على من أشكر البعث .

(وَلَقَدْ ^(٤) كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ) : فيه قولان : أحدهما أنه كتاب داود ، والذكر هنا التوراة التي أنزل الله على موسى ، أو ما في الزبور من حكم الله تعالى . والقول الآخر أن الزبور جنس الكتب التي أنزلها الله على جميع الأنبياء ؛ وذلك خمسين صحيفة على شيث ، وثلاثين لإدريس ، وعشرين لإبراهيم ، والتوراة لموسى ، والزبور لداود ، والإنجيل لعيسى ، والفرقان لحمد صلوات الله عليهم أجمعين . والله ذكر على هذا اللوح المحفوظ ؛ أي كتب الله هذا في الكتاب الذي أفرد له بعد ما كتبه في اللوح المحفوظ ، حين كتب

(١) الأنبياء : ٩١ (٢) الأنبياء : ٩٠

(٣) أي وسكون الراء كما في القرطبي (١١ - ٢٤٠) (٤) الأنبياء : ١٠٠

الأمور كلها ، والأول أرجح ؛ لأن إطلاق الزبور على كتاب واحد أظهر وأكثر احتمالاً ، ولأن الزبور مفرد فدلالته على الواحد أرجح من دلالته على الجمع ، ولأن المرء قد ورد في زبور داود بأن الأرض يرثها الصالحون ، والأرض على الإطلاق في مشرق الأرض ومغربها . وقيل الأرض المقدسة . وقيل أرض الجنة : والأول أظهر .

والعباد الصالحون في الآية أمة محمد صلى الله عليه وسلم ؛ ففى الآية ثناء عليهم ، وإخبارٌ بظهور غيب مصداقه في الوجود ؛ إذ فتح الله لهذه الأمة مشارق الأرض ومغربها .

(وَأَنَّ^(١) الله يَهْدِي مَنْ يُرِيدُ) : قال ابن عطية : أن في موضع خبر الابتداء ، والتقدير الأمر أن الله ، وهذا ضعيف ، لأن فيه تكافاً إضمارياً وقطعاً للكلام عن المعنى الذى قبله . وقال الزمخشري : التقدير أن الله يهدي من يريد أنزلناه كذلك آيات بينات ، فجعل أن تعليلاً للآزال ، وهذا ضعيف للفصل بينهما بالواو ، والصحيح عندي [٢٨٩ ب] أن قوله : وأن الله معطوف على آيات بينات ، لأنه مقدر بالمصدر ، فالتقدير أنزلناه آيات بينات ، وهذا المن أراد الله أن يهديه .

(وكثير^(٢) من الناس) : إن جعلنا سجوداً من في السموات والأرض بمعنى الانقياد للطاعة فيكون « كثير من الناس » معطوف على ما قبله من الأشياء التى تسجد ، ويكون قوله : « وكثير^(٣) حق عليه العذاب » مستأنف يراد به الانقياد للطاعة ، ويوقف على قوله : « وكثير من الناس » ؛ وهذا القول

هو الصحيح وإن - معنا السجود بمعنى الاتياد لقضاء الله وتدييره فلا يصح
تفصيل الناس على ذلك إلى من يسجد ومن لا يسجد ، لأن جميعهم يسجد
بذلك المعنى ، وقيل : إن قوله : « وكثير من الناس » معطوف على ما قبله ، ثم
محذوف عليه « كثير حق عليه العذاب » ، فالجميع على هذا يسجد ، وهذا
ضعيف ؛ لأن قوله : حق عليه العذاب يقتضى ظاهره أنه إنما حق عليه العذاب
بقرّة السجود . وتأوله الزمخشري على هذا المعنى بأن إعراب كثير من الناس
فاعل بفعل مضمر تقديره يسجد له كثير من الناس سجود طاعة ، أو مفعول بالابتداء
وخبره محذوف تقديره مثاب ، وهذا تكلف بعيد .

(وَذُوقُوا ^(١)) : التقدير يقال لهم : ذوقوا .

(وَلَوْ لَوْ ^(٢)) - بالنصب - مفعول بفعل مضمر ، أى يحلّون لؤلؤا
أو معطوف على موضع من أساور ؛ إذ هو مفعول ، وبالخلف من معطوف على أساور
أو على ذهب .

(وَأُذِّنْ ^(٣) فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ) : خطاب لإبراهيم . وقيل لبينا صلى الله
عليه وسلم ، والأول أصح لو روده في الصحيح أنه لما بنى البيت أمره أن ينادى
الناس ، فقال : يارب ، وأين يبلغ أذاني ؟ فقال : يا إبراهيم ، منك الأذان
وعلىنا الإبلاغ ، فصعد على جبل أبى قبيس ، ونادى : أيها الناس ، إن الله
أمركم بحج هذا البيت ، فحجّوا ، فسمعه كل من يحج إلى يوم القيامة ، وهم في
أصلاّب آبائهم ؛ وأجاب في ذلك الوقت كل من من جحد أو غيره : كَسْبَيْكَ
اللهم كَسْبَيْكَ ، فجرت التلبية على ذلك . وقيل : مَنْ لِي مرة حج مرة ، ومن لِي
غير ذلك حج على عدد التلبية .

(وجبت^(١) جنوبها) ؛ أى سقطت إلى الأرض عند موتها ، يقال وجب الحائط وغـيره إذا سقط . وقد قدمنا أن هذه اللفظة تطلق على معان كثيرة .

(وإن^(٢) بَسَلْتَهُمُ الذِّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ) : يبين الله في هذه الآية عجز الأصنام بحيث لو اختطف الذباب منهم شيئاً لم يقدرُوا على استنقاذه حال ضعفه . وقد صحَّ أنهم كانوا يحملون على أصنامهم الطيب وغيره من ألوان الأطعمة ، فيأتى الذباب فيخطفه ، ولا يقدرُون على خلاصه منه ، وهو أقلُّ الخلق .

وهذا المثل من أبلغ ما أنزل الله في تجهيل قريش ورَّكَاكة عقولهم ، وكيف لا وقد وصفوا آلِهَتَهُم بِالْقُدْرَةِ وَالْعِلْمِ ، ولا يقدرُون على هذا الخلق الضعيف ، ولا يَنْقِذُهُونَ إِمَائِهِمْ وَضَلَّالَهُمْ ، فَهُمْ أَضَلُّ مِنَ الْبَهَائِمِ ؛ ولذا ورد الحديث : إذا وقع الذبابُ في إناءٍ أُحدِكْ قَلْبُكَ فَإِنَّ فِي أَحَدِ جَنَاحَيْهِ دَاءٌ وَفِي الْآخَرِ شِفَاءٌ ، ولأنه يتقي يحمّاه الذى فيه الداء .

وبن قُلت : كيف يجتمع الداءُ والشفاءُ في جناحى الدبابة ؟ وكيف تعلم ذلك فى نفسها حتى تقدّم جناح الداء وتؤخر جناح الشفاء ؟ وما حلها على ذلك ؟

والجواب : أن هذا غير مُنْكَر ، لأننا نجد فى أنفسنا وفى أنفس عامة الحيوان قد جمع فيها بين الحرارة والبرودة ، والرطوبة واليبوسة ، وهى أشياء متضادة إذا تلاقت تقاسدت ، ثم إن الله تعالى قد ألّف بينها وقهرها على الاجتماع ،

وجعل منها قوى الحيوان التي فيها بقاؤها وصلاحتها لجدير ألا يذكر اجتماع الداء والشفاء في جزءين من حيوان واحد ، وإن الذي ألهم النحلة لانتخاذ البيت العجيب الصنعة ، وألهم النملة (١) أن تدخر قوتها ، وتدخره لأوان حاجتها إليه هو الذي خلق الذبابة وجعل لها الهداية إلى أن تؤخر جناحا ومقدم جناحا لما أراد من الابتلاء الذي هو مدرجة التعبد ، والامتحان الذي هو مضمار التكليف ، وله في كل شيء حكمة وعنوان . وما يتذكر إلا أولو الأبواب .

وقد تأملت الذباب فوجدته يتقي بجناحه الأبر ، وهو مناسب للداء ، كما أن الأيمن موافق للدواء ، واستفيد من الحديث إنه إذا [١٢٩٠] وقع في المائع أنه يموت فيه ولا يتنجس ، وفي ذلك يخرج أن ما يعم وقوعه كالذباب والبعوض لا يتنجس ، وما لا يعم كالخنافس والمقارب تنجس ، وهو متجه لا يحيد عنه .

(وحُرِّمَ (٢) ذلك على المؤمنين) ، أي حرم الزنى . وقيل حرم تزوج الزانية لغير الزانى ، فإن قوما منعوا أن يتزوجها أحد ، وهذا على القول الثاني في الآية قبلها ، وهو بعيد لجواز تزوج الزانية . وروى كراهة تزوجها .

(وَأَنْكِحُوا (٣) الْأَبْيَامَ مِنْكُمْ) : معناه الذين لا أزواج لهم رجلاً كانوا أو نساء أبكاراً أو ثيباً . والخطاب هنا للأولياء والحكام ؛ أمرهم الله بتزويج الأبيام ، فاقضى ذلك النهى عن قسطنطين من التزويج . وفي الآية دليل على

(١) النملة : النملة .

(٢) النور : ٣

(٣) النور : ٣٢

عدم استقلال النساء بالنكاح ، واشتراط الولاية فيه ، وهو مذهب الشافعي ومالك خلافا لأبي حنيفة .

(والصالحين^(١) مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ) : يعنى الذين يصلحون للتزويج من ذكور العبيد وإناهم ، والمحاطبون هنا ساداتهم . ومذهب الشافعي أن السيد يُجبر على تزويج عبيده لهذه الآية خلافاً لمالك . ومذهب مالك أن السيد يُجبر أمته وعبيده على النكاح خلافاً للشافعي .

(وَأَعَانَهُ^(٢) عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ) ؛ هذا من قول الكفار ، ويعنون قوماً من العبيد منهم عداس ويسان وأبو فكيهة الرومي .

(وَعَدَا^(٣) مَسْئُولًا) ؛ أى سألته المؤمنون أو الملائكة فى قولهم : وأدخلهم جنات عدن . وقيل معنى وعدا واجب الوقوع لأنه قد حتمه .

(وَلَكِنْ^(٤) مَتَّعْتَهُمْ وَأَبَاءَهُمْ) : معناه متعتهم : لنعم فى الدنيا ، وكان سبب سياتهم لذكر الله وعبادته .

(وَيَوْمَ^(٥) يَمَضُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ) : المراد بالظالم هنا عتية بن معيط ، لأنه جنح إلى الإسلام ، فهما أبى بن خلف . والآية تعم كل ظالم سواء كان كافراً أو مؤمناً ظالماً ، إذ كل عاصٍ يعصى على أماله من الندم ، وإذا كان المطيع يتحسر على ما فاته من زيادة الطاعة ، فما بالك بالعاصى .

(وَكَانَ^(٦) الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا) : يحصل أن يكون هذا من قول

(٣) الفرقان : ١٦

(٢) الفرقان : ٤

(١) النور : ٣٧

(٦) الفرقان : ٢٩

(٥) الفرقان : ٢٧

(٤) الفرقان : ١٨

الظالم ، أو ابتداء إخبار ، من قول الله تعالى . ويمتثل أن يكون الشيطان إبليس ، أو الخليل المذكور .

(وقال ^(١) الرسول يا رب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً) :
يمتثل أن يكون قال هذا الدنيا أو في الآخرة أو مجموعهما .

(وكذلك ^(٢) جَمَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَذْرَاءً مِنْ الْأَجْرَمِينَ) : العدو هنا جمع ، والمراد تسلية النبي صلى الله عليه وسلم بالتأني بغيره من الأنبياء .

(وفُرُونَا ^(٣) بين ذلك كثيراً) : يقتضى التكثير والإيهام ، والإشارة بذلك إلى أصحاب الرس وثمود وغيرهم .

(وجعل ^(٤) بينهما برزخاً وحجراً محجوراً) : قد قدمنا في حرف الباء والحاء أن معناه الحاجز ، وضمير التثنية يعود على البحرين ، لا يختلط أحدهما بالآخر ، وأغرب منه وجود اللبن بين مرث ودَم ، ووجود الهد والسّم في النحل ، فلم سبب هلاك الأحياء ، والشَّمْدُ سببُ شعاع ليرضى ، وجعل بينهما حاجزاً لا يختلط أحدهما بالآخر ، وكذلك جعل في المؤمن النفس والقلب ، فالنفس تميل إلى الدنيا ، والقلب يميل إلى المعنى ، فأعطى له الدين مع الدنيا ، وجعل بينهما حاجزاً ، فلا تضر الدنيا مع الدين بفضلِهِ وكرمه .

(وتَوَكَّلْ ^(٥) على الحي الذي لا يموت) : لأن ما سواه يموت ، والاعتزاز بمن يموت لا يبقى ؛ فكيف يمتاز مخلوق بعد هذه الآية بمخلوق مثله ، أفلقاب بلا قلب ! لقد هبت بصيرتنا ، وأغلقت سريرتنا فظهرنا

(١) الفرقان : ٣٠ (٢) الفرقان : ٣١ (٣) الفرقان : ٢٨

(٤) الفرقان : ٥٣ (٥) الفرقان : ٥٨

بالصلاح والتوكل للمخلوقين ، وَقَدْ جُنَا خَلِيًّا عَنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ .

(وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا^(١) أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ) : هذا وعيد لمن ظلم أحدا من خلق الله . وعمل ينقلبون في أي . وقيل إن العامل في « أي » يعلم .

(وَصَبَّحَنَّا^(٢) اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ) : نَزَّهَ اللهُ قَسَمَهُ مِمَّا عَمِيَ بِكَوْنِ بِيَالِ السَّامِعِ فِي مَعْنَى النِّدَاءِ ، وَفِي قَوْلِهِ^(٣) : « بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ » ؛ إِذْ قَالَ بَعْضُ النَّاسِ فِيهِ مَا يَجِبُ تَنْزِيهِ اللهِ عَنْهُ .

(وَأَوْتَيْنَا^(٤) مِنْ كُلِّ شَيْءٍ) : عَمُومٌ مَعْنَاهُ الْخُصُوصِ . وَقَدْ قَدَّمْنَا أَنَّ الْمُرَادَ بِقَوْلِ سُلَيْمَانَ هَذَا التَّكْثِيرُ ؛ كَقَوْلِكَ : فُلَانٌ يَقْصِدُهُ كُلُّ أَحَدٍ . وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَرِيدَ نَفْسَهُ وَأَبَاهُ ، أَوْ نَفْسَهُ [٢٤٠ ب] خَاصَّةً عَلَى وَجْهِ التَّعْظِيمِ ؛ لِأَنَّهُ كَانَ مُلْكًا .

(وَعَشِيرَ لِسْلِيمَانَ^(٥)) : جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ . . .) الْآيَةُ : اعْتَبِرْ بِمَا أَعْطَى اللهُ سُلَيْمَانَ مِنَ الْجُنْدِ ، وَاخْتَلَفَ فِي عَسْكَرِهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ؛ فَقِيلَ كَانَ مِائَةَ فَرَسٍ فِي مِائَةٍ : خَمْسَةُ وَعَشْرُونَ لِلْإِنْسِ ؛ وَخَمْسَةُ وَعَشْرُونَ لِلْجِنِّ ، وَخَمْسَةُ وَعَشْرُونَ لِلطَّيْرِ ، وَخَمْسَةُ وَعَشْرُونَ لِلْوَحْشِ ، وَكَانَ لَهُ أَلْفُ بَيْتٍ مِنْ قَوَارِيرَ عَلَى الْخَشَبِ فِيهَا ثَلَاثُمِائَةٍ مِنْ كُرُوحَةٍ وَسَبْعُمِائَةٍ مَرِيَّةٍ ، وَقَدْ نَسَجَتْ لَهُ الْجِنُّ فُسْطَاطًا مِنْ ذَهَبٍ وَإِبْرِيْمَ فَرَسِيخٍ فِي فَرَسِيخٍ ، وَكَانَ يَوْضَعُ مِنْبَرَهُ فِي وَسْطِهِ ، وَهُوَ مِنْ ذَهَبٍ ، فَيَقْعُدُ عَلَيْهِ وَحَوْلَهُ سِتْمِائَةُ أَلْفٍ كَرْمِيٍّ مِنْ ذَهَبٍ وَفِضَّةٍ ، فَيَقْعُدُ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى السُّكْرَامِ وَحَوْلَهُمُ الْمَاسُ ، وَتُظَاهِمُ الطَّيْرُ بِأَجْنَحَتِهَا ، وَتَرْفَعُ

رِيحُ الْعَصَا الْبَاسِطِ ، فَتَسِيرُ مَسِيرَةَ شَهْرٍ .

وَيُرَوَّى أَنَّهُ كَانَ يَأْمُرُ الرِّيحَ الْعَاصِفَ تَحْمِلُهُ وَيَأْمُرُ الرُّخَاءَ تَسِيرُهُ ، فَأَرْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ وَهُوَ يَسِيرُ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ : إِنِّي قَدْ زِدْتُ فِي مُلْكِكَ ، لَا يَتَكَلَّمُ أَحَدٌ بِشَيْءٍ إِلَّا أَلْقَيْتَهُ الرِّيحُ فِي سَمْعِكَ . فَيَحْكِي أَنَّهُ مَرَّ بِحَرَاثٍ ، فَقَالَ : لَقَدْ أُوتِيَ آلُ دَاوُدَ مُدَّكَ عَظِيمًا ، فَالْتَقَى الرِّيحُ فِي أُذُنِهِ ، فَزَلَّ وَمَشَى إِلَى الْحَرَاثِ ، وَقَالَ : إِنَّمَا مَشَيْتُ إِلَيْكَ لَيْلًا ، يَتَمَنَّى مَا لَا تَقْدِرُ عَلَيْهِ ! ثُمَّ قَالَ : لَنَسِيحَةٍ وَلَحْدَةٍ يَقْبَلُهَا اللَّهُ خَيْرَ مِمَّا أُوتِيَ آلُ دَاوُدَ .

وَرَوَّى أَنَّهُ سَمِعَ قَوْلَ الْهَمَلَةِ مِنْ ثَلَاثَةِ فَرَاسِخَ ، وَكَانَ يَفْهَمُ كَلَامَ الطَّيُورِ وَمَعَانِيهَا وَأَغْرَاضَهَا ، وَهَذَا نَحْوُ مَا كَانَ نَبِينَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْمَعُ أَصْوَاتَ الْحَجَارَةِ بِالسَّلَامِ .

وَيَحْكِي أَنَّ سُلَيْمَانَ مَرَّ عَلَى طَائِفٍ فِي شَجَرَةٍ يَحْرُكُ رَأْسَهُ وَيَمِيلُ ذَنْبَهُ ، فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ : أَتَدْرُونَ مَا يَقُولُ ؟ قَالُوا : اللَّهُ وَنَبِيِّهِ أَعْلَمُ . قَالَ : يَقُولُ أَكَلْتُ نَصْفَ تَمْرَةٍ ، فَفِي الدُّنْيَا الْعَفَاءُ .

فَلَمَّا قَلَّتْ : الْظَّاهِرُ مِنْ قَوْلِ نَبِينَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي خَبَرِ السَّفَرِيتِ الَّذِي عَرَضَ لَهُ فِي صَلَاتِهِ فَأَخَذَهُ وَأَرَادَ أَنْ يُوثِقَهُ فِي سَارِيَةٍ مِنْ سَوَآرِي السَّجْدِ ، فَقَالَ : ذَكَرْتُ قَوْلَ أَخِي سُلَيْمَانَ : « رَبِّ (١) اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَخْذِهِ مِنْ بَعْدِي » ؛ فَأَرْسَلْتُهُ ، إِنَّهُ لَمْ يَبْلُغْ هَذَا الْمَلِكِ .

فَالْجَوَابُ أَنَّ لَفْظَةَ يَنْبَغِي إِنَّمَا هِيَ لَفْظَةٌ مُحْتَمِلَةٌ لَيْسَتْ بِقَطْعٍ فِي أَنَّهُ لَا يُعْطَى

الله عز وجل هو ذلك الملك لأحد ؛ ونبيُّنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم لو ربط الجنى لم يكن ذلك نقصاً لما أوتيه سليمان عليه السلام ، لسكن لما كان فيه بعضُ الشبهة تركه جرّياً منه صلى الله عليه وسلم على اختياره أبداً أيسر الأمرين وأقربهما إلى التواضع ؛ ألا ترى لما عرض عليه أن يكون نبياً عبداً أو نبياً ملكاً فاختار السودية ، وقال : إنما أنا عَبْدٌ آكلُ كما يأكلُ العبد ؛ فعرضه الله بتواضعه الشفاعة العظمى ، والوسيلة التي لا ينالها غيره . وهذا مع ما كان عليه من تسخير الكونين والثقلين .

وقد ألف بعضُ العلماء في مواراة معجزاته عليه السلام لمعجزات الأنبياء على جميعهم السلام تأليفاً عجيباً ، وكذلك نظم بعضهم قصيدةً في معجزاته عليه السلام موازياً لمعجزاتهم .

فإن قلت : كيف يتعرض الشيطان لرسول الله صلى الله عليه وسلم يريد إفسادَ صلاته ، ويفرّ من لقاء عمر ، كما قال صلى الله عليه وسلم : " لو سلك عُمر فجاً لسلك الشيطانُ فجاً غير نجح عمر " .

والجواب أنه ليس بمسكّر أن يتعرضَ المفرّيت له إظهاراً لمعجزته وغلبته له ، وأيضاً فأين يفرُّ منه صلى الله عليه وسلم وهو مالكُ الأرض كلها ، بل والآخرة بأسرها ؛ قال ابن يفر من ملاقاته ؟ ومهرُّ لا يملك إلا الفجع الذي هو فيه ، فكان يفرُّ منه لغير ملكه ، ولقد علم المؤمن أنه لو ظفر به اقتله لشدةِ حمر وغِلظتِهِ في الله ونصرة دينه ؛ ونبيُّنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم في غاية الشفقة والرحمة على من يؤذيه .

وقد حكى ولي الله أبو محمد الهدوي أن أبا مدين قال لتلاميذه يوماً : إنما فضلُ أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، أمة سليمان ؟ فأجيب بأن الفضل بينهما

معروف . فقال لهم : ما بال آصف أوتي علما من الكتاب تمكن به من الإتيان بعرش بنقيس ؛ وأنت يا محمدى أوتيت علم الكتاب ، ولم تمكن من الإتيان برغيف إقال : فلم [١٢٩١] يذكّر أحد جوابا عن هذا . قال : فالتقى على في النوم ، فرأيت قائلا يقول لي : لو خصّ أحد بسرّ الخفاء ، لعدّ في حق غيره خفاء ، وأمة محمد من أهل الصفاء والاصطفاء ، وحين استيقظت لاح لي سرّ ما رأيت ، وعلت أن آصف خصّ بمزية عن كل أمة سليمان عليه السلام لرفعة مرتبته ، وليس لتلك الأمة من العناية ما لهذه الأمة ، ولو عمّ مأم محتاجون إليه أبطلت حكمة الله في طلب الجد والسعي الذي عليه يتأبون ، ولو خصّ واحد من هذه الأمة بدرجة قالوا : إن من سواه منقطع عن حصول الاعتناء به في تناول معاشه دون سبب لهم . بهذا الاعتبار قد تساوا في الكسب ، لا فضل لواحد منهم عن صاحبه في تطلبه ؛ فهم متحدون في الاقتداء ، في شرفوا إلا من أجله صلوات الله وسلامه عليه .

(ولو يؤاخذ الله الناس ^(١) بظلمهم) ؛ أي بظلمهم أنفسهم ، أو بظلم بعضهم بعضا ، فهو لفاعل والمفعول ؛ لأن الدس عام في الظالم والمظلوم ، وإنما أضاف الظلم إليهم لأجل الكسب الذي لهم فيه ؛ ألا ترى أنك تقول عبد فلان ، وثواب فلان ، وليس لهم فيه إلا النافع . وأما الأعيان فما يملكها إلا الله .

وذكر الزمخشري هنا آثرا عن أبي هريرة وابن عباس تقتضي عموم الهلاك في بني آدم وغيرهم بسبب شؤم ظلم الإنسان ، وكذا قل ابن عطية أن الطير والموت يهلكان بسبب ظلم الإنسان ؛ وهذا مما لا يتم الاستدلال به إلا مع ضمنية ما قاله الأصوليون في أن قول الصحابي إذا كان دليله من العالم للقياس فإنه

يكون حجة ، لأنه حينئذ لم يكن قاله من عنده ؛ بل يكون سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم . وأما إن وافق القياس فهو مذهب صحابي ، فلا يحتاج به . وهذا مخالف للقياس . قال تعالى : « ولا ^(١) تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى » .

وأجاب ابن عطية بأن هلاك من لم يظلم إنما هو لكونه لم يغيّر على الظالم ، وبعضه ما تقدم في قوله تعالى : « فلما ^(٢) نسوا ما ذُكِّروا به أنجبنا الذين يَبْذُوثَنَ من السوء » ؛ وفي قوله : « كانوا ^(٣) لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرِ فَعْلِهِ » .

وأجاب بعضهم إن هلاك الظالم بظلمه وهلاك مَنْ لم يظلم إنما هو ابتلاء له ليصبر ، فيعظم بذلك أجره ومثوبته ، فهو رحمة به بهذا الاعتبار .

قال الفخر : واستدل بعضهم بالآية على عدم عصمة الأنبياء ، واستدل بها مَنْ جَوَزَ الرِّدَّةَ على جميع الخلق نسبة الظلم فيها لجميع الناس .

ورُدَّ بأن الصوم في الآية إنما هو بالمواخنة وأما الظلم فإنه ذكر على سبيل القَرَضِ والتقدير ؛ أي لو فرض وقوع الظلم من الجميع وأخذوا به لم يبق أحد ؛ ولا يلزم من فرض الشيء وقوعه ، كما قال ^(٤) : « لو كان فيهما آلهة إلا الله لَفَسَدَتَا » .

فإن قلت : يفهم من قوله تعالى : « لا ^(٥) يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً » نفى تأخيرهم عن أجلهم ، لأنه كان متوقعا ، وأما تقديمهم على أجلهم إذا حضر فستحيل إذا الماضي لا يعود ، فلم احتجج إلى نفيه ، وجعل جوابا للشرط ؟

(١) الأنعام : ١٦٤ ، الإسراء : ١٥ ، طه : ١٨ ، الزمر : ٧

(٢) الأعراف : ١٦٥ (٣) المائدة : ٧٩

(٤) الأنبياء : ٢٢ (٥) النحل : ٦١

والجواب أنه على معنى التأكيدي، وإشارة إلى تسوية الأمر الضروري بالشكوك فيه، لأن استحالة تقدمهم عن أجلهم إذا حضر أمر ضروري، وتأخرهم عنه مشكوك فيه؛ ألا ترى من حل عليه دين مؤجل يمكن أن يؤخره ربه عنه، ولا يمكن أن يقدمه هو عن أجله بعد حلوله بوجه، فكأنه يقول: كما يستحيل تقدمهم عن أجلهم إذا حل كذلك يستحيل تأخرهم عنه، لأن ماعلمه الله وقدره لا يُبد من وقوعه.

(وقال^(١) رَبُّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ) : هذا من قول سليمان لما أنعم الله تعالى عليه بالملك، وعلم أنه رخاء لا ينفعه عند الله إلا بالهامية الشكر.

وحقيقة «أوزعني» اجعلني أزع شكر نعمتك عندي وأكفه واربطه، لا ينفك عني، حتى لا أنفك شاكرالك. وأدخل والديه في الدعاء، لأن النعمة عليهما لولد منها نصيب بالوراثة، فيجب شكر الوالد على ذلك؛ لأن موجب الشكر مشترك بين الولد [٢٩١ ب] والوالدين، ومن رؤية النعمة عند سليمان أنه أمر أن يعمل حول كرمته ألف محراب فيها ألف رجل عليهم المسوح يصرخون بالشكر دائما ويقول لجنده إذا ركب: سَبِّحُوا اللَّهَ إِلَىٰ ذَلِكَ الْعَلَمِ، فَإِذَا بَلَغُوا قَالَ: هَلِّلُوا إِلَىٰ ذَلِكَ الْعَلَمِ، فَإِذَا بَلَغُوا قُل: كَبِّرُوا إِلَىٰ ذَلِكَ الْعَلَمِ الْآخِر، فليج الجنود بالتسبيح والتهلل والتكبير لجة واحدة، شكرا لما أعطاه الله، فاستعملوه من أجله. وقد صح أن الله يحتاج على الأغنياء يوم القيامة بسليمان؛ لأنه لم يشغل ما أعطاه الله عن القيام بحته، وعلى العبيد يوسف، وعلى المرضى بأبيوب، لما ملك جميع ما ملك دخل بيته وألقى ثيابه، وقل: هكذا

خرجت إلى الدنيا ، وعلى الفقراء بعيسى ؛ كان له إناء يشرب فيه ، ومُشط
يمشط به ، فالتقاهما وصار يتخلل بأصابه ، وبشرب في يديه ؛ فقال له قومه : ألا
تتخذ لك حماراً تركب عليه إذا أعياك المشى ؟ فقال : أنا أكرم على الله من
أن يمحني خادم حمار .

(وَتَقَعْدُ^(١) الطيرَ فقال مَالِي لَا أَرَى الْهُدْهُدَ) - بضم الهاءين وإسكان
الهمزة بينهما : طائر معروف ذو خطوط وألوان . قال الجاحظ : وهو وفاء حفوظ ؛
وذلك أنه إذا غابت أتماء لم يأكل ولم يشرب ولم يشتغل بطلب طعم ، ولا يقطع
الصباح حتى تعود إليه ، فإن حدث حدث أعدمه إياها لم يشفد بعدها أنى أبداً ،
ولم يزل صاعماً عليه ما عاش ، ولم يشبع بعدها من طعم ؛ بل ينال منه ما يملك
رمقه إلى أن يشرف على الموت ، فسد ذلك ينال منه يبرأ .

فإن قلت : قد طاب سليمان الشكر من الله تعالى على هذا الملك ، وإنه لم
يكن في باله ولا له به تملق ، فما باله تقعد الهدد حين كان يظله وتوعده
بالعذاب الشديد أو بالتدبير ؛ وهذا الفصل يقتضى الناية بالملك والهمم بكل
جزء منها ؟

والجواب ما في السكامل وشعب الإيمان للبيهقي : إن ناقماً سأل ابن عباس ،
فقال : سليمان عليه السلام ، مع ما حوَّله الله من الملك وأعطاه ، كيف غنى بالهدد
مع صغره ؟ فقال له ابن عباس : إنه احتاج إلى الماء ، والهدد كانت له الأرض
كالزجاج . فقال ابن الأزرقي لابن نافع : قف يا وفاق ؛ كيف يُبصر الماء
من تحت الأرض ، ولا يرى الفخ إذا غطى له بقدر أصبع من تراب ؟

فقال ابن عباس : إذا نزل القدر نحي البصر .

قال الزمخشري : وكان السبب في تخلفه عن سليمان عليه السلام أنه حين نزل سليمان عليه السلام خلق الهدد ، فرأى هذها واقعا ، فوصف له ملك سليمان وما سخر له ، وذكر له ملك بلقيس ، وأن تحت يدها اثني عشر ألف قائد تحت يد كل قائد مائة ألف ، فذهب له لينظر فأرجع إلا بعد العصر ، فدعا سليمان عريف الطير وهو الذمير ، فلم يجد عنده عليه ؛ ثم قال لسيد الطير — وهو العقاب : علي به ، فارتفع ونظر فإذا هو مُقبل ، فقصدته ، فنأشده وقال له : بالذي قواك علي ، وأقدرك إلا رحمتي ، فتركه ، وقال : فكلفتك أمك ؛ إن بني الله حلف ليعذبك .

قل : وما استثنى ؟ قل : بلى . قال : أوليايتي بسلطان مبین . فلما قرب من سليمان أرخى ذنبه وجناحيه يجرهما على الأرض تواضعا له ، فلما دنا منه أخذ رأسه فدهه إليه ، فقال : يابني الله ، اذكر وقوفك بين يدي الله خاضعا ذليلا . فارتعد سليمان وغفا عنه ؛ ثم كان تعذيبه لمن خاف أمره من الطير أن ينسف ريشه وريشه . وقيل يلقيه للنمل يأكله . وقيل إيداعه القفص . وقال الهدد : يابني الله ، بم كنت تعدني العذاب الشديد ؟ قال : أفأرقت من إلتك وأجعلك تعاثر الأضداد .

فإن قلت : لِمَ أبيع له تعذيب الهدد ؟

قلت : يجوز أن يبيع الله له ذلك كما أباح ذبائح البهائم والطيور للأكل وغيره من المنافع . قال حكيم : إنما صرف سليمان عن ذبائح الهدد للخبر الذي أتى به من أمر بلقيس .

وقيل : لأنه كان بارأ بايوه [١٢٩٢] ينقل الطعام إليهما فيزقهما .

وحكى القزوينى أن المدمد قال لسليمان : أريد أن تكون فى ضيقتى .
 قتل : أنا وحدى ؟ قال : لا ، أنت ومعك فى جزيرة كذا فى يوم كذا ،
 فحضر سليمان وجنوده : وطار المدمد : فاصطاد جرادة وخنثها ورمى بها فى
 البحر ، وقال : يا نبي الله ، من فاته اللحم ناله المرق : فضحك سليمان من ذلك
 عامدا كاملا .

(وَجَدْتُ^(١) امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ) : هى بلقيس بنت شراحيل كان أبوها
 ملك اليمن ، ولم يكن له ولد غيرها ، فنابت بعده على الملك . والضمير يعود
 على قومها .

(وَلَهَا^(٢) عَرْشٌ عَظِيمٌ) : يعنى سرير مُلْكُهَا ، ووقف بعضهم على عرش ،
 ثم ابتدا : عظيم وجدتها^(٣) وقومها يسجدون للشمس . وهذا خطأ وغير منكر
 عليه وصنف العرش بالعظمة .

(وَأَتُونِي^(٤) مُسْلِمِينَ) : يحتمل أن يكون من الاقياد ، بمعنى مسلمين ،
 أو يكون من الدخول فى الإسلام .

(وَكَذَلِكَ^(٥) يَفْعَلُونَ) : من كلام الله تعالى ، تصديقا لقول بلقيس : إن
 الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها : أو هو من قولها أنا كيدا للمعنى الذى أرادته ،
 أو يعنى كذلك يفعل^(٦) هؤلاء بنا .

فإن قلت : كيف استعظم الهدم عرشها مع ما كان يرى من
 ملك سليمان ؟

(١) النمل : ٢٣ (٢) النمل : ٢٣ (٣) النمل : ٢٤ (٤) النمل : ٣١

(٥) النمل : ٣٤ (٦) فى : يفلوا - تحريف .

فالجواب : أنه استعظم عرشها بالنظر إلى حالها وأمثالها ، وأنه وصفه بالعظم
إغراء له عليها ، ووصفه له بأنه ثمانين ذراعاً في ثمانين ، وأنه مكدل بأنواع الجواهر ،
وأن قوائمه من ياقوت أحمر وأخضر وذُرّ وزمرّد ؛ وغرابة ما فيه من البهاء ، وفي
ذلك تقوية لعذره عن غيبته ، ورفع للعقاب عنه ، ولعظمه عندم أراد سليمان
أن يُريهم قدرة الله ، وبعض ما خصّه به من العجائب على يده ، ويشهد
ببقوته .

(^(١) وكان في المدينة تسمية رَهْطٍ يُفْسِدُونَ في الأرض) : يعنى الفساد العام
في كل ما فيه مفسدة لا بناء جنسهم . وقيل : كانوا يقرضون الدنانير والدرهم .
والمراد بالمدينة مدينة نمود ؛ فانظر رحمة الله بعباده حيث لا يريد مفسدة
أحدٍ منهم : يوجب الله إليهم صالحاً ينههم عن الفساد ، فجرى لهم
ما قلّمناه .

(ويوم ^(٢) يُنْفَخُ في الصور فَنُزِعَ مَنْ في السموات . . .) : قد قلّمنا
أن إسماعيل عليه السلام ينفخ فيه ثلاث نفخات : نفخة الفزع وهو في الحياة
لدنيا وليس بالفزع الأكبر . ونفخة الصعق . ونفخة القيام من القبور .

وانظر كيف عبّر هنا بـ **يُنْفَخُ** وفزع ، وهو أمر لم يقع بعدُ إشعاراً بصحة
وقوعه . وخصّت هذه السورة بالفزع موافقة لقوله تعالى : « **وَهُمْ ^(٣) مِنْ فَرْعٍ**
يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ » . وخصّت سورة الزمر بالصعق موافقة لما قبله ؛ لأن معناه :
مات وقد تقدم قوله : **إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ** .

(وهم ^(٤) لا يُشْعُرُونَ) ؛ أي قوم فرعون لا يشعرون بأن إهلاكهم

يكون على يد موسى ، أولا يشعرون أن الذي دلت على إرضاعه أخته .
(وَكَرِهَ ^(١)) ؛ أي ضربه بأطراف الأصابع . وقيل يجمع الكف قتله ،
ولم يرد أن يقتله ، لكن واقعت وكرهه الأجل .

فإن قلت : لم يعمل عملا يوجب له الاستغفار منه ، لأن المقتول كافر .
فالجواب أن الله لم يأذن له في قتله ، ألا تراه يقول يوم القيامة : قتل
نفسا لم آذن بقتلها .

(ولقد ^(٢) وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَنُحْيِيَهُمْ بِتَذَكُّرٍ) : الضمير اقريش .
وقيل لليهود . والأول أظهر ؛ لأن الكلام من أوله معهم . والعموم أحسن
لهم ولغيرهم ممن يأتي بعدهم ، يعني بلفظنا لهم القرآن ؛ وبيننا لهم الحلال والحرام ،
ووعظناهم بحكاية من تقدم من الأمم ، لعلهم يتذكرون . وهذا مثل قواه :
« وَذَكَرْ فَإِنَّ اللَّهَ كَرِيهُمُ الْمُؤْمِنِينَ » . فكيف يكون للعاصي حجة مع
هذه المواعظ والحر من العيد تكفيه اللامة .

(وَأَكْثَرُ ^(٣) جَمْعًا) : مطوف على الهلاك . يعني من يرى إهلاك من كان
أشد منه قوة وأكثر [٢٩٢ ب] جمعا لئلا كيف يفتخر بالدنيا وهذا حالها
نشاهد إهلاك قوم بعد قوم ، ولا رعووى عن قبيح ، ولا نزدجر
من رذيلة .

(وَلَا ^(٤) يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ) : يحتمل أن يكون متصلا بما قبله ،
والضمير في ذنوبهم يعود على الأمم المتقدمة ، والمجرمون من بعدهم ؛ أي

(١) القصص : ١٥ : فوكره .

(٢) القصص : ٥١ : (٣) الذاريات : ٥٥ : (٤) القصص : ٧٨

لا يسألُ المجرمون عن ذنوب مَنْ تقدمهم مِنَ الأمم الهالكة ؛ لأن كل أحد إنما يسألُ عن ذنوبه خاصة .

ويمحتمل أن يكون إخبارنا عن حال المجرمين في الآخرة ، وأنهم لا يسألون فيها عن ذنوبهم ، لأنهم يدخلون النار من غير حساب .

ورُدَّ بقوله تعالى : « فَوَرَّكَ ^(١) » انشأَ لتهم أجمعين » . . . أجاب بعضهم عن هذا بأن السؤال المنق على وَجْه الاستخبار وطلب التعريف ، لأنه لا يحتاج إلى سؤالهم على هذا الوجه ، لكن يسألون على وَجْه التوبيخ ، وحيثما ورد في القرآن إثبات القول في الآخرة فهو على معنى الحاسبة والتوبيخ ، وحيثما ورد نفيه فهو على وَجْه الاستخبار والتعريف ، ومنه قوله ^(٢) : « يومئذٍ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جن » .

(وادْعُ ^(٣) إِلَى رَبِّكَ) : يحتمل أن يكون من الدعاء بمعنى الرغبة ، أو من دعوة الناس إلى الإيمان بالله ، فالفعل محذوف على هذا ، تقديره ادْعُ النَّاسَ . فانظر كيف أمر اللهُ رسوله بدعاء الناس إليه ، وخصص الهداية لإجابته ، فالأجرة عامة ، والهدى خاص . وقد دعا الله عباده في الدنيا بقوله ^(٤) : « والله يدْعُو إِلَى دَارِ السَّلامِ » . « يدْعُوكُمْ ^(٥) » أي فِرَّ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ . وفي الآخرة بقوله ^(٦) : « يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ » . « يَوْمَ ^(٧) تَدْعُوا كُلُّ أُنَاسٍ لِيُؤْمِرَهُمْ » . فما هذا التقاسم بعد هذا الدعاء إلا من العسى ، وأعظم من العسى ، وأعظم من المخالفة والاستجابة غَفَلْنَا عَنِ الاسْتِغْفَارِ ، والضحك والاعتذار والتهاون والاستكبار ؛ قال تعالى ^(٨) : « وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ » .

(١) الخبر ٩٢ (٢) الرحمن : ٣٩ (٣) القصص : ٨٧ (٤) يونس : ٢٥
(٥) إبراهيم : ١٠ (٦) الإسراء : ٥٢ (٧) الإسراء : ٢١
(٨) المؤمنون : ١١٠

« وَتَعَسَّبُونَهُ ^(١) هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ » . « وَغَرَّكُمْ ^(٢) الْأَمَانُ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَ كَيْدُ اللَّهِ الْفُرُورَ » . « وَتَدَاخِرَ اللَّهُ عَنْ نُوحٍ أَنَّهُ قَالَ ^(٣) : « وَابْنِي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أُصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ ، وَاسْتَعْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرَوْا وَاسْتَكْبَرُوا وَاسْتَكْبَارًا » .

وهذه كلها موجودة فينا ، وما خفي عن الخلق أكثر ، اللهم لا تؤخذنا بذنوبنا .

(^(٤) وما أُوْرِيْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَنَاعُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَزَيَّنَّتْهَا) : هذا الضمير لكفار قريش ، لأنهم كانوا يفخرون بالأموال والأولاد على الضعفاء من المؤمنين ، ويسحرون منهم لفلة ما أعطوا من الدنيا ، فأخبرهم الله أن ما أعطوا منها إنما هو متاع قليل وزينة وما آخر يشغل بها كالصبي تغطيه أمه خشاشة تشغله عنها ، ولو علم الله فيهم خيرا لتغيبها لئلا لها ، لكن الله طمس بصائرهم ، وأكبوا عليها ؛ وليس العجب منهم ، وإنما العجب منكم ، حَصَّ اللَّهُ رَسُولَهُ عَلَى الْفِرَارِ مِنْهَا ، وَالْإِعْرَاضِ عَنْهَا ، فَلَمْ تَزِيدُوا إِلَّا طُغْيَانًا وَكُفْرًا ، وَلَوْ لَمْ يَقَعْ الْحُصْحُ عَلَى الْفِرَارِ مِنْهَا لَكَانَ الْوَاجِبُ عَدَمُ الْإِلْتِصَاقِ بِهَا لَمَّا نَرَى مِنْ سُرْعَةِ تَقَلُّبِهَا ؛ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى فِي بَعْضِ الْكُتُبِ الْمُنَزَّلَةِ : « طَلَبْتُ مِنْ خَلْقِي الطَّاعَةَ لِي ، وَالزَّهَادَةَ فِي أَعْدَائِي ، فَلَمْ يَفْعَلُوا ؛ ثُمَّ طَلَبْتُ مِنْهُمْ إِعَاةَ الزَّهَادِ مِنْ أَهْلِ طَاعَتِي فَلَمْ يَفْعَلُوا ، فَقُلْتُ لَهُمْ : ارْضُوا عَنْهُمْ فَلَمْ يَرْضَوْا ، فَقُلْتُ لَهُمْ : لَا تَمْنَعُوهُمْ مِنْهَا إِذَا ، فَمَنْعُوهُمْ . فَقُلْتُ لَهُمْ : لَا تَدْعُوهُمْ إِلَى مَا لَا يُرْضِيَنِي ، وَلَا تَعَادِيَهُمْ عَلَيْهَا ، إِنْ لَمْ يَتَابِعُواكُمْ ،

(٢) الحديد : ١٤

(١) التور : ١٥

(٤) القصص : ٦٠

(٣) نوح : ٧

فعلوا وصاروا عندهم أنتم من حبة حنار ، فكيف أفدس أمة هذه أفعالهم !
اللهم أعف عنا بفضلك .

فإن قلت : ما وجه زيادة الزينة في هذه الآية على آية الشورى (١) ؟

والجواب لتقدم ذكرها في قوله تعالى (٢) : « فخرج على قومه في زينته » ،
فلتعمت الآية بذلك القصة ، ولم يرد في سورة الشورى من أولها إلى آخرها
ذكر حال دنيوى لأحد ، بل تضمنت حقارة الدنيا ووزارة رزقها ، وأنه
مقدور غير مبسوط ، وتلك حال الأكثر . وقيل في الجواب غير هذا
حذفناه لطوله .

(ويوم (٣) يناديهم فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون) :
قد قدمنا أن هذا النداء من الله تعالى قديم متعلق بالذات القديمة ، وإنما يسميهم
الله ذلك الخطاب من غير واسطة مبالغة في توبيخهم وتعذيبهم ، وذلك أدخل
فيه همزة الاستفهام [١٢٩٣] ونسب الشركاء تعالى إلى نفسه على زعمهم .
والجيبون يقولهم (٤) : « قل الذين حق عليهم القول » هو كل مقول دايع
إلى الكفر من الجن والإنس ، والنداء إنما وقع للتابعين والمتبوعين ، لكن لما
كان السؤال مسكتا لهم مبهتا فكأنه لا تعلق لجمهور الكفرة إلا بالمفوزين
لهم والرهوس والأعيان منهم ؛ فلذلك سارعوا إلى الجواب طمعا في التبري
من متبعيهم ، وفي هذا الموطن صدر منهم الإقرار برؤيته تعالى ، إذ هو
موطن ظهور الحق وانكشافه .

(١) في الشورى ، آية ٣٦ : فأنتم من شيء فناء الجباء الدنيا .

(٢) القصص : ٧٩ (٣) القصص : ٦٢ (٤) القصص : ٦٣

فإن قلت : قد قلتم إنَّ دعاء الشركاء على جهة التعجيز ، والمشركون يعلمون أنَّ الشركاء لا يُجيبون ، لأنَّ الموطن ظهورُ الحق وانكشافُ الأمور فلم دَعَوْا شركاءهم ؟

والجواب : ليظهر عجزُهم عن إجابة الدعوة على رؤوس الأشهاد ، وتقوم عليهم بذلك الحجة ، فسبحانه ما أعظمه من لطيف يحبُّ العاذير وإظهار الحق ، ينطق الجادات والجوارح على المخلوقات حتى لا يجد الإنسان فرارا من قضائه وقيام الحجة عليه .

فإن قلت : كيف الجمع بين قولهم ^(١) : « أَغْوَيْنَاهُمْ » ، وبين قولهم ^(٢) : « تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ » ؛ فإنهم اعترفوا بإغوائهم ، وتبرءوا مع ذلك منهم ؟

والجواب أنَّ إغواءهم لهم هو أمرهم لهم بالشرك . والمعنى إنا حملناهم على الشرك كما حملنا أنفسنا عليه ، ولكن لم يكونوا يعبدوننا ، وإنما كانوا يعبدون الأصنام وغيرها ، فبرَّأنا إليك من عبادتهم لنا ؛ فتحصل من كلام هؤلاء الرؤساء أنهم اعترفوا أنهم أغووا الضعفاء وتبرءوا من أن يكونوا هم آلهتهم ، فلا تناقض في الكلام .

(وَوَصَّيْنَا^(١) الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا ، وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي) :
اختلف في سبب نزول هذه الآية على أقوال ؛ والظاهر منها عمومها فيمن كان بمكة من المؤمنين يشقى بمجاهد أبويه في شأن الإسلام أو الهجرة ، فكان القصد بهذه الآية النهي عن طاعة الأبوين في مثل هذا المظم الأمر ، وكثرة الخطر فيه ، مع الله تعالى ، ثم إنه لما كان يرث الوالدين وطاحتهما من الأمر الذي

قررت الشريعة ، وأكّدت فيه ، وكان من القوى عندهم للالتزم قدم الله تعالى النهي عن طاعتها في قوله تعالى : « ووصينا » على معنى إنا لا نخلّ بآمر الوالدين ، لكننا لا نسلط على طاعة الله تعالى ، لاسباب في معنى الإيمان والكفر . وحسنا : يحتمل أن ينتصب على المفعول ، وفي ذلك تجوز ، ويسهله كونه عامّا لمعان ، كما تقول : وصيتك خيرا ، ووصيتك شرا ؛ عبر بذلك عن جهة ما قلت له ، ويحسن ذلك دون حرف الجر في قوله : بوالديه ؛ لأن المعنى : ووصينا الإنسان بالحسن في فعله مع والديه . والجمهور على ضمّ الخاء وسكون السين . وقرئ إحسانا ، ويحتمل أن يكون مصدرا من معنى وصينا ، أى وصينا وصية حسنة ، وعبر عن أمر الوالدين بالجهاد مبالغة ، فمن أمره أحد أبويه بفعل شيء فيه رضا الله ، فيقدم أمرها إذا لم يخل بشيء من طاعة الله ، فإن أخل فأمر الله مقدم ؛ إذ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق .

وإنما قال في هذه السورة : ^(١) « لتشرك » ، لأنه وافق ما قبله لفظا ، وهو قوله ^(٢) : « ومن جاهد فإنما يجاهد لنفسه » . وفي لقمان ^(٣) عمول على المعنى ؛ لأن التدبير وإن حلاك على أن تشرك .

وقيل : إن هذه الآية مبنية على الإيجاز ؛ فناسب ذلك الاكتفاء باللام ، وآية لقمان مبنية على الإطالة ، فناسب ذلك التمديد بلى ؛ وإنما أمره بالرفق في آية لقمان بقوله : ^(٤) « وصاحبهما في الدنيا معروفا » ؛ لأن مبنى الآية على الأمر بما يفعل بهما ومعهما من غير تقدم مطلب لهما ، ووجه ختم هذه الآية بالرجوع إلى الله تحذير من طاعتها في الشرك ، وإبلاغ في النهي عن الصفو إليهما في ذلك إلى الناية لئلا يظن أن ذلك كآية الإكراه كما تقدم ، ولما لم يقع في آية

الأحقاف^(١) ذكر الشرك وكانت فيمن كان على الإيمان ، وقد علم المؤمن رجوعه إلى ربه ، لم يرد فيها ذكر ذلك .

(وما^(٢) يَجْعَدُ بآيَاتِنَا إِلَّا الكافرون) ؛ أى الجاحلون من كل أمة قد آمن مطلقاً في القديم والحادث ، وأسند الجَعْدَ [٢٩٣ ب] في هذه إلى الكافرين وفيما بعدها إلى الظالمين^(٣) ، فقيل : ليعمُّ لفظهما كلَّ مَكْنَبٍ بمحمد عليه الصلاة والسلام ، ولكن عظم الإشارة بهما إلى كفار قريش ، لأنهم الأهم .

فإن قلت : الظلم يصح إطلاقه على ما دون الكفر ، فلو ورد وسمُّهم أولاً بالظلم ، ثم ثانياً بالكفر لكان أنسب ؟

والجواب : أن الظلم وإن كان يطلق على الكفر وعلى مادونه ؛ قال تعالى : « والكافرون^(٤) هم الظالمون » فإنه إذا ذكر بعد الكفر ووصف به مَنْ قد وصف بالكفر اتهم زيادة تركب على الكفر ؛ قال تعالى : « إن^(٥) الذين كفروا وظلّوا لم يكن الله ليغفر لهم ... الآية . وعلى هذا ورد في القرآن ، فقد وضح ماوردت عليه هاتان الآيتان^(٦) ، وليس من الشكل في ثوبه .

(ولئن^(٧) سألتهم مَنْ خالق السموات والأرض) : الضمير في الموضعين لأهل مكة والسؤال لإقامة الحجة على الكفار ، لأنهم أقرُّوا بأنه سبحانه هو الخالق لهذه المخلوقات العظيمة كما قدمناه في غير ما موضع ، ولعلك أنكر الله عليهم جَعْدَ عبادته

(١) الأحقاف : ١٧ (٢) النكبات : ٤٧ (٣) النكبات : ٤٩

(٤) البقرة : ٢٥٤ (٥) النساء : ١٦٨

(٦) في ١ : ماوردنا . . هاتين الآيتين - تحريف . (٧) النكبات : ٦١

بقوله : « فَأَنْتَى يُؤْفَكُونَ »^(١) ؛ أى يُصْرَفُونَ عن توحيده ومعرفة . ووجهه تنقيب هذه الآية بالإفك ، والثانية^(٢) بعدها بعدم القتال ، وآية لقمان^(٣) بكثرة الجهل وقلة العلم ؛ لأن المراد منها الاستدلال بهذا الخلق العظيم وما هو عليه من جليل التناسب ، وإتقان الصنعة وإحكامها من غير تفاوت ولا فطور .

(والذين^(٤) جَاهَدُوا فِينَا) : يعنى جهاد الأفس في الصدر على إذابة الكفار ، واحتمال الخروج عن الأوطان ، وغير ذلك . وقيل : يعنى القتال ؛ وذلك ضيف ؛ لأن القتال لم يكن مأموراً به حين زول الآية .

(وإن^(٥) الله لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ) ؛ أى بنصره ومعونته ، وانظر كيف أكده بأن واللام ليعلمك أنه سبحانه لا يسلمه لمن أراد به سوء ، وكيف لا وقد أكرمه الله بالحجة بقوله : إن الله يحب المحسنين ، والأمن : « ما »^(٦) عَلَى المحسنين مِنْ سَبِيلٍ ، وهو محسن . والرحمة : إن^(٧) رَحْمَةُ الله قَرِيبٌ مِنَ المحسنين .

فإن قلت : ما معنى الإحسان ؟

فالجواب إن هذا المقام لم يحصل إلا لأرباب العقول . وفي الحديث : إن كتب الإحسان على كل شيء ، والإحسان ثالث المقامات . وقد فسر صلى الله عليه وسلم بقوله : أن تعبد الله كأنك تراه . فإن لم تكن تراه فإنه يراك . فبالت شري ، هل بقى منهم فى هذا الرُّبْع أبس به أو ملجأ يسند إليه ! ما أرى الذنوس إلا قد ماتت بحب الدنيا ؛ وبالبئنا يملأها ؛ والقابُ مات مِنْ حُبِّ

(١) النـكـبوت : ٦١ (٢) النـكـبوت : ٦٣ (٣) لقمان : ١٥
(٤) النـكـبوت : ٦٩ (٥) التوبة : ٩١ (٦) الأعراف : ٥٦

المولى ، فمضى يحب أهل الاحسان أحيا الله قلوبهم بحبه ، وأمانوا نفوسهم من حب ضده ، ونحن على الضد . قيل لحاتم الأصم : ما علامة حياة القلب ؟ قال : وجدان اللذة من الطاعة ، ووجدان الألم من المعصية ؛ فَرِنَ بهذا الميزان نفسك وقلبك يتضح لك ما ذكرت . قال حاتم الأصم : نفس المؤمن ضيعته ، وقلبه أرضه ، والإخلاص ماؤه ، والحكمة بذره ، والشهوات حشيشته التي تغيره ، والعبودية غلاته ، والدنيا سفره ، والأيام منازلُه ، والقيامة سوفه ؛ والملك مشتراه ، والجنة ثمنه ؛ فممن رغبنا ونقضنا ، وممن مكث فإمّا ينكثُ على نفسه . وممن أوفى بما عاهدَ عليه الله فسنوته أجرًا عظيمًا . أمّا علمت أن من أحب شيئًا طلبه ، ومن طُلبه وجدته ، ومن خاف من شيء هرب منه ، ومن أراد سفرًا اهتَمَّ له . ومن أحبَّ الحقوق يقوم اقتدى بفعالهم ، ومثلك سبيلهم ؛ وممن فضل قوماً بعلم يحق أن يفضلهم بالعمل ، وممن لا يعلم ولا عمل ، فبما لله وإنا إليه راجعون ! أشمتنا أهل الآخرة من أحببنا ، وأرضينا الشيطانَ عدونا ، فمن رأى مصرعى فليبك .

(١) "وَهَذَا عَلَى وَهْنٍ" : يعنى كما عظم خالق الإنسان في بطن أمه زادها ضعفًا على ضعفها .

(٢) "بَسَخِيفَتِكَ" : الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، أمره الله بعدم الاضطراب لكلام الكفار ، وقولهم القبيح .

(٣) "أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ" : أى أخذنا عليهم الميثاق بتبليغ الرسالة إلى الخلق وتعليم الشرائع . وقيل أخذ الميثاق يوم : "أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ" .

والأول أرجح ، لأنه هو المختص بالأنبياء .

(وَقُلْنَ^(١)) قولاً مقروفاً : الخطاب [١٢٩٤] لأمهاتنا وأزواج ميدنا
صلى الله عليه وسلم : نهان الله عن الكلام الأمين الذي يُعجب الرجال ويُميلهم
إلى النساء ، أو الذي ليس فيه شيء مما نهى عنه ، ويعم جميع الأمة لأن الله أمر
بالإتداء بهن .

(^(٢) وَطَرَأَ) : حاجة ، يعنى لما لم يبق لزيد حاجة في زينب زوجنا كها .
وقد قدمنا قصتها في حرف الزاى .

(وَلَا^(٣) بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ) : يعنى الكتب المتقدمة ، كالطورا والإنجيل ،
وإنما قال هذه المقالة حين وقع الاحتجاج بما في الطورا من ذكر محمد صلى الله
عليه وسلم ، ولا يلتفت لمن قل بين يديه يوم القيامة ، لأن الذى بين يدي الشيء
هو ما يتقدم عليه .

(وَجَعَلْنَا^(٤) ذُرِّيَّتَهُمُ الْبَارِقِينَ) : أهل الأرض كلهم من ذرية نوح ،
لأن الله أمات من نجاسه في السفينة ، وتفاضلت الخلق من سام وحام ويافت .
(وَتَرَكْنَاهُ^(٥) عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ) : معناه أبقيناه ثناءً جيلاً في الناس ،
فيقل له آدم الأصغر . وقد قدمنا أن الله أسره بالدعوة إلى التوحيد ، وأرسله
إلى الناس كافة ، وعمر مالم يعمر غيره ، وقرنه الله بالذكر مع نبينا في قوله :
« ومنك ومن نوح » .

(وَلَا^(٦) تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ) : أى بالكرم بعد الإيمان ، وقيل بالرياء

(١) الأحزاب : ٣٢ (٢) الأحزاب : ٢٧ (٣) سبأ : ٢١
(٤) الصافات : ٧٧ (٥) الصافات : ٧٨ ، ١٠٨ (٦) محمد : ٢٣

والمُعْجَب . وقيل : لا تبطلوا أعمالكم بأن تقطعوها قبل تمامها . وبهذه الآية استدل الفقهاء على وجوب إتمام النافلة ؛ وهو بعيد . وأسد منه مَنْ قال لا تبطلوا حسناتكم بفعل السيئات ؛ وهذا مذهب معتزلي ؛ لأن السيئات لا تبطل الحسنات . والأول أظهر ؛ لقوله قبل ذلك في الكفار والمنافقين : « وَسَيُحِيطُ^(١) أَعْمَالَهُمْ » ، فكأنه قال : يأبى المؤمنون لا تبطلوا أعمالكم مثل هؤلاء الذين أحبط الله أفعالهم بكفرهم وصدّهم عن سبيل الله ، ومشاققتهم للرسول .

(وأُخْرَى^(٢)) لم تقدروا عليها قد أحاط الله بها) ، يعنى فتح مكة . وقيل بلاد فارس والروم . وقيل مقام هوازن في حنين . والمعنى لم تقدروا أنتم عليها قد أحاط الله بها ووهب لكم وذكرهم بالنعم ايشكروا عليها . وإعراب أخرى معطوف على « عَجَل^(٣) لكم هذه » أو مفعول بفعل مضمّر تقديره أعطاكم أخرى ، أو مبتدأ .

(وبِالْأَسْجَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ^(٤)) : قد قدما أن الاستغفار يُطلق على الصلاة ، والمراد هنا الاستغفار ؛ وهو طلبُ المغفرة للذنوب . وقد ذكرنا مرارا أن الله يقول في هذا الوقت : هل من مستغفر ؟ هل من دّاع ؟ هل من تائب ؟ ولما أكرم الله خمسة من الأنبياء بخمسة : ليلة نودى موسى من الشجرة ، وليلة النجاة للوط ، « نجيناهم^(٥) بِسَجَر » ، وليلة المغفرة ليعقوب ، « سوف^(٦) استغفر لكم ربى » . وليلة العرفة للخليل : « فلما جن^(٧) عليه الليل » ، وليلة الموانسة والحبة : ليلة الإسراء : « سبحان^(٨) الذى أمرى بمبدي » .

(١) عمدة : ٣٢ (٢) مجل : ٢٩ (٣) عمدة (٢٠) : فجل لكم هذه ...

(٤) الدوابات : ١٨ (٥) النمر : ٣٤ (٦) يوسف : ٩٨

(٧) الأنعام : ٧٦ (٨) الإسراء : ١٠

أكرمك الله يا محمدى بسحر كل ليلة تنأحى فيها ربك ، فقم على قدم الاعتذار
كاشف رأس الافتقار ، مخاطبا بلسان المقر والاضطرار ، ملقيا عن ظهرك حمل
السببات والأوزار ، مقنعا بقناع الرجاء والدم والاستغفار : إن لم تغفر لى فمن
يفغر لى ، إن لم تنب على فمن يتوب على ؟ إن لم ترحمنى فمن يرحمنى إذا
غضبت على ؟ ومن يأوينى إذا عرضت عني ؟ أنت العزيز ، وأنا الذليل ،
أنت الفنى وأنا الفقير ، أنت القوى وأنا الضيف ، وعزتك ما يزيد في خزانك
ما منعتنى ، ولا ينقص منها ما أعطيتنى ، إن تقف عني فأنت أهل لذلك ، وإن
تماقبتنى فيما قدمت يداى ، وما أنت بظلام للعبيد . فيا أكرم من أقر له
بذنوب ، ويا أعز من خضع له بذل ، بكرمك أقرت لك بذنوبى ، بمزتك
خضعت لك بذلى ، فلك المنة على يامن قل له شكرى فلم يجرمنى ، ويامن
قل له صبرى فلم يخذلنى ، ويامن تقويت بنعمته على المعاصى فلم يهفبنى ، ويامن
رآنى على الخطايا فلم يفضحنى : أقل عثرى بجاء بيك الكريم عليك
صلى الله عليه وسلم .

(وقيله^(١) يارب إن هؤلاء قوم لا يؤمنون) : هذا الضمير عائد عليه
صلى الله عليه وسلم . وقرئ [٢٩٤ ب] بالخفض والصب في السبع : وأما
الخفض فهو معطوف على لفظ « الساعة »^(٢) . وبمحمل أن يكون معطوفا على قوله .
« بالحق »^(٣) . وأما الصب فهو معطوف على : « ميرهم »^(٤) ونحوهم .
وقيل هو معطوف على موضع الساعة ، لأنها مفعول أصيف إلى المصدر وقيل
معطوف على مفعول : « يكتبون »^(٥) وهو محذوف تقديره يكتبون أقوالهم ،

(١) الزخرف : ٨٨ (٢) الزخرف : ٨٥ (٣) الزخرف : ٨٦

(٤) الزخرف : ٨٠

وقباه . وقرئ في غير السبع بالرفع على أنه مبتدأ وخبره ما بعده . وضمف الزمخشري^(١) ذلك كله ، وقال : إنه من باب القسم ؛ قال نصب والخفض على ضمائر حرف القسم ، كقولك : الله لأضربن زيداً ، أو الرفع كقولهم : آمين الله ، وامرؤك ، وجواب القسم قوله : « إن^(٢) هؤلاء قوم لا يؤمنون » ، كأنه قال : أقسم بقبيله يارب إن هؤلاء قوم لا يؤمنون .

(وفي^(٣) السماء رزقكم وما توعدون) أى من الوعد أو الوعيد ، أو الجنة أو النار . أو الخير أو الشر . قال ابن عباس : لا أعلم في السماء رزقاً غير المطر ، وهو كذلك ، لأن المطر أصل الرزق ، وإزاء الذى فى الأرض منه ، فلو انقطع المطر انقطع الرزق .

(وفى أموالهم) : معطوف على قوله : « فى جنات^(٤) » ، أو على^(٥) « آرزهم رزهم » ، أو تكون الواو للحال .

(وأن^(٦) سقيهم سوف يبرى) — بالبناء للمفعول ، فعلى هذا يراه الخلاق يوم القيامة ، أو يراه صاحبه الذى فعله ؛ وهو الأصح ، لأن الله يضع ستره عليه حين قراءته ، لقوله بعد ذلك : « ثم^(٧) يجزأه الجزاء الأولى » .

(رزدة^(٨) كالدّهان) ذكر الجوابين أنها^(٩) غير عربية . ومعناه أحر كالوردة ، وقيل هو من الفرس الورد .

(وإمن^(١٠) خاف مقام ربه جنات) ؛ أى القيام بين يديه للحساب .

(١) الكشاف : ٢ - ٣٠٨ (٢) الزخرف : ٨٨ (٣) الداريات : ٢٢

(٤) الداريات : ١٥ (٥) الداريات : ١٦ (٦) النجم : ٤٠

(٧) النجم : ٤١ (٨) الرحمن : ٣٧

(٩) لم أفت عليه في العرب ، والذي فيه (٢٤٤) : الورد يقال لبس عربي و الأصل

(١٠) الرحمن : ٤٦

ومنه : « يَوْمَ^(١) يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ » . وقيل قيامُ الله بأعماله ،
ومنه : « أَقَمَّنْ^(٢) هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ » . وأفهم المقام ،
كقولك : خفتُ جانبَ فلان . واختلف هل الجنتان السكك خائف على أفراد ،
أو لصنف الخائفين ، وذلك مبني على قوله : لِمَنْ خَافَ ؛ هل يُراد به واحدٌ
أو جماعة ؟ وقال الزمخشري : إنما قال جنتان لأنه خطاب الثقلين ، فكأنه
قال جنة للناس وجنة للجن ، والأظهر هنا قول الصوفية : إنها جنة معجلة
وهي التلذذ بمناجاتهم مع مولاهم ، وهي ألذُّ عندهم من كل نعيم ، وجنة مؤجلة
وهي المعلومة .

فإن قلت : ما معنى الحديث : إذا مات المؤمن أُعطي نصف الجنة ؟ وهل
هو موافق للآية ؟

والجواب مضاء نصف جنته المأخرة له ، فيفتح له في قبره من ربحها
ونعيمها ، والتلذذ رؤيتها . وقد وافق الآية ، ولا مضادة بينهما ، وقد وصف الله
الجنَّان في الواقعة ، والرحمن ، وهل أُنك حديث الفاشية ، وهل أنى على الإنسان ،
وبين ذلك سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم أوضح بيان . قال ابن عباس :
ترجمان القرآن الجنات سبع : دار الجلال ، ودار السلام ، وجنة عدن ،
وجنة المأوى ، وجنة الخلد ، وجنة الفردوس ، وجنة النعيم .

وفي بعض الروايات ثمان . وذكر دار القرار .

وقيل الجنان أربع ، لأنه ذكر أولاً جنتان ، ثم قال بعد : « ومن^(٣) »

دُونَهُمَا جَنَّاتٍ . ولم يذكر جنة خامسة .

فإن قلت : قد قال تعالى : « عِنْدَهَا (١) جَنَّةُ الْمَأْوَى » .

والجواب : أن جنة المأوى اسم لجميع الجنان ، يدلُّ عليه قوله تعالى :
« فَلَهُمْ (٢) جَنَّاتُ الْمَأْوَى نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ » .

والجنة اسم الجنس ، فمرة يقال جنة ، ومرة يقال جنات ، فكذلك جنات
عَدْنٍ ، وجنة عَدْنٍ .

(وقعت الواقعة (٣)) : اسم من أسماء القيامة ، وقد قدمنا جهة أصابها ،
وهي الواقعة ، الصيحة ، وهي النفخة في الصور ، وقيل الواقعة صخرة بيت المقدس
تقع يوم القيامة ، وهذا بعيد .

(وما نحن (٤) بِمَسْبُورِينَ . على أن يُبدَّلَ أمثالكم) : المسبوق على الشيء
هو المخبوب عليه بحيث لا يقدر عليه . وبَدَّلَ أمثالكم معناه نهلككم واستبدل
قوماً غيركم . وقيل نمسخكم قردة وخنازير .

(وَنُفِثْشَكُمْ (٥)) : معناه نبهكم بدهلاككم . « في مَالَا (٦) »
تفلمون ، أي في خِلقة لا تملوها على وجه لا تصل عقولكم إلى فهمه .
ومعنى الآية إن الله قادر على بعثهم بعد هلاكهم ؛ ففيها تهديد واحتجاج
على البعث .

(وكلاً (٧) وَعَدَ اللَّهُ الْعَسَى) : أي كل واحد من الطائفتين [١٢٩٥] :
الذين أنفقوا وقاتلوا قبل الفتح وبعده .

(١) النجم : ١٥ (٢) السجدة : ١٩ (٣) الواقعة : ١

(٤) الواقعة : ٦٠ ، ٦١ (٥) الواقعة : ٦١ (٦) الحديد : ١٠

(وَعَرَّضَكُمْ^(١) الْأَمَانِيَّ) : الإشارةُ إلى الكفار والمنافقين ، وذلك أنهم كانوا يتمنونَ وفدةَ النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، أو هزيمتهم ، إلى غير ذلك من الأمانى الكاذبة .

(وَلَا^(٢) يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ . . .) الآية : معطوفة على «^(٣) أَنْ تَخْشَعَ » . ويحتمل أن يكون نهيًا . والمرادُ بها تحذيرُ المؤمنين من أن يكونوا كالتقدمين من اليهود والنصارى في طول أملهم وقسوة قلوبهم . وقد وقفنا فيها حذرنا منه ، فلا يخفك ذلك ، وإن طول الأمل يُقَسِّي القلب ، ويُبعد عن الآخرة ، ويكثر الحرص ، ويقلُّ القناعة ، وهذه موجودةٌ فينا ظاهرًا وباطنًا . قال صلى الله عليه وسلم : «لَتَتَّبِعَنَّ سُنَنَ مَنْ قَبْلَكُمْ شَرًّا بِشَرِّ وَدِرَاعًا بِدِرَاعٍ ، حَتَّى لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَا تَبْتَعُمُوهُمْ» . وهل هذا كله إلا مِنْ خَلَطَتِهِمْ وَالتَّقَرُّبِ مِنْهُمْ ، لِأَنَّ الْمَرْءَ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ . وانظر حكاية الحمدي في زمان معارفة لما أن أنفت الریح مركبهم في جزيرة من جزائر . . .^(٤) نزلوا في الر ، فأبى ملكهم وعليه كداء ملبدورجلاء حائيتان^(٥) عارى الرأس ، فنزل معهم ، وقال : مالكم أيها العرب تعطون القمع والشعر تحت أقدامكم ، وتخلفون سيرفكم بالذهب والفضة ، وتقرَّبونَ نرى اليهود والنصارى في أواني الذهب والفضة ؟ فقال أحدهم : هذا كله من مخالطتهم . فقال : اذهبوا عني لئلا يصيبني ما أصابكم ، وزودهم وأمرهم بالانصراف . فقال له أحدهم : أنت ملك هذه الجزيرة ، وأنت على هذه الهيئة ؟ فقال : يحق لمن رفعه الله بالنعمة أن يزادَ أديها تواضعًا ، وإني قد ملكني الله أهل هذه الجزيرة فيحق لي ألا أنكبر عليهم ، ثم انصرف عنهم وتركهم .

(١) الحديد : ١٤ (٢) الحديد : ١٦ (٣) يونس في الأصلين .

(٤) في الأصلين : ورجليه حافيتين .

(وإذا^(١) جاءوك حييوك بما لم يُحييكم به الله) : ضمير الجمع يعود على اليهود والنصارى ، لأنهم كانوا يحيتونه بقولهم : السام عليك يا محمد . فيرد عليهم بجليكم .

(ويقولون^(٢) في أنفسهم لولا يُعَذِّبُنا الله بما نقول) : يعنى قولهم : لو كان نبيا لعذبنا الله بإذاته ، فقال الله : « حَسْبُكُمْ^(٣) » جهنم يصلونها ، فيش المصير .

(ولا^(٤) تطيع فيكم أحدا أبدا) ، أى لانسمع فيكم قول قائل ، ولا نطيع من يأمرنا بمخذلانكم ، ثم كذبهم الله فى هذه المواعيد التى وعدوا بها .

فإن قلت : كيف قال : « وَلَتَنِينَ^(٥) نصرؤهم أيولن الأدبار » - بعد قوله : « لا^(٦) ينصرونهم » ؟

والجواب : يعنى على القرض والتقدير : أى لو فرضنا أن ينصروهم لوآلوا الأدبار .

(وأخضوا^(٧) العدة) : أمر بذلك لما يَنْبِئُ عليها من الأحكام فى الرجعة والسكنى والميراث وغير ذلك .

(وأشهدوا^(٨) ذوى عدل منكم) : هذا خطاب للأزواج ، والإشهاد النامور به هو على الرجعة عند الجمهور وقد اختلف فيه : هل هو واجب أو مستحب على قولين فى المذهب . وقال ابن عباس : هو الشهادة على الطلاق وعلى الرجعة ، وذلك أظهر ، لأن الإشهاد يرفع الإشكال والنزاع ، ولا فرق فى هذا بين

(٣) اخبر : ١٢

(٢) المصير : ١١

(١) المجادلة : ٨

(٥) الطلاق : ٢

(٤) الطلاق : ١

الرجمة والطلاق . وفهم من الآية أنه لا يشهد إلا من المسلمين والرجال . وقيل من الأحرار ، فيؤخذ من ذلك رد شهادة العبيد .

(وأقيموا الشهادة ^(١)) : يعتدل أن يريد به القيام بها ، فإذا استشهد وجب عليه أن يشهد ، وهو فرض كفاية ، وإلى هذا المعنى أشار ابن القرس . وبمحمل أن يريد إقامتها بالحق دون مائل ولا غرض ، وبهذا فسر الزمخشري ، وهو أظهر ، لقوله : « ش » ، فهو كقوله : « كونوا ^(٢) » قوامين بالقسط شهداء لله .

واختلف في أخذ الأجرة عليها وعلى كتب الوثائق . والمشهور عدم الجواز ، أما من انتصب لها وترك التسبب المعتاد لأجلها فجاز له أخذ الأجرة عليها ، وإلا لم يحمد الإنسان من يشهد له بيسير ، وأخذها ممن يحسن كتب الوثيقة كتابا وعبارة على كتبه وشهادته لا يختلف فيه ويكون له أخذ الأجرة بما اتفقا عليه من قبل .

وروى أن بعض الشيوخ أهدى له صهره أبو زوجته الفقيه أبو علي بن القداح لبنا [٢٩٥ ب] فشر به ، ثم اجتمع به بعد ساعة من شره فتحدثا ، فأخبره صهره أن ذلك اللب أهداه له فلان بعض الشهود الذين يأخذون الأجر في شهادتهم ، فقام وقاء ذلك اللب ، هكذا كانت حالهم رضى الله عنهم ، وعن على الضد منهم ، فأين حالنا من حالهم ، فأخذ على كتب الوثائق ما لا يجوز ، وتدعى أنه أجرة على الكتب ، وهل هذا إلا من تحليل ما حرم الله ؛ ورضى الله عن الشيخ الأجل أبي القاسم حيث قال : لأن تغزو على بلاد المسلمين ، وتأخذ متاعهم ورقابهم وتبيعه خير من أخذ الأجرة على كتب الشهادة . وصدق

لأن الفارز يستند التحريم فتجد قلبه منكسرا ، والله عند المنكسرة قلوبهم ،
والكتاب يدعى أنه حقه ، فصاحب المكس أفضل منه لما ذكرناه ، فبأن أيها
الأخ تعال نذوب على أنفسنا فيما وقع منا لطائفنا علينا ففعلت القبول ، والله
المعين على ما تقول .

(وَيَدْعُونَ ^(١) إِلَى السُّجُودِ) : قد قدمنا تفسيره .

(وَاهِيَةٌ ^(٢)) : أى مسترخية ساقطة القوة ، ومنه قولهم : دار واهية ؛ أى
ضيفة الجدران .

(وَتَيْنِ ^(٣)) : عرق متعلق بالقلب إذا قطع مات صاحبه .

(وَيَلَا ^(٤)) : مفعول به ، وناصبُهُ « تَتَقُونَ ^(٥) » ؛ أى كيف تتقون يوم
القيامة وأمر الله إن كفرتم . وقيل هو مفعول به على أن يكون كفرتم بمعنى
جحدتم . وقيل هو ظرف ؛ أى كيف لكم بالتقوى يوم القيامة . ويحتمل أن
يكون العامل فيه محذوفاً تقديره : اذكروا . وقوله : « السماء ^(٦) » منقطر به ؛
أى اليوم الذى تنقطر السماء بشدة هوائه ، ويحتمل أن يعود على الله ؛ أى تنقطر
بأمره وقدرته . والأول أظهر . والسماء مؤنثة ، وجاء « منقطر » بالتذكير ،
لأن تأنيثها غير حقيق أو على الإضافة .

(وَزَرَ ^(٧)) : ملجأ ، بالنبطية .

(وَهَاجًا ^(٨)) : وفادا شديد الإضاءة . وقيل الحار الذى يضطرم من
شدة لهبه .

(١) القلم : ٤٢ (٢) الحاقة : ١٦ (٣) الحاقة : ٤٦

(٤) الزمل : ١٦ (٥) الزمل : ١٧ (٦) الزمل : ١٨

(٧) القيامة : ١١ (٨) النبا : ١٣

(واجفة^(١)) : شديدة الاضطراب . والوَجِيف والوَجِيب بمعنى واحد .
وارتفع « قلوب^(٢) » بالابتداء وواجفة خبره . وقال الزجاج شري : واجفة صفة
والخبر « أبصارها خاشعة » .

(وأذنت^(٣) لربها وحقت) : هذه الآية مخبرة أن السموات في انقيادها
له حين يريد انشقاقها فصل فصل المطوَّاع الذي إذا ورد عليه الأمر من جهة
الطاع أنصت له وأذعن ولم يمتنع ؛ كقوله : « أتيتنا^(٤) طائفين » ؛ فجميع
الخلوقات منقادة لخلائقها إلا نحن ؛ قال تعالى : أوحيت إلى البحر أن انفلق
فأوحى . فبات يضطرب من خوف تلك الميسرة ، وأتم خاطبتكم بكلامى
وأمرتكم بأوامرى فلم تمتثلوا ، فلو بسكم كالحجارة أو أشد قسوة .

فإن قلت : ما فائدة تكرير هذه الآية في هذه السورة ؟

فالجواب : إن كل واحد من الإخبارين مقبباته غير ما أخبر به الآخر ؛
فالأول إخبار عن السماء في طاعتها وانقيادها ، والآخر إخبار عن الأرض بمثل
ذلك ، وإن كل واحدة منهما سميت وانفادت فانفطرت السماء وتشققت ،
وانشردت نجومها ، وانفادت وأزيلت الجبال عن الأرض فامتدت وألقت
ما تحمله من الأموات ، وغير ذلك مما استودعته من المعادن والكفوز ، ونخلت
عنها سامعة مطيعة ، وإن كان الإخبار الأول عن السماء والآخر عن الأرض
فلا تكرار .

(والليل^(٥) وما وسق) : أقسم الله بالليل وما جمع فيه لأنه يضم الأشياء
ويسترها بظلامه . ومنه الوسق^(٦) .

(١) النازعات : ٨ (٢) الانشقاق : ٥ (٣) فصلت : ١١

(٤) الانشقاق : ١٧ (٥) الراسخ : حل البعير .

(والنمر^(١) إذا أنشَقَ) ؛ أى استلأ نوره ، مشتق من الوَسَق .

(وَيَجْعَلُهَا^(٢) الْأَشَقَى . الذى يَصَلَّى النارَ الكبرى) : الضمير هائد على النار : يعنى أن من تنفعه الذكري وتؤثر فيه لا تحرقه النار الكبرى ، وسماها بذلك بالنظر إلى نار الدنيا وقيل بالنظر إلى غيرها من نار جهنم ؛ فإنها تتفاضل بالنظر إلى من فيها ، وكلا القولين صحيح ، إلا أن الأول أظهر للحديث : فلازم هذه التي توفد جزء من سبعين جزءا من نار جهنم وزلت الآية في الولد ابن الخيرة ، أو عتبة بن ربيعة ، وضمير القول للذكرى .

(والتَّجَرَّ^(٣) . وليالٍ عشر) : أقسم الله بهذه الخلوقات ، وقد أكثر علماءنا رضى الله عنهم الأقوال فيها ؛ قيل : بن التجبر للصبح [١٩٦ ، ١] ، وقيل بانفجار الماء من أصابع نينا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم ، وقيل بانفجار الصخرة ، وإخراج النافقة لقوم صالح ، وقيل بانفجار دموع العاصين ، وقيل بانفجار الموتى من القبور ، وقيل بانفجار الملائكة من السماء في قوله^(٤) : « يَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ » . وقيل بانفجار المعرفة من قلوب المطيعين ، لقوله^(٥) : « أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ » ، وانفجار المعصية من قلوب العاصين ، لقوله تعالى : « يَجْعَلُ^(٦) صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ » . وكذلك الليالى العشر ؛ قيل : هى الليالى العشر من أول ذى الحجة ، وقيل أوائل المحرم ، وقيل أوائل رمضان ، وقيل العشر المذكورة في قوله تعالى : « وَأَتِمَّمْنَاهَا^(٧) بِبَشَرٍ » . وقيل بالبشر الآيات للذكورة في قوله تعالى : « فَأَتُوا^(٨) بِبَشَرٍ سَوْرٍ

(١) الانشقاق : ١٨ (٢) الأمل : ١١ ، ١٢ (٣) النمر : ١ ، ٢ (٤) الفرقان : ٢٥ (٥) الزمر : ٢٢ (٦) الأنعام : ١٢٥ (٧) الأعراف : ١٤٧ (٨) هود : ١٣

مثله مقتربات . . وهذا . . لعدم دخول اللبث فيها .

(نواصوا^(١) بالصبر ونواصوا بالرحمة) ؛ أى وصى بعضهم بعضاً بالصبر على قضاء الله ورحمة للساكنين ونيرهم من الخنوات . وفى هذه الآية إشارة إلى صبر المسلمين على إذابة الكفار ؛ وعلى هذا فهى مفسوخة بآية السيف . والظاهر أنها عامة بالتحذير من الأزعاج والصبر على من أذى من المسلمين ، ورحمتهم بالدعاء لهم بالمهداية والتوفيق .

(والشمس^(٢) وضحاها) : بالفتح والمد^(٣) ارتفاع النضوء وكلاهما إلى الزوال ، وقيل الضمى النهار كله ، والأول هو المعروف فى اللغة .

(والقمر^(٤) إذا تلاحا) ؛ أى تبعها ، والضمير للشمس ، واتباعها بكثرة ضوئها ، لأنه أضوأ الكواكب بعد الشمس ولا سيما ليلة البدر ، أو يتبعها فى طلوعه ؛ لأنه يطالع بعد غروبها ، وذلك فى النصف الأول من الشهر ، أو يتبعها فى أخذه من نورها ؛ لقوله تعالى^(٥) : « وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة » . وقد صح أن جبريل مسحها فأذهب بعض ضوئها ، وبهذا احتجبت الشمس بتفضيلها على القمر .

(والنهار^(٦) إذا جلاها) ؛ أى كشفها وأظهرها ، وضمير المفعول للشمس ، وضمير الفاعل للنهار ؛ لأن الشمس تنجلي بالنهار ، فكأنه هو جلاها . وقيل ضمير الفاعل لله . وقيل : الضمير المفعول للظلمة أو للأرض أو للدنيا ، وهذا كونه بعيداً ، لأنه لم يتقدم ما يعود الضمير إليه .

(١) البلد : ١٢ (٢) الشمس : ١ (٣) أى النضوء .

(٤) الشمس : ٢ (٥) الإسراء : ١٥ (٦) الشمس : ٣

فإن قلت : النصب في إذا مُفضل ، لأنك لا تخلو إما أن تجعل الواو عاطفة فتنصب بها فتخير في المطاف على عاملين ، وفي نحو مررت أمس بزيد واليوم عمرو ، وإما أن تجعلين للقسم ، فضع فيما اتفق التحليل وسبويه على امتكراهما ؟

والجواب فيه : إنَّ وار القسم مطرح معها إبراز الفعل إطراراً كلياً ، فكان لها شأن حيث أبرز معها الفعل ، وأضر ، فكانت الواو قائمة مقام الفعل ، والياء سادة مسدّتها جميعاً . والواو الواو نوابغ عن هذه الواو ، تخفيفته : أن تكون عوامل على الفعل والجار جميعاً ، كما تقول : ضرب زيد عمراً وبكر خالداً ، فترفع بالواو وتنصب لقبها مقام ضرب الذي هو عاملها .

(والتين^(١) والزيتون . وطور سين) : هذا من إضافة الموصوف إلى الصفة . وقال الزمخشري : يجوز أن يروى بـ «عرب» الجمع المذكور بالواو والياء ، وأن يلزم الياء ويحرك الذون بحركات الأعراب ، وهذه أقسام : أقسم الله بالتين والزيتون ويحمل الطور الذي كلم عليه موسى . والبلد الأمين ؛ من الأمانة أو الأمن ، لقوله^(٢) : « اجعل هذا بلداً آمناً » . وقد استجاب الله دعاءه فجعله آمناً من كل شيء ، لقوله تعالى^(٣) : « إنا إبراهيم وإسماعيل حين دعانا » . فجمعهم .

(واسجدوا وقربوا^(٤)) : أي تقربوا إلى الله بالسجود ، وهذه الآية موضع سجدة عندنا خلافاً لذلك .

(والعاديات^(٥) ضبجاً) : اختل في العاديات والموريات والمخويات ؛

(١) التين : ١ ، ٢ (٢) البقرة : ١٢٦ (٣) النكوت : ٦٧ (٤) الملق : ١٠ (٥) العاديات : ١

هل يرادُ بها الخيل ؟ وعلى هذا فهل هي خيل المُجاهدين أقسم اللهُ بها ، أو الخيل على الإطلاق . وعلى القول بأنها الإبل [٢٩٦ ب] اختلف هل هي إبل غزوة بدر ، أو إبل المُجاهدين مطلقاً ، أو إبل الحاج ، أو الإبل على الإطلاق . ومعنى العاديات التي تعلو في مشيها .

والضَّبْع : هو تصويت جَهْر عند العدْو الشديد ليس بصَهِيل ، وهو مصدر منصوب على تقدير : يَضْبَعْنَ ضَبْعًا ، أو هو مصدر في موضع الحال ، تقديره العاديات في حال ضَبْعها . والوُريّات من قولك : أوريّت النار ، إذا أوقدتها . وقد قدمنا أن القلح صكّ الحجارة فيخرج منها شطة نار ، وذلك عند خَرْب الأرض بأرجل الخيل أو الإبل . وإعراب قَدْحَا كإعراب ضَبْعَا . والتعيرات من قولك : أغارت الخيل إذا خرجت للآغارة على أعدائها .

و « ضُبْعًا »^(١) : ظرف زمان ، لأن عادة أهل الغارة في الأكثر أن يخرجوا في الصباح .

(وَسَطْنٌ)^(٢) به جمعاً : أي توسطن . واختلف هل المراد بالجمع جمعُ الناس ، أو المزدلفة ، لأن اسمها جمع . والضمير المجرور للوقت ، أو للمكان ، أو لعدو ، أو للفتح . وقد قدمنا معناه في حرف الدون .

(وإنه)^(٣) على ذلك شهيد) : معطوف على الإنسان ، يعني هو شهيد على نفسه بكنوده . وقيل : هو الله تعالى ، على معنى التهديد .

والأول أرجح ؛ لأن الضمير الذي بعده للإنسان باتفاق ، فيجوز الكلام على نسق واحد .

(وإيه^(١) لَحَبُّ الْخَيْرِ لَشَدِيد) : المعنى إنَّ الإنسانَ شديداً لِحَبِّ الدال ، فهو ذمٌّ لِحَبِّه والحضَّ عليه . وقيل الشديد البخل . والمعنى على هذا إنه لبخل لأجل حبِّ الدال . والأول أظهر .

(وَحُطِّلَ^(٢) مافي الصدور) ؛ أى جمع في الصحف وأظهر محصلاً ، أو ميز خَيْرُهُ من شَرِّهِ .

(وَأَمَّنَهُمْ^(٣) من خَوْفٍ) ؛ أى من خوف أصحاب القيل ، أو آمَنَهُمْ في بلدٍ ، أو في أسفارهم ؛ لأنهم كانوا في رحلتهم آمنين لا يتعرض لهم أحد بسوء لبركة البيت ، ويطلب منهم الدعاء لجواررتهم له ، وكان غيرهم تؤخذ أموالهم وأقاربهم .

وقيل آمَنَهُمْ من الجُذَامِ وانطاعون والدجال . قال الزمخشري^(٤) : التفكير في جوع وخوفٍ لشدتهما ، ولا ترى مجزوماً بمكة .

(وُسَمَّيْهَا^(٥)) ، بضم الواو : طاقتها ، وهذا إخبار من الله أنه لا يكلفُ النفسَ إلا طاقتها ؛ ورفع تكليف ما لا يطاق جائز عقلاً عند الأشعرية محال عقلاً عند المعتزلة ، وانفقوا على أنه لم يقع في الشريعة .

« والموسع^(٦) » : النقي ؛ أى واسع الحال ، وهو ضد المقتِر ، « وإنا^(٧) لمؤسِمون » : قيل أغنياء ، وقيل قادرون .

(وَلَا يَ) يُوَارِي ؛ أى ستر . ومنه : «^(٨) يُوَارِي سَوْدَةَ أَخِيهِ » .

(١) العاديات : ٨ (٢) العاديات : ١٠ (٣) قرين : ٤

(٤) الكشف : ٢ - ٥٦٢ (٥) البقرة : ٢٣٣ ، ٢٨٦

(٦) سورة البقرة (٢٣٩) : على الموسع لغيره . (٧) الذاريات : ٤٧

(٨) المائدة : ٣٩

و « ما »^(١) وُرىَ عنهما من سوء آيتهما « وتوارى ، أى استتر واستخفى .

(وعى) العلم بمنى حفظة ومنه : « وتعيها »^(٢) أذن واعية . قال من
الله عليه وسلم لما نزلت : اللهم اجعلها أذن على ، فاستجاب الله له ، وجعله
الباب لمدينة العلم ، كما قال صلى الله عليه وسلم : « أنا مدينة العلم وعلى بابها »^(٣)
هذا ما خص به من الفضائل ، وقد شهد الله فى كتابه بإبراهيم فى قوله :
« وإبراهيم »^(٤) الذى وفى ، وقال فيه : « يوفون »^(٥) بالندى . وبالحوف
بالملاسة : « يخافون »^(٦) ربهم من فوقهم .

وقل فيه : « ويخافون »^(٧) يوماً كان شره مستطيراً . وبالصبر بأيوب :
« إنا »^(٨) وجدنا صابراً . وقل : « وجزام »^(٩) بما صبروا جنة وحريراً .
وذكر الله أنه يطعم ولا يطعم ، وقال فيه : « ويطعمون »^(١٠) الطعام على حبه .
ولما نزلت : « يا أيها الذين آمنوا إذا ما جئتم الرسول فقدموا بين يدي
نحوكم صدقة » قال على : كانت لى عشرة دراهم فتصدقت بها ، وسألت النسي
صلى الله عليه وسلم عن عشر كلمات ، ولم يعمل بهذه الآية غيرى ، ووفق الله
بالأمة . قلت : يا رسول الله ، كيف أدعوا ؟ قال : بالصدق والوفاء . قلت : ما
أسأل الله ؟ قال : العافية فى الدارين . قلت : ما أصنع لنجاتى ؟ قال : كل حلالاً
وقل صدقاً . قلت : فما الحيلة ؟ قال : ترك الحيلة . قلت : فما أمر الله ورسوله ؟
قال : الحق . قلت : فما الحق ؟ قال : الإسلام والنراة وولاية من انتهى
إليك . قلت : فأين الراحة ؟ قال : فى الجنة . قلت : فما السرور ؟ قال :

(١) الأعراف : ٢٠ (٢) الحاقة : ١٢ (٣) النجم : ٣٧
(٤) الإنسان : ٧ (٥) النحل : ٥٠ (٦) الإنسان : ٧ (٧) ص : ٤٤
(٨) الإنسان : ١٢ (٩) الإنسان : ٨ (١٠) المجادلة : ١٢

الرؤية : قلت : فما العبودية ؟ قال : إظهار الوفاء . قلت : فما الوفاء ؟ قال : شهادة أن لا إله إلا الله .

وأما [١٢٩٧] أوعى بالألف يُوعى فجئعُ المال في وعاءٍ ، ومنه : « وجمع »^(١) فأوعى .

(وجَدِ كُمْ)^(٢) ، بضم الواو وفتحها : سمعكم ، والضم أكثر وأشهر ، وبكسر الواو لكنه قليل ، ومعناه أسكنوا المرأة ، سكتا تقدرن عليه . وإعرابه عطف بيان ، لقوله : « حيث »^(٣) سكنتم ، وقمت بالواو والألف بمعنى جمعت لوقت ، وهو يوم القيامة .

(وَجْهٌ) : قد قدمنا تقسيم الوجه على أدج ، ووجه أنه طاب رضاه ، وقد منّا أنه من التشابه ، ويراد به الجملة ، ومنه : وجهه^(٤) ثرضاها ، ولم تحذف الواو لأنه ظرف مكان وقيل إنه مصدر تثبت فيه الواو على غير قياس .

(وَرَدًا)^(٥) : مصدر : عطشا ، لأن من يرد الماء لا يرد إلا لبطش .

(وَزَرَ) ، بكسر الواو وإسكان الزاي له معنيان : الذنب ، ومنه : « لا تَزِرُ »^(٦) واردة وزر أخرى . والحل الأصل ، ومنه : « أَوْزَارًا »^(٧) من زينة القوم ، أي أحمالا .

(وَإِذْ أَنْتُمْ مُنْقَلِدُونَ)^(٨) : الرلدان صغار الخدم . وقد قدمنا أن « الخلدون » الذين لا يموتون أو المقلدون بالخلدات ، وهي ضرب من الأقرط . وقد

(١) المعارج : ١٨ (٢) الصلوات : ٦٠

(٣) في سورة القمرة (١٤٤) : قلعة ثرضاها . (٤) مريم : ٨٦

(٥) الأسماء : ٦٤ ، وغيرها . (٦) ط : ٨٢ (٧) الواقعة : ١٧

رد في الحديث : إن الوالدان يطوفون على أهل الجنة بكأس من معين ، وهو الإماء الواسع القم الذي ليس له مقبض سواء كان فيه خرام لا .

(الواو) : جارة وناصبة وغير عاملة :

فالجارة واو القسم ، نحو : « والله^(١) ربنا ما كنا مشركين » .

والناصبة واو «مع» فنصب المفعول معه في رأى قوم ، نحو : « فاجتمعوا^(٢) أمركم وشركاءكم » . ولا ثاني له في القرآن . والمضارع في جواب النفي أو الطلب عند الكوفيين ، نحو : « ولما^(٣) يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين » . « باليتنا^(٤) زد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين » .

وواو الصرف عندهم ، وممنها أن الفعل كان يقتضى إعرابا نصرفه عنه إلى النصب ، نحو : « أتجعل^(٥) فيها من يفتد فيها وبسفك الدماء » . في قراءة غير النصب .

وغير العاملة أنواع : واو العطف ، وهي لطاوى الجمع ، فتعطف الشيء على صاحبه ، نحو : « فأتبعيناه^(٦) وأصحاب السفينة » ، وعلى ما قبله ، نحو : « أرسلنا^(٧) نوحا وإبراهيم » . ولاحقه ، نحو : « يوحى إليك وإلى الذين من قبلك » .

وتفارق سائر حروف العطف في اقترانها بإما ، نحو^(٨) : « إنا ما كرا وإما كفورا » . وبلا بد نفي ، نحو^(٩) : « وما أمروا السك ولا أولادكم بالحق تقرب بكم عندنا زانق » .

(١) الأنعام : ٢٣	(٢) يونس : ٧١	(٣) آل عمران : ١٤٢
(٤) الأنعام : ٢٧	(٥) البقرة : ٣٠	(٦) المشكوت : ١٥
(٧) الحديد : ٢٦	(٨) النور : ٣٤	(٩) الانسان : ٣
(١٠) صبا : ٣٧		

و «لكن»، نحو^(١) : «وَأَسْكِنُ رَسُولَ اللَّهِ وخاتم النبيين». وتعطف المقد على
النَّيْفِ . والخاص على العام ، وعكسه ؛ نحو : وملائكته^(٢) ورُسُلُه وجبريل .
«رب»^(٣) اغفر لي ولو أَلَدَيْ وَلَمْ يَدْخُلْ بَيْتِي مؤمنا ولمؤمنين والمؤمنات .
والشيء على مرادفه ؛ نحو : «صلوات»^(٤) مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةً . «إني»^(٥)
أَشْكُو بَنِي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ . والمجرور على الجوار ؛ نحو^(٦) : «يرؤوسكم
وأرجلكم» .

وقيل : وترد بمعنى أو ، وحمل عليه مالك^(٧) : «إنما الصدقاتُ للفقراء
والمساكين . . . الآية . وللتعليل ، وحمل عليه الخوارزمي^(٨) الواو الداخلة على
الأفعال المنصوبة .

ثانيها : واو الاستئناف ؛ نحو : «نَمْ^(٩) قَطِيَّ أَجَلًا وَأَجَلٌ مَسْمًى عنده» .
«وَقَرِّ^(١٠) فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجْرٍ مُسَمًى» . «وَاتَّقُوا^(١١) اللَّهَ وَيَعْلَمُكُمْ
اللَّهُ مَنْ^(١٢) يَضِلِلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ» - بالرفع ؛ إذ لو كانت
عاطفة لنصب وقَرِّ . ولجزم ما بعده ونصب «أجل» .

ثالثها : واو الحال الداخلة على الجملة الاسمية ، نحو : «ونحن^(١٣) نَسْبَحُ
بِحَمْدِكَ» . «يَفْشَى^(١٤) طَائِفَةٌ مِنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ» .
«لَنْ^(١٥) أَكَلَهُ الذَّنْبُ وَمَنْ عَصَبَةٌ» .

-
- | | | |
|------------------|------------------------------------|--------------------|
| (١) الأحزاب : ٤٠ | (٢) البقرة : ٩٨ | (٣) نوح : ٢٨ |
| (٤) البقرة : ١٥٧ | (٥) يوسف : ٨٦ | (٦) المائدة : ٦ |
| (٧) التوبة : ٦٠ | (٨) في الآيات (٢٥٧) : الخارزمي . | (٩) الأنعام : ٢ |
| (١٠) الجمع : ٥ | (١١) البقرة : ٢٨٢ | (١٢) الأعراف : ١٨٦ |
| (١٣) البقرة : ٣٠ | (١٤) آل عمران : ١٥٤ | (١٥) يوسف : ١٤ |

وزعم الزمخشري أنها تدخل على الجملة الواقعة صفة ، لتأكيد ثبوت الصفة
الموصوف ، ولصوقها به ، كما تدخل على الحالية ، وجعل من ذلك : « ويقولون ^(١) »
سبعة وثامنهم كلبهم » .

رابعها : واو الثمانية ، ذكرها جماعة كالحريري وابن خالويه والنعلبي ، وزعموا
أن العرب إذا عدوا يدخلون الواو بعد السبعة أيذانا بأنها عدد تام ، وأن
ما بعده مستأنف ، وجعلوا من ذلك قوله : « سيقولون ^(١) ثلاثة رايعهم كلبهم ،
ويقولون خمسة سادسهم كلبهم ، رَجَمَا بالغيب ، ويقولون [٢٩٧ ب] سبعة
وثامنهم كلبهم » . وقوله : « الثائِبُونَ العائِدُونَ ^(٢) ... » إلى قوله « والناحُونَ
عن المنكر » ؛ لأنه الوصف الثامن . وقوله ^(٣) : « مسند ... » إلى قوله :
« وأبكاراً » . والصواب عدم ثبوتها ، وأما في الجميع لا محذور

خامسها : الزائدة ، وخرج عايه واحدة في قوله ^(٤) : « وَتَمَّ الْيَحْيَى » .
ونادى بناءً » .

سادسها : واو ضمير المذكور في اسم أو فعل ؛ نحو : « المؤمنون » .
« وإذا ^(٥) سَمِعُوا الْأَنْفُ أَعْرَضُوا عَنْهُ » . « قل ^(٦) لِمَا دَى الدِّينَ آمَنُوا
يَقِيمُوا الصَّلَاةَ » .

سابعها : واو علامة الذكرين في لغة ملئ ، وخرج عييه : « وَأَمَرُوا ^(٧) »
الْمُجْرِمِينَ الَّذِينَ ظَلَمُوا » . « ثُمَّ ^(٨) عَمُوا وَصَمُوا أَكْثَرَهُمْ » .

ثامنها : الواو المبذلة من همزة الاستفهام المصنوع ما قبلها ، كقراءة

(١) الكهف : ٢٢	(٢) التوبة : ١١٢	(٣) التاجيم : ٥
(٤) الصافات : ١٠٣ ، ١٠٤	(٥) القصص : ٥٥	(٦) إبراهيم : ٣١
(٧) الأنبياء : ٣	(٨) المائدة : ٢١	

قَبِيلٌ : « وَ : ثُشُورٌ وَأَمِنْتُمْ » . « قَالَ »^(٢) فرعون وآمنتم به .

(وَيَكُنَّ) : قل الكافى : كلمة تدم وتعجب ، وأصله وَيُكْ ، قال الكاف خير مجرور . وقال الأخفش : وَيْ اسم فعل معنى أعجب ، والكاف حرف خطاب ، وأنْ على إضمار اللام : والمعنى أعجب لأن الله . وقال الخليل : وَيْ وحدها ، وكان كلمة مستغلة لتحقيق لا التشبيه . وقال ابن الأنبارى : يحتمل وَيَكُنَّ ثلاثة أوجه : أن تكون ويك حرفا ، وأنه حرف . والمعنى ألم تر . وأن تكون كذلك ، والمعنى ويك . وأن تكون وي حرفا لتعجب ، وكأنه حرف ، ووَصِلًا خطأ لكثرة الاستعمال ، كما وصل يَنْزُومٌ .

(وَيْلٌ) : قل الأصمى : ويل تقييح . قل تعالى :

« وَلَكُمْ^(٣) الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ » . وقد توضع . وضع التحسر والتعجب ، نحو « يَا وَيْلَتَنَا^(٤) » . « يَا وَيْلَتَى^(٥) أَعْجَزْتُ » . أخرج المبرور فى فوائده من طريق إسماعيل بن عياش ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة ، قالت : قل لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : « وَيْلَكَ » ، فجزعت منها ، فقال لى : يا حَيْرَاءُ ، إنَّ « وَيْلَكَ » أو « وَيْلَكَ » ، رجة ، فلا تجزعى منها ، ولكن اجزعى من « الويل » .

(٢) الأعراف : ١٢٣

(٤) الكهف : ٤٩

(١) الملك : ١٥٠

(٣) الأنبياء : ١٨

(٥) المائدة : ٣١

حرف اللام الف

(لا غنى لكم ^(١)) : اضيق عايكم بالنع من مخالطتهم . ابن عباس : لا ملككم بما سبق من اكلتكم لأموال اليتامى .

(لا تنكحوا ^(٢)) : أى لا تزوجوا . والنكاح : مشترك بين العقد والوطء .
لأمة ، أى أمة فى ، حرة كانت أو مملوكة . وقبل أمة مملوكة مؤمنة خير من حرة مشركة .

(لا أرضعوا ^(٣) : لآلسكم) : أى أمرعوا المير . والإرضاع : سرعة السهر . والمعنى أنهم يسرعون بالفساد والنيمة بينكم .

(لا حقتسكن ^(٤)) : معناه لا مبلنهم ولا قودتهم . وقيل : لأستأصلهم .
يقال احتكتك الجراد ، إذا أكله كله .

(لا هية ^(٥) قلوبهم) : الضير للكفار ، يعنى أن قلوبهم غافلة مشغولة عن الحق وتذكروا ، لأن القلب إذا اشتغل بشئ لم يكن لشيء آخر فيه عمل ؛ لقوله تعالى ^(٦) : « ما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه » .

(لا يستغفرون ^(٧) بالقول) : الضير للملائكة ؛ يعنى أنهم لا يتكلمون بشئ حتى يكلمهم الله تأذبا معه ، وخوفا من سطوته ، ولا يشفعون لأحد من عباد الله حتى يستأذنوا ؛ فإن أذن لهم شفّعوا وإلا سكتوا .

(١) البقرة : ٢٢٠ (٢) النساء : ٢٢ (٣) التوبة : ٤٧

(٤) الإسراء : ٦٢ (٥) الأنبياء : ٣ (٦) الأحزاب : ٤

(٧) الأنبياء : ٢٧١

(لَا زِبِرَ^(١)) ولازم : بمعنى واحد ، وهو المتزوج المتعاشق الذي يلزم
بعضه بعضاً ، وأمر الله بهذه الآية سؤال المشركين عن خَلْقِ اللَّهِ الملائكة
والسموات والأرض والشارق والمكواكب : « أَمْ^(٢) أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مِنْ
خَلْقِهِ^(٣) » ، ومن لازم جوابهم أَشَدُّ خَلْقًا منهم تقوم عليهم به الحجة في
إنكارهم الهمث في الآخرة ، كما به سبحانه يقول : هذه المخلوقات أَشَدُّ خَلْقًا
منكم ، فكما قدرنا على خلقكم كذلك نقدرُ على إعادتكم بعد فناءكم ؛
لأنكم أضعف خلقه ، وكيف لا وأنتم من طين لازِبٍ !

(لَا^(٢) أَمْ قَسَمَ الْغَافِرُونَ) : من هنا سببية ؛ كقوله : فعله عن أمرك .
والنزف : المكر ، يعني أن شارب خمر الآخرة لا يسكر منها ، لأنها خلوة
طيبة ، بخلاف خمر الدنيا .

والعجب بمن يكون في حاله وبذميه يشربها ، وأقل ما فيه من الوعيد
الحديث : مَنْ شَرِبَ الْخَمْرَ فِي الدُّنْيَا لَمْ يَشْرَبْهَا فِي الْآخِرَةِ .

فإن قلت : هل هذا الوعيد ينسأولُ مَنْ تابَ مِنْ شُرْبِهَا
أم لا ؟

والجواب : أن هذا فيمن لم يَنْبُ ، وأما التائب فيهدل الله سبحانه
حسنات ، كما قدمنا في غير ما موضح .

(لَا تَسْمَعُ^(٣) فِيهَا لَآخِئَةً) : هو من لَفُو الكلام ، ومعناه القعش
وما يكره ، فيحصل أن يريد كلمة لآخية ، أو جماعة لآخية .

(لإيلاف^(١) قريش) لإيلاف^(٢) : آتت إيلافا . وقيل هذه اللام . وصولة
 بما قبلها . المعنى : « فجمعهم »^(٣) كمصنف ما كوله « لإيلاف قريش » ، وكانت
 لم رحلتان في كل عام [١٢٩٨] : رحلة في الشتاء إلى اليمن ، ورحلة في الصيف
 إلى الشام . وقيل : كانت الرحلتان جميعا إلى الشام . وقيل : كانوا يرحلون
 في الصيف إلى الطائف حيث الماء والظل فيقيمون بها ، و يرحلون في الشتاء
 إلى مكة لـسكنائهم بها . واختلف في تعلق قوله « لإيلاف قريش » على أقوال :
 قيل إنه متعلق بقوله^(٤) : « فليعبدوا » ؛ والمعنى « ليعبدوا الله من أجل إيلافهم
 لرحلتين » ، فإن ذلك نعمة من الله عليهم . وقيل : إنه متعلق بحذوف تقديره :
 اعجبوا لإيلاف قريش . وقيل : إنه يتعلق بسورة الفيل . والمعنى إن الله أهلك
 أصحاب الفيل لإيلاف قريش ؛ فهو يتعلق بقوله : « فجمعهم »^(٥) كما قدمنا .
 ويؤيد هذا أن السورتين في مصحف أبي بن كعب سورة واحدة لا فصل
 بينهما ، وقد قرأهما في ركعة واحدة من المغرب ، وذكر الله الإيلاف أولا مطلقا ،
 ثم أبدل منه الإيلاف المقيد بالرحلتين تعظيما للأمر ؛ ونصب « رحلة » لأنه
 مفعول بإيلافهم ، وقال : « رحلة » وأراد رحلتين ، فهو كقول الشاعر : كانوا
 في بعض بطونكم تغفوا .

وقد قدمنا من هذا الحرف أشياء عند حرف اللام ، والحرف الذي قبل
 هذا فلا فائدة في الإعادة .

حرف الباء

(يحيى) بن زكرياء عليهما السلام ، ولد قبل عيسى بستة أشهر ، ونُبي صغيراً ، وهو أتم أعجمي ، وقيل عربي . قال الواحدي : وعلى القواين لا ينصرف . قال السكرماني : وعلى الثاني أنه سمي به لأنه أحياء الله بالإيمان ؛ وقيل لأنه حي به رحم أمه ، وقيل لأنه استشهد ، والشهداء أحياء ، وسببه أن ملك زمانه كان له زوجة ولها بنت من غيره ، فأرادت المرأة تزويجها منه غيره وخوفاً من تزويج غيرها ، فزيتها وعرضتها عليه ، وقالت له : أتريد أحسن منها ؟ فقال لها : لا أحب غيرها . فأتخذت وثية ، ودعت إليها يحيى . وعرضت عليه الأمر ، فقال : معاذ الله من ذلك ، فسقت زوجها الحر . وقالت : أما عفت أن يحيى يأتى من زواجك لهذه الشابة ، فدعا به وقتله بين يديها ، فبكت الملائكة في السموات ، وقالت : إلهي ، بأيّ دس قتلوا يحيى ؟ فقال تعالى : لم يذب ، ولم يُهم بذنوب ، ولكن أحبني فأحببته ، ولا بد في الحب من القتل ، وسأط الله على قاتله بخت نصر فقتله ، وأخرب ملكه ، وسبأ حرّيمه ، وملك رعيته .

فاسمع يا مدعي الحب ، أما علمت أن المحبة أولها فكرية وآخرها بلية ، وإذا كان الحب بين الخلق يذهب النفوس فكيف بمحبة الله ! ولذلك قال تعالى : « والذين آمنوا أشد حُباً لله » . ولذلك قال الجنيّد : كم تقتل من الأحباب ؟ وكم تريق من دم الأصحاب ؟ فسمع هاتفا يقول : أقتل النفس ،

وأعطي دِينَهَا . فقال : يارب ، ما دِينُهَا ؟ فقال : دِينُ مقتول الخَلْق الدنيا ودِينُ مقتول الحق رُؤْيَا الجَبَّار .

(يوسف) بن يعقوب بن إبراهيم خليل الرحمن ، أُلْقِيَ فِي الْجَبِّ وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثِي عَشْرَةِ سَنَةٍ ، وَلَقِيَ أَبَاهُ بَعْدَ الثَّمَانِينَ ، وَتَوَفَّى وَاهٍ مِائَةً وَعِشْرُونَ سَنَةً . وَفِي الصَّحِيحِ أَنَّهُ أُعْطِيَ شَطْرَ الْحَسَنِ ؛ قَالَ بَعْضُهُمْ : وَهُوَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ، لِقَوْلِ مُوسَى : « وَلَقَدْ ^(١) جَاءَكُمْ يَوْسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ » . وَقِيلَ : لَيْسَ هُوَ يَوْسُفُ ابْنُ إِفْرَائِيمَ بْنِ يَوْسُفَ بْنِ يَعْقُوبَ .

وَبَشَّهَ هَذَا مَا فِي الْعَجَائِبِ لِلْكَرْمَانِيِّ فِي قَوْلِهِ ^(٢) « وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ » . إِنَّ الْجُمْهُورَ عَلَى أَنَّهُ يَعْقُوبُ بْنُ مَائَانَ ، وَإِنَّ امْرَأَةَ زَكْرِيَاءَ كَانَتْ أُخْتًا مَرْيَمَ بِنْتَ هَمٍّ . قَالَ : وَالْقَوْلُ بِأَنَّهُ يَعْقُوبُ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ غَرِيبٌ وَمَا ذَكَرَهُ أَنَّهُ غَرِيبٌ هُوَ الْمَشْهُورُ ، وَالْغَرِيبُ الْأَوَّلُ ؛ وَنَظِيرُهُ فِي الْغَرَابَةِ قَوْلُ تَوْفِ الْبِكَالِيِّ إِنَّ مُوسَى الْمَذْكُورَ فِي سُورَةِ الْكَهْفِ فِي قِمَّةِ الْخَضِرِ لَيْسَ هُوَ مُوسَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بَلْ مُوسَى بْنُ مِثْثَا بْنِ يَوْسُفَ . وَقِيلَ ابْنُ إِفْرَائِيمَ بْنِ يَوْسُفَ ، وَقَدْ كَذَّبَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ فِي ذَلِكَ . وَأَشَدُّ مِنْ ذَلِكَ غَرَابَةُ مَا حَكَاهُ الْقَاسِي وَالْمَآوَرِدِيُّ أَنَّ يَوْسُفَ الْمَذْكُورَ فِي سُورَةِ عَافِرٍ مِنَ الْجَنِّ ، بَعَثَهُ اللَّهُ رَسُولًا إِلَيْهِمْ ، وَمَا حَكَاهُ ابْنُ هِشْكَمٍ إِنَّ هَمْرَانَ الْمَذْكُورَ فِي آلِ عَمْرَانَ هُوَ وَادُّ مُوسَى لَا وَالدَّ مَرْيَمَ . وَفِي يَوْسُفَ مِنَ الْمَعَاتِ ثَلَاثُ أَسْمَاءَ مَعَ الْيَاءِ وَالْهَمْزَةِ [وَيَبْرَكَه] ^(٣) ، [٢٩٨ب] وَالصَّوَابُ أَنَّهُ أَعْجَبِي لَا اشْتَقَاقِي لَهُ .

فَإِنْ قَالَتْ : أَيْنَ يَوْسُفُ مِنْ فِرْعَوْنَ فِي مَخَاطِبَةِ مُوسَى لَهُ ؟

(١) عَافِرٌ : ٣١ (٢) مَرْيَمُ : ٦

(٣) تَهْذِيبُ الْأَسْمَاءِ وَاللَّغَاتِ : ١ - ١٦٧

والجواب : ما قدمناه لك من أن ملك مصر يسمى فرعون ، وإنكارهم لبعث الرسالة لا يدلُّ على أهمِّ مؤمنون برسالة يوسف ، وإنما مُرادُهم أن يأتي أحد يدعي الرسالة بعد يوسف ؛ قال ابن عطية . وقال الزمخشري : إنما هو تكذيب لرسالة مَنْ بعده مضموم إلى تكذيب رسالته .

(يونس) بن مَتَّى ، بفتح الميم وتشديد التاء الفوقية مقصور . ووقع في تفسير عبد الرزاق أنه اسم أمه . قال ابن حجر : وهو مردود بما في حديث ابن عباس في الصحيح ، ونسبه إلى أبيه ؛ قال : فهذا أصحُّ . قال : ولم أَوَقِّفْ في شيء من الأخبار على اتصال نسبه ، وقد قيل : إنه كان في زمان ملوك الطوائف من الفرس ، فبعثه الله إلى أحدهم فأعرضوا عنه ، ووعدهم بالعذاب ، فخاف منهم وهرب فالتقه الموتُ كما قدمنا أنه مكث في جوفه أربعين يوماً . وقيل التَّقَمَهُ ضَمِي ونَقَطَهُ عَشِيَّة . وفي يونس ست لغات : تثليث النون مع الياء ^(١) والمهزلة ، والقراءة المشهورة بضم الياء مع النون قال أبو حيان : وقرأ طائفة ابن مصرف بكسر يونس وبورس ، أراد أن يحملها على عريبتين مشتقتين من أنيس وأيسف وهو شاذ .

(يسومونكم) ^(٢) سوء العذاب يذبحون أبناءكم . . .) الآية : قد قدمنا أن الخطاب لبني إسرائيل قبل هذا الحرف .

فإن قلت : أي فائدة لخطاب المعاصرين بهنا ؟ ونعيره في سورة الأعراف ^(٣) بالقتل ؟

والجواب : لأهم من ذريتهم وهي دينهم ومُتَّبِعُونَ لهم ، وهم راضون

(١) في اللغات : مع الواو . (٢) البقرة : ٤٩

(٣) الأعراف (١٤١) : يسومونكم سوء العذاب يذبحون أبناءكم . . .

بذلك ؛ فمدد عليهم بما منَّ على آبائهم وهم عالمون بذلك . وورد في آية البقرة مضتفا ؛ لأن المقصود فيها كما قدمنا تعديد وجوه الإساءة عليهم ، وبيان النِّية ، ومقابلتهم لهذه النعمة بالكفر من الأمر الشنيع ، ألا ترى أنه لما ذكر دعوة الناس هموما ، وذكر مبدأهم دعا بني إسرائيل خصوصا . وأيضا لما كان الذبح منبئاً عن القتل وصفته ، ولا يفهم من القتل غير إعدام الحياة يتناول من غير المقتول في الغالب عَرَّها بما يوفى المقصود من الإخبار بالقتل وصفته ، مع إحراز الإيجاز ؛ إذ لو ذكر القتل وأتبع بالصفة لما كان إيجازاً ، فدل إلى ما يحصل منه المقصود مع إيجاز ، فدل يذبحون . وعبر في سورة الأعراف بالقتل ؛ لأنه أوجز من آفظ يذبحون ، لأجل التضعيف ؛ إذ لفظ يذبحون أثقل لتضعيفه . وقد حصلت صفة الفعل في سورة البقرة .

(يَهَيِّطُ^(١)) مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ) : صفة للحجر ، وذلك أن الله تعالى جعل خَوْفَهُ في المتحرك والساكن ، فكلُّ حجر يُرْمَى من علو إلى سفلى فَمِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ، ومنهم من^(٢) يتفجّر منه الأنهار ؛ كما قال تعالى ، هذا مع أنهم غير مخاطبين ولا مكلفين ؛ وأنت يا محمدى مكلف مخاطب ، وقد فسأفأك ؛ فهل هذا إلا من مخالفة أمر ربك ؛ تلين الأحجار ، ولا تلين القلوب ؛ وأعظم من ذلك عدم الانكسار والخشوع لو تليت هذه الآيات على الجراد لما دأ ، كما قال تعالى : «لو^(٣) أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله» . فلا حيلة لنا يا رب إلا إلقاء قوسنا بين يديك ، والتفويض لما أردت بنا ، وإلا

(١) البقرة : ٧٤ (٢) في البقرة (٧٤) : وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار . . .
(٣) المعمر : ٢١

الصبر لنا على هذابك ، وكيف يصبر الجسم الضعيف على الذباب المقيم ، فصبرنا
إن قضيت علينا ، واجعلنا كالإسرائيل الذي عبدك سبعمئة سنة ، فأوحيت
إلى نبي ذلك الزمان : قل لعبدى فلان تعبد حاشدت ، فأنت من أهل
الدار . فلما بلغه وحيتك قل : مرحبا بحكم ربى اثم قال : إلهى ، عبدتك ،
وأنا لا أظن أى لا أزن عندك قليلا ولا كثيرا ، فإذا أنا أصليح لدارك ،
وعزتك ما زادنى هذا إلا حبا وتلما فبك : فأوحى الله إلى دانيال عليه السلام :
قل لعبدى المستحق لولائى بالصبر والرضا : رضيت عني بأصعب حكم وقضاء ،
وعزتى وجلالى لو ملأت ذنوبك الأرض والسماء لغفرتها لك ، ولا أبلى .
وأنت تعلم غربتى وذلتى وشدة محنتى بذنوب اقترفتها وعظائم ارتكبتها ، وأنت
تعلم أنه ليس لى من يتفقدنى عند الموقف بين يديك غير رحمتك الواسعة التى
أخبرتتنا بها [١٢٩٩] ، فقيض لى من يشمع عندك ، أقسم عليك بحجرتك
الكريم ، واسمك العظيم ، وعمدتنا على لسان نبيك أنه أعد شفاعته لكبار
أمتة ، وأذن له فيها ، ولا تخييبنا من فضلك العظيم وإحسانك العظيم ،
وأسألك أن تصل على نبيك الكريم ، وترضى عن أصحابه وذى
الفضل والتكريم .

(يَسْتَفْتِحُونَ^(١)) : يستفقدون على المشركين إذا قاتلوهم ؛ فالسُّنُّ على
هذا الطلب ، يعنى أنهم كانوا يقولون : اللهم انصرنا بالنبي البعوث فى آخر
الزمان ؛ ويقولون لأعدائهم من المشركين : قد أغل زمان نى يخرج نقاتكم
مه قتل عارء وإدم . وقيل يستفتحون أى يعرفون الناس بالنبي صلى الله

عليه وسلم ، قالين على هذا للمبالغة ، كالسين في استعجب واستعذر ، وعلى كل قول فبعضهم واجب وقتلهم جائز لجهدهم ما عرفوا في كتبهم ؛ ولذلك قال الله فيهم : « فَلَئِنَّ^(١) الله على الكافرين » .

(يَتَمَنَّوْهُ^(٢) أَبَدًا) : الضمير يعود على الموت ، وذلك أن الله أمرهم أن يتمنوا الموت إن كانوا صادقين في قولهم على وجه التصعيز والتبكيت ؛ لأن من علم أنه من أهل الجنة اشتاق إليها ، ولو تمنّوه لما تواروا من ساعتهم ؛ ولما علموا ذلك لم يتمنوه لدنوسهم ، لأنهم أرادوا الحياة الدنيوية .

فإن قلت : لم عبر في آية البقرة بـ « بلن » بخلاف الجملة^(٣) ؟

والجواب : أنه لما كان الشرط فيها^(٤) مستقبلا ، وهو قوله تعالى :

« وَإِنْ^(٥) كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً . . . » الآية — جاء جوابه بأن التي تخاف من الفعل للاستقبال . ولما كان الشرط في الجملة حالا ، وهو قوله^(٦) : « إِنْ زَعَمْتُمْ أَنكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ » جاء جوابه بلا التي تدخل على الحال ، وقد تدخل على المستقبل .

فإن قلت : ما النافية أخص بالحال فهي أنسب ؟

قلت : قد يفهم من « ما » نفي مجرد الحال دون ما يتصل به ، فقد يقول القائل : ما يقوم زيد — يريد ما يقوم اليوم ، ولا يريد أنه ما يقوم غدا ، وما صالحة لهذا المعنى ، وهم إنما أرادوا أنهم أولياء مسترون على ذلك ، وأن تلك صفتهم على

(١) البقرة : ٨٩ (٢) البقرة : ٩٥

(٣) الجملة (٧) : ولا يتمنونه أبدا بما قدمت أيديهم .

(٤) أى في البقرة : ٩٤ (٥) الجملة : ٩٥

الحال وما يليه إلى آخر حياتهم ؛ إذ ذلك هو المرجب أن تكون لهم الدار
الآخرة خالصة من دون الناس كما زعموا ، فلما كان زعمهم هذا ناسبه نفي
دعواهم وتكذيب زعمهم بحرف نص في نفي ذلك ، وأنه لا يقع منهم النفي
في حالهم ولا فيما بعده أبدا .

فإن قلت : إن قوله : « أبدا » قد أحرز هذا ؟

قلت : ناكيد ذلك أبلغ ، فنفي بلا وا كد بالتوكيد . فجاء على
أعلى البلاغة .

(يَتْلُونَ^(١) الْكِتَابَ) ؛ أي يقرءونه ، والضمير عائد على اليهود
والنصارى ، وهذا تقييد لقولهم وذمهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولما جاء
به ، مع تلاوتهم كتابهم .

(يَتْلُوهُمْ^(٢) اللَّاعِنُونَ) : قد قدمت أنهم جميع من تقع منه لعنة ، وإذا
تلاعن اثنان ، وكان أحدهما غير مستحق لللعنة رجعت اللعنة على المستحق لها ،
فإن لم يستحقها أحد منهما رجعت على اليهود .

(يَنْعِقُونَ^(٣)) ؛ أي يصيح بالغم فلا تدرى ما يقول لها إلا أنها تنزجر
بالصوت ، وشبه الله الكفار بالبهايم في قلة فهمهم وعدم استجابتهم لمن يدعوهم ،
أو يكون تشبيها للكفار في دعائهم وعبادتهم لأصنامهم بمن ينعق بما لا يسمع ؛
لأن الأصنام لا تسمع شيئا ؛ وفيه تفصيل قد سنا ذكره .

(يَطْهَرُونَ^(٤)) : من الدم ، ويطهرون بالماء ، وفرى حتى يطهرون

(١) البقرة : ١١٣ (٢) البقرة : ١٥٩

(٣) البقرة : ١٧١ (٤) البقرة : ٢٢٢

بالتشديد، وهو حجة لآلِكَ .

(يَتَسَنَّهُ^(١)) ومعناه يتغير، واللفظ بمحتمل أن يكون مشتقا من السنة، لأن لامها هاء فتكون الهاء في « تسنه » أصلية ؛ أى لم يتغيره السنون . ويحتمل أن يكون مشتقا من قولك : تسنن الشيء إذا فسده، ومنه ألحقا السنون ، ثم قلبت النون حرف علة ، كقولهم : قصيت أظفارى ، ثم حذف حرف العلة للجزم ؛ والهاء على هذا هاء السكت .

وقيل إن طعنه كان تينا وعينا ، وإن شرابه كان عصيرا ولينا ، فأراه الله أعجوبة في بقاءه هذه المدة الطويلة على حاله .

(يُؤْوَدُهُ^(٢)) : يتقله ؛ من قولهم : ما آذك فهو يؤد ؛ أى ما أثقله فهو لي مُثقل .

(يحق^(٣) الله الربا) ؛ أى يذهب في الدنيا بضياعه ، وفي الآخرة بالعقوبة . وقد قدمنا أن عقوبته في الآخرة بقيامه من القبر كالجنون يعرفه أهل المحشر بتلك العلامة ؛ وأى عقوبة أكبر من هذا . وحكى القاضى عياض في مداركه : أن ترك رُبْع دائق مما حرم الله أفضل من سبعين ألف حجة ، وأفضل من سبعين ألف غزوة ، وسبعين ألف بدنة مقلدة أهديت إلى بيت الله الحرام ؛ فقل : فبلغ ذلك عبد الجبار ، فقال : نعم ، وأفضل من ملء الأرض إلى عنان السماء ذهبا وفضة اكتسبت من حلال وأفقن في سبيل الله ، ترك رُبْع دائق مما حرم أفضل من ذلك كله .

(يَأْوُنَ^(١)) أَلَيْسَتْهُمْ بِالْكِتَابِ : الضمير عائد على أهل الكتاب ،
يعنى بحر قنون لفظه أو معناه .

(يَضُرُّكُمْ^(٢)) : من الضير ، بمعنى الضرر .

(يَكْبِتُهُمْ^(٣)) : يَنْظِلُّهُمْ وَيُخْزِيهِمْ . وقيل بصرعهم لوجوههم .

(يَمِينُ) : له أربعة معان : اليد اليمنى ، والجهة اليمنى ، وبمعنى القوة ،
وبمعنى الحلف . وأيمن الإنسان جهة يمينه .

(يسير) : له معنيان : قليل ، ومنه كبل يسير . وهين ، ومنه : « وذلك^(٤)
على الله يسير » . واليسر ضد العسر .

(يَأْسُ^(٥)) : من الأمر يئس ، أى اتقطع رجاءه ، ومنه : « لَا تَيَاسُوا^(٦)
مِنْ دُوحِ الثَّأْرِ » ، وبه البوص وأما : « أَلَمْ^(٧) يَأْسِ الَّذِينَ آمَنُوا » فمعناه أفلم
يعلم ، وهى لغة هوازن ، وقرىء : أَلَمْ يَتَّقِينَ .

(يستبشرون^(٨)) : يفرحون : والضمير عائد على قوم لوط لما سمعوا بذكر
الأضياف أسرعوا إليه فرحين يفيضهم ومسكابة لوط عليه السلام ، وكرره^(٩)
فى آل عمران ، اذكر له من النعمة والفضل .

(يَمِيزُ^(١٠)) الخبيث من الطيب) : أى ما كان الله ليدع المؤمنين مختلطين
بالمناققين ، ولكنه ميمز هؤلاء من هؤلاء بما ظهر فى غزوة أحد من الأقوال
والأفعال التى تدل على الإيمان أو على النفاق ، « وما كان الله ليضلنكم » على

(١) آل عمران : ٧٨ (٢) آل عمران : ١٢٠

(٣) آل عمران : ١٢٧ (٤) الطائين : ٧ (٥) المائدة : ٣ (٦) يوسف : ٨٧

(٧) الرعد : ٣١ (٨) آل عمران : ١٧ ، ١٧١ (٩) آل عمران : ١٧٩

ما في القلوب من الإيمان أو النفاق ، أو يُظلمكم على ألا تغلبون
أو تغلبون .

(يَنْقُمُونَ^(١)) : يغمون ، وقد اسمى النقيمه نقيها . وفي الحديث : ما أصلى
المرء أفضل من حُسن سَمْتِه وفقيه في الدين . وانظر كيف عبر عنهم تارة
بالفهم ، وتارة بالمثل ، وتارة بالهداية ، ومن الكفار بضدّها ؛ وكلّها ألفاظ
بمعنى واحد .

(يَشْتَرُونَ^(٢) الضلالة) : عبارة عن إضارم السكت على الإيمان ، فالشراء
مجاز ، كقوله تعالى : « اشْتَرُوا^(٣) الضلالة بالعدى » . وفي تكرار قوله :
« وكفى^(٤) بالله وآبياً ، وكفى بالله نصيراً » - مبالغة .

(يَشْرُونَ^(٥)) : يبيعون ، ومنه : « وَمَنِ^(٦) النَّاسِ مَنْ يَشْرِي
نَفْسَهُ » .

(يَسْتَنْبِطُونَهُ^(٧) منهم) : أى من المسلمين . والمعنى لو ترك هؤلاء القوم
الكلام بذلك الأمر الذى بلغهم وردّوه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وأولى الأمر منهم ؛ فمنهم على هذا لا ابتداء الغاية ، وهو يتعلق بالفعل ؛ والضمير
المجروح يعود على الرسول وأولى الأمر . وقيل : إن الذين يستنبطونه هم أولو
الأمر ؛ كما جاء في الحديث عن عمر رضى الله عنه - أنه سمع أن رسول الله صلى
الله عليه وسلم طلق نساءه فدخل عليه ، فقال : أطلّقت نساءك ؟ قال : لا ؛ فقام

(١) النساء : ٨٢ وفيها (٢) النساء : ٤٤ (٣) البقرة : ١٦

(٤) النساء : ٤٥ (٥) النساء : ٧٤ (٦) البقرة : ٢٠٧

(٧) النساء : ٨٣

على باب المسجد ، فقال : **إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يُطْلَقْ نِسَاءً ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْقِصَّةَ ؛ قُلْ : وَأَنَا الَّذِي اسْتَنْبَطْتُهُ ، فَبَلَى هَذَا الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ هُوَ أَوَّلُ الْأَمْرِ .** **وَالْخَضِيرُ الْخَرُورُ عَائِدٌ عَلَيْهِمْ ، وَمِنْهُمْ لِبَيِّنَاتُ الْبُخْسِ ، وَاسْتَنْبَاطُهُمْ عَلَى هَذَا هُوَ سُؤَالُهُمْ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوْ بِالْغُفْرِ وَالْبَحْثِ ، وَاسْتَنْبَاطُهُ عَلَى التَّأْوِيلِ الْأَوَّلِ هُوَ سُؤَالُ الَّذِينَ أَذَاعُوهُ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَوَّلُ الْأَمْرِ .**

(**يَا آيْمُونُ^(١)**) ؛ أَيِ بَعْضِهِمْ **آيْمٌ مِنْ قِتَالِكُمْ ، وَمَعْنَاهَا التَّحْرِيزُ عَلَى قِتَالِهِمْ ، لِأَنَّهُمْ يَتَأَلَمُونَ مِنْ مَلَأَقَاتِكُمْ ، وَمَعَ ذَلِكَ فَإِنَّكُمْ تَرْتَجُونَ إِذَا قَاتَلْتُمُوهُمْ أَنْ تَنْصَرَفَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ؛ وَهَذَا كَقَوْلِهِ تَعَالَى : **وَقُلْ^(٢)** عَلَى تَرَبُّعُونَ بِمَا لَا يَصُدُّهُنَّ مِنْ عَمَلٍ بَرٍّ أَوْ فَاجِرٍ أَنْ يُصِيبَكُمْ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا .**

(**يَتَّبِعُونَ^(٣)** فِي الْأَرْضِ) ؛ [١٠٠ - ١٠١] أَيِ فِي أَرْضِ الْقُبَى ، وَقَدْ قَدِمْنَا أَنَّهَا بَيْنَ مَعْرٍ وَالشَّامِ ، وَكَانُوا يَسِيرُونَ النَّهَارَ وَاللَّيْلَ ، وَيَجِدُونَ أَنْفُسَهُمْ فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي ارْتَحَلُوا مِنْهُ مَسَاءً وَصَبَاحًا عَقُوبَةً لَهُمْ عَلَى مَا صَدَرَ مِنْهُمْ .

(**يَسْتَفْتُونَكَ^(٤)**) ؛ أَيِ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْحُكْمِ الشَّرْعِيِّ عَلَى وَجْهِ النَّظَرِ . وَالْمُسْتَفْتَى هُوَ الْمُسْتَخِيرُ عَنِ الْحُكْمِ الشَّرْعِيِّ عَلَى غَيْرِ وَجْهِ النَّظَرِ ، فَكُلُّ مُسْتَفْتٍ مُسْتَخِيرٌ ، وَلَيْسَ كُلُّ مُسْتَخِيرٍ مُسْتَفْتًى ؛ لِأَنَّ السَّائِلَ عَلَى وَجْهِ النَّظَرِ مُسْتَخِيرٌ ، وَلَيْسَ بِمُسْتَفْتٍ فِي عُرْفِ الْفُقَهَاءِ .

(**يَعْصِيكَ^(٥)** مِنَ النَّاسِ) ؛ أَيِ يَحْفَظُكَ ؛ وَفِي هَذَا وَعْدٌ وَخِمْنٌ لِعَصِيَّةٍ

رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ لأنه كان يحترس من أعدائه ، فلما نزلت أخرج رأسه من البيت الذي كان فيه ، وقال : اذهبوا فقد عصني الله ، فكل ما أصيب به قبل نزول الآية ، وأما بعد نزولها فلا ؛ فالعصاة للأضياء ، والمحقق للأولياء .

(يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ) : من فضل هذه الأمة المحمدية أن الله خاطبهم بالإيمان ، وخاطب أهل الكتاب بكتابتهم ؛ ففي الأولى جمع الله أوصاف المؤمنين ونسوتهم وممانيهم في هذا النداء ، لأنه لم يتبق حسنة إلا دخلت تحتها ، وفي الثاني إهانة وتوبيخ ؛ ألا ترى أنه قال لهم : « لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ » ؛ أي على دين يستند به حتى تقيموا التوراة والإنجيل ، ومن إقامتها الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم ، وقوله : « وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ » قال ابن عباس : يعني القرآن ، ونزلت الآية بسبب رافع بن حارثة ، ورافع بن حريمة ، ومسلم بن عمار ، وغيرهم من اليهود ؛ جاؤا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : إنا نتبع التوراة ولا نتبع غيرها ، ولا نؤمن بك ولا نتبعك .

(بَنِيهِ) ؛ أي ينضج ويطيب ، والمعنى انظروا إلى ثمره أول ما يخرج خفيفا لا منقعة فيه ، ثم ينقل من حال إلى حال حتى يتيقن .

(يَقْتَرِفُونَ) : يكتسبون .

(يَصْعَدُ) في السماء : أصله يَصْعَدُ ، ومعناه أن من يريد الله خلافة كأنما يحاول الصعود في السماء ، وذلك غير ممكن ، فكذلك يصعب عليه

(١) المائدة : ٦٨ (٢) المائدة : ٦٨ أيضا (٣) الأنعام : ٩٩

(٤) الأنعام : ١٢٠ (٥) الأنعام : ١٢٥

الإيمان . وقرئ بالتخفيف . وأما : « إِلَيْهِ » ^(١) يَصْعَدُ السَّكِيمُ الطَّيِّبُ « —
فمعناه لا إله إلا الله ، واللفظُ يعمُّ كلَّ ذكرٍ ودعاء وتعليم علمي ؛ فإنَّ الله يقبله
ويشيب عاينه بفضلِهِ وكرمه ، وهذا معنى قوله : « وَالْعَمَلُ » ^(٢) الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ « .
وقيل : إنَّ ضميرَ الفاعلِ للسَّكِيمِ الطَّيِّبِ ، وضميرُ المفعولِ للعملِ الصَّالِحِ . والمعنى
على هذا أنه لا يقبل العملَ إلا مِنْ مَوْحِدٍ . وقيل : إنَّ ضميرَ الفاعلِ للعملِ الصَّالِحِ
وضميرُ المفعولِ للسَّكِيمِ الطَّيِّبِ . والمعنى على هذا إنَّ العملَ الصَّالِحَ هو الذي
يقبلُ السَّكَّالَمُ الطَّيِّبُ ، فلا يقبل السَّكَّالَمُ إلا مَنْ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ . روى هذا
المعنى عن ابن عباس ، وأما بعده ابنُ عطية ولم يصح عنه ، لأنَّ اعتقادَ أهلِ
السُّنَّةِ أَنَّ اللَّهَ يَقْبَلُ مِنْ كُلِّ مُسْلِمٍ ، قال : وقد يستقيم بأن يتناول أن يزيد
في رفته وحسن رفته .

فإن قلت : آية قوله تعالى : « إِنَّمَا » ^(٣) يَقْبَلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ « — تدلُّ على
قول ابن عباس .

والجواب : أنَّ معنى المتقين يعني الذين اتَّقُوا الشَّرْكَ ؛ لأنَّ التَّوْحِيدَ على
درجات ، كما قدمناه مراراً . فلا نُعْطِلُ بذكرِهِ . وقد قال ^(٤) : « مَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ
ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ، وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ » ، فلا السَّيِّئَةُ تُبْطَلُ الْحَسَنَةُ ،
ولا العكس ، على هذا يكونُ اعتقادُك لا على غيره .

(يَخْوَضُونَ ^(٥) فِي آيَاتِنَا) : الضميرُ للكفار ، وذلك أنهم كانوا إذا
سمعوا القرآن طعنوا فيه واستهزؤا به ، فَأَمَرَ اللَّهُ نَبِيَّهَ بِالْإِعْرَاضِ عَنْهُمْ حَتَّى
يَحْكُمَ اللَّهُ فِيهِمْ بِعَدْلِهِ .

(١) قاطر : ١٠ (٢) اللامعة : ٢٧ (٣) الزلزلة : ٧ ، ٨

(٤) الأنعام : ٦٨

(يَغْنُوا^(١) فيها) : يقيموا فيها ، أو ينزلوا مستغنين . والمغنى : المنزل ، واحدها مَغْنًى .

(يَذَرُكَ^(٢) وَآلِهَتَكَ) : معطوف على ، « افسدوا^(٣) » ، أو منصوب بإضمار أن بعد الواو . وقيل كان فرعون جعل للناس أصناما يسبدونها ، وجعل نفسه إله الأكبر ، ولذلك قال : « أفرأيتكم الأعلى » ، فاللهك على هذا هي تلك الأصنام . وقرأ على بن أبي طالب ، وابن مسعود ، وابن عباس : **إِلَّا هُتِكَ** ، أى عبادتك ، والتذلل لك .

(يُسْتَضَمُّونَ^(٤)) : هم بنو إسرائيل استضمفونهم^(٥) قوم فرعون ، فجلوهم خدما يمتحنونهم في الخدمة ويقيمونهم في المناولة .

(يَعْرِضُونَ^(٦)) : أى يبنون . وقيل المكروم وشبهها .

(يَمْدُونُ^(٧) في السبت) ، يعنى يتجاوزون حد الله فيهم [٣٠٠ ب] باضطهادهم الحوت .

(يَسْتَبِيرُونَ^(٨)) ، يدعون العمل فيه . وبضم الياء يدخلون في السبت .

(يَلْمِزُ^(٩)) : اللهم : تنفس بسرعة ، وتحريك أعضاء الفم ، وخروج اللسان ؛ وأكثر ما يمزى ذلك الحيوانات مع العر والتعب ، وهو حالة دائمة للكلب ، ومثل^(٧) الله الذي انساخ^(٧) من آياته بالكلب ؛ لأنه لا يعرف

(١) الأعراف : ٩٢ (٢) الأعراف : ١٢٢ (٣) الأعراف : ١٣٧

(٤) هذا بالأصلين . (٥) الأعراف : ١٦٣ (٦) الأعراف : ١٧٦

(٧) في الأعراف : ١٧٥

قَدَّرَ اللّٰهُ واللّٰهُ واليقوت ، بل يعرف الجيْف والقدرات المُنْتنة ، وبلعام لم يعرف قَدَّرَ ما أعطاه الله ، فسُلب ؛ وفي هذا من الإشارة لك يا محمدى ما يُذهِل العقول في كونك أكرمك الله بآياته ، وفضلك على كثير من مخلوقاته ، فأعرضت عنها ، واشتغلت بالجيفة المنتنة القى قال فيها الصادقُ الصدوق : الدنيا جيفة وطلّابها كلاب ؛ وإن أعرضت عنها في بعض أوقاتك فما أسرع نكث المهد في رجوعك إليها ، أما سمعت قول الصادق الصدوق : نحن أمةٌ ليس لنا مثل السوء العابد في هيئته كالكلب يعود في قبته . فافهم إن كنت ذا فهم . والسلام .

ووجهُ تشبيه ذلك الرجل به أنه إن وعظّمته فهو ضالّ ، وإن لم تعظّمه فهو ضالّ ، فضلالته على كل حال ، كما أن لث الكلب على كل حال .

وقيل : إن ذلك الرجل خرج لسانه على صدره ، فصار مثل الكلب في صورته وله حقيقه ؛ وهذه حالنا لولا أن من الله علينا بنبيّ عظيم يشفع فينا لكنّا أعظم من هذا ، وكيف لا وقملنا أعظم ، وجرائنا أجسم ، لكن سيئات المحبوب حسنة ، اللهم كما سترتها علينا بجاهه عندك استرّها علينا في الآخرة .

(يعشون^(١) بها) : أخبر الله بهذه الآية عن اعتراف المشركين أنّ أصنامهم لا تمشي ولا تبغش ولا تسمع ولا تبصر ؛ فقال لهم : كيف تعبدونها ، وبينها كفرهم وإعراضهم عن عبادة المتصف بالسمع والبصر والقدرة والإرادة ، فضلى الله الملك الحق لا إله إلا هو .

(يَقُولُ ^(١) الصَّالِحِينَ) فِي أَقْوَالِهِمْ وَأَفْعَالِهِمْ وَحَرَكَاتِهِمْ وَسُلُوكَاتِهِمْ ،
وَمَنْ كَانَ اللَّهُ كَانَ اللَّهُ لَهُ ، وَمَنْ رَاقِبَ بِرَاقِبٍ ، وَمَنْ غَفَلَ غَفَلَ عَنْهُ . أَنْتَ
تُرِيدُ وَهُوَ يُرِيدُ ، فَإِنْ تَرَكْتَ مُرَادَكَ لِمُرَادِهِ أَمَا نَأَى نَأَى تَرِيدُ ، كَيْفَ تَطْلُبُ
خَرَقَ الْمَوَائِدِ وَأَنْتَ لَمْ تَخْرُقْ مِنْ نَفْسِكَ الْمَوَائِدِ .

(يَنْزِعُ عَنْكَ ^(٢) مِنَ الشَّيْطَانِ رِزْغٌ) : قَدْ قَدِمْنَا أَنْ نَخْطُبَ بِهَذَا لَأَمْتِهِ ،
إِذَا إِجْمَعُ عَلَى عَصَمَتِهِ ، وَنَزَعَ الشَّيْطَانُ : وَسُوسَتُهُ ، وَالْأَمْرُ بِالْعَامِيِّ ، وَتَحْرِيكُ
النَّفْسِ : وَفِي هَذَا مِنَ التَّعْلِيمِ لَأَمْتِهِ بِوُجُودِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا يَعْبِزُ
اللسانُ عَنْ شُكْرِهِ ، وَكَيْفَ لَا وَقَدْ بَيَّنَّا أَنَّ صَلَاتَهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَيْفِيَّةُ الْفِعْلِ إِذَا
اعْتَرَانَا هَذَا الْأَمِينُ بِقَوْلِهِ : إِنْ كَانَ قَائِمًا فَلْيَجْلِسْ ، وَإِنْ كَانَ جَالِسًا فَلْيُضْطَجِعْ ،
وَيَسْتَعِذُّ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّهِ . وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ لِمَا رَأَى رَجُلًا اشْتَدَّ غَضَبُهُ ، فَقَالَ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنِّي لِأَعْلَمُ كَلِمَةً لَوْ قَالَهَا لَذَهَبَ عَنْهُ مَا يَجِدُ : أَعُوذُ بِاللَّهِ
مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ . وَقَدْ وَفَّقَ اللَّهُ بِمَنْزِلَةِ هَذِهِ الْأُمَّةِ لِكَلِمَةِ الْغَيْظِ ، وَغَفُومِ
عَمَّنْ ظَلَمَهُمْ ، لَوْ ذَكَرْنَا ذَلِكَ لَطَالَ ذِكْرُهُمْ ، كَالَّذِي كَانَ يَتَاوَلُ طَعَامًا لِسَيِّدِهِ
فَمَثَرُ وَوَقَعَتْ الصَّخْفَةُ مِنْ يَدِهِ . فَقَتَلَ ابْنُ سَيِّدِهِ ، فَدَهَشَ ، فَقَالَ لَهُ السَّيِّدُ :
لَا رَوْعَ عَلَيْكَ ! فَقَالَ الْفَدَى لَامٌ : « وَالْكَارِظِينَ ^(٣) الْغَيْظَ » . قَالَ :
قَدْ كَفَّظْتُهُ . فَقَالَ الْفَدَى : « وَالْمَأْفِينَ ^(٤) عَنِ النَّاسِ » . فَقَالَ : قَدْ عَفَوْتُ .
قَالَ الْفَدَى : « وَاللَّهِ ^(٥) يَحِبُّ الْمُحْسِنِينَ » . فَقَالَ : قَدْ أَحْسَنْتُ إِلَيْكَ . أَذْهَبَ
قَدْ زَوَّجْتُكَ ابْنَتِي .

وَأَخْرَجَ عَلَى فَرَسِهِ الَّذِي كَانَ يَرْكَبُهُ ؛ فَوَجَدَهُ عَلَى ثَلَاثِ قَوَائِمٍ ؛ فَقَالَ :
مَنْ فَعَلَ هَذَا ؟ فَقَالَ لَهُ الْفَدَى : أَنَا . قَالَ : مَا الَّذِي حَمَلَكَ عَلَى ذَلِكَ ؟ قَالَ :

أردت أن أغمك . فقال : لأغمن الذي أمرك بذلك . اذهب فانت حرٌّ
لوجه الله .

هكذا فلتسكن حالك إن أردت الحقوق لهم ، وإلا ظنَّ مباينة حالك
لحلمهم ، هؤلاء بملأ الله قبورهم نورا ، كما ملأها في الدنيا إيمانا ، وأما نحن
فلا ندرى ما نصير إليه لما نحن فيه من علبة النفس والهوى والشيطان .

(يَمْدُونَهُمْ ^(١) فِي النَّفْسِ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ) : قرئ . بضم الياء وفتحها ،
ومعناها لا يقصر الشيطان على إمداد إخوانهم من الكفار ، أولا يقصر الكفار
عن غيبتهم .

(يَسْأَلُونَكَ ^(٢) عَنِ الْأَنْفَالِ) : يعني أن الصحابة يوم بدر كانوا على
ثلاث فرق : فرقة مع النبي صلى الله عليه وسلم تحرسه وتؤانسه ، وفرقة تبعَتْ
المشركين تقاتلهم ، وفرقة أحاطوا بأسلاب العدو وعسكره لما انهزموا ، فلما
انجأت [١٣٠١] الْحَرْبُ وَنَصَرَ اللَّهُ نَبِيَهُ رَأَتْ كُلُّ فِرْقَةٍ أَسْهًا أَحَقَّ بِالْفَتِيْمَةِ
من غيرها ، واختلفوا فيما بينهم ، فنزلت الآية : إن الأنفال ، وهي الفتيمة ، لله
ورسوله . وقيل الأنفال هنا ما يناله الإمام لبعض الجيش من الفتيمة زيادة على
حظِّه ، فأعطاهم الرسول صلى الله عليه وسلم ما غنموا وقسمها بينهم ، وفي بعض
الفرزات قال لهم : لِي مِنْكُمْ الْخُمْسُ ، وهو مردود عليكم لهدية صلى الله
عليه وسلم وإيناره الصحابة عليه . وقد اختلف الفقهاء : هل يكون هذا النفل
الذي يعطيه الإمام من الخمس ، وهو قول مالك ، أو من الأربعة أخماس ،
أو من رأس الفتيمة قبل إخراج الخمس .

(بِحَوْلٍ^(١) بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ) : قِيلَ يُبَيِّنُهُ . وَقِيلَ يَصْرِفُ قَلْبَهُ حَيْثُ شَاءَ ، فَيَنْقَلِبُ مِنَ الْإِيمَانِ إِلَى الْكُفْرِ ، وَشَبَّهَ ذَلِكَ ، وَلَقَدْ كَانَ الْعَصُومُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ فِي كُلِّ صَبَاحٍ وَمَسَاءٍ : اللَّهُمَّ يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ ، وَلِهَذَا كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَقَلَّبُ وَيَدْعُو لِأُمَّتِهِ وَيَسْأَلُهُ ثَبَاتَهُمْ . وَفِي الْحَدِيثِ : الْقَلْبُ بَيْنَ أَصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ يَقَلِّبُهُ كَيْفَ يَشَاءُ ، يَعْنِي أَصَابِعَ الْقُدْرَةِ وَالْإِرَادَةِ لَا أَصَابِعَ الْجَارِحَةِ . وَقِيلَ لِبَعْضِهِمْ : يَمَّ حَرَفَتَ رَبِّكَ ؟ قَالَ : يَنْقُضُ الْمَزَائِمَ ، عَزَمْتُ فَتَنْقُضُ عَزْمِي ، وَهَمَمْتُ فَتَنْقُضُ هَمِّي ، فَهَمَمْتُ أَنْ لِي رَبًّا يَذْبُرُ أَمْرِي .

(يُرِيدُونَ^(٢) أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ) : نُورُ اللَّهِ هُدَاهُ الصَّادِرُ عَنِ الْقُرْآنِ وَالشَّرْعِ الْمُنْبَثُ فِي قُلُوبِ النَّاسِ ، فَمَنْ حَيْثُ سَمَاءُ نُورًا سَتَى مُحَاوَلَةً لِإِسَادَةِ وَالصَّدَةِ فِي وَجْهِهِ إِطْفَاءً . وَقَالَتْ فِرْقَةٌ : النُّورُ الْقُرْآنُ . وَقَوْلُهُ : «بِأَفْوَاهِهِمْ» عِبَارَةٌ عَنْ قَلْعِ حِيلَتِهِمْ وَضَعْفِهَا ، أَخْبَرَ عَنْهُمْ أَنَّهُمْ يَحَاوِلُونَ مَقَاوِمَةً أَمْرٍ جِيمٍ بِجَمَلٍ ضَعِيفٍ ، فَكَانَ الْإِطْفَاءُ بِنَفْخِ الْأَفْوَاهِ .

وَيَحْتَمِلُ أَنْ يُرَادَ بِأَقْوَالٍ لَا بَرَهَانَ عَلَيْهَا ، فَهِيَ لَا تَتَجَاوَزُ الْأَفْوَاهَ إِلَى فَهْمٍ سَامِعٍ . وَقَوْلُهُ : «وَيَأْبَى» لِإِجْبَابِ يَقَعُ بَعْدَهُ أَحْيَانًا «إِلَّا» ، وَذَلِكَ لَوْقُوعِهِ هُوَ مَوْقِعُ الْقَمَلِ الْمُنْفَى ؛ لِأَنَّ التَّقْدِيرَ وَلَا يَرِيدُ اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ . وَقَالَ الْقَرَاءُ : هُوَ إِجْبَابٌ فِيهِ ضَرْبٌ مِنَ النِّفْيِ . وَرَدَّ الزَّجَاجُ عَلَى هَذِهِ الْعِبَارَةِ ، وَيَأْنَهُ مَا قُلْنَا .

فإن كنت : ما حكمة زيادة آية برادة^(١) على آية الصف^(٢) ،
واختلاف العبارتين ؟

والجواب : ناسب زيادة برادة ما ورد من الطول المحكى فيها من قول
الطائفتين من اليهود والنصارى : « وقالت^(٣) اليهود عزير ابن الله ، وقالت
النصارى المسيح ابن الله » . وأما آية الصف فقابل بها قول عيسى عليه السلام :
«^(٤) يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقا » ، ثم قال تعالى : « فلما^(٥)
جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين » ، وليس هذا في الطول وعِدَّة الكلام
كالمحكى في سورة برادة ، ألا ترى أن الواقع في برادة ست كلمات ، وفي
الصف ثلاث كلمات ، والقائل طائفة واحدة . وهذا مراعى .

(يعلم^(٦) إنهم لكاذبون) : ضمير الجماعة يهود على المنافقين الذين
يخلفون : « لو^(٧) استطعنا لخارجنا معكم » ، فأخبر الله رسوله بكذبهم ،
وأنهم كانوا يستطيعون الخروج ، ولكن تركوه كفرا وثقاقا ، وهذا كله
في الجملة لا بتعيين شخص ، ولو عُنِى لُقِتل بالشرع . وانظر كيف عثر هنا
بالعلم بخلاف الآية بعدها . وفي الحشر والمنافقين لأن الاستطاعة وعدمها حكم
لا يطلع عليه في الغالب ، بل ينفرد كل بحاله في ذلك ، إلا أن يعلم ذلك
بقربة ، فتقول المنافقين في إخبار الله تعالى عنهم : « لو^(٨) استطعنا لخارجنا
معكم » غير مشاهد من ظاهرهم ، فقد كان يمكن صدقهم أو صدق بعضهم
لو لا أنه سبحانه أعلم بحالهم ، فناسب التعمين بالعلم .

(يرَكُّمَهُ^(٩) جميعا) ، أى يضمه ويحمل بفضه فوق بعض .

(١) التوبة : ٣٠ ، (٢) الصف : ٦ ، (٣) التوبة : ٤٢

(٤) الأنفال : ٣٧

(يوم^(١) يُخَمَّى عَلَيْهَا) : الضمير يعود على ما يعود عليه ضمير « يَنْفَقُونَهَا »^(٢) ، والعاملُ في الطرف « أَلِيمٌ »^(٣) ، أو محذوف . فانظر ما أُوعد الله للمُتَكِبِّ مَالَهُ وَلَا يَنْفَقَهُ . وقد أخبرنا الله بمذابه في آيات من كتابه ؛ كقوله تعالى^(٤) : « وَيَلْ لَّكُلِّ هَمَزَةٍ لُّزُومٌ » . « وَأَمَّا »^(٥) مَنْ أَوْفَى كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ ... إلى قوله : [٣٠١ ب] « وَلَا يَحْضُ عَلَى طَعَامِ الْمُسْكِينِ » . « مَا »^(٦) سَلَكَكُمْ فِي سَنَةٍ أَقَامُوا لَكُمْ نَكَاتٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ . ولم نَكُ نُطْعِمُ الْمُسْكِينِ » . « كَلَّا »^(٧) إِنَّمَا أَظُنُّ نَزَّاعَةَ لِشَوَى ... إلى قوله : « جَمْعُ فَأَوْعَى » . وأكرم الله الْمُتَفَقِّ بِخَمْسِ كَرَامَاتٍ : جَلَّ الصَّدَقَةُ تَقَعُ فِي يَدِهِ قَبْلَ وَقْعِهَا فِي يَدِ السَّائِلِ ، فَيَرْبِيهَا لَهُ كَمَا يَرْبِي أَحَدُكُمْ فَنَوَهُ^(٨) أَوْ فَصِيلَهُ ، وَتَكُونُ وَقَايَتُهُ مِنَ الْمَسْكَاةِ ، كَمَا صَحَّ أَنَّ الصَّدَقَةَ لِتُدْفَعَ سَبْعِينَ بَابًا مِنَ السُّوءِ ، يَنْبَغِي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، لقوله عليه السلام : دَاوُوا مَرْضَاكُمْ بِالصَّدَقَةِ . وتحرس المال ، للحديث : حَصَّنُوا أَمْوَالَكُمْ بِزَكَاةٍ . وتطهروا لقوله سبحانه^(٩) : خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ » . هذا مع ما فيها من الخلف والبركة ، والكلام عليها طويل جدا .

(يُجِلُّونَهُ^(١٠) عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا) ؛ أي تارة يحلُّون وتارة يحرمون ، ولم يُردَّ العام حقيقة ؛ إذ كانت أحوالهم مختلفة .

(١) التوبة : ٣٥

(٢) في الآية ٣٤ : وَلَا يَنْفَقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ .

(٣) التوبة : ٣٤ (٤) الهزء : ١ (٥) الحاقه : ٢٥ - ٣٤

(٦) المذخر : ٤٢ - ٤٤ (٧) الخارج : ١٥ - ١٨ (٨) الفلأ : المهرء والأشء فلوء .

(٩) التوبة : ١٠٣ (١٠) التوبة : ٣٧

(يُهَيِّكُونَ^(١) أَنْفُسَهُمْ) : الضمير يعود على المنافقين ، لأنهم كانوا يستعدون بالأعداء الكاذبة والأيمان الباطلة .

(يَفْرَقُونَ^(٢)) : من الفرق وهو الخوف .

(يَجِدُونَ^(٣) مَلَجًا) : أى يلجئون إلى موضع من المواضع التى تمنعهم من رؤية رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه .

(يَكْنِزُونَ^(٤) الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ) : ورد فى الحديث : "كل ما أدبته زكاته فليس بكنز ، وما لم تؤد زكاته فهو كنز" . وقال أبو ذر وجماعة من الزهاد : كل ما فضل عن حاجة الإنسان فهو كنز . وقوله هذا أفضى به إلى الخروج من الشام ومن المدينة حتى لحق بالربذة ، فمات بها ، ولهذا قال صلى الله عليه وسلم : "من أراد أن ينظر إلى زهد عيسى فليتنظر إلى أبى ذر رضى الله عنه" .

(يَضَاهُونُ^(٥) قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ) : أى يشابهون ، فإن كان الضمير لليهود والنصارى فالإشارة بقوله : «الذين كفروا من قبل» ، فمشركون من العرب ؛ إذ قالوا : الملائكة بنات الله ، وهم أول كافر . وإن كان الضمير للمعاصرين للنبي صلى الله عليه وسلم من اليهود والنصارى فالذين كفروا من قبل هم أسلافهم : المتعلمون .

(يَلْمِزُكَ^(٦) فِي الصَّدَقَاتِ) : أى يعيبك على قسمتها ، وذلك أن المنافقين كانوا يقولون : يعطى من أحب من أصحابه ، ويمتنعنا . وقيل هى فى الذى قل : اعدل يا محمد ؛ فإنك لم تعدل .

(١) التوبة : ٤٢ (٢) التوبة : ٥٦ (٣) التوبة : ٥٧

(٤) التوبة : ٣٤ (٥) التوبة : ٣٠ (٦) التوبة : ٥٨

(يُؤْمِنُ^(١) بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ الْمُؤْمِنِينَ) ، هذا من أوصافه صلى الله عليه وسلم ، يقال : أمنت لك إذا صدقتك ، ولذلك تعدى هذا الفعل إلى ، وتعدى يؤمن بالله بالباء .

(^(٢) يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنْزَلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ) : الضمير في عليهم وتنبيئهم وقلوبهم عائد على المنافقين ، يعني أنهم كانوا يخافون أن ينزل في شأنهم سورة على النبي صلى الله عليه وسلم تخبره بما في ضمائرهم من النقص لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولأصحابه ، وذلك على جهة الاستهزاء والسخرية . وقال الزمخشري : إن الضمائر في عليهم وتنبيئهم للمؤمنين ، وفي قلوبهم للمنافقين ؛ والأول أظهر .

(^(٣) إِنْ يَتُوبُوا بِكَ خَيْرًا لَهُمْ) : فتح الله في هذه الآية باب التوبة للمنافقين ، فتاب منهم الجلاس ، وحسن إسلامه بفضل الله عليه .

(^(٤) يَسْخَرُونَ مِنْهُمْ) : السخيرة للمنافقين ، وذلك أنهم كانوا يستخذنون بالسلطين الذين يتصدقون بما يحدون ويقولون : إن الله غنى عن صدقة هذا .

(^(٥) يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ) : يعنى أنهم كانوا يؤذون رسول الله صلى الله عليه وسلم بقولهم : إنه يسمع فيهم أصحابه إذا أخبروه ببدواتهم لهم . فرد الله بقوله : « ^(٥) قُلْ أُذُنٌ خَيْرٌ لَكُمْ » ، لأنه يصفح عنكم ولا يؤاخذكم بأقوالكم ، ولو لم يسمع فيكم لاستأصلكم . وقد كان بعض الصحابة يتأذّن

(١) التوبة : ٦١ (٢) التوبة : ٦٤ (٣) التوبة : ٧٤

(٤) التوبة : ٧٩ (٥) التوبة : ٦١

في قتل بعضهم ، فيقول : أو يتحدث أن محمداً يقتل أصحابه .

(^(١) يَفْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ) : كناية عن بخلهم وعدم إلتفاتهم ، في طاعة الله ورسوله .

(^(٢) يُفْتَنُونَ في كل عام مرة أو مرتين) : أي يُمْتَحَنُونَ بالأمراض والجوع . وقيل بالأمر بالجهاد . واختار ابن عطية أن يكون المعنى : يفضحون بما يكشف من سرّايرهم .

(^(٣) يَرَاكُمْ مِنْ أَحَدٍ) : كأن سبب خوفهم أن يقتل عنهم كذبهم ، فكان ينظر بعضهم إلى بعض ، ويقول : إياكم أن يُنْقَلَ عنكم [١٣٠٢] هذا الاستخفاف . وقيل : كان ينظر بعضهم إلى بعض على وجه التعجب وتماماً ينزل في القرآن من كشف أسرارهم .

(^(٤) وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ) : قد قدمنا أن الله تعالى عمّ الدعوة وخصّ الهداية ؛ إذ ما كل مدعو داخل ، ولا كل مفضل مقيم ، واحد قاعد عند الباب ينتظر الدخول ولم يدخل ، وآخر وجد الباب مفتوحاً فدخل .

(^(٥) يَبْدَأُ الْخَلْقَ نَمَّ يُعِيدُهُ) : في هذه الآية احتجاج على الكفار بأن شركاءهم لا يقدرّون على بدء الخلق ولا عوّده .

فإن قلت : كيف يحتجّ عليهم بإعادة الخلق وهم غير معترفين به ؟

فالجواب أنهم معترفون أن شركاءهم لا يتدرون على الابتداء ولا على الإعادة ، ففي ذلك إبطال لهم ولربوبيتهم ، فوضعت الإعادة عليه . وضع

(١) الذوبة : ٦٧ (٢) التوبة : ١٢٦ (٣) التوبة : ١٢٧

(٤) إبراهيم : ١١ ، والنحل : ٩٣ (٥) يونس : ١

المتفق عليه لوضوح بُرْهَانِهَا .

(^(١) يَهْدِي) ، بتشديد الدال : معناه لا يهتدى في نفسه ، فكيف يهتدى غيره . وقرئ بالتخفيف بمعنى يهتدى غيره . والقراءة الأولى أبلغ في الاحتجاج .

(^(٢) يَأْتِيهِمْ تَأْوِيلُهُ) : الوعيد الذي في القرآن لهم .

(^(٣) يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ) : تقليل لمدة بقاءهم في الدنيا أو في القبور .

(^(٤) يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ) : يعنى يوم الحشر ، فهو على هذا حال من الضمير في يلبثوا .

(^(٥) يَسْتَفْتِيُونَكَ) ؛ أى يسألونك عن الوعيد والدين والشرع : أحق هو ؟ فأمره الله بأن يقول : ^(٦) لَيْسَ بِي وَرَثَتِي إِنَّهُ لِحَقِّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ .
(^(٧) يَرْهَقُ) : يغشى .

(^(٨) يَوْمَ الْقِيَامَةِ) : ظرف منصوب بالظرف . والمعنى أى شيء يظنون أن يفعل بهم في ذلك اليوم .

(^(٩) يَغْرُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ) ؛ أى لا يغيب عن علم الله مثقال ذرة . وقد قدمنا أن الذرة صغار النمل أو بيضها .

(١) يونس : ٣٥ (٢) يونس : ٣٩ (٣) يونس : ٤٥
(٤) يونس : ٥٣ (٥) يونس : ٢٦ (٦) يونس : ٦٠
(٧) يونس : ٦١

فإن قلت : ما فائدة تقديم الأرض على السماء في آية يوس مخلوق
سبأ^(١) ؟

والجواب لأن الشهادة على أهل الأرض ، وقدمت السماء في سبأ لأن
حقها التقديم ، لأنها مصدر الأمر ، ومحال العلو ، ومسكن الملائكة ، وهي
مشاهدة لهم ، ومستقل الداعين ، ومنها ينزل الأمر ، ورزق العباد ، وفيها
الخزنة من الملائكة ، وإليها يُصد بأرواح المؤمنين ، وتخرج الملائكة
السياحون في الأرض المشغولون عن أعمال العباد ؛ فكان العلم بما فيها أجلى
وأظهر ، وكان العلم بما في الأرض أخفى ، وهذا بالنظر إلينا ، وبحسب متعارف
أحوالنا ، وإلا فعلم بآثارنا سبحانه بما في الأرض وما في السماء على حد سواء ،
كما أن علمه بالسر والجهر متو : « سواء »^(٢) منكم من أسر القول
ومن جهر به .

(٣) يمتعكم متاعاً حسناً إلى أجل مسمى ، ويؤت كل ذي فضل
فضله) : أى ينعمكم في الدنيا بالأرزاق والنعيم والخيرات . وقيل : هو طيب
عيش المؤمن برجائه في الله ورضاه بقضائه ؛ لأن السكار يمتع في الدنيا
بالأرزاق ؛ والضمير في « فضله » يحتمل أن يعود على الله تعالى أو على
ذو فضل .

(٤) يثنون صدوكم ليستخفوا منه الآحين . . . (الضمير للكفار ؛
وذلك أنهم كانوا إذا لقيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يردون إليه ظمورهم
لتلايرؤيته من شدة البهض والعداوة . والضمير في « منه » على هذا يعود على
رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقيل : إن ذلك عبارة على ما تنطوى عليه

صدورهم من البُغْض والتل . وقيل : هو عبارة عن إعراضهم ؛ لأن من أعرض عن شيء أتى عليه الخوف . والضمير في « منه » على هذا يعود على الله تعالى ؛ أي يريدون أن يستخفوا على الله ، فلا يطلع رسوله والمؤمنون على ما في قلوبهم .

(^(١) يَسْتَفْشُونَ ثِيَابَهُمْ) ؛ أي يجعلونها أغشية وأغطية ، كراهة لاستماع القرآن . والماثل في « حين » « يَعْلَمَ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ^(٢) » . وقيل : المعنى يريدون أن يستخفوا حين يستفشون ثيابهم ، فيوقف عليه على « هذا » ، ويكون « يعلم » استثناء .

(يَكُونُوا ^(٣) مُفْجَرِينَ) ؛ أي يُفْلَتِينَ .

(^(٤) يَضَافُ لَهُمُ الْعَذَابُ) : إخبار عن تشديد عذابهم ، وليس بصفة لأولياء .

(^(٥) يَنْفُثُ) : فوِّث ، من يثت ، وأخبر الله في هذه الآية أن الإنسان يَنْفُثُ عند الشدائد ، ويفخر ويشكّر عند النعم .

(^(٦) يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطِ) : معنى جدال إبراهيم مع الملائكة في رفع العذاب عن قوم لوط ، لأن الله [٣٠٢] وصفه بالحلم والرحمة .
(^(٧) بِالْإِبْرَاهِيمِ أُغْرِضَ عَنْ هَذَا) : الضمير للجدال . أمره الله أن يسكت عنهم ، لأن القضاء قد بذابهم .

(^(٨) يَتَقَدَّمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) : الضمير لقرعون ، يعني أنه يتقدمهم إلى النار ، وقد قدمنا أن كل طائفة تنبع ما كانت تعبد ، ويمقد لكل صاحب

خصة لواء فيتبعونه^(١) مَنْ كَانَ يَقْلُ رِقْلَهُ فِي الدُّنْيَا .

(^(٢) يَوْمَ مَجْمُوعٍ لِهَ النَّاسِ ؛ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ) ؛ أَيِ بِحَضْرَةِ
الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ، وَبِجَمْعِ الْحَسَنَاتِ وَالْثَوَابِ وَالْعِقَابِ ، وَإِنَّمَا عَبَّرَ بِاسْمِ
الْمَفْعُولِ دُونَ الْقُلِّ لِيُذَلَّ عَلَى ثُبُوتِ الْجَمْعِ ذَلِكَ الْيَوْمَ ، لِأَنَّ لَفْظَ مَجْمُوعٍ مِنْ
لَفْظِ يَجْمَعُ .

(^(٣) يَوْمَ يَأْتِ) : الْعَامِلُ فِي الظَّرْفِ « لَا تَسْكُنُمْ » أَوْ مَضَرٌ ، وَفَاعِلُ يَأْتِ
ضَمِيرٌ يَسُودُ عَلَى يَوْمٍ مَشْهُودٍ . وَقَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ : يَسُودُ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى كَقَوْلِهِ :
« أَوْ يَأْتِي رَبُّكَ » . وَبِضَدِّهِ عَوْدُ الضَّمِيرِ عَلَيْهِ فِي قَوْلِهِ : « ^(٤) يَأْذَنُهُ » .

(^(٥) يَا أَبَتِ) ؛ أَيِ يَا أَبِي ، وَالتَّاءُ لِمُبَالَغَةِ . وَقِيلَ لِلتَّائِيَةِ . وَكُسِرَتْ
دَلَالَةً عَلَى يَاءِ الْمُتَكَلِّمِ ، وَالتَّاءُ عَوْدٌ ^(مِنْ يَاءِ) الْمُتَكَلِّمِ . وَدَعَا يُوسُفُ أَبَاهُ
بِاسْمِ الْأَبَوَةِ وَلَمْ يَدْعُهُ بِاسْمِهِ ؛ لِأَنَّ مَنْ دَعَا أَبَاهُ بِاسْمِهِ غَلَطَ ، فَكَيْفَ بَيْنَ
جَفَاءٍ ، وَقَدْ أَمَرَكَ اللَّهُ أَنْ تَعَامَلَ أَبَاكَ بِعَامِلَتِكَ مَعَ الرَّسُولِ ؛ قَالَ تَعَالَى :
« ^(٦) لَا تَجْمَعُوا دَعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدَعَاِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا ... » الْآيَةُ .
وَقَالَ : (^(٧) لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ) ؛ وَهُوَ كَانَ أَبَاكَ
فِي الدِّينِ ، وَكَذَلِكَ عَلَيْكَ مَعَ أَبِي النَّسَبِ ، كَمَا عَلَيْكَ الْعَامِلَةُ مَعَ أَبِي الدِّينِ .
وَيُوسُفُ قَالَ : يَا أَبَتِ - اتَّخَذِي فِيهِ بِجَدُّهُ إِبْرَاهِيمَ ؛ لِأَنَّهُ دَعَا أَبَاهُ الْكَافِرَ
بِاسْمِ الْأَبَوَةِ ، وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْطَاكَ أَبَوَيْنِ مُؤْمِنَيْنِ ، أَنْتِ أُولَى بِتَحْلِيَّتِهِمَا ؛ فَإِنَّ
اللَّهَ تَعَالَى أَعْطَى خَلِيلَهُ وَحْيِيَهُ أَبَوَيْنِ كَافِرَيْنِ ، وَكَانَ يَتَحَلَّاهُمَا وَأَنْتِ يَا عَبْدُ
لِلَّهِ تَلْحَقُ بِأَبَوَيْكَ وَتَدْخُلُ مَعَهُمَا الْقَرْدُوسَ الْأَعْلَى ؛ قَالَ تَعَالَى :

(١) مَنَّا بِالْأَصُولِ . (٢) هُودُ : ١٠٣ (٣) هُودُ : ١٠٥

(٤) يُوسُفُ : ٤ (٥) النُّورُ : ٦٣ (٦) الْحَجَرَانِ : ٢

« (١) وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ » .

(٢) « نَحْلُكُمْ لَكُمْ وَجْهَ أَبِيكُمْ » : إخوة يوسف طلبوا ألا يشاركهم أحد في محبته لهم وإقباله عليهم ، فلما رأوه مال إلى يوسف دونهم وصلتهم الغيرة ، والحبيب يغير على حبيبه ، وأنت يا عبد الله إن طلبت الخلوة مع غير مولاك تضيق عليك المسالك ؛ لأنه سبحانه غيور لا يطامع على عبده ، فيجد فيه غيرة . قال تعالى : « إِنْ طَلَبْتَنِي أَخْذُكَ الْمَكُونَاتِ » ، وإن طلبت غيري أعوزتها عليك ، ولا يكون لك إلا ما أريد .

(٣) « يَلْتَقِطُهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ » : السيارة جمع . وهم القوم الذين يسرون في الأرض للتجارة وغيرها ، ومنه قولهم : لقيته التقاطا ، ووردت الماء التقاطا : إذا لم ترده .

(٤) « يَمَصُّونَ » : أى يمصرون الزيتون والعنب والسمسم وغير ذلك مما يعضر .

(٥) « يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ » : خاف يعقوب على أولاده من العين إن دخلوا مجتمعين ؛ إذ كانوا أهل جمال وهيبة ، ويؤخذ من هذا الحذر ، والحذر لا يُغنى عن القدر ، ولكن الله أمر بالتحرز مما يخاف منه ، ولعلك قل صلى الله عليه وسلم : المؤمن كئیس حذر . وفي رواية : الحزم سوء الظن .

(٦) « يَدَبُّرُ الْأُمْرِ بِفَصْلِ الْآيَاتِ » : يبنى أمر الملكوت وآيات كتبه .

(^(١) يَفْشَى اللَّيْلَ النَّهَارَ) ؛ أى يلبسه فيصير له كالتشابه ، فيصير
أسود مظلماً ، كما كان أبيض مشرقاً .

والأول فاعل في المعنى ، وهو على إضمار قتل ؛ أى ويفشى النهار الليل .
ويمحتمل أن يراد في الآية الزمان الذى بين الفجر وطلوع الشمس على القول
بأنه من النهار ؛ فهو إشارة إلى أن الليل يخالف النهار في ذلك الزمان ، ولذلك
اختلفوا هل من الليل أو من النهار أو قسم ثالث قائم بنفسه ؟ قيل الكلام في
ذلك الزمان باعتبار الشرع ، وفي الآية باعتبار اللغة .

(^(٢) يُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ ، وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ) :
قد قدمنا تسبيح الرعد وأنه يسبح الرعد من خيفته بحمده ، والملائكة بحمده
من خيفته ، والصواعق النازلة من السماء عذاباً لله شدة يصيب بها من يشاء
من عباده وخلقه .

(^(٣) يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفاً وَطَمَعاً) : نسب الرؤية للبرق والإشياء للمحاج ،
لأن الأشياء المرئية أسهلها على البصر السواد والخضرة ، وأصعبها البياض
الساطع ، فمن تعجز عن مدركة [١٣٠٣] النظر إليه . وانظر قوله :
« ^(٤) يَكَادُ مَنَا بَرْقُهُ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ » . وأما السحاب فجريمة يقبل حداً ،
فالصفة التى فيه هى إبرازة من العدم إلى الوجود . وخوفاً وطمعا حالان ،
ويمحتمل أن يكونا مفعولاً من أجلهما ؛ إذ ليسا عنده فاعل الفعل الممثل
في إن الله لم يخلق الشر ولا أرادته ، ونحن نجيز ذلك ، ونقول : أرادته

(١) الرعد : ٣ (٢) الرعد : ١٣ (٣) الرعد : ١٢

(٤) النور : ٤٣

وخلق في قلوب بعضنا الخوف منه ، وفي قلوب آخرين الطمع فيه ، والفرق بين إرادة الخوف وبين الخوف أنك تريد من زيد أن يخاف منك ولا تقدر على إيقاع ذلك به . الزمخشري يخاف المطر من بضره كالمدفر ، ومن في جريته التمر والزبيب ، ومن له بيت ينظر عليه ، ومن اللاد من يتضرر أهلها بالمطر كأهل مصر ، فإنه يفسد عليهم أبنيتهم وزول المطر فيها قليل جدا .

(^(١) يَضْرِبُ الله الأمثال . للذين استجابوا لربهم العُسى) : انظر هل تارك الصلاة مستجيب لُنطقه بالشهادتين والظاهر أنه مستجيب بالشهادتين فقط لا مطلقا .

(^(٢) يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا) : أي يختارونها على الآخرة . والضمير عند على الكفر ، ومن تشبه بهم في فعلهم يخاف عليه من الحقوق بهم في حبه للدين وتفضيلها على الآخرة .

(^(٣) يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِينُهُ) : الضمير يعود على من أدخل النار ، بمعنى أنه يكاف جرعه ، ونصب عليه لإساغته ، يعني بلمه ، ونفي « كاد » ينتفى ونوع الإساغة بعد جهد .

(^(٤) يَنْقُطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ) : قرئ بفتح النون وكسرها ، وهما لغتان . وفي هذه الآية دليل على تحريم القنوط ، ووصف القانط في هذه الآية بالضلال ، وفي سورة يوسف بالكفر ، وكلاهما بمعنى واحد ؛ لأن سببه تكذيب الربوبية ، وجهل بصغات الله وقدرته ، وماذا يزيد في ملكه أو ينقص تعذيب الخلق كلهم أو رحمتهم .

(١) الرعد : ١٧ ، ١٨ (٢) إبراهيم : ٣ (٣) إبراهيم : ١٧

(٤) الحجر : ٥٦

(١) يَتَنَبَّأُ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ (: المتصود هذه الآية الاعتبار والنظر ، ولذلك ابتدأها بقوله تعالى : « أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ » . والرؤية بصرية بسبب تعديها يلي ، كما قال تعالى : « أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ » ، والإنكار ليس هو نفس الرؤية . بل للآية . وانظر هل وقع التوقيف بمجموع قضيتي الظلال وكونها سجد لله ، أو بكونها سجد لله فقط ؟ وهل قوله : يتنبأ ظلاله حال أو صفة ، ونظيره قولك : ألم آتتك بزيد العالم راكبا ، وقوله : ألم آتتك بزيد عللا راكبا . والصواب الأول ، لأن نفيها أمر حسي مشاهد ، وكونها سجد لله لا يدرك بالمشاهدة ، بل بالدليل العقلي . وعلى هذا التأويل تكون الآية حجة لمن يقول : إن العرض لا وجود له . والمشهور عند المتكلمين أنه أمر وجودي ، حكى القولين المقترح .

وجه الدليل أن الآية دللت على أن كل شيء مخلوق لله تعالى ، وأن ظلاله متنبأ ساجد لله تعالى ، والتنبؤ من صفات الأجرام والذوات ، والعرض ليس بذات ، فليس بمخلوق لله تعالى ، وهذا كفر ؛ وإذا جعنا تنبأ صفة لشيء يكون المعنى إن كل شيء موصوف بالتنبؤ ، فهو مخلوق لله . فأنكر عليهم عدم الاعتبار به حال سجوده ، وقوله يتنبأ : أي يرجع إلى اليمين ؛ أي يريد يمين النظر إليه لأن الناظر إلى الظل أو النهار ينظر إلى جهة القبلة ، حيث محل طلوع الشمس ، فيكون الظل حينئذ عن يمينه ، فذلك بدأ باليمين ، فالظل يرجع عن جهة اليمين إلى جهة الشمال ؛ لأن « عن » تقتضي المجاوزة ، فالمراد بمجاوزته جهة اليمين إلى جهة الشمال ، والعكس .

فإن قلت : لم أفرد اليمين وجمع الشمال ؟

فالجواب : بوجهين : الأول أن الظل حالة كونه عن يمين الناظر ، وذلك أول النهار ، يأخذ في النقص ، فكانت له جهة واحدة نقص عنها ، وفي آخر النهار يأخذ في الزيادة إلى الشمال والجهة التي طال ظلُّه إليها لم تكن له قبل ذلك ، وكلما زاد بعد إلى جهة يسار الناظر ، فكانت تلك الزيادة بتكررها واختلافها شمائل ، بخلاف أول النهار فإنه لم يزد ، بل نقص عن حده الذي كان ، فصار كأنه بنقص [٣٠٣ ب] اليمين ، فضلا عن أن يكون إيمان .

الوجه الثاني أن اليمين مأخوذ من اليمين ؛ وذلك راجع إلى طريق الحق ؛ والشمال راجع إلى طريق الباطل بدليل قوله تعالى : « (١) أصحابُ اليمين ما أصحابُ اليمين » . « (٢) وأصحابُ الشمال ما أصحابُ الشمال » . وطريقُ الحق واحدٌ وطريقُ الباطل متعددة ، والآية دالة على كمال التوحيد لله عز وجل ؛ لأن مذهبنا أن الأعراض لا تبقى زمانين ، فما من جوهر إلا وهو منقتر في كل زمن إلى أعراض يستمد منها ؛ ولا بد لذلك من فعل ، ولا يصح تعدد ذلك الفاعل لما تقرر في دلالة التبانع .

فإن قلت : هلا قيل : أو لم يروا إلى ما خلق من شيء - قط ، وبكفي هذا في الاعتبار ؛ فإن العبرة بالتفكير بالنظر إلى لقاح الشجرة التي في رؤية الممين : عود يابس ؛ وبروز الثمر منها والورق أقوى من العبرة بالنظر إلى ظلها .

والجواب : أن الظلال إنما تنشأ عن ملاقة نور جرم الشمس جرم الشجر الكثيف الظلم .

ومذهبها أن الأجسام متساوية في الحد والحقيقة ، فلا فرق بين الشمس والشجرة ، فحجبت الشجرة بكشافها وظلمتها نور الشمس . وما ذاك إلا لتخصيص أو جبه الله تعالى . ولا بدّ لذلك من مخصص ، ويستحيل تعدده ، بل ذلك على أنه واحد .

قال الزمخشري : والسجود هنا الانقياد ، وجعله متناوياً للماقل وغيره ، لأنه قال : أي يرجع الظلال من جانب إلى جانب منقاداً لله غير ممتنعة عليه فيها سخرها له من القيود^(١) ، والأجرام في نفسها صاغرة منقاداً لأفعال الله فيها ، وهذا ما يرد به على من قال : إن صيغة أفضل للتقدير المشترك بين الوجوب والندب . ويقول : إن القدر المشترك لا وجود له في كلام العرب ، مع أن الزمخشري أثبت هنا ، واستعار هنا الأيمان والشئان لأنهما في الحقيقة للانسان .

(^(٢) يدسه في التراب) : المعنى يريد وينظر هل يمسك الأنثى التي بشر بها على هو أن ودل ، أو يدفنها في التراب حية ، وهي المودة المذكورة في : «^(٣) إذا الشمس كورت » .

(^(١) يَجْعَلُونَ) : يعني أن هؤلاء الكفار يُنكرون نعم الله عليهم في جعلهم أزواجاً من أنفسهم زيادة في لذاتهم ، وجعل للأنثى ما لذكر من الشهوة ، ليكمل مرادهم ، ورزقهم من الطيبات ، فهل يُنكر هذا إلا من طبع على قلبه ، لأنه يشاهدها .

(١) الكشاف : ١ - ٥٢٦

(٢) النحل : ٥٩ (٣) التيسير : ١ (٤) النحل : ٧١

إِنْ قُلْتَ : لَمْ جَعَلْتُ حَوَاءَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : «^(١) وَإِنَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا » ؟

والجواب اعتباراً بفسلها ، وأطلق عليهم أزواجاً مجازاً ، استعمالاً للفظ في حقيقته ومجازاً .

(^(٢) يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ) : يعنى السموات والأرض والجبال ، وقيل : بل أحوال فكريتهم على ما هو كبير عندهم ؛ أى لو كنتم حجارة أو حديداً أو شيئاً أكبر عندهم من ذلك وأبعد عن الحياة لقد رننا على بشركم .

(^(٣) يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ) : الدعاء هنا عبارة عن النفخ في الصور للبعث ، والاستجابة عبارة عن قيامهم من القبور طائعين منقادين . وبحمده في موضع الحال ؛ أى حامدين له . وقيل معنى محمده أى بأمره .

(^(٤) يَنْقُضُ) : وزنه ينقل . وقيل يفعل بالشديد كـ «حَمَرٌ» . ومعناه يسقط ، وإسناد الإرادة إلى الجدار مجاز . ومثل ذلك كثير في كلام العرب ، وحقيقته أنه قارب أن ينقض .

(^(٥) يَظْهَرُوهُ) : الضمير يعود على السد ، ومعناه يملوه .

(^(٦) يُفْرِطُ) : يُعْجِلُ بالشر .

(^(٧) يُخَيِّلُ إِلَيْهِ مِنْ حَرِّمٍ أَنَّهَا تَسْنَى) : استدل بعضهم بهذه الآية على أن السحر تخيل لا حقيقة . وقال بعضهم : إن حيل السحرة في تسنى

(١) النحل : ٧٢ (٢) الإسراء : ٥١ (٣) الإسراء : ٥٢

(٤) الكهف : ٧٧ (٥) الكهف : ٩٧ (٦) طه : ٤٠

(٧) طه : ٦٦

الحبال والمعصى هي أسها حشوها بالزئبق ، وأوقدوا تحتها نارا ، وغطوا النار
لثلاثين يوما ، ثم وضعوا عليها الحبال والمعصى . وقيل جعلوها معرضة
لشمس ، فلما أحس الزئبق بحر النار أو الشمس سال وهو في حشو الحبال
والمعصى فحملها ، فيخيل للناس أنها تمشى . قالق موسى عصاه فصارت ثعبانا
ابتلعت ذلك كله .

(^١ يَدَسَا) : أى يابس ، وهو مصدر وصِفَ به ، وإنما كان يابسا
ليستطيعوا المرور عليه وبسرعوا (^٢) فيه ، فيذهب روعهم من لحوقِ فرعون
لهم . وأعظم من ذلك أن الله فتح لهم في البحر طقات ليرى من في هذا
الطريق من في هذا ، فيتأمنون [١٣٠ : ٤] لأنها كانت اثني عشر طريقا ،
فسيحان من لا يُعجزه شيء .

(^٣) يَتَخَفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا) : يعنى عشر ليال .
والضمير يهود على أهل القيامة فيسيرُ بعضهم إلى بعض ويقول : هل لبثتم
إلا يوما . وقيل : يعنى المُكث في القبور . والذي قال : إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا
أعلمهم بقلّة المُكث فيها . وفي الحقيقة فالدنيا والمُكث في القبور
كلمة البصر أو هو أقرب ، ولذلك يقول تعالى في آية أخرى : « (^١) كَانَهُمْ
يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبِسُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ » . فإذا لله وإنا إليه
راجعون على غفلتنا على ما يُراد بنا . الدنيا كلها ساعة ، وليس لك منها إلا
النفس الذى أنت فيه ، إذ كم من تنفس نفسا ففجأ الموت قبل النفس الآخر .
وسيلظهر لك تحقيق ذلك إذا انجلى النبار .

(١) طه : ٧٧ (٢) في الأصلين : ويسرعون . (٣) طه : ١٠٣

(٤) الأحقاف : ٣٠

(١) يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ؛ أى يحمل الجبال كالغبار ثم يفرقها .

(٢) يَمَّ : قد قدمنا أن المراد به البحر بالسريانية . وقال ابن الجوزى بالعبرانية . وقل شيلة بالقبطية .

(٣) يَرَّ كُضُونُ : الضمير يعود على الكفار ، والمعنى أنهم يوم القيامة يَرَّ كُضُونُ على أرجلهم تشبه لهم بمن يركض الدابة .

فإن قلت : قد قدمتم أنهم يحشرون على وجوههم ؟

فالجواب أن الملائكة تسوقهم بمعنى من نار ، فإذا رأوهم قاموا على أقدامهم يركضون فراراً منهم ، فنقول لهم الملائكة على وجه التهكم : لا تركضوا اليوم .

(٤) يَذْمُهُ ؛ أى يقيم عليه ويُبطله . وأصله من إصابة الدماغ بالضرب ، وهو مقتل .

(٥) يَنْشِرُونَ ؛ يعنى أن الآلهة التى اتخذها المشركون لا يقدرُونَ أن يَنْشُرُوا الموتى من الأرض ، فكيف تدعونها بالآلهة . والإله مَنْ له القدرة على الإحياء والإماتة .

(٦) يَفْخَصُونَ ؛ يعنى أن الشياطين كانت تدخل فى الماء لاستخراج الجواهر من البحار .

(٧) يَنْزِلُونَ ؛ أى يسرعون . ويقال مر الذئب ينزل ويعمل .

(١) طه : ١٠٥ (٢) طه : ٣٩ (٣) الأنبياء : ١٢ (٤) الأنبياء : ١٨

(٥) الأنبياء : ٢١ (٦) الأنبياء : ٨٢ (٧) الأنبياء : ٩٦

والضمير نيا جوج وما جوج؛ أى يخرجون فى كل طريق لكثرتهم . وقيل
لجميع الناس .

(^(١) يُصْهَرُ بِهِ مَافِى بَطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ) ؛ أى يَذَاب ؛ وذلك أَنَّ الْحِمَّ
إِذَا صُبَّ عَلَى رُءُوسِهِمْ وَصَلَ حَرُّهُ إِلَى بَطُونِهِمْ ، فَأَذَابَ مَا فِيهَا . وقيل : معنى
يُصْهَرُ يَنْضِجُ بِلِسَانِ أَهْلِ الْمَغْرِبِ ، حَكَاهُ شَيْذَةُ .

(^(٢) يَوْمَ عَقِيمٍ) : يعنى يوم بَذَرٍ ، لأنهم كانوا يظنون استئصال المسلمين ؛
لأنَّ اللَّهَ قَاتَلَهُمْ فِي أَعْيُنِ الْكُفَّارِ . وقد حضر فيها صناديدُ المشركين وشُجْعَانِهِمْ
فَأَمْسَكَ اللَّهُ مِنْهُمْ الْمَدِينِ ، وَكَانَ يَوْمًا عَظِيمًا ؛ لأنها كانت أول غزوة أَرَعَبَ اللَّهُ
بِهَا الْكُفْرَ وَأَرْغَمَهُمْ .

(^(٣) يَكَادُونَ يَسْطُونُ) : من السَّطْوَةِ ، وهى سرعة البَاطِشِ .

والضمير يعود على الذين كفروا . ويُعرَفُ ذَلِكَ فى وجوههم ببؤسها
وإعراسها .

(^(٤) يَنْجَارُونَ) ؛ أى يستغيثون ويصيحون . والضمير راجع على المأخوذِينَ
بِالْعَذَابِ ، فَإِنْ أَرَادَ بِهِمْ قِتَالُ الْمُتَحَرِّفِينَ يَوْمَ بَذَرٍ فَالْضَّمِيرُ فى يَحْأْوُونَ لِسَارِ
قَرِيشٍ ؛ أى نَاحُوا عَلَى الْقَتْلِ . وَإِنْ أَرَادَ بِالْعَذَابِ شِدَائِدَ الدُّنْيَا أَوْ عَذَابَ الْآخِرَةِ
فَالْضَّمِيرُ لَجَمْعِهِمْ .

(^(٥) يَا زِلْ) ؛ أى يحلف ، فهو من قولك : آليتُ إِذَا حَلَفْتُ . وقيل

(١) المجمع : ٢٠

(٢) المجمع : ٥٥

(٣) المؤمنون : ٦٤

(٤) المجمع : ٧٢

(٥) الزور : ٢٢

معناه : يقصر ، فهو من قولك : ألوت ، أى قصرت ، ومنه : « ^(١) لا يألونكم خبالاً » .

ونزلت الآية بسبب مسطح ، فإن أبا بكر كان يُنْفِقُ عليه ، فلما وقع في عائشة حلف ألا يُنْفِقَ عليه ، فصائبه الله على عدم النفقة ، وأمره برَدِّها . وهذه أرجى آية في كتاب الله ، لأن الله عاتب حبيبَه على عدوِّه ، وأمره بالمفروعه .

(^(٢) يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه ناراً) : مبالغة في وصف صفاته وحسنه .

(^(٣) يهدي الله لنوره من يشاء) ، أى يوفق الله من يشاء لإصابة الحق . فهنيئاً لك يا محمدى على هدايتك وتوفيقك . وكيف لا وقد سمى الله الإيمان في كتابه بنحو الثلاثين اسماً ؟ وهل ذلك إلا لمظهره ؛ قال تعالى : « ^(٤) اهتدنا الصراط المستقيم » . « ^(٥) ذلك الدين القيم » . « ^(٦) إليه يصعد الكلمُ الطيب » . الكلمة الطيبة : مثل كلمة طيبة ، « قولاً سديداً » . « العروة الوثقى » . وكلمة الله [٣٠٤ ب] هى العليا . وجعلها كلمة باقية في عقبه ، وألزمهم كلمة التقوى ، وقال صواباً « ^(٧) إن الدين عند الله الإسلام » . « ^(٨) إن الله يأمر بالعدل والإحسان » . « ^(٩) ولكن البر من اتقى » . « ^(١٠) من جاء بالحسنة » . « ^(١١) هل جزاء الإحسان إلا الإحسان » . « قل ^(١٢) أمر ربي بالقسط » . « ^(١٣) هو الذى أرسل رسوله بالهدى ، ودين الحق » .

(١) آل عمران : ١١٨ (٢) البور : ٣٥ (٣) العائفة : ٦ (٤) التوبة : ٣٦
(٥) قاطر : ١٠ (٦) آل عمران : ١٩ (٧) النحل : ٩٠ (٨) البقرة : ١٨٩
(٩) الأنعام : ١٦٠ (١٠) الرحمن : ٦٠ (١١) الأعراف : ٢٩
(١٢) التوبة : ٣٣

« (١) فَطَرَهُ اللَّهُ الَّذِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا » . « (٢) صِبْغَةَ اللَّهِ » . « (٣) مَلَّةٌ أَيْ يَكُمُ لِبَرَاهِيمَ » . شهد الله .

(٤) يَخَافُونَ أَنْ يَحْبِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ) : ضمير الفاعل يعود على الذين في قلوبهم مرض . وضمير المفرد يعود على الله ؛ ولما أسندته إلى الرسول ، لأنه يحكم بأمره وشرعه .

(٥) يَذْهَبُونَ) : يخرجون من الجماعة واحدا واحدا ، كفولك : سالت كذا من كذا إذا أخرجه منه .

(٦) يقول : أَأَنْتُمْ أَضَلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ) : التامض لذلك هو الله عز وجل ، والمخاطب المعبودون مع الله على الصوم ، وقيل الأصنام خاصة .

والأول أرجح لقوله (٧) : « نَمُ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهْؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ » . وقوله : « (٨) أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلهِينَ مِنْ دُونِ اللَّهِ » . و « أَمْ هُنَا مَعَادَةٌ لِمَ قَبْلُهَا » . والمعنى أن الله تعالى يقول للمعبودين : « أَأَنْتُمْ أَضَلَلْتُمْهُمْ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ مِنْ تِلْكَ أَنْفُسِهِمْ بِاخْتِيَارِهِمْ ، وَلَمْ تَضْلُوهُمْ أَنْتُمْ ؟ وَلَاجِلِ ذَلِكَ تَبَيَّنَ هَذَا الْمَعْنَى بِقَوْلِهِ : « هُمْ » لِيَتَحَقَّقَ إِسْنَادُ الضَّلَالِ إِلَيْهِمْ ، وَإِنَّمَا سَأَلَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى هَذَا السُّؤَالَ مَعَ عَلَيْهِ بِالْأُمُورِ لِيُؤَيِّدَ الْكُفْرَانَ الَّذِينَ يَعْبُدُونَهُمْ » .

(١) الروم : ٣٠ (٢) البقرة : ١٣٨ (٣) الحج : ٧٨

(٤) التور : ٥٠ (٥) التور : ٦٣

(٦) المرقان : ١٧ ، والآية : فيقول . . . (٧) سبأ : ٤٠

(٨) المائدة : ١١٦

(^(١) يَكُونُ لِزَامًا) ؛ أى يكون العذاب ثابتا ، وإنما أضمره وهو اسمُ كان ، لأنه جزاءُ التكذيب المتقدم . واختلف هل يكون العذاب هنا القتل يوم يذُر ، أو عذاب الآخرة ؟

(^(٢) يَضِيقُ صَدْرِي) : بالرفع عطفا على أخاف ، أو استئناف . وقرئ بالنصب عطفا على يكذبون .

(^(٣) يَوْمَ لَا يَنْتَفَعُ) وما بعده منقطع عن كلام إبراهيم ، وهو من كلام الله تعالى . ويحتمل أن يكون من كلام إبراهيم .

(^(٤) يَنْبِئِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَعْطِیْعُونَ) ؛ أى لا يستطيعون من الحكمة ، لأنهم منموا من استراق السمع مذبح نبينا صلى الله عليه وسلم ولا يقدرون عليه ، فكيف يقرون إن هذا القرآن كهنة تنزلت به الشياطين . ونقطة « يَنْبِئِي » تارة تستعمل بمعنى لا يمكن ، ومعنى لا يليق .

(^(٥) يَهَيِّمُونَ) ؛ استعارة وتمثيل . والمعنى إن الشعراء يذهبون في كل وادٍ من الكلام الحق والباطل ، ويفرطون في التجويز حتى يخرجوا إلى الكذب .

(^(٦) يَسْتَصْرِخُهُ) ؛ أى يستغيث بموسى ، وذلك أنه لقيه قاتلُ القبطى بالأمس يقاتلُ رجلا آخر من القبط ، فاستغاث بموسى لينصره كما نصره بالأمس ، فَعَظُمَ ذلك على موسى ، وقل له : « ^(٧) إِنَّكَ لَفَوْىٌّ مُبِينٌ » .

(يَتَرَقَّبُ) في الموضعين ^(٨) ؛ أى يتجسس هل يطلبه أحد ، لأنه شاع

(١) الفرقان: ٧٧ (٢) الشعراء: ١٣ (٣) الشعراء: ٨٨ (٤) الشعراء: ٢١١

(٥) الشعراء: ٧٢٥ (٦) القصص: ١٨ (٧) القصص: ٢١، ١٨

كبره من الإسرائيلى الذى قال له : أتريد أن تقتلنى كما قتلت نفساً بالأمس ، فلما سمع القبطى ما قال الإسرائيلى انطلق إلى فرعون فأخبره بذلك ، فأمر فرعون بقتل موسى ، ولهذا قيل : **عدو** عاقل خير من صديق جاهل ، والإشارة فيه أن موسى عليه السلام كان كريماً ، والإسرائيلى لئيماً ، فلم ينظر موسى إلى لومه ، واسكن عاملاً بكرمه .

وانت يا محمدى كيف يعاملك ربك ، وقد أقررت له بالوحدانية ولنبيّه بالرسالة ، وقد أعطاك واصطفاك من غير سؤال منك ، أحببك وأقرضك ، وأسغ عليك نعمة ظاهرة وباطنة ، وأعذر إليك بقوله : **« (١) ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض »** ، ووعدك بإجابتك . فمن أولى منك بالكرامة ؟

فإن قلت : كيف يستغيب الإسرائيلى موسى وقد أراد موسى أن يبطل بالقبطى الذى هو **عدو** لما ، ثم قل له : أتريد أن تقتلنى ؟

والجواب : يحتل أن الإسرائيلى لما رأى موسى يبطل بالقبطى وهو غضبان كغضبه بالأمس خاف أن يكون أرادته ، ولم يرده موسى . أو لما رأى عجز موسى عن استصراحه لما صدر منه بالأمس من القتل فضحه الإسرائيلى .

(٢) يَأْتِمِرُونَ بِكَ لِيُقْتَلُوكَ : لما أمر فرعون بقتل موسى أخبره من حضر عند فرعون ، أو أخبره من سمع الخبر ، وقل له : سمعتم يتآمرون [١٣٠٥] بك لما قتلت القبطى . ونصت آية القصص بتقديم الرجل في قوله

تعالى : « وجاء رجل » ؛ لأن قبله : فوجد فيها رجلين يقتتلان . وخصت سورة يس بالتأخير ؛ لأنه كان يعبد الله في جبل ، فلما سمع خبر الرجل سمى مستجبلا .

وقد قلنا أن السعي من أوصاف الإسراع في قوله تعالى : « ^(١) يَأْتِيَنَّكَ سَعْيًا » . فانظروا هناك .

(^(٢) يُصْدِرُ الرَّعَاءُ) ، بضم الياء وكسر الدال قبل متعد ، والمفعول محذوف تقديره يصدر الرعاء مواشيهم . وقرئ بفتح الياء وضم الدال ؛ أي ينصرفون عن الماء .

(^(٣) يومئذ يفرح المؤمنون . بنصر الله) : روى أن غلب الروم لقارس وقع يوم بذر . وقيل يوم العديبية ؛ ففرح المسلمون بنصر الله لهم على قريش . وقيل : فرح المؤمنون بنصر الله لهم على الفرس ؛ لأن الروم أهل كتاب ، فهم أقرب إلى الإسلام ، وكذلك فرح الكفار من قريش بنصر الفرس على الروم ؛ لأن الفرس ليسوا بأهل كتاب ، فهم أقرب إلى كفار قريش . وروى أنه لما فرح الكفار بذلك خرج إليهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه فقال : إن نبينا صلى الله عليه وسلم قد أخبرنا عن الله أنهم سيذبحون ، وراهم عشر قلاص إلى ثلاث سنين ، وذلك قبل أن يحرم القمار ، فقال صلى الله عليه وسلم : زدكم في الرهن واستزدكم في الأجل ، فجعل القلاص مائة والأجل تسعة أعوام ، وجعل مع أبي بن خلف مثل ذلك فلما وقع الأمر على ما أخبر الله به أخذ أبو بكر القلاص من ذرية أبي بن خلف ؛ إذ كان قد مات ، وجاء

(١) البقرة : ٢٦٠ (٢) القصص : ٢٣

(٣) الروم : ٥ ، ٤ ، ٣

إلى النبي صلى الله عليه وسلم فتصدق بها .

(^(١) يَرْبُو) : يزيد . وقد سنا أن عتوبة الربا تحقق المال ، ومحاربة الله ،
والسكفر ، والخلود في النار . وقيل : إن شرب الخمر ، وأكل الربا ، وأموال
اليتامى ، وترك الصلاة ، والزنى يخاف على صاحبها من سوء الخاتمة . وهذا
كأنه موجود في كتاب الله . اللهم إني أعود بك من همزات الشياطين ، وأعوذ
بك رب أن يحضرون .

(^(٢) يَوْمَنْذٍ يَصْدَعُونَ) : من الصدع ، وهو الفرقة ؛ أى يتفرقون : فريق
في الجنة وفريق في السعير .

(^(٣) يَهْدُونَ) : يهتدون ، وهو استعارة من تمهيد الفِراش ويحوه .
واعنى أنهم يفعلون ما ينفعون به في الآخرة .

(^(٤) يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ) : أى يخرج المطر من شقوق السحاب الذى بين
بعضه وبعض ، لأنه متخلل الأجزاء .

(^(٥) يَوْمَ كُونَ) : أى مثل هذا الصرف ، كانوا يُصرفون في الدنيا عن
الحق ، والتحقيق حتى يروا الأشياء على غير ما هي عليه .

(^(٦) يَوْمَ الْبَيْتِ) : تقرير لهم ، وهو في المعنى جواب الشرط مقدر ،
تقديره إن كنتم تنكرون البعث فهذا يوم البعث .

(^(٧) بِسَخْفِكَ) : من الخفة : أى لا تضرب لكلامهم ، وانصبر ،
ما وعدك الله به من النصر فمن قريب يكون .

(١) الروم : ٣٩ (٢) الروم : ٤٣ (٣) الروم : ٤٤ (٤) الروم : ٤٨

(٥) الروم : ٥٥ (٦) الروم : ٥٦ (٧) الروم : ٦٠

(^١) يَسْتَمْتَبُونَ) ؛ من الْمُتَبَيِّ ، بمعنى الرضا ؛ أى لا يرضون ، وليس استغل هذا للطلب ، ويفهم من هذا أن المؤمن يستغيب ، أى يطلب منه العُتْبَى ، وقد قدمنا أن الله قال : لولا أنى أحب العتاب ما حاسبت أمتك . وقال بعضهم :

تَبَادَلْنَ السَّابَّ عَلَى لَوْتِيَابٍ وَصَفَوْا الْوُدَّ يُعْرِفُ بِالْعِتَابِ

(^٢) يَذِيرُ الْأَمْرَ) ؛ أى واحد الأمور . وقيل : المأمور به من الطاعات .
والأول أصح .

(^٣) يَخْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ) : قال ابن عباس : المعنى ينفذ الله قضاءه من السماء إلى الأرض ، ثم يخرج إليه خيراً فلك في يوم من أيام الدنيا مقداراً ، لو سیر فيه السير المعروف من البشر ، ألف سنة ؛ لأن ما بين السماء والأرض خمسمائة ، فالف ما بين نزول الأمر إلى الأرض وعروجه إلى السماء . وقيل : إن الله يلقى إلى الملائكة أموراً ألف سنة من أعوام البشر ، وهو يوم من أيام الله ، فإذا فرغت ألقى إليهم مثلها ، فالمعنى إن الأمور تنفذ عنده لهذه المدة ، ثم تعبر إليه آخراً ؛ لأن عاقبة الأمور إليه ، فالعروج على هذا عبارة عن مصير الأمور إليه .

(^٤) يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ) : قد قدمنا أن اسمه عزرائيل ، وبين يديه ملائكة ، من تَوَفَّى العدد واستيفائه . والتوفى من الله الإذن في قبض الأرواح ، ومن الملائكة نزع الروح ، ومن ملك الموت

(١) الروم : ٥٧ (٢) يونس : ٣ ، ٣١ ، والرعد : ٢ ، والمجدة : ٥

(٣) المجدة : ٥ (٤) المجدة : ١١

[٣٠٥ ب] القبض ، ومن الرسل معاونة ملك الموت ، وهذا يتضح لك
الجمع بين الآيات ^(١) الثلاث .

(^(٢) يَتْرِبَ) : مدينة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وُسِّمَتْ به حكاية
عن المناهقين . وكان اسمها في الجاهلية ، قليل لأنها اسم أرضي هي في ناحيتها .
وقيل سُمِّيت بِتَرْبٍ ^(٣) بن مهلايل من بني إرم بن سام بن نوح ، لأنه
أول مَنْ نَزَلَهَا . وقد صحَّ النَّهْيُ عن تسميتها به ، لأنه صلى الله عليه وسلم
كان يكره الاسم الخبيث ، وهو يُشعر بالتَّريب ، وهو الفساد ، أو التَّريب ،
وهو التَّوْبِيخ . ومنه : « لَا تَتْرِبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَنْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ » .
وقوله : « الْيَوْمَ » راجع إلى ما قبله ، فيوقف عليه . وهو يتعلق بالتَّريب أو
بالتَّدرى « عَلَيْكُمْ » من معنى الاستمرار . وقيل : إنه يتعلق بِيَنْفِرُ ، وذلك
بعبء ، لأنه تحكُّم على الله ؛ وإنما ينفِرُ دعاء ، فكأنه أسقط حقَّ نفسه بقوله :
« لَا تَتْرِبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ » ، ثم دعا إلى الله أَنْ يَنْفِرَ لَهُمْ حَقَّهُ .

(^(٤) يَفْنَتْ) : بلياء حلا على لفظ من . وقرئ « بالتاء حلا على المي » ،
وكذلك « ^(٥) تعمل » . والقنوت هنا بمعنى الطاعة .

(^(٦) يَوْمَ تَقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ) : السَّامِلُ فِي « يَوْمَ » قوله : « ^(٧) يَقُولُونَ »
أو « ^(٨) لَا يَجِدُونَ » ، أو محذوف .

(١) في النساء (٦١) : حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا . وفي النساء (٩٧) :
إن الذين توفاهم الملائكة . والثالثة في هذه الآية .

(٢) الأحزاب : ١٣ (٣) في معجم البلدان : تَرِبَ من قانية بن مهلايل .

(٤) يوسف : ٩٢ (٥) الأحزاب : ٣١ (٦) الأحزاب : ٦٦

(٧) الأحزاب : ٦٥

وتقلبُ وجوههم تصرفُها في جهاتِ النار كما تدورُ البضعة في القلب إذا غَلَت من جهة إلى جهة ، أو تغيرها عن أحوالها .

(١) يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِقْتُمْ كُلٌّ مِّنْكُمْ : معنى مُزِقْتُمْ أى بَلَيْتُمْ في القبور وتقطعت أوصالكم ، « وكلٌّ مَزَقٌ » مصدر . « واخلق الجديد » (٢) : هو الحشر في يوم القيامة والعامل في « إذا » معنى إنكم لنرى خلقاً جديداً معقول يُنبئكم ، وكسرت إن للام التي في خبرها ؛ ومعنى الآية إن ذلك الرجل يخبركم أنكم تبعثون بعد أن بَلَيْتُمْ في الأرض ، ومرادهم استبعاد الحشر .

(٣) يَرَوْنَ إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ : الضمير للسكران المسكرين للبعث . وجعل السماء والأرض بين أيديهم وخلفهم ، لأنها محيطتان بهم . وللمنى ألم يَرَوْنَ إِلَى السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ فَيَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَخْلُقُ مَا هُم بِمَعْبُودِينَ . والمعنى أنهم بعد موتهم . ويحتمل أن يكون المعنى تهديداً لهم ، لأنه فسر بقوله : « (٤) إِنَّ مَثَاقِلَ نَارٍ فِي السَّمَاءِ ، أَوْ تُسْقِطُ عَلَيْهِمْ كِسَافًا مِنَ السَّمَاءِ » .

(٥) يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَالْأَنْبِيَاءَ : الضمير لداود ، تقديره : قل يا جبال . والجملة تفسير للفضل . ومعنى أَوِّبِي سَجَّيْ . وأما من التأويب بمعنى السَّير بالهجر ، وقيل كان ينوح فتسعد الجبال بصدائها والطير بالرفع عطف على لفظ يا جبال ، وبالنصب عطف على موضع يا جبال . وقيل : هو مفعول معه . وقيل عطف على « (٦) فضلًا » .

(٧) يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ . . . : الآية : أخبار تتضمن الردَّ

على قولهم^(١) : « نحن أكثر أموالاً وأولاداً » ؛ لأنَّ بَسَطَ الرزق وقبضه في الدنيا متعلق بمشيئة الله ، فقد يوسع الله على الكافر والعامي ، ويضيِّق على المؤمن والطيع ، وبالعكس .

وقد حكى أن مدينة بيلاد السودان إذا ملكها المسلمون صار أرضها تراباً ، وإذا ملكها الكفار صار أرضها تبرا ، فأسمها المسلمون للكفار على إعطاء الجزية ، وهذا ليس بحجَب ؛ إذ لو كانت الدنيا تزنُّ عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً جُرْعَةً ماء . والمقصودُ منها التقوُّت لما يوصل إلى الآخرة .

وحكى وهب بن منبه أن ملكين التقيا في السماء الرابعة يهبطان إلى الأرض ، فقال أحدهما للآخر : إن الله أمرني أن أرسل الموت القلاني لليهودي القلاني لأنه اشتهاه . فقال الآخر : وإن العابد القلاني يصوم وأراد إفطاره على الخبز والزيتون ، وأمرني أن أهبطه له . فانظر هذا ؛ فإن تيسير الشهوات ليس من أسباب السعادة ، وإن الله ليزود وليه عن الدنيا ويحميه عنها لئلا يشتغل بها ، «^(٢) ولولا أن يكون الناس أمة واحدة ... الآية . ونحن قد بسط [٢٩٦ م] لك فيها ، وتمتّعنا بها ، فانظر عاقبتنا يوم تكون ا

فإن قلت : ما فائدة تكرار هذه الآية ، وإبراز « من عباده » في الثانية من سورة سبأ^(٣) ؟

والجواب : أن الله كررها لاختلاف المقاصد ، والردُّ على الكفار في أقوالهم ، وترغيب المؤمنين في الإعراض عنها والرجوع إلى من يده مقاليدها .

وأبرز الضمير في ثانية سبأ ترغيباً لعباده في إنفاقها والخروج منها ، وسلامهم بوعده بالخلف ، وأنهم إن خرجوا عنها يخلقه لهم ؛ ورعده حقاً ؛ ولهذا أشار عليه السلام بقوله : ما نقص مالٌ من صدقة .

فإن قلت : قد وجدناه ينقص في العدد ؟

والجواب أنه ليس بنقص ؛ لأنه لا يأتي عليه إلا أيام قلائل فيعود أكثر مما كان ، وهذا مشاهد . وقد يكون الخلف من حيث لا يظن . وقد يكون بالثواب المدخر أو بتكفير السيئات ، كما قال تعالى : ﴿ ^(١) إِنْ تَبَذُّوا الصَّدَقَاتِ ... الآية . أو بالطهارة ، كما قال ﴿ ^(٢) : خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ ، والإضاف ؛ قال تعالى : ﴿ ^(٣) الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ . وَاقْبُولْ : ﴿ ^(٤) هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ .

وقد جعل الله جميع الطاعات على ثلاثة أقسام : جعل على اللسان التوحيد والذكر والاستغفار والدعاء ، وثوابها عشر أمثالها . وعلى المال الصدقة والزكاة والفقة ، وثوابها واحد لسبعائة . وعلى القلب الصبر والقناعة والشكر والرضا ، وثوابها خير حساب .

(^(٥) يَقْذِفُ بِالْحَقِّ) : القذف : الرمي ، ويستعار للالقاء ؛ فالعنى يلقى الحق إلى أنبياءه ، أو يرسي الباطل بالحق فيذهب ، ولعلك قال : ﴿ ^(٦) وما يُبْدِيهِ الْبَاطِلُ وما يُعِيدُ ؛ فنقضى الإبداء والإعادة عبارة عن أنه لا يفعل

(١) البقرة : ٢٧١ (٢) التوبة : ١٠٣ (٣) البقرة : ٢٦٢

(٤) التوبة : ١١ (٥) سبأ : ٤٨ (٦) سبأ : ٤٩

شيئا ولا يكون له ظهور ، أو عبارة عن ذهابه .

(١) يَقْذِفُونَ بِالْفَيْبِ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ : معطوف على (١) كَفَرُوا .
والمعنى أنهم يرمون بظنونهم في الأمور الغيبة ، فيقولون : لا بحث ولا جنة
ولا نار . ويقولون في الرسول عليه الصلاة والسلام : شاعر أو ساحر ، والمكان
البعيد هنا عبارة عن بطلان ظنونهم وبُعد أقوالهم عن الحق .

(٢) يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ : قيل حسن الصوت . وقيل حسن الوجه .
وقيل حسن الخط . ولأظهر أنه يرجع إلى أجنحة الملائكة ، أو يكون على
الإطلاق في كل زيادة في المخلوقين .

(يسر) ، بفتح الياء والسين : الرجل الذي يشتغل باليسر ، وجمعه أيسار ،
وهو القمار في الترد والشطرنج وغير ذلك . وهو مأخوذ من يسر لى كذا
إذا وجب . وقد قدمنا أن ميسر العرب عشرة أقداح ، وهي الأزلام لكل
واحد نصيب معلوم من دقة يُجَزَّأُونَهَا عشرة أجزاء ، ثم يدخلون الأزلام في
خريطة ويضعونها على يدي عدل ، ثم يدخل يده فيها ، فيخرج باسم كل رجل
قدحاً ، فمن خرج له قدح له نصيب أخذ ذلك النصيب ، ومن خرج له قدح
لا نصيب له غرم ثمن الناقية كلها :

(٣) يَحْبِقُ : يحيط .

(يس) : من أسماءه صلى الله عليه وسلم ، ومعناه يا إنسان ، بلسان الحبشة ،
قاله ابن عباس . وقال سعيد بن جبير : يارجل ، بلغة الحبشة .

(٤) يَخِصُّونَ : أصله يختصمون ثم أدم ، ومعناه يتكلمون في أمورهم .

وَقَرَىٰ بَفَتْحِ الْخَاءِ وَكَسْرِهَا وَاخْتِلَاسِ حَرَكَتِهَا .

(١) يَحِقُّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ) ؛ أَيْ يَجِبُ عَلَيْهِمُ الْعَذَابُ .

(٢) يَسْتَسْخِرُونَ) : مَعْنَاهُ يَسْخَرُونَ ، فَيَكُونُ فَعْلٌ وَاسْتَفْعَلٌ بِمَعْنَى وَاحِدٍ . وَقِيلَ مَعْنَاهُ يَسْتَدْعِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا لِأَنَّهُ يَسْخَرُ . وَقِيلَ : يِيَالْتَوَنُ فِي السُّخْرِيَةِ .

(٣) يَقْطِينِ) : كُلُّ شَجَرٍ لَا يَقُومُ عَلَى سَاقٍ كَالْقَرَعِ وَالْبَطِيخِ وَنَحْوِهَا . وَالْمَعْنَى أَنَّ اللَّهَ أَنْبَتَ عَلَى يُونُسَ لَمَّا خَرَجَ مِنْ بَطْنِ الْحُوتِ الْقَرَعُ بِظِلِّهِ مِنْ حَرِّ الشَّمْسِ . وَقَدْ كَانَ رَقٌّ جُلْدُهُ ، وَكَانَتِ الذَّبَابُ تَوَذِيهِ . وَالسَّرُّ فِيهِ أَنَّ وَرْقَهُ كَبِيرٌ ، وَمَسَّهُ فِيهِ لَبَنٌ ، وَالذَّبَابُ لَا يَقْرُبُهُ ؛ وَلِذَلِكَ قُلُ الذَّقَاشِ : إِنْ مِنْ رَشٍ بِمَاءِهِ الْبَيْتَ لَمْ يَقْرُبِهِ الذَّبَابُ .

فَهَذِهِ شَجَرَةٌ مَنَعَتْ يُونُسَ مِنَ الْإِذَابَةِ ، أَفَلَا تَتَنَعَّ يَا مَعْدِي شَجَرَةُ الْإِيمَانِ مِنَ إِذَابَةِ الشَّيْطَانِ ، وَيُنَجِّيكِ رَكَّتُهَا مِنَ الدَّخُولِ [٣٠٦ ب] فِي الْغِيَرَانِ ؟ وَفِي الْخَبَرِ : لَمَّا صَحَّحَ يُونُسَ ، وَرَجَعَ إِلَى قَوْمِهِ ، وَجَدَ الشَّجَرَةَ قَدْ جَفَّتْ فَافْتَتَمَ لَذَلِكَ ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ : اغْتَنِمْتَ عَلَى شَجَرَةٍ يَبْسُتْ وَلَمْ تَفْتَتِمْ عَلَى هَالِكٍ مِائَةَ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ أَفَلَا تَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ نَبِيَّهُ بِالْمَصْرِ عَلَى أُمَّتِهِ ، وَالِدُعَاءِ لَهُمْ ، فَقُلْ : اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ . هَؤُلَاءِ دُعَاهُمْ ، وَاعْتَذَرُوا عَنْهُمْ ، وَقَدْ عَصَوْهُ ، وَكَسَرُوا رِبَاعِيَّتَهُ ، وَشَجَّوْا وَجْهَهُ ، كَيْفَ لَا يَنْتَمِ لِلْعَصَلِيِّ عَلَيْهِ وَذَاكَ كَرَاهٍ فِي كُلِّ سَاعَةٍ بِالسَّلَامِ عَلَيْهِ .

وَقَدْ أَمَرَهُ اللَّهُ بِالْأَلْفِ يَكُونُ كَصَاحِبِ الْحُوتِ فِي الْفِرَارِ مِنْ قَوْمِهِ ، بِمَعْنَى تَفَارِقِ أَمْنِكَ حِينَ يَنْزِلُ الْعَذَابُ عَلَيْهِمْ ، فَقَالَ : رَبِّ عَامِلُهُمْ بِخِلَافِ مَا تَعَامَلُ بِهِ

الأمم ، فأزل الله تعالى : « (١) قل هو القادرُ على أن يبعثَ عليكم عذاباً من فوقكم أو من تحت أرجلكم ، ياتلف المسخ ، وريح والصواعق ، فقال : اللهم إني أعوذُ بوجهك من ذلك ، فرفع الله عنهم العذابَ وهم كفّار ومناققون ؛ ألا يرفعهُ هنك يا محمدى وأنت مؤمن به ومصدق له ! اللهم بحرمته لَدَيْكَ لا تحرمنا رؤيته في الدنيا والآخرة .

(٢) (يَرْقُونَ) ؛ أى يسرعون . وقرئ : بضم الياء ونصب الزاى ، أى يصيرون إلى الزيف .

(٣) (يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ) : يعنى يستمعون القولَ على العموم فيتبعون بأعمالهم أحسنَهُ ، من المعفو الذى هو أحسنُ من الاتقصار ، وشبه ذلك . وقيل : هو الذى يسمع حديثاً فيه حسنٌ وفتيح ، فيحدث بالحسن ويكف عما سواه .

وهذا قولُ ابن عباس : وهو الأظهر . وقال ابن عطية : هو عامٌ فى جميع الأقوال . والقصدُ الثناء على هؤلاء ببعثهم ونظر مديد يفرقون به بين الحق والباطل ، وبين الصواب والخطأ ، فيتبعون الأحسن من ذلك .

(٤) (ينابيع) : جمع ينبوع ، وهو العين .

(٥) (يَهِيْجُ) : يهيج ، لقوله (٦) : « فترأى مصفراً » .

(٧) (يُرِيكُمْ آيَاتِهِ) : يعنى الملامت الدالة على مخلوقاته ومعجزات رسله .

(١) الأنعام : ٦٥٤ (٢) الصافات : ٩٤ (٣) الزمر : ١٨

(٤) الزمر : ٢١ (٥) طاهر : ١٣

(١) يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا . (.
الآية : من أعظم آيات الرجاء ؛ لسؤال الملائكة لهم بالرحمة والجنة .
فإن قلت : حملة العرش والملائكة كلهم مؤمنون به سبحانه ، فما فائدة
الإخبار بقوله : « يؤمنون به » ؟

والجواب : إظهاراً لقضية الإيمان وشرقه ، والترغيب فيه ، كما وصف
الأنبياء في غير ما موضع من كتابه بالصالح ؛ كقوله : « (٢) وَنَبِيًّا مِنَ
الصَّالِحِينَ » . ومعلوم أن الأنبياء من أهل الإيمان والصالح ، وكما أعقب أعمال
الخير بقوله : « ثم كان من الذين آمنوا » ، فأبان بذلك فضل الإيمان . وقد
ذكر (٣) الزمخشري أن فيه فائدة أخرى ؛ وهي أن معرفة حملة العرش بالله تعالى
من طريق النظر والاستدلال كسائر الخلق لا بالرؤية ، وهذه نزعة منه إلى
مذهب المعتزلة في استحالة رؤية الله تعالى .

وتأمل يا محمدي إلى عظيم التناسب المرعي بين قوله : « يؤمنون به » ،
« ويستغفرون للذين آمنوا » نجد فيه تنبيها على أن الاشتراك في الإيمان يجب
أن يكون ادعى شوره إلى النصيحة ، وأبش على إتحاض الشفقة ، وإن تفاوتت
الأجناس ، وتباعدت الأماكن ؛ فإنه لا تجانس بين ملك وإنسان ، ولا بين
سماوي وأرضي قط ، ولا جمع الإيمان جاء معه التجانس الحقيقي ، والتناسب
الكلّي ، حتى استغفر من حول العرش لمن في الأرض مع عظم أجرامهم
وقوتهم ؛ قال صل الله عليه وسلم : أذن لي أن أحدث عن ملك من حملة
العرش بين شعبة أذنه وعاتقه مسيرة سبعمائة سنة .

فانظر يا محمدى ما أعظم فيمتك^(١) الأنبياء والملائكة يستغفرون ، ونبئك
أمر إخوانك بالاستغفار لك ؛ قال : من استغفر لوالديه والمؤمنين والمؤمنات
كل يوم خمسا وعشرين مرة أو سبعا وعشرين - أحد الدين - كان من
الذين يستجاب دعاؤهم ، ويرزق بهم أهل الأرض . ودعاء الأبدال^(٢) أن
تقول بعد كل صلاة : اللهم أصلح أمة محمد ، اللهم ارحم أمة محمد ، اللهم فرج
عن أمة محمد ، اللهم اقفر لأمة محمد ، ولجميع من آمن بك .

ولما دعا الله مبسوطاً بساط الأرض ، ومهدّ مهادها لترتيب [١٣٠٧]
المسكوبات ففخرت عليها السموات ، فنكست رأس الانكسار ، ومدّت يد
الاستعانة إلى عين الجود ، فجادلها بقطع حبة من جادها :

(^٣ يا سماء) : إن كنت فخرت بالشمس لظهور الموجودات ، فأين
مثل شريعة نبينا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم في ظهور الغيب : شمس
السماء لها أقول ، وشمس شريعة محمد ليس لها أقول .

وإن افخرت بحسن القمر ونوره فأينك من حسن سُنَّته الشرق ونوره
إذا كُفيت شمك ، وخسف قمرك ؛ فالشفعة من أهل الأرض ، والشافع
أفضل من المشفع فيه .

وإن افخرت بالنجوم للاهتداء فنجوم الصحابة معلومة للاقتداء على
معد صدق ، إن كان من النجوم رجوم للشياطين ؛ فمُرّ فقّاعين الرئيس إبليس ،
وشهب إيمانه توفيه قمره فلا يسلك عمر رجاً إذ هرب منه إبليس .

(١) الأبدال : قوم هم بليم الله الأرض ، لا يموت أحدهم إلا قام مكانه آخر من سائر
الناس : (قاموس - بدل) .
(٢) هود : ٤٤

وإن فخرت بالروح المحفوظ فلوح الغيب يكتب بيد الخالق ، كتب في
قلوبهم الإيمان .

وإن فخرت بسعة الكرسي فأين هو من سعة : وسعى قلب
عبدى المؤمن .

وإن فخرت بتفخ إسرائيل للأرواح لإحياء الأجساد فأين أنت من نفخة
حييت بها القلوب إلى يوم التناد .

وإن فخرت بملو من الملوك الأملاك قصيدة الاقتصاد أشهر من
« قفا نيك » . هذا عزرائيل كان إمام القربين فتفقس بنفس فسقى كنس
أسف . هاروت وماروت ، استير لما شهرة الشهرة فجرى ما جرى ، وعند جبهة
الحبر اليقين ؛ فكيف بمن عجت بها طينة تركيبه ، وعقل عقله
بمقل الهدى !

وإن فخرت بالمافين المسبحين ، فكم على أرض الدجاء من أمة قائمة ؟
كم في رواشن^(١) الأسحار من سمار المستغفرين .

وإن فخرت بشفقة ميكائيل وحيائه ، فكم حي أحياء بشفقة أبي
بكر وأحيائه .

وإن فخرت بقوة جبريل وإقدامه فأينك من قوة عمر وإقدامه يوم قال :
والله لا يُعبَد الله سرّاً بعد اليوم ، فسرى نحو السكبة ، فسرى عن الإسلام
غمة النعم .

وإن فخرت بنزول القاطر لإحياء مَوَاتِ النبات ، فأين أنت من مواكب

(١) الروشن : الكوة (الغاموس) .

المبرات لإحياء القلوب الموات ، فكم صدر شرح للإسلام ؛ فهو أوسع من
سِذْرَةِ النّهي .

وإن افتخرت بأن الجنة فيك فقد اشتاقت إلى تسليم سلمان إذا تمهد ملك
الجنة لما كن ، فاللائكة خدام يدخلون عليهم من كل باب ، سلام عليكم
ليحفظوا بحظ الرد ، إنما علا قدر المقرين لما أطلق لهم من ديوان الخاص
والعام ، ويستغفرون للذين آمنوا .

وإن فخرت بالعرش والطائفين ؛ فأين أنت من البيت والطائفين ما في
زاوية العرش حجر سود بالسودد أدرج في درجة درج الميثاق . يوم السبت لما
أهبط آدم تنشور الولاية إلى الأرض مهدت له دار الملسكة قبل الوصول ،
وزينت حرمة الحرم للحرم والإحرام باب الاستغاثة ، وعرفات باب دخول
المسائل لنيل الوسائل ، فما بنى البيت أذن الله خليله عليه السلام بالأذان
على صومعة أبي قبيس يتأذين ، وأذن قال : يارب ، وأين يبلغ أذاني ؟ قيل :
يا إبراهيم منك الأذان وعلينا البلاغ .

قلما دعا النداء من باطن الحجر أرفع من وقع له يوم : « ألت بربكم »
بفيض المبلغ ، فتزاحوا على باب الإجابة ، شعارهم لبّيك اللهم لبّيك !

فإن قلت : كيف يصح أن يقال : وسع كل شيء ؟

فالجواب إن الرحمة والعلم هما الذان وسعا كل شيء في المعنى ، والأصل
وسع كل شيء رحمتك وعلمك ، ولكن أزيل الكلام عن أصله بأن
أسند الفعل إلى صاحب الرحمة والعلم ، وأخرجنا منصوبين على التمييز ، لا إغراق
في وصفه بالرحمة والعلم ، كأن ذاته رحمة وعلم وبسكان كل شيء ؛ وهذا

نحو قولهم : تفقأت شحما ، وتصيب عرقا .

فإن قلت : قد ذكر الرحمة والعلم فوجب أن يكون ما بعد الله ، مشتملا على حديثهما جميعا ، وما ذكر إلا القرآن وحده ؟

والجواب : فلتقر الذين علمت منهم التوبة ، واتباع سيالك .

فإن قلت : ما الفائدة في استغفارهم لهم وهم تائبون صالحون موعودون بالتغفرة ، والله لا يخلف الميعاد ؟

قلت : هذا بمنزلة الشفاعة ، وفائدته زيادة الكرامة والثواب .

بأن قلت : هل قيدت هذه الآية الآية المطلقة في حم عسق ، وهي قوله : ^(١) « وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ » ، لأنه معلوم أن الملائكة صلوات الله وسلامه عليهم لا يستغفرون لكافرين ؟

والجواب : بمحتمل أن يكون استغفارهم لهم بمعنى طلب هدايتهم والتغفرة لهم بعد ذلك ، كما استغفر إبراهيم عليه السلام لأبيه ، واستغفار نبينا للمنافقين . ولما تقدم هذه الآية : ^(٢) « غَاْفِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ » ناسب استغفار الملائكة للمؤمنين منهم ، يشهد لهذا قوله بعده : ^(٣) « فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا » ، ولما تقدم آية الشورى : ^(٤) « تَسْكَدُ السَّمَوَاتُ بِتَقَطُّرْنِ مِنْ فَوْرَيْنِ » ناسب استغفار الملائكة لمن في الأرض لإبقاء السر : إذ لا يقوتونه ، وقد يؤمن من صفت له السعادة منهم .

(^(٥) يُرِيكُمْ آيَاتِهِ) : هذا عموم بعد ما قدم من الآيات الخصوصية ،

(١) الشورى : • (٢) غافر : ٣ (٣) غافر : ٧ (٤) الشورى : • (٥) غافر : ١٣

والذلك وبخهم بقوله : « (١) ماى آيات الله تنكرون » .

(٢) تكاد السموات يتفطرن من فوقهن) ؛ أى يتشقن من خوف
الله وتمظيم جلاله . وقيل من قول الكفار : « (٣) اتخذ الله ولداً » ؛ فهى
كآية التى فى (٤) مريم .

قال ابن عطية : وما وقع المفسرين من ذكر الثقل هنا مردود ، لأن الله
تعالى لا يوصف به .

فإن قلت : لو أراد تشقق السماء من قول الكفار لقال من فوقهم ،
وما وجه اتصال التسييح والاستغفار من الملائكة بهذه الآية ؟

والجواب : إن المعنى تشقق السموات من أعلامهن ، وذلك مبانة فى
التحويل . وقيل الضمير للأرضين ؛ وهذا بعيد . وقيل الضمير للكفار ، كأنه
قال من فوق الجماعات الكافرة التى من أجل أقوالها تكاد السموات تتفطرن .
وهذا أيضا بعيد .

ووجه تسييح الملائكة تعظيم الله تعالى من تشقق السموات من عظمته
وجلاله ، أو من كفر بى آدم فيزهون الله من ذلك .

(٥) يوم الجمع) : قد قدمنا أن هذا من أسماء يوم القيامة ، لأنه يوم
يجمعون (٦) فيه الأولون والآخرون فى صعيد واحد .

(٧) يذروكم فيه) ؛ أى يخلائكم نسلا بعد نسل ، وقرنا بعد قرن .

(١) غافر : ٨١ (٢) الشورى : ٥ (٣) القصة : ١١٦

(٤) مريم : ٨١ (٥) الشورى : ٧ (٦) هذا بالأصول .

(٧) الشورى : ١١

وضمير الجرور يعود على الجمل الذي تضمنته قوله : « ^(١) جل لكم » ، وهذا كما تقول : كلمت زيدا كلاماً أكرمته فيه . وقيل الضمير للتزويج الذي دل عليه قوله : « ^(٢) أزواجاً » . وقال الزمخشري ^(٣) : تقديره يذروكم في هذا التدبير ، وهو أن جل للناس والأنعام أزواجاً ، غلب فيه الغفلة على غيرهم .

فإن قيل : لم يقل يذروكم به ؟

فالجواب أن هذا التدبير جل كالنبي والمعلن للبهت والتكثير ^(٤) .

(^(٥) يَحَاجُّونَ فِي اللَّهِ) : أى يجادلون المؤمنين في دين الله ، ينى كفلاً قريش . وقيل اليهود .

(^(٦) يَسْتَعْجِلُ بِهَا) : أى يطلبون تعجيلها استهزاءً بها ، وتعجيزاً للمؤمنين .

(^(٧) يُبَارَوْنَ) : يجادلون ويخافون .

(^(٨) يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ) : أى الرزق المضمون الزائد لكل حيوان ، فإن الرزق الذى تقوم به الحياة على الصوم لكل حيوان طول عمره ، والزائد خاص بمن شاء الله .

(^(٩) يَخْتِمُ عَلَى قَلْبِكَ) : فى القصد بهذا قولان : أحدهما أنه رد على الكفار فى قولهم : « ^(١٠) أنترى على الله كذباً » ، أى لو اقتريت على الله كذباً ، يختم على قلبك ، لسكنك لم تفت عليه كذباً فقد هدأك وسدأك .

(١) الشورى : ١١ (٢) الكشاف : ٢ - ٣٣٦ (٣) الشورى : ١٦٢ (٤) الشورى : ١٨ (٥) الشورى : ١٨ (٦) الشورى : ١٨ (٧) الشورى : ١٨ (٨) الشورى : ٢٤ (٩) الشورى : ١٨ (١٠) الشورى : ١٨

والآخر أن المراد إن يشأ الله يحتم على قلبك الصبر على أقوال الكفار
والاحتمال أدام .

(١) يَمْنَحُ الله الباطل) : هذا فعل مستأنف غير معطوف على ما قبله ؛
لأن الذي قبله مجزوم ، وهذا (٢) مروع فيوقف على ما قبله ، ويتدا به ؛ وفي
المراد به وجهان : أحدهما أنه من تمام ما قبله ؛ أي لو اقتربت على الله كذبا
بالتحتم على قلبك ومحو الباطل الذي كنت تفترية لو اقترتته . والآخر أنه
وعند رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يحمو الله الباطل وهو الكفر ، ويحق
الحق وهو الإسلام .

(٣) يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ) : أي من عبادهم . وقبول التوبة من الكفر
متطوع بها ، ومن مغفلة العباد فهي متوقفة حتى يردّها لأهلها أو يستحلّ منها ،
ومن المعاصي التي بين العبد وبين الله يُرْجَى أنها مقبولة لهذه الآية . وقيل هي
في المشيئة ، وهو أكرم أن يقول له العبد : رجعت ، فلا يقول له : قبلت .
وقد قدمنا مراراً شرط التوبة وصحة قبولها .

وفي بعض كتب الله المنزلة : وعزّي وجلالي ، وارتفاعي [٣٠٨ م] في
علو مكاني ، لأقطن أمل كل مؤمل أمل غيري بالياس ، ولأنبيته أثواب
المذلة بين الناس ، ولأقصيته من قرني ، ولأبعدته من حوضي ، أيؤمل غيري
في الشدائد ، والشدائد بيدي ؟ وأنا الحي ویرجو سوائی ، ويطرق بالكر باب

(١) الشورى : ٢٤

(٢) هذا بالأصول . وفي القرطبي (١٦ - ٥) : قال الكسائي : أي : والله يحمو الباطل
فحذف منه الواو المصحف ، وهو في موضع رفع ، كما حذفت من قوله : سندع الزبانية .
ويصح الإنسان . (٣) الشورى : ٢٥

الغير ومفاتيح الأبواب بيدي ، وبأبي مفتوح لمن دعاني ؛ من الذي دعاني فلم أجبه ؟ من الذي استغفرني فلم أغفر له ؟ من الذي رجع إلي فلم أقبله ؟ من الذي دعاني لنوائبه قطعت به دونها ؟ من الذي رجاني لمعظم جرمه فأقطع رجاءه ؟ من الذي فرغ بابي ولم أفتح له ؟ جعلت آمال عبادي متصلة بي فقطعوها ، وجعلت أرجاءهم مذخورة عندي فلم يرضوا بحفظي ، وملأت سمائي ممن لا يتلون من ذكرى ، وأمرتهم ألا يغلقوا الأبواب بيني وبين عبادي فلم يبق الآدميون يقولون : ألا يعلم من طرقت فانية من نوائبي أنه لا يملك كشفها إلا من بعد إذني ! مالي أرى عبدي معرضاً عني أعطيه بحود فلم يسألني ، ثم انزعته منه فلم يسألني رده ! أقراني ابتدي بالمعطية قبل المسألة ، ثم أسأل فلا أجيب ! يا سانداً غيري ، أبخيل أنا فيبخلني عبدي ! أليست الدنيا والآخرة لي ؟ أليس الكريم والجود لي ؟ أليس الرحمة والفضل لي ؟ أنا محل الآمال ، من يعطيها دوني ؟ وما عسى أن يوثر المؤمنون لو جمعت أهل سمائي وأرضي ، ثم أعطيت كل واحد منهم ما أمل الجميع ما نقص من ملكي ، وكيف ينقص ملك أنا فيه ! فيابؤس للقائلين من رحمتي ، ويا بؤس لمن عصاني ، وتوئب على محاربي ، ولم يستح مني ! اللهم إني لم أستح منك ، وبارزت بالعظام ، لسكن رجائي فيك قوي ، وتوصلت إليك بحاجتي النبي الأئمة صلى الله عليه وعلى آله وسلم .

(١) يَفْتَوُ عَنْ السِّئَاتِ : العفو مع التوبة على حسب ما ذكرنا . وأما العفو دون توبة فهو على أربعة أقسام : الأول : العفو عن الكفر ، فلا يكون أصلاً ، وعن مظالم العباد فلا يكون إلا لبعض خواص عباد ، وعن الصغار إذا اجتنبت الكبائر ، فهو حاصل بحسب وعده الصادق . وعن الكبائر

فَأَهْلُ السَّنَةِ أَنَّهُ فِي الْمَشِئَةِ ، وَأَهْلُ الْبِدْعَةِ عَلَى عَدَمِ غُفْرَانِهَا ؛ وَقَدْ أَخْطَأُوا لِنَصِّ الْآيَةِ وَالْحَدِيثِ .

(١) «يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا» : قِيلَ يَجِيبُ . وَ «الَّذِينَ آمَنُوا» مَفْعُولٌ ، وَالْفَاعِلُ ضَمِيرٌ يَعُودُ عَلَى اللَّهِ ؛ أَيْ يَجِيبُهُمْ فِيمَا يَطْلُبُونَ مِنْهُ . وَقَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ : أَصْلُهُ يَسْتَجِيبُ لِلَّذِينَ آمَنُوا ، فَحُذِفَتِ اللَّامُ .

وَقِيلَ إِنَّ مَعْنَاهُ يَجِيبُ . وَالَّذِينَ آمَنُوا فَاعِلٌ ، أَيْ يَسْتَجِيبُ الْمُؤْمِنُونَ لِرَبِّهِمْ بِاتِّبَاعِ دِينِهِ . وَقِيلَ إِنَّ مَعْنَاهُ يَطْلُبُ الْمُؤْمِنُونَ الْإِجَابَةَ مِنْ رَبِّهِمْ ، وَاسْتَفْعَلَ عَلَى هَذَا عَلَى بَابِهِ مِنَ الطَّلَبِ .

وَالأَوَّلُ أَرْجَحُ ؛ لِدَلَالَةِ قَوْلِهِ : «وَيَزِيدُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ» ؛ أَيْ يَزِيدُهُمْ مَا لَمْ يَطْلُبُوا زِيَادَةَ عَلَى الِاسْتِجَابَةِ فِيمَا طَلَبُوا ، وَهَذِهِ الزِّيَادَةُ صَحَّحَ عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهَا الشَّفَاعَةُ وَالرِّضْوَانُ .

(٢) «يَنْزِلُ الْقَيْثُ مِنْ بَعْدِ مَا قَسَمُوا» : قِيلَ لِمَرَرَضَى اللَّهُ عَنْهُ : اشْتَدَّ الْقَحْطُ ، وَقَنَطَ النَّاسُ ، فَقَالَ : الْآنَ يُنْطَرُونَ . وَأَخَذَ ذَلِكَ مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ . وَمِنْهُ الْحَدِيثُ : اشْتَدَّتْ أَرْزَمَةٌ تَفْرَجِي . وَقَالَ تَمَالِي : «(٣)» إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا . وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا كَانَ وَقْتُ الشَّدَائِدِ وَالْخُلُوفِ رَأَى عَلَيْهِ أَثَرَ السَّرُورِ ، وَإِذَا كَانَ وَقْتُ السَّرُورِ رَأَى عَلَيْهِ أَثَرَ الْخُلُوفِ ، لَعَلَّهُ بِرَبِّهِ يَنْشُرُ رَحْمَتَهُ ، يَعْنِي الْمَطَرُ ؛ فَهُوَ تَكَرُّرُ الْمَعْنَى الْأَوَّلِ بِلَفْظٍ آخَرَ . وَقِيلَ يَعْنِي الشَّمْسُ . وَقِيلَ بِالصَّوْمِ ؛ وَهُوَ أَظْهَرُ ، إِذْ رَحْمَتُهُ سَبْحَانَهُ تَعْمُ جَمِيعَ الْمَوْجُودَاتِ .

(٤) «يَعْلَمُ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا» ؛ أَيْ يَعْلَمُونَ أَنَّهُمْ لَا مَهْرَبَ لَهُمْ مِنْ

(١) الشورى : ٢٦ (٢) التورى : ٢٦ (٣) التورى : ٢٨

(٤) الفرج : ٥ (٥) الشورى : ٢٥

الله . وقرئ : يعلم بالرفع على الاستئناف ؛ وبالنصب ، واختلف في إعرابه على قواين : أحدها أنه نصب يضمار أن بعد الواو لما وقعت بعد الشرط والجزاء ، لأنه غير واجب . وأسكر الزمخشري ^(١) ذلك ، وقال : إنه شاذ ، فلا ينبغي أن يُحمّل القرآن عليه . والثاني قول الزمخشري ^(٢) : إنه معطوف على تعليل محذوف [٣٠٨ ب] لينتقم منه ؛ ويعلم ؛ قال : ونحوه من المعطوف على التعليل المحذوف كثير في القرآن ، ومنه قوله : ^(٣) « وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ » .

(^(٤) يابشراي) : نادى البشرى ، كقوله : يا حسرتى ، وأضافها إلى نفسه . وقرئ : يا بشرى ، محذوف ياء التكلم . والمعنى كذلك . وقيل على هذه القراءة نادى رجل منهم اسمه بشرى ، وهذا جيد ؛ لأنه لما أدلى الدلو في البئر تعلق به يوسف ، فحينئذ قال : يابشراي ، هذا غلام .

(^(٥) يُرْسِلَ) : قرئ بالرفع على تقدير : أو هو يرسل ، وبالنصب عطفا على « وحيا » ؛ لأن تقديره أن يوحى ؛ فطقت أن على أن القدرة .

(^(٦) يَنْشَأُ فِي الْحَلِيَّةِ) ؛ أى يكبر ويُنبت في استعمال الحلى من الذهب والفضة ، والمراد بهم النساء . وقرئ يَنْشَأُ بضم الياء وتشديد الشين ، بمعنى يُرَبَّى فيها . والمقصود الرد على الذين قالوا : الملائكة بناتُ الله ، كأنه قال : أجلتُم الله من ينشأ في الحلية ؛ وذلك صفة النقص ، ثم أتبعها بصفة نقص أخرى وهي أن الأنثى ^(٧) إذا خاضعت أو تكلمت لم تقدر أن تبين حجتها لنقص عقلها ، وقلما تجد امرأة لا تفقد الكلام وتخلط المعاني ، فكيف يُنسب

(١) الكشف : ٢ - ٣٤٢ (٢) مريم : ٢١ (٣) يوسف : ١٩

(٤) الشورى : ٥١ (٥) الزخرف : ١٨

(٦) في الآية نفسها : وهو من الحسام غير معين .

لكامل من انصف بنقص . وأغرب من ذلك أنهم يحملون لأنفسهم المذكور،
 «^(١) ويحملون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون». وإعراب «من ينشأ» مفعول
 بفعل مضمر، تقديره: أ جعلتُم لله من ينشأ في الحلية، أو مبتدأ وخبره
 محذوف، تقديره: أو من ينشأ في الحلية خصصتُم به الله.

(^(٢) يستغيثان الله، ويطلب آية) : ضمير التثنية يعود على الوالدين
 الذين يستغيثان بالله من كراهتهما لما يقول اتبعهما من الكفر، فيقولان له :
 ويطلب آية، ثم يأمرانه بالإيمان فيقول : «^(٣) ما هذا إلا أساطير الأولين»؛
 أي قد سطره الأولون في كتبهم، وذلك تكذيب بالبعث والشرعة.

واختلف فيمن نزلت هذه الآية؛ فقيل في عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق
 حين كفره، كان أبوه وأمه يدعوا به إلى الإيمان فيأبى، ويقول لهما : أف
 لكما . وأنكرته عائشة رضي الله عنها، وقالت : والله ما نزل في آل أبي بكر
 شيء من القرآن إلا براءتي . وكان عبد الرحمن بن أبي بكر من خيار
 المسلمين، وكان له في الجهاد غناء عظيم.

وقيل السدي : ما رأيت أعبد منه . والصحيح أنها على الإطلاق فيمن
 كان على هذه الصفة من الكفر والعنوق لوالديه، ويبدل على أنها نزلت على
 العموم قوله : «^(٤) أولئك الذين حق عليهم القول في أمم» ، بصيغة الجمع،
 ولو أراد واحدا بعينه لقال ذلك الذي حق عليه القول .

(^(٥) يتدبرون القرآن) : أي يتفكرون في معانيه، لتظهر أدلة

(١) في النحل : ٥٧ (٢) الأحقاف : ١٧ (٣) الأحقاف : ١٧

(٤) الأحقاف : ١٨ (٥) محمد : ٢٤

وبراهينه ، وفيها حضرة على التقدير والتفكير فيه . وقد كن صلى الله عليه وسلم يقرؤه بخشوع من غير هذرة .

(١) (يَبْخُلُ) : البخل هو الغم بالإعطاء والفرح بتركه ، وأما البخل فهو الذى يغم بالإعطاء ويذم عليه ، ويفرح بتركه ، وهذا من صفات البخل كما قدمنا : (٢) وأخفرت النفس الشح .

(٣) (يترككم أعمالكم) : أى ينقصكم ، يقال وترت الرجل ترة ، إذا نقصته شيئا . وكيف ينقص السيد عبده ، هذا فى مخلوق فكيف بالنفس على الإطلاق ، ولما نزلت : « (٤) فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ . وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ » — شق ذلك على الصحابة . وقالوا : يا رسول الله ، إذا جازانا الله بأعمالنا هل كنا ، فأزل الله المضاعفة لأعمالهم ، والمضاعفة فى الحسنة لا حصر لها ولا مضاعفة فى السيئة .

(٥) (يُطِيعُكُمْ فى كثير من الأمر لعنتهم) : إنما لم يقل أطاعكم . للدلالة على أنهم كانوا يريدون استمرار طاعته عليه السلام لهم . والحق خلاف ذلك ؛ وإنما الواجب أن يطيعوه لأن يطيعهم ، وذلك أن رأيه عليه الصلاة والسلام خير وأصوب من رأى غيره ، ولو أطاع الناس فى آرائهم هلكوا ، فالواجب على الناس الانقياد إليه والطاعة لأمره .

(٦) (يَسْخَرُونَ مِنْهُمْ مَنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نَبَأُ مِنْ نساء عسى أن يكن خيرا منهن) : نهى الله فى هذه الآية عن الاستهزاء بالناس واحتقارهم .

(١) ٢٨ : ٤٦ (٢) النساء : ١٢٨ (٣) محمد : ٣٥ (٤) الزلزلة : ٨ ، ٧

(٥) المجرات : ٧ (٦) المجرات : ١١

ولما كن ه القوم ه لا يقع إلا على الذكران [١٣٠٩] عطف النساء عليهم ، فالسخرية بالنساء من أعظم الميوب عند عـ سلام الميوب . ولعل السخور منه خير من الساخر عند الله ، والأعمال بالحواسم ، ولا تقع هذه الخصلة الذميمة إلا من جاهل بنفسه راض عنها ، فيتكبر ويعجب ، ولو رأى نفسه أقل خلق الله لم يسخر ممن هو عند الله أعلى منه ، ولذلك قيل : مَنْ ظَنَّ أَنَّهُ خَيْرٌ مِنَ الْكَلْبِ فَالْكََلْبُ خَيْرٌ مِنْهُ . فالعاقل يرى الصغير أفضل منه ، ويقول : أنا عصيت الله ، وهذا لم يعصه ، والكبير يقول : هذا عبد الله أكثر مني ، فهو أفضل ؛ لأن مَنْ زادك في العبادة فضلك ، والذي هو مثله يقول : لم يقص الله ، وربما له خبيّة من عمل صالح لم أطلع عليها ، وأنا ليس لي شيء ، وبالجملة فلم يصدر هذا إلا من معجب بعمله ، متكبر ، وكم أهلكا^(١) من عالم وعابد وزاهد .

(٢) يَنْتَبِ بِمَضَكُمْ بَعَثًا) : الغيبة : ما يسكره الإنسان ذكره من خلقه أو خلقه أو دينه أو أهله أو غير ذلك . وفي الحديث : قيل : يا رسول الله ؛ وإن كان حقاً ؟ قال : إذا قلت غير الحق فذلك البهتان .

وقد رخص في التجريح في الشهادة والرواية وفي النكاح وشبهه ، وفي التحذير من أهل الضلال ؛ ولا غيبة في فاسق أو مجاهر بالكبائر ، وسامعها شريكه ما لم ينسرها بلسانه ، ومع خوفه فيقلبه ، وعليه قطعها بكلام ، وإلا ينصرف ؛ فإن عجز لزمه شغل قلبه وإسائه عنها .

روى : مَنْ أَذَلَّ عَنْده مؤمن وهو يقدر على أن ينصره أَذَلَّ الله على رموس الخلائق .

وروى : من سمى مؤمناً من منافق يقتابه بحث الله له ملكاً يحمى لخدمته يوم القيامة من نار جهنم ، ولو ردت كلمة سفيه في فيه لسد بها رادها ، كما سد بها قائلها .

وبواعث الغيبة التشكي ، ومواقفة ونحوها لذا كرها ، أو رفعة لنفسه أو حسد أولعب ، ومن رأى عيباً حرم التصديق ما احتمل تأويلاً ، ومنى تحقق نصح حتماً ، وسكت سترأ للنهي عن التلطف به ، فاعلاً أو مفعولاً حيث قال : « بفضلكم بعضاً » .

وتشبيه الغتاب بآكل البتة^(١) وهو منفرط طبعاً وشرعاً ، والإتيانُ سهمزة الإنكار ، ثم بلفظ المحبة ، ثم بقوله : « أحدم » كأنه يقول : هل يوجد في العالم أحد يحب أكل البتة ، ثم المبالغة بلفظ الأخ ، ثم بأكله . وجه للناسبة إدارة حذكه ، فالغيبة كالأكل ، ثم بقوله : ميتاً ؛ فإنه أبلغ في الفقرة ، ثم التأكيد بقوله : ففكرهموه ، ثم التعريف بأن من القوي ترك ذلك ، ثم التحريض على التوبة بقوله : «^(٢) واتقوا الله إن الله ثواب رحيم » .

قال أبو علي الفارسي : كراهة هذا اللحم يدعو إليها الطبع ، وكراهة الغيبة يدعو إليها العقل ، وهو أحق أن يجاب ؛ لأنه بصير عالم ، والطبع أعمى جاهل . وصح إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام ، ونواهيها مشهورة جداً ، فاطنك بكلمة لا تلم منها بتوبة لمظلمة حتى تبرأ ؛ فهي أشد على النفس من الربا والزنى ، وتنقل حسناتك لغيرك ، وتذنب بذنوبه التي تحملتها بنسبته ، وعرضتك لسخط الله ومقتته ، وكان تعالى فيها خصيكت .

(١) في الآية نفسها (١٢) : أحب أحدم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهموه ...

(٢) المبررات : ١٢

ويقال لبيتك استحييت من الله كاستحيائك من مخلوق لا تغتابه بحضرته، فإننا لله وإنا إليه راجعون من خصلت نحن فيها ليلاً ونهاراً ولا ازدجار منها، ولا توبة، ونهاون بها، ونظم الربا، مع أنها أعظم كما تقدم ويظهر لك بالحديث: الربا اثنان وسبعون باباً أدناها مثل أن يطاء الرجل أتمه. وفي حديث آخر: إن من أربى الربا استقالة المسلم في عرض أخيه بخير حق. فانظر بعد ما بينهما بلع لك عظيم ما ارتكبناه، إلا أن يغفر الله بإرضاء خصماننا وإلا هلكنا. ^(١) رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ. وكان الواجب علينا ألا نخاطب ربنا بهذا الخطاب إلا بعد التوبة النصوح، وحسن الارتجاع؛ لسكتنا نرجو من كرم الكريم الغفور عن اللئيم بجاء نبيه الكريم.

(^(٢) يَرْتَابُوا) : يشكوا.

(^(٣) يَمْنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا) : زلت في بني أسد من خزيمة، وهي قبيلة كانت تجاور المدينة، وكانوا مسلمين ظاهراً ويحبون الفانم وعرض الدنيا، فقالوا: يا رسول الله؛ إنا آمنا بك وصدقناك، ولم نحاربك كما فعلت هوازن وغطفان وغيرهم. فرد الله عليهم بقوله: ^(٤) بَلِ اللَّهُ يَمْنُ عَلَيْكُمْ: يحتمل أن يكون بمعنى ينعم عليكم، أو بمعنى يذكر إنعامه. وهذا أحسن؛ لأنه في مقابلة: يَمْنُونَ عَلَيْكَ.

(^(٥) يَلِيْتَكُمْ) : ورأيتكم بهمة قبل اللام - قرأتان، بمعنى ينقصكم. والخطاب لمن أطاع الله ورسوله.

(١) الأعراف: ٢٣ (٢) المجرات: ١٥ (٣) المجرات: ١٧

(٤) المجرات: ١٤

فإن قلت : هذا الخطاب وقع في بي أسد ، فكيف يعطيهم أجوراً أعمالهم ؟
وقال : إنهم لم يؤمنوا ، ولا تقبل الأعمال إلا من مؤمن ؟

والجواب : إن طاعة الله ورسوله تجمعُ حِذْقَ الإيمان وصلاح الأعمال ؛
فالله إن رجعتُم عما أنتم عليه من الإيمان بالالتكلم دون قلوبكم ، وعلمتم
أعمالاً صالحة ، فإن الله لا ينقصكم منها شيئاً .

(^(١) يوم يُنادِ المُنَادِي من مكانٍ قريبٍ) : المنادي هنا إسماعيل الذي
بنفخ في الصور . وقيل : إنما وصفه بالقُرب ، لأنه يسمعُ جميعَ الخلق . وقيل :
المكان صخرة بيت المقدس ، وإنما وصفها بالقُرب لقربها من مكة . وقيل
لقربها من السماء ، لأنها أقربُ الأرض إلى السماء بنهاية عشر ميلاً ؛
وهذا ضعيف .

(^(٢) يَوْمَ تَشَقُّ الأرضُ عنهم مِرَآعاً) : العامل في هذا الظرف معنى
قوله : « حَشَرَ عَلَيْنَا بَاسِيرًا » ، وهو بَدَلٌ مما قبله .

(^(٣) يُسْرَأُ) : صفة لمصدر محذوف ، ومعناه أن السفن تجري في
البحر بسهولة .

(^(٤) يُؤْفَكُ عَنْ مَنْ أَطَكَ) : أي يصرف . والضمير في « عنه »
يحتمل أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم ، أو القرآن ، أو للإسلام . والمعنى
يُصرف عن الإيمان به مَنْ صُرِفَ ؛ أي مَنْ سَبَقَ في هَيْمِ الله أنه مصروف .
وقيل : إن الضمير لما «^(٥) توعدون » ، أو للدين «^(٦) المذكور » . والمعنى يصرف

(١) ق : ٤١ (٢) ق : ٤٤

(٣) القاريات : ٣ (٤) القاريات : ٩ (٥) القاريات : ٥

(٦) القاريات (٦) : وإن الدين لوالم .

عن الإيمان به من صرف . وقيل : إن الضمير للقول المختلف^(١) .

والمعنى يصرف عن ذلك القول إلى الإسلام من قَضَى الله بسماعته ؛ وهذا للقول حسن ، إلا أن عُرِفَ الاستعمال في أفك يؤفك إنما هو في العُرْف من خير إلى شر ، ومن شر إلى خير . وقيل : إن الضمير للقول المختلف ، وتكون « عن » سببية . والمعنى يصرف عن ذلك القول من صرف عن الإيمان .

(^(٢) يسألون أيا نَ يَوْمَ الدين . يَوْمَ هُمْ عَلَى النارِ يُفْتَنُونَ) : يعرفون وبعذبون . ومنه قيل للحرة فتين ، كأن الشمس أحرقت حجارتهما . ويحتمل أن يكون « يوم هم » مربا ، والعامل فيه مضمَر ، تقديره يقع ذلك « يَوْمَ هُمْ » على النار يُفْتَنُونَ ؛ وأن يكون مبنيا لإضافته إلى متى^(٣) ؛ وعلى هذا يجوز أن يكون في موضع نصب بالفعل المضمَر حسبما ذكرنا ؛ أو في موضع رفع ؛ والتقدير هم يوم هم على النار يُفْتَنُونَ .

(^(٤) يَهْجَمُونَ) : في معنى هذه الآية قولان : أحدهما — وهو الصحيح : كانوا ينامون قليلا من الليل ، ويقطعون أكثر الليل بالسر في الصلاة والتضرع والدعاء . والآخر أنهم كانوا لا ينامون بالليل لا قليلا ولا كثيرا ، ويختلف الإعراب باختلاف المعنيين ؛ فأما على القول الأول ففي الإعراب أربعة أوجه :

الأول أن يسكون « قليلا » خبر كانوا ، و « ما يَهْجَمُونَ » فاعل بقليل ؛

(١) الفاريات (٨) : إنكم لفي قول مختلف . (٢) الفاريات ١٢ ، ١٣

(٣) التي في الآية : « أيا نَ » . (٤) الفاريات : ١٢

لأن « قليلا » صفة مشبهة باسم الفاعل ، وتكون « ما » مصدرية ؛ والتقدير كانوا قليلا هجوعهم من الليل .

والثاني مثل هذا إلا أن ما موصولة ، والتقدير كانوا قليلا الذين يهجمون فيه من الليل .

والثالث أن تكون مازائدة وقليلا ظرف ، والعامل فيه يهجمون ؛ والتقدير كانوا يهجمون وقتا قليلا من الليل .

والرابع مثل هذا إلا أن « قليلا » صفة لمصدر محذوف ؛ والتقدير كانوا يهجمون هجوعا قليلا .

وأما على القول الثاني ففي الإعراب وجهان :

أحدهما أن تكون « ما » نافية ، وقليلا ظرف ، والعامل فيه يهجمون ؛
والتقدير : كانوا ما يهجمون قليلا من الليل .

والآخر أن تكون ما نافية وقليلا خبر كان ؛ والمعنى كانوا قليلا في الناس ، ثم ابتداء بقوله : من الليل ما يهجمون ؛ وكلا الوجهين باطل عند أهل العربية ، لأن ما النافية لا يعمل ما بعدها فيما قبلها ؛ فظهر ضعف هذا المعنى بطلان إعرابه .

(^(١) يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يَصْعَقُونَ) : يعني يوم القيامة ، وذلك أشد قوله [١٣١٠] .

(^(٢) يلتقيان) : ضمير التثنية يعود على البحرَين المذكورين في قوله : «^(٣) هذا

عَذْبٌ فُرَاتٌ ، « وهذا ملح أجاج » ؛ أى يلتقى ماء هذا وماء هذا ، وإذا نزل المطر في البحر على القول بأن البحر العذب هو المطر ، وأما على القول بأن البحر المذب هو الأنهار والعيون ، فالتقاؤهما بانصباب الأنهار في البحر ، وأما قول القائل بأن البحرين بحر فارس والروم وبحر القازم واليمن فضيف .

(^(١) يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) ؛ أى يسألونه حوائجهم ، فمنهم من يسأله بلسان المقال ، ومنهم من يسأله بلسان الحال ؛ لأن جميعهم مفتقر لفضله ونوآله وإمداده . وقد قدمنا أن المراتب السبع من جهاد ونام وحيوان ، وناطق وممتحن ومؤمن ومحب ، جميعهم متضرعون مقبلين أو مدبرين . فسبحان من وسع سمعهم أصواتهم وحركاتهم ومسكناتهم .

(^(٢) يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيَاهِمُ) : يعنى بعلامتهم ، وهى سواد الوجوه وغير ذلك ، وقد قل فى آية أخرى : « ^(٣) هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ . يَطوفُونَ فِيهَا وَبَيْنَ جَهَنَّمَ آتٍ . يعنى أن الكفار بتقلبون من الزمير إلى الحر ، ومن الحر إلى الزمير ، رجاء الاستراحة مما هم فيه ؛ فلا يجدون إلا أشد من منازلهم ، فهم فى عذاب جهنم يخلدون : « ^(٤) لَا يُفْتَرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ » .

(^(٥) يَطْمِئِنُّنَّ) : المنى أنهم أبكار لم يطمئن ... بخروج الدم . وقيل : الطمئ الجماع ، سواء كان لبكر أو غيرها ، أو نقي أن يطمئن إنس أو جان ، مباينة ، وقصد العموم ، فكأنه قال لم يطمئن شيء . وقيل : أراد لم يطمئ نساء الإنس وإنس ، ولا نساء الجن جن .

(١) الرحمن : ٢٩ (٢) الرحمن : ٤١

(٣) الرحمن : ٤٤ ، ٤٣ (٤) الزخرف : ٢٥ (٥) الرحمن : ٥٦ ، ٥٥

وهذا على القول بأن الجن يدخلون الجنة ، ويتلذذون فيها بما يتلذذ البشر .
وقد قدمنا أنهم في ربض الجنة لا يسكنون مع الإنسان ، وأن رؤية الله خاصة
بالإنس على المشهور . وقد صح أن الله تعالى إذا خلق الجارية من الحور
العين خلق عليها خيمة من الدرّ ستراً لها وغبرة على من خلقها له ألا
يرأها غيره .

فمالك يا محمدى لا تغبر أنت عليه إن كنت تحبه ، ولا أرى لك ذلك ؛
لأنك تقول رضيت بالله رباً ولم ترض بقضائه .

وتقول : تحبه ، وأنت تحب غيره . وتقول وجهت وجهي له ، وقد وجهته
لدينا وأهل مالٍ ووكدٍ . أما علمت أن حقيقة العبودية الإقرار لمعبودها ، لاراعى
الله من لا يراعى القسم . ربك يعاملك بكل ما تريد ولا تفعل له ما يريد ، كل
ذلك لك لاله ؛ إذ هو غنى عن العالمين .

(^١) ياقوت) : هو حجر عزيز يضيء أعلاه كالقمر ، وهو قليل الوجود ،
وهو أنواع . وذكر الجواليقي (^٢) والثعالبي أنه فارسي ، وشبه الله نساء الجنة
بالياقوت ، وابن الياقوت منهم ؟ ولكن خاطب عباده بما يفهمونه . وقد قدمنا
أن أحوال الدنيا إنما هي أنموذج على مافي الآخرة لا مثلاً لها .

(^٣) يصيرون) : أى يدومون من غير إقلاع . قال ابن الجوزى : معناه
بضجون بالحشية .

(^٤) ينزل على عبده آيات بيّنات) : المراد به سيدنا ونبينا ومولانا

محمد صلى الله عليه وسلم للشريف والتكريم . وقد قدمنا أن هذه الإضافة خاصة به ، كقوله تعالى : « (١) وأنه لما قام عَبْدُ اللَّهِ » . « (٢) سبعمائة الذي أُسْرَى بعده » . فما أشر فيها من إضافة ! وما ألدّه من خطاب !

(٣) يَسْعَى بين أيديهم وبأيمانهم) : الضمير للمؤمنين ، يعنى أنهم يكون لهم نور يوم القيامة أمامهم ومن خلفهم على قدر إيمانهم ؛ منهم من يكون نوره كالنخلة الساقية ، ومنهم ما قرب من قدميه ، ومنهم من مضى مرة وينطلق ؛ أخرى كالشمعة . والكافرون والمنافقون لا نور لهم ، فيرون « (٤) المؤمنون لأنوار معددة فيقولون : « (٥) انظروا ما نقبض من نوركم . قيل ارجعوا وإياكم فالتمسوا نورا . . . الآية . وقيل : إن هذا النور استعارة يراد به التهدي والرضوان .

والأول أصح ، لوروده في الصحيح .

(١) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ) : أى الأمر إذا كان وقتاً ، « وذكر الله » يحتمل أن يريد به القرآن ، أو الذكر ، أو التذكير ، أو الموعظة . وهذه آية موعظة وتذكير ؛ قال ابن عباس : عوّتب المؤمنون بهذه الآية بعد ثلاث عشرة سنة من [٢١٠ ب] نزول القرآن ، وسمع الفضيل بن عياض هذه الآية فكانت سبب رجوعه .

وحكى أن عبد الله بن المبارك أخذ المود في صباه ليضربه فنطق بهذه الآية فكسره ابن المبارك وتاب .

(١) الجن : ١٩ (٢) الأسراء : ١
(٣) التحريم : ٨ (٤) هذا بالأصلين ، وهو استعمال يكثر منه السيوطي
(٥) الحديد : ١٣ (٦) الحديد : ١٦

وحكى أنه كان في غار السودان عابد قاتى بعض الشباب يعود وكوز
من الخمر ، فجلس بأعلى الغار من غير علم بالعابد ، فلما شرع في ضرب العود
والكز قرأ العابد : « أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا... » الآية ، فسمعه الشاب ، قال :
يلي ، آن ، وكسر العود والكوز ، وخرج فلما ابتغسه ، فبسه العابد ، فرضت
له بركة السودان فشى على الماء . قال العابد : فبسته ففرقت . ولم أقدر على
اتباعه ، فرقت رأسي ، وقلت : آلمى لى على بابك أرجون سنة ، ولم أبل ما نال
هذا في ساعة ، فسمت ها هنا يقول : ذلك فضل أوتيته من أشاء .

وأنت يا محمدى تتلوها كل ساعة ولا ترجع إلى ربك ! أهكذا شأن من
يريد الرجوع إلى الله ! كلاً والله ، ليس ثم رجوع ولا قدم ، وإنما هو
اهماك في العاصي وقتة الخضوع ، إلمى لا التوبة تدوم لى ، ولا المعصية تنصرف
عنى ، ولا أدرى بم يئتم لى ، غير أن سابقة الحسن أوجبت لى حسن الظن ، وقد
قلت : أنا عند حسن ظن عبدى نى فليظن بى ما شاء ، فهب لى توبة منك باقية ،
واصرف أرمة الشهوات عنى ، واتمح زينتها من قلبي بزيئة الإيمان بحاء سيد
التقين عليه أفضل صلاة وأزكى تسليم ، ما اختلف الملوآن .

(١) « ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد :
عطف : « ولا يكونوا » على « أن تمثع » . ويحتمل أن يكون نهياً ،
والمراد التحذير من أن يكون المؤمنون كأهل الكتب القديمة ، وهم اليهود
والنصارى . في حرم صوم على الدنيا وصرف همهم إليها ، فكم خوفنا سبحانه
ونها هنا قولاً وفعلاً ، أدب اللانكة بإيليس : بعد عبادة ثمانين ألف سنة ترك

سجدة طُرِد . أبونا آدم عليه السلام بأكلة لم يُؤذَن له فيها ، أُخِيط إلى الأرض وبكى مائتي سنة ؛ وأنت خديته . روح عليه السلام بكلمة « إني أعظك » لم يرفع رأسه حياة أربعين سنة ، فاحذر من مِثْلٍ إلى دُنْيَا تَعْدُك بِمال ؛ فإنه مهلك ، كِلعام سب ولم يقبل أبداً ، وكان يعلم الاسم الأعظم .

ورحى العابد بعد عبادة مائة سنة قرنه الله مع إبليس في قوله تعالى مثله :
« (١) كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلنَّاسِ اكْفُرْ ، فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إني بَرِيءٌ مِنْكُمْ » . وتأمل الحدود المرتبة على الذنوب من حد قطع عضو في خمسة دراهم . ولو لم يكن من التخييف إلا قوله تعالى : « (٢) إِنْ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ » ، وإذا سأل الصادقين عن صدقهم فكيف بمن عصى ؟

قال بعضهم : الصدق على ثلاث مقامات : صدق في العزم ، وصدق في اللسان ، وصدق في الأعمال ؛ فصدق العزم تجديد الإرادة ، وصدق اللسان محاسبة النفس قبل إطلاق القول ، وصدق الأعمال ركوب الجهد وترك العادة النفسية .

فأما صدق العزم المعجز ، وآفة صدق اللسان المعارضة ؛ قال تعالى في بعض كتبه : إذا استوت أقدام الأنبياء في الآخرة في صفها أسأل الصادقين عن صدقهم ، فتحتمل إذ ذاك الأنبياء إلى عفو ، وأقدم حبيبي أمامهم بخطوة الصدق الذي أتى به بارزاً على جميع الأنبياء ، وهو مقدم الوسيلة الذي وعدته بئليه ، ولا سؤل أعظم من سؤل الصادقين عن صدقهم ، لأني أطلبهم

بصدق الصدق ، وقد عجز المخلوقون أجمع عن الصدق ، فكيف يجيبون عن صدق الصدق .

اللهم لا حيلة لنا في الوصول إلى منزل الصدق عندك إلا باطراح أغسنا قولاً ونفعلاً ، لأنك أنت أنت ونحن نحن ، ولا بد لنا منك ، فارحم ذلنا بين يديك يا أرحم الراحمين .

(^(١) بظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نَسَائِهِمْ) : بالتشديد والتخفيف بحذف الألف وإثباتها مع التخفيف ، ومضاهها واحد ، وهو أن يقول الرجل لامرأته : أنتِ على كظهر أمي ، ويمجى بمجى ذلك [١٣١١] عند مالك تشبيه الزوجة بكل امرأة محرمة على التأيد ، كالابنت والأخت ومائر المحرمات بالنسب والمحرمات بالرضاع ، والمحرمات بالصهر ، سواء ذكر لفظ الظاهر أو لم يذكره ، كقوله : أنتِ على كأمي ، أو كبن أمي ، أو يدها أو رجلها ؛ خلافاً للشافعي ؛ فإن ذلك كله ليس عنده بظهار ، لأنه وقف عند لفظ الآية . وقاس مالك عليه ، لأنه رأى أن القصد تشبيه حلال بمحرام .

(^(٢) يَتَمَاسًا) : المراد باللمس هنا الوطء ، وما دونه من اللمس ، والتقبيل ؛ فلا يجوز للمظاهر أن يفعل شيئاً من ذلك حتى يكفر .

وقال الحسن والتوردي : أراد الوطء خاصة ، فأباحوا ما دونه قبل الكفارة . وذكر الله قوله : « قبل أن يتماسا » في التحرير والصوم ، ولم يذكره في الإطعام .

واعتلّف العلماء في ذلك ، فعمل مالك والشافعي الإطعام على ما قبله ،

ورأى أنه لا يكون إلا قبل الميس ، وجعل ذلك من المطلق الذي يُحتمل على القيد . وقال أبو حنيفة : يجوز للمظاهر إذا كان من أهل الإطعام أن يطأ قبل الكفارة ، لأن الله لم ينص في الإطعام أنه قبل الميس .

(^(١) يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ) : أما إخراج المؤمنين فهو هدم أسوار الحصون ليدخلوها ؛ وأسند ذلك إلى الكفار في قوله : « يُخْرِبُونَ » ؛ لأنه كان بسبب كفرهم وعذرهم ؛ وأما إخراج الكفار لبيوتهم فثلاثة مقاصد : أحدها حاجتهم إلى الخشب والحجارة ليدفوا بها أغواء الأزقة ويحصنوا ما أخربه المسلمون من الأسوار . والآخر ليعنفوا معهم ما أعجبهم من الخشب والسوارى وغير ذلك . والثالث لآتبق مساكنهم مبنية للمسلمين ؛ فهدموا شحاً عليها .

(^(٢) يُسَلِّطْ رَسُولَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ) : بالقتل والني . والأمير وغيرها .

(^(٣) يَتَّقُواكُمْ) : يفتقروا بكم .

(^(٤) يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ) : هم كفار قريش ، والآية في النهي عن الإحسان إليهم والتحبب إليهم . وأما مَنْ لم يقاتل فقد قدمنا في حرف اللام أن الله رخص للمسلمين في صلتهم . وقد صح أن أسماء بنت أبي بكر قالت : يارسول الله ، إن أمتي قدمت على وهي مشركة أفأصلها ؟ قال : صلي أمتك .

(^(٥) يَسْأَلُونَكَ مِنَ الْآخِرَةِ) ، أي من خيرها والسعادة فيها .

(١) المحرر : ٢ (٢) المحرر : ٦ (٣) المتنحة : ٢ (٤) المتنحة : ٩

(٥) المتنحة : ١٣

(١) يا بني إسرائيل إني رسولُ الله إليكم مُصدقًا : هذا القولُ من عيسى عليه السلام تعريضٌ لهم واستدعاءٌ لهم أن يتدبَّعُوا بدينه ، وأن يُصدقُوا بما صدَّقَ به . « ومصدقًا » حال مؤكدة ، « ومبشرا » عطف عليه .

والغنى أرسلتُ إليكم في حال تصديق بما تقدمي من التوراة ، وفي حال تبشيري برسولٍ يأتي من بعدى اسمه أحد ، وإن ديني التصديق بكتاب الله وأنبيائه جميعًا ممن تقدم أو تأخر .

فإن قلت : لمَ لم يقل : « يا قوم » ، كقول موسى عليه السلام : «^(٢) يا قوم لم تؤذوني ؟ »

والجواب أن عيسى عليه السلام لا نسبَ له فيهم ، فيكونوا قومه ، إذ لم يكن له فيهم أب .

فإن قلت : لم جاء قولُ عيسى عليه السلام فيما يرجع إلى التوراة بلفظ التصديق ، وفيما يرجع إلى النبي عليه السلام بلفظ البشارة ، ولمَ قال : « مصدقا » بالتوراة ولم يقل : « موسى ؟ »

قلت : المراد أن يخبر عليه السلام بأنه مصدقٌ بمن تقدم وتأخر من رُسله وكتبه ، فجاء لفظُ التصديق بالتوراة على الأمر المقصود ، والتصديق بالتوراة يستلزمُ التصديقَ بمن جاء بها ، وكأنه زعمُ الرسول الذي جاء بها عن أن يُستَرَّابَ رسالته حتى يحتاج إلى من يصدق به هو مثله .

ولما كان محمداً صلى الله عليه وسلم أمراً منتظراً حسنَ التبشير به ،

والبشارةُ به تتضمنُ تصديقَه سبباً وقد سَمَّاهُ رسولا وعرفه بأحمد ، الاسم السَّيِّئُ به في السماء عند الملأ الأعلى ، وهو أفخم للمسيح ، وأبلغ في تفخيمه .

وهنا فكتة لطيفة ؛ وهي أن البشر به يشعر بأن البشارة به تقتضي بأنه يأتي بأمور فيها البشري لمن جاءهم بها وقبلوها منه . قال [٣١١ ب] ابن عطية : وهو في هذه الآية الكلمة لا الشخص ، وليست على حد قولك : جاءنا أحمد ؛ لأنك هاهنا أوقفت الاسم على سماء ، والآية إنما أراد فيها باسمه هذه الكلمة . ووقع للفخر في سورة الحمد مناسبة اشتقاق اسمه أحمد ومحمد من الحمد ، لأنه أول ما خلق الله المخلوق ، فكان أول ما نطق به الحمد ، وكان آخر الأنبياء محمد عليه الصلاة والسلام ، فناسب الختم أن يكون من نوع البدا ، فاشتق له من الحمد اسمان : محمد ، وأحمد ، فأهل السماء هو أحدهم ، وأهل الأرض هو محمد .

فإن قلت : لم أخره صلى الله عليه وسلم وهو أفضل الخلق ؟

والجواب لمصانعه وخصائص أمته ؛ منها أن من تقدم ظهرت فيه الصناعة المحتاج إليها ، فظهرت الحرارة من آدم ، والخياطة من إدريس ، والتجارة من نوح ، والقيانة من داود ، والحرارة من إلياس ، وغير ذلك من الصنائع التي احتيج إليها ، فجاءت إليهم مهذبة ، ومنها لئلا يطلع على مساوئهم أحد من الأمم . ومنها لئلا يطول مكثهم في التراب . ومنها ليكونوا شهداء على من تقدم ، وغير ذلك من الخصائص التي نالوها بسببه صلى الله عليه وسلم ويطول ذكرها .

فإن قلت : هل لتسميته في الأحزاب حكمة ، لأنها مخالفة لتسمية عيسى ؟

فالجواب : أنهم كانوا لا يعرفون في الكتب الماضية إلا هذا الاسم ،

وسير تسميه به أنه أشار إليهم فيها بأنه أحدهم ، وهذا الاسم لم تغيره السنة العامة ، لأنهم يقولون محمد بفتح أوله أو يضم أوله ، ويستعملون ذكره على وجه المواطأة فيه ، وقد جعل النبي صلى الله عليه وسلم للتغيير سبة ؛ إذ قال : إن الله صرف عني إيذاء فريش وسبهم ، يستون ويذمّون مذتما ، وأنا محمد ، ولما اتصف نبينا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم بكونه أباً للمؤمنين في سورة الأحزاب ، لأنهم كانوا لا ينادونه إلا بهذا الاسم تجد المؤمن إذا ذهب أمر أو حدث له حادث لا يفرغ إلا لهذا الاسم الشريف ، إذ لا أحسن للانسان من أبيه عند القرع . وبهذا يندفع ما تخالفيه القوي في الأذكار حيث يزعم أنه لا يذكر اسمه عند العشرة فافوقها ، ولعل السر في هذه الآية هو من ناحية تقي أبوة الأشباح ، وصحة كونه أباً للأرواح مع كونها مقتضية للرسالة ، وختم النبوة . وفي شرح البخاري لأن بطل أن الأبوة أشهر من الأمومة ، بدليل : اذعواهم لأبائهم ؛ ولحديث : يصب للغادر لواء يوم القيامة ثم يقل : هذا لواء فلان ابن فلان ، وإنما فرغ من قل بالسبة للأم ، لأنه رأى السر يوم القيامة أدخل في باب الإغضاء ؛ وفيما قاله نظر ؛ إذ الأبوة نسبة ظنية والأخرى يقينية .

وفي حديث القاضي المعافى : إنما الإشكال في دعوى والد الزنى يوم القيامة لأبيه ، مع أنه ليس بأب شرعى .

وأجاب باحتمال دعوى الجاز كآبى الأرامل ، أو أن أحوال الآخرة على خلاف أموال الدنيا بدعى إلى الإسلام الداعى إليه نبينا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم .

(^(١) يَنْفِرُ لَكُمْ) : جزم في جواب «^(٢) تؤمنون » ، لأنه بمعنى الأمر ؛
قد قرأ ابن مسعود : آمِنُوا وَجَاهِدُوا - على الأمر . وقال القراء : هو جواب
«^(٣) هل أدلكم » ؛ لأنه يقتضى التخصيص .

(^(٤) يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ) : من
الله على عباده بَيِّنَاتٍ رِسَالٍ مِنْهُمْ وَإِلَيْهِمْ يَرْجِعُ الشَّرَائِعُ وَاقْتِهِمْ ؛
وَيُزَكِّيهِمْ : يطهرهم ، ونسب التعليم إليه ، لأنه يعلم ما في الكتب وطرق
النظر بما يليق به جبريل إليه ، فأعرضوا عنه ، وقالوا : هل بعث
الله ملكا .

وقد قدمنا سيرا بَعَثَ الرسل من البشر ؛ إذ البشرية لا تطبق مباشرة
الروحانية . [١٣١٢] ألا ترى جبريل ؛ كان يخرج به صلى الله عليه وسلم من
البشرية حين يلتقي إليه الوحي .

فإن قلت : ما فائدة تقديم العلم في البقرة ، وتأخيرها في الصف
وآل عمران ؟

والجواب : لأنه لما كانت دعوة إبراهيم عليه السلام قبل وجود الضلال في
القدرة المدعوة لها ، وإنما تحصل لهم تزكيتهم ودرفع ضلالهم المتوقع لوقوعه بما
ينحونه من التعليم وما يُتلى عليهم من الآيات ؛ لأن ذلك هو السبب في حصول
التزكية والسلامة من الضلال إذا رَقُوا لِلْإِيَادِ ؛ ألا ترى ارتباط التزكية
بأعمال الطاعات ؛ قال تعالى : «^(٥) خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ

(١) الصف : ١٢ (٢) الصف : ١١ (٣) الصف : ١٠ (٤) الجملة : ٢

(٥) التوبة : ١٠٣

بها ، وإنما كان تزكية لهم لا إقبادهم بآطاعة فيما يطلبهم به من ذلك وبأخذه منهم ، فتأخر ذكر التزكية المسببة عما به تحصل ، وذلك بعد هدايتهم للآيتين ؛ فجاء على الترتيب من بناء المسبب على مسببه .

ول كان مقصود الآيتين الأخيرتين إنما هو ذكر الامتنان عليهم بهدايتهم بعد الضلال الذي كان وجد منهم والتعريف بإجابة دعوة إبراهيم عليه السلام آخر ذكر تعليمهم السكتب والحكمة المزيلين لضلالتهم ؛ ليكون تلوم ذكرو الضلال الذي أنذهم الله منه بما هم وأعطاهم وأمنن عنهم ، وهو ثلثي المسبيين ؛ فكان الكلام في قوة أن لو قيل : ويعلمهم ما به ذوال ضلالهم .

وأخر في هاتين الآيتين ذكر السبب لوصول بذكر مسببه الأكيد هنا الذي قد كان رنع وهو نفع ضلالهم فقام لهم من نظام مبحثه ، ولو أخر ذكر التزكية لما أحرز هذا المعنى مقصوداً ، فاختلاف الترتيب إنما هو بحسب اختلاف القاصدين وقد وقع ما ذكره ، وأورد على ما يجب .

(^(١) يُلْحَقُوا بِهِمْ) : مطوف على آخرين ؛ أي لم يلحقوا بهم . واحتنف من هم لآخرين (^(٢)) ؟ والصحيح الذي ورد في الصحاح أنهم أهل فارس ؛ لأنه صلى الله عليه وسلم مثل عنهم ، فأحد بيد سلمان ، وقال : لو كان العلم بالثريا لئله رجل من هؤلاء ، يعني فارس . وقيل : هم الروم ، و (^(٣) منهم) على هذين التواين يريد في البشرية وفي الدين لافي النسب . وقيل : هم أهل اليمن وقيل هم التابعون وقيل هم سائر المسلمين .

(^(٤) يَحْبَبُونَ كُلَّ صَاحِبِ عَلَيْهِمُ الْمَدُونِ) . عبارة عن شدة خوفهم

(٢) في الآية غشها : وآخرين منهم لما يلحقوا بهم .

(١) : الجملة : ٣

(٣) : الناطون : ٤

من المسلمين ، وذلك أنهم كانوا إذا سمعوا صياحا ظفروا أنه صلى الله عليه وسلم أمر بقتلهم ؛ وفي هذا دليل على أنه كان يعلمهم .

(^(١) يَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّارُهُ وَهُمْ) : الضمير يعود على المنافقين ، يعني أنهم يميلونها إعراضا وامتنكبارا .

وسبب نزول هذه السورة ماجرى في غزوة بني المصطلق بين جهنجاه ابن صعيد أجير عمر بن الخطاب وبين سنان الجهنى حليف لعبد الله بن أبي بن سلول رأس المنافقين على الماء الذى وقع الزحام فيه ، فلطم جهنجاه سنانا فغضب سنان ، ودعا بالأنصار ، ودعا الجهنجاه بالمهاجرين ؛ فقال عبد الله بن أبي : والله ما مثلنا ومثل المهاجرين إلا كما قال الأول : سَمْنٌ كَلْبِكَ يَا كَلْك . ثم قال : «^(٢) أَنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَا الْأَعْرَابُ مِنْهَا الْأَذَلَّ » ، يعنى بالأعراب نفسه وأتباعه ، ويعنى بالأذل رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ ثم قال لقومه : إنما يقيم هؤلاء بالمدينة بسبب موافقتكم وإتفاقكم عليهم ، ولو قطعتم عنهم ذلك لفرأوا عن مدينتكم ؛ فسمعه زيد بن أرقم ، فأخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبلغ ذلك عبد الله بن أبي ، فحنف لرسول الله أنه ما قال شيئا من ذلك وكذب زيدا ، فترأت السورة عند ذلك ، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم زيدا ، وقال له : صدقت الله بنزيد ، فخرى عبد الله بن أبي ومقتة الناس ، فبذل له أميرا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستغفر لك ، فإنه رحيم بالامة ، فعوى رأسه امتكبارا ، وقال : أُمَرَّتُمُونِي بِالْإِسْلَامِ فَاسْلَمْتُ ، وبأداء الزكاة فضلت ، ولم يبق لىكم إلا أن تأمرونى بالسجود لمحمد ؛ فهاش [٣١٢ ب]

قليلاً ومات ؛ قانا لله وإنا إليه راجعون .

لا حيلة في القدر : جمع الحديس والتعذيبُ بين بلال وعمار على فِئد الدين ،
فزور على عمار على خط قلبه . فلم يعرف التزوير ، وأمر بلال على دعوى
الإبلاس فسلموه إلى صديانهم في حديدة يمهرونه في حرّ مكة ، ويضمون على
صدره وقت الرمضاء صخرة ، ولسانُ محبته يقول :

بعينك ما يلقى القواد وما لقي وللشوقِ عالم يُبقَى منى وما بقي
وجىء بأبي جندل يجرُّ قيودَه ، فردّه صلى الله عليه وسلم إليهم ودموعه
تسيل على صدره ؛ وأنشد أبياتا آخرها :

وعلى ما صفحوا أو شتموا  لأرى يا طيبة منك يدا

وكذلك أبو سهيل وغيره حبسواهم عنه صلى الله عليه وسلم ، فعزى
القدر بآتياء ، والإيمان به ؛ وهؤلاء لم تسبق لهم سابقة سبق .

من أنت يا بلال حتى عرج بك على راق العناية إلى حضرة القرب القرب ،
وخلف عن نيل انطالاب أبو طالب ، جئت يا سامان من فارس حتى نظمتك
يدُ العناية في مالك سلمان منا أهل البيت . يا صهيب ؛ ما الذي سمعت من
الأخبار حتى تعلمت ، ولبست مربال الموم حتى سبقت . يا ابن أدهم ، من
أنت حتى طرأت حلل النار برقوم مدحتك . يا عتبة ، من أنت حتى تزيّدت
مجايس الأذكار بحديثك . يا رابعة ، من أنت حتى لبيت المنادى ، وحللت من
القرب في النادى ، وقيل لك : من أحلك قيات من أتى إليك ، اللهم ! لك
نُبّهت قلوباً نائمة ، وأيقظت أسماعاً ساهية ، وأقمت بالمواعظ إلى بابك قلوباً
نامية حتى سمعوا الإشارة ، فسرعوا وصفت قلوبهم لمحبتك فيهم ؛

فإنهم لم يعبروك حتى أحببتهم، ولم يفربوا منك حتى أوصلتهم، ارحمنا بذكركم،
واقبنا كما قبلتهم؛ فإنه لا مانع لنا أعطيت، ولا منفعي لما منعت، ولا
تحرم من نظري كتابي هذا وقال: اللهم ارحم المحروم برحمتك، وإن كان
غير مستهل قبول، فضلك الكريم لا يرد الطفيل والتلق.

فإن قلت: ما فائدة الجمع في قوله: «^(١)» وإذا قيل لهم تعالوا يستغفركم
رسول الله، مع أن الخطاب لواحد؟

والجواب: إن الإسناد للتحقير وإبقاء السر على العصاة حيث لم يعين
القائل، وقد كان له أتباع من المنافقين يوثقونه على ما قل،
فالخطاب لهم.

(^(٢) يأتين بمحاشية مبيحة): ضمير لإثبات يرجع إلى المطلقات، والمعنى
أن من نهى عن أن يخرج الرجل المنطقة من المسكن الذي طفقها فيه، وسهاها
هي أن يخرج باختيارها إلا أن تأتي بمحاشية.

واختلف في هذه المحاشية التي أبحاث خروج المعتدة على خمسة أقوال:

الأول أنها الزنى، فتخرج لإقامة الحد، قوله للبث بن سعد، والشعبي.

والثاني أنه سؤال وكلام مع الأصهار، فتخرج ويسقط حكمه من السكنى،
ويتركها لإقامة في مسكن تتخذه حفظاً للنسب، فإنه ابن عباس. وبؤيده قراءة
أبي من كعب: إلا أن يفحش عليكم.

والثالث أنه جيمع النعاصي من القذف والزنى والسرقة وغير ذلك، فبما

فَعَلَتْ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ سَقَطَ حَقُّهَا فِي السَّكْنَى ؛ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ أَيْضًا ، وَإِلَيْهِ مَالُ الطَّبَرِيِّ .

وَالرَّابِعُ أَنَّهُ الْخُرُوجُ مِنْ بَيْتِهَا خُرُوجَ انْتِقَالٍ ، فَهِيَ فَعَلَتْ ذَلِكَ سَقَطَ حَقُّهَا فِي السَّكْنَى ؛ قَالَ ابْنُ الْقَرَمِ : وَإِلَى هَذَا ذَهَبَ مَالِكٌ فِي الْمَرْأَةِ إِذَا نَشَزَتْ فِي الْمَدَّةِ .

الخامس أَنَّهُ النِّشُوزُ قَبْلَ الطَّلَاقِ ، فَإِذَا طَلَّقَهَا بِسَبَبِ نَشُوزِهَا فَلَا يَكُونُ عَلَيْهِ سَكْنَى ؛ قَالَ قَتَادَةُ .

(١) يُحَدِّثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا : الْمُرَادُ بِهِ الرَّجْعَةُ عِنْدَ الْجُمْهُورِ ؛ أَيْ أَحْصَوْا الْمَدَّةَ وَاسْتَلَوْا مَا أَمَرَتْ بِهِ لِمَلِكِ اللَّهِ يُحَدِّثُ الرَّجْعَةَ [٢١٣] الْمَسْأَلَةُ . وَفِي الْمَعْنَى : لَمَّا لَمْ يَحْدِثْ أَمْرٌ مِنْ فُسْخِ هَذِهِ الْأَحْكَامِ ؛ وَهَذَا بَعِيدٌ وَقِيلَ : إِنَّ سَبَبَ الرَّجْعَةِ الْمَذْكُورَةِ فِي الْآيَةِ تَطْلِيقُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِحَفْصَةَ بِنْتِ عَمْرِو ، فَأَمَرَ اللَّهُ بِمَرَاَجَعَتِهَا .

(٢) يَقْتَضِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ) ؛ أَيْ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَقَدْ قَدِمْنَا آيَةً أَنَّ الْمُرَادَ بِالْأَمْرِ الْوَحْيِ أَوْ إِحْكَامِ اللَّهِ وَتَدْيِيرِهِ تَخْلِيقِهِ .

(٣) يَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ) : الضَّمِيرُ يَعُودُ عَلَى الْمَلَائِكَةِ الْفَلَاحِ ، لِقِسَاوَةِ قُلُوبِهِمْ عَلَى مَنْ عَصَاهُ ، وَيَتَقَرَّبُونَ بِتَعَنُّفٍ إِلَى آدَمَ وَتَعْذِيبُهُمْ كَمَا هُوَ مُشَاهِدٌ فِي حَرَسِ مَلُوكِ الدُّنْيَا كَمَا أَزْدَادُوا عُنْفًا وَغِلَظَةً عَلَى الْمَأْمُورِ بِهِ أَزْدَادُوا مَحَبَّةً عِنْدَ الْأَمِيرِ .

(١) الطَّلَاق : ١

(٢) الطَّلَاق : ١٢١ (٣) التَّحْرِيمُ : ٦

فإن قلت : قوله « لا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ » يُغْنِي عن قوله :
« وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ » ؟

والجواب أنه أكّده بذلك ، ليزداد خوفاً المخاطب . أو معنى يفعلون
ما يؤمرون بنشاط وجدّ فيما أمروا به من عذاب الناس . اللهم أهدنا
من عذابك .

(^(٢)) يوم لا يُخْزِي الله النبيّ) : العامل في يوم يحتمل أن يكون ما قبله
أو ما بعده أو محذوفاً ، تقديره اذكر ، والوقف والابتداء يختلف
على ذلك .

(^(٣)) يَسْطُرُونَ) : الضمير للعلائكة على قول من قال : القلم هو الذي
يُكتب به في اللوح المحفوظ وعلى من قال إنه القلم المعروف عند الناس يكون
الضمير لبني آدم .

(^(٤)) يَنْدِلُنَا خيراً منها) : الضمير لأهل الجنة التي رأوها كالصّريم (^(٥)) ،
وقصّتهم معروفة . فطالب المؤمنون منهم البدل في الدنيا أو في الآخرة ، وهكذا
المؤمن يرجع إلى الله في نوائبه ولا يضجر بما يناله .

(^(٦)) يَبْصُرُونَهُمْ . . .) الآية : يعود ضمير « بنيه » فيها إلى الحميم ، لأنها
في معنى الجمع . والمعنى إن كل حميم يبصر حميمه يوم القيامة ، فبراء ولكنّه
لا يدانه ، لأنه مشغول بنفسه ، وأى شغل وهو يودّ حينئذ أن يندى نفسه
بينه الذين هم أحب إليه من نفسه ، ولا يجد ذلك ، ولذلك عطفه بهم ، (^(٧)) يَنْجِيهِ ،

(١) التحريم : ٦ (٢) التحريم : ٨ (٣) القلم : ١
(٤) القلم : ٣٢ (٥) في الآية ٢٠ من السورة نفسها : فأصبحت كالصريم .
(٦) الماعز : ١١ (٧) الماعز : ١٤

لبعد النجاة وامتناعها . والفاعل الذي يقتضيه : « لو يفتدى » ، وهذا الفعل معطوف على لو يفتدى ، ولذلك زجره عن ذلك بقوله : « ^(١) كلاً » .

(^(٢) يومهم الذي يوعدون) : قد قدمنا مراراً أنه يوم القيامة ، بدليل أنه أبدل منه : « ^(٣) يوم يخرجون من الأبدان » ، وهي القبور .

(^(٤) ينفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم إلى أجل مسمى) : هذا من قول نوح ، وعدهم أن ينفر لهم ما قبل إسلامهم لا بعده ، لأن ذلك في مشيئة الله ، فمن هنا التبويض ، وقيل لبيان الجنس ، وقيل لابتداء الغاية ؛ وهذان ضعيفان ، والأول أولى ؛ لأن التبويض فيها متجه . وتعلق المحرزة بهذا ؛ قالوا بالأجلين . ورد تعلقهم ؛ لأن المسمى أن نوح عليه السلام لم يعلم هل هم ممن يؤخر أو ممن يعاجل ، ولا قال لهم إنكم تؤخرون عن أجل قد جاء ، لكن سبق في الأزل أنهم إما ممن قضى له بالإيمان والتأخير أو ممن قضى له وعليه بالكفر والعاجلة ، فكان الاحتمال يقتضيه ظاهر الآية إنما هو يبرز الغيب من حالهم ؛ إذ يمكن أن يبرز إما الإيمان والتأخير وإما الكفر والعاجلة ، وأما ما عند الله فالحال الذي يكون منهم معلوم مقدّر محتوم ، وأجلهم كذلك معلوم مقدّر محتوم .

فإن قلت : ما المانع من كون « من » للثانية ، أعني الابتداء والانهاء ؛ كقولك : أخذت المال من الصندوق ؟

والجواب لا يصح هنا ، لأن الصندوق غير مأخوذ ، بل مأخوذ منه ، فيلزم هنا أن تكون الذنوب غير مخفورة ، ومثل من أبو الربيع أنه إشارة إلى أن

الإسلامَ يحبط ما قبله . وردَّ بأنه يلزم صدق الذنوب على الماضي والمستقبل ، لأن
الخطابَ للكفار ، فيلزم الجواز ؛ لأن الآتي لم يعملوه ، فكيف يصدق عليه أنه
ذنوب قبل الفعل . ونقل عن ابن عصفور أنه قال : يغفر لكم جملةً من ذنوبكم .
وردَّ بأن تلك الجملة بعض الذنوب ، فلا حاجة إلى تقديرها ، ولقطة من الناثبة
مناب بعض يغنى عنها .

ثمأمل يا محمدى هذه العناية الربانية بك حيث خاطب هذه الأمة ؛ قال في
حقهم : يَغْفِرُ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ، وحيث خاطب الأمم [٣١٣ ب] المتقدمة
أسيأؤم خاطبهم بالبعث ، اعلم الفرق بين خطاب المولى الكريم من
خطاب عبده .

(^(١) يقول : سَفِيفًا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا) : هذا من كلام الجن ، والمراد
بالسفيه أنوم إبليس . وقيل هو أمم جاسٍ لكل سفيه منهم ، وهو المختار
عند ابن عطية .

(^(٢) يَعْوْذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ) : الضمير يعود على العرب ، لأنهم
كانوا إذا حلَّ أحدهم واد صاح بأعلى صوته : باعزير هذا الوادى ؛ إني أعوذُ
بك من السفهاء الذين في طاعتك ، ويعتد أن ذلك الجنى الذى بالوادى يحميه ،
وهذا جهلٌ منهم وإنكار للربوبية ، ولذلك قال الله : ^(٣) فزادوهم
رهقًا .

(^(٤) يَدْعُوهُ) : الضمير لجد الله ^(٤) التقدم . وقد قدمنا مرارا أن الله

(٣) الجن : ١٩

(٢) الجن : ٦

(١) الجن : ٤

(٤) في الآية نفسها .

سماء هذا لإضافته لتشريف والتكريم . وقال الزمخشري : إنما لم يقل الرسول أو النبي لأن هذا وقع في كلام رسول الله عن نفسه ، لأنه مما أوحى إليه ، فذكر النبي صلى الله عليه وسلم نفسه على ما يقتضيه التواضع والتذلل ؛ وهذا بعيد مع أنه إنما يتمكن على قراءة أنه لما قام بفتح الهمزة فيكون عطفاً على أوحى إلى أنه استمع . وأما على القراءة بالكسر على الاستئناف فيكون إخباراً من الله ، ومن جملة كلام الجن ، فيبطل ما قبله .

(^(١) يكونون عليه لبداً) : يحتمل أن يكون الضمير للكفار من الناس ، أى كانوا يحتمسون على الرد إليه وإبطال أمره ، أو يكون للجن الذين استمعوا ، أى كانوا يحتمسون عليه لاستماع القرآن للتبرك به .

(^(٢) يجعل له ربي أمداً) : أى لا أدرى أقریب ما توعدون من قتلکم يوم تذر أو موتکم بعد ، ولذلك قال : «^(٣) عالم الغيب » ، يعنى هذا أمر غيب .

(^(٤) يوم ترجف) : العامل في يوم معنى الكلام المتقدم ، وهو «^(٥) إن لدينا أنكلاً » .

(^(٦) يجعل الوالدان شيباً) : يعنى أن الأطفال يشيرون يوم القيامة من شدة الهول ، فتيل إن ذلك حقيقة ، وقيل إنه عبارة عن هول ذلك اليوم ، وأخذ من الآية أن الهم يسرع الشيب ، وهذا ما شاهد في كثير من الأشخاص في كل عصر . وقد رأينا من شباب من هم ساعة ، ورأينا حكايات شتى أنهم

(١) الجن : ١٩ (٢) الجن : ٢٥ (٣) الجن : ٢٦

(٤) الزمل : ١٤ (٥) الزمل : ١٢ (٦) الزمل : ١٧

شابوا من ذلك ، فإذا كان هذا في الدنيا المُنْقَرِضة هدمها ، لاخيرها يدوم
ولا شرها يبقى ، فمالك بيوم تدهل فيه كل مرضعة عما أرضعت ، ويفر
المرء من أخيه ! اللهم لا محيص من هؤلاء إلا بك ، ولا مفر منه إلا بعفوك ،
فاجعله لنا يوم رحمة لا يوم نقمة ، إليك المُسْتَسْكِي ، وبك المستغاث ، وعليك
التسكلان ، ولا حول ولا قوة إلا بك .

(١) «يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ» : أى يطمع فى الزيادة على ما أعطاه الله ، ويظن
أن حرصه واجتهاده يوصله لمراده ، وهذا غاية الجهل ، ولذلك قال مهدداً له :
«(٢) كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيداً» .

«(٣) يقول الذين فى قلوبهم مرض والكافرون» : المراد بالأولين
النافقون ، لأنه وصفهم بمرض قلوبهم .

فإن قلت : ذلك فى البقرة ، وهذه الآية مكية ، فكيف يصح إطلاقها عليهم
وليسوا بها ؟

والجواب : أن معناه يقول النافقون إذا حدثوا ، فيه إخبار بالغيب ، أو يريد
مَنْ كان بمكة من أهل الشك .

(٤) «يَفْجُرُ أَمَامَهُ» : أى يفعل أفعال الفجور . وفى معنى «أمامه» ثلاثة
أقوال : أحدها أنه عبارة عما يستقبل من الزمان ، أى يفجر بقية عمره . الثانى
أنه عبارة عن اتباع أغراضه وشهواته ؛ يقال : مشى فلان قدماً إذا لم يرجع عن
شيء يريد ، والضمير على هذين القولين يعود على الإنسان . الثالث أن

(١) المذتر : ١٥ (٢) المذتر : ١٦ (٣) المذتر (٣١) : وليقول ...

(٤) القيامة : .

الضمير يعود على يوم القيامة . والمعنى يريد الإنسان أن ينجبر قبل يوم القيامة .

(١) يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ) : أى يسأل الإنسان على وجه الاستخفاف والاستهزاء متى يوم القيامة . وهذا لجهله إما على أن من مات فقد قامت قيامته وهو يشاهد الموت بفتنة ، فكيف يستبعد ما وليس الخمر كالمعاينة ، لكن الجاهل أعمى ، ولا يقال لهذا جاهل بل أحق .

(٢) يَنْبَأُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ) : أى بجميع أعماله المقدمة فى عمره ، وما أخر منها بعد مماته . هل من سنة حسنة أو سيئة أو صلة أو وصى بها تضره أو تنفعه ، أو ما قدم من المعاصى وأخر من الطاعات ؛ أو ما قدم لنفسه من ماله [١٢١٤] وما أخره منه . أو ما قدم فى أول عمره وما أخر فى آخره . ويحتمل أنه ينبأ عن مجموعها . وفى الحديث : يذنبو أحدكم من ربه ليس بينه وبينه ترجان ، فيقول عدى خلقتك بتدبيرى ، وصورتك بحكمتى ، وأتممت عليك نعمتى ، فلم عصبتنى ؟ فأى جوب لك أيها العبد ؟ وفى حديث آخر : لا تزول قدما عبد حتى يسأل عن خمس : عمره فى أفقائه ، وشبابه فى أبلاؤه ، وعن ماله من أين اكتسبه ، وفيما أفقاه ، وعن علمه ما عمل فيه ، أتدرون من المفلس ؟ قالوا : لا ، يا رسول الله . قال للمفلس من يأتى يوم القيامة وله أمثال الجبل من الحسنات ، ويأتى قد شتم هذا ، وقذف هذا ، وضرب هذا ، وأكل ماله هذا ، فهذا يأخذ من حسناته وهذا من حسناته ، فإذا فقيت حسناته طرحت عليه سيئاتهم ، ثم طرح فى النار . اللهم ارحمنا إذا صرنا إليك ، والطف بنا يوم الوقوف بين

يدريك ، أفستُ عليك بأكرم الخلق عليك وأرغمهم مكانة لديك محمد صلى الله عليه وسلم .

(^(١) يومئذ المساق) : مصدر من السوق ، كقوله تعالى : « إلى الله المصير » .

(^(٢) يَتَمَتَّى) : الضمير يعود على أبي جهل ، وذلك أنه كان يتبعثر في مشيته ويتعجب من نعمته ، ويرى أنه أفضل قومه ؛ فرد الله عليه بقوله : « ^(٣) ألم يك نطفة من مئـمـةٍ يعني ... الآية ؛ أي من كانت هذه حاله كيف يتبعثر ، وكانت هذه المشية معروفة في بني مخزوم ، وختم هذه الآية بقدرته تعالى على إحياء الموتى ، لأن من لازم خلق الإنسان وتطويره على هذه الهيئة المشاهدة القدرة على إحياء الموتى من باب أولى .

(يَتَّبِعَانِ) : قد قدمنا أن النبيَّ من قد أباه من الآدميين ؛ ومن الحيوان من قد أمه ، وسأل الله نبيه بقوله تعالى : « ^(٤) ألم يعبدك يتبا فآوى ... » إلى آخرها . وذلك أنه قال ليلة الإسراء : يارب ، اصطفت آدم ، وسلت على نوح ، ورفضت إدريس ، وكلمت موسى ، فقال له : « ^(٥) ألم يعبدك يتبا فآوى ... » إلى آخره لم نشرح .

وهذا الاستفهام على ذكر الله والتسليم بما أعطاه الله وفضله على سائر الرسل ، هذا ما أعطاه الله في الدنيا والآخرة وأعظمها قوله : « ^(٦) ولستوف يُعطيك ربك فترضى » ؛ ففي إبهام هذا المعطاء ما لا يوصف .

(١) البقرة : ٣٠ (٢) البقرة : ٢٢ (٣) البقرة : ٢٧

(٤) النحل : ٦ (٥) النحل : ٥

(١) يَوْمًا عَجُوسًا : قد قدمنا أنه عبوس على الكافر ، لأنه يعبدس يومئذ حتى يسيل الدم من عينيه ، مثل القطران ، وأما المؤمن فيسرى بما يلقى من الرحمة الخاصة به ، جعلنا الله منهم .

(٢) يَا ابْنِي كُنْتُ تُرَابًا : هذا من قول الكافر لما يرى من اقتصاص البهائم بعضها من بعض ، ثم ترجع ترابا فيقوله ليس من العذاب كما سلمت الحيوانات ، وأتى له ذلك ؛ وقيل المراد به إبليس ، لأنه احتقر التراب في قوله : « خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ » ، فيتمنى حينئذ أن يكون مثل آدم وأولاده لما رأى ما أنعم الله على المؤمنين منهم .

(يوم تَرْجُفُ) (الراجفة . تَتَّبِعُهَا الرَادَّةُ) : العامل في «يوم» محذوف ، وهو الجواب المقدر ، تقديره تتبعن يوم تَرْجُفُ الراجفة . . . وإن جعلنا يوم ترجف الجواب فاعامل في يوم معنى قوله : « قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ » ، أى شديدة الاضطراب كما قدمنا في حرف الواو ، ويكون تتبعها الرادفة في موضع الحال .

ومحتمل أن يكون العامل فيه تتبعها ، وقد قدمنا أن هذين الاسمين من أسماء القيامة ، فقبل الراجفة النفخة الأولى في الصُّور ، والرادفة الثانية لأنها تتبعها ، وبينهما أربعون عاما . وقد قدمنا في حرف التاء أن الراجفة الأرض ، والرادفة السماء ؛ لأنها تنشق يومئذ . وقيل الراجفة الموت ، والرادفة القيامة . وقد قدمنا أن النفخ على ستة أوجه : لآدم ، « فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي » .

(١) الإنسان : ١٠ (٢) البأ : ٤٠ (٣) الأعراف : ١٢

(٤) النازعات : ٦ (٥) النازعات : ٨ (٦) الحجر : ١٩

ولدى القرنين : « (١) قل انفخوا » . ولريم : « (٢) ففتحنا فيها من رؤسنا » .
ولعيسى عليه السلام : « (٣) فأنفخ فيه » . وفي هاتين النفتين : « يقولون :
أنتا (٤) لمردودون في الحافرة » .

هذه حكاية قول الكفار في الدنيا ، ومعناه على الجملة إنكار البعث ،
فالمهزة في قولهم أنتا لمردودون للإنكار ، ولعلك اتفق لقراء على قراءته
بهمزتين إلا أن منهم من سهل الثانية ، ومنهم من حققها . واختلفوا في
(٥) إذا كنّا [٣١٤ ب] عظاماً ؛ فمنهم من قرأ بهمزة واحدة ، لأنه
ليس موضع استفهام ولا إنكار ، ومنهم من قرأ بهمزتين تأكيذاً
للإنكار المتقدم .

(٦) يَفْضِي مَا أَمَرَهُ : مجزوم بـ ما ، ومعناه أنه لا يقضى الإنسان على تطاول
عمره ما أمره الله ؛ إذ لا بُدَّ للأبد من تفریط ، وإذا كانت الأبياء والرسل
والملائكة المقربون يقولون يوم القيامة : سبحانك ما عبدناك حقَّ عبادتك ،
فكيف يقضى للعاصي لربه حق ؟ أو كيف تقضى العبودية حقَّ الربوبية ؟

(٧) يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالِينَ) : الظرف منصوب بقوله :
« مبعوثون » . وقيل بفعل مضمر ، أو بدل من « يوم عظيم » .

وقيلُ الناس يوم القيامة على حسب اختلافهم ؛ فمنهم من يقوم خمسين
ألف سنة وأقل من ذلك على حسب أعمالهم ، ومنهم من يقوم من قبورهم إلى
قصورهم ، ومنهم على قدر صلاة مكتوبة .

(١) الكهف : ٩٦ (٢) الأنبياء : ٩١ (٣) آل عمران : ٤٩
(٤) النازعات : ١٠ (٥) الإسراء : ١٩ ، ٩٨ (٦) عبس : ٢٣
(٧) العنكبوت : ٦

(١) يَشْمَدُهُ الْقَرَّبُونَ) : يعنى اللائكة لقرهم من الله .

(٢) يَشْرَبُ بِهَا) : يعنى يشربها ، فالباء زائدة . ويحتمل أن تكون بمعنى يشرب منها ، أو كقولك : شربت الماء بانعسل .

(٣) يَمْحُور) : أى يرجع باقة الحبشة ؛ قوله ابن عباس .

(٤) يخرج من بين الصلْبِ والتَّرَائِبِ) : الضمير للماء . وقال ابن عطية : يحتمل أن يكون للانسان ، وهذا بعيد جدا .

(٥) يوم تُبْلَى السَّرَائِرُ) : يعنى تنكشف سراير العبد التى كانت فى قلبه من عقائد ونيات ، وتلك لا يجد فيها فى هذا الزمان إلا ضغائن وحقائد وخبث طويّات . وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم : إن السرائر الإيمان والصلاة والزكاة والفصل من الجنابة .

وهذه معظّمها ؛ ولعلك خصّها بالذكر ، والعامل فى « يوم » قوله « رَجَعَهُ » ، أى يرجعه « يوم تبلى السرائر » . واعترض بالفصل بينهما . وأجيب بقوة المصدر فى العمل . وقيل : العامل قدر . واعترض : بتخصيص القدرة بذلك اليوم ، وهذا لا يلزم ؛ لأن القدرة وإن كانت مطلقة فقد أخبرنا أن البحث إنما يقع فى ذلك اليوم .

(٦) يومئذ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذُّكْرَى) : يعنى كيف تنفعه حينئذ الذكرى ، وقد انقطعت علاقته . والإنسان جنس يشمل جميعه ، وتذكره إنما هو بخدمه على تفريطه ، ويومئذ بدل من دكت ، ويتذكر هو العامل ، وهو جواب دكت .

(١) يقول ياليتني قدّمتُ لحياتي ، أي قدمتُ عملاً صالحاً وقت حياتي ، قاللأم على هذا كقولك : كتبت عشر من الشهر .

وقيل الحياة في الآخرة . والمعنى : ياليتني قدمتُ عملاً صالحاً الآخرة .

وكيف ينفعه هذا القول وقد أخبر الله بعذابه ووثاقه ؟

(٢) يَأْتِيهَا النَّفْسُ الطَّمِئَةُ) : قد قدمنا أن النفوس ثلاثة : لوامة ، وأمارة ، ومطمئنة ، وهي المرادة هنا بالخطاب ، لأنها الموقفة بحيث لا يتطرق إليها شك في الإيمان . وقيل المطمئنة التي لا تخوف حينئذ . ويؤيدُ هذا قراءة أن ابن كعب : يَأْتِيهَا النَّفْسُ الْأَمَةُ الطَّمِئَةُ .

(٣) يقول أَعَدَّكَتُمْ لَنَا أَبَدًا) : بضم اللام وكسر هاء . بمعنى الكثرة . والقاتل لهذا عدو قوم الوليد بن المغيرة ، لأنه أنفق أموالاً في إفساد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(٤) يَتَزَكَّى) : من أداء الزكاة ، أو من الزكاه ، أي يصير زاكياً عند الله ، أو يتطهر من ذنوبه . وهذا العمل بدل من «^(١) يؤتى ماله » ، أو حال من الضمير . والمراد به أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، ولو لم يكن له من الفضيلة إلا نزول هذه السورة فيه لكان فيها كفاية ، فكيف وقد شبهه رسول الله صلى الله عليه وسلم بأصف لآتى ببركة من مكة إلى المدينة . وسمى صديقاً لأنه صدق النبي صلى الله عليه وسلم حين كذبه الناس ، وعتيقاً لقول النبي صلى الله عليه وسلم : أنت عتيق من النار .

(١) النجر : ٢٤ (٢) النجر : ٢٢

(٣) البلد : ٦ (٤) الليل : ١٨

ولما زلت : « ^(١)ولسوف يرّضى » - قال : يا رسول الله ، لا يرضى أن
أحد من أمتك يدخل النار . فتبسم صلى الله عليه وسلم وقال : إن الله يقول لك :
إن شئت وقفت في يوم القيامة تشفع فيمن أحببت وإن شئت مضيت .

وقد آلت تأليفاً سمّيته الوثيق في نصره الصديق ، وبالجلة فالصحابه كلهم
عدول لا يحدد عدالتهم إلا منافق مبتدع ، وكيف لا والله يقول : « ^(٢)محمد
رسول الله والذين معه أشداء على الكفار ... » الآية ، فرضى الله [١٣١١]
عنهم وعن رضى عنهم وأحبهم .

(^(٣)يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى) : الخطاب انبينا صلى الله عليه وسلم . ولما
زلت قل : لا أرضى أن يبقى أحد من أمتي في النار . فقال الله له : لا بد
من نفاذ الوعد على طائفة . فطالب فيهم الشفاعة . والصحيح أن هذا وعد يعم
كل ما أعطاه الله في الدنيا من النصر ، والقنوح ، وكثرة المسلمين ، وغير ذلك ؛
وفي الآخرة من الوسيلة ، والدرجة الرفيعة ، والمقام المحمود الذي
لا يناله أحد .

فإن قلت : ما فائدة الامتنان عليه بالهم ؟

والجواب : لئلا يكون عليه حق الخلق ، ولإمات أبوه تركه في بطن
مولانا آمنة ، ثم مات وهو ابن خمسة أعوام . وقيل ثمانية ، فكفله جده
عبد المطلب ، ثم مات وتركه ابن اثنتي عشرة سنة ، فكفله عمه أبو طالب ،
ورام المائدون قتله وخوده فلم يقدروا عليه لحفظ الله له صبياً وكهلاً ، فلهدا
عده نعمة عليه سبحانه كما قدمنا .

(١) يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً . الضمير لرسول الله صلى الله عليه وسلم . وذلك أنه يَتْلُو القرآن في صُحُفٍ مطهرة . وقد قلنا منهاها .

(٢) يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا) : هذه عبارة عما يحدث الله فيها من الأحوال ، فهو مجازٌ وحديث بلسان الحال . وقيل : هو شهادتها على الناس بـ عملوا على ظنهم ، فهو حقيقة . وتحدث يتعدى إلى مفعولين ، حذف الأول منها . والتقدير تحدث الخلق أخبارها . وانتزع بعض المحدثين من قوله : تحدث أخبارها أن قول المحدث : حدثنا ، وأخبرنا سواء . وهذه الجملة في جواب : « إذا زلزلت الأرض » ، وتحدث هو العامل في إذا ، ويومئذ بدل من إذا ، ويجوز أن يكون العامل في إذا مضر وتحدث عامل في يومئذ .

(٣) يَوْمَئِذٍ يَخْلَعُ النَّاسُ أَسْتَاتًا لِّرَوِّا أَعْمَالِهِمْ) : أى مختلفين في أحوالهم ، وصدور الناس هو انصرافهم من موضع وردهم . وقيل الورد هو الدفن في القبور والصدور هو القيام للبعث . وقيل الورد القيام للمحشر ، والصدور الانصراف إلى الجنة أو النار ، وهذا أظهر . وفيه يعظم التفاوت بين أحوال الناس ، فيظهر كونهم أشتاتا .

(٤) يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ) : العامل في الظرف محذوف دل عليه القارعة .
تقديره في يوم .

(يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ) (٥) : أى يظن بقرط جملته واغتراره أن ماله يخلده في الدنيا . وقيل : يظن أن ماله يوصله إلى دار الخلد .
واختلف على من يعود الضمير من الكفار على أقوال .

(٢) الزلزلة : ٦

(٣) الزلزلة : ٤

(١) البقرة : ٢

(٥) الهجزة : ٣

(٤) القارعة : ٤

(^(١) يدع اليَينيم) ؛ أى يدفعه بعُنت ، وهذا يحتمل أن يكونَ عن إطعامه والإحسان إليه ، وعن ماله وحقوقه ، وهذا أشد .

(^(٢) يَمُضُّ على طعام المسكين) : هذه الجملةُ في جوابِ أَرَأَيْتَ (^(٣)) ؛ لأنَّ معناها أخبرني ، فكأنه سؤالٌ وجواب .

والمنى انظر الذى يكذب بالدين تجد فيه هذه الأخلاق القبيحة والأعمال السيئة ؛ وإما ذلك لأنَّ الدين يحمل صاحبه على الحسنات ، وترك السيئات ، فتمسود الكلام ذمُّ الفاعل لذلك . قال الجنيد : عرضت نفسى ليلة على هذه الدرة ، فلم أجد فيها ذلك ، ثم عرضت عليها « قد أفلح المؤمنون » ، إلى قوله : أولئك فى جنات مكرمون ، قلت : سبعاذك لامن هؤلاء ولا من هؤلاء ، فدمعتُ هاتفا يقول : من الذين خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً عسى الله أن يتوبَ عليهم . هذا الجنيد فكيف حالك ياخويذ .

(^(٤) يَرَأَوْنَ) الناس ، فكانت صلاتهم للناس لا لله ، فذلك ذمهم الله فى الدنيا وعذبهم فى الآخرة ، وفى هذا تحذير لمن اتصف بصفاتهم ، فالأحقُّ مَنْ يعمل رضا الناس ، وهو لا يدرك ، وأجملُ الناس مَنْ طلب ما لا يدرك ، وعن قريب يظهر له رُفله . وهذا يختلف باختلاف المقاصد ، لأنَّ مَنْ عمل لإظهار الله جيله وستره قبيحه ، أو لأنه يفضل به ذلك فى الآخرة ، أو لقدوتهم به أدله مثل أجورهم أو فرح بشنائهم لحبهم الطاعة والطبيع وسلامتهم من أضرارها ، أو ليعرف حبُّ ربِّه تعالى إذا أحبه حُبُّه إلى عباده ، أو لئلا يشغله ذمهم ويحوه فحس .

(^١) يَمْنَعُونَ الْمَأْمُونِ) : قد قدمنا في حرف الميم أن هذا وصف لهم بالبخل وقلة المنفعة للناس ، وَمَنْ لَا يَنْفَعُ النَّاسَ لَا يَنْفَعُهُ اللَّهُ ، وَأَنْفَعُ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ [٣١٥ ب] إلا إن أوجب الله طردهم وبعدم وهجرانهم ، فالبنفس في الله أوجب ؛ ولذلك اختلف الفقهاء في الصدق على ترك الصلاة ؛ قال بعضهم : الحديث الذي قال : « عَنْ صَلَاتِهِمْ » ، ولم يقل في صلاتهم .

(^٢) يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ . لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ) : سبب نزول هذه السورة أن قوما من قريش منهم الوليد بن المغيرة ، وأمية بن خلف ، والعماسي ابن وائل ، وأبو جهل ونظراؤهم - قالوا : يا محمد ، أتبيع ديننا ونذبح دينك ، أعبد آلهتنا سنة ، ونعبد إلهك سنة . فقال : معاذ الله أن أشرك بالله شيئا .

ونزلت السورة في معنى البراءة من آلهتهم ، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم : مَنْ قَرَأَهَا فَقَدِ بَرِيَ مِنَ الشِّرْكِ . وفي هذا المعنى الذي عرضت عليه فريش نزل قوله : «^(٢) أَنْفَعِ اللَّهُ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ » ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم نزلت السورة بسببها .

فإن قات : لم كرر قوله تعالى : «^(١) وَلَا أُنَاعِبُ مَا عَابَدْتُمْ » ؟

فالجواب في تكرار هذه الآيات أقوال جمّة ومئات كثيرة ، وتلخيصها أن الله تعالى نفى عن نبيه عبادة الأصنام في الماضي والحال والمستقبل ، ونفى عن الكفار المذكورين عبادة الله في الأزمنة الثلاثة أيضا ، فانحصر

(٢) الكافرون : ٢١

(١) المأمون : ٢

(١) الكافرون : ١

(٢) الزمر : ٦٤

القياس تكرار هذه اللفظة ست مرات . فذكر لفظ الحال ؛ لأن الحال هو الزمان الموجود ، واسم الفاعل واقع موقع الحال وهو صالح للأزمنة الثلاثة ، واقتصر من الماضي على السند إليهم ، فقال : ولا أنا عابد ما عبدتم ، وكان اسم الفاعل بمعنى الماضي فصل على مذهب الكوفيين . واقتصر من المستقبل على السند إليه ، فقال : ولا أنتم عابدون ما أعبد ، وكان اسم الفاعلين بمعنى المستقبل .

(^(١) يُشِيرُكُمْ) ؛ أى يُدْرِكُكُمْ ، وهو من الشعور بالشئ .

(^(٢) يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ) : أى يَجُورُونَ فِي أَسْمَائِهِ وَيَشْتَقُونَ اللَّاتِ مِنَ الْإِلَهِ ، وَالْمَرْزَى مِنَ الْمَرْزِ ، وَقِيلَ تَسْمِيَتُهُ بِمَا لَا يَلِيْقُ بِهِ ، وَلَمَّا قَالَ أَبُو جَهْلٍ مَا قَالَتْ رَزَتْ الْآيَةُ

(^(٣) يَوْمَ حُنَيْنٍ) : عَطَبَ عَلَى ^(٤) « مَوَاطِنَ » ، أَوْ مَنْصُوبٍ بِفَعْلٍ مُضْمَرٍ . وَهَذَا أَحْسَنُ لَوْجِهَيْنِ : أَحَدُهُمَا أَنْ قَوْلَهُ : ^(٥) « إِذَا عَجَبْتُمْكُمْ كَثُرَتْ تُسْكُمُ » : مُخْتَصٍ بِحُنَيْنٍ ، وَلَا يَصِحُّ فِي غَيْرِهِ مِنَ الْمَوَاطِنِ ، فَيُضَعَّفُ عَطْفُ أَحَدِهِمَا عَلَى الْآخَرِ ، إِلَّا إِنْ أُرِيدَ بِالْمَوَاطِنِ الْأَوَاقَاتِ . وَحُنَيْنٌ اسْمٌ عَلَمٌ لِمَوْضِعٍ عُرِفَ بِاسْمِ رَجُلٍ اسْمُهُ حُنَيْنٌ ، وَاصْرَفَ لِأَنَّهُ مَذْكُورٌ ، وَهِيَ قَرْيَةٌ قَرِيبُ الطَّائِفِ .

(^(٦) يُجَادِدِ اللَّهُ وَرَسُولَهُ) ؛ أى يَخَالِفُهُمَا وَيُعَادِيهِمَا . وَقِيلَ : اشْتَقَّاهُ مِنَ الْحَدِّ ، كَقَوْلِكَ : يَكُونُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ فِي حَدٍّ ، وَهُوَ فِي حَدٍّ .

(^(٧) يُفَاكُّ النَّاسُ) : يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْفَيْثِ ، أَيْ يَمْطَرُونَ ،

(١) الأسماء ١٠٩ (٢) الأعراف ١٨٠ (٣) التوبة ٢٥

(٤) التوبة ٩٣ (٥) يوسف ١٩

أو من الثوث ؛ أى يفرج الله عنهم .

(^(١) يُعَاوِرُهُ) : أى يراجعه فى الكلام .

(^(٢) يَغْلُبُ كَفُّهُ) : يعصق بالواحدة على الأخرى كما يفعل المتقدم المتأسف على ما فاتته .

(^(٣) يُغَادِرُ) : يخلف ويترك .

(^(٤) يُضَيِّفُهُمَا) : ينزلوهما منزلة الأضياف فى إطلاعهما والإحسان إليهما .

(^(٥) يَمْقَبُ) : يرجع على عَقْبِهِ بِنِى خَيْفٍ - وقيل يانفت .

(^(٦) يُوْزَعُونَ) : يكفون ويعبسون . وجاء فى التفسير بحبس أولهم على أقدامهم حتى يدخلوا النار . ومنه قول الحسن رضى الله عنه لما تولى القضاء وتذكر الناس عليه : لا بد لك من من وزيمة ، أى من شرطة يكفون الناس عند القاضى .

(^(٧) يُؤْتُونَ مَا آتَوْا) : من الزكاة والصدقة . وقيل إنه عام فى جميع أعمال البر ؛ أى يفعلون وهم يحافون ألا تنبئ بهم .

وقد روت عائشة هذا المعنى عن النبي صلى الله عليه وسلم إلا أنها قرأت بأتون ما أنوا بالقصر ، فيحتمل أن يكون الحديث تفسيراً لهذه القراءة ،

(١) الكهف : ٢٤ (٢) الكهف : ٤٢ (٣) الكهف : ٤٩

(٤) الكهف : ٧٧ (٥) النمل : ١٠ (٦) النمل : ١٧

(٧) المؤمنون : ٦٠ (٨) الحديث بتمامه فى المطرطيس : ١٢ - ١٣٢

وقيل : إنه عام في الخدمات والسيئات ؛ أى يفعلونها وهم خائفون من الرجوع إلى الله .

فإن قلت : ما فائدة حذف الضمير في هذه الآية المنبث في الآيتين قبلها ؟

فالجواب : أنه أكد في الأولين بالضمير ، وفي هذه بقواه : وقلوبهم وجِلَّة ؛ أى خائفة .

(١) يَكْوَرُ اللَّيْلُ عَلَى النَّهَارِ) : أى يلف هذا على هذا ، ككسور العمامة ، وهو هنا استمارة على ما قال ابن عطية بعيد من هذا على هذا ، فكأن الذى يطول من النهار أو الليل يصير منه جزء على الآخر فستمره ، وكأن الذى يقصر يدخل فى الذى يطول [١٣١٦] فَيَسْتَتِرُ فِيهِ . ويحتمل أن يكون المعنى أن كل واحد منها يغيب الآخر إذا طرأ عليه ، فشبّه في استمراره به يتوب يلف على آخر .

(٢) يَرْفِقْنِ بِمَا كَسَبُوا) : ضمير التانيث يعود على السفن ، يعنى يهلكها بما يكسب أهلها . وهذا عطف على « يَسْكِنُ الرِّيحُ » ، ومعناه لو شاء الله أغرق السفن من شدة الرياح العاصفة ، أو يسكنها فيظللن رَوَّاكِدَ عَلَى ظُهُورِهِ لَا يَتَحَرَّكْنَ بِالْجَرَى .

(٣) زَيْتُونِكَ بِأَبْصَارِهِمْ) : أى يزبدوك بعيونهم ، لأهم غاروا من فصاحتهم ؛ فقال له فائل منهم : ما أفصحك ! ونصد أخذهم بأعين : لأنه أعياهم

(١) الزمر : • (٢) الشورى : ٢٤ (٣) الشورى : ٢٣

(٤) القلم : ٥١

أمره ، فلم يَبْقَ لهم من الرحيل إلا هذا ، فأُزِلَ اللهُ عليه هذه الآية ، وحفظه منهم ؛ فلذلك لا تجد أنفع رُقِيَةٍ منها لمن أصابه الدين ، وقرئت ليزقونك بضم الياء ؛ أى يستأصلونك من قولهم : أزلق رأسه إذا حلقه .

(^(١) يُوْرِضُونَ) : يسرعون الخروج من القبور إلى المحشر ، كما يسرعون الدنسى إلى أصنامهم في الدنيا ، لكنه خلاف إسماعهم إليها ؛ لأن الدنيا دارُ مهلة وتنعّم ، وهناك كما وصف الله حالهم « خاشعة أبصارهم ترهقهم » (^(٢) ذِلَّةٌ ، ووجوههم مغبرة ترهقها قفرة .

(^(٣) يُوْعُونَ) : أى يجمعون في صدورهم من الكفر والتكذيب ، أو هو سبحانه عالم بما يجمعون في صحائفهم من الأعمال ، يقال : أوعيت المال وغيره إذا جمعته .

ولاحتم معانى هذه الحروف بذكر دخول مَنْ أورثه الله هذا الكتاب العظيم من الظالم والمقتصد والسابق ، وأن الله وعدم بجنة عدن يدخلونها ، والضهير راجع إلى الثلاثة ؛ قال تعالى : « (^(٤) نَمَّ أَوْرَثْنَا الكتابَ الذين اصطفينا من عبادنا ، فمنهم ظالمٌ لنفسه ، ومنهم مقتصدٌ ، ومنهم سابقٌ بالخيرات بإذن الله ذلك هو الفضل الكبير . جناتٌ عدنٌ يدخلونها » .

قلت عائشة رضى الله عنها : لو عدوا ما تحت واول الجماعة لما توافر حاكم .
وقل صلى الله عليه وسلم : سابقنا سابق ، ومقتصدنا لاحق ، وظالمنا مغفور له .

(١) للسراج : ٤٣ (٢) اللهم : ١٣ (٣) الانشاق : ٢٣

(٤) فاطر : ٣٣ ، ٣٤

فإن قلت : ما فائدة تقديم الظالم ؟ وملاً جاءت الآية من الحديث ؟
 فالجواب : عادة الخلق يقدم الأفضل ، فخطبهم صلى الله عليه وسلم على
 عوائدهم ، ألا ترى قوله : زُرْغَبًا تَزْدَدُ حُبًّا . وقال الله : ﴿ ^(١) وَاعْبُدُوا رَبَّكُمُ
 حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ۝ وَيَقُولُونَ : لَا تَعْبُدُوا فَتَبْلَى . وقال الله : ﴿ ^(٢) فَاعْتَرَفُوا
 بِذُنُوبِهِمْ ۝ وَيَقُولُونَ : أَحْسِنَ إِلَى مَنْ أَحْسَنَ إِلَيْكَ .

ولما كان السابق قريباً ، والظالم بعيداً ، والقريب يحتمل مالا يحتمل البعيد ،
 والظالم منكسر الرأس من حياء جرأته ومعصيته ، فلما نكس رأسه رغبه الله
 كما أن الجودى وطور زينا لما لم يرفساروه وسهما أكرمهما الله كما قدمنا ، والظالم
 ضعيف ، والسابق قوى ، والعادة فى القافلة تقديم الضعيف والرجالة ، ألا تراه
 صلى الله عليه وسلم كان يقدم الضعفة إلى منى قبل الفجر ، فقدم الظالم لئلا
 يقتضخ ولا يعاب ، وأيضاً الظالم غير مدع والسابق مدع ، ولو قدم السابق
 وآخر الظالم لبان منه العدل ، والظالم رفع قمته إلى الله فوق له توقع الرحمة
 فى قوله تعالى : ﴿ ^(٣) قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ ، وَلَهُمْ تَعَصِدُ
 تَوَقُّعُ التَّوْبَةِ فى قوله تعالى : ﴿ ^(٤) آخِرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا
 وَآخَرًا سَيِّئًا ۝ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ الرِّضْوَانُ ، قال تعالى : ﴿ ^(٥) وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ
 مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ۝ .

فالتعلمات على ثلاثة أسماء : الله الرحمن الرحيم ، فاطر كيف استقام
 كما قال فى إبراهيم : ﴿ ^(٦) وَقَدْ احْتَفَيْنَاهُ فى الدُّنْيَا وَإِنَّا فى الْآخِرَةِ
 لَمِنَ الصَّادِقِينَ ۝ .

(١) المجر : ٩٩ (٢) الملك : ٩١١ (٣) الزمر : ٥٣
 (٤) التوبة : ١٠٢ (٥) التوبة : ١٠٠ (٦) البقرة : ١٣٠

فإن قلت : ما الفرق بين الاصطفاء والإفضال ؟ ولمَ لم يقل فضلنا ؟

والجواب : أن الاصطفاء كلّى بجميع الأشياء ، والإفضال بعض لبعض دون بعض ، والاصطفاء أخروي ؛ ﴿ (١) الله يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا ، وَمِنَ النَّاسِ ﴾ [٣١٦ ب] والإفضال دنيوي ، ﴿ (٢) وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ ﴾ ، والإفضال عام ، ﴿ (٣) وَأَيُّ فَضْلَتِكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ ؛ أي على عالمي زمانهم ، والاصطفاء خاص ، والخاص متقدم على العام .

فإن قلت : ما الحكمة في أن الله أعطى القرآن بلفظ الميراث ؟

والجواب : لأنه ليس شيء أطيب وألذ وأجلّ من الميراث ، فذكره بلفظ الميراث أحلى وأطيب وأشهر . وأيضاً الميراث لا يُوزَع من يد الوارث بخلاف العطايا والهدايا ، فذكره بلفظ الميراث ليعلم أنه لا يريد أن ينزعه عنك . وأيضاً الميراث يعم الأولاد عصاة أو مطيعين ، كذلك القرآن . وإذا أكرم الله المؤمن على الجنة بأشرف عشرة كرامة فكيف بمن اصطفاه بهذا القرآن ؟ قال تعالى : ﴿ (٤) الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ ﴾ ؛ وإن الله لما نرى الذين آمنوا . يثبت الله الذين آمنوا ، «وبشّر الذين آمنوا» . وبشّر المؤمنين . يوم ترى المؤمنين والمؤمنات . يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ورضي له قولاً . وكذلك تنجي للمؤمنين «ربنا آمنا فاكثبنا مع الشاهدين» . وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات . «الذين أحسنوا الحسنى وزيادة» . «يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم» .

(١) النحل : ٧١ (٢) البقرة : ٤٧ ، ١٢٢

(٣) الأحزاب : ٢٠

(٤) الحج : ٢٥

(٥) الأنعام : ٨٢

فإن قلت : قد ذكرت لنا فضيلة الثلاثة فبرز لنا من هم ؟

والجواب : قد قدمنا من هم ، وكثرت أقاويل الناس فيهم حتى انتهى بعضهم إلى عشرين قولاً ، وتلخيصهم أن السابق الذي يدخل الجنة بغير حساب ولا عذاب ، والمتقصد الذي يدخلها بفضل الله . والظالم الذي يدخلها بشقاء رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقيل السابق المحافظ على الجماعة . والمتقصد المحافظ للوقت ، والظالم الغافل عنهما جميعاً .

وقيل الظالم الذي خلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً . والمتقصد الذي لم يخطئ . والسابق الذي لم تقع منه حقوة .

وقيل الظالم أهل الكبائر . والمتقصد أهل المغائر . والسابق المجتنب لهما جميعاً .

فإن قلت : لم وقت الإشارة^(١) « ذلك هو الفضل الكبير » ؟

فالجواب أنه قد كثرت الأقاويل أيضاً في ذلك ؛ فقيل إشارة إلى الإرث والاصطفاء أو الظالم ، أو إلى لادنه ، أو إلى دخول الجنة أو إلى الله ، أي ذلك الذي فعل هذا هو الفضل الكبير ..

اللهم بَلِّغْنَا هذا الفضلَ ، ولا تعاملنا بالعدل ، وقد ابتدأنا بالفضل ، وعليك مبنى على الابتداء كما بدأكم تعويدون .

(يا) : حرف لنداء البعيد حقيقة أو حكماً ، وهي أكثر حروفه استعمالاً ،

ولهذا لا يقدر عند الحذف - وَاها نحو : «رَبِّ اغْفِرْ لِي» . «يوسف أعرض عن هذا» . ولا ينادى اسم الله ، وأيتها ، إلا بها . قال الزمخشري : وتفيد التأكيد المؤذن بأن الخطاب الذي تلاوه معتنى به جداً . وترد للتنبيه ، فتدخل على الفعل والحرف ، نحو : «^(١) أَلَا بِأَسْجُدُوا» . «^(٢) يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي» .

وقد ختمت الكلام على هذه الحروف ومعاني أدواتها على وجه موجز مفيد محصل المقصود منه ، يكظم غيظاً حبيب النجار ، وخطه عن قومه ، والترف بهم في حياته بالتشمر في هوايتهم والتلطف معهم في دعائهم إلى الإيمان ، وفي موته بعدم الدعاء اقتلته والباغين له القوايل وهم كفرة عبدة أصنام ، بل تمنى لهم علمهم بأنه كان على صواب ونصيحة وشفقة ، وأن عداوتهم لم تكسبه إلا فوزاً وسعادة ، راجياً من الله أن يعاملني بما عامل به قومه مع كفرهم وطغيانهم ، وهو عبد مثلهم ، فكيف بأكرم الأكرمين وأرحم الراحمين .

فأسألك اللهم أن تمنن علي قلوباً تفكرت في هذه القوائد التي جعلت لهم قلوباً يفقهون بها ، وأعيناً يصرون بها ، فيتذكروني إذا وصلوا إلى حضرتك بذكرى عندك ، لأنك عالم أني لست بأهل أن أكون دليلاً إليك ، لكنني أدل المنقطعين عليك ، فأهد الدليل ، ولا ترد الدلول ، ولا حول ولا قوة إلا بك .

(٢) يس : ٢٦ ، ٢٧
(م ٣٦ - ل (مجاز القرآن)

(١) النمل : ٢٥ ، وانظر المتن : ٢ - ٤٠

فصل

في أقوال كُتِبَ محتوية على ألفاظ قرآنية

قال ابن فارس في كتاب الأفراد : كل ما في القرآن من ذكر الأسف فمعناه الحزن إلا : « (١) فلما آسفونا » ، فمعناه أغضبونا .

وكل ما فيه من ذكر « البروج » فهي السكواكب إلا : « (٢) ولو [١٣١٧] كنتم في بروج مشيدة » ، فهي القصور الطوال الحصينة .

وكل ما فيه من ذكر البر والبحر فالراد بالبحر للماء ، وبالتراب اليابس ، إلا قوله : « (٣) ظهر الفساد في البر والبحر » ، فالراد به البرية والصحراء .

وكل ما فيه من « بئس » فهو القبح إلا : « (٤) بئس بئس » ، أي حرام .

وكل ما فيه من « البعل » ، فهو الزوج إلا : « (٥) اتدعون بعلًا » ، فهو الصنم .

وكل ما فيه من « البكم » فالخرس عن الكلام بالإيمان إلا : « (٦) عبي وبكمنا وصنا » - في الإسراء - « (٧) وأحدكما أبسكم » - في النحل ، فالراد عدم القدرة على الكلام مطلقا .

وكل ما فيه « جنبا » فمعناه جيعا ، إلا : « (٨) وترى كل أمة جاثية » فمعناه تعجثوا على رؤسها .

(١) الزخرف : ٥٥ (٢) النساء : ٧٨ (٣) الروم : ٤٩ (٤) يوسف : ٢٠

(٥) الصافات : ١٢٥ (٦) الإسراء : ٩٧ (٧) النحل : ٢٦ (٨) الجاثية : ٢٨

وكلُّ ما فيه من « حُسْبَان » فمن المدَوِّ ، إلا : «^(١) حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ » -
في الكهف ، فهو المذابُّ .

وكلُّ ما فيه من « حَسْرَة » فالندامةُ إلا : «^(٢) لِيَجْمَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً
فِي قُلُوبِهِمْ » ، فمضاه الحزن .

وكلُّ ما فيه من « الدَّخْض » فالباطل ، إلا : «^(٣) فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ » ،
فمضاه من المخلويين .

وكلُّ ما فيه من رجز فالعذاب ، إلا : «^(٤) وَالرُّجْزَ فَاهْبِجْهُ » ، فالمرادُ
به العنم .

وكلُّ ما فيه من « رَبِّب » فالشكَّ ، إلا : «^(٥) رَبِّبَ الْمَنُونِ » ، يعنى
حوادث الدهر .

وكلُّ ما فيه من « الرجم » فالقتل ، إلا : «^(٦) لَرَجَمْنَاكَ » : لشتمناك ،
و «^(٧) رَجَمًا بِالنَّيبِ » ، أى ظنًا .

وكلُّ ما فيه من « الزور » فالسكذب مع الشُّرك ، إلا : «^(٨) مُنْكَرًا مِّنَ
الْقَوْلِ وَزُورًا » ، فإنه كذب غير شرك .

وكلُّ ما فيه من « زَكَاة » فالإل ، إلا : «^(٩) وَحَقَّانَا مِن لَّدُنَّا وَزَكَاةً » ،
أى طهرة .

وكلُّ ما فيه من « الزَّيغ » فاليل ، إلا : «^(١٠) وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ » ؛
أى شغشت .

(١) الكهف : ٤٠ (٢) آل عمران : ١٥٦ (٣) المائدة : ١٤١
(٤) المدثر : ٥ (٥) الطور : ٣٠ (٦) هود : ٩١ (٧) الكهف : ٢٢
(٨) المجادلة : ٢ (٩) مريم : ١٣ (١٠) الأحزاب : ١٠

وكل ما فيه من سحر فالاستهزاء ، إلا : «^(١) سُخْرِيًّا » في الزخرف فهو من التسخير والاستخدام .

وكل « مكينة » فيه طمأنينة^(٢) ، إلا التي في قصة لوط فهو شيء كراس الهرة له جناحان .

وكل سمر فيه فهو النار والوقود ، إلا «^(٣) في ضَلَالٍ وَسُرٍّ » ، فهو الغناء .

وكل « شيطان » فيه فإبليس ، أى الشيطان وجنوده ، إلا : «^(٤) وإذا خَاوَا إلى شَيَاطِينِهِمْ » .

وكل شهيد فيه غير القتل فمن يشهد في أمور الناس ، إلا : «^(٥) وادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ » ، فهو شركاءكم .

وكل ما فيه من « أصحاب النار » فأهلها ، إلا : «^(٦) وما جعلنا أصحاب النار إِلَّا ملائكة » ، فالمراد خزنتها .

وكل صلاة فيه عبادة ورحمة إلا : «^(٧) وصَلَّاتٍ وَمَسَاجِدَ » ، فهي الأماكن .

وكل « صمم » فيه فنى سماع الإيمان والقرآن خاصة ، إلا الذي في الإسراء^(٨) .

(١) الزخرف : ٣٢

(٢) في سورة البقرة : ٢٤٨ : أن يأتيكم التابوت فيه مكينة من ربكم . . .

(٣) القمر : ٤٧ (٤) البقرة : ١٤ (٥) البقرة : ٢٣

(٦) المؤمن : ٣١ (٧) الحج : ٤٠

(٨) في الإسراء : ٦٢ ونحصرهم يوم القيامة على وجوههم مبيا وبكيا وصا .

وكلُّ عذاب فيه فالعذاب إلا : «^(١) ولتَشْهَدْ عذابَهما » ،
فهو الضرب .

وكلُّ قنوت فيه طاعة ، إلا : «^(٢) كلُّ لَهُ قَانِتُونَ » ، فمعناه مقرون .

وكلُّ « كنز » فيه مال إلا الذي في سورة الكهف^(٣) ، فهو
صغيرة علم .

وكلُّ « مصباح » فيه كوكب إلا الذي في النور فالسراج^(٤) .

وكلُّ نكاح فيه تزويج إلا : «^(٥) حتى إذا بلغُوا النُّكاحَ »
فهو الحلم .

وكلُّ نبأ فيه خبر ، إلا : «^(٦) فَعَيَّيْتُ عَلَيْهِمُ الْأَمَانَ » ، فهي الحبيج .

وكلُّ « ورد » فيه دخول إلا : «^(٧) وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَذْيَنَ » ، يعني « بهم »
عليه ولم يدخله .

وكل مافيه من : « لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا » فالمراد منه العمل ، إلا التي في
الطلاق^(٨) فالمراد منه النفقة .

وكل لباس فيه قنوط إلا الذي في^(٩) الرعد فمن العلم .

(١) النور : ٢ (٢) البقرة : ١١٦ ، الروم : ٢٦

(٣) الكهف : ٨٢ : فأراد ربك أن يبلغنا أدنما ويستخرجنا كهفنا ..

(٤) النور : ٣٥ : كشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة .

(٥) النساء : ٦ (٦) القصص : ٦٦ (٧) القصص : ٢٣

(٨) في الطلاق : ٢ : لا يكلف الله نفسا إلا ما آتاهما .

(٩) في الرعد : ٣١ : أقلم يباس الذين آمنوا .

وكل « صبر » فيه محمود ، إلا : « ^(١) لَوْلَا أَنْ صَبَرْنَا عَلَيْهَا » .
« واضربوا » ^(٢) عَلَى آلِهِمْ . هذا آخر ما ذكره ابن فارس .

وقال السجستاني : ليس في كلام العرب كلمة أولها ياء مكسورة إلا قولهم يسار ويسار - بالفتح والكسر : اليد . والله أعلم .

وقال بعضهم : كل صوم فيه من العبادة ، إلا : « ^(٣) نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا » ، أي صمتًا .

وكل ما فيه من « الظلمات والنور » فالمراد الكفر والإيمان إلا التي في أول الأنعام ^(٤) فالمراد ظلة الليل ونور النهار .

وكل « إنفاق » فيه فهو الصدقة إلا : « ^(٥) فَأَتَوْا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِثْلَ مَا أَنْفَقُوا » ، فالمراد به المهر .

وقال الداني : كل ما فيه من « الحضور » فهو بالضاد من الشاهدة إلا موضعا واحدا فإنه بالنظاء من الاحتظار ، وهو المنع ، وهو قوله : « ^(٦) كَتَبْنَا الْمُحْتَظِرَ » .

وقال ابن خالويه : ليس في القرآن « بعد » بمعنى قبل إلا حرفا واحدا : « ^(٧) وَاقْدِرْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ » ، وقال غيره ^(٨) : قد وجدنا حرفا آخر ، وهو قوله : « ^(٩) وَالْأَرْضُ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا » . قال أبو موسى

(١) الفرقان : ٤٢ (٢) ص : ٦ (٣) مريم : ٢٦

(٤) في الأنعام (١) : وجعل الظلمات والنور .

(٥) للمتعة : ١١ (٦) القمر : ٣١ (٧) الأنبياء : ١٠٥

(٨) في الإيهان ٢ - ١٣٥ : قال مفلح في كتاب الميسر .

(٩) الزمرات : ٣٠

في كتاب المغيث : معناه هنا « قبل » ، لأنه تعالى خلق الأرض في يومين ثم استوى إلى السماء ، فخلق هذا خلق الأرض قبل خلق السماء .

قلت : قد تعرض النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعون اشيء من هذا [٣١٧ ب] النوع ، فأخرج الإمام أحمد في مسنده ، وابن أبي حاتم وغيرهما من طريق دراج ، عن أبي الهيثم ، عن أبي سعيد الخدري ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كل حرف في القرآن يذكر فيه القنوت فهو الطاعة » هذا إسناده جيد ، وابن حبان يصححه .

وأخرج ابن أبي حاتم ، من طريق عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : كل شيء في القرآن « أليم » فهو الموجع .

وأخرج من طريق علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : قال : كل شيء في القرآن « قتل » فهو لعن .

وأخرج من طريق الضحاك ، عن ابن عباس : قال : كل شيء في كتاب الله من الرجز ، يعني به العذاب .

وقال القريابي : حدثنا قيس عن عمار الدهني ، عن سعيد بن جبيرة ، عن ابن عباس : قال : كل شيء في القرآن صلاة ، وكل سلطان في القرآن حجة .

وأخرج ابن أبي حاتم من طريق عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : كل شيء في القرآن « الدين » فالحساب .

وأخرج ابن الأثير في كتاب الوقف والابتداء من طريق الشاذلي ، عن أبي مالك ، عن ابن عباس : قال : كل ريب شك إلا مكانا واحدا في

- الطور : « ^(١) رَبِّبَ الدَّهْنُونَ » ، يعنى حوادث الأمور .
- وأخرج ابن أبي حاتم ، عن أنس بن كعب ؛ قال : كلُّ شيء في القرآن من الرياح فهو رحمة ، وكلُّ شيء فيه من الريح فهو عذاب .
- وأخرج عن الضحاك قال : كلُّ « كَأْسٍ » في القرآن إنما عني به الخمر .
- وأخرج عنه ؛ قال : كلُّ شيء في القرآن « فاطر » فهو خالق .
- وأخرج عن سعيد بن جبير ؛ قال : كلُّ شيء في القرآن « إِنْكَ » فهو كذب .
- وأخرج عن أبي العالية ؛ قال : كلُّ آية في القرآن في الأمر بالمعروف فهو الإسلام ، والنهي عن المنكر فهو عبادة الأوثان .
- وأخرج عن أبي العالية أيضا ؛ قال : كلُّ آية في القرآن يذكر فيها حفظ القرآن فهو من الزنى ، إلا قوله تعالى : « ^(٢) قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَفْضُلُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فَرُوجَهُمْ » ، فالمرادُ ألا يراها أحد .
- وأخرج عن مجاهد ، قال : كلُّ شيء في القرآن : إن الإنسان كفور إنما يعنى به الكفار .
- وأخرج عن عمر بن عبد العزيز ؛ قال : كلُّ شيء في القرآن « خلود » بانه لا أوبة له .
- وأخرج عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ؛ قال : كلُّ شيء في القرآن « يقتل » فسماء يقتل .
- وأخرج عنه ؛ قال : « التزكى » في القرآن كلمة الإسلام .

وأخرج عن أبي مالك ؛ قال : « وراه » في القرآن كله أمام ، غير حرفين :
« (١) نَمْرًا بَتْنَى وَرَاءَ ذَلِكَ » ، يعني سيوى ذلك . « (٢) وَأَجِلْ لَكُمْ
مَا وَرَاءَ ذَلِكَ » ، يعني سيوى ذلك .

وأخرج عن أبي بكر بن عياش ؛ قال : ما كان « كِسْفًا » فهو عذاب ،
وما كان كِسْفًا فهو قطع السحاب .

وأخرج عن مجاهد ، قال : « الباشرة » في كل كتاب الله الجماع .

وأخرج عن ابن زيد ، قال : كل ما في القرآن « فاسق » فهو كاذب ،
إلا قليلا .

وأخرج ابن المنذر عن السدي ؛ قال : ما كان في القرآن « حنيفا
مسلمًا » ، وما كان في القرآن حنفاء مسلمين ؛ حجاجا .

وأخرج عن سعيد بن جبير ؛ قال : « العفو » في القرآن على ثلاثة أحوال :
نَحْوُ نَجَازٍ مِنَ الذَّنْبِ ، ونَحْوُ فِي الْقَصْدِ فِي النِّفْقَةِ : « (٣) وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا
يُذْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوُ » . ونَحْوُ فِي الْإِحْسَانِ بَيْنَ النَّاسِ : « (٤) إِلَّا أَنْ
يَعْتِقُونَ أَوْ يَتَّقُوا الَّذِي يَدُهُ عُقْدَةُ الذُّكَاخِ » .

وفي صحيح البخاري ؛ قال صفيان بن عُيينة : ما سمى الله المطر في القرآن
إلا عذابا ، وتسميه العرب الغيث .

قلت : استثنى من ذلك : « (٥) إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذًى مِنْ مَطَرٍ » ، فإن

(١) المؤمنون : ٢ (٢) النساء : ٢٤ (٣) البقرة : ٢١٩

(٤) البقرة : ٢٣٧ (٥) النساء : ١٠٢

المراد به الغيث مطلقا . وقال أبو عبيدة : إذا كان من العذاب فهو أمطرت ،
وإذا كان من الرحمة فهو مطرت .

وأخرج أبو الشيخ ، عن الضحاك ؛ قال : قال لي ابن عباس : احفظ عني :
كل شيء في القرآن : « ^(١) وما لهم في الأرض من ولي ولا نصير » فهو
للمشركين . فأما المؤمنون فما أكثر أنصارهم وشفعاءهم .

وأخرج سعيد بن منصور ، عن مجاهد ؛ قال : « كل طعام » في القرآن
فهو نصف صاع .

وأخرج ابن أبي حاتم عن وهب بن منبه ؛ قال : كل شيء في القرآن
« قليل » ، « وإلا قليل » فهو دون العشرة .

وأخرج عن مسروق ؛ قال : ما كان في القرآن : « على صلاتهم
يحافظون » . « حافظوا على الصلوات » فهو على موافقتها .

وأخرج عن سفيان بن عيينة ؛ قال : كل شيء في القرآن : « وما يذكرك »
فلم يخبر به . وما أدراك قد أخبر به .

وأخرج عنه ، قال : كل « مكر » في القرآن فهو عمل .

وأخرج عن مجاهد ؛ قال : ما كان في القرآن قتل ولعن ، فأما عني به التكافؤ .

وقال الراغب في مفرداته : قيل كل شيء ذكره الله في كتابه « وما أدراك »
فسره . وكل شيء ذكره بقوله : وما يذكرك تركه .

وقد ذكر : « ^(٢) وما أدراك ما سجين » . « وما أدراك ما ^(٣) عذبون »

ثم فسر الكتاب لا السَّجِّينَ ، ولا العَلْيُونَ . وفي ذلك نكتة^(١) لطيفة
[١٣١٨] .

قال بعضهم : ليس في القرآن على كثرة منصوباته مفعول معه .
والصواب أن فيه عدة مواضع أعرب كل منها مفعولا معه :
أحدها : «^(٢) فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ؛ أَيِ أَجْمِعُوا أَنْتُمْ مَعَ شُرَكَائِكُمْ
أَمْرَكُمْ .

الثاني : «^(٣) قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا » . قال الكرمانى فى غرائب
التفسير : هو مفعول معه ؛ أى مع أهليكم .
الثالث : «^(٤) لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ » .
قال الكرمانى : يحتمل أن يكون قوله : «^(٥) وَالْمُشْرِكِينَ » مفعولا معه من الذين ،
أو من الواو فى كفروا .

فائدة

فما قرئ بثلاثة أوجه : الإعراب أو البناء أو نحو ذلك
وقد رأيت تأليفا لطيفا لأحمد بن يوسف بن مالك الأرحمى ، سماه نحوه
الأقران فيما قرئ بالثلاثة^(٦) من حروف القرآن :
«^(٧) الحمد لله » : قرئ بالرفع على الابتداء ، والنصب على المصدر ،
والكسر على اتباع الدال للام فى حركتها .
«^(٨) رَبِّ الْعَالَمِينَ » : قرئ بالجر على أنه نعت ، وبالرفع على القطع بإضمار
مبتدأ ، والنصب عليه بإضمار فعل ، أو على النداء .

(١) مفرقات الراضب : ٢٢٥ ، ولم يذكر هذه النكتة .

(٢) يونس : ٧١ (٣) التحريم : ٦

(٤) البقرة : ١٠ (٥) فى الإتيان (٢ - ٢٧٧) : بالخطب (٦) الفاتحة : ١

(٧) الفاتحة : ٢

- « (١) الرحمن الرحيم » قرىء بالثلاثة .
- « (٢) اثنتا عشرة عَيْدًا » : قرىء بسكون الشين ، وهى لغة الحجاز ، وكسرها وهى لغة تميم (٣) ، وفتحها وهى لغة هوازن .
- « (٤) بين المراء » : قرىء بثلاث الميم ، لغات فيه .
- « (٥) قُبِهَتِ الذى كفر) : قراءة الجماعة بالبناء للمفعول ، وقرىء بالبناء للفاعل بوزن : ضَرَبَ ، وَحَسَنَ ، وَعَلِمَ .
- « (٦) ذُرِّيَّةٌ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ » : قرىء بثلاث النال .
- « (٧) وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِى تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ » : قرىء بالنصب عطفا على لفظ الجلالة ، وبالتخفيف عطفا على ضمير به ، وبالرفع على الابتداء ، والخبر محذوف ؛ أى والأرحام مما يجب أن تتقوه ، وأن تحتاطوا لأنفسكم فيه .
- « (٨) لَا يَسْتَوِى الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِ الضَّرَرِ » : قرىء بالرفع صفة للقاعدون ، وبالجزم صفة للمؤمنين ، وبالنصب على الاستثناء .
- « (٩) امْسَحُوا بِرءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ » : قرىء بالنصب عطفا على الأيدي ، وبالجزم على الجوار أو غيره ، وبالرفع على الابتداء ، والخبر محذوف دل عليه ما قبله .
- « (١٠) فَبِزَاءٍ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ » : قرىء بجر « مثل » بإضافة « جزاء » إليه ؛ وبرفعه وتنوين « مثل » صفة له ، وينصبه مفعول بجزاء .

(١) الفاتحة : ٣ (٢) البقرة : ٦٠
 (٣) فى الالتان : بسكون الشين ، وهى لغة تميم ، وكسرها وهى لغة الحجاز . والثبت فى القرطبي أيضا : ١ - ٢٠ (٤) البقرة : ١٠٢ (٥) البقرة : ٢٥٥
 (٦) آل عمران : ٣٤ (٧) النساء : ١
 (٨) النساء : ٥٩ (٩) المائدة : ٦ (١٠) المائدة : ٩٥

(^١) وَاللَّهُ رَبُّنَا) : قرىء بجر « ربنا » متا أو بدلا ، وبنصبه على النداء ، أو بإضمار أمدح ، ورفعه ورفع لفظ الجلالة مبتدأ وخبر .
(^٢) وَبِذَرِكَ وَالْهَيْتِكَ) : قرىء برفع « بذرك » ، ونصبه ، وجره الخفة .

(^٣) فَاجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ) : قرىء بنصب « شركاءكم » ، منصولا معه ، أو مطلقا ، أو بتقدير : وادعوا ؛ ورفعه عطفا على ضمير « فاجمعوا » ، أو مبتدأ خبره محذوف ، وبجره عطفا على « كم » في « أمركم » .
(^٤) وَكَأَيُّنَ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا) : قرىء بجر « الأرض » عطفا على ما قبله ، وبنصبها من باب الاشتغال ، ورفعه على الابتداء ، والخبر ما بعدها .

(^٥) مَوْعِدَكَ بِمَلَكِنَا) : قرىء بثلاث الميم .
(^٦) وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا) : قرىء بلفظ الماضي بفتح الراء وكسرها (^٧) ، ولفظ الوصف بكسر الراء وسكونها مع فتح الحاء ، وبسكونها مع كسر الحاء وحرام بالفتح وألف ، هذه سبع قراءات .
(^٨) كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ) : قرىء بثلاث الدال .
(يس) : القراءة المشهورة بسكون النون . وقرىء شاذًا بالفتح للتخفيف ، والكسر لالتقاء الساكنين ، وبالنصب على النداء .

(^٩) وَلَآتٍ حِينَ مَنَاصٍ) : قرىء بنصب حين ورفعه وجره .

(١) الأنعام : ٢٣ (٢) الأعراف : ١٢٧ (٣) يونس : ٧١
(٤) يوسف : ١٠٥ (٥) طه : ٨٢ (٦) الأنبياء : ٩٥
(٧) في الاتفاق : وضما ، وفي القرطبي : قرىء بضم الراء وكسرها ، وبفتحها .
(٨) النور : ٣٥ (٩) ص : ٣

« (١) سَوَاءَ لَلصَّائِلِينَ) : قرىء بالنصب على الحال ، وشاذاً بالرفع ؛
أى هو ، وبالجر حملاً على الأيام .

(٢) (وَقِيلَ يَا رُبِّ) : قرىء بالنصب على المصدر ، وبالجر ، تقدم توجيهاً ،
وشاذاً بالرفع عطفاً على . « (٣) عِلْمُ السَّاعَةِ » .

(ق) : القراءة بالسكون . وقرىء شاذاً بالفتح والكسر لِمَا مرَّ .
(٤) (الْحُبُّكَ) : فيه سبع قراءات : ضم الحاء والباء ، وكسرها ، ونقصهما ،
وضم الحاء ومكون الباء وضمها ، وفتح الباء وكسرها ، وسكون الباء وكسرها ،
وضم الباء .

(٥) (وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ) : قرىء برفع الثلاثة ونصبها وجرها .
(٦) (وَهُوَ عَيْنٌ) : كَأَمْثَالِ الْأَوْتَانِ : قرىء برفعها وجرها ،
وبنصبها بفعل مضارع ؛ أى يُرَوِّجُونَهَا .

فصل

في قواعد مهمة يحتاج المفسر إلى معرفتها

أولها : قاعدة [٣١٨ ب] في الضمائر :

ألف ابن الأنباري في بيان الضمائر الواقعة في القرآن مجلدين ، وأصل وضع
الضمائر للاختصار ، ولهذا قام قوله : (١) (أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا)
مقام خمسة وعشرين كلمة ، لو أتى بها مظهرة . وكذلك قوله : (٢) (وَقُلْ
لِلْمُؤْمِنَاتِ يَنْضَضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ) : قال مكي : ليس في كتاب الله آية
اشتملت على ضمائر أكثر منها ، فإن فيها خمسة وعشرين ضميراً ؛ ومن ثم

(١) فصل : ١٠	(٢) الزخرف : ٨٨	(٣) الزخرف : ٨٥
(٤) الفارسية : ٧	(٥) الرحمن : ١٢	(٦) الواقعة : ٢٢
(٧) الواقعة : ٢٣	(٨) الأحراب : ٣٥	(٩) النور : ٣١

لا يمدل إلى التفصل إلا بعد تذكر التصل ، بأن يقع في الابتداء ؛ نحو :
« ^(١)إياك نبد » ، أو بعد « إلا » : نحو : « ^(٢)أمر ألا تمهدوا إلا إياه » .

مرجع الضمير

لا بد له من مرجع يعود إليه ملفوظا به سابقا ، مطابقا ؛ نحو : « ^(٣)ونادى
نوح ابنته » . « ^(٤)وعصى آدم ربه » . « ^(٥)إذا أخرج يده لم يكد يراها » .
أو متضمنا له ؛ نحو : « ^(٦)اعذروا هو أقرب للتقوى » فإنه عائد على العدل
المتضمن له « اعدلوا » . « وإذا حضر ^(٧)القصة أولو القربى واليتامى والمساكين
فلوزمهم منه » ؛ أى المقسوم ، لدلالة القصة عليه ؛ أو دالا عليه بالالتزام ،
نحو : « ^(٨)إنا أنزلناه في ليلة القدر » ؛ أى القرآن ؛ لأن الإزال يدل عليه
التزاما . « ^(٩)فمن عني له من أخيه شيء ^(١٠)فاتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان » .
فمن يستلزم عافيا أعيد عليه الماء من « إليه » . أو متأخرا لفظا ورتبة مطابقا ،
نحو : « ^(١١)فأوجس في نفسه خيفة موسى » . « ولا ^(١٢)يسأل عن ذنوبهم
المجرمون » . « ^(١٣)فيومئذ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان » . أو رتبة أيضا في
باب ضمير الشأن والقصة ، ونعم ، وبئس ، والتنازع ، أو متأخرا دالا بالالتزام ؛
نحو : « ^(١٤)فلولا إذا بلغت الحلقوم » . « ^(١٥)كلا إذا بلغت التراقي » ؛
أضمر الروح أو النفس ، لدلالة الحلقوم والتراقي عليها . « ^(١٦)حتى توارت بالحجاب » ،
أى الشمس لدلالة الحجاب عليها .

وقد يدل عليه السياق فيضمرة ثقة بضمير السامع ؛ « ^(١٧)نحو : « كل من »

(١) القصة : ٥	(٢) يوسف : ٤٠	(٣) هود : ٤٢	(٤) طه : ١٢١
(٥) التور : ٤٠	(٦) المائدة : ٨	(٧) النساء : ٨	(٨) القمر : ١
(٩) البقرة : ١٧٨	(١٠) طه : ٦٧	(١١) القصص : ٧٨	(١٢) الرحمن : ٣٩
(١٣) الواقعة : ٨٣	(١٤) القيامة : ٢٦	(١٥) مر : ٢٢	(١٦) الرحمن : ٢٦

عليها فإن « . » (١) ما ترك على ظهرها ، أي الدنيا . « (٢) ولا يؤتى » ؛ أي
للميت ، ولم يتقدم له ذكر .

وقد يعود على لفظ المذكور دون معناه ، نحو : « (٣) وما يُعْمَرُ مِنْ مُعَمَّرٍ
ولا يُنْقَسُ مِنْ عُمرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ » ؛ أي معمر آخر .

وقد يعود على بعض ما تقدم ؛ نحو : « (٤) يؤصِّبكم الله في أولادكم .. »
إلى قوله : « (٥) فإن كنَّ نساءً » . « (٦) وبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ » بعد قوله :
« والمطلقات » ، فإنه خاصٌّ بالرجعيات ، والمساكند عليه عامٌّ فبين
وفي غيرهن .

وقد يعود على المعنى ، كقوله في آية الكَلَالَةِ : « (٧) فإن كانتا اثنتين » ،
ولم يتقدم لفظ متى يعود عليه . قل الأخفش : لأن الكَلَالَةَ تَقَعُ عَلَى الواحد
والاثنتين والجمع ، فتى الضمير الراجع إليها تحلأ على المعنى ، كما يعود الضمير
جَمْعًا عَلَى « من » حَمْلًا عَلَى مَعْنَاهَا .

وقد يعود على لفظ شيء ، والمراد به الجنس من ذلك الشيء . قال الزمخشري
كقوله : « (٨) إن يكن غنياً أو فقيراً فأله أُولَى » ؛ أي يَجْنِسُ الفقير والغنى ،
لدلالة غنياً أو فقيراً على الجنسين ، ولوردجع إلى التكلم به لوحده .

وقد يذكر شيان ويماد الضمير إلى أحدهما ، والثالب كونه الثاني ؛ نحو :
« (٩) واستمِينُوا بِالْعَصْرِ وَالصَّلَاةِ وَأَنَّا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ » ؛ فأعيد
الضمير للصلاة ، وقيل للاستمانة المفهومة من « استمِينُوا » . و « (١٠) جبل الشمس »

(١) فاطر : ٤٥ (٢) النساء : ١١ (٣) فاطر : ١١ (٤) البقرة : ٢٢٨

(٥) النساء : ١٢٦ (٦) النساء : ١٣٥ (٧) البقرة : ٤٥ (٨) يونس : ٥

ضياءً والقمر نوراً وقدَّرَهُ مَنَازِلَ ۝ ؛ أى القمر ؛ لأنه الذى يعلم به الشهور .
« (١) واللهُ ورَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ ۝ ؛ أى يَرْضَوْهَا ، وفرد ؛ لأن دَاعِيَ
الرسول هو دَاعِيَ العباد ، والمخاطب لهم شفاها ، ويلزم من رِضاه رضا
ربه تعالى .

وقد يثنى الضمير ويعود على أحد المذكورين ، نحو : « (٢) يَخْرُجُ مِنْهَا
الزَّوْجُ وَالْمَرْجَانُ ۝ ؛ وإنما يخرج من أحدهما .

وقد يحى الضمير متصلاً بشيء ، وهو لغيره ؛ نحو : « (٣) وَاقَدْ خَلَقْنَا
الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ۝ ، يعنى آدم ، ثم قل : « (٤) نَمَّ جَمَلُنَا
نُطْقَةً ۝ ، فهذا (٥) لولده ؛ لأن آدم لم يخلق من نُطْقَةٍ .

قلت : هذا هو باب الاستخدام ، وقد قدَّمناه ، ومنه : « (٦) لَا تَسْأَلُوا عَنِ
أَشْيَاءٍ إِنْ تُبَدِّلَ لَكُمْ تَسْأَلُكُمْ ۝ ، ثم قل : « (٧) قَدْ سَأَلَهَا : أى أشياء أخر
مفهومة من لفظ أشياء السابقة .

وقد يعود الضمير على مُلَابِس ما هو له ؛ نحو : « (٨) إِلَّا عَشِيَّةً أَو ضُحَاها ۝ ؛
أى ضحى يومها لاضحى العشيّة نفسها ، لأنه لاضحى لها .

وقد يعود على غير مشاهد محسوس . والأصلُ خلافه ؛ نحو : « (٩) إِذَا
قَعَى أَصْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ۝ ، فضمير له عائد على الأمر ، وهو
لِذَٰلِكَ غَيْرُ موجود ؛ لأنه لما كان سابقاً فى علم الله كونه ، كان بمنزلة
المشاهد الموجود .

(١) التوبة : ٦٧ (٢) الرحمن : ٢٢ (٣) المؤمنون : ١٢

(٤) المؤمنون : ٩٣ (٥) فى الاتقان : فهذه . (٦) المائدة : ١٠١

(٧) المائدة : ١٠٢ (٨) النازعات : ٤٦ (٩) البقرة : ١١٧

قاعدة

[في عود الضمير]

الأصلُ عَوْدُهُ على أقرب مذكور ، وَمِنْ ثَمَّ أُخِّرَ المفعول الأول في قوله : « (١) وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ » ، ليعود الضمير عليه لقربه ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ مضافاً ومضافاً إليه ، فالأصلُ عَوْدُهُ للمضاف ، لأنه المحدث عنه ؛ نحو : « (٢) وَإِنْ تَعَدُّوا نَسَبَ اللَّهِ لَا تُخْصَوْهَا » .

وقد يعودُ على المضاف إليه ؛ نحو : « (٣) إِلَى اللَّهِ مُوسَى وَإِنِّي لأظنه كاذباً » .
واختلف في : « (٤) أَوْ لَحْمَ خَنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ » ؛ فمنهم مَنْ أعاده على المضاف ، ومنهم مَنْ أعاده إلى المضاف إليه .

قاعدة

الأصلُ توافُقُ الضمائر في المرجع حذراً من التشتت ؛ ولهذا لما جَوَزَ بعضهم في : « (٥) أَنْ أَتَذِقَ فِي التَّابُوتِ فَأَتَذِقَ فِي الْيَمِّ » ، أَنْ الضمير في الثاني للتابوت وفي الأول لموسى عابه الزمخشري (١) ؛ وجعله تنافراً مخرجاً للقرآن من إعجازه ، فقال : والضمائر كلها راجعة إلى موسى ، ورجوعُ بعضها إليه وجبها إلى التابوت فيه هجنة لما تؤدي إليه من تنافرٍ النظم الذي هو أمُّ إعجاز القرآن ، ومراعاته أم ما يجب على القسر .

وقال (٢) في : « (٣) لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَنَزَّروا وَتَتَقَرَّبُوا وَتَسْجُدُوا »

(١) الأنعام : ١١٢ (٢) إبراهيم : ٣٤ (٣) غافر : ٣٧
(٤) الأنعام : ١٤٥ (٥) طه : ٣٩ (٦) الكشاف : ٢ - ٢٤
(٧) الكشاف : ٢ - ٢٧٣ (٨) الفتح : ٩

بَكْرَةً وَأَصِيلًا : الضمائر لله ، والراد بتعزيره تعزير دينه ورسالته ، وَمَنْ فَرَّقَ الضمائر فقد أبعد .

وقد يخرج عن هذا الأصل ؛ كما في قوله : «^(١) وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا » ، فإن ضمير «^(١) فِيهِمْ » لأصحاب الكهف ، «^(٢) وَمِنْهُمْ » لليهود ؛ قاله ثعلب والمبرد . ومثله : «^(٣) وَلَمَّا جَاءَتْ رِسَالًا لَوْطًا سَيِّئًا بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا » : قال ابن عباس : ساء ظننا بقومه وضاق ذرعنا بأضيافه . وقوله : «^(٤) إِلَّا تَنْصُرُوهُ . . . » الآية فيها اثنا عشر ضميرا كلها للنبي صلى الله عليه وسلم إلا ضمير : «^(٥) عَلَيْهِ » فلصاحبه ، كما نقله السهيلي عن الأكثرين ، لأنه صلى الله عليه وسلم لم تنزل عليه السكينة ، وضمير «^(٦) جَعَلَ » له تعالى .

وقد يخالف بين الضمائر حذرا من التناثر ؛ نحو : «^(٧) مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ » ؛ الضمير ثلاثي عشر ، ثم قال : «^(٨) وَلَا تَقْلِبُوا فِيهِ أَنْفُسَكُمْ » : أي بصينة ضمير الجمع مخالفا لمؤداه على الأربعة .

ضمير الفصل

ضمير بصيغة المرفوع مطابق لما قبله ، نكلا وخطابا وغيبة ، أفرادا وغيره ، وإنما يقع بعد مبتدأ أو ما أعلاه المبتدأ وقبل خبر كذلك ، اسما ؛ نحو : «^(٩) وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ » . «^(١٠) وَإِنَّا لَنَعْنُ الصَّافُونَ » . «^(١١) كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ » . «^(١٢) تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ » . «^(١٣) إِنَّ تَرَنُّنًا

(١) الكهف : ٢٢ (٢) هود : ٧٧ (٣) التوبة : ٤٠

(٤) التوبة : ٣٦ (٥) العنكبوت : ٢٥ (٦) الصافات : ١٦٥

(٧) المائدة : ١١٧ (٨) الزمل : ٢٠ (٩) الكهف : ٣٩

أَنَا أَقَلُّ مِنْكَ مَالًا » . « (١) هَؤُلَاءِ بَنَاتِي مِنْ أَطْهَرِ لَكُمْ » .

وجوز الأخفش وقوعه بين الحال وصاحبها ، وخارج عليه قراءة : « مِنْ أَطْهَرِ لَكُمْ » - بالنصب . وجوز الجرجاني وقوعه قبل مضارع ؛ وجعل منه : « (٢) إِنَّهُ هُوَ يَبْدِيءُ وَيَعْبُدُ » . وجعل منه أبو البقاء : « (٣) وَمَكَرَ أَوْلَئِكَ هُوَ يَبُورُ » .

ولا محلّ لضمير الفصل من الإعراب .

وله ثلاثة فوائد : الإعلام بأن ما بعده خبر لا تابع . والتأكيد ؛ ولهذا سماه الكوفيون دعامة ، لأنه يدعم به الكلام ؛ أى يقوّى ويؤكد ، وبني عليه بعضهم أنه لا يجمع بينه وبينه ، فلا يقال زيد نفسه هو الفاضل . والاختصاص . وذكر الزمخشري (٤) الثلاثة في : « (٥) وَأَوْلَئِكَ الْمَفْلُحُونَ » ، فقال : فائدته الدلالة على أن ما بعده خبر لا صفة ، والتوكيد ، وإيجاب أن فائدة السند ثابتة للسند إليه دون غيره .

ضمير الشأن والقصة

ويسمى ضمير المجهول ؛ قال في المنى (٦) : خائف القياس من خمسة أوجه : أحدها عوده على ما بعده لزوماً ؛ إذ لا يجوز للجملة المفسرة له أن تتقدم عليه ، ولا شيء منها .

والثاني أن مفسره لا يكون إلا جملة . والثالث أنه لا يتبع بتابع ،

(١) هود : ٧٨ (٢) البروج : ١٣ (٣) طاهر : ١٠
(٤) الكشاف : ١ - ١٩ (٥) البقرة : ٥ (٦) المنى : ٢ - ١٠٠

فلا يؤكّد . ولا يُعطف عليه ، ولا يَبْسُدُك منه . والرابع أنه لا يعمل فيه إلا الابتداء أو النسخ . والخامس أنه ملازمٌ للأفراد ؛ ومن أمثلته : « ^(١) قل هو الله أحد » . « ^(٢) فإذا همّ شاخِصَةٌ أبصارُ الذين كفروا » . « ^(٣) فبآبائها [٣١٩ ب] لا تَعْمَى الأبصارُ » . وفائدته الدلالة على تعظيم الخبر عنه وتغنييه ، بأن يذكر أولاً مُبْتَهَمًا ثم يُفسر .

تفسيه

قال ابن هشام ^(١) : متى أمكن العملُ على غير ضمير الشأن فلا ينبغي أن يُحمَلَ عليه ، ومن ثمّ حذف قول الزمخشري ^(٢) في : « ^(٣) إنه يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ » : إن اسم « إن » ضمير الشأن ، والأولى كونه ضمير الشيطان ، ويؤيده قراءة : « وَقَبِيلُهُ » بالنصب ، وضمير الشأن لا يعطف عليه .

قاعدة

جمع العاقلات لا يعودُ عليه الضمير غالباً إلا بصيغة الجمع ، سواء كان للقلة أو للكثرة ؛ نحو : « ^(٤) والوالداتُ يَرْضَيْنَ » . « ^(٥) وللطلقاتُ يَتَرَبَّصْنَ » ؛ وورد الأفراد في قوله : « ^(٦) وأزواجٌ مُطَهَّرَةٌ » ، ولم يقل مطهرات .

وأما غير العاقل فالغالب في جمع الكثرة الأفراد ، وفي القلة الجمع . وقد

(١) الإخلاص : ١ (٢) الأنبياء : ٩٧ (٣) الحج : ٤٦ (٤) المضي : ٢-١٠٠

(٥) الكشاف : ١-٣٢٤ (٦) الأعراف : ٢٧ (٧) البقرة : ٢٣٣

(٨) البقرة : ٢٢٨ (٩) آل عمران : ١٥

اجتمعاً في قوله : « ^(١) إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ » . . . إلى أن قال : « مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ » ، فأعاد « مِنْهَا » بصيغة الإفراد على الشهور وهي للكثرة . ثم قال : « ^(٢) فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ » فأعاده جماعاً على « أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ » وهي للقلة .

وذكر الفراء لهذه القاعدة سرّاً لطيفاً ، وهو أن الميز مع جمع الكثرة — وهو ما زاد على العشرة — لما كان واحداً وحده الضمير ، ومع القلة ، وهو العشرة وما دونها ، لما كان جماعاً جمع الضمير .

قاعدة

إذا اجتمع في الصبائر مراعاة اللفظ والمعنى بدىء باللفظ ثم بالمعنى ، هذا هو الجادة في القرآن : قال تعالى : « ^(٣) وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ : « نَحْمَدُكَ مَا نَحْمَدُكَ وَمَا نَعْبُدُكَ » أَوْ لَا بَأْسَ بِالَّذِينَ أُولَئِكَ يَتْلُونَ كِتَابَكَ وَأُولَئِكَ يَبْغِضُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ » . ثم جمع باعتبار المعنى . وكذا : « ^(٤) وَمِنْهُمْ مَن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ . وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً » . « ^(٥) وَمِنْهُمْ مَن يَقُولُ ائْذَنْ لِّي وَلَا تَنْفِتْنِي أَلَا فِي الْعِتَّةِ سَقَطُورًا » . قال الشيخ علم الدين العراقي : ولم يحىء في القرآن البداءة بالحمل على المعنى إلا في موضع واحد ، وهو قوله تعالى : « ^(٦) وَقُلُوا مَا فِي بَطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِّدُكُورِنَا » ، فأنشأ خالصة حلاً على معنى ما ثم راعى اللفظ فذكر فقال : « ومحرم » .

قال ابن الحاجب في أماليه : إذا حمل على اللفظ جاز الحمل بعده على المعنى ، وإذا حمل على المعنى ضعف الحمل بعده على اللفظ ، لأن المعنى أقوى ، فلا يبعد الرجوع إليه بعد اعتبار اللفظ ، ويضعف بعد اعتبار المعنى القوي الرجوع إلى الأضعف .

(١) التوبة : ٣٦ (٢) البقرة : ٨ (٣) الأنعام : ٢٥

(٤) التوبة : ١٩ (٥) الأنعام : ١٣٩

وقال ابن جني في المحتسب : لا تجوز مراجعة اللفظ بعد انصرافه عنه إلى المعنى ، وأورد عليه قوله تعالى : « ^(١) وَمَنْ يَفْعَلْ مِنْ دَكْرِ الرَّحْمَنِ يَقْنِصْ لَهُ شَيْطَانًا... » إلى قوله : « ^(٢) حتى إذا جاءنا » ، فقد راجع اللفظ بعد الانصراف عنه إلى المعنى .

وقال محمود بن حمزة في كتاب العجائب : ذهب بعض النحويين إلى أنه لا يجوز العمل على اللفظ بعد العمل على المعنى ، وقد جاء في القرآن بخلاف ذلك ، وهو قوله : « ^(٣) خالدين فيها أبدًا ، قد أحسن الله له رزقًا » .

وقال ابن خالويه في كتاب « ليس » : القاعدة في « من » ونحو الرجوع من اللفظ إلى المعنى ، ومن الواحد إلى الجمع ، ومن المذكر إلى المؤنث ؛ نحو : « ^(٤) وَمَنْ يَفْعَلْ مِنْ دَكْرِ الرَّحْمَنِ يَقْنِصْ لَهُ شَيْطَانًا... » . و « مَنْ » ^(٥) أَمَلَمْ وَجْهَهُ اللَّهُ وهو محسن ... إلى قوله : « ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون » ، أجمع على هذا النحويون .

قال : وليس في كلام العرب ولا في شيء من العربية الرجوع من المعنى إلى اللفظ ، إلا في حرف واحد استخرجه ابن مجاهد ؛ وهو قوله تعالى : « ^(٦) وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ... » الآية : وحّد في « يؤمن » و « يعمل » و « يدخله » ، وجمع في قوله : « ^(٧) خالدين » ، ثم وحّد في قوله : « ^(٨) أحسن الله له رزقًا » ، فرجّع بعد الجمع إلى التوحيد .

(١) الزخرف : ٣٦ (٢) الزخرف : ٣٨ (٣) الطلاق : ١١

(٤) الأحزاب : ٣١ (٥) البقرة : ١١٢ (٦) الطلاق : ١١

قاعدة

التذكير والتأنيث

التأنيث ضربان : حقيقي وغيره ، والحقيقي لا يُحذفُ تاء التأنيث من فعله غالباً إلا إن وقع فصلٌ . وكلما كثر الفصل حسن الحذف ، والإثبات مع الحقيقي أولى ، ما لم يكن جماعاً . وأما غير الحقيقي فالحذف فيه مع الفصل أحسن ؛ نحو : « ^(١) فَمِنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ » . « ^(٢) قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ » ، فإن كثر الفصل ازداد حسناً ؛ نحو : « ^(٣) وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ » ، والإثبات أيضاً حسن ، نحو : « وَأَخَذَتْ ^(٤) الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ ... » ؛ فجمع بينهما في سورة هود .

وأشار بعضهم إلى ترجيح الحذف ؛ واستدل عليه بأن الله قدّمه على الإثبات حيث جمع بينهما ؛

ويعوز الحذف أيضاً مع عدم الفصل حيث الإسناد إلى ظاهره ؛ فإن كان إلى ضميره امتنع . وحيث وقع ضميرٌ أو إشارة بين مبتدأ وخبر أحدهما مذكّر والآخر مؤنث ، جاز في الضمير والإشارة التذكير والتأنيث ؛ كقوله تعالى : « ^(٥) هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي » ، فذكر والخبر مؤنث لتقدم [١٣٢٠] السد وهو مذكّر . وقوله تعالى : « ^(٦) فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ » ؛ ذكر والمشار إليه اليد والعصا ، وهما مؤنثان لتذكير الخبر [وهو برهانان ^(٧)] .

(١) البقرة : ٢٧٥ (٢) آل عمران : ١٣ (٣) هود : ٦٧

(٤) هود : ٩٤ (٥) الكهف : ٩٨ (٦) القصص : ٢٢

(٧) من الألفان .

وكلُّ أسماء الأسماء يجوز فيها التذكير والتأنيث حملًا على الجماعة ؛
كقوله : « ^(١) أَعْبَارُ تَغْلِي خَاوِيَةً » . و « أَعْجَبُ أَرْتَقَايَ » ^(٢) مُنْقَعِرٌ .
« ^(٣) إِنَّ الْبَرَّ تَشَابَهَ عَلَيْنَا » . وقرئ : تشابهت . « ^(٤) السَّمَاءُ مُنْقَطِرٌ بِرٍ » .
« ^(٥) إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ » . وجعل منه بعضهم : « ^(٦) جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ » .
« ^(٧) وَلِسْلِيَانُ الرُّبُوحِ عَاصِفَةٌ » .

وقد سئل : ما الفرقُ بين قوله : « ^(٨) فَتَنَّهُمْ مِّنْ هَدًى اللَّهِ وَمِنْهُمْ مَّنْ
حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ » . وقوله : « ^(٩) فَرِيقًا هَدَى وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ
الضَّلَالَةُ » ؟

وأجيب بأنَّ ذلك لوجهين : لفظي ، وهو كثرة حروف الفاصل في الثاني ،
والخلف مع كثرة الحواجز أكثر .

ومعنوي ، وهو أن « مِّنْ » في قوله : « لَمَّا مِّنْ حَقَّتْ كَارَاهِيَةٌ إِلَى الْجَمَاعَةِ » ،
وهي مؤنثة لفظًا ، بدليل : « ^(٨) وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا » ، ثم قال :
« ^(٨) وَمِنْهُمْ مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ » : أي من تلك الأمم ، ولو قل : ضَلَّتْ
لَتَعَيَّنَ التَّاء ، والكلامان واحد ؛ وإذا كان معناها واحداً كان إثباتُ التَّاءِ
أحسنَ مِنْ قَرَرِ كَها ، لأنها ثابتة فيما هو من معناه .

وأما : « فَرِيقًا هَدَى . . . » الآية فالقريبُ مذكَّرٌ ، ولو قل : فَرِيقًا ضَلُّوا
لكانَ بغير تاء ، وقوله : « حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ » في معناه ، فجاء بغير تاء ؛ وهذا

(١) الخالة : ٧	(٢) القمر : ٧٠	(٣) البقرة : ٧٠
(٤) الزمل : ١٨	(٥) الانططار : ١	(٦) يونس : ٢٤
(٧) الأنبياء : ٨١	(٨) النحل : ٢٦	(٩) الأعراف : ٣٠

أسلوب لطيف من أصاليب العرب أن يدَّعُوا حُسْكَمَ اللفظِ الواجب في قياس
لقتهم إذا كان و مرتبة كلمة لا يجب لها ذلك الحكم .

قاعدة

في التعريف والتذكير

اعلم أن اكل منهما مقاما لا يابق بالآخر . أما التذكير فله أسباب :
أحدها — إرادة الوحدة ؛ نحو : «^(١) وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى » ؛
أى رجل واحد . و «^(٢) ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا
سلما رجلا » .

الثانى — إرادة النوع ؛ نحو : «^(٣) هذا ذئب » ؛ أى نوع من الذئب ، «^(٤) وعلى
أبصارهم غشاوة » ؛ أى نوع غريب من الغشاوة لا تتعارفه الناس ، بحيث غطى
ما لا يغطيه شئ من الغشاوات . «^(٥) ولتجدنهم أحرض الس على حياة » ؛
أى نوع منها ، وهو الأزدياد فى المستقبل ؛ لأن الحرض لا يكون على الماضى
ولا على الحاضر . ويحتمل الوحدة والنوعية معا قوله تعالى «^(٦) : « والله خلق
كل دابة من ماء » ؛ أى كل نوع من أنواع الدواب من نوع من أنواع
الماء ، وكل فرد من أفراد الدواب من فرد من أفراد النطف .

الثالث — التعظيم ، بمعنى أنه أعظم من أن يبين ويعرف ، نحو : «^(٧) فأذنوا
بحرب من الله » «^(٨) ولهم عذاب أليم » . «^(٩) وسلام عليه يوم ولده » .

(١) القصص : ٢٠ (٢) الزمر : ٢٩ (٣) ص : ٤٩
(٤) البقرة : ٧ (٥) البقرة : ١٦ (٦) النور : ٤٥
(٧) البقرة : ٢٧٩ (٨) البقرة : ١ (٩) مريم : ١٥

« (١) سلام على إبراهيم » . « (٢) أن لهم جنات » .

الرابع -- التكثير ؛ نحو : « (٣) أنن لنا لأجراً » ؛ أى وافرا جزيلا .
ويحتمل التعظيم والتكثير معا : « (٤) وإن يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك » ؛ أى رسل عظام ذوو عدد كثير .

الخامس -- التحقير ، أى انحطاط شأنه إلى حد لا يمكن أن يعرف ؛ نحو :
« (٥) إن ننن إلا ظنا » ، أى ظنا حقيرا لا يعنأ به ، وإلا اتبعوه ؛ لأن ذلك ديدنهم ، بدليل : « (٦) إن يتدبرون إلا الظن » . « (٧) من أى شئ خلقه » ؛ أى من شئ صغير مهين ، ثم بيّنه بقوله : « (٨) من نطفة خلقه » .

السادس -- التقليل ؛ نحو « (٩) ورضوان من الله أكبر » ؛ أى رضوان قليل منه أكبر من الجنات ؛ لأنه رأس كل إسعاده :

قليل (١٠) منك يكفيني ولسكن قليلك لا يقال له قليل

وجعل منه الزمخشري (١١) : « (١٢) سبحانه الذى أشرى بعبد له ليلا » ؛ أى بعض ليل .

وأورد عليه أن التقليل رد الجنس إلى فرد من أفراد ، لا تنقيص فرد إلى جزء من أجزائه . وأجاب فى عروس الأفراس بأن لا نسلم أن الليل حقيقة فى جميع الليلة ، بل كل جزء من أجزائها يسمى ليلا .

(١) الصافات : ١٠٩ (٢) البقرة : ٢٥ (٣) الشعراء : ٤١ (٤) قاطر : ٤
(٥) الحاقة : ٣٢ (٦) الأنعام : ١١٦ (٧) عبس : ١٨ (٨) عبس : ١٩
(٩) التوبة : ٧٢ (١٠) الإطمان : ٢ - ٢٩٢ (١١) الكهف : ١ - ٤٠
(١٢) الأسراء : ١

وعده السكاكي من الأسباب ألا يعرف من حقيقته إلا ذلك ، وجعل منه أن تقصد التجاهل وأنت لا تعرف شخصه ؛ كقوله : هل لكم في حيوان على صورة إنسان يعمل كذا ؟ وعليه من تجاهل الكفار : «^(١) هل أدلّكم على رجل يفتنكم إذا مرقتم » ؛ كأنهم لا يعرفونه .

وعده غيره منها قصد الصوم بأن كانت في سياق النفي ؛ نحو : «^(٢) لا ريب فيه » . «^(٣) فلا رقت » . . . الآية أو الشرط ؛ نحو : «^(٤) وإن أحد من المشركين استجارك » ، والامتنان ، نحو : «^(٥) وأنزلنا من السماء ماء طهوراً » .

وأما التعريف فله أسباب ، فبالإشارة ؛ لأن المقام مقدم التكلم أو الخطاب أو النية .

وبالعلمية لإحضاره بعينه في ذهن السامع ابتداءً باسم مختص به ؛ نحو : «^(٦) قل هو [٢٣٠ ب] الله أحد » . «^(٧) محمد رسول الله » . أو لتعظيم أو إهانة حيث علمه يقتضى ذلك ، فمن التعظيم ذكر يعقوب بآية إسرائيل لما فيه من المدح والتعظيم ، وإسكونه صفوة الله ، أو سرى الله ، كما قدسنا في حرف الألف .

ومن الإهانة قوله : «^(٨) تبت يدا أبي لهب » ، وفيه أيضاً نكتة أخرى ؛ وهي الكناية به عن كونه جهنمياً .

وبالإشارة لتمييزه أكل تمييزاً بإحضاره في ذهن السامع حساً ، نحو :

(١) سبأ : ٧ (٢) النقرة : ٢ (٣) البقرة : ١٩٢ (٤) التوبة : ٦
(٥) الفرقان : ٤٨ (٦) الأَخْلَاص : ١ (٧) التوبة : ٢٩ (٨) تبت : ١

« (١) هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه » .

وللتعريض بعبادة السامع ، حتى إنه لا يتميز له الشيء إلا بإشارة المحس ، وهذه الآية تصلح لذلك .

ولبيان حاله في القرب والبعد ، فيؤتى بالأول بنحو هذا ، وفي الثاني بنحو ذلك وأولئك . ولقصد تمحيضه بالقرب : « (٢) أهذا الذي يذكركم آياتكم » . « (٣) أهذا الذي بعث الله رسولا » . « (٤) ماذا أراد الله بهذا مثلا » ، وكتوبه تعالى : « (٥) وما هذه الحياة الدنيا إلا لهو ولعب » .

ولقصد تعظيمه بالبعد : نحو : « (٦) ذلك الكتاب لا ريب فيه » ، ذهابا إلى بُعد درجته .

وللتنبه بعد ذكر المشار إليه بأوصاف قبله على أنه جدير بما يرد بهده من أحاديث ، نحو : « (٧) أولئك على هدى من ربهم ، وأولئك هم المفلحون » .

وبالوصول لكرامة ذكره بخاص اسمه ، إما مستترا عليه ، أو إهانة ، أو غير ذلك ، فيؤتى بالذي ونحوها موصولة بما صدر منه من فعل أو قول ، نحو : « (٨) والذي قال لوالديه أف لكما » . « (٩) وولودته التي هو في بيتها » .

وقد تكون لإرادة الموم ، نحو : « (١٠) إن الذين يستكبرون عن عبادتي ... الآية » .

(١) لقمان : ١١ (٢) الأنبياء : ٣٦ (٣) الفرقان : ٤١ (٤) البقرة : ٢٦
(٥) النكوت : ١٤ (٦) البقرة : ٢٠ (٧) البقرة : ٥ (٨) الأحقاف : ١٧
(٩) يوسف : ٢٣ (١٠) غافر : ٦٠

وللاختصار ؛ نحو : « ^(١) لَانْكَوْنُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّاهُ اللهُ بِمَا قَالُوا » ؛ أى قولهم إنه آذر ، إذ لو عدّد أسماء القائلين لطل ، وليس للعموم ، لأن بنى إسرائيل كلّهم لم يقولوا فى حقه ذلك .

وبالآلف واللام إشارة إلى معهود خارجى أو ذهنى أو ضرورى .
والاستغراق حقيقة أو مجازا ، أو تعريف الماهية . وقد مرّت أمثلتها فى حروف المعجم .

وبالإضافة لكونها أخصر طريق .
ولتعظيم المضاف ، نحو : « ^(٢) إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ » .
« ^(٣) وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ » ؛ أى الأصفياء فى الآيتين ، كما قال ابن عباس وغيره .

ولقصد العموم نحو : « ^(٤) فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ » ، أى كل أمر الله .

فائدة

سئلت عن الحكمة فى تفكير « أحد » وتعريف الصمد فى قوله تعالى :
« ^(٥) قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ . اللهُ الصَّمَدُ » . وألفت فى جوابه تأليفا مودعا فى الفتاوى ، وحاصلها أن فى ذلك أجوبة :

أحدها - أنه نكر للتعظيم ، والإشارة إلى أن مدلوله - وهو الذات المقدمة - غير ممكن تعريفها والإحاطة بها .

(١) الأحزاب : ٦٩ (٢) المائدة : ٤٢

(٣) الرمز : ٧ (٤) النور : ٦٣ (٥) الإخلاص : ١ ، ٢

الثاني - أنه لا يجوز إدخال « أل » ، كخبر وكل وبعض ، وهو فاسد ، فقد قرئ : قل هو الله الواحد الصمد . حكى هذه القراءة أبو حاتم في كتاب التزيينة عن جعفر بن محمد .

الثالث - مما خطر لي أن هو مبتدأ والله خبر ، وكلاهما معرفة ، فاتقصى المحضر ، فصرّف الجزآن في : الله الصمد ، لإفادة المحضر ليطابق الجملة الأولى ، واستغنى عن تعريف أحد لإفادة المحضر دونه ، فأتى به على أصله من التكسير ، على أنه خبر ثان . وإن جعل الاسم الكريم مبتدأ و « أحد » خبر قبه من ضمير الشأن ما فيه من التفضيم والتعظيم ، فأتى بالجملة النابية على نحو الأولى . بتعريف الجزأين للمحضر تفخيماً وتعليماً .

قاعدة أخرى

تعلق بالتعريف والتكبير

إذا ذكر الاسم مرتين فله أربعة أحوال : لأنه إما أن يكونا معرفتين ، أو سكرتين ، أو الأول نكرة والثاني معرفة ، أو بالعكس ، فإن كانا معرفتين فالثاني هو الأول غالباً ، دلالة على العهد الذي هو الأصل في اللام أو الإضافة ؛ نحو : « ^(١) اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ . صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ » . « ^(٢) فَاعْبُدُوا اللَّهَ مَخْلِعينَ لَهُ دِينِ . أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ » . « ^(٣) وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نَسَبًا ، وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ » . « ^(٤) وَفِيهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقَى السَّيِّئَاتِ » . « ^(٥) لَمَّا أَبْلَغُ الْأَسْبَابِ » .

(١) الناقة : ٦ ، ٧ (٢) الزمر : ٢ ، ٣ (٣) الصافات : ١٥٨

(٤) غافر : ٩ (٥) غافر : ٣٦ ، ٣٧

أسباب السموات . وإن كانا نكرتين فالثاني غير الأول غالباً ، وإلا لكان
الغالب هو التعريف بناء على كونه مضموداً سابقاً ، نحو : « (١) الذي خلقكم
من ضعف ، ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفاً وشيبةً
بخلق ما يشاء » ، فإن المراد بالضعف الأول النطفة ، وبالثاني الطولية ،
[١٣٢١] ، وبالثالث الشيخوخة .

وقال ابن الحاجب - في قوله تعالى : « (٢) غدوها شهراً ورواها
شهراً » الفتحة في إعادة لفظ الشهر الإعلام بمقدار زمن الغدو وزمن
الرواح ، والألفاظ التي تأتي مبينة للمقادير لا يحسن فيها الإضمار ، ولو
أضمر فالضمير إنما يكون لما تقدم باعتبار خصوصيته ، فإذا لم يكن له وجب
المدول عن الضمر إلى الظاهر . وقد اجتمع القسمان في قوله تعالى : « (٣) فإن
مع العسر يسراً » ، إن مع [العسر يسراً] ؛ فالتعريف الثاني هو الأول ، والتعريف
الثاني غير الأول ؛ ولهذا قال صلى الله عليه وسلم في الآية : لن يغلب عسر
يسرين .

وإن كان الأول نكرة والثاني معرفة فالثاني هو الأول حملاً على
على العهد ، نحو : « (٤) أرسلنا إلى فرعون رسولاً . فصلى فرعون الرسول » .
« (٥) فيها مصباح ، المصباح في زجاجة ، الزجاجة « إلى » (٦) صراط مستقيم .
صراط الله » . « (٧) من سبيل . إنما السبيل » .

وإن كان الأول معرفة والثاني نكرة فلا يطلق القول ، بل يتوقف
على القرائن ؛ فتارة تقوم قرينة على التباين ، نحو : « (٨) ويوم تقوم الساعة

(١) الروم : ٥٤ (٢) ساء : ١٢ (٣) النمرج : ٦٠ ، ٥١
(٤) الزمل : ١٥ ، ١٦ (٥) الدور : ٣٥ (٦) الشورى : ٥٣ ، ٥٢
(٧) الشورى : ٤١ ، ٤٢ (٨) الروم : ٥٥

يُفَسِّمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ ۖ » (١) بِسْأَلِكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ
تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ ۖ » (٢) وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى وَأَوْرَثْنَا
بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ ۚ هُدًى ۖ قَالَ الرَّغْشَرِيُّ (٣) : الْمُرَادُ بِالْهُدَى جَمِيعُ
مَا آتَاهُ اللَّهُ مِنَ الْهُدَى وَالْمُعْجَزَاتِ وَالشَّرَائِعِ ، وَهُدًى الْإِرْشَادَ .

وتارة تقوم قرينة على الاتحاد : نحو : « وَلَقَدْ (٤) ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا
الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ . قَرَأَ مَا عَرِيتُ ۖ » .

تفسيه

قال الشيخ سهاء الدين في عروس الأفراح وغيره : الظاهر أن هذه
القاعدة غير محررة ، فإنها منتقضة بآيات كثيرة ، منها في القسم الأول :
« (٥) هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ » ؛ فإنهما معرفتان . والثاني غير الأول ،
فإن الأول العمل والثاني الثواب . « (٦) أَنْ الدُّفْسُ بِالنَّفْسِ » ؛ أي القاتلة بالمقتولة .
وكذا سائر الآيات : « (٧) الْحَرُّ بِالْحَرِّ ... » الآية . « (٨) هَلْ أُنِى عَلَى الْإِنْسَانِ
مِنْ الدَّفْعِ ... » ، ثم قال : « إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ » ؛ فإن الأول
آدم ، والثاني ولده . « (٩) وَكَذَلِكَ أُنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ فَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ
الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ » . فإن الأول القرآن ، والثاني التوراة والإنجيل .
ومنها في القسم الثاني : « (١٠) وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌُ »

(١) الباء : ١٥٣ (٢) طاهر : ٥٤ ، ٥٣ (٣) الكشف : ٢ - ٣١٩

(٤) الزمر : ٢٨ ، ٢٧ (٥) الرحمن : ٦٠ (٦) المائدة : ٤٥

(٧) البقرة : ١٧٨ (٨) الإنسان : ٢٤١ (٩) النكبات : ٤٧

(١٠) الزخرف : ٨٤

« ^(١) يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير » ، فإن
الثاني فيها هو الأول وهما نسكرتان .

ومنها في القسم الثالث : « ^(٢) أن يُصلحها بينهما صلحا والصلح خير » .
« ويؤت ^(٣) كل ذي فضل فضله » . « ^(٤) ويزدكم قوة إلى قوتكم » .
« ^(٥) ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم » . « زدناهم ^(٦) عذابا فوق العذاب » .
« ^(٧) وما ينبع أكرهم إلا ظنا ، إن الظن لا يُغنى من الحق شيئا » .
فإن الثاني فيها غير الأول .

وأقول لا انتفاض بشيء من ذلك عند التأمل ؛ فإن اللام في الإحسان
للجنس فيما يظهر ، وحيث يكون في المعنى كالنسكرة ، وكذا آية النفس والحرة ،
بخلاف آية المسر ، فإن « ال » فيها إما للمعذ أو للاستغراق كما يفيد الحديث ،
وكذا آية الظن لا نسلم أن الثاني فيها غير الأول ، بل هو عينه قطعا ؛ إذ
ليس كل ظن مذموما ، كيف وأحكام الشريعة ظنية ؛ وكذا آية الصلح
لامانع من أن يكون المراد منها الصلح المذكور ، وهو الذي بين الزوجين .
واستعجاب الصلح في سائر الأمور ، ويكون مأخوذا من السنة أو من الآية
بطريق القياس ، بل لا يجوز القول بمعوم الآية ، وأن كل صلح خير ، لأن
ما أحل حراما من الصلح ، أو حرّم حلالا فهو ممنوع ، وكذا آية القتال ليس
الثاني فيها عين الأول بلا شك ، لأن المراد بالأول المشلول عن القتال الذي
وقع في سرية ابن الحضرمي سنة اثنين من الهجرة ، لأنه سبب نزول الآية .
والمراد بالثاني جنس القتال لا ذلك بيّنه .

(١) البقرة : ٢١٧ (٢) النساء : ١٢٨ (٣) هود : ٣ (٤) هود : ٥٢

(٥) النحل : ٨٨ (٦) يونس : ٣٦ (٧) النحل : ٨٨

وأما آية : « ^(١) وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله » فقد أجاب عنها الطيبي بأنها من باب التكرير لإفادة أمر زائد ، بدليل تكرير ذكر الرب فيما قبله من قوله : « ^(٢) سبحان رب السموات والأرض رب العرش » . ووجه الإطناب في تنزيهه سبحانه عن نسبة الولد إليه . وشرط القاعدة ألا يقصد التكرير .

وقد ذكر الشيخ بهاء الدين في آخر كلامه : أن المراد بذكر الاسم مرتين كونه مذكورا في كلام واحد أو كلامين بينهما تواصل بأن يكون أحدهما مطوفا على الآخر ، أوله به تعلق ظاهر وتناسب واضح ، وأن يكون من متكلم واحد ، ودفع بذلك إيراد آية القتال ؛ لأن الأول فيها محكي عن قول السائل ، والثاني محكي من كلام النبي صلى الله عليه وسلم .

قاعدة

في الإفراد والجمع

من ذلك السماء والأرض : حيث وقع في القرآن ذكر الأرض قائما مفردة ولم تجتمع بخلاف السموات ، لثقل جمعها وهو أرضون ؛ ولهذا لما أريد ذكر جميع الأرض قال : « ^(٣) ومن الأرض » . وأما السماء فقد كرت تارة بصيغة الجمع ، وتارة بصيغة الإفراد لنكتة تليق بذلك الحول ، كما [٣٢١] أوضحت في أسرار التنزيل . والحاصل أنه حيث أريد العدد أتى بصيغة الجمع الدالة على سعة العظمة ؛ نحو : « ^(٤) سبح في ما في السموات » ؛ أي جميع

(١) الزخرف : ٨٤ (٢) الزخرف : ٨٤ (٣) الطلاق : ١٢

(٤) الصف : ١

سكانها على كثرتهم ، « ^(١) نَسَبِحْ لَهُ السَّمَوَاتُ » ؛ أى كل واحدة على اختلاف عددها . « قل ^(٢) لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ » ؛ إذ المراد نَفَى علم الغيب عن كل من هو في واحدة ، واحدة من السموات .

وحيث أريد الجملة أى بصفة الإفراد ، نحو : « ^(٣) وفي السماء رزقكم . » « ^(٤) أَمِنتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ » ؛ أى من فوقكم .

ومن ذلك الريح حيث ذكرت مجموعة ومفردة ، فحيث ذكرت في سياق الرحمة جُست ، أو في سياق العذاب أُفردت .

وأخرج ابنُ أبي حاتم وغيره عن أبي بن كعب ، قال : كل شيء في القرآن من الرياح فهو رحمة ، وكل شيء فيه من الريح فهو عذاب .

ولهذا ورد في الحديث : « اللَّهُمَّ اجْعَلْهَا رِيحاً وَلَا تَجْعَلْهَا رِيحاً » . وذكر في حكمة ذلك أن رياح الرحمة مختلفة الصفات والمهبّات والمنافع ، وإذا هاجت منها ريح أثير لها من مقابلها ما يكسر سورتها ، فينشأ من بينهما ريح لطيفة تنفع الحيوان والنبات ، فكانت في الرحمة رياحاً ، وأما في العذاب فإنها تأتي من وَجْهٍ واحد ، ولا معارض لها ولا دافع .

وقد خرج عن هذه القاعدة قوله تعالى في سورة يونس : « ^(٥) وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ » ؛ وذلك لوجهين : لفظي ، وهو المقابلة بقوله : « ^(٦) جَاءَهَا رِيحٌ عَاصِفٌ » . ورُبَّ شيء يجوزُ في المقابلة ، ولا يجوز استقلالاً ؛ نحو : « ^(٧) وَمَكْرَوا وَمَكْرَ اللَّهُ » .

(١) الإسراء : ٤٤ (٢) النمل : ٦٥ (٣) الفاربات : ٢٢
(٤) الملك : ١٦ (٥) يونس : ٢٢ (٦) آل عمران : ٥٤

ومعنوى ؛ وهو أن تمام الرحمة هناك إنما تحصل بوحدة الريح لا باختلافها ؛ فإن السفينة لا تسير إلا بريح واحدة من وجه واحد ، فإذا اختلفت عليها الرياح كان سبب الهلاك ، والمطلوب ههنا ربح واحدة ، ولهذا أكد هذا المعنى بوصفها بالطيب ؛ وعلى ذلك أيضا جرى قوله : « ^(١) إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ » . وقال ابن المنير : إنه على القاعدة لأن سكون الريح عذاب وشدة على أصحاب السفن .

ومن ذلك أفراد النور وجمع الظلمات ، وأفراد سبيل الحق وجمع سبيل الباطل ، في قوله : « ^(٢) وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ » ؛ لأن طريق الحق واحدة ، وطرق الباطل متشعبة متعددة ، والظلمات بمنزلة طرق الباطل ، والنور بمنزلة طريق الحق ؛ بل هما ؛ ولهذا وحده وإلى المؤمنين ، وجمع أولياء الكفار لتعدد هم في قوله : « ^(٣) اللَّهُ وَإِلَى الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ، وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولِيَاؤُهُم... » الآية .

ومن ذلك أفراد النار حيث وقعت والجنة حيث وقعت مجموعة ومفردة ؛ لأن الجنان مختلفة الأنواع ، فحسن جمعها ، والنار مادة واحدة ، ولأن الجنة رحمة والنار عذاب ، فناسب جمع الأولى وأفراد الثانية على حد الرياح والريح .

ومن ذلك أفراد السمع وجمع البصر ؛ لأن السمع غلب عليه المصدرية ، فأفرد ، بخلاف البصر ، فإنه اشتهر في الجارحة ، ولأن متعلق السمع الأصوات ، وهي حقيقة واحدة ، ومتعلق البصر الألوان والأشكال وهي حقائق مختلفة ، فأشار في كل منهما إلى متعلقه .

ومن ذلك إفرادُ الصديق وجمع الشافعين في قوله : «^(١) فالنا من شافعين .
ولا صديق حميم » . وحكمته كثرةُ الشفاعة في العادة وقلةُ الصديق .

قل الزمخشري^(٢) : ألا ترى أن الرجل إذا امتحن يارهاق ظالم نهضت
جماعة وافرة من أهل بلده لشفاعته رحمة له ، وإن لم يسبق له بأكثرهم معرفة .
وأما الصديق فأعز من يبيض الأنوف .

ومن ذلك الألباب لم يقع إلا مجموعا ، لأن مفردة ثقيل لفظا .

ومن ذلك مجيء المشرق والمغرب بالإفراد وبالثنائية وبالجمع ؛ فحيث أفردا ،
فاعتباراً للجهة ، وحيث ثنّيا فاعتباراً لمشرق الصيف والشتاء ومغربيهما ، وحيث
جُمعا فاعتباراً لتعدد المطامع في كل فصل من فصول السنة .

وأما رَجْعُ احتصاصِ كل موضع بما وقع فيه ، ففي سورة الرحمن ورد^(٣)
بالثنائية ؛ لأن سياقَ السورة سياق المزدوجين ، فإنه سبحانه ذكر أولا نوعي
الإيجاد وهما الخلق والتعليم ، ثم ذكر سراحي العالم : الشمس والقمر ، ثم نوعي
النبات : ما كان على ساق وما لا ساق له ، وهما النجم والشجر ، ثم نوعي السماء
والأرض ، [١٣٢٢] ثم نوعي العدل والظلم ، ثم نوعي الخارج من الأرض
وهما الحبوب والرياحين ، ثم نوعي المسكّنين وهما الإنس والجان ، ثم نوعي
البحر : العذب والملح ، فلهذا حسنُ ثنية المشرق والمغرب في هذه السورة
وجمعا في قوله : «^(٤) فلا أقسمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ . إِنَّا تَقَادِرُونَ » .
وفي سورة الصافات^(٥) للدلالة على سعة القدرة والعظمة .

(١) الشعراء : ١٠٠ ، ١٠١ (٢) الكشاف : ٢ - ١٢٧

(٣) في الانشقاق : وقع . (٤) الخارج : ٤٠

(٥) الصافات : رب السموات والأرض وما بينهما ورب المشارق .

فائدة

حيث ورد البارّ مجموعاً في صفة الآدميين قيل : أبرار ، وفي صفة الملائكة قيل برّرة ؛ ذكره الراغب ، ووجهه بأن الثاني أبلغ ؛ لأنه جمع بارّ ، وهو أبلغ من « بر » مفرد الأول .

وحيث ورد الأخ مجموعاً في النسب قيل إخوة ، وفي الصداقة قيل إخوان ؛ قاله ابن فارس وغيره . وأورد عليه في الصداقة : « ^(١) إنما المؤمنون إخوة » ، وفي النسب : « ^(٢) أو إخوانهم أو بنى إخوانهم أو بنى أخواتهم » .

فائدة

ألف أبو الحسن الأخفش كتاباً في الإفراد والجمع في القرآن ذكر فيه جميع ما وقع في القرآن مفرداً ، ومفرد ما وقع فيه جمعا ، وأكثره من الواضحات ؛ وهذه أمثلة من خفي ذلك :

النّ جمع لا واحداً له . والسّوى لم يسمع له بواحد . الفصاري قيل جمع نصراني ، وقيل نصير كنديم ، وقبيل . العوان جمعه عون . الهدى لا واحداً له . الإعمار جمعه أعاصير . الأنصار واحده نصير ، كشریف وأشراف . الأزلام واحداً زلم ، ويقال زلم ، بالضم . مدّار جمعه مدّارير . أساطير واحداً أسطورة ، وقيل أسطار جمع سطر . الصّور قيل جمع صورة ، وقيل واحد الأصول . فرّادى جمع أفراد ، جمع فرد . وقنولان جمع قنوّ . وصنّوان جمع صنّو ، وليس في القرآن جمع ومثنى بصيغة واحدة إلا هذان ولفظ ثالث

لم يقع في القرآن ، قاله ابن خالويه في كتاب ايس : الحوايا جمع حاوية ،
وقيل حاويات . نشر جمع نشور . عِضِينَ وعِزِينَ جمع عِضَةٍ وعِزَةٍ . المثاني جمع
مثنى . تارة جمعها تارات ، وتَبَرَّ . أَيْقَظَ جمع يَقْظُ . الأرائك جمع أربكة . سرى
جمعه سريان ، كخصى وخصيان . آماء الليل جمع إماء ، بالتصريح كسى . وقيل
إلى كقرد ، وقيل إنوة كيرقة . الصيامى جمع صيصية . منسأة جمع منامى .
الحرور جمعه حرور بالغم . غرائب جمعه غريب . أتراب جمع ترب .
الآلاء : جمع إلى كسى ، وقيل ألى كقفا . وقيل إلى كقرد ، وقيل الو .
التراقى جمع ترقوة بفتح أوله . الأمشاج جمع مَشَج . ألقافا جمع لَفْ -
بالكسر . العِشار جمع عِشر . أُنْطَاس جمع خاسة ، وكذا الكُنْسى .
الزبانية جمع زبانية . وقيل زابن . وقيل زباني . أشتاتا جمع شتّ وشيت .
أبائيل لا واحد له ، وقيل واحده إبتول مثل عجّول . وقيل إبتيل
مثل إكليل .

فائدة

ليس في القرآن من الألفاظ المدولة إلا ألقاظ المدد : مثنى ، وثلاث ورُباع ،
ومن غيرها طوى فيما ذكره الأخفش في الكتاب المذكور . ومن الصفات
آخر ، قل تعالى : «^(١) وَأُخْرُ مُنْشَاهَاتٍ » . قال الراغب ^(٢) وغيره : هي مددولة
عن تقدير ما فيه الألف واللام ؛ وليس له نظير في كلامهم ؛ فإن « أفعل »
إما أن يذكّر معه « من » لفظاً أو تقديرأ ، « لا يُثَنَّى ولا يجمع » ، ولا يؤنث ،
أو يحذف منه « من » فتدخل عليه الألف واللام [ويثنى ويجمع] ، وهذه اللفظة

من بين أخواتها جُوز فيها ذلك من غير الألف واللام^(١) .

وقال السكسماني في الآية المذكورة : لا يمنع كونها معذولة من الألف واللام كونها وصفاً منكرة ؛ لأن ذلك مقدر من وجوه غير مقدر من وجه .

قاعدة

مقابلة الجمع بالجمع تارة تقتضي مقابلة كل فرد من هذا بكل فرد من هذا ، كقوله : «^(٢) وَاسْتَغْفِرُوا ثِيَابَهُمْ » ، أي استغشى كل منهم ثوبه . «^(٣) حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ » ؛ أي على كل من الخطابين أمه . «^(٤) يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ » ؛ أي كل في أولاده . «^(٥) وَالْوِلْدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ » ؛ أي كل واحدة تُرْضِعُ ولدها .

وتارة يقتضي ثبوت الجمع لكل فرد من أفراد المحكوم عليه ؛ نحو : «^(٦) فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً » . وجعل منه الشيخ عز الدين بن عبد السلام : «^(٧) وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ » .

وتارة يحتمل الأمرين ، فيحتاج إلى دليل يبين أحدهما .

وأمّا متاباة الجمع بالفرد فالتألبُّ ألا يقتضي تسميم المفرد ، وقد يقتضيه كما في قوله : «^(٨) وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ » المعنى على كل واحدٍ لكل يوم طعام مسكين . «^(٩) وَالَّذِينَ يَرْمُونَ [٣٢٢ ب] الْمُحْصَنَاتِ - نَمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً » ؛ لأنه على كل واحد منهم ذلك .

(١) من الاعيان ، والمفردات . (٢) نوح : ٧ (٣) النساء : ٢٣
(٤) النساء : ١١١ (٥) البقرة : ٢٣٣ (٦) النور : ٤
(٧) البقرة : ٢٥ (٨) البقرة : ١٨٤ (٩) النور : ٤

قاعدة

الفاظ يظن بها الترادف وليست منه

من ذلك الخوف والخشية ؛ لا يكادُ القوي يفرقُ بينهما ، ولا شك أن الخشية أعلى منه ، وهي أشدُّ الخوف ، فإنها مأخوذة من قولهم : شجرة خشية ؛ أى يابسة ، وهو قنات بالسكية . والخوف من قولهم ناقة خوفاء ؛ أى بها داء وهو نقص ، وليست بفوات ؛ ولعلك خست الخشية بالله في قوله : ﴿^(١) يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحَسَابِ ﴾ .

وفرق بينهما أيضا بأن الخشية تكون من عظم الخنثى ، وإن كان الخاشى قويا ، واخوف يكون من ضعف الخائف وإن كان الخوف أمرا يسيرا . ويدلُّ لذلك أن الخساء والشين والياء في تقاليبها تدلُّ على العظمة ، نحو : شيخ للسيد الكبير . وخيش لما غلظ من اللباس ، ولذا وردت الخشية غالبا في حق الله ؛ ﴿^(٢) مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ﴾ . ﴿^(٣) إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ . وأما ﴿^(٤) يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ قُوَّتِهِمْ ﴾ - فقيه نكتة لطيفة . لأنه وصف الملائكة ، ولما ذكر قوتهم وشدة خلقهم عبر عنهم بالخوف لبيان أنهم وإن كانوا غلاظا شداذا فهم بين يديه تعالى ضغفاء ؛ ثم أردفه بالقوية الدالة على العظمة ، فجمع بين الأمرين . ولما كان ضعف البشر معلوما لم يحتاج إلى التنبيه عليه .

ومن ذلك الشح والبخل . والشح هو أشدُّ البخل . قل الراغب : الشح : بخل مع حرص . وفرق السكرى بين البخل والفسن بأن الفسن أصله أن يكون بالمولى ، والبخل بالهبات ، ولهذا يقال : هو ضنين بطله ، ولا يقال بجنيل ؛

(١) الرعد : ٢٦ (٢) البقرة : ٧٤ (٣) طاهر : ٢٨

(٤) النحل : ٥٠

لأن العلم بالعارية أشبه بالهبة ؛ لأن الواهب إذا وهب شيئاً خرج عن ملكه ، بخلاف العارية ، ولهذا قال تعالى : « ^(١) وما هو على الغيب بضنين » ، ولم يقل ببخل .

ومن ذلك السبيل والطريق ، والأول أغلب وقوعاً في الخير ، ولا يكاد اسم الطريق يُرادُ به الخير إلا مقترناً بوصفٍ أو إضافة تخلصه لقلبك ، كقوله تعالى « ^(٢) : « يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ » . وقال الراغب : السبيل الطريق التي فيها سهولة ، فهو أخص .

ومن ذلك جاء وآتى ؛ فالأول يقال في الجواهر والأعيان . والثاني في المعاني والأزمان ؛ ولهذا ورد في قوله : « ^(٣) وَلَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ » . « ^(٤) وجاءوا على قميصه بدم كذب » . « ^(٥) وجرى يومئذ بحبهم » . وآتى في : « ^(٦) آتَى أَمْرُ اللَّهِ » . « ^(٧) أَنَا مَا أَتَرُّنَا » : وأما « ^(٨) وجاء ربك » ؛ أى أمره ، فإن المراد به أهوال القيامة المشاهدة وكذا « ^(٩) قَدْ جَاءَ أَجَلُهُمْ » ، لأن الأجل كالشاهد ، ولهذا عُبر عنه بالحضور في قوله : حضره الموت ؛ ولهذا فرّق بينهما في قوله : « ^(١٠) جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ » . وأتيناك بالحق ؛ لأن الأول المذاب ، وهو شاهد مرئي بخلاف الحق . وقال الراغب : الإتيان : مجئ . بسهولة ؛ فهو أخص من « طلق المجيء » . ومنه قيل للسبيل المار على وجهه آتواي ، وآتى .

(١) العنكبوت : ٢٤	(٢) الأحقاف : ٣٠	(٣) يوسف : ٧٢
(٤) يوسف : ١٨	(٥) النجيم : ٢٣	(٦) النمل : ١
(٧) يونس : ٢٤	(٨) النجيم : ٢٢	(٩) الأعراف : ٣٤
(١٠) النجيم : ٦٤، ٦٣		

ومن ذلك مَدَّةٌ وأَمَدٌ ؛ قال الراغب : أكثر ما جاء الإمداد في المجهود ؛
نحو : « ^(١) وأَمَدٌ ذَنَامٌ بَاقِيَةٌ » . والمد في المسكروه ؛ نحو : « ^(٢) وَنَمْدُهُ
مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا » .

ومن ذلك سقى وأسقى ؛ فالأول لما لا كلفة فيه ، ولهذا ذكر في شراب الجنة ؛
نحو : « ^(٣) وَسَقَّاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا » . والثاني لما فيه كلفة ، ولهذا ذكر
في الدنيا ، نحو : « ^(٤) لَا سَقِيَنَاهُمْ مَاءَ غَدَقًا » . وقال الراغب : الإسقاء أبلغ
من السقى ؛ لأنَّ الإسقاء أنَّ يعمل له ما يستقى منه ، وبشرب . والسقى أن
يعطيه ما يشرب .

ومن ذلك عمل وفعل ؛ فالأول لما كان مع امتداد زمان ؛ نحو :
« ^(٥) يَفْعَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ » . « ^(٦) مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا » ؛ لأنَّ خلق الأنعام
والثمار والزروع بامتداد . والثاني بخلافه ؛ نحو : « ^(٧) كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ
الْقَبِيلِ » . « ^(٨) كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِبَنَادٍ » . « ^(٩) فَعَمَلْنَا بِهِمْ » ؛ لأنها إهلاكات
وقعت من غير بقاء . « ^(١٠) وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ » ؛ أى في طرفة عين .
ولهذا عبر بالأول في قوله : « ^(١١) وَفَعَلُوا الصَّالِحَاتِ » حيث كان المقصود المثابرة
عليها لا الإتيان بها مرة أو بسرعة . وبالثاني في قوله : « ^(١٢) وَافْعَلُوا الْخَيْرَ »
حيث كان بمعنى سارعوا ، كما قال : « ^(١٣) فَاسْتَجِبْوا الْخَيْرَاتِ » . وقوله :

(١) طور : ٢٢ (٢) مريم : ٢٩ (٣) لسان : ٢٩

(٤) الجن : ١٦ (٥) - يا : ١٣ (٦) يس : ٧١

(٧) القيل : ١ (٨) النجر : ٦ (٩) إبراهيم : ٤٥

(١٠) الحل : ٥٠ (١١) البقرة : ٢٥ (١٢) الحج : ٧٧

(١٣) البقرة : ١٤٨

«^(١) والذين هم للزكاة فاعِلون » حيث كان القصد بأنون بها على سرعة من غير توانٍ .

ومن ذلك القعود والجلوس ؛ فالأول لما فيه لُبٌّ ، بخلاف الثاني ؛ ولهذا يقال قواعد البيت [١٣٢٣] ، ولا يقال جَوَالِهَ لَزومها ولبثها ، ويقال جلس الملك ولا يقال قَعِده ؛ لأن مجالس الملوك يستعش فيها التخفيف ؛ ولهذا استعمل الأول في قوله : «^(٢) مَقْمَرٌ صِدْقٍ » للإشارة إلى أنه لا زوال له ، بخلاف : «^(٣) تَنَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ » ؛ لأنه يجلس فيه زمانا يسيرا .

ومن ذلك التمام والكمال ، وقد اجتمعا في قوله : «^(٤) أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي » ؛ فقيل الإتمام لإزالة نقصان الأصل ، والإكمال لإزالة نقصان الموارد بعد تمام الأصل ؛ ولهذا كان قوله تعالى : «^(٥) تِلْكَ حَشْرَةٌ كَامِلَةٌ » أحسن من « تامة » ؛ لأن التمام من العدد قد علم ؛ وإنما نبي احتمال نقص في صفاتها ، وقيل : تَمَّ يشعر بحصول نقص قبله ، وكل لا يشعر بذلك . وقال السكري : الكمال اسم لاجتماع ألباض الموصوف به . والتمام اسم للجزء الذي يتم به الموصوف ، ولهذا يقال للقافية تمام البيت ، ولا يقال كماله . ويقولون البيت بكامله أى باجتماعه .

ومن ذلك الإعطاء والإيتاء ؛ قل الخوي : لا يكاد اللغويون يفرقون بينهما ، وظهر لي بينهما فرق ينبيء عن بلاغة كتاب الله ؛ وهو أن الإيتاء أقوى من الإعطاء في إثبات مفعوله ؛ لأن الإعطاء له مطاوع ، تقول : أعطاني فمطوت ،

(١) المؤمنون : ٤ (٢) التمر : ٥٥ (٣) المجادلة : ١١

(٤) المائدة : ٣ (٥) البقرة : ١٩٦

ولا يقال في الإتياء : أتاني فأتيت ؛ وإنما يقال آتاني فأخذت . والقيل الذي له مطاوع أضف في إثبات مفعوله من الذي لا مطاوع له ، لأنك تقول : قطعت فاقطع ، فبدل على أن فعل الفاعل كان موقوفا على قبول في الحل ، لولاه ما ثبت المفعول . ولهذا يصح قطعت فاقطع . ولا يصح فيها لا مطاوع له ذلك ؛ فلا يجوز ضربته فانضرب ، أو فاناضرب ، ولا قتله فاقتل ولا فاناقتل ؛ لأن هذه أفعال إذا صدرت من الفاعل ثبت لها المفعول في الحل ، والفاعل مستقل بالأفعال التي لا مطاوع لها ، فالإتياء أقوى من الإعطاء .

نفس قال : وقد تفكرت في مواضع من القرآن فوجدت ذلك مراعى ؛ قال تعالى : « ^(١) تَوَرَّى الْمَلِكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنَزَّعُ لِلْمَلِكِ مَنْ تَشَاءُ » ؛ لأن الملك شيء عظيم لا يعطاه إلا من له قوة ، وكذا قوله : « ^(٢) يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ » . « ^(٣) آتَيْنَاكَ سُبْحًا مِنَ الثَّانِي » ؛ لعظم القرآن وشأنه ؛ وقال : « ^(٤) إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ » ؛ لأنه موجود في الوقف مرفوع عنه قريباً إلى منازل المزمع في الجنة ، فمرفوعه بالإعطاء ؛ لأنه يترك من قرب ، وينقل إلى ما هو أعظم منه . وكذا ، « ^(٥) يَعْطِيكَ رَبُّكَ أَتَرْمَى » ، لما فيه من تكرار الإعطاء والزيادة إلى أن يرضى كل الرضا ، وهو مفسر أيضاً بالشفعة ، وهي نظير الكوثر في الانتقال بعد قضاء الحاجة منه . وكذا « أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ حَنَّةً » ، لتكرار حدوث ذلك باعتبار الموجودات ، حتى يسطوا الجزية ، لأنها موقوفة على قبول منا ، وإنما يسطونها عن كرم .

(١) آل عمران : ٧٦ (٢) البقرة : ٢٦٩ (٣) الحجر : ٨٧

(٤) الكوثر : ١ (٥) الضحى : ٥ (٦) طه : ٥

قائده

قال الراغب : خص دفع الصدقة في القرآن بالإيتاء ، نحو : «^(١) أفاموا الصلاة وآتوا الزكاة » وأقام «^(٢) الصلاة وآتوا الزكاة » : قال : وكل موضع ذكر في وصف الكتاب « آتينا » فهو أبلغ من كل موضع ذكر فيه « أوتوا » ، لأن أوتوا قد يقال إذا أوتى من لم يكن منه قبول ، وآتينا هم يقال فيمن كان منه قبول . ومن ذلك السنة والعام ؛ قال الراغب : الغالب استعمال السنة في الحوّل الذي فيه الشدة والجذب ، ولهذا يعبر عن الجذب بالسنة . والعام ما فيه الرخاء والخصب ؛ وبهذا تظهر النكته في قوله : «^(٣) ألف سنة إلا خمسين عاماً » حيث عبر عن المستثنى بالعام ، وعن المستثنى منه بالسنة .

قاعدة

في السؤال والجواب

الأصل في الجواب أن يكون مطابقاً للسؤال إذا كان السؤال متوجّهاً . وقد يعدّل في الجواب عما يقتضيه السؤال تنبيهاً على أنه كان من حقّ السؤال أن يكون كذلك ، وبسيه السكاكي الأسلوب الحكيم . وقد يجيء الجواب أعمّ من السؤال للحاجة إليه في السؤال . وقد يجيء أنقص لاقتضاء الحل ذلك . مثل ما عدل عنه قوله تعالى : «^(١) يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج » . سألوا عن الهلال لم يبدؤا رقيقاً مثل الخيط ، ثم يتزايد قليلاً قليلاً حتى يمتلئ ثم لا يزال ينقص حتى يعود كما بدأ ؟ فأجيروا ببيان

(١) البقرة : ١٧٧

(٢) البقرة : ١٨٩

(٣) البقرة : ٢٢٧

(٤) النكاح : ١١

حكمة ذلك تنبيهها [٣٧٣ ب] على أن الأهم السؤال عن ذلك لا ما سألوا عنه .
 كذا قال السكاكي ومن أتى بعده ، واسترسل التفتازاني في الكلام إلى أن
 قال : ليسوا ممن يطلع على دقائق الهيئة بسهولة .

وأقول : ليت شمرى من أين لهم أن السؤال وقع عن غير ما حصل
 الجواب به ، وما المانع من أن يكون إنما وقع عن حكمة ذلك ليطمئنها ،
 فإن نظم الآية محتمل لذلك ، كما أنه محتمل لما قالوه . والجواب ببيان الحكمة
 دليل على ترجيح الاحتمال الذي قلناه ، وقريئة ترشيد إلى ذلك ؛ إذ الأصل
 في الجواب المطابقة للسؤال ، والخروج عن الأصل يحتاج إلى دليل ، ولم يرد
 بإسناد لا صحيح ولا غيره أن السؤال وقع عما ذكره ؛ بل ورد ما يؤيد ما قلناه ،
 فأخرج ابن جرير ، عن أبي العلاء ، قال : بلغنا أنهم قالوا : يا رسول الله ، لم
 خلقت الآلهة ؟ فأمر الله . « يسأولك عن الآلهة » ، فهذا صريح في أنهم
 سألوه عن حكمة ذلك لا عن كيفية من جهة الهيئة ، ولا يظن ذو دين بصحابة
 الذين هم أدق فهم ، وأغزر علما ، أنهم ليسوا ممن يطلع على دقائق الهيئة
 بسهولة ، وقد اطلع عليها آحاد المعجم الذين أطبق الس على أنهم أبدا أذهانا
 من العرب كثير . هذا لو كان للهيئة أصل معتبر ، فكيف وأكثرها فاسد
 لا دليل عليه .

وقد صنف كتابا في نقض أكثر مسائلها بالأدلة الثابتة عن رسول الله
 صلى الله عليه وسلم الذي صعد إلى السماء ورآها عيانا ، وعلم ما حوته من عجائب
 الملكوت بالمشاهدة ، وأتاه الوحي من خلقها ، ولو كان السؤال وقع عما
 ذكره لم يمتنع أن يحابوا عنه بلفظ يصل إلى أفهامهم ، كما وقع ذلك لما سألوا
 عن الحجر وغيرها من الملكوتيات .

ثم المثال الصحيح لهذا القسم جواب موسى لفرعون حيث قل :

« (١) وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ . قُلْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا » ؛ لَأَنَّهُ (٢)
سؤال عن الماهية أو الجنس . ولما كان هذا السؤال في حقِّ الباري تعالى خطأ ،
لأنه لا جنس له ، فبذلك ولا تدرك ذاته ، عدل إلى الجواب بالصواب ببيان
المرشد إلى معرفته ؛ ولهذا تسجَّب فرعون من عدم مطابقة السؤال ؛ فقال
« (٣) أَلَا تَسْتَمُوعُونَ » : أى جوابه الذى لم يطابق السؤال ، فأجاب موسى :
« (٤) رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأُولِينَ » المتضمن إبطال ما يستقدونه من ربوبية فرعون
نصاً ، وإن كان دخل في الأول ضمناً إغلاظاً ؛ زاد فرعون في الاستهزاء به ،
فلما رآهم موسى لم يغطنوا أغلظ في الثالث بقوله : « (٥) إِنْ كُنْتُمْ تَقُولُونَ .
ومثال الزيادة في الجواب قوله تعالى : « (٦) قُلِ اللَّهُ يَنْجِيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ
كَرْبٍ » في جواب « (٧) مَنْ يَنْجِيكُمْ مِنْ ظِلْمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ » . وقول موسى :
« (٨) هِيَ عَصَايَ أَنْتَ وَكَأَنَّ عَلَيْهَا وَأَمْسَ بِهَا عَلَى غَنَمِي » في جواب :
« (٩) وَمَا تِلْكَ يَمِينُكَ يَا مُوسَى » . زاد في الجواب استمداً إذا مخاطب الله .
وقول قوم إبراهيم : « (١٠) تَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَقُطِلْ لَهَا عَاكِفِينَ » في جواب :
« (١١) تَعْبُدُونَ » ؟ زاد في الجواب إظهار الانتهاج بعبادتها والاستمرار على
مواظبتها ليزداد غثظ السائل .

ومثال النقص منه قوله تعالى « (١٢) قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَبَدُّهُ فِي
جَوَابِ : « (١٣) أَنْتَ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ » ، أجاب عن التبديل دون الاختراع .

(١) الشعراء : ٢٢ ، ٢٣

(٢) في الإتيان : لأن « ما » سؤال .

(٣) الشعراء : ٢٦ (٤) الشعراء : ٢٨ (٥) الأنعام : ٦١

(٦) الأنعام : ٦٣ (٧) طه : ١٨ (٨) طه : ١٧

(٩) الشعراء : ٧١ (١٠) الشعراء : ٧٠ (١١) يونس : ١٥

(م ٣٩ - في إبطال القرآن)

قال الزمخشري^(١) : لأن التبديل في إمكان البشر دين الاختراع ، فطوى ذكره للتنبيه على أنه سؤال محل . وقال غيره : التبديل أسلوب من الاختراع ، وقد نقي إمكانه فالاختراع أولى .

تفصيله

قد يُعَدَّل عن الجواب أصلاً إذا كان السائل قصده التعنيت ؛ نحو : «^(٢) ويسالوك عن الروح » - قال صاحب الإيضاح : إنما سأل اليهود تمحيذاً أو تغليظاً إذ كان الروح يقل بالاشتراك على روح الإنسان ، والقرآن ، وعيسى وجبريل ، وملاك آخر ، وصنف من الملائكة ، فقصده اليهود أن يسألوه ، فيأبى مستقبي أجابهم قائلوا : ليس هو ، فجاءهم الجواب محملاً ، وكان هذا الإجمال كيداً يرذ به كيدهم .

قاعدة

قيل أصل الجواب أن يُعَادَ فيه نفس السؤال ، ليكون وفقه ؛ نحو : «^(٣) أياك لأنت يوسف ؟ قل أنا يوسف » ؛ فأنافى جوابه هو « أنت » في سؤالهم ، وكذا «^(٤) أقررتم وأخذتم على ذلك إصري ، قالوا أقررنا » ؛ فهذا أصله ؛ ثم إنهم أتوا عوض ذلك بحروف الجواب اختصاراً وترك التكرار .

وقد يحذف السؤال ثقةً بفهم السامع شقيره ؛ نحو : «^(٥) قل هل

(١) الكشف : ١ - ١١٧ (٢) الإسراء : ٨٥

(٣) يوسف : ٩٠ (٤) آل عمران : ٨٦ (٥) يونس : ٣٤

[١٣٢٤] مِنْ شَرِّ كَانِسِكُمْ مِنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يَبْعِدُهُ ؟ قُلْ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ
ثُمَّ يَبْعِدُهُ . فَإِنَّهُ لَا يَسْتَقِيمُ أَنْ يَكُونَ السُّؤَالُ وَالْجَوَابُ مِنْ وَاحِدٍ ، فَتَعَيَّنَ أَنْ
يَكُونَ « قُلْ اللَّهُ » جَوَابَ سُّؤَالٍ ، فَكَأَنَّهُمْ سَأَلُوا لِمَا سَمِعُوا ذَلِكَ : مَنْ يَبْدَأُ
الْخَلْقَ ثُمَّ يَبْعِدُهُ ؟

قَاعِدَةٌ

الأصل في الجواب أن يكون مشاكلاً للسؤال ؛ فإن كان جملة اسمية
فينبغي أن يكون الجواب كذلك ، وبحسب ذلك في الجواب المقدّر ، إلا ابن
مالك قال : قولك زيد - في جواب مَنْ قَرَأَ : إنه من باب حذف الفعل ، على
جمل الجواب جملة فعلية . قال : وإنما قدرته كذلك لا مبتدأ مع احتماله ،
حرّاًياً على عادتهم في الأجوبة إذا قصدوا تمامها ؛ قال تعالى « ^(١) مَنْ يُحْيِي الْمَيِّتَ »
وهي رَمِيمٌ . قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا . « ^(٢) وَلَنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقْنَهُنَّ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ » . « ^(٣) يَسْأَلُوكَ مَاذَا أَحَلَّ لَهُمْ ؟
قُلْ أَحَلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتِ » . فلما أتى بالجملة الفعلية مع فوات مشكلة السؤال
علم أن تقدير الفعل أولى .

قال ابن الزمّلكاني في البرهان : أطلق النحويون القول بأن زيدا في
جواب مَنْ قام ؟ فاعل على تقدير قام زيد ، والذي توجبه صناعة علم البيان أنه
مبتدأ ، لوجهين :

أحدهما - أنه يطابق الجملة المستول بها في الاسمية ، كما وقع التطابق في قوله :
« ^(٤) وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَبِرْنَا » في الفعلية ، وإنما لم يقع

(١) يس : ٧٨ ، ٧٩ (٢) الزخرف : ٩ (٣) المائدة : ٤

(٤) النحل : ٣٠

التطابق في قوله : « (١) ماذا أنزل ربك ؟ قالوا أساطير الأولين » ، لأنهم لو طابقوا لكانوا متبرين بالإيزال وهم من الإذعان به على مقور .

الثاني - أن القبس لم يقع عند السائل إلا فيمن فعل الفعل ، فوجب أن يتقدم للفاعل في المعنى ، لأنه متعلق بغير السائل . وأما الفعل فمعلوم عنده ، ولا حاجة به إلى السؤال عنه ، وجرى أن يقع في الأواخر التي هي من التكلات والفضلات .

وأشكل على هذا : « (٢) بل فعله كبيرهم هذا » - في جواب « أنت » فملت هذا ؟ فإن السؤال وقع عن الفاعل لا عن الفعل ، فإنهم لم يستفهموه عن الكسر ، بل عن الكاسر ، ومع ذلك صدر الجواب بالفعل .

وأجيب بأن الجواب مقدر دل عليه السياق ، إذ « بل » لا يصلح أن يصدر بها الكلام ، والتنديرا : ما فعلته ، بل فعله .

قال الشيخ عبد القاهر : وحيث كان السؤال ملفوظا به فلا كثر ترك الفعل في الجواب والافتصار على الاسم وحده ، وحيث كان مضمرا فلا كثر التصريح به لضعف الدلالة عليه . ومن غير الأكثر : « (٣) يسبح له فيها بالقدوس والأصالح . رجال » - في قراءة البناء للمفعول .

قاعدة

أخرج الزار عن ابن عباس ، قال : ما رأيت قوما خيرا من أصحاب محمد ، ما سألوهم إلا عن اثنتي عشرة مسألة ، كلتها في القرآن .

(١) النحل : ٢٤ (٢) الأنبياء : ٦٣ (٣) الأنبياء : ٦٢

(٤) النور : ٣٦ ، ٣٧ ، وقراءة حمص : يسبح - بكسر الباء .

وأورده الإمام ترازى بلفظ أربعة عشر حرفاً . وقال : منها ثمانية في البقرة :
 « (١) وإذا سألت عبادي عني » . « (٢) يسألوك عن الأهل » . « (٣) يسألوك
 ماذا ينتفون ؟ قل ما أنفقتم » . « (٤) يسألوك عن الشهر الحرام » .
 « (٥) يسألوك عن الخمر والميسر » . « (٦) ويسألوك عن اليتامى » .
 « (٧) ويسألوك ماذا ينتفون ؟ قل العفو » . « (٨) ويسألوك عن الحيض » .
 قال : والتاسع : « (٩) يسألوك ماذا أحل لهم » في المائدة . والعاشر :
 « (١٠) يسألوك عن الأقال والحادي عشر : « (١١) ويسألوك عن الساعة أيا
 مرساها » والثاني عشر : « (١٢) ويسألوك عن الجبال » . والثالث عشر :
 « (١٣) ويسألوك عن الروح » . والرابع عشر : « (١٤) ويسألوك عن
 ذي القرنين » .

قلت : السائل عن الروح ، وذو القرنين مشركو مكة أو اليهود ، كما في
 أسباب النزول لا الصحابة ، فانطأص اثنا عشر كما صحت به الرواية .

فائدة

قال الراغب : السؤال إذا كان للتعريف تعدى إلى المفعول الثاني ؛ تارة
 بنفسه ، وتارة بمن ، وهو أكثر ، نحو « (١٥) ويسألوك عن الروح » وإذا
 كان لاستدعاء مال فإنه يعدى بنفسه أو بمن ، وب نفسه أكثر ؛ نحو :

(١) البقرة : ١٨٦	(٢) البقرة : ١٨٩	(٣) البقرة : ٢١٥
(٤) البقرة : ٢١٧	(٥) البقرة : ٢١٩	(٦) البقرة : ٢٢٠
(٧) البقرة : ٢١٩	(٨) البقرة : ٢٢٢	(٩) المائدة : ٤
(١٠) الأقال : ١	(١١) التازعات : ٤٢	(١٢) طه : ١٠٥
(١٣) الإسراء : ٨٥	(١٤) السكوت : ٨٣	(١٥) الإسراء : ٨٥

« (١) وَإِذَا سَأَلَكَ السَّائِلُونَ مَتَاعًا قُلْ مَا يَوْفُونَ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ . » (٢) « وَإِسْأَلُوا مَا أَنْتُمْ بِمُنْقِظِينَ . » (٣) « وَإِسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ . »

قاعدة

في الخطاب بالاسم والخطاب بالفعل

الاسم يدل على الثبوت والاستمرار، والقول يدل على التجدد والحدوث ، ولا يحسن وضع أحدهما موضع الآخر ؛ فمن ذلك : قوله : « (٤) وَكَلِّبْهُمْ بِاسْطٍ خِرَاجِيهِ بِالْوَصِيدِ » ، لو قيل « بيسط » لم يؤد الغرض ، لأنه يؤذن بمزاولة الكلب البسط ، وأنه يتجدد له شيئا بعد شيء ، قياسط أشعر بثبوت الصفة . وقوله : « (٥) هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ » ، لو قيل : رازقكم لقات ما أدبه العقل من تجدد الرزق شيئا بعد شيء ؛ ولهذا جاء الفعل (٦) في صورة المضارع ، مع أن العامل الذي يفيد ماضٍ ؛ نحو : « (٧) وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ » ؛ إذ المراد أن يفيد صورة ما هم عليه [٢٣٤ ب] وقت المجيء ، وأهم آخذون في البكاء يحدونه شيئا بعد شيء ، وهو المسمى حكاية الحال الماضية ، وهذا هو سر الإعراض عن اسم الفاعل والمفعول ؛ ولهذا أيضا عبر بالثنين ينفقون ، ولم يقل المنفقون ، كما قيل المؤمنون والمنفقون ؛ لأن النفقة أمر فعلي شأنه الانقطاع والتجدد ، بخلاف الإيمان ، فإن له حقيقة تقوم بالقلب يدوم مقتضاها . وكذلك التقوى والإسلام ، والصبر والشكر ، والهدى والضلال ، والمعنى

(١) الأحزاب : ٥٣ (٢) المنعنة : ١٠

(٣) النساء : ٣٢ (٤) الكهف : ١٨ (٥) فاطر : ٣

(٦) في الأعراف (٢ - ٣١٧) : جاءت الحال . (٧) يوسف : ١٦

والبصر ، كلها لها مسمياتٌ حقيقية أو مجزية تستمر ، وآثار تتجدد وتقطع ،
فجاءت بالاستعمالات .

وقال تعالى في آية الأنعام : « ^(١) يخرجُ الحَيَّ من المِيتِ ويخرجُ المِيتَ من الحَيِّ » . قال الإمام فخر الدين : لما كان الاعتناء بإخراج الحَيِّ من المِيتِ أشدَّ أتى فيه بالمضارع ليدلَّ على التجدد ، كما في قوله : « ^(٢) اللهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ » .

تفسيحات

الأول : المراد بالتجدد في الماضي الحصول ، وفي المضارع أن من شأنه أن يتكرر ويقع مرةً بعد أخرى ، صرح بذلك جماعة منهم الزمخشري ^(٣) في قوله : « ^(٤) اللهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ » .

قال الشيخ بهاء الدين السبكي : وبهذا يتضح الجواب عما يذكّر من نحو : علم الله كذا ، فإنَّ علم الله لا يتجدد ، وكذا سائر الصفات الدائمة التي يستعمل فيها القمل .

وجوابه أن معنى علم الله كذا وقع عِلْمُهُ في الزمن الماضي ، ولا يلزم أنه لم يكن قبل ذلك ، فإن العلم في زمنٍ ماضٍ أعمّ من المستمر على الدوام قبل ذلك الزمن وبسده وغيره ، ولهذا قيل تعالى - حكاية عن إبراهيم : « ^(٥) الذي خلقني فهو يهْدِين . والذي هو يطمِئني ويسقيني ... » الآيات ؛ فأتى بالماضي في

(١) الأنعام : ٩٥ (٢) البقرة : ١٥ (٣) الكشاف : ١٢ - ٢٨

(٤) الصراء : ٧٨ - ٧٩

الخلق ، لأنه مفروق منه ، وبالمضارع في الهداية والإطعام والإسقاء والشفاء ، لأنها متكررة متجددة تقع مرة بعد أخرى .

الثاني : مضر الفعل فيما ذكر كظهره ، ولهذا قلوا : إنَّ سلام الخليل أبلغ من سلام اللائكة حيث : «^(١) قالوا سلاماً . قال سلامٌ » ؛ فإن نصب سلاماً إنما يكون على إرادة الفعل ؛ أي سلمنا سلاماً . وهذه العبارة مؤذنة بحدوث التسليم منهم ؛ إذ الفعل متأخر عن وجود الفاعل ، بخلاف سلام إبراهيم ، فإنه مرتفع بالابتداء ؛ فافتضى الثبوت على الإطلاق ، وهو أولى مما يعرض له الثبوت ، فكأنه قصد أن يحيمهم بأحسن مما حيّوه به .

الثالث : ما ذكرناه من دلالة الاسم على الثبوت والفعل على التجدد والحدوث هو المشهور عند أهل البيان ، وقد أنكره أبو الطرف بن عميرة في كتاب التوبيعات على التبيان لابن الزمكاني ، وقال : إنه غريب لا مستند له ؛ فإنَّ الاسم إنما يدل على معناه فقط ، أما كونه يثبت للمعنى لشيء فلا ؛ ثم أورد قوله تعالى : «^(٢) ثمَّ إنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيْتُونَ . ثمَّ إنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ » . وقوله : «^(٣) إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُتَّقُونَ . وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ » .

وقال ابن النير : طريقة العربية تلوين الكلام ، ومجيء الفعلية تارة والاسمية أخرى من غير تكلف لما ذكرناه ، وقد رأينا الجملة الفعلية تصدر من الأقوياء الخالص اعتماداً على أن المقصود حاصل بدون التأكيد ، نحو :

« (١) رَبَّنَا آمَنَّا » ولا شيء بعد « (٢) آمَنَ الرَّسُولُ » . وقد جاء التأكيد في كلام المناقبين ، فقالوا : « (٣) إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ » .

قاعدة

في المصدر

قال ابن عطية : حيلُ الواجباتِ الإتيانُ بالمصدر مرفوعاً ؛ كقوله : « (٤) فَاِمْسَاكُ بِعُرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحُ بِإِحْسَانٍ » . « (٥) فَاتَّبَاعُ بِالْعُرُوفِ وَأَدَاءُ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ » . وسبيلُ المندوباتِ الإتيانُ به منصوباً ؛ كقوله : « (٦) فَضْرَبَ الرَّقَابِ » ؛ ولهذا اختلفوا : هل كانت الوصية للزوجات واجبة لاختلاف القراءة في قوله تعالى : « (٧) وَصِيَّةً لِّأَزْوَاجِهِمْ » - بالرفع والنصب ؟

قال أبو حنيفة : والأصلُ في هذه التفرقة قوله تعالى : « (٨) قَالُوا اسْلُمْنَا » قال سلام ؛ فإنَّ الأول مندوب ، والثاني واجب ؛ والنسكتة في ذلك أنَّ الجملة الاسمية أو كد وأثبت من الفعلية .

قاعدة

في المعطف

هو ثلاثة أقسام : معطف على اللفظ ، وهو الأصل ؛ وشَرْطُهُ إمكانُ توجهِ العاملِ إلى المعطوف .

(١) آل عمران : ٥٣ (٢) البقرة : ٢٨٥ (٣) البقرة : ١٩
(٤) البقرة : ٢٧٩ (٥) البقرة : ١٧٨ (٦) ٤ : ٤٤
(٧) البقرة : ٢٤٠ (٨) هود : ٦٩

وعطف على المحل ، وله شروط ثلاثة :

أحدها إمكان ظهور ذلك المحل في النصيح ؛ فلا يجوز مردتُ زيد وعمراً ، لأنه لا يجوز مردتُ زيدا .

الثاني - أن يكون للوضع بحق الأصالة ، فلا يجوز : هذا الضارب زيدا وأخيه ؛ لأن الأصل المستوفى لشروط العمل ، والأصل إعماله لا إضافته .

الثالث - وجود المحرز ، أى الطالب لتلك المحل ، فلا يجوز إن زيدا ومهراقاعدان ؛ لأن الطالب لرفع عمرو هو الابتداء ، وقد زال بدخول « إن » . وخالف في هذا الشرط الكسائي مستدلاً بقوله تعالى : « ^(١) إِنْ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّالِحِينَ . . . » الآية . وأجيب بأن خبر « إن » فيها مخوف ، أى مأجورون ، أو آمنون ، ولا تختص مراعاة الوضع بأن يكون عامل ^(٢) اللفظ زائداً . وقد أجاز القارسي في قوله : « ^(٣) وَأَتَّبِعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةَ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ » أن يكون يوم القيامة عطفاً على محل هذه .

وعطف التوهم ؛ نحو : ليس زيد قائماً ولا قاعداً - بالتلفظ ، على توهم دخول الباء في الخبر . وشرطُ جوازِهِ صحةُ دخولِ ذلك العامل المتوهم ، وشرطُ حُسْنِهِ كثرةُ دخوله هناك . وقد وقع هذا العطف في المجرور في قول زهير ^(٤) :

بداً إلى أتى لستُ مُدْرِكُ ماضى ولا — سابق شيئاً إذا كان جاثياً

وفي المجزوم في قراءة غير أبي عمرو : « ^(٥) لولا أخرتني إلى أجل قريب فأصدق وأكن » : خرج الخليل وسيبويه على أنه عطف على التوهم ، لأن

(١) المائدة : ٦٩ (٢) في الاتقان : العامل في القنط .

(٣) هود : ٦٠ (٤) ديوانه : ٢٨٢ (٥) النافقون : ١٠

معنى « لولا أخرتني فأصدق » ومعنى أخرتني أصدق واحد . وقراءة قبيل :
 « ^(١) إنه من يتقى ويصبر » خرج الفارسي عليه ؛ لأن من الموصولة فيها معنى
 الشرط . وفي المنصوب في قراءة حمزة وابن عامر : « ^(٢) ومن وراء إسحاق
 يعقوب » . وقال بعضهم في قوله تعالى : « ^(٣) وحفظاً من كل شيطان » :
 إنه عطف على معنى « ^(٤) إنا زيننا السماء الدنيا » ، وهو إنا خلقنا الكواكب
 في السماء الدنيا زينة لها .

وقال بعضهم في قراءة : « ^(٥) ودُّوا لو تدَّهن فبدھنوا » إنه على معنى
 ودُّوا أن تدھن .

وقيل في قراءة حفص : « ^(٦) لعل أبلغ لأسباب » . أسباب السموات
 فأطلع . - النصب : إنه عطف على معنى لعل أن أبلغ ؛ لأن خبر لعل يقتضيه بأن
 كثيراً . وقيل في قوله تعالى : « ^(٧) ومن آياته أن يرسل الرياح مبشرات
 وليذيقكم » : إنه على تقدير نيشركم وليذيقكم .

تنبيه

ظن ابن مالك أن المراد التوهم الفاظ ، وليس كذلك ، كما نبه عليه
 أبو حيان وابن هشام ، بل هو مقصود صواب ، والمراد منه عطف على المعنى ،
 أي جواز العري في ذهنه ملاحظة ذلك المعنى في المعارف عليه ، لا أنه غلط في

(١) هود : ٧١

(٢) الصافات : ٦

(٣) غافر : ٣٦ ، ٣٧

(٤) في اللان : مقصد .

(٥) يوسف : ٩٠

(٦) الصافات : ٧

(٧) الطم : ٩

(٨) الروم : ٤٦

ذلك ؛ ولهذا كان الأدب أن يقال في مثل ذلك في القرآن : إنه عطف على المعنى .

مسألة

اختلف في جواز عطف الخبر على الإنشاء وعكسه ، فنعى البيهقي وابن مالك وابن عصفور ، ونقله عن الأكثرين ، وأجازوه الصفار وجماعة مستدلين بقوله تعالى : « ^(١) وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا » في سورة البقرة . « ^(٢) وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ » في سورة الصف . وقل الزمخشري ^(٣) في الأولى : ليس المعتد بالمعطف الأمر حتى يطلب له مشاكل ، بل المراد عطف جملة ثواب المؤمنين على جملة ثواب الكافرين . وفي الثانية : أن المعطف على يؤمنون ؛ لأنه بمعنى آمنوا . ورد أن الخطاب به للمؤمنين ، وبـ « بَشِّرِ » للنبي صلى الله عليه وسلم ، وبأن الظاهر في « يؤمنون » أنه تفسير للتجارة لا طالب .

وقل السكاكي : الأمران معطوفان على « قل » مقدرة قبل يأتيها ، وحذف القول كثير .

مسألة

اختلف في جواز عطف الاسم على الفعلية وعكسه ؛ فالجمهور على الجواز ، وبعضهم على المنع ؛ واتقد لمجبه الرازي في تفسيره كثيرا ، ورد به على الحنفية القائلين بتحريم كل متروك التسمية أخذاً من قوله تعالى : « ^(٤) وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يَذْكُرْ أَسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ » . فقال : هي حجة للجواز لا للحرمة ؛

(١) البقرة : ٢٥ (٢) الصف : ١٣ (٣) الكشف : ١ - ٤٢

(٤) الأنعام : ١٢١

وذلك أن الواو ليست عاطفة لتخالف المجتمعين بالاسمية واقطعية ، ولا للاستئناف ؛ لأن أصل الواو أن تربط ما بعدها بما قبلها ، فبقى أن تكون للحال ، فتكون جهة الحل مقيدة للنهي . والمعنى : لا تأكلوا منه في حل كونه فسقا . ومفهومه جواز الأكل إذا لم يكن فسقا ، والفق قد فسر الله تعالى بقوله : «^(١) أو فسقا أهل غير الله به » . فالمعنى لا تأكلوا منه إذا سُمي عليه غير الله . ومفهومه : فكلوا منه إذا لم يسم عليه غير الله تعالى . قال ابن هشام : ولو أبطال اللفظ بتخالف المجتمعين بالإنشاء والخير لكان صوابا .

مسألة

اختلف في جواز العصف على معمولي عامين : فالمشهور عن ميبويه المنع ، وبه قال المبرد وابن السراج وابن هشام . وجوزاه الأخفش والكسائي والزجاج . وخرج عليه قوله تعالى : «^(٢) إن في السموات والأرض لآيات للمؤمنين . وفي خلقكم وما يبث من دابة آيات لقوم يوقنون ... » إلى قوله : «^(٣) وتصريف الرياح [٣٢٥ ب] آيات لقوم يعقلون » . فممن نصب آيات الأخيرة .

مسألة

اختلف في جواز العطف على الضمير المجرور من غير إعادة الجار ، فالجمهور من البصريين على المنع ، وبعضهم والكوفيون على الجواز ؛ وخرج عليه قراءة حمزة : «^(٤) واتقوا الله الذي تساءلون به والأرض حام » . وقال أبو حيان في

(١) الأنعام : ١٤٥ . (٢) الجنابة : ٣ - ٥ . (٣) النساء : ١ .

قوله : « ^(١) وَصَدَّقَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكَفَّرَ بِهِ وَالْمَسْجِدَ الْحَرَامَ » : إنَّ المسجدَ معطوف على ضمير به ، وإن لم يُعَدَّ الجار . قال : والذي نختاره جواز ذلك ، لوروده في كلام العرب كثيرا نظما ونثرا ، قال : ولستنا متعبدون باتباع جمهور البصريين ، بل نتبع الدليل . وافق الموفق .

فصل

في أحاديث نونية

تفسرُ آيات قرآنية منقولة مخدوفة الأسانيد من صحيح البخاري راجيا من الله حسن الخاتمة للفاصل والقارىء :

(^(٢) غَيْرِ الْمَفْضُوبِ عَلَيْهِمْ) : اليهود

(^(٣) وَلَا الضَّالِّينَ) : النصارى :

(^(٤) أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ) : من الحيض والفاثط والنخامة والبصاق .

(^(٥) عَذْلٌ) : فدية .

(^(٦) سَجَّداً) : على وجوههم ، فدخلوا يزحفون على أمتاعهم ، وقالوا حبة

في شعرة .

(^(٧) وَيَلْ) : واد في جهنم يهوى به الكافر أربعين خريفا قبل أن

يلبغ قمره .

(^(٨) يَتْلُوَنَهُ حَقًّا تِلَاوَتِهِ) : يتبعونه حق اتباعه .

(^(٩) لَا يَبَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ) : لاطاعة إلا في المعروف ، وليس لظالم

عليك عهد أن تطيعه في معصية الله .

(١) البقرة : ٢١٧ (٢) الفاتحة : ٧ (٣) البقرة : ٢٥

(٤) البقرة : ٤٨ (٥) البقرة : ٥٨ ٥٩ (٦) البقرة : ٧٩ وغيرها

(٧) البقرة : ١٢١ (٨) البقرة : ١٢٤

(١) فَذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ) : اذكروني يمعشر العباد بطاعتي
أذكركم بمغفرتي .

(٢) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ (: مَا أَصَابَ الْمُؤْمِنَ مِمَّا يَكْرَهُ
فَهُوَ مُصِيبَةٌ .

(٣) يَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ) : يُضْرَبُ الْكَافِرُ ضَرْبَةً بَيْنَ عَيْنَيْهِ فَيَسْمَعُ كُلُّ
دَابَّةٍ إِلَّا الثَّقَلَيْنِ ، فَتَلْعَنُهُ كُلُّ دَابَّةٍ سَمِعَتْ صَوْتَهُ ؛ فَذَلِكَ قَوْلُهُ : « (٣) أُولَئِكَ
يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ » : يَعْنِي دَوَابَّ الْأَرْضِ .

(٤) الْحِجُّ أَشْهُرٌ مَعْنُومَاتٌ) : شَوَالٌ ، وَذُو الْقَعْدَةِ ، وَذُو الْحِجَّةِ .

(٥) فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحِجِّ) : الرَفَثُ : التَّعَرُّضُ لِلنِّسَاءِ
بِالْجَمَاعِ ، وَالْفُسُوقُ : الْمَعْصِيَةُ ، وَالْجِدَالُ : جِدَالُ الرَّجُلِ صَاحِبِهِ .

(٦) لَا يُوَاحِذُكُمْ اللَّهُ بِالَّذِينَ فِي آبَائِكُمْ) : هُوَ كَلَامُ الرَّجُلِ فِي بَيْتِهِ
كَلَّا وَاللَّهِ ، وَبَلَى وَاللَّهِ .

(٧) الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ) وَالثَّلَاثَةُ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ .

(٨) الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ) : الزَّوْجُ .

(٩) الصَّلَاةِ الْوُسْطَى) : صَلَاةُ الْمَصْرِ .

(١٠) مَسْكِينَةٍ) : رِيحٌ خَجُوجٌ .

(١١) يُؤْتِي الْحِكْمَةَ) : أَيْ الْقُرْآنَ وَالْعَمَلَ بِهِ ، لِأَنَّهُ قَدْ قَرَأَ الْبَرُّ وَالْفَاجِرُ .

(١) البقرة : ١٥٢ (٢) البقرة : ١٥٦ (٣) البقرة : ١٥٩

(٤) البقرة : ١٩٧ (٥) البقرة : ٢٢٥ (٦) البقرة : ٢٢٩

(٧) البقرة : ٢٣٧ (٨) البقرة : ٢٣٨ (٩) البقرة : ٢٤٨

(١٠) البقرة : ٢٦٩

(^١) فَيَنْبِئُونَ مَا نَشَأَهُ مِنْهُ : هم الخوارج . وهم الذين تَوَدُّ وجوههم

(^٢) الرَّاٰسِخُونَ فِي الْعِلْمِ : من تَرَتَّبَتْ بِمَنْه ، وصدق لسانه ، واستقام

قلبه ، وعف بطنه وفرجه ، فذلك من الراسخين في العلم .

(^٣) الْقَنَاطِيرُ الْأَمْثَلُ : القنطار ألف أوقية .

(^٤) وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا : أما من

في السموات فالملائكة ، وأما من في الأرض فن أولاد على الإسلام ، وأما كَرْهًا

فن أتى به من سببها الأمم في السلاسل والأغلال يُقَادُّونَ إِلَى الْجَسَةِ

وهم كارهون .

(^٥) مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا : الزاد والراحلة .

(^٦) وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَفِيرٌ غَنِيٌّ : مَنْ تركه لا يخاف

عقوبته ولا يرجو ثوابه .

(^٧) اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ : أَنْ يَطَاعَ فَلَا يَعْصَى ، وَيَذَكَّرَ فَلَا يُنْسَى .

(^٨) وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ : الخير اتباع القرآن وسنتي .

(^٩) مَسْؤَمِينَ : معطين ، وكانت سببا للملائكة يوم يذرعهم مود ،

ويوم أحد عمامهم حر .

(^{١٠}) وَلَا يَحْسَبِينَ الَّذِينَ يَبْتَخَلُونَ عَمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ : مَنْ آتَاهُ

الله مالا فلم يُوَدِّ زكاته ، مُثِّلَ لَهُ شَجَاعُ أَفْرَعٍ لَهُ زَبِيبَتَانِ يَطْوِقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

فِيَأْخُذُ بِأُذُنَيْهِ يَقُولُ : أَنَا مَالِكٌ ، أَنَا كَنْزُكَ .

(١) آل عمران : ٧ (٢) آل عمران : ١٤ (٣) آل عمران : ٨٣

(٤) آل عمران : ١٧ (٥) آل عمران : ١٠٢ (٦) آل عمران : ١٠٤

(٧) آل عمران : ١٢٥ (٨) آل عمران : ١٨٠

(١) (أَلَا تَتَوَلَّوْا) : أَلَا تَجُودُوا .

(٢) (بَدَّلْنَاكُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا) : تبدل في ساعة مائة مرة .

(٣) (فَبَزَّأَوْهُ جَهَنَّمُ) : إن جازاه .

(٤) (فَيُؤْتِيهِمْ أَجْرَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ) : الشفاعة فيمن وجبت له النار ممن خرج^(٥) إليهم الحروف في الدنيا .

(٥) (الْكَلَالَةُ) : ما خلا الولد والوالد .

(٦) (مُلُوكًا) : كانت بنو إسرائيل إذا كان لأحدهم خادم ودابة وامرأة كتب ملكا .

(٧) (فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ) : أبو موسى الأشعري منهم .

(٨) (أَوْ كُنُوسِهِمْ) : عبادة لكل مسكين .

(٩) (لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ) : إذا رأيت شعاعا مطاعا ، وهوى متبعا ، ودنيا مؤثرة ، وإعجاب كل ذي رأى برأيه فطليق بخاتمة [١٢٣٦] ففسك ، ودع السوام . وفي حديث آخر : لا يضرركم من ضلَّ من الكفار إذا اهتديتم .

(١٠) (يَتَوَقَّأَكُم بِاللَّيْلِ) : مع كل إنسان ملك إذا نام يأخذ منه ، فإن

(١) الفاء : ٣ (٢) الفاء : ٥٦ (٣) الفاء : ٩٣

(٤) الفاء : ١٧٣ (٥) في الاعيان : صنع (٦) الفاء : ١٧٦

(٧) المائدة : ٢٠ (٨) المائدة : ٥٤ (٩) المائدة : ٨٩

(١٠) المائدة : ١٠٥ (١١) الأنعام : ٦٠

أذن الله بقبض روحه قبضه وإلا رده إليه ؛ فذلك قوله تعالى :
« يتوفاكم بالليل » .

(^(١)) ولم يذنبوا إيمانهم بظلم : ليس الذي تمنون من الظلم ، ألم
تسموا ما قال العبد الصالح : «^(٢) إن الشركَ لظلمٌ عظيمٌ » ، إنما هو الشرك .

(^(٣)) لا تُدْرِكُهُ (الْأَبْصَارُ) : لو أن الجن والإنس والملائكة والشياطين
منذ خلقوا إلى أن فتوا صفتوا صفوا واحدا ما أحاطوا بالله أبدا .

(^(٤)) فمن يُرِدِ الله أن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ (لِلْإِسْلَامِ) : قالوا كيف
يشرح صدره بارسول الله ؟ قال : نور يقذف به فيشرح له وينفخ . قالوا :
فهل قلبك من أمارة يُعرف بها ؟ قال : الإجابة إلى دار الخلود ، والتجافي عن
دار الضرر ، والاستعداد للموت قبل لقاء الموت .

(^(٥)) وآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ : ما سقط من السبيل .

(^(٦)) لَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا : من أربى على نفسه^(٧) في الكيل
والميزان ، والله يعلم صحة نيته بالوفاء فيهما لم يؤاخذ ، وذلك تأويل ومعها .
(^(٨)) يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا : طلوع الشمس
من مغربها .

(^(٩)) إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيْعًا : هم أصحاب البدع
وأصحاب الأهواء .

(١) الأنعام : ٨٢ (٢) لقمان : ١٣ (٣) الأنعام : ١٠٣

(٤) الأنعام : ١٢٥ (٥) الأنعام : ١٤١ (٦) الأنعام : ١٥٢

(٧) في الإتيان : على وجه . (٨) الأنعام : ١٥٨ (٩) الأنعام : ١٥٩

(١) خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ : صلوا في مجالسكم .

(٢) لَا تَفْتَحْ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ : إذا قبضت روح العبد الكافر يُصد بها إلى السماء فلا يبرون بها على ملائكة الملائكة إلا قالوا : ما هذا الروح الخبيث ؟ حتى يتسبى بها إلى السماء الدنيا فيستفتح فلا يفتح له ، فيقول الله : اكتبوا كتابه في سبعين في الأرض السفلى ، فطرح روحه طرْحًا ، اقرءوا إن شئتم : « وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ صَحِيحٍ » .

(٣) وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ : هم من استوت حسناته وسيئاته . وفي حديث آخر : هم ناس قتلوا في سبيل الله . وفي حديث آخر : إنهم مؤمنو الجن .

(٤) الطُّوفَانُ : اللوت .

(٥) تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَهْدًا كَأَنَّ : أشار صلى الله عليه وسلم بطرف إسماعيل على أمته أصبحه النبي فراح الجبل وخر موسى صميًا فنورها جله دَكَا .

(٦) وَكُتِبَ لَهُ فِي الْأَلْوَابِ : كانت من سِدْرَةِ النَّهْيِ ، طول كل لوح

اثنا عشر ذراعًا .

(٧) وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ : إن الله أخذ

الليثاق من ظهر آدم يوم عرفة ، فأخرج من صُلْبِهِ كلَّ ذرية ذرأها فتنرها بين يديه ثم كلمهم ، قال : أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ؟ قالوا : بلى . وفي رواية : أخذ من

(١) الأعراف : ٣١ (٢) الأعراف : ١٠ (٣) الحج : ٣١

(٤) الأعراف : ٤٨ (٥) الأعراف : ١٣٣ (٦) الأعراف : ١٤٣

(٧) الأعراف : ١٤٥ (٨) الأعراف : ١٢٢

ظهوره كما يؤخذ بنشاط من الرأس . فقال لهم : أليس بربكم ؟ قتلوا : بلى .
قالت الملائكة : شهدنا .

(^(١) فلما آتاها ما لحا جملاً له شرّ كاه) : لما ولدت حواء طاف بها
إبليس وكان لا يعيش لها ولد ، فذل لها : سمّيه عبد الحارث ؛ فإنه يعيش ،
فسمّته عبد الحارث ، فهاش ، فكان ذلك من وحي الشيطان وأمره .

(^(٢) خذ العفو) : هو أن تَعْفُوَ عن ظلمك ، وتُعْطِيَ مَنْ حرمك ،
وتُعْصِلَ مَنْ قطعك .

(^(٣) تخافون أن يتخطفكم الناس) : هم أهل فارس .

(^(٤) وهم يستغفرون) : أزل الله على أمانين لأمتي . وما كان الله
ليعذبهم وأنت فيهم ، فإذا مضيت تركت فيهم الاستغفار إلى يوم القيامة .

(^(٥) وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة) : ألا إن القوة الرمي .

(^(٦) وآخرين من دونهم لا تعلموهم) : هم الجن .

(^(٧) يوم الحج الأكبر) : يوم النحر ، وقيل : يوم عرفة .

(^(٨) إنما يصوم مساجد الله) : إذا رأيتم الرجل يعتاد المسجد فاشهدوا

له بالإيمان .

(^(٩) ومساكن طيبة في جنات عدن) : قال : قصر من أوّاه ، في ذلك

القصر سبعون داراً من ياقوتة حمراء ، في كل دار سبعون بيتاً من زمردة خضراء ،

(١) الأعراف : ١٩٠ (٢) الأعراف : ١٩٩ (٣) الأنفال : ٢٦

(٤) الأنفال : ٣٣ (٥) الأنفال : ٦٠ (٦) التوبة : ٢

(٧) التوبة : ١٨ (٨) التوبة : ٢٢

في كل بيت سرير ، على كل سرير سبعون فراشا من كل لون ، على كل فراش زوجة من الخور العين ، في كل بيت سبعون مائدة ، على كل مائدة سبعون لونا من الطعام ، في كل بيت سبعون وصيفا ووصيفة ، ويدعى المؤمن في كل غداة من القرة ما يأتي على ذلك كله أجمع .

(^(١) أَفَمَنْ أَحْسَنُ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ) : هو مسجدى .

(^(٢) يَحْبُونَ أَنْ يُنْفِرُوا) : هو الاستنجاء بالماء .

(^(٣) السامعون) : هم الصائمون .

(^(٤) الَّذِينَ أَحْتَمَوْا الْحَسَنَىٰ وَزَادُوا) : الحسنى الجنة ، والزيادة : النظر

إلى ربهم .

(^(٥) قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ) : القرآن ، (وبرحمته) : أن جعلكم من أهله .

(^(٦) إِلَّا إِنْ أَوْلِيَاهُ اللَّهُ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) : إن من عباد

الله ما ما ينبطهم [٣١٦ ب] الأنبياء والشهداء . قيل : مَنْ هُمْ يارسول الله ؟

قال : قوم تحابوا في الله من غير أموال ولا أنساب ، لا يفزعون إذا فزع

الناس ، ولا يحزنون إذا حزنوا .

(^(٧) لِمِ الْبَشَرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ) : هي الرؤيا الصالحة

يراهها الرجل الصالح أو ترى له ، فهي بشراء في الحياة الدنيا ، وبشراء في

الآخرة الجنة .

(^(٨) إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا) : لادعوا .

(١) التوبة : ١٠٩ (٢) التوبة : ١٠٨ (٣) التوبة : ١١٢

(٤) يونس : ٢٦ (٥) يونس : ٥٨ (٦) يونس : ٦٢

(٧) يونس : ٦٤ (٨) يونس : ٩٨

(١) لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا) : أحسنكم عملاً ، وأحسنكم عملاً
أورعكم عن محارم الله . وأعملكم بطاعة الله . لم أر شيئاً أحسن طلباً ولا أحسن
إدراكاً من حسنة حديثة لسبئة قديمة ، إن الحسنات يُذهبن السيئات .

(٢) وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون) : أى
يُنصف بعضهم بعضاً .

(٣) إني رأيت أحد عشر كوكبا) : خرثان ، وطارق ، والذيل ، وذو
الكنعان ، وذو القزع ، ووثاب ، وعمودان ، وقابس ، والنروح ، والصبيح ،
والقيلق ، والضياء ، والضوء ، والنور ، ينسب أباه وأمه وآهله في أفق السماء ماجدة
له ، فلما قص رؤياه على أبيه قال : أرى أمراً مشتتاً يجمعه الله .

(٤) أنى لم أخنهُ بالنيب) : لما قالها يوسف قال له جبريل : اذكر منك .
قال : (٥) وما أبرئ نفسي .

(٦) وَتَفَضَّلُ بَنُصَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ) : الدقل ، والقارسي ،
والخلو والحامض .

(٧) وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ) : هو ملك من ملائكة الله موكل بالسحاب يسوقه
حيث أمره الله ، وهذا الصوت الذى يسمع صوته . وفي رواية : الرعد يزجر
السحاب ، والبرق طرف ملك يقال له روفيل . وفي حديث آخر : إن ملكاً
موكل بالسحاب يلم القاصية ويلحم الراية ، في يده غرقى ، فإذا رفع برقت ،
وإذا زجر رعدت ، وإذا ضرب صقت .

(١) هود : ٧ (٢) هود : ١١٢ (٣) يوسف : ٤ (٤) يوسف : ٥٢
(٥) يوسف : ٥٣ (٦) الرعد : ٤ (٧) الرعد : ١٣

(^١) طُوبَى لَهُمْ : من شجرة في الجنة ، مسيرة مائة عام .

(^٢) بِمَحْوِ اللَّهِ مَا يَشَاءُ وَيُشِيتُ (من المحو، ويزيد فيه . وفي رواية : كل ذلك في ليلة القدر ، يرفع ويحبر ، ويرزق غير الحياة والموت ، والشقاء والسعادة ، فإن ذلك لا يبدل . وفي رواية عن علي : إنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية ، فقال : لا قرْنٌ عينك بتفسيرها ، ولا قرْنٌ عين أمتي من بدى بتفسيرها : الصدقة على وجهها ، وبر الوالدين ، واصطناع الحروف يحول الشقاء سعادة ، ويزيد في السر .

(^٣) إِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ) : من أعطى الشكر لم يحرم الزيادة .

(^٤) وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ حَمِيدٍ . يَتَجَرَّعُهُ) : يتقربه الله منه فيتسكَّره ، فإذا أدى منه شوى وجهه ، ووقع فروة رأسه ، فإذا شربه قطع أمعاء حتى يخرج من دره ، يقول الله : « وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءُهُمْ » . وقال : « ^(١) وَإِنْ يَسْتَفْسِحُوا يُبْغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ » .

(^٥) سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجْرُغْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَحْجِيصٍ) : يقول أهل النار : هَلُمُّوا فَلْنَصَبِرْ ، فيصبرون خمسمائة عام ، فلما رأوا ذلك لا ينفعهم قالوا : هَلُمُّوا فَلْنَجْزِعْ فيكون خمسمائة عام ؛ فلما رأوا ذلك لا ينفعهم قالوا : « سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجْرُغْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَحْجِيصٍ » .

(^٦) مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ) : هي النخلة . « ^(٧) وَمِثْلُ كَلِمَةٍ خبيثة كَشَجَرَةٍ خبيثة » : هي الحنظل .

(١) الرعد : ٢٩ (٢) الرعد : ٢٩ (٣) إبراهيم : ٧
(٤) إبراهيم : ١٦ ، ١٧ (٥) محمد : ١٥ (٦) الكهف : ٢٩
(٧) إبراهيم : ٢١ (٨) إبراهيم : ٢٤ (٩) إبراهيم : ٢٩

(١) يَتَّبِعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ : إِذَا سُئِلَ السَّلَامُ فِي الْقَبْرِ
وَيَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ، فَذَلِكَ هُوَ الثَّابِتُ .

(٢) يَوْمَ تَبْدُلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ : يَكُونُ النَّاسُ يَوْمَئِذٍ عَلَى الصَّرَاطِ .
وفي رواية : أَرْضٌ بَيْضَاءُ كَأَمْهَا فِضَّةٌ لَمْ يَسْفِكْ فِيهَا دَمٌ حَرَامٌ ، وَلَمْ يُعْمَلْ
فِيهَا خَطِيئَةٌ .

(٣) رَبُّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَالْوَ كَانُوا مُسْلِمِينَ : يُخْرِجُ اللَّهُ نَاسًا مِنَ
الْمُؤْمِنِينَ مِنَ الدَّارِ بَدَا مَا يَأْخُذُ ثَقَمَتَهُ مِنْهُمْ لِمَا أَدْخَلَهُمُ النَّارَ مَعَ الْمُشْرِكِينَ ؛ قَالَ
لَهُمُ الْمُشْرِكُونَ : تَدْعُونَ إِلَهُكُمْ أَوْيَاءُ اللَّهِ فِي الدُّنْيَا ، فَمَا بِالْحُكْمِ مَعَنَا فِي الْآخِرَةِ ؟
فَإِذَا سَمِعَ اللَّهُ ذَلِكَ أَذِنَ اللَّهُ فِي الشَّفَاعَةِ لَهُمْ فَتَشْتَعُ الْمَلَائِكَةُ وَالنَّبِيُّونَ وَالْمُؤْمِنُونَ
حَتَّى يُخْرِجُوا بِإِذْنِ اللَّهِ ، فَإِذَا رَأَى الْمُشْرِكُونَ ذَلِكَ قَالُوا : يَا إِلَهُنَا كُنَّا مَعَهُمْ ،
فَتَدْرِكُنَا الشَّفَاعَةُ ، فَخُذْهُمْ مِنْهُمْ ، فَذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ : رَبُّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا
لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ .

(٤) اسْكُنْ مَا بَيْنَهُمْ جُزْءًا مَقْسُومًا : جُزْءٌ أَشْرَكَوا فِي اللَّهِ [١٣٩٧] .
وَجُزْءٌ شَكَرُوا فِي اللَّهِ ، وَجُزْءٌ غَفَلُوا عَنِ اللَّهِ .

(٥) كَمَا أَرْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَضِينَ : الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى .

(٦) الَّذِينَ جُمِلُوا فِي الْقُرْآنِ عِصْيِينَ : آمَنُوا بِبَعْضٍ ، وَكَفَرُوا بِبَعْضٍ .

(٧) فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ : عَنْ قَوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ .

(١) إبراهيم : ٢٢ (٢) إبراهيم : ٨٨ (٣) الحجر : ٢ (٤) الحجر : ١٨
(٥) الحجر : ٩٠ (٦) الحجر : ٩٩ (٧) الحجر : ٩٢

(^١) زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ : عقارب مثل النحل الطوال ينهمشونهم في جنوبهم .

(^٢) جِئْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آتَيْنِ : كما شمسين .

(^٣) قَدْ عَلِمْنَا آيَةَ اللَّيْلِ : فالسواد الذي رأيت هو الخو .

(^٤) وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ : بالأكل بالأصابع .

(^٥) يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِسْمِهِمْ : ندعى كل قوم بأسماء لهم ، وكتب ربهم .

(^٦) أُنِمْ الصَّلَاةَ لَدُلُوكِ الشَّمْسِ : هو زوالها .

(^٧) إِنْ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا : تشهد ملائكة الليل وملائكة النهار .

(^٨) عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا : هو المقام المحمود أشفع فيه لأمتي . وفي لفظ : هي الشفاعة .

(^٩) وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ : قيل : يارسول الله ، كيف يحشرون على وجوههم ؟ قال : الذي أمشاهم على أقدامهم قادرٌ أن يُحشِبَهُمْ على وجوههم .

(^{١٠}) سُرَادِفُهَا : لسرادق النار أربعة أجدر ، كثافة كل جدار مثل مضافة أربعين سنة .

(١) النحل : ٨٨ (٢) الاسراء : ١٢ (٣) الاسراء : ٧٠ (٤) الاسراء : ٦١
(٥) الاسراء : ٧٨ (٦) الاسراء : ٢٩ (٧) الاسراء : ٩٧
(٨) الكهف : ٢٩

(١٣) يُفَاثُوا بِبَارِ كَالْهَلِ : كَعَاكَرَ الزَّيْتِ ، فَإِذَا قَرَّبَهُ إِلَيْهِ سَقَطَتْ فِرْوَةٌ وَجَبَّهَ فِيهِ .

(١٤) الْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ : التَّهْلِيلُ وَالتَّكْبِيرُ ، وَالتَّسْبِيحُ وَالتَّحْمِيدُ ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ . وَفِي لَفْظٍ آخَرَ : سُبْحَانَ اللَّهِ ، وَالتَّحْمِيدُ ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ هِيَ الْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ .

(١٥) فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاعِقُوهَا) فَيَنْصَبُ الْكَافِرُ مَقْدَارَ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ كَمَا لَمْ يَعْمَلْ فِي الدُّنْيَا ، وَإِنَّ الْكَافِرَ لَيَرَى جَهَنَّمَ وَيَظُنُّ أَنَّهَا مُوَاقِفَتُهُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ سَنَةً .

(١٦) وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ) : هُوَ لَوْحٌ مِنْ ذَهَبٍ مَصْمُوتٌ عَجِبَتْ لِمَنْ أُيْقِنَ بِالتَّقْدِيرِ كَيْفَ يَنْصَبُ ، وَعَجِبَتْ لِمَنْ ذَكَرَ النَّارَ كَيْفَ يَضَعُكَ ، وَعَجِبَتْ لِمَنْ ذَكَرَ الْمَوْتَ كَيْفَ غَفَلَ . لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ .

(١٧) جِبَاتُ الْقُرْدُوسِ تَزُلُّ) : إِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَاسْأَلُوهُ الْقُرْدُوسُ : قِبَابُهُ أَعْلَى الْجَنَّةِ ، وَأَوْسَطُ الْجَنَّةِ ، وَمِنْهُ تُفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ .

(١٨) تَحَنَّنَكَ مَرِيًّا) : نَهَرًا ، أَخْرَجَهُ اللَّهُ لِقَشْرَبَةٍ مِنْهُ .

(١٩) يَا أُنْتَ هَارُونَ) : كَانُوا يَسْتَوْنَ بِالْأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ قَبْلَهُمْ .

(٢٠) وَأَنْذَرَهُمْ يَوْمَ الْحُسْرَى) : هُوَ يَوْمٌ يَدْخُلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ ، وَيَجَاءُ بِالْمَوْتِ كَأَنَّهُ كَبِشٌ أَمْلَعُ فَيُوقِفُ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ ، فَيَقَالُ :

(١) الْكَهْفُ : ٢٩ (٢) الْكَهْفُ : ٤٦ (٣) الْكَهْفُ : ٥٣

(٤) الْكَهْفُ : ٨٢ (٥) الْكَهْفُ : ١٠٢ (٦) مَرْيَمُ : ٢٤

(٧) مَرْيَمُ : ٢٨ (٨) مَرْيَمُ : ٢٩

يأهل الجنة ؛ هل تعرفون هذا ؟ قال : فيشرثون وينظرون ، فيقولون : نعم ، هذا الموت ، فيؤمر به فيذبح ويقال : يأهل الجنة ، خلود لا موت ، ويأهل النار ، خلود لا موت ، ثم أشار بيده ، وقال : أهل الدنيا في غفلة ، غي^(١) وأثم : بئران في أسفل جهنم يسيل فيها صديد أهل النار .

(^(٢) وإن منكم إلا واردة) : لا يبقى بر ولا فاجر إلا دخلها ، فكون على المؤمن برداً وسلاماً ، كما كانت على إبراهيم حتى إن النار ضجيجاً من بردهم ، ثم يُنجى الله الذين اتقوا ويذر الظالمين فيها جثيثاً .
(^(٣) ولا يفلح الساحر حيث أتى) : إذا وجدتم الساحر فاقتلوه ، ولا يؤمن حيث وجد .

(^(٤) مميصةً منكم) : عذاب القبر .

(^(٥) وجعلنا من الماء كل شيء حي) : كل شيء خلق من الماء .

(^(٦) ومن يرد فيه يأخذه بطنم) : احتكار الطعام بمسكة الحاد .

(^(٧) آيات العتيق) : إنما سمى البيت العتيق ، لأنه لم يظمر عليه جبار .

(^(٨) واجتنبوا قول الزور) : عدلت شهادة الزور بالإشراك .

(^(٩) والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجة) : هو الذي يصلي ويصوم

ويتصدق ويخاف الله .

(١) مريم (٥١) : سوف يكون خيا . (٢) مريم : ٢١

(٣) طه : ٦٩ (٤) طه : ٦٨ (٥) الأنبياء : ٢٠

(٦) الحج : ٢٥ (٧) الحج : ٢٩ (٨) الحج : ٢ (٩) المؤمنون : ٦٠

(^{١١}) وم فيها كالْحون) : تشويه النار فتخلص شفتاه العليا حتى تبلغ وسط رأسه ، وتسترخي شفته السفلى حتى تضرب كثرته .

(^{١٢}) حتى تستأنسوا) : يتكلم الرجل بتسيحة وتسكيرة وتحميدة ، ويتنفتح فيؤذن أهل البيت .

(^{١٣}) وإذا اتقوا منها مكانا ضيقا مُّقْرَين) : والذي نفس بيده إنهم ليُسكروهن في النار كما يستكروه الوند في الحائط .

(^{١٤}) إنما الأجلين قضيتُ) : قضى أوقافها وأيرها ، وتزوج العنرى من البنتين .

(^{١٥}) وتأتون في ناديسكم المنكر) : كانوا ينفون^(١٦) أهل الطريق ، ويستخرجون منهم ؛ فهو المنكر الذي كانوا يأتون .

(^{١٧}) ومن الناس من يشتري لهمَ الحديث) : لا تدبوا القينات ولا تشروهن [٣٢٧ ب] ولا تملونهن ، ولا خير في تجارة فيهن ، وتمنهن حرام في مثل هذا أزلت : « ومن الناس ... » الآية .

(^{١٨}) أحسنَ كلَّ شيء خلقه) : أما إن لمست الفردة لمست بحسنة ، ولكنه أحكم خلقها .

(^{١٩}) تتجافى جنوبهم عن المضاجع) : قيام العبد من الليل .

(^{٢٠}) وجعلناه هدى لبنى إسرائيل) ، قال : جعل موسى هدى لبنى إسرائيل .

(١) المؤمنون : ١٠٤ (٢) النور : ٢٧ (٣) الفرقان : ١٣ (٤) القصص : ٢٨
(٥) المنكوت : ٢٩ (٦) في الإنفاق : كانوا يحذرون .. ويستغيرون ..
(٧) ليلان : ٦ (٨) السجدة : ٧ (٩) السجدة : ١٦ (١٠) السجدة : ٣٣

(^(١)) فَلَا تَسْكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ : من لقاء موسى ربه .

(^(٢)) فَهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ : طلحة ممن قضى نَحْبَهُ .

(^(٣)) إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ : دعا فاطمة وعليا وحسن وحسين ، فجاءهم بكساء ، وقال : اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا .

(^(٤)) لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ : هو رجل ولد عشرة ، فسكن اليمن منهم ستة ، وبالشام منهم أربعة .

(^(٥)) ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ... الآية .
أما الذين سبقوا فأولئك يدخلون الجنة بغير حساب ، وأما الذين اقتصدوا فأولئك الذين يحاسبون حسابا يسيرا . وأما الذين ظلموا أنفسهم فأولئك الذين يُحَبِّسُونَ فِي طُولِ الْمَحْشَرِ ، ثُمَّ هم الذين تَلَقَّاهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَتِهِ ، وهم الذين يقولون الْحمدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ ... الآية .

(^(٦)) أَوَلَمْ نَعْمَرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ : إذا كان يوم القيامة قيل : أين أبناء السنين ، وهو العمر الذي قال الله : « أَوَلَمْ نَعْمَرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ » .

(^(٧)) وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا : مستقرها تحت العرش . وفي لفظ آخر : إنها تسجد تحت العرش .

(^(١) حُورٌ عِينٌ) : العِين : الضخام العيون ، سُفْرُ الحوراء ، مثل جناح النسر ، وهو بالقاء مضاف إلى الحوراء ، وهو هذب العين ، وإنما ضبطته وإن كان واضحاً لأنى رأيتُ بعضَ المهملين من أهل عصرنا صحّفه بالقاف ، وقال : الحوراء مثل جناح النسر مبتدأ وخبر ، يعنى فى الخلقه والسرعة ، وهذا كذبٌ وجَهل وإلحاد فى الدين وجراة على الله ورسوله .

(^(٢) كأنهن بَيْضٌ مَكْنُونٌ) : رقتين كركه الجلوده التى داخل البيضة التى تلى القشر .

(^(٣) وجعلنا ذُرِّيَّتَهُ هم الباقين) : حام ، وسام ، ويافث . وأخرج من طريق آخر ؛ قال : سام أبو العرب ، وحام أبو الحبش ، ويافث أبو الروم .

(^(٤) وأرسلناه إلى مائة ألفٍ أو يزيدون) : قال : يزيدون عشرين ألفاً .

(^(٥) وإنا لنحنُ الصّافون) : أطت السماء وحق لها أن تثنّى ، ليس منها موضع قدم إلا عليه ملك راكم أو ساجد لله .

(^(٦) له منّاليدُ السموات والأرض) : تفسيرها لا إله إلا الله ، والله أكبر ، وسبحان الله وبحمده ، أستغفر الله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، هو الأول والآخر ، والظاهر والباطن ، بيده الخير ، يحيى ويميت... الحديث غريب ، وفيه نكارة شديدة .

(^(٧) نصيْقَ مَنْ فى السموات وَمَنْ فى الأرض إلا مَنْ شاءَ الله) : هم الشهداء .

(١) الواقعة : ٧٢ ، وال صافات (٤٨) : لاصرات الطرف من ...

(٢) الصافات : ٤٩ (٣) الصافات : ٧٧ (٤) الصافات : ١٤٧

(٥) الصافات : ١٦٥ (٦) الزمر : ٦٢ (٧) الزمر : ٦٨

(^(١)) إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي ؛ أَي دَعَائِي .

(^(٢)) إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَفَاؤُوا) : قَدْ قَالُوا نَاسٌ مِنَ النَّاسِ ،
ثُمَّ كَفَرُوا كَثُرَهُمْ ، فَمِنْ قَالَهَا حَتَّى يَمُوتَ فَهُوَ مِنْ اسْتِقَامَ عَلَيْهَا .

(^(٣)) مَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ ؛ أَي مِنْ مَرَضٍ ، أَوْ عَقُوبَةٍ ، أَوْ بَلَاءٍ فِي
الدُّنْيَا فَمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ ، وَلَئِنْ أَحْلَمَ مِنْ أَنْ يَشَى عَلَيْهِ الْعُقُوبَةُ فِي الْآخِرَةِ ،
وَمَا ضَلَّ اللَّهُ عَنْهُ فِي الدُّنْيَا شَيْئًا أَكْرَمُ مِنْ أَنْ يَبْرُدَ بِدَعْوَتِهِ .

(^(٤)) مَا خَرَّبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا) : مَا خَلَّ قَوْمٌ بَدَّ هُدًى كَانُوا عَلَيْهِ
إِلَّا أَوْتُوا الْجَدَلَ .

(^(٥)) وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) : كُلُّ أَهْلِ
النَّارِ يَرَى مَنْزِلَهُ فِي الْجَنَّةِ حَسْرَةً ، فَيَقُولُ : لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ
الْمُتَّقِينَ ، وَكُلُّ أَهْلِ الْجَنَّةِ يَرَى مَنْزِلَهُ مِنَ النَّارِ فَيَقُولُ : «^(٦) وَمَا كُنَّا لَنَهْتَدِيَ
لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ » ، فَيَكُونُ لَهُ شُكْرٌ . وَمِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَلَهُ مَنْزِلٌ فِي الْجَنَّةِ
وَمَنْزِلٌ فِي النَّارِ ، فَالْكَافِرُ يَرِثُ الْمُؤْمِنُ مَنْزِلَهُ مِنَ النَّارِ^(٧) ، وَالْمُؤْمِنُ يَرِثُ
الْكَافِرُ مَنْزِلَهُ مِنَ الْجَنَّةِ^(٨) .

(^(٩)) فَكَرَّهَتْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ) : إِنَّ رَبِّكُمْ أَتَدْرِكُ ثَلَاثًا :
الدُّخَانُ يَأْخُذُ الْمُؤْمِنُ كَالزُّكَّةِ ، وَيَأْخُذُ الْكَافِرُ فَيَنْضَعُ حَتَّى يَخْرُجَ مِنْ كُلِّ
مَسْجِدٍ مِنْهُ . وَالثَّانِيَةُ الدَّابَّةُ . وَالثَّلَاثَةُ الدَّجَلُ .

(١) طاهر : ٦٠ (٢) فصلت : ٣٠ (٣) الفورى : ٣٠

(٤) الزخرف : ٥٨ (٥) الزخرف : ٧٧ (٦) الأعراف : ٤٣

(٧) في ١٥ الجنة . (٨) في ١ : النار . (٩) الدخان : ١٠ .

(١) فَمَا بَسَّكَتُ عَلَيْهِمُ الْمَاءُ وَالْأَرْضُ) : مَا مِنْ عَبْدٍ إِلَّا وَلَهُ فِي السَّمَاءِ بَابَانِ : بَابٌ يَخْرُجُ مِنْهُ رِزْقُهُ ، وَبَابٌ يَدْخُلُ فِيهِ عَلَيْهِ وَكَلَامُهُ ، بِإِذَا مَاتَ فَقَدَاهُ وَبَسَّكَتُ عَلَيْهِ . وَذَكَرَ أَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا يَعْمَلُونَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ عَمَلًا صَالِحًا تَبْسُكِي عَلَيْهِمْ وَلَمْ يَصُدِّ لَهُمْ [١٣٢٨] إِلَى الْمَاءِ مِنْ كَلَامِهِمْ وَلَا مِنْ عَمَلِهِمْ كَلَامٌ طَيِّبٌ وَلَا عَمَلٌ صَالِحٌ ، فَتَقَدَّمَتْ تَبْسُكِي عَلَيْهِمْ . وَفِي رَوَايَةٍ : مَا مَاتَ مُؤْمِنٌ فِي غُرْبَةٍ (٢) غَابَتْ عَنْهُ فِيهَا بَوَاكِيهِ إِلَّا بَسَّكَتُ عَلَيْهِ الْمَاءُ وَالْأَرْضُ .

(٣) أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ : الْخَطُّ .

(٤) وَأَرْمَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى) : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ .

(٥) وَلَا يَنْتَبِ بَعْضُكُمْ بَعْضًا) : إِنْ كَانَ فِي أَخِيكَ مَا تَقُولُ فَقَدْ اخْتَبَيْتَهُ ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدْ خَبَيْتَهُ .

(٦) هَلْ مِنْ مَزِيدٍ) : لَا يَزَالُ يَلْقَى فِي النَّارِ ، وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ ؟ حَتَّى يَضَعَ قَدَمَهُ فِيهَا ، فَتَقُولُ : قَطُّ قَطُّ .

(٧) وَالَّذِ ارْيَلْتَ ذَرَوَا) : هِيَ الرِّيحُ .

(٨) فَالْجَارِيَاتِ يُسْرَأُ) : هِيَ السَّفِينُ .

(٩) فَالْمَقْسَمَاتِ أَمْرًا) : هِيَ الْمَلَائِكَةُ .

(١٠) وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ) : إِنْ الْمُؤْمِنِينَ وَأَوْلَادَهُمْ فِي الْجَنَّةِ ، وَإِنَّ الْمَشْرِكِينَ وَأَوْلَادَهُمْ فِي النَّارِ .

(١) الدِّخَانُ : ٢٩	(٢) ق : ١ : قُرْبَةٍ .	(٣) الْأَحْطَابُ : ٤
(٤) الْفَتَعُ : ٢٩	(٥) الْمَهْرَاتُ : ١٢	(٦) ق : ٣٠
(٧) الْفَارِجَاتُ : ١	(٨) الْفَارِجَاتُ : ٣	(٩) الْفَارِجَاتُ : ٤
(١٠) الطُّورُ : ٢١		

(^(١)) ولِإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى : وَفَى عَمَلَ يَوْمِهِ بِأَرْبَعِ رَكَعَاتٍ مِنْ أَوَّلِ النَّهَارِ . وَفَى رَوَايَةٍ : كَانَ يَقُولُ كُلَّمَا أَصْبَحَ وَأَمْسَى : فَسَبَّحَانَ اللَّهَ حِينَ تَسْتَوْنَّ وَحِينَ تُصْبِحُونَ . . . حَتَّى خَتَمَ الْآيَةَ .

(^(٢)) وَأَنْ " إِلَى رَبِّكَ الْمُنتَهَى) : تَفَكَّرُوا فِي مَخْلُوقَاتِ اللَّهِ ، وَلَا تَفْكُرُوا فِي ذَلِكَِ اللَّهِ .

(^(٣)) كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ) : مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يَغْفِرَ ذُنُوبَهُ ، وَيَكْشِفَ كَرْبًا ، وَيَرْفَعُ قَوْمًا ، وَيَضَعُ آخَرِينَ .

(^(٤)) وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ) : جَنَّتَانِ مِنْ نَضِيجِ آفِئْتِهِمَا وَمَا فِيهِمَا . وَجَنَّتَانِ مِنْ ذَهَبِ آفِئْتِهِمَا وَمَا فِيهِمَا .

(^(٥)) هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ) : هَلْ تَدْرُونَ مَا قَالَ رَبُّكُمْ ؟ قَالُوا : إِنَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أَعْلَمُ . قَالَ : يَقُولُ هَلْ جَزَاءُ مَنْ أُنْسِتُ عَلَيْهِ بِالْتَّوْحِيدِ إِلَّا الْجَنَّةُ .

(^(٦)) فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ) : خَضَدَ اللَّهُ شَوْكَهُ ، فَجَعَلَ مَكَانَ كُلِّ شَوْكَةٍ ثَمَرَةً .

(^(٧)) وَظِلٍّ مَمْدُودٍ) : إِنْ فِي الْجَنَّةِ شَجَرَةٌ يَسِيرُ الرَّاكِبُ فِي ظِلِّهَا مِائَةَ عَامٍ لَا يَقْطَعُهَا : اقْرَأُوا إِنْ شِئْتُمْ : « وَظِلٌّ مَمْدُودٌ » .

(١) النجم : ٢٧ (٢) النجم : ٤٢ (٣) الرحمن : ٢٩

(٤) الرحمن : ٦٢ (٥) الرحمن : ٦٠ (٦) الواقعة : ٢٨

(٧) الواقعة : ٣٠

(^(١)) وَفُرُشٍ مَرْفُوعَةٍ : ارتفاعُها كما بين السماء والأرض ، ومسيرة ما بينهما خمسمائة عام .

(^(٢)) إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنِشَاءً : كن في الدنيا عجائز عُمُشَارُهُنَّ .

(^(٣)) أَبْكَارًا . عُرُبًا أَتْرَابًا) : قالت أم سلمة : يا رسول الله ، أخبرني عن قول الله : حور عِين ؟ قال : حور عِين بيض ضخمات العيون شفر الحوراء بمنزلة جناح النسر . قلت : أخبرني عن قوله : «(^(٤)) كَأَمْثَالِ النُّجُوذِ الْمَكْنُونِ» ؟ قل : صفاؤهن كصفاء الدُّرِّ الذي في الأصداف الذي لم تمسه الأيدي . قلت : أخبرني عن قوله : «(^(٥)) بَيْنَ خَيْرَاتٍ حِسَانٍ» ، قال : خيرات الأخلاق ، حسان الوجوه . قلت : أخبرني عن قوله : « كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ » ؟ قال : رِقَّتُهُنَّ كَرَقَّةِ الْجَالِدِ الذي رأيت في داخل البيضة مما يلي القشرة . قلت : أخبرني عن قوله : «(^(٦)) عُرُبًا أَتْرَابًا » ؟ قال : هن اللواتي قُبِضْنَ في الدنيا عجائز رُمُصًا شُحَطًا ، خَفَّتُهُنَّ اللهُ بِدَسِّ الْكِبَرِ فَبَعَلَهُنَّ عَذَارَى عُرُبًا مَتَعَشَقَاتٍ مَحَبَّاتٍ . أَتْرَابًا عَلَى مِثْلٍ وَاحِدٍ كَلَامَهُنَّ عَرَبِيٌّ .

(^(٧)) ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ . وَثُلَّةٌ مِنَ الْآخِرِينَ) : هما جميعا من أمتي .

(^(٨)) وَلَا يَصْصِيحَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ : هو النوح .

(^(٩)) ن وَالْقَلَمِ) : لوح من نور ، وقلم من نور يجري بما هو كائن إلى يوم القيامة . وفي لفظ آخر : أول ما خلق الله القلم وأحوت قال : اكتب . قال : وما أكتب ؟ قال : كل شيء كائن إلى يوم القيامة .

(١) الرواية : ٣٤	(٢) الرواية : ٣٥	(٣) الرواية : ٣٦ ، ٣٧
(٤) الرواية : ٢٣	(٥) الرحمن : ٢٥	(٦) الرواية : ٣٢
(٧) الرواية : ٣٩ ، ٤٠	(٨) المسجدة : ١٢	(٩) القلم : ١

(^(١)) عُلِّلَ بَعْدَ ذَلِكَ زَيْنِبُ : تبكى السماء من عبد أصبح الله جسده ، وأرحب جوفه ، وأعطاه من الدنيا مفضا ، فسكان للناس ظلوما ؛ فذلك العُلُّ للزَيْنِم .

(^(٢)) يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ : عن نور عظيم ، يخترقون له سجدا .
 (٣) كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ مَنَةٍ : والذي خشي يده لينتف عن
 عن المؤمن حتى يكون أخف عليه من صلاة مكتوبة بضليها في الدنيا .
 (^(٤)) فَاقْرَأْ وَاسْتَفْتِرْ مِنْهُ : قال : مائة آية .
 (^(٥)) أَرْحِفُهُ صَمُودًا : هو جبل من نار يتصعد فيه سبعين خريفا ، ثم
 يهوى به كذلك .

(^(٦)) هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْفَقْرَةِ : قال ربكم : أنا أهل أن اتق ،
 فلا يحمل معي إله ، فن اتق أن يحمل معي إلهما كان أهلا أن أغفر له .
 (^(٧)) لَا بَيْنَ فِيهَا أَحْقَابًا : العقب بضع وثمانون سنة ، كل سنة
 ثلاثمائة وستون يوما مما تدثون .

(^(٨)) إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ : تكويرها وانكسارها في جهنم .
 (^(٩)) وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ : القرناء كل رجل مع كل قوم كانوا

يسلمون عمله .

(١) العلم : ١٣	(٢) العلم : ٤٢	(٣) الخارج : ٤
(٤) الزمل : ٢٠	(٥) الدثر : ١٧	(٦) الدثر : ٥٦
(٧) انبا : ٢٣	(٨) التكويد : ١١	(٩) التكويد : ٢

(^١) في أي صورة ما شاء ربك : قال صلى الله عليه وسلم لأحد الصحابة : ما وليك ؟ قال : ما عسى أن يولد لي ، إما غلام أو جارية . قال : فمن يشبه ؟ قال : ما عسى أن يشبه إما أباء أو أمه . فقال صلى الله عليه وسلم : مه ، لا تقولن هذا ، إن النطفة إذا استقرت في الرحم أحضرها الله كل نسب بينها وبين آدم ؛ أما قرأت : (في أي صورة ما شاء ربك) [٣٢٨ ب] .
قال : سلكك .

(^٢ الأبرار) : إنما سنام الأبرار ، لأنهم يروا الآباء والأبناء .
(^٣ يوم يقوم الناس رب العالمين) : حتى ينيب أحدهم في رشحه إلى أنصاف أذنيه .

(^٤ كلا ، بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون) : إن العبد إذا أذنب ذنباً كانت نكتة سوداء في قلبه ، فإن قلب منها صقل قلبه ، وإن زاد زادت حتى تلو قلبه . فذلك الران الذي ذكره الله في القرآن .
(^٥ فسوف يحاسب حساباً يسيراً) : قالت عائشة : قلت : يا رسول الله ، ما الحساب اليسير ؟ قال : أن ينظر في كتابه فيتجاوز له عنه ، إنه من نوقش الحساب يومئذ هلك .

(^٦ واليوم الموعود) : يوم القيامة .
(^٧ وشاهد) يوم الجمعة . (^٨ ومشهود) : يوم عرفة .
(^٩ في لوح محفوظ) : إن الله خلق لوحاً محفوظاً من دُرّة بيضا صفحتها

من ياقوتة حراء ، قلء نور ، وكتابه نور ، لله فيه كل يوم ستون وثلاثمائة لحظة ، يخلق ويرزق ، ويحيى ويميت ، ويعز ويذل ، ويفعل ما يشاء .

(^(١) قد أفلح من تزكى) : من شهد أن لا إله إلا الله ، وخلق الأنداد ، وشهد أنى رسول الله .

(^(٢) وذكر اسم ربه فصل) : هى الصلوات الخمس ، والمحافظة عليها ، والاهتمام بها .

(^(٣) وليال عشر) : عشر الأضحي ، و (النور) يوم عرفة .

(^(٤) والشفع) : يوم النحر . وفى رواية : الصلاة بعضها شفيع وبعضها وتر .

(^(٥) ملك رقية) : هو الإعانة فى عفتها ، وعفتها أن تنفرد فى عفتها .

(^(٦) قد أفلح من زكاه) : أفلحت نفس زكاه الله .

(^(٧) ورفعنا لك ذكرك) : أمانى جبريل ، فقال : إن ربك يقول : أنت ذرى

كيف رفيع ذكرك ؟ قلت : الله أعلم . قال : إذا ذكرت ذكرت معى .

(^(٨) يومئذ تحدث أخبارها) : قال : أنتذرون ما أخبرها ؟ قالوا : الله

ورسوله أعلم . قال : أن تشهد على كل عبد أو أمة بما عمل على ظهرها بأن تقول : عمل كذا وكذا فى يوم كذا وكذا .

(^(٩) إن الإنسان لربه لكنود) : الذى يأكل وحده ، ويضرب

جنبه ، ويسمع ريقه .

(١) الأمل : ١١	(٧) الأمل : ١٥	(٣) النور : ٢
(٤) النور : ٣	(٥) البلد : ١٣	(٦) النفس : ٩
(٧) النور : ٤	(٨) قوله : ٤	(٩) العادات : ٦

(١) مَسْأَلُنْ يَوْمُنْ مِنَ الْعِيمِ : الأَمْنُ وَالصَّحَّةُ وَالْمَاءُ الْبَارِدُ .

(٢) مَوْصِدَةٌ : مطبقة .

(٣) عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ : الذين يؤخرونها عن وقتها .

(٤) السَّكُونُ : سَهْرٌ أُعْطِيَهُ رَبِّي فِي الْجَنَّةِ ، لَهُ طَرَفٌ لَا نَحْصَى .

(٥) إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ : لما نزلت قول صلى الله عليه وسلم : نُعِمْتُ

إِلَى نَفْسِي .

(٦) الصَّمَدُ : الذي لا جَوْفَ لَهُ .

(٧) الْفَلَقُ : جُبٌّ فِي جَهَنَّمَ مَغْطًى .

(٨) وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ : النِّجَمُ الْفَاسِقُ . وفي رواية عائشة

قالت : أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي فأراني القمر حين طلع ، وقال :
توذي بالله من شر هذا ، هذا الفاسق إذا وقب .

(٩) الْوَسْوَاسُ الْخَنَّاسُ : ابن الشيطان واضع خطمه على قلب ابن آدم ،

فإن ذكر الله خنس ، وإن نسي التغم قلبه ، فذلك الوسواس الخناس .

• • •

فهذا ما حضرني من التفاسير المرفوعة المرح برفعها صحيحها وحمدتها ،
ولم أعول على الموضوعات والأباطيل ، واختصرت فيها وفي كل هذا الكتاب
للتحريض عليه ، ولعل عبدة الناس تهوى إليه ؛ إذ العمر قصير ، وفي العمل
تقصير ، فأسأل من الناقد أن يكون غير بصير ؛ لأنه إن بعثر رأياً من العايب

(١) لسكائر : ٨ (٢) الهزة : ٨ (٣) الماعون : ٥

(٤) السكون : ١ (٥) النصر : ١ (٦) الإخلاص : ٢

(٧) الفلق : ١ (٨) الفلق : ٣ (٩) لناس : ٤

ملا بخاطر يال ، كما قال صلى الله عليه وسلم : أنا من غير الدجال أخوفُ
عليكم من الدجال . قليل : وما هو يا رسول الله ؟ قال : العلماء السوء .
وهذا لأن الدجال غايته الإضلال ، ونحن نعريفُ الناس عن الدنيا بالمتقاة
ومقاتلنا ، وندعوم إليهم بأفعالنا وأعمالنا ، ولسانُ الحال أنطقُ من لسان المقال ،
وطباعُ النظر إلى المساءلة في الأعمال أميلُ منها إلى المتابعة في الأقوال ، فما
أفسدنا بأعمالنا أكثر مما أصلحنا بأقوالنا ، إذ لا يستجري الجاهل
إلا باستجرائنا ، ولو اشتغلت بإصلاح نفسي كان أولى بها وأعظم من هذا ،
إذ يخيّل لنا أنا خير من كثير من عباد الله ، وهذا هو أعظم من
كل ضلال .

إن قلت : قد أخرج البزار عن عائشة ، قالت : ما كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يُفسّر شيئا من القرآن إلا آيا بعد تعليمه إياهن
من جبريل .

والجواب : إن الصحيح عند ابن تيمية وغيره أنه صلى الله عليه وسلم
يُبين لأصحابه جميع تفسير القرآن أو غالبه .

ويؤيد هذا ما أخرجه أحمد وابن ماجة ، عن عمر — أنه قال : من آخر
ما أنزل الله آية الربا ، وإن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبض قبل أن
يفسر ما دلّ تحوى الكلام على أنه كان يفسر لهم كل ما أنزل ، وأنه إنما
لم يفسر هذه الآية لسرعة موته بعد [١٢٢٩] نزولها ، وإلا لم يكن لتخصيص
بها وجه .

وقد أول ابن جرير وغيره حديث عائشة أنه أشارات إلى آيات مشكلات
أشكن عليه ، فسأل الله هل من ، فأزله الله على لسان جبريل .

فإن قلت : قد صح أن آخر آية نزلت : «^(١) يستفتونك قل الله يفتيكم في السكّالة » . وآخر سورة نزلت : براءة . وفي رواية : آخر آية نزلت : «^(٢) وانتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله » . وعاش صلى الله عليه وسلم بعد نزول هذه الآية سبع ليال . وفي رواية سعيد بن المسيب أن أحدث القرآن عهدا بالعرش آية الدين ، لأن الظاهر أنها نزلت دفعة واحدة كترتيبها في المصحف ، ولأنها في قصة واحدة ، فكيف يجمع بين هذه الأحاديث ؟

والجواب : أن إخبار بعضهم بآية الربا بأنها ختام الآيات المنزلة في الربا ، إذ هي معطوفة عليها والآخرة في آخر النساء مقيدة بما يتعلق بالوارث بخلاف آية البقرة ، ويحتمل عكسه . والأول أرجح لما في آية البقرة من الإشارة إلى معنى الوفاة المستلزمة لخاتمة النزول .

قال البيهقي : يجمع بين هذه الاختلافات إن صحت الرواية أن كل واحد أجاب بما عنده .

وقال القاضي أبو بكر في الانتصار : هذه الأقوال ليس فيها شيء مرفوع إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، وكلّ قاله عن الاجتهاد وغلبة الظن . ويحتمل أن كلامهم أخبر عن آخر ما سمع من النبي صلى الله عليه وسلم في اليوم الذي مات فيه أو قبل مرضه بقليل ، وغيره سمع منه بعد ذلك ، وإن لم يسمعه . ويحتمل أيضا أن تنزل الآية التي هي آخر آية تلاها الرسول صلى الله عليه وسلم مع آيات نزلت معها فيأمر برسم ما نزل معها بعد رؤيتهم تلك ، فيظن أنه آخر ما نزل في الترتيب .

ومن غريب ماورد في ذلك ما أخرجه ابن جرير عن معاوية بن أبي سفيان أنه تلى هذه الآية : (^(١)فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ . . .) الآية ، وقال : إنها آخر آية نزلت من القرآن . قال ابن كثير : هذا آخر ما سئل ، وله أراد أنه لم ينزل بعدها آية تنسخها ولا تغير حكمها ، بل هي مثبتة محكمة .

ولنختم هذا الكتاب بما ختم الله كتابه أمراً لنبيه بالاستعانة من شر الحاسد الذي قلب عليه الجهل وطعمه ، وأعماه حب الرئاسة وشمه الخلق على الاعتراض على ، وينسب ما يرى فيه من التشكر والنقص إلى . ولعمري لو علم ما أنا فيه من شغل الليل ، وتعب الليل لالتمس لي هذرا ، وصنع عما يرى فيه من التقصير سترا . لكن الواجب على مَنْ كان في زمان يتلاعب به الجهال والصبيان ، والسكامل عندم مذموم داخل في كفة النقصان . أن يترجم به السكوت ، ويصير حذراً من أحلاس البيوت ، ويرد العلم إلى العمل ، ولا يتدسس في القمود مع أهل السكل ، لكن أرغب ممن مَنْ على بتلخيص هذا التفسير مع بعض زيادات شريفة ، ونوادر لطيفة ، أن يحمله ناقما ، ولا يدع صاحبها كئيبا ، وأن يعصمنا والناظر فيه ، ومن دعا لنا من شرور أعمتنا ، ومن سبب أعمالنا بجاه سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما ما دامت أشبرا ومجما .

[^(١) تم الكتاب المبارك الميمون المسمى بـ"ترك الأفران" ، في إيجاز القرآن للإمام الحافظ السيوطي رحمنا الله به وعلومه وسائر العلماء بجمادى الفضل على أهل الأرض والسماء سيدنا ونبينا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم ، على يد كاتبه لنفسه ثم لمن شاء المولى بعده . الحاج أحمد بن محمد المستغنى منشأ ، الجزائري وطنا ، أصلح الله أحواله ، وسدد أقواله وأفضله وأعقبه إلى يوم القيامة بجمادى المدفون في تهامة ، لثمانية وعشرين يوما مضت من شهر الله العظيم ذي القعدة عام ١١٠٦ هـ . والحمد لله رب العالمين عرفنا الله خير ، ووقانا شره .

اللهم اغفر لسكاتبه ووالديه وأشياخه وأزواجه وفرياته وأحبابه والناظرين فيه ، وكل من دعا لنا بالرحمة ولجميع المسلمين . وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وإمام المرسلين عدد ما ذكره الذاكرون وعَقَل عن ذِكْرِهِ السافلون] .

(١) آخر ما في نسخة (م) ، وهي التي أشرنا إليها برقم ٢٠٣١٧ بدار الكتب ، وسبق في الطبع وصنفا .

فهرس القسم الثالث

صفحة	صفحة
هنا	(تابع) الوجه الخامس والثلاثون
٢١٠	من وجوه إصباحه
٢١٠	ألفاظه المشتركة :
٢١٢	حرف الفاء
٤٤٩ - ٢١٢	ه في ، حرف جر
٤٤٦	معانيه
٤٤٩	الفاء - أنواعها
٤٥٠	حرف القاف
٤٥٣	قد - معانيها
٤٥٤	حرف السين المهملة
٤٥٤	السين - معناها
٤٥٥	سوف
	سواء
	ساء
٥٦٢	سبحان
٥٧١	حرف الشين المعجمة
	شبيب
	حرف الهاء
	ها
	هات
	هل
	هلم


(*) هذا فهرس القسم الثالث المتضمنة فيه على الموضوعات العامة ، أما الفهارس الفنية المتضمنة
فستأتي بعد في هذا القسم الذي سيتم به الكتاب إن شاء الله .

صفحة	صفحة	موضوع
٦٠٠	٥٨٠	ضمير الشأن والقصة
٦٠٢	٥٨١	عود الضمير على الجمع
٦٠٧		إذا اجتمع في الضمائر مراعاة
٦١١	٥٨٢	اللفظ والمعنى
	٥٨٥	قاعدة في التذكير والتأنيث
٦١٤	٥٨٧	قاعدة في التعريف والتذكير
٦١٧	٥٩٠	تنكير أحد
١٧		قاعدة أخرى تتعلق بالتعريف
	٥٩١	والتنكير
	٥٩٥	قاعدة في الإفراد والجمع
		فصل في أحاديث نبوية تقرر
		آيات قرآنية

تم القسم الثالث ، وبه يكمل

الكتاب ، وبهذه القهارس العامة

فهارس الكتاب

- ١ - فهرس الموضوعات .
- ٢ - فهرس الألفاظ القرآنية .
- ٣ - فهرس الشعر .
- ٤ - فهرس مراجع المؤلف  .
- ٥ - فهرس مراجع التحقيق .



مرکز تحقیق کتاب و تفسیر علوم اسلامی

١ - فهرس الموضوعات

الجزء الأول

صفحة		صفحة	
٢٢	مراعاة المناسبة	ج	تقديم
٢٩	التكئين	١	مقدمة
	قد تجتمع فواصل في موضع واحد	٣	إعجاز القرآن
٤	يخالف بينها	٥	إعجاز نظمه
٤٤	اختلاف الفاصلتين في موضعين	٦	بم يعلم إعجاز القرآن
٤٨	النصدير	٧	تنزيه القرآن عن الشعر
٤٩	التوشيح	٨	تنزيه القرآن عن الاختلاف
٤٠	أقسام السجع والفواصل	١٠	هل غير القرآن معجز
٥١٠٥٠	التشريع والالتزام	١١	موضع الإعجاز من القرآن
٥٢	أحسن السجع	١١	قائمة ذكر وجوه الإعجاز
٥٢	مبنى الفواصل على الوقف		الوجه الأول من وجوه إعجازه
٥٢	حروف الفواصل	١٤	العلوم المستنبطة منه
	الوجه الرابع من وجوه إعجازه	١٧	استنباط العلوم منه
	مناسبة آياته وسوره وارتباط	٢٣	علوم القرآن
٥٤	بعضها ببعض	٢٤	أحكام القرآن
٥٧	المناسبة		الوجه الثاني من وجوه إعجازه
٥٨	أسباب الربط	٢٧	كونه محفوظاً عن الزيادة والنقصان
٦٠	التخلص		الوجه الثالث من وجوه إعجازه
٦١	الفرق بين التخلص والاستطراد		حسن تأليفه
٦٢	حسن المطلب	٢٩	فواصل الآي
	الامر الكلي المفيد لعرفان مناسبة	٣١	هل في القرآن سجع
٦٢	الآيات		

صفحة		صفحة	
١١٠	أين يقع النسخ ؟	٦٢	من الآيات ما أشكلت مناسبتها
١١٠	أقسام النسخ	٦٥	مناسبة السور
١١٥	من المنسوخ : من البقرة	٦٨	أسباب ترتيب السور في المصحف
١١٦	من آل عمران	٧٠	إفتتاح السور بالحروف المقطعة
١١٦	من النساء	٧٢	أنزل القرآن على سبعة أحرف
١١٦	من المائدة		الوجه الخامس من وجوه إعجازه
١١٧	من الأنفال	٧٤	إفتتاح السور وخواتمها
١١٧	من التوبة	٧٥	براعة الاستهلال
١١٧	من النور	٧٥	خواتم السور
١١٨	من الأحزاب	٧٧	الحكمة في ختم القرآن بالمعوذتين
١١٨	من المجادلة	٧٨	علوم القرآن
١١٨	من المنتعة	٧٩	في فوائده السود
١١٨	من المزمل		الوجه السادس من وجوه إعجازه
١٢٠	الحكمة في رفع الحكم وإبقاء التلاوة	٨٥	مشبهات آياته
	ليس في القرآن فاسخ إلا والمنسوخ		الوجه السابع من وجوه إعجازه
١٢٠	قبله في الترتيب		ورود مشكله حتى يوم التعارض
١٢٢	يجوز نسخ الناسخ	٩٤	بين الآيات
١٢٢	أول مانسخ من القرآن	٩٥	سؤال وجواب من ابن عباس
١٢٣	هل وقع النسخ في المكي	١٠٠	للاختلاف أسباب
١٢٣	يرجع في النسخ إلى فعل صريح من النبي	١٠٤	بما استشكل
	بعضهم ينكر نسخ التلاوة دون		إذا تعارضت الآي وتعدر فيها
١٢٨	الحكم	١٠٦	الترتيب والجمع
١٣١	واجب المنع		الوجه الثامن من وجوه إعجازه
١٣١	علم التفسير	١٠٨	وفروع ناسخه ومنسوخه
١٣١	تفسير القرآن بالرأى	١٠٨	اختلاف العلماء في الناسخ والمنسوخ
١٣٢	أقسام التفسير	١٠٩	مسائل في النسخ : معنى النسخ

صنعة	التفسير من فروع الكفاية	١٢٣
١٦٢	التفسير أشرف صناعات	١٢٣
١٦٦	الحاجة إلى التفسير	١٢٥
١٦٦	الوجه التاسع من وجوه إعجازه :	
١٦٩	انتظامه إلى حكم ومتشابه	١٢٦
	معنى المحكم والمتشابه	١٢٧
	آيات ثلاثة أحرب	١٢٣
	أضرب التشابه	١٤٤
	من المتشابه آيات الصفات	١٤٦
	مذهب التأويل	١١٨
	النفس	١١٨
	الوجه	١٤٩
	العين	١٤٩
	اليدين	١٥٠
	الساقي	١٥٢
	الفوقية	١٤٢
	المجىء	١٥٢
	الحب	١٥٣
	الغضب والمحب والرضا والرحمة	١٥٣
	جميع الأعراس النسانية	١٥٣
	التدنية	١٥٤
	المعية	١٥٤
	من المتشابه أوائل السور	١٥٥
	لماذا اشتمل القرآن على التشابه	١٥٨
	لوفروع التشابه فوائد	١٦٠
	الوجه العاشر من وجوه إعجازه :	
	اختلاف الفاظ الحروف وكيفيتها	١٦١
	تقراءات السبع المنوثة	١٦١
صنعة	معرفة توجيه القراءات	١٦٢
١٦٢	التسك بقراءات سبعة	١٦٦
١٦٦	الخارج عن السبع المشهورة	١٦٦
١٦٩	لاختلاف القراءة وتنوعها فوائد	١٦٩
	الوجه الحادي عشر من وجوه	
	إعجازه : تقديم بعض الفاظه	
	وتأخيرها في مواضع	١٧١
	قسم التقديم والتأخير	١٧١
	أسباب التقديم وأمراره	١٧٤
	الوجه الثاني عشر من وجوه	
	إعجازه : إفاضة حصره واختصاصه	١٨١
	تقديم الحصر	١٨١
	تقديم آخر الحصر	١٨٢
	طرق الحصر	١٨٢
	تقديم المعمول يفيد الحصر	١٨٩
	الوجه الثالث عشر من وجوه	
	إعجازه : احتواؤه على جميع	
	لغات العرب ، وبلغة غيرهم	
	من الفرس	١٩٥
	ما في القرآن بنبر لغة الحجاز	١٩٩
	اللغات في القرآن	٢٠١
	ليس في القرآن حرف غريب	
	من لغة فريش غير ثلاثة	٢٠٦
	الوجه الرابع عشر من وجوه	
	إعجازه : عموم بعض آياته	
	وخصوص بعضها	٢٠٧
	العام على ثلاثة أقسام	٢٠٨
	(١٢ م - في إعجاز القرآن)	

صفحة	من غاص القرآن	صفحة	الوجه العشرون من وجوه إعجازة:
٢١٤	فروع مشورة تتعلق بالعموم	٢١٤	روعة وهيبه
٢١٤	والخصوص	٢١٤	الوجه الحادي والعشرون من وجوه
٢١٧	الوجه الخامس عشر من وجوه إعجازة :	٢١٧	إعجازة : أن سامة لا يجه
٢١٧	ورود بعض آياته بحلة وبمعناها مينة	٢١٧	الوجه الثاني والعشرون من وجوه
٢١٧	الإجمال أسبابه	٢١٧	إعجازة : تيسره تعالى حفظه
٢١٩	قد يقع التبيين متصلا	٢١٩	وتقريبه على متخلفه
٢٢١	قد يقع التبيين بالسنة	٢٢١	الوجه الثالث والعشرون من وجوه
٢٢١	اختلف في آيات : هل هي من الجمل	٢٢١	إعجازة : وفروع الحقائق والمجاز فيه
٢٢١	أم لا	٢٢١	المجاز في التركيب
٢٢١	من جمل الجمل والمحتمل بإزاء	٢٢١	المجاز في المفرد
٢٢٤	ثوب واحد	٢٢٤	وصف البعض بحفة الكل
٢٢٤	الوجه السادس عشر الاستبدال	٢٢٤	إطلاق لفظ بعض مرادا به لكل
٢٢٤	بمنطوقه أو بمفهومه	٢٢٤	إطلاق اسم الخاص على العام
٢٢٤	المنطوق	٢٢٤	نسبة الفعل إلى سبب السبب
٢٢٦	المفهوم ، ومساها	٢٢٦	القلب
٢٢٨	دلالة الألفاظ	٢٢٨	إقامة صيغة مقام أخرى
٢٢٩	الوجه السابع عشر من وجوه	٢٢٩	التغليب
٢٢٩	إعجازة : وجوه مخاطبانه	٢٢٩	أنواع يختلف في عددها من المجاز
٢٢٩	وجوه مخاطبانه ثلاثة أقسام	٢٢٩	ما يوصف بأنه حقيقة أو مجاز
٢٢٩	أنزل القرآن على ثلاثين محورا	٢٢٩	باعتبارين
٢٣١	أوجه الخطاب في القرآن	٢٣١	في الواسطة بين الحقيقة والمجاز
٢٣٩	الوجه الثامن عشر من وجوه	٢٣٩	مجاز المجاز
٢٣٩	إعجازة : ما انطوى عليه	٢٣٩	الوجه الرابع والعشرون من وجوه
٢٣٩	من الإخبار بالمفنيات	٢٣٩	إعجازة : تشبيه واستطراد
٢٣٩	الوجه التاسع عشر من وجوه	٢٣٩	ذكر أقسام التشبيه
٢٣٩	إعجازة : إخباره بأحوال	٢٣٩	تقسيمه باعتبار وجهه
٢٤٠	القرآن السالفة	٢٤٠	

٢٧٢	تقسيم آخر	٢٩٥	قفا الإيجاز : إيجاز القصر ،
٢٧٣	تقسيم آخر	٢٩٥	ولإيجاز الحذف
٢٧٤	الأصل دخول أداة التشبيه على	٢٩٥	تفضيل : ولكم في القصاص حياة
٢٧٤	المشبه به	٢٩٥	على قولهم : القتل أننى للقتل
٢٧٥	القاعدة في النظم تشبيه الأصل بالادنى	٢٩٥	بمشرين وجها
٢٧٥	لم يقع في القرآن تشبيه شيئين بشيئين	٢٩٥	من أنواع البديع الإشارة
٢٧٥	الاستعارة	٢٩٥	من الإيجاز التضمن
٢٧٦	حقيقة الاستعارة	٢٩٥	من إيجاز القصر باب الحصر
٢٧٧	أركان الاستعارة	٢٩٥	الاتساع
٢٧٧	أقسامها	٢٩٥	إيجاز الحذف وأسبابه
٢٨٠	تقسيم الاستعارة باعتبار اللفظ	٢٩٥	ذكر مفعول المشبهة
٢٨٢، ٢٨٢، ٢٨١	تقسيمها باعتبار آخر	٢٩٥	الحذف شجاعة العربية
٢٨٢	قد تكون الاستعارة بلفظين	٢٩٥	حذف المفعول اختصاراً واقتصاراً
٢٨٤	أنكر قوم الاستعارة	٢٩٥	ذكر شروطه
٢٨٤	التشبيه من أعلى أنواع البلاغة	٢٩٥	متى يشترط الدليل على المحذوف
٢٨٤	أبلغ أنواع الاستعارة التمثيلية	٢٩٥	الأصل أن يقدر الشيء في مكانه
٢٨٤	الفرق بين الاستعارة والتشبيه	٢٩٥	الأصل
٢٨٥	المحذوف الأداة	٢٩٥	ينبغي تقليل المقدر ما أمكن
٢٨٥	الوجه الخامس والعشرون من وجوه	٢٩٥	الأولى أن يقدر الباقي خبراً
٢٨٦	إعجازه : وقوع الكناية	٢٩٥	الأولى أن يكون المحذوف ثانياً
٢٨٦	والتعريض	٢٩٥	الحذف على أنواع
٢٨٧	أسباب الكناية	٢٩٥	أمثلة حذف الاسم
٢٩٠	الإرداف	٢٩٥	أمثلة حذف الفعل
٢٩١	الفرق بين الكناية والتعريض	٢٩٥	أمثلة حذف الحروف
٢٩١	الوجه السادس والعشرون من	٢٩٥	أمثلة حذف أكثر من كلمة
٢٩٣	وجوه إعجازه : إعجازه وإطنابه	٢٩٥	تارة لا يقام شيء مقام المحذوف
٢٩٥	الإيجاز والاختصار		

صفحة	مادة	صفحة	مادة
٢٦٧	الإيقال	٢٢٢	الإطناب نوعان : بسط وزيادة
٢٦٨	التذيل	٢٢٣	الإطناب بتكثير الجمل
٢٦٨	الطرد والعكس		إذا اجتمعت إن واللام كان بمنزلة
٢٦٩	التكميل	٢٢٦	تكرير الجملة ثلاث مرات
٢٦٩	التعيم		النوع الثاني من الإطناب : دخول
٢٧٠	الاستقصاء	٢٢٧	الأحرف الزائدة
٢٧١	الاعتراض	٢٢٨	الزيادة بالحروف
٢٧٢	التعليل	٢٢٨	د بالافعال
	الوجه السابع والعشرون من وجوه	٢٢٨	التأكيد الصناعي
٢٧٢	إعجازه : وقوع البدائع البليغة فيه	٢٤١	التكرير وفوائده
٢٧٦	الاستخدام	٢٤٨	تكرير قصص الأنبياء وسببه
٢٧٧	الالتفات	٢٥٣	الصفة العامة لا تأتي بعد الخاصة
٢٨٢	شرط الالتفات	٢٥٣	إذا وقعت للصفة بعد متضايين
	نقل الكلام من خطاب الواحد	٢٥٣	إذا تكررت النعوت لواحد
	أو الاثنين أو الجمع إلى الخطاب	٢٥٤	قطع النعوت في مقام المدح والذم
٢٨٢	الآخر	٢٥٤	البدل ، وفائدته
٢٨٥	الاطراد	٢٥٦	عطف البيان
٢٨٦	الانسجام	٢٥٧	عطف أحد المترادفين على الآخر
٢٨٧	الإدماج	٢٥٧	عطف الخاص على العام
٢٨٨	الاقتان	٢٥٩	عطف العام على الخاص
٢٨٨	الاقتدار	٢٥٩	الإيضاح بعد الإبهام
	اتلاف اللفظ مع اللفظ واتلافه	٢٦٠	التفصيل بعد الإجمال
٢٨٩	مع المعنى	٢٦١	التفسير
٢٩٠	الاشتراك والاستثناء	٢٦٢	وضع الظاهر موضع المضمحل
٢٩١	الاقتصاص	٢٦٢	فوائده
٢٩٢	الإبدال		إعادة الظاهر بمعناه أحسن من
٢٩٢	تأكيد المدح بما يشبه الذم	٢٦٦	إعادته بلفظه

٤١٣	صفات الله التي على صيغة المبالغة	٢٩٤	التفوييف
٤١٤	كلها مجاز	٢٩٤	التقسيم
٤١٤	المطابقة	٢٩٥	التدريج
٤١٥	الترصيع	٢٩٦	التنكيث
٤١٦	المقابلة	٢٩٦	التجريد
٤١٧	المواربة	٢٩٧	التعديد
٤١٨	المراجعة	٢٩٧	الترديد
٤١٨	النزاهة	٢٩٨	التضمن
٤١٩	الإبداع	٢٩٩	الجناس
	الوجه الثامن والعشرون من وجوه	٤٠٢	الجناس من المحاسن اللفظية
	إعجازه : احتواؤه على الخبر	٤٠٢	الجمع
٤٢٠	والإنشاء	٤٠٢	الجمع والتفريق
٤٢٠	حد الخبر	٤٠٣	الجمع والتقسيم
٤٢١	الإنشاء	٤٠٤	الجمع والتفريق والتقسيم
٤٢٢	القصد بالخبر	٤٠٤	جمع المؤنث والمختلف
٤٢٢	من أقسام الخبر التعجب	٤٠٤	حسن النسق
	إذا ورد التعجب من الله صرف	٤٠٤	عتاب المرء نفسه
٤٢٤	إلى المخاطب	٤٠٥	العكس
٤٢٥	من أقسام الخبر الوعد والوعيد	٤٠٥	العنوان
٤٢٥	من أقسام الخبر النفي	٤٠٧	الفرائد
٤٢٧	نفي الذات الموصوفة	٤٠٧	القسم
٤٢٨	نفي المجاز	٤٠٨	الف والنشر
٤٢٩	نفي العام يدل على نفي الخاص	٤٠٨	المشاكلة
	إذا جاء العرب بين الكلامين بمحددين	٤١١	المزاوجة
٤٣١	كان الكلام إخباراً	٤١١	المبالغة
	من أقسام الإنشاء :	٤١٢	فعلان أبلغ من فاعل
٤٣١	الاستفهام	٤١٢	

صفحة	رقعة	أدوات الاستفهام
٤٦٣	٤٣٢	خروج الاستفهام عن حقيقته
٤٦٣	٤٣٢	استفهام التقرير
٤٦٣	٤٣٤	من أقسام الإنشاء الأمر
٤٦٤	٤٤١	خروجه عن معنى الأمر
٤٦٥	٤٤١	من أقسام الإنشاء النهي
٤٦٦	٤٤٣	ومن أقسامه التمني
٤٧٠	٤٤٤	الفرجى
٤٧٠	٤٤٦	التداء
٤٧٢	٤٤٦	أصل التداء يا
٤٧٣	٤٤٨	تكرير التداء في القرآن بيانيا
٤٧٣	٤٤٨	من أقسام الإنشاء القسم
٤٧٨	٤٤٩	الوجه التاسع والعشرون من وجوه
٤٧٩	٤٤٩	إعجازه : إقسامه تعالى في مواضع
٤٨١	٤٤٩	لإقامة الحجة وتأكيدهما
٤٨٢	٤٥٠	كيف أقسم الله بما يخلق ؟
٤٨٢	٤٥٢	الآلفاظ الجارية بجرى القسم
٤٨٤	٤٥٥	من لطائف القسم
٤٨٤	٤٥٦	الوجه الثلاثون من وجوه إعجازه :
٤٨٥	٤٥٦	اشتماله على جميع أنواع البراهين
٤٨٦	٤٥٦	والأدلة
٤٨٦	٤٥٨	الاستدلال على المعاد الجسماني
٤٨٦	٤٦٠	البر والتقسيم
٤٨٦	٤٦١	القول بالموجب
٤٨٦	٤٦٢	التسليم
٤٨٦	٤٦٢	الإسجال
٤٨٦	٤٦٢	الانتقال
٤٨٦	٤٦٣	إعجازه : احتوائه على أسماء

الترتيب	المعنى	الترتيب	المعنى
٥٥٣	من أخبار أصحاب القيل	٥١٢	الاشياء والملائكة والمكنى
٥٥٤	المعاني المختلفة لكلمة دأمة		والالقباب، وأسماء القبائل والبلاد
٥٥٥	الهدى والنمهر		والجبال والكواكب
٥٥٦	إيهام وقت الساعة		الوجه الخامس والثلاثون من وجوه
٥٥٧	أولو العزم من الرسل	٥١٤	إعجازه : الفاظه المشتركة
٥٥٨	اسم إبليس	٥١٩	حرف الهمزة
٥٦٠	الإنجيل	٥١٩	آدم أبو البشر
٥٦٢	الاختلاف في الذي السلخ	٥٢٠	إدريس
٥٦٦	من حديث الإفك	٥٢٠	إبراهيم ، واشتقاقه
٥٦٠	رؤية غير ذي المحارم	٥٢١	إسماعيل
٥٦٨	الياسين والقراءة فيها	٥٢١	إسحاق
٥٧٠	إرم ، قيسية عاد	٥٢١	أيوب
٥٧١	وقت التضرعية	٥٢٢	إلياس
	الهمزة على وجهين :	٥٢٢	اليسع
٥٧٢	(١) الاستفهام	٥٢٢	إسرائيل — معناه
٥٧٢	اختصت همزة الاستفهام بأمر	٥٢٣	أحمد
٥٧٢	إذا دخلت على ، رأيت ،	٥٢٤	آزر
٥٧٢	رب) الهمزة حرف للتداء	٥٢٢	خواص بعض الانبياء
٥٧٤	أحد ، وواحد	٥٢٦	أسماء الأصنام التي جاءت في القرآن
٥٧٦	أحد تستعمل على ضربين	٥٢٩	أمر زيد بن حارثة
٥٧٦	إذ وأوجه استعمالها : للزمان	٥٤١	سليمان والخيل
	كل ما كان في القرآن (إن) ،	٥٤٤	اللات والعزى
٥٧٩	وما كان (إذ)	٥٤٦	الاقوال في معنى أول الحشر
٥٧٨	إذ تكون لتعليل	٥٤٧	ما أخذ من فذك فهو خاص بالنبي
٥٧٩	، ، للتوكيد والتحقيق	٥٤٩	الاختلاف في مقدار الحقة
٥٧٩	تليزم إذا الإضافة	٥٥٢	الانبياء وصغار الذنوب

٥٨٠	إذا على وجهين : للفاجأة	٥٩٥	بمعنى بل
٥٨١	والغير المفاجأة	٥٩٥	بمعنى بدل
٥٨٢	ناصب ، إذا ،	٥٩٥	و الآن ، للزمان الحاضر وتستعمل
٥٨٣	إذا تدخل على المتيقن والمظنون	٥٩٥	في غيره مجازا
٥٨٤	والكثير الوقوع	٥٩٦	و ال ، في الآن
٥٨٤	إن تستعمل في المشكوك فيه	٥٩٦	و إلى ، له معان
٥٨٤	والموهوم والناذر	٥٩٧	قد تستعمل و إلى ، اسما
٥٨٥	قد تأتي ، إذا ، زائدة	٥٩٨	و اللهم ، ومعناها
٥٨٥	إذن : معانها	٥٩٨	و أم ، وهي قسيان متصلة
٥٨٦	إذن نوعان	٥٩٨	يفترق القسيان من أربعة أوجه
٥٨٩	الف ، إذا ،	٥٩٩	أم منقطعة ، وهي ثلاثة أقسام
٥٨٩	و أف ، واستعمالها	٥٨٩	قد نرد ، أم ، محتملة الاتصال
٥٨٩	و ال ، على ثلاثة أوجه :	٦٠٠	والا لاتصال
٥٩٠	أن تكون اسما ووصولا	٦٠٠	قد تقع ، أم ، زائدة
٥٩٠	وأن تكون حرف تعريف	٦٠٠	و أما ، حرف شرط وتفصيل
٥٩١	وأن تكون زائدة	٦٠٠	وتوكيد
٥٩٢	و ال ، في اسم الله	٦٠٢	و إما ، ترد لمعان
٥٩٢	بيابة ، ال ، عن الضمير المضاف	٦٠٢	و إن ، على أوجه : شرطية ونافية
٥٩٢	و إلا ، على أوجه :	٦٠٢	كل شيء في القرآن (إن) فهو
٥٩٣	التنبيه	٦٠٤	إنكار
٥٩٣	التحضيض والمرض	٦٠٤	و إن ، المنخفضة من الثبينة
٥٩٤	و ألا ، حرف تحضيض	٦٠٥	و إن ، زائدة
٥٩٤	و إلا ، على أوجه :	٦٠٥	و إن ، للتعليل
٥٩٤	الاستثناء	٦٠٥	و إن ، بمعنى قد ،
٥٩٤	بمعنى غير	٦٠٦	و أن ، على أوجه
٥٩٤	أن تكون عاطفة	٦٠٩	و إن ، على أوجه
٥٩٤		٦١٠	و أن ، على وجهين

صفحة	صفحة
النبهات ، والغاية ، والمقابلة ،	أنتى ، أهم مشترك بين الاستفهام
٦٣٦ والتوكيد (وهى الزائدة)	٦١١ والشرط
٦٣٦ بحث فى د كنى بالله شهيدا ،	٦١٢ د أو ، ترد لمعان
٦٣٧ الباء فى د وامسحوا برءوسكم ،	٦١٥ كل شئ فى القرآن د أو ، فهو مخبر
٦٣٧ د بل ، حرف إضراب إذا تلاها جملة	٦١٦ د أولى ، ومعناها
د بل ، قد يكون معناها الانتقال	٦١٧ د إى ، حرف جواب
٦٣٨ من غرض إلى آخر	٦١٧ د أى ، على أوجه
٦٣٨ بل إذا تلاها مفرد فى المطف	٦١٨ د أيّا ، اختلفوا فيه على أقوال
٦٣٨ د بل ، لها موضعان	٦١٨ اللغات فيه
٦٣٩ د بنس ، لإنشاء التثنية	٦١٩ د آيان ، واستعمالها
٦٤٠ د بين ، واستعمالها ، وما تضاف إليه	د أين ، تستعمل فى الاستفهام
الجزء الثانى	٦١٩ والشرط
أحواله الريح وصفاتها	٦١٩ د أينما ،
٤-٢ الإبل	ذكر الله من النعم التى أنعم بها
٥-٢ انفراد الله بعلم تأويل المتشابه	على بنى إسرائيل عشرة
٦-٢ الاستقسام بالأزلام	وذكر من سوء أفعالهم عشرة أشياء
٧-٢ من قصة موسى والسحرة	وذكر من عقوبتهم عشرة أشياء
٨-٢ طلب موسى الرقبة	٦٢٢ فى مكة آيات كثيرة
٩-٢ اتساع اللغة	٦٢٣ أول من بنى المسجد الحرام
١٠-٢ اتساع علم الله	٦٢٤ لإبراهيم والقمر
١١-٢ النكاح بالإجازة	٦٢٥ بنى قارون
١٢-٢ حديث الورد على الخوض	٦٢٦ بين إبراهيم ونمرود
١٧-٢ الفتن التى تقع بين المسلمين	٦٢٧ الباء حرف ، وله معان :
من يعتقد أن للكواكب تأثيراً	٦٢٨ الإلصاق ، والتعدي
على المطر	٦٢٩ الاستعانة ، والسببية ، والمصاحبة ،
٢١-٢ الظهار ، وحديث حولة	والظرفية ، والاستملاء ، والمجاورة
٢٢-٣	٦٣٥

صفحة	صفحة
الناس في الرجاء على ثلاث	النفقة تختلف باختلاف الناس ٢-٢٥
مقامات ٢-٩٢	انصراف النبي عن الدنيا ٢-٢٧
داود : نسيه ، وعبادته، وصفته ٢-٩٤	درجات المقربين فوق درجات
ديارا ، استعماله في النقي ، وزنه ،	الابرار ٢-٣٨
أصله ٢-٩٨	المحاسبة على ما في نفوس العباد ٢-٤٠
الدعاء ورد على أوجه ٢-٩٩	الآيات البينات ٢-٤٧
خلق السماء والأرض ٢-١٠٠	التاء حرف قسم ٢-٤٨
تقسيم أموال بني النضير على	ثم حرف يقتضي ثلاثة أمور :
المهاجرين ٢-١٠٢	التثريك ، والترتيب ، والمهلة ٢-٥٢
ودون ، تردد ظروفا ، وتشميل للتفاوت	الكوفيون يحرون ثم بحرى للقاء
في الحال ٢-١٠٣	والواو ٢-٥٣
ذو الكفل - من هو ٢-١٠٤	ثم اسم يشار به إلى البعيد ٢-٥٣
ذو القرنين : اسمه ، وسبب هذا	الجزية ٢-٦٤
اللقب ٢-١٠٤	جعل تصرف على خمسة أوجه ٢-٦٢
في تسمية ابن البفت ابنا ٢-١٠٧	الحواريون ٢-٦٤
ذكر ، ورد على أوجه ٢-١٠٨	حاشا - معناها واستعمالها ٢-٧٨، ٧٧
إبراهيم والذبيح ٢-١٠٩	حتى ، والفرق بينها وبين إلى ٢-٧٨
ذو : معناه ، واستعماله ٢-١١٠	الفاية التي بعد ، إلى ، وحتى ٢-٧٩
الوصف بـ ذو ، والوصف	وحتى ، تردد ابتدائية. وعاطفة ٢-٨٠
بصاحب ٢-١١٠	وحيث ، معناها ، وإعرابها ٢-٨١، ٨٠
رَبِّ ، له أربعة معان : الإله	في نزول عيسى ٢-٨٦
والسيد ، والمالك للشيء ،	المهاجرون والأنصار ٢-٨٨
والمصلح للأمر ٢-١١٢	جمع الله بين الخوف والطمع ٢-٩١
الرباط ٢-١١٤، ١١٥	الخوف ثلاث درجات ٢-٩١
الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه ٢-١١٦	الناس في الخوف على ثلاث
مقاسم المراقبة ٢-١١٦	مقامات ٢-٩١

صفحة	صفحة
أقوال ثلاثة في قوله تعالى :	١٦٧ - ٢
ردوا أيديهم في أفواههم	١٦٧ - ٢
التي أرسل رحمة للعالمين	١١٨ - ٢
من خبر موسى وهو يعبر البحر	١٢١ - ٢
آداب تلاوة القرآن	١٢٢ - ٢
الرحمة وردت في القرآن على	١٢٢ - ٢
أوجه	١٢٢ - ٢
الربا	١٢٦ - ٢
في يوم بدر	١٢٧ - ٢
رب، حرف، وفي معناها ثمانية	١٢٩ - ٢
أقوال	١٢٩ - ٢
زكريا	١٤٠ - ٢
بشارته بولده	١٤١ - ٢
اللغات فيه	١٤١ - ٢
زيد بن حارثة	١٤٦ - ٢
طالوت بعث الله لقتال جالوت	١٤٧ - ٢
تزوج الإمام	١٤٨ - ٢
بين قاييل وهابيل	١٤٨ - ٢
طه - من أسماء النبي	١٥٠ - ٢
طور : جبل	١٥٤ - ٢
ظن له ثلاثة معان	١٥٧ - ٢
الظلم يقع في القرآن على ثلاثة	١٥٧ - ٢
معان	١٥٧ - ٢
كان يونس في ثلاثة غيوم	١٥٩ - ٢
ظن تأتي بمعنى الشك والكذب	١٦٢، ١٦١ - ٢
وبمعنى اليقين	١٦٢، ١٦١ - ٢
الكلافة	١٦٥ - ٢
أصحاب الكهف	١٦٦ - ٢
صاحب الموت	١٧١ - ٢
الكوثر في تفسيره سبعة أقوال	١٧٥ - ٢
المؤمن وأركانه	١٧٧ - ٢
مقدار يوم القيامة	١٨٠ - ٢
الذين يؤتون أجرام مرتين	١٨٢ - ٢
الكاف حرف جر، له معان :	١٨٥ - ٢
التشبيه	١٨٥ - ٢
والتحليل، والتأكيد	١٨٦ - ٢
ترد الكاف أسما	١٨٧ - ٢
لكاف في ذلك	١٨٧ - ٢
كاد فعل ناقص	١٨٧ - ٢
ترد كاد بمعنى أراد	١٨٨ - ٢
كان فعل ناقص	١٨٩ - ٢
كان تأتي في القرآن على خمسة	١٨٩ - ٢
أوجه	١٨٩ - ٢
كان حرف للتشبيه المؤكد،	١٩٠ - ٢
والظن والشك	١٩٠ - ٢
كأين اسم مركب	١٩٠ - ٢
اللغات فيه	١٩٠ - ٢
كذا لم ترد في القرآن	١٩١ - ٢
إلا للإشارة	١٩١ - ٢
كل، معانها، ورواها على	١٩١ - ٢
ثلاثة أوجه	١٩١ - ٢
اتصال وما، بكل	١٩٢ - ٢
كلا وكلنا	١٩٢ - ٢
كلا، معانها	١٩٢ - ٢

صفحة	صفحة
٢٢٥-٢ قسم الخمس	١٩٥-٢ كم ، استفهامية ، وخبرية
٢٢٨-٢ حد السورة	١٩٥-٢ د كي ، له معنيان
٢٢٩-٢ اختصاص كل سورة بما سميت به	١٩٥-٢ ه كيف ، ترد على وجهين
اللام على أربعة أوجه :	٢٠١-٢ شراء المغنيات وبيعهن
جاره ، وناصية ، وجازمة ،	٢٠٢-٢ كيفية إنزال القرآن
ومهملة غير عاملة	السرف في إنزاله جملة إلى السماء
اللام لها معان :	٢٠٣-٢ الدنيا
الاستحقاق ، والاختصاص ، والملك ،	٢٠٥-٢ إنزال الكتب الأخرى
والتعليل ، وموافقة إلى ٢٣٩-٢	السرف في نزول القرآن منجما ٢٠٩-٢٠٥
ود على ، ود في ، ود عند ،	٢٠٨-٢ إنزال التوراة جملة
ود بعد ، ، والتبليغ ،	٢١٠-٢ معنى إنزال القرآن
والصيرورة	٢١٠-٢ في التنزيل طريقان
٢٤٠-٢ والتأكيذ ، والتبيين للفاعل	المنزول على النبي فيه ثلاثة أقوال ٢١١-٢
أو المفعول ، والناصية ،	كلام الله المنزل فسمان ٢١٢-٢
والجازمة ...	للوحي : كيفيات
٢٤١-٢ اللام غير العاملة أربعة :	في أم القرآن كل شيء هو كائن
لام الابتداء	إلى يوم القيامة
٢٤٢-٢ واللام الزائدة	٢١٧-٢ حال النبي إذا نزل عليه الوحي ٢١٨-٢
ولام جواب القسم ، واللام	هل يصوم أحد عن وليه ٢١٩-٢
الموطئة	ما يجوز أن يفعله الإنسان عن غيره ٢١٩-٢٥
٢٤٣-٢ د لا ، على أوجه : نافية	ما كان في شريعة غيرنا ٢٢٠-٢
٢٤٣-٢ أن تكون لطلب الترك	لوط ، لسبه
٢٤٤-٢ وأن تكون للتأكيد	لقمان : لم يكن نبياً
٢٤٥-٢ ترد د لا ، اسما بمعنى غير	اليهود يسألون النبي عما خلق
٢٤٦-٢ قد تحذف أل د لا ،	في الأيام السبعة
٢٤٦-٢ د لات ، أصلها ، وعملها	اختلاف العلماء في قطع شعر
لا جرم - تركيبها ، وإعرابها ٢٤٧-٢	المشركين

صفحة	صفحة
٢٥٩ - ٢	ليس : لنقى
٢٦٠ - ٢	عند رسول الله جمع الله له
٢٦١ - ٢	كل كمال
٢٦٢ - ٢	كيف كان يأتي جبريل النبي
٢٦٣ - ٢	موسى عليه السلام - ليه ،
٢٦٤ - ٢	وسبب تسميته موسى ،
٢٦٥ - ٢	وصفته
٢٦٦ - ٢	الحكمة في تزويج أربع
٢٦٧ - ٢	نسبة الحسنه إلى الله والبيت
٢٦٨ - ٢	إلى النفس
٢٦٩ - ٢	إبراهيم وذبح ولده
٢٧٠ - ٢	مدین : أرض شيب
٢٧١ - ٢	شيب أرسل إلى مدین وأصحاب
٢٧٢ - ٢	الآية
٢٧٣ - ٢	معنى قسسه كسك الكلب
٢٧٤ - ٢	في يوم بدر
٢٧٥ - ٢	للمؤمنين أمانان من العذاب
٢٧٦ - ٢	استغفار النبي لآبي طالب
٢٧٧ - ٢	من حديث الثلاثة الذين خلفوا
٢٧٨ - ٢	العديقون أرفع درجة
٢٧٩ - ٢	من آمن بموسى
٢٨٠ - ٢	أول من تسع به النار
٢٨١ - ٢	تشبيه المؤمن بالسميع والبصير
٢٨٢ - ٢	وتشبيه الكافر بالاعمى
٢٨٣ - ٢	والأهم
٢٨٤ - ٢	على قدر النعمة تكون النعمة
٢٨٥ - ٢	الكن ، ، عملها ، ومعناها
٢٨٦ - ٢	ولكن ، الخفة ضربان
٢٨٧ - ٢	لعل : عملها ومعناها
٢٨٨ - ٢	و لم ، : عملها
٢٨٩ - ٢	د كلاً ، - على أوجه
٢٩٠ - ٢	لم ولما بفرقان من أوجه
٢٩١ - ٢	٢٥١
٢٩٢ - ٢	ان ، معناها
٢٩٣ - ٢	لو ، عكس ، إن ،
٢٩٤ - ٢	إبادتها الامتناع
٢٩٥ - ٢	كل شيء في القرآن د لو ، فإنه
٢٩٦ - ٢	لا يكون أبدا
٢٩٧ - ٢	إذا أوقعت بعد د لو ، أن
٢٩٨ - ٢	جواب لو
٢٩٩ - ٢	تردد لو ، شرطية في المستقبل
٣٠٠ - ٢	ومصدرية
٣٠١ - ٢	ولتنى ، والتعليل
٣٠٢ - ٢	د لولا ، على أوجه :
٣٠٣ - ٢	حرف امتناع لوجود ، ومعنى
٣٠٤ - ٢	د فلا ، ، وللنويخ والتنديم
٣٠٥ - ٢	في الماضي
٣٠٦ - ٢	وللاستفهام
٣٠٧ - ٢	ونكون للنقى
٣٠٨ - ٢	جميع ما في القرآن من د لولا ،
٣٠٩ - ٢	د لوما ، بمنزلة لولا
٣١٠ - ٢	ليت : عملها ومعناها

صفحة	أسماء القرآن	صفحة
ذكر الله الصابرين ثمانية أنواع	٢٩٤-٢	٢٩٤-٢
من الكرامة	٢٩٤-٢	٢٩٤-٢
الصبر على أريضة أوجه	٢٠١-٢٩٨-٢	٢٠١-٢٩٨-٢
فوق الصبر التسليم	محاورة الصعابة في تسميته	٢٠١-٢
تشبيه المنافقين بصاحب النار التي	بعد جمعه	٢٠٤-٢
أضاءت ثم أظلمت	حيض الحامل	٢٠٨-٢
مريم - معناها	مثل ضرب به الله الحق وأهله	٢١٢-٢
لم سئل موسى عن العصا	والباطل وحزبه	٢١٢-٢
موسى وفرعون	واضع القنة	٢٢٤-٢
موسى يسير إلى الطور	تكرير الأمر بالتوكل	٢٢٧-٢
الرجوع إلى الله في رفع المحن	تخصيص الرسالة بالرجال	٢٢٨-٢
والشدائد	القرث والدم	٢٢٩-٢
من قصة أيوب	موازنة الحيوان	٢٢٩-٢
الانقياد على وجهين	مثل لله والامنام	٢٢٩-٢
رؤية العبد لسيده	مثل لبطلان مذاهب المشركين	٢٢٩-٢
آية كافية بجامعة	أمر الساعة يسير	٢٢٩-٢
نوح يتخذ القلک	عمار بن ياسر يشكو للرسول	٢٢٩-٢
قوم صالح لما قتلوا الناقة	ما صنع به من العذاب	٢٢٩-٢
تعذيب الله من قتل الناقة	المشاكلة في اللفظ	٢٢٩-٢
فريش يسألون النبي: متى الساعة؟	في يوم أحد	٢٢٩-٢
أخبار الكهان والمنجمين	المسئلة حرام	٢٢٩-٢
موسى وشعيب	ضمن الله للمتمسك به الهدى	٢٢٩-٢
كيف عرف موسى كلام الله	الباعث على التقوى عشرة	٢٢٩-٢
زواج موسى من ابنة شعيب	درجات التقوى خمسة	٢٢٩-٢
إكرام الحبيب بشرة	ذكر الصبر بالقرآن في أكثر	٢٢٩-٢
	من سبعين موضعا	٢٢٩-٢

صفحة	صفحة
٤٢٣ الدعوة من الله على أربعة أوجه	النبي يخبر بحال موسى وهو لم يحضره
الفرح عن المظلة أفضل من	٢ - ٢٨٢
٤٢٥ الانتصار	٢ - ٢٨٤
كيف ذكر الانتصار في صفات	٢ - ٢٨٥
٤٢٥ المدح	شبه الله الكفار في عبادتهم
٤٤٢ الأمور كلها مقدرة مكتوبة	٢ - ٢٩٠
٤٤٤ الفرح بالخير والجزع من الشر	٢ - ٢٩٢
٤٤٧ لم ذكر الله الصدقة بلفظ القرض	يجب التسليم والانقياد
المسلمون يخرجون إلى المير	٢ - ٢٩٧
٤٥٢ ويركون النبي يخطب	زيد بن حارثة ليس ابنا
٤٥٧ رزق العباد	للرسول
٤٦٥ طبقات جهنم سبعة	إباحة السراري للنبي
٤٧٦ ليلة القدر	النبي وزوجة زيد بن حارثة
المؤمنون لا يخرجون بذنوبهم	٢ - ٢٩٨
٤٧٧ إلا ب ستة شروط	تحريم أزواج الرسول
٤٧٨ فضل الإقرار	٢ - ٤٠٠
٤٧٩ في الحساب	٤٠٨
٤٨٠ الوقوف بين يدي الله	النبي وقول الشعر
٤٨١ ثواب الجن	جميع المخلوقات لم يخلقها الله
٤٨١ من الجن مغربون وأبرار	إلا الحكمة
الأعمال على ثلاثة أنواع : مأمورات	٤١١
ومنهايات ومباحات	٤١٢
٤٨٤ التوكل على ثلاث مراتب	قوم يولس
٤٨٦ هل يشترط في التوكل ترك	كل واحد من الملائكة له مقام معلوم
الأسباب	٤١٤
٤٨٧ الأسباب على ثلاثة أقسام	لم كان للدخول في الصلاة بتكبيره،
	والخروج منها بتسليمتين
	أولية الرسل والأنبياء يوم
	القيامة
	٤١٦
	عند الرسل
	٤٢٢

منحة	منحة
٥١١	٤٨٩ حكم المتشابه في القرآن
٥٤٤	٤٩٨، ٤٩٧، ٤٩٤ موسى وسحرة فرعون
٥١٦	اختلف الناس في الحزن والخوف
٥٤٨	٤٩٥ على ثلاثين قولاً أو أكثر
٥٥٠	٤٩٧ ثم على ثلاثة أوجه
٥٥٠	٤٩٩ الشهادة جاء بها جميع الرسل
٥٥٠	على العبد أن يكون في جميع
٥٥٠	تصرفاته مشغولاً بولاه
٥٥٠	٥٠٣ الفرق بين التزين والإغواء
٥٥٠	٥٠٦ الوحدة ثابتة بالعقل، أو بالسمع
٥٥١	٥٠٧ وهذه القضية على ثلاثة أقسام
٥٥١	٥٠٨ هدية بلقيس
٥٥٢	٥١٥ بونس في بطن الحوت
٥٥٢	٥١٧ ابتلى الله تسعة من الأنبياء فوجدوا
٥٥٢	تسعة أشياء
٥٥٢	٥١٨ بين هود وقومه
٥٥٢	٥٢٤ عثمان يجهز جيش المصرة
٥٥٢	٥٢٨ مثل بعض الحكماء ابن آدم بدود القوم
٥٥٢	٥٠٨ من أين يعرف أن المؤمن يحب الله
٥٥٢	أكثر من الكافر
٥٥٢	٥٢٠ ما علامة حقيقة المحبة
٥٥٢	٥٢٠ لم يسم الرسول بالمرسل
٥٥٢	٥٢٣ ولم يسم الرسول بالمدثر
٥٥٢	٥٢٤ سبب نزول سورة المطففين
٥٥٢	٥٢٥ لم يسب الله هذه الأمة لإبراهيم
٥٥٢	٥٢٧ أمة محمد
٥٥٢	٥٤٠
من قصة يوسف	
على قدر الفرح يكون الترح	
من قصة موسى	
سليمان وموته	
من كتاب بعض الفضلاء لمن هدده	
ما : اسمية وحرفية	
استعمالها	
الاسمية ترد موصولة	
واستفهامية ، وشرطية ، وتنعجية ،	
ونكرة موصوفة	
ما الحرفية ترد مصدرية ،	
إما زمانية أو غير زمانية	
وعاملة عمل ليس أو غير عاملة	
وزائدة للتأكيد : كافة ، وغير كافة	
إذا وقعت ، ما ، قبل ليس ، أو لم	
أو لا ، أو بعد ، إلا ، فهي موصولة	
وحيث وقعت بعد كاف التشبيه	
فهي مصدرية	
وحيث وقعت بعد الباء فهي تَحْمِلُهُمَا	
وحيث وقعت في القرآن قبل ، إلا ،	
فهي نافية إلا ثلاثة عشر	
موضعا	
ماذا : ترد على أوجه	
متى : ترد استفهاما ، وشرطا	
مع : اسم	

صفحة	موضوع	صفحة	موضوع
٥٩٣	د ن ، حرف من حروف الهجاء	٥٥٥	من : حرف جر له معان
٥٩٤	النون على أوجه : اسم	٥٥٧	د مَن ، لاتقع إلا اسماً
٥٩٤	وحرف	٥٥٧	الغالب استعمالها في العاقل
٥٩٥	التنوين - أقسامه	٥٥٨	د مهما ، اسم ، الشرط
٥٩٦	نَسَم ، حرف جواب		نوح ، لسه وسبب نجاته ومن
٥٩٦	نَسَم ، فعل لإنشاء المدح	٥٥٩	آمن به
	صالح ، لسه : بعثه الله إلى		الرسول يدهو نصارى نهران
٥٩٧	قرنه	٥٦٢	إلى المباحلة
٥٩٧	الصلاة : تأتي على أوجه		من حديث لسكب الاحبار عن
٥٩٩	الأديان ستة	٥٦٢ - ٥٦٤	بعث النبي
٦٠٠	السمي بين الصفا والمروة	٥٦٣	من صفات الرسول
٦٠٢	نذر مريم الصوم	٥٦٦	من خواص الامة المحمدية
٦٠٧	سليمان والخيل	٥٦٩	يوسف والساق
٦٠٩	رياح القوية	٥٧١	يوسف وإخوته
٦٠٩	رياح الرحمة	٥٧٥	الحشر على خمسة معان
٦١٥	أول ما نزل في التوراة		الحكمة في ذكر الحشر للفقين ،
٦١٦	البرهان الذي أرى يوسف	٥٧٥	والسوق إلى الجرمين
	من أمثلة ما خص به الفاتحة وآية		من قصة الرجلين المتخاصمين إلى
٦١٦	الكرومي وخاتمة البقرة	٥٧٧	داود
	إن الله خلقنا في سبعة أحوال	٥٨٣	التوبة النصوح
٦٢٠	من سبعة أشياء	٥٨٣	فرائض التوبة
٦٢٠	ثم رزقنا سبعة أشياء	٥٨٣	آداب التوبة
٦٢٠	ثم وعدنا بسبع مقامات	٥٨٣	مراتب التوبة
٦٢٢	الجنة ، والعرش ، وجنهم	٥٨٤	البواعث على التوبة
٦٣٨	الإشارات ستة	٥٨٥	رؤية المولى في الدار الآخرة
٦٤٢	مدينة لوط	٥٨٧	الاستعادة من النقطة

منحة	منحة
٦٧٤ عسى ولعل الله واجبتان	ذكر الله الوجوه في القرآن على
٦٧٤ وردت في القرآن عسى على وجهين	سبعة أوصاف
٦٧٤ عند ظرف مكان	ورتب وجوه الكفار في الآخرة
٦٧٤ عند لا تستعمل إلا ظرفاً أو	على سبع
٦٧٥ بمرورة بمن خاصة	ابن آدم من أكرم المخلوقات
٦٧٥ تقاروق عند ولدى ، لدن ،	للمؤمنين أربعة أرواح
٦٧٦ من ستة أوجه	بعد إسلام عمر
٦٧٨ ذكر الموت	من صفات عيسى
٦٧٩ أسباب سوء الحاتمة	خروج الدجال
٦٨٠ وغير له معنيان ،	قراءة القرآن مع إلهاد الشمر
٦٨٠ ، غير ، اسم ملازم للإضاعة	سليمان وعرش بلقيس
٦٨٦ والإيهام	« على ، حرف جر له معان :
٦٨٦ وغير على أوجه ،	الاستعلاء ، والمصاحبة ،
	والابتداء والتحليل ، والطريقة
الجزء الثالث	٦٧٠ وبمعنى الباء
٤ لم أخرج آدم من الجنة	٦٧١ « على ، في : وتوكل على الحق
٦ الخصائص التي خص بها	الذي لا يموت
٦ الكتاب كتابان	٦٧١ ترد « على ، اسماً
الحكمة في جوع إبراهيم وصبر	« عن ، حرف جر له معان :
٧ لإسماعيل	المجاورة ، البديل
أعطى الله الكايم عشر معجزات ،	التحليل ، بمعنى على ، بمعنى « من ،
وأكرمهم قومه بعشر كرامات ٨	وبمعنى « بعد ،
وشكى عليهم عشر شكيات ،	« من ، ترد اسماً إذا دخل
٩ وعاقبهم بعشر عقوبات	عليها « من ،
١٠ الانفجار والانبجاس	٩٠٨ عسى قبل جامد
١٢	٩٧٢ عسى فيه وجهان

صفحة	موضوع	صفحة	موضوع
٤٠	الإيمان يزيد وينقص		وضع الله الدولة على ثلاثة
٤٢	وللأم الثلث بشرطين	١٠	أحبار
٤٤	لم جعل الله شهداء الزنا أربعة		ابنلى الله الخليل بعشرة أشياء :
٤٥	فلاح النائب		وأثنى عليه بعشرة، ثم أعطاه
٤٦	حجة الله للنائب والمستغفر	١٢	عشرة
٤٩	الوضوء		من كان في الحج واضطره مرض
	سر الأمر في غسل هذه الأعضاء		أو قل إلى خلق رأسه قبل
٥٠	في الوضوء	١٣	يوم النحر
٥٠	لم مُنِعَ المتيمم من مسح رأسه	١٦	التفريق في قضاء رمضان
٥٢	المبد مع الله على ثلاثة أوجه		هذان ، وثيان ، وثخان
	تشيل قاتل الواحد بقاتل الجمع	١٧	ورحمان وكرامتان في آية
٥٤	يتصور من ثلاث جهات		التداء على عشرين وجهاً
٥٤	توبة السارق	١٨، ١٩	وأينا من يدهر ولا يستجاب له
٥٧	أدب الصحابة	٢٣	الاضطرار وشروط الدعاء
٥٩	شرع من قبلنا	٢٣	التجارة في أيام الحج أباحها الله
٦١	إباحة أكل ما ذكر اسم الله عليه		لعباده
٦٢	أقرقت اليهود والنصارى . . .	٢٧	ذكر الله الصلاة اثني عشر اسماً
٦٤	يعقوب وحزنه على يوسف	٣١	الذكر على سبعة أوجه
٦٧	منكر البعث	٣٢	تفصيل بعض الأنبياء
٦٨	هل إبليس من الملائكة	٣٢	من يتعرض بالنقص للأنبياء
٧٠	وجوب سؤال الجاهل	٣٣	من قصة أصحاب الكهف
٧٠	خبر التواتر يفيد العلم	٣٥	الحكمة في أن عزيراً سأل
٧٢	التفاوت في الرزق		الإحياء
	نبي المساواة يقع في القرآن على	٣٥	إبراهيم يسأل ربه كيف يحيي الموتى
٧٤	وجوه	٣٦	كتابة الدين
٨٠	أصحاب الشجرة في القرآن أربعة	٣٧	شهادة المرأة
٨٢، ٨٣	موسى وشجرة فرعون	٣٧	

صفحة		صفحة	
١٣١	قسم الله	٨٢	موسى أمته الله من أربع مخاوف
١٣٢	لم يقسم الله	٨٤	من قصة موسى وفرعون
	عثمان بن عفان يجهز جيش	٨٦	موسى في أهل مدين
١٣٨	العصرة		السكيب الصراح لا يجوز على
١٣٩	الرسول يبيع النساء بعد الفتح	٩٢	الأنبياء
١٤١	النقعة للطلقة الحامل	٩٥	الأكل من الأضحية
	ما نزل من القرآن على لسان	٩٦	سفينة نوح
١٤٢	بعض الصحابة	٩٨	نوح وابنه
١٥٠	أسماء يوم القيامة	٩٩	صفة الجلد
	ثلاث نعم وثلاث وصايا في	١٠٠	الشهادة على الزنا
١٥٨	سورة الضحى	١٠٠	نعم قوم صالح
١٦٥	الفرق بين الفقير والمسكين	١٠١	من قصة قاتيل وهاميل
١٦٦	لفظة القرض تحمل معاني كثيرة	١٠٢	من قصة إبراهيم
١٦٨	مدة الرضاع	١٠٤	إبراهيم والنمرود
١٦٩	دقنة ، وردت على أوجه	١٠٦	سكان النار طبقات
١٧٠	دق ، حرف جر : له معان	١٠٦	نعت الأنبياء بالحلم
١٧١	دقاء ، ثلاثة أنواع	١٠٧	الذبيح
١٧١	معناها	١٠٩	لم شاور إبراهيم الذبيح
١٧٣	القنوت له خمسة معان	١١١	فداء إسماعيل
١٧٣	دقنى ، ورد على أوجه		النبي يصعد على الصفا وينادى:
١٧٤	اليهود والمسيح	١١٢	يا صباحاه
١٧٧	المائدة	١١٧	فرعون يأمر هامان ببناء الصرح
١٨٢، ١٨١	فرعون والسحرة وموسى	١١٩	خلق الأرض والسموات
١٨٦	من أخبار يوسف في السجن	١٢٠	فضائل الأيام
١٨٧	يوسف بعد خروجه من السجن	١٢٥	من صفات الرسول
١٨٨ - ١٩٢	من قصة يوسف	١٢٧	من علامات الساعة

١٩٤	النجوس والدحرية	١٩٤	الملك ، سأل ، هم ، البينة ،
٢٠٤	من قصة موسى	٢٠٤	القيامة
٢٠٤	القراءة في ، إن هذين لساحران ،	٢٠٤	أرأيت ، الماعون ، الكافرون
٢١٨	وتوجيه كل قراءة	٢٠٤	ثبت ، الإخلاص ، العلق ،
٢٢١	كلية قس بن ساعدة بمكاف	٢١٨	الناس
٢٢٤، ٢٢٣	موسى والقبلي	٢٢١	الحروف المقطعة في أوائل السور
٢٢٤	قد ، استعمالها ، وصايتها	٢٥٢	من حديث ، المخلفين ،
٢٢٥	سليمان بن دواد ، صفته ، وبعض	٢٥٥	الابدال
٢٢٥	أخباره	٢٥٥	بعض الاصنام التي كان يعبدونها
٢٢٤	موسى والحضر	٢٦٣	العرب
٢٢٤	مر تسمية الفاتحة بالسبع	٢٦٣	بين النبي وعبد الله بن سلام
٢٤٠، ٢٣٩	المثنى	٢٦٦-٢٦٥	من الخلق
٢٤٢-٢٣٩	أسماء الفاتحة الأخرى وسبب	٢٦٧	خلق الإبل
٢٤٢	كل تسمية	٢٦٨	أثر الإبل في خلق الأعراب
٢٤٢	تسمية بعض السور بأسماء :	٢٦٩	وفق الله بالمسافر
٢٤٢	البقرة	٢٧٣	بئر برهوت
٢٤٢	آل عمران ، المائدة ، الأنفال ،	٢٧٣	الأرواح على أحوال مختلفة
٢٤٣	براءة	٢٧٤	والسين ، ، استعمالها
٢٤٤	النحل ، الإسراء ، طه ، الشعراء	٢٧٥	سوف
٢٤٤	النمل ، السجدة ، فاطر ، يس	٢٧٥	سواء
٢٤٤	الزمر ، غافر ، فصلت ، الجنائية ،	٢٧٥	ساء
٢٤٤	محمد	٢٧٧	شبيب - لبيه ، إلى من بعث
٢٤٥	ق ، الرحمن ، المجادلة ، الحشر	٢٨٠	شهادة الكافر والصبي والمرأة
٢٤٥	المتحنة ، الصف ، الطلاق ،	٢٨٢	أسباب النزول
٢٤٥	التحريم	٢٨٤	أشكل آية في القرآن
		٢٨٥	شجرة الزقوم

صنعة	صنعة	الشفع والوتر
٢٢٩	٢٩٠	يوم السبت
٢٣٩	٢٩١	الذي يرفع رأسه قبل الإمام
٢٤٠	٢٩٢	افترقت بنو إسرائيل ثلاث فرق
٢٤٨	٢٩٣	هارون ، ليه ، وعلة تسميته
٢٤٩	٢٩٦	مود ، معناه ، اسمه ونسبه
٢٨٥	٢٩٧	الهدى له سبعة وعشرون وجها
٢٩٠	٣٠٧	الهاء : ضمير يستعمل في الجر
٢٩٣		والنصب
٢٩٤	٣٠٩	وحرف للنية ، والسكت
٢٩٥	٣٠٩	ها : اسم فعل ، وضمير للتوث
٢٩٦	٣٠٩	وحرف تنبيه
٤١٠	٣١٠	هات
٤١٥	٣١٠	هل
٤٢٤	٣١٠	هلم فيه قولان
٤٢٦	٣١٠	هنا : اسم يشار به إلى المكان
معنى الحديث : إذا مات المؤمن		القريب
٤٢٢	٣١٠	هيت
٤٢٢	٣١١	هيات
٤٢٦	٣١١	أول من يساق للحساب
أخذ الاجرة على الشهادة ،	٣١٣	الميراث بالخلف أو التواخاة
٤٢٦	٣٢٢	التصدق من الميراث على القرابة
٥٢٩	٣٢٣	المدل بين النساء
٤٤١	٣٢٥	لما وقع قتل المشبه ببني
٤٤٦	٣٢٦	النصارى أقرب إلى مودة
٤٤٦		المسلمين
٤٤٧ ، ٤٤٦	٣٢٩	
الوحي أقسام		
بيت النحل وهندسته		
الصل شفاء		
في يوم بدر		
اجتماع قريش بدار الندوة		
الماء أصل كل شيء		
هل الوجدانية تثبت بالسمع		
من عجائب النحل		
وجه المشابهة بين المؤمن والنحلة		
في الصل ثلاثة أشياء		
أهل الكهف		
سليمان والنمل		
سليمان والطير		
عدم طاعة الوالدين في الشرك		
معنى الإحسان		
معنى الحديث : إذا مات المؤمن		
أعطى نصف الجنة		
عدد الجنان		
الشهادة فرض كفاية		
أخذ الاجرة على الشهادة ،		
وعلى كتب الموائيق		
قسم الله بالخلق		
أقسام الله بالثين والريثون		
الواو : جارة وناصبة		
الواو غير العاملة		
أنواعها		

صفحة	الوارق	صفحة	تقارق سائر حروف
٤٩٩	قد يوسع الله على الكافر والعاصي	٤٤٦	المعطف في اقترانها بإما، ولكن
٥٠٠	ما نقص مال من صدقة	٤٤٧	أنواع الواو غير العاملة
٥٠٠	الطاعات على ثلاثة أقسام	٤٤٩	ويكان
٥٠١	يس من أسماء الرسول		يعني بن زكريا ، نسيه ،
٥٠٤	من أعظم آيات الرجاء	٤٥٣	وسيبها
٥٠٥	بين السماء والأرض	٤٥٤	يوسف بن يعقوب
٥١١	الله يقبل التوبة	٤٥٥	يونس بن متى
٥١٢	المغفرون توبة على أربعة أقسام	٤٥٧	العبادة والجزاء
٥١٣	اشتد أزيمة تنفرجي	٤٦٠	عقوبة الربا
	الرد على الذين قالوا : الملائكة	٤٦٨	كظم الغيظ
٥١٣	بنات الله	٤٦٩	في يوم بدر
	الشفيع في نزول آية : يستغيثان	٤٧٢	أكرم الله المتفق بخمس كرامات
٥١٥	الله ...	٤٧٢	الصدقة تدفع سبعين بابا من سوء
	عبد الرحمن بن أبي بكر عز	٤٧٣	الكنز
٥١٥	خيار المسلمين	٤٧٤	فتح الله باب التوبة للمنافقين
	النهي عن الاستهزاء بالناس	٤٨٠	يعقوب يخاف على أولاده العين
٥١٦	واحتقارهم		هل تارك الصلاة مستجيب
٥١٦	معنى « القوم »	٤٨٢	لنطقه بالشهادتين ؟
٥١٧	الغنية		الاجسام متساوية في الحد
٥١٨	بواعث الغيبة	٤٨٥	والحقيقة
٥١٨	تشبيه المقتاب بأكل الميتة		سمى الله الإيمان في كتابه
٥١٩	بنو أسد بن خزيمة	٤٩٠	بنو الثلاثين اسماً
٥٢٤	هل يدخل الجن الجنة	٤٩٢	من قصة موسى الإسرائيلي
	التحذير من أن يكون المؤمنون	٤٩٤	أبو بكر يراهن المشركين
٥٣٦	كامل الكتب المتقدمة	٤٩٧	يثرب مدينة الرسول
٥٣٧	الصدق على ثلاث مقامات	٤٩٧	سبب تسميتها بهذا الاسم

صفحة	صفحة
٥٧٦	الظهار
٥٧٦	ما يجوز للظاهر أن يفعله
٥٧٦	من خصائص النبي وخصائص أمته
٥٧٦	مر بعث الرسل من البشر
٥٧٦	في غزوة بني المصطلق
٥٧٦	خروج المطلقة من المسكن الذي
٥٧٦	طلقت فيه
٥٧٦	شدة الهول يوم القيامة
٥٧٦	مشية بني عذوم
٥٧٧	الراجلة والراقة
٥٧٧	قيام الناس يوم القيامة
٥٧٧	النفوس ثلاثة: لوامة، وأمارة،
٥٧٧	ومعلمة
٥٧٧	من سيرة الرسول
٥٧٧	ايوم حنين
٥٧٨	الطام والمقصود والسابق
٥٧٨	المقامات على ثلاثة أسماء
٥٧٨	أقوال كلية عتوية على ألقاظ
٥٧٩	فراية
٥٧٩	من قال : ليس في القرآن مفعول
٥٨٠	ما قرئ بثلاثة أوجه
٥٨٠	قواعد مهمة يحتاج القصر إلى
٥٨٠	معرفة
٥٨٠	قاعدة في الضائر
٥٨١	لا بد للضمير من مرجع
٥٨١	وقد يدل عليه السياق
٥٨١	قد يعود على لفظ المذكور دون
٥٨١	معناه
٥٨١	قد يعود على بعض ما تقدم
٥٨١	وقد يعود على المعنى
٥٨١	قد يعود على لفظ شيء والمراد
٥٨١	به الجنس من ذلك الشيء
٥٨١	قد يذكر شيئين - ويماد الضمير
٥٨١	إلى أحدهما
٥٨١	قد يأتي الضمير ويعود على أحد
٥٨١	المذكورين
٥٨١	قد يجرى الضمير متصلاً بشيء
٥٨١	وهو لغيره
٥٨١	قد يعود الضمير على ملابس ما هو له
٥٨١	قد يعود الضمير على غير مشاهد
٥٨١	محسوس
٥٨١	قاعدة : في هود الضمير
٥٨١	الأصل توافق الضائر في المراجع
٥٨١	قد يخالف بين الضائر جنواً
٥٨١	من التنافر
٥٨١	ضمير الفصل
٥٨١	لا يعمل للضمير الفصل من الإعراب
٥٨١	لضمير الفصل ثلاث فوائد
٥٨١	ضمير الشأن والصفة
٥٨١	خالف القياس من خمسة أوجه
٥٨١	من أمكن الحمل على ضمير الشأن
٥٨١	جمع الماقلات وعود الضمير عليه
٥٨١	بصفة الجمع

صفحة	موضوع	صفحة	موضوع
	قاعدة : إذا اجتمع في الضمائر		قاعدة : إذا اجتمع في الضمائر
	مراعاة اللفظ والمعنى	٥٨٢	مراعاة اللفظ والمعنى
	قاعدة : التذكير والتأنيث	٥٨٤	قاعدة : التذكير والتأنيث
	التأنيث ضربان :	٥٨٤	التأنيث ضربان :
	الحقيق	٥٨٤	الحقيق
	غير الحقيق	٥٨٤	غير الحقيق
	قاعدة : في التعريف والتسكير	٥٨٦	قاعدة : في التعريف والتسكير
	أسباب التسكير	٥٨٦	أسباب التسكير
	أسباب التعريف	٥٨٨	أسباب التعريف
	الحكمة في تسكير أحد ، في :		الحكمة في تسكير أحد ، في :
	قل هو الله أحد	٥٩٠	قل هو الله أحد
	قاعدة أخرى تتعلق بالتعريف		قاعدة أخرى تتعلق بالتعريف
	والتسكير : إذا ذكر الاسم مرتين	٦٩١	والتسكير : إذا ذكر الاسم مرتين
	تحرير هذه القاعدة	٥٩٣	تحرير هذه القاعدة
	قاعدة في الإفراد والجمع	٥٩٥	قاعدة في الإفراد والجمع
	الإفراد والجمع في القرآن	٥٩٩	الإفراد والجمع في القرآن
	الألفاظ المدولة في القرآن	٦٠٠	الألفاظ المدولة في القرآن
	قاعدة في مقابلة الجمع بالجمع	٦٠١	قاعدة في مقابلة الجمع بالجمع
	مقابلة الجمع بالمفرد	٦٠١	مقابلة الجمع بالمفرد
	الفاظ يظن بها الترادف وليست منه	٦٠٢	الفاظ يظن بها الترادف وليست منه
	قاعدة في السؤال والجواب	٦٠٧	قاعدة في السؤال والجواب
	قد يعدل عن الجواب أصلاً	٦١٠	قد يعدل عن الجواب أصلاً
	أصل الجواب ان يعاد فيه نفس		أصل الجواب ان يعاد فيه نفس
	السؤال	٦١٠	السؤال
	قد يحذف السؤال لغة بهم		قد يحذف السؤال لغة بهم
	السامع بتقديره	٦١٠	السامع بتقديره
	الأصل في الجواب أن يكون		الأصل في الجواب أن يكون
٦١١	مشا كلاً للسؤال		مشا كلاً للسؤال
	أصحاب محمد خير الأقوام :		أصحاب محمد خير الأقوام :
	عاسألوه إلا عن اثنتي عشرة		عاسألوه إلا عن اثنتي عشرة
٦١٢	مسألة		مسألة
٦١٣	السؤال إذا كان للتعريف		السؤال إذا كان للتعريف
	قاعدة : في الخطاب بالاسم		قاعدة : في الخطاب بالاسم
٦١٤	والخطاب بالفعل		والخطاب بالفعل
	تفسيات :		تفسيات :
٦١٥	المراد بالتجدد في الماضي والمضارع		المراد بالتجدد في الماضي والمضارع
٦١٦	طريقة العربية تلوين الكلام		طريقة العربية تلوين الكلام
٦١٦	بضمير الفعل فيما ذكر كظهوره		بضمير الفعل فيما ذكر كظهوره
٦١٧	قاعدة : في المصدر		قاعدة : في المصدر
٦١٧	قاعدة : في العطف		قاعدة : في العطف
٦١٩	المراد بالتوهم		المراد بالتوهم
	جواز عطف الخبر على الإنشاء		جواز عطف الخبر على الإنشاء
٦٢٠	وعكسه		وعكسه
	الاختلاف في جواز عطف الاسمية		الاختلاف في جواز عطف الاسمية
٦٢٠	على الفعلية وعكسه		على الفعلية وعكسه
	الاختلاف في جواز العطف		الاختلاف في جواز العطف
٦٢١	على معمول عاملين		على معمول عاملين
	الاختلاف في جواز العطف على		الاختلاف في جواز العطف على
	الضمير المجرور من غير إعادة		الضمير المجرور من غير إعادة
٦٢١	الجار		الجار
	فصل : في أحاديث نبوية		فصل : في أحاديث نبوية
٦٢٢	تفسير آيات قرآنية		تفسير آيات قرآنية

٢ - فهرس معجم الألفاظ القرآنية (*)

صفحة	صفحة	حرف الهزة
٥٥٥ - ١	أجود من	الاب
٥٢٧ - ١	الاجل	أبايل
٥٥٧ - ١	أجلت	أني
٥٧٤ - ١	أحد	أني ، آني
٤١ - ٢	تواخذنا	لم أوت كتابه
٢٨٦ - ٢	أخذ بناصيتها	أوتيت سؤلك
١٧٩ - ٢	أخرام	مانيا
٥١٩ - ١	آدم	أمر
٢٨٢ - ٢٠٩ - ٢	ياذن ربك	أترك
٤٨٤٠ ، ٢٠٩ - ٢٠ ، ٥٥٦ - ١	أذن	أنا
٢٥ - ٢	أذن واعي	أنا
٤٢٨ - ٢٠ ، ٥٥٠ - ١	أذنت لربها	أنا
٢٧ - ٣	فاذنوا بحرب	أنا
٥٦٠ - ١	الاذنوا بحرب	أنا
٤٠٤ - ٢	وأذن في الناس	أنا
٥٢٨ - ١	أذان	أنا
٥٢٩ - ١	إذن الله	أنا
٤٧ - ٢	ياذن أهلين	أنا
١٦١ - ٢	بالمن والآنى	أنا
٥٦٦ - ١	الإربة	أنا

(*) أشرت في المقدمة إلى أن المؤلف لم يوفق في ترتيب الألفاظ التي جعلها تحت عنوان
و ألفاظه المفتركة ، و بهت الدليل على ذلك ، فكان لابد من هذا الفهرس ليبدل على الألفاظ
في أماكنها ، و يسهل البحث عنها .

صفحة		صفحة	
٥٢٩ - ١	أكل	٢٤٨ - ٢	مأرب أخرى
٥١٩ - ٢	بلكم	٥٢٤ - ١	الارائك
٤٢٦ - ٢	ما التنام	١٣٠ - ٢	فأزره
٤٥٢ - ٢	لأيلاف قريش	٥٢٧ - ١	أزري
٥٢٥ - ١	إل	١٧ - ٢	توزهم أزا
٥٦٢ - ١	إلا	٥٤٥ - ١	أزفت
٤٦٢ - ٢	بالمون	٥٤٩ - ١	أصرم
٥٢٥ - ١	أليم	٥٦٢ - ٢	أسفونا
٥٦١ - ١	إلاهلك	٥٢٨ - ١	أسف
٤١٩ - ٢	يأتل	٥٤٣ - ١	أسن
٥٢٨ - ١	آلاء الله	٥٢٨ - ١	أسوة
١٣٤ - ٢	آلاء ربك	٥٢٨ - ١	تأس
١٢٥ - ٢	آلاء ربكما	٥٤ - ٢	فلا تأس
٥٢٧ - ١	أمننا	٥٤٥ - ١	أشمر
١٣٩ - ٢	الامد	٥٢٥ - ٢	مؤصدة
٤٩٢ - ٢	يأترون بك	٥٢٥ - ٢	إضرى
٤٩٦ - ٢	يدبر الامر	٢٨٦ - ٢	أصل المجع
٢٢١ - ٢	في الامر	٥٢٧ - ١	أصيل
٥٢٨ - ٢	الامر بينهن	٥٢٨ - ٢	أف
٥٢٦ - ١	أمرنا	٤٩٥ - ٢	بوفكون
٥٦٩ - ١	اتمروا	٥٢٠ - ٢	بوفك عنه
٥٦٥ - ١	إمرا	٢٦ - ٢	لأفكنا
٥٢٨ - ١	أمن	٥٢٢ - ٢	مؤنك
٥٢٢ - ١	أمنين	٥٠٢ - ٢	مؤنك
٥٢٧ - ١	أم	٥٦٨ - ٢ ، ٥٦٥ ، ٥٢٨ - ١	إفك
٥٥٧ - ١	أم الكتاب	٥٢٤ - ١	أفل
٥٥٤ - ١	أمة		

صفحة		صفحة	أمنى
١٤٥ - ٢	توريه	٥٢٨ - ٥٢٧ - ١	الإمام
٥٢٠ - ١	أيتناه	٥٥٩ - ١	يا مامهم
٥٦٥ - ٢	يامس	٤٢٢ - ٢	أمتها
٥٢٩ - ١	أبكة	٢٨٤ - ٢	هذه أمتكم
٤٠٦ - ٢	الآباني	٢٠١ - ٢	أمن
٥٢٧ - ١	الآيم	٥٢٧ - ١	عومن
٥٢٦ - ١	آية	٤٨٧ - ٢	يعومن لنا
٤٢٨ - ٢	من آية	٢٨٩ - ١	إنانا
٥٠٨ - ٥٠٣ - ٢	يريك آياته	٥٦٠ - ١	أنس
٢٤١ - ٢	بالآيات	٥٢٢ - ١	أنا
٢٨٩ - ١	حارأوا الآيات	٥٤٢ - ١	الانام
		٥٤٥ - ١	يان
	حرف الباء	٥٢٥ - ٢	إناه
		٥٢٨ - ٥٢٥ - ١	آية
١٢ - ٢	تبتس	٦٥٦ - ٢ - ٥٢٩ - ١	آل
٦٢٦ - ١	بانا	٥٢٧ - ١	أوتى به
٥٥٢ - ١	الآبر	٤٩٨ - ٢	ماب
٢٧ - ٢	تبتل	٢١٠ - ٢ - ٢٦٦ - ١	أواب
٦٢٧ - ١	بشي	٢٠٦ - ٢ - ٥٢٥ - ١	لأب
٤٧٢ - ٢	مبثوة	٥٢٨ - ١	غوده
٥٦٢ - ٢	البحر	٤٦٠ - ٢	إلا تاربه
٤٠٤ - ٢	البحران	٢٠٢ - ٢	تأويل
٦٢٤ - ١	بحيرة	٦ - ٢	تأويل الاحاديث
٥٦٢ - ٢ - ٦٢٧ - ١	بجنس	١٢ - ٢	أواه
٥١٦ - ٢	يخل	٥٢٥ - ١	أوى
٦٢٦ - ١	بأدى الراى	٥٢٨ - ١	

صفحة		صفحة	
٥٤٢-١	أبرموا	٦٢٠-١	بذر
٥٢٠-١	إبراهيم	٦٢٢-١	بذاراً
٢٩٨-٢	بُرمهان ربه	٤٢٠-٢، ٦٢٤-١	بذعاً من الرسل
٦٢٢-١	برهانكم	٦٢٢-١	بديع
٦٢٤-١	بازغا	٤٢٢-٢	بديل أمثالكم
٦٢٢-١	بُست الجبال	١٢-٢	تبديل
٦٤٩-٢	وبُسر	٦٢٢-١	بُدن
٦٣١-١	بأسرة	٥٤٢-٢	من البدو
٤٩٩-٢	يبسط الرزق	٤٠-٢	تبدوا
٢٦٩-٢	كباسط كفيه	٦٢٩-١	باد
٦٢٢-١	بيعة	١٥-٢	تبديراً
٤٢-٢	تبسل نفس	٦٢٦-١	براة
٥٥٥-١	أبسلوا	٦٢٠-١	بارئكم
٢٠-٢	تقسم برسدي	٥٦٢-٢، ٦٢٢-١	بروج
٤٦١، ٢١٩-٢	يستبرون	٢٢-٢	تبرجن
٦٢٢-١	بأشروهن	٥١٤-٢	مخرجات
٦٢٨-١	بشير	٦٢٠-١	يردا
٥١٤-٢	بأبشري	٥٦٢-٢	البر
٥٢٩-٢	يصرونهم	٦٢٠-١	برية
٦٢٥-١	بصائر	٢٩٧-٢، ٦٢٨-١	بارزة
١٧٨-٢	بصائر من ربكم	٤٠٨-٢، ٦٢٩-١	برزخ
٦٣١، ٦٢٧-١	بصيرة	٢٦٢-٢، ٥٢٥-١	استبرق
٥١٤-٢	بُصرة	٥٢٤-١	أباريق
٥٠٠-٢	بصرون	٦٢٠-١	برق البصر
٦٢٢-١	بضاعة	١٩-٢	تبارك
٦٢٢-١	بضع سنين	٢٤٦-٢	مباركا
		٤٢٢-٢	ماء مباركا

صفحة		صفحة	
٦٢٢-١	بَكِّيَا	٦٢٩-١	بَلْشَة
١٩٦-٢	هذا البلد	٤٢٨-٢	لَا تَبْطَلُوا
٦٢١-١	البلد الأمين	٦٢٢-١	بَلَانَة
٤٩١-٢	بَيْتِلْسُون	٦٢٠-١	بَلَاتِيَا
٥٢٤-١	ابْلَى	٦٢٨-١	بِشْتَام
١٢٧-٢	بَلَعْتَ الْحَقُومَ	٥٧١-١	اَنْبَعَثَ
١٤٠-٢	بَلْعَنَ أَجْلَهَنَ	٦٢٧-١	بَعَثَ
٢٨-٢	عَلَيْكَ الْبَلَاغُ	٥٦٦-٢	بَعْدَ
٤٢٨-٢	بَلِغْهُمْ مِنَ الْعِلْمِ	٩٨-٢	قَبْلُهَا
١٥٦-٢	اِبْتَلَاهُ رَبُّهُ	٦٢٧-١	بَعِيرَ
٥٥٨-١	اِبْتَلَى	٦٢٧-١	بَعْلًا
١١-٢	بَيْتِلُو	٥٦٢-٢	الْبَلَّ
٥٤٨-٢	بَيْتِلُ السَّرَائِرِ	٦٢٤-١	بَنَتْ
٦٢٠-١	بَلَاءَ	٦٢٩-١	بَنَى عَلَيْهِمَ
٦٢٦-١	بَنَانُ	٢٤٥-٢	مَا كُنَّا كَبِشْخَ
٦٢٢-١	بَيْتِ الَّذِي كَفَرَ	٢٩٢-٢	مَا بَعَثَ
١٨-٢	تَبَيَّنَتْهُمْ	٤٩٢-٢، ٢٧١-٢	مَا يَبْنِي لَهُمَ
٦٢٨-١	بِجْ	٦٢٢-١	بَاغَ
٥٦١-٢	تَبَيَّنَتْهُلَ	٦٢٨-١	بَنِيَّا
٨-٢	تَبَوَّءَ بِأَمْنِي	٢٠٦-٢	مِنْ بَاقِيَةِ
٤٢-٢	تَبَوَّءَ الْمُؤْمِنِينَ	٦٢٧-١	خَيْبَةِ أَفْ
٢٢-٢	تَبَوَّءُوا النَّارَ	٦٢٢-١	بَكَّةَ
٦٢٦-١	يُوْأَنَا	٦٢٢-١	بَكَّرَ
٦٢٦-١	يُوْأَكُمَ	٥٦٢-٢	بَكَّرَ
٦٢٠-١	بَامُوا	٥٦٢-٢	بَكَّرَ

صفحة	صفحة	صفحة	صفحة
٤٧٢-٢	مشربة	١٩٨-٢	سبعة أبواب
٢٩-٢	نواب	٦٢٢-١	بوراً
٥٢٧-١	أنرقام	٤٠٢-٢	هو يسور
٤٢٨-٢، ٢٤-٢	تركنا عليه	٦٢٤-١	يشت
١٢-٢	نركت ملثة قوم	٦٢٩-١	بيت هنيق
٢٧-٢	نصا	٦٢٠-١	البيت المصور
٤٤-٢	إذا تلاها	٤٦٢-٢	من دخل يتي
٤٥٩-٢	يتلون الكتاب	٦٢٤-١	يسع
٢٥٥-٢	ويتلوه شاهد	٥٠٧-٢، ٤٩٨-٢	مين
٢-٢	تلون	٢٨٦-٢	ماجتنا بيته
١٠٢-٢	فالتاليات ذكرها	٦٢٢-١	يشتات
١١-٢	فانعمين	٦٢٥-١	ينكم
٢-٢	تاب	٧٨-٢	من يفتنهم
٢-٢	نواب		
٢٦٧-٢	مسابا		حرف التاء
٦-٢	توراة		
٤٦٢-٢	بنيون	٤٠-٢	تبت
٤٨-٢	واتين	١٢-٢	تتيب
		٥٠٠-٢	تبرنا مام فيه
	حرف التاء	٢٢٧-٢	ليشبروا
٢٠٦-٢	تثبت	٢٩١-٢	وابع أديارم
٤٨-٢، ٥٠-٢	تبات	١٥-٢	تيمما
٤١-٢	تيسورا	١٨-٢	تري
٤٩-٢	تبطم	٢٠-٢	تحتك
		٥٤١-١	أراب

منصة	منصة	منصة	منصة
٢٨٩ - ٢	مشواه	٥٥ - ٢	مُجَابَا
٤٢٢ - ٢	مثنوى المتكبرين	٥٤٢ - ١	أَتَحْتَمُوهُمْ
		١٢ - ٢	مُتَرِيب
	حرف الجيم	٤٩ - ٢	الْمُتَرِي
		٥٥ - ٢	ثاقب
١٩ - ٢	تجنارون	١١ - ٢	تَتَقَنُّهُمْ
٤٨٩ - ٢	يجارون	٤٩ - ٢	تَتَقَنُّوهُمْ
٥٨ - ٢	جُب	٥٢٩ - ٢	يَتَقَفُّوكم
٦٥ - ٢	جِبْت	٤٩ - ٢	تَلَّتْ
٥٤ - ٢	جبارين	٥٢٨ - ٢ ٤٤٧ - ٢	مُتَقَال ذَرَّة
٢١٥ - ٢	مِنَ الْجِبَالِ	٥٥٢ - ١	أَتَقَالَهَا
٥٩ - ٢	لِجِبَالٍ	٢٦٦ - ٢	ثَلَاث
٢٤٧ - ٢	أَجْنِيَّتَانِ	٥١ - ٢	ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ
٥٥٦ - ١	أَجْنِثَتْ	٥٥ - ٢	نَمْر
٥٥ - ٢	جَائِعِينَ	٤٩ - ٢	ثَانِي عَطْفُهُ
٥٦٢ - ٢ ٥٦ - ٢	جَائِيَةً	٤٧٧ - ٢	يَتَنَزَّلُونَ عَلَى رُءُوسِهِمْ
٥٦١ - ٢	جَيْتَا	٢٦٦ - ٢	مَثْنَى
٤٨٥ - ٢	يَجْعُدُونَ	٤١٩ - ٢	مَثَانِي
٥٤٥ - ١	أَجْدَاثُ	٤٥ - ٢	فَأَنَابِكُمْ
٥٧ - ٢	جَدُّ رَبِّنَا	٢٥١ - ٢	مُتَوَّجِبُ الْكُفَّارِ
٥٩ - ٢	جُسُودُ	٢٦٤ - ٢	كُثَابَةٌ
٦١ - ٢	جُدَارًا	٢٦٣ - ٢	مُتَوَّجِبَةٌ
٥٦ - ٢	جَدَلًا	٢٤٩ - ٢	ثَاوِيًا
٥٩ - ٢	جَذَاذًا	٢٥١ - ٢	مُتَوَّكِّمٌ

صفحة		صفحة	
٥٠٩ - ٢	يوم الجمع	٢٨٨ - ٢	مخدود
٦١ - ٢	جماليات صفر	٦١ - ٢	مذوة
٥٨ - ٢	جا	٥٤ - ٢	جر حتم
١١٥ - ٢	في جنب الله	٥٤ - ٢	حوارح
٥٨ - ٢	جنباً	٥٩ - ٢	جرز
٥٥ - ٢	جنحوا للسم	٤٨٢ - ٢	يتجرع
٥٥ - ٢	جناحك	٥٨ - ٢	جرف
٥٤ - ٢	جذفا	٥٦٤ - ١	إجراي
٤٩٠ - ٢	متجاف	٢٩ - ٢	تجري بأهينا
٥٥ - ٢	جن	١٢١ - ٢	فالجاريات يسرا
٤٠٢، ٢٧٦ - ٢	من جنة	٢ - ٢	تجزي
٦٢ - ٢	جنة	٦٠ - ٢	جزيّة
٦٠ - ٢	جنة	٢٥٢ - ٢	ما جملناهم جـدا
٤٦١ - ٢	مجنون	٢٨٢ - ٢	تجسوا
٥٧ - ٢	جنح الجنين	٥٥ - ٢	جعل الله سكنا
٥١ - ٢	جنتيا	٦١ - ٢	حفان
٤٢٦ - ٢	جاهدوا فينا	٢٢ - ٢	تجافى جنوبهم
٣٨٩ - ٢	من جاهد	٥٩ - ٢	جفاء
٥٨ - ٢	جـردم	٥٢٦ - ١	أجلب
١٧ - ٢	تجهر	٥٦ - ٢	جلابيب
٥٥ - ٢	جـتزم	٤٤٠ - ٢	إذا جلا ما
٥٧ - ٢	جاؤوا الصخر	٩ - ٢	تجلى
٢١٥ - ٢	يستجيب	٩٠ - ٢	فأجمعوا كيدكم
٥٦ - ٢	جواب	٢١٥ - ٢	جمع البحرين
٥٨ - ٢	جودى	٤١٩ - ٢	وأكثر جـدا
٥٦ - ٢	الجوار	٢٧٨ - ٢	التقى الجمعان

صفحة		صفحة	
٧٤-٢	حدود الله	٥٥-٢	جاسوا
٢٥١-٢	بالسنة حداد	٧٧-٢	فأجاءها
٧٠-٢	حدائق ذات بهجة	٦١-٢	جدها
٧٠-٢	حاذرون		
٢٤٠-٢	عذورا		حرف الحاء
٥٢٨-٢	عرباب	٤٨٢-٢	يستحبون الحياة الدنيا
٢٩-٢	تحرثون	٢٤٨-٢	حبة منى
٤٢٤-٧١-٢	تحرث الآخرة	٧٢-٢	حب الحصيد
٦٧-٢	تحرث	٦٥-٢	حبطت
٢٢١-٢	تخرج	٧٤-٢	حبك
٧٢-٢	تحرث	٧٢-٢	حبيل الوريد
٢٢-٢	تحرير رقة	٦٤-٢	حبيل
٥١-٢	تحرور	٦٧-٢	حنينا
٤٨٥-٢	تحرورا	٦٢-٢	حج البيت
٢٢٦-٢	تحرثا	٢٨-٢	حاجوك
٦٨-٢	تحرثا	٥١٠-٢	يحايجون
٦٨-٢	حرض	٤٠٨-٢-٧٧-٢	سجرا محجورا
٢٥٦-٢	على حرف	٢٦٥-٢	محجورا
٥٠١-٢	متحرثا	٧١-٢	حناجر
٥٩١-٢	تحرثه	٦٩-٢	تحدب
٧٤-٢	حدم	٥٥١-٢	تحدث أخبارها
٥٢١-١	المهرم	٥٢٨-٢	يحدث بعد ذلك
٤٠٢-٢	حرام على قرية	٥١١-٢-٢٥٢-٢	محدث
٤٤٢-٢	محرومون	٥٢٧-١	أحاديث
٤٢٢-٢	المحروم	٥٥١-٢	يحادد الله
٢٧-٢	تحرروا	٧٢-٢	حاد الله

منحة	منحة	منحة
٦٥ - ٢	٧٨ - ٢٠٥٤٠ - ١	الاحزاب
٥٥٥ - ١	٥٢٩ - ٢	يحبون كل مبيحة
١٦٥ - ٢	١٦ - ٢	نحبهم
٦٤ - ٢	٦٥ - ٢	حيثا الله
٦٨ - ٢	٦٥٠ - ٢	نظاء حبابا
٤٤٢ - ٢	٦٥ - ٢	حسبنا
٤٨٨ - ٢	٥٦٢ - ٢ ، ٧٤ - ٢	حسبانا
٤٢ - ٢	٤٠٠ - ٢	يتحصرون
٥٢٦ - ٢	٥٦٢ - ٢ ، ٦٦ - ٢	حرة
٥٥٢ - ٢	١٢ - ٢	حبر
٧١ - ٢	٢٢٨ - ٢	محسورا
٧٥ - ٢	٥٢٢ - ١	أحسن
٧٥ - ٢	٦٥ - ٢	فحصتسوا
٥٢٦ - ٢	١٢ - ٢	تحسروا
٥٦٦ - ٢	٧ - ٢	تحسبونهم
٢٢٨ - ٢	٧٠ - ٢	حسبها
٦٢ - ٢	٧٥ - ٢	حسوما
٦٨ - ٢	٧٣ - ٢	أحسنوا الحسنى
١٢ - ٢	٤٠١ - ٢	الحسنى
٤٠١ - ٢	٥٠٢ - ٢	أحسنه
٢٠٦ - ٢	٤٢٦ - ٢	مع الحسنين
٦٩ - ٢	١٥٠ - ٢	لحسن قنادى
٧١ - ٢	٦٦ - ٢	شراهم
١٢٩ - ٢	٦٨ - ٢	حاصبا
٦٧ - ٢	٦٩ - ٢	حسب جهنم
٥٤٩ - ١	٦٩ - ٢	حصيدا
		حصرت صدورهم
		أحصرتهم
		أحصروا
		حصورا
		حصص
		حصل
		حصنا
		تحصنون
		محتضن
		يخض
		حطة
		حطية
		حطاما
		محتظر
		المحتظر
		محظورا
		حظ
		حفدة
		حافرة
		حافظين
		حفيظ
		حقة ناهما
		حافدين
		فب حفيظكم
		حفيظها
		أحبابا

معدة	معدة	أحفاف
٧٧-٢	٥٤٢-١	حق عليهم
٦٢-٢	٧٠-٢	يحق القول
٥٦٩-٢	٥٠٢-٢	حقيق
٤٥٠-٢	٦٧-٢	حق اليقين
٦٩-٢	٧٢-٢	بشرناك بالحق
٥٥٤-٢	١٩٩-٢	حافّة
٧٤-٢	٧٢-٢	حكمة
٥٦٩-١	٧٧-٢	فمكنت
٥٥٥-٢	١٢١-٢	محلّفين
٥٤٨-٢	٥٢٢-٢	حلائل
٢٢-٢	٦٥-٢	محلّ
٧٥-٢	٤٣١-٢	حلّ
٤٧٠-٢	٧٦-٢	فعلها
٥٤٢-٢	٢٥٨-٢	حلية تلبسوها
٧٧-٢	٢٤١-٢	أبتغاء حلية
٦٦-٢	٢٧٠-٢	حمة
٦٨٥-٢	٦٩-٢	حما منون
٧٢-٢	٦٨-٢	حد
٤٢٢-٢	٦٢-٢	حصلوا التوراة
٦٦-٢	٤٥٢-٢	حصوله
٥٠١-٢	٦٦-٢	والحاملات
٤٢٤-٢	١٢١-٢	حمالة الخطب
٢٦٩-٢	٧٢-٢	حيم
٢٦٤-٢	١٢٠-٢	من يغموم
٤٢٩-٢	١٩١-٢	حيضة الجامعة
٢٥٦-٢	٧٢-٢	

صفحة	صفحة	صفحة	صفحة
٨٧-٢	خُرْج من السماء	١٢٢-٢، ٦٥-٢	حاق بهم
١٢-٢	تخرصون	٥٠١-٢	يخفي
٢١٨-٢	الخراصون	٤١٢، ٧٥-٢	حين
٢٥٦-٢	الخرطوم	٧١-٢	فأحيا به الأرض
٨٤-٢	خرقوا له	٧١-٢	حيوان
١٥-٢	تخرق الأرض	٤٢٥-٢	عالم يخبى لك
٥٠١-٢	خزي الكافرين	حرف الحاء المعجمة	
٢٠٠-٢	الخزي	٨٦-٢	خبه
٩٠-٢	خزي	٥٢٤-١	أخبت
٥٦٥-١	أخسثوا	٤٤-٢	تخبت له
٨٩-٢	خاسثا	٥١٢-٢	المخبثين
٨٢-٢	خسروا أنفسهم	٨٥-٢	الحبيثات للخبثين
٤٦-٢	تخسروا الميزان	٢٧٩، ٨٢-٢	إلا خبالا
٥٩١-٢	بالأخيرين أعمالا	٨٤-٢	خبت
٥١٤-٢	مخسرين	٨٦-٢	خثار
٨٨-٢	خسف القمر	٨٢-٢	ختم الله
٨٩-٢	خشب مسندة	٥١٠-٢	يختم على قلبك
٨٢-٢	خاشدين	٩٢-٢	خاتمه منك
٨٨-٢	خصاصة	٩٠-٢	أخذان
٢٥-٢	تختصمون	٢٢٨-٢	مخلولا
٥٠١-٢	يختصمون	٥٢٩-٢	يخربون بيوتهم
٨٢-٢	خصم	٤١-٢	يخرج الحمى
٢٠٧-٢	خصمون	٨٥-٢	خرجا
٢٧٢-٢، ٤٤٢-٢	مخضود	٤٥٦-٢	له مخرجا
٥١٢-٢	مخضرة	٤٩٢-٢	مخرج الميت
٨٢-٢	أخطاتم	٢٢-٢	فإن خرجن

منحة		منحة	
٥٢٨ - ٢	مستخلفين	٩٠ - ٢	خطب
١٥٢ - ٢	المخلفون من الأعراب	١١٤ - ٢	فصل الخطاب
٨٧ - ٢	خشاف	٤٣٤ - ٢١٦ - ٢	ما خطبكم
٩٠ - ٢	خلاف	٨٤ - ٢	خطبكن
١٩٩ - ٢	خلافك	٩٠ - ٢	خطبة
٢١٧ - ٢	مختلفا ألوانه	٨٧ - ٢	خطف الخطمة
٩٢ - ٢	خلفة	٤٨٧ - ٢	يتخافون
٨٤ - ٢	مختلف الأرض	٤٢ - ٢	تخافت بها
٨٤ - ٢	خالفين	٨٧ - ٢	حافصة رافعة
٨٢ - ٢	خَلَّاق	٤٩٥ - ٢	يستخفونك
٦ - ٢	مخلق من الطين	٥٥٦ - ١	أخفيرا
٢٢ - ٢	مخلفون إفاكا	٩٠ - ٢	خفية
٨٦ - ٢	مخلق الأولين	٢٠٥ - ٢	مستخف بالبين
٥١٢ - ٢	مخلقة	٨٢ - ٢	مخلدون
٨٢ - ٢	لاخلاق	٥٢٤ - ١	أخلد
٨٩ - ٢	مخله	٥٢٧ - ٢	مخلدون
٨٢ - ٢	مخليل	٨٤ - ٢	مخلصوا نجيا
٤٩٥ - ٢	من خلاله	٤٨٢ - ٢	مخلصون
٩٢ - ٢	مخلال الديار	٥٠٦ - ٢	مخلصين
٤٨٠ - ٢	يَخْلُلُ لكم	٤٥٩ - ٢	عند الله خالصة
٢٠٧ - ٢	قد خلت النذر	٤٥٩ - ٢	خالصة
٢٩ - ٢	تخلت	٨٩ - ٢	مخلطاه
٨٩ - ٢	مخرمن	٤٩٤ - ٢	مختلفا آكله
٢٧٠ - ٢	مخمصة	٤٢٨ - ٢	يمخفون
٨٧ - ٢	مخبط	٢٨٧ - ٢	أن أخالفكم
٩٠ - ٢	المخبتين	٨٢ - ٢	مخلفتموني

منحة	منحة	منحة	منحة
٩٩-٢	دحورا	٤٩٠-٢	منخنة
٣٢٨-٢	مدحورا	٨٩-٢	خوار
٥١٧-٢	مدحزين	٤٦٥-٢	ينغوضون
٥٦٢-٢	المدحزين	١٤-٢	تخوف
٩٧-٢	داحنة	٨٧-٢	خوله
٩٨-٢	دحاما	٨٣-٢	خولناكم
٩٧-٢	داخرون	٨٣-٢	خائنة الاعين
١٧٩-٢	أو مدخلا	٢٤٦-٢	مخاض
٩٧-٢	دخلا بينكم	٨٣-٢	خاوية
١٠٠-٢	دخان	٨٣-٢	خائبين
٥٥٨-١	ادارآتم	٨٢-٢ ٥٤١-١	خير
١١-٢	قادرآتم	٤٢٣-٢	متاع للخير
٥٦٠-١	ادرءوا	٢٨٤-٢	الحيرة
٩٥-٢	درجات عند الله	٨٢-٢	الحيط الايض
٥٢٩-٢	مدرارا	٤٨٦-٢	ينخل إليه
٩٩-٢	درى	٥-٢	تختاتون انفسكم
٥١٩-١	إدريس	٤٨٨-٢	محتالا
٥٧٠-٢	ما أدراك		
٥٧٠-٢	وما يدريك		حرف الدال
٥٦١-١	اداركوا	٩٥-٢	داب آل فرعون
٥١٤-٢	مدركون	٩٧-٢	دأبا
٩٧-٢	دركا	٩٥-٢	دابة
١٠١-٢	دسر	٥١٥-٢	يتدبرون القرآن
٤٨٥-٢	يدسه في التراب	٥١٦-٢	مدبرين
٩٨-٢ ٨٩-٢	دناها	٥٤٤-١	أدبار السجود
٥٥٢-٢	بدع اليقيم	٩٥-٢	داب القوم
٤٢٠-٢	وادع إلى ربك	١٤٩-٢	فالمديرات أمرا

ما تدعون من دون الله	٢٤٦-٢	وله الدين	٢٤٣-٢
فما كان دعواهم	٦٢-٢	دين الملك	٢٩٢-٢
يوم يدعوكم	٤٨٦-٢	حرف الذال المعجمة	
لولا دعاؤكم	٢٦٧-٢		
أدعياكم	٥٢٩-١	ذات الصدور	١٠٥-٢
دفع	١٠٢-٢	ذبح عظيم	١٠٩-٢
أو ادفعوا	٢١٩-٢	ذراكم	١٠٦-٢
ماء دافق	٤٧٢-٢	يذروكم فيه	٥٠٩-٢
دكت الأرض	١٠٢-٢	مثقال ذرة	٤٧٧-٢
مذكر	٥٢٢-٢	إلا ذرية	٢٨٢-٢
دكا	٩٦-٢	ذرعها	١٠٦-٢
دلوك الشمس	٩٩-٢	نفروكم الرياح	١٦-٢
أدلى	٥٢٥-١	مذعنين	٥١٢-٢
دلاهما بفرور	٩٦-٢	أذنان حركي	٥٤٠-١
دمدم عليهم	١٥٧-٢٠٩٨-٢	فاذكروني أذكركم	١٤-٢
بدنعه	٤٨٨-٢	فاذكروا الله كذكركم	٢٧-٢
أدنى	٩٧-٢	وانزلنا إليك الذكر	٢٤٢-٢
دهاقا	١٠٢-٢	أهل الذكر	٧٠-٢
مدحامتان	٤٢٧-٢	ذكر	١٠٨-٢
تدهن	٤٧-٢	لذكر الله	٥٢٥-٢
دهان	١٠٢-٢	ذكرى لهم	١٠٨-٢
مذهنون	٥٢٧-٢	تذكرة	٢٨٠٢٠-٢
دائرة السوء	٩٦-٢	ذكيم	١٠٥-٢
دار الفاسقين	٢٢-٢	ذلة	١٠٨-٢
ديارا	٩٧-٢	ذلا	١٠٦-٢
دولة	١٠١-٢	ذلول	١٠٥-٢
دين	١٠٢-٢		

صفحة	صفحة		صفحة
١١٨-٢	رب	٢٧٢-٢	مذموما مدحورا
٥٢٦-١	أربى	١٠٩-٢	ذمة
١١٩-٢	ربوة	١٠٦-٢	ذنوب
٢٩١-٢	من ربا ليربو	٢٠١-٢	قال : اذهب
١٢٦-٢	ربا	١٩١-٢	لنذهب
٥٦٨-٢	فرع	٢١-٢	تذودان
١١٨-٢	رتق	٧٥-٢	فاذاقها الله
١٢٢-٢	رتل القرآن	٢٢٤-٣٠٢٣-١	أذاخوا به
١٢٦-٢	رجعت الارض		
١٢٧-٢	رجز		حرف الراء
٥٦٢-٢	والرجز	١١٢-٢	رءوف
٩٥-٢	الرجس من الارثان	٤٨١-٢	يربكم البرق
٢٦٠-٢	ذات الرجع	٤٧٧-٢	خيلا يره
١٢٦-٢	رجعى	٥٥٧-٢	براءون
٢٧-٢	ترجف الارض	٢٤١-٢	ما جعلنا الرقيا
١٣١-٢	ترجف الراجفة	١٢٨-٢	ربيا
٤٤٦-٢	الراجفة	١١٥-٢	ربكم
١١٧-٢	رجفة	١١٦-٢	ربائبكم
١١٨-٢	رجلك	١٢٧-٢	ربيمون
٥٦٢-٢	فرجناك	١١٤-٢	ربانيين
٢٦٩-٢	مرجومين	٥-٢	تربص أرامه أشهر
٥٦٢-٢ + ١٢٤-٢	رجها بالغيب	٢٤٩-٢	وليربط على قلوبكم
٤٥-٢	ترجى من نشاء	١١٤-٢	راطلوا
٢٢٦ + ٢١-٢	لا ترجون لله وقارا	٢٦٦-٢	رباع
٥٠٢-٢	مرجون	٤٩٥-٢	يربو
٤٤٧-١	أرجائها	١١٧-٢	رايا

صفحة	صفحة		صفحة
١٢٠ - ٢	رس	١١٧ - ٢	رجبت
١١٢ - ٢	رسول	١٢٢ - ٢	رحيق
٥١٢ - ٢	مرسلين	١١٢ - ٢	الرحمن
٢٦٤ - ٢	رواسي وأنهارا	٤٧٤ - ٢	مرحة
٥٠٢ - ٢	ومرسلها	٤٤٠ - ٢	بالمرحة
٢١٨ - ٢	قدور راسيات	١١٢ - ٢	رحيم
٤١ - ٢	آلستم منهم وشدا	١٢٢ - ٢	رحماء بينهم
٥٤٩ - ٢	مرصاد	١٢٩ - ٢	رحم
١٤٦ - ٢	شهابا رسدا	١٢٥ - ٢	رخاء
٢٧٩ - ٢	مرصد	١٢٨ - ٢	ردءا
٥٦٢ - ١	إرصادا	٥٩٠ - ٢	نرد على أعقابنا
٤٥٢ - ٢ ، ٦٢٢ - ١	مرصوص	٤٧ - ٢	فردوه إلى الله
٢٧٦ - ٢	مراضع	٢٤٧ - ٢	مردا
٢٦٧ - ٢	ويصبح الرعد	٢٦٧ - ٢	فلا مرد له
١١٧ - ٢	رهدا	٥٦٥ - ١	ارتدا على آثارها
١٢٨ - ٢	رعاء	١٢٠ - ٢	ردف لكم
٤١٨ - ٢	مارعوها حق رعايتها	٥٤٦ - ٢	الرادفة
١١٢ - ٢	راعيا	٢٩ - ٢	تردى
١١٢ - ٢	رغدا	١٧ - ٢	تردى
٤٩٠ - ٠	مراغما	٨٢ - ٢	قتردى
٢٦ - ٢ ، ١١٢ - ٢	رفت	٥٤٢ - ١	أردا كم
١٢٨ - ٢	رفد	٤٩١ - ٢	متردية
٥٠٩ - ٢	مرتفقا	٥٣٦ - ١	أرذل العمر
٥٦٤ - ١	ارتقبوا	٥٢٥ - ١	الأراذل
٤٩٢ - ٢	يرقب	٥١٠ - ٢	يرزق من يشاء
٥٢٢ - ٢	مرتقبون	١١٢ - ٢	راسخون في العلم

صفحة	صفحة	وفي الرقاب
٤٧٦-٢	برهن	١٦٥-٢
١١-٢	ترهفهم	١١٥-٢
٢٨-٢	ترهفها	٤٠٩-٢
٢٥٨-٣	سأرهقه	١٢١-٢
١٤٥-٢	رهما	٤٧٠-٢
١٢١-٢	رهنوا	١١٨-٢
١٤-٢	ترهيمون	١١٣-٢
١٢١-٢	روح وريحان	١٢١-٢
٩٢-٢	من روحنا	١٢٣-٢
١٢٩-٢	رؤيد	١٢٨-٢
١١٧-٢	رؤع	٤٩٤-٢
١٢٨-٢	ربيع	١٢٠-٢
١٢٠-٢	راغ إلى آلتهم	١٢١-٢
٥-٢	رتابوا	١٢٨-٢
٥١٩-٢	يرتابوا	٥٣٣-١
٥٠٣-٢، ١١٢-٢	رئيب	٥٥٧-١
٥٦٨-٢	رب المنون	٤٨٨-٢
١٢٧-٢	ريشا	٤٧١-٢
١٢٢-٢	ران على قلوبهم	٢٥٥-٢
		١٣٤-٢
		١٢-٢
		١٢٣-٢
		١٤٤-٢
		١٢٠-٢
		٤٢-٢
		٥٦١-١
١٤٥-٢	زُبر الحديد	
٤٠٢-٢، ١٤١-٢	زبور	
١٤٤-٢	زبانية	
١٦٣-٢	فازاجرات زجرا	

حرف الزاى

صفحة	مادة	صفحة	مادة
٥٢٩ - ١	أزل	١٤٣ - ٢	زجرة واحدة
١٤٢ - ٢	زلا	٥٥٧ - ١	ازدجر
٥٢٢ - ١	الازلام	٥٢٣ ، ٤٢٨ - ٢	ما فيه مزدجر
١٤٦ - ٢	زمرأ	٥٠٤ - ٢	مُزْجَاة
٥٢٢ - ٢	مزمل	١٤٥ - ٢	زُخْرَج عن النار
١٤٢ - ٢	زيم	٤٨٢ - ٢	مزحرج
٥٢٩ - ٢	من الزاهدين	١٤١ - ٢	زخا
١٤٢ - ٢	زهرة الحياة	١٤٥ - ٢	زخرف
١٤٢ - ٢	زهق الباطل	١٤٤ - ٢	زراي
١١ - ٢	زهق أنفسهم	٢٠ - ٢	تزوعونه
٥٩٣ - ٢	زوجت	١٢ - ٢	نزدرى
١٤٢ - ٢	زوجنام	٢٥٧ - ٢ ، ١٤٢ - ٢	زعم
١٤٢ - ٢	الأزواج كلها	٢٩٩ - ٢	بزعمهم
٢٦١ - ٢	زوجين اثنين	١٤٢ - ٢	زفير
١٦ - ٢	تزاور	٥٠٣ - ٢	يزفون
٥٦٢ - ٢	زورا	٥٤٩ - ٢	يزكى
٥٦٢ - ٢	الزور	٥٢٢ - ٢	ويزكهم
٥٠١ - ٢	يزيد في الخلق	٢٩ - ٢	تزكى
٤٢٢ - ٢	مزيد	٥٦٣ - ٢ ، ١٤١ - ٢	زكاة
٤٢٨ - ٢	ما زاغ البصر	١١٢ - ٢	زاكية
٥٦٢ - ٢	زاغت الابصار	٥٢٨ - ١	أزلفنا
٢٨٠ - ٢	ما كاد يزيغ	١٤٤ - ٢	رأوه زلفة
١١ - ٢	تزيغ	١٤٥ - ٢	زلفا من الليل
١٤١ - ٢	زيغ	١٤٥ - ٢	زلفى
١٤٢ - ٢	زيفلنا بينهم	٥٥٦ - ٢	يزلقونك
٢٧ - ٢	تزيلوا	٢ - ٢	فازلها

صفحة	السايقون الاولون	صفحة	من زين له
٢٥٢ - ٢	السايقون الاولون	٤٠٢ - ٢	زينه الله
١٤٩ - ٢	قالبات سقا	١٤٦ - ٢	
٢٥٨ - ٢	لسيلا		
١٦٥ - ٢	وفي سيل الله		حرف الدين
٤٦٤ - ٢	الى ربه سيلا	٥٢٢ - ٢	يساله
٢٢٥ - ٢	سجدا	٢٦٢ - ٢٠٤ - ٢	سؤلك
٤٨٥ - ٢	سجدا لله	٢٢٩ - ٢	مسئولا
٤٦٤ - ٢	مساجد	٢٥٧ - ٢	لا يسامون
٢٦٤ - ٢	سجرت	٥ - ٢	تساموا
٤٢٥ - ٢	مسجورا	٢٥١ - ٢	سبا
٢٧١ - ٢	سجل	١١٤ - ٢	في الاسباب
٢٧٠ - ٢	سجيل	٥٢٠ - ١	اسباب
٢٧٢ - ٢	سجين	٢٥٧ - ٢	سبب
٢٦٠ - ٢	سجى	٢٤٧ - ٧٧ - ٢٠٥٤٢ - ٢	سبا
٩٠ - ٢	فيسختمكم	٤٦٦ - ٢	لا يستنون
٢٦١ - ٢	سخت	٢٦٤ - ٢	سبانا
٤٤ - ٢	نسخرون	٢٥٨ - ٢	سبعاء طويلا
١٩٨ - ٢	مسخرون	٤٨١ - ٢	يسبح الرعد
٥١٤ - ٢	مسخرين	٤٠٩٠٢٧٦٠٢١ - ٢	سبحان
٢٤٠ - ٢	مسخورا	٢٢٧ - ٢	أكل السبع
٢٦٢ - ٢	سقا	٢٥٢ - ٢	سايقات
٢٥٠ - ٢	سحق	٢١٢ - ٢	ما سبقكم
٥١٦ - ٢	لا يسخر قوم	٤٢٥ - ١	استبقا الباب
٤٧١ - ٢	يسخرون	٤٥٠ - ٢	لا يسبقونه بالقول
٥٠٢ - ٢	يسخرون	٥٦٩ - ٢	نسبق
٥٦٤ - ٢٧١ - ٢	سخريا	٤٢٢ - ٢	يسبقون

صفحة		صفحة	
٢٢٦ — ٢	سعبرا	٢٧٢ — ٢	سدر مخضود
٥٦٤ — ٢٦٢ — ٢	سعر	٢٦٢ — ٢	سندس
٢٢٨ — ٢	سعى	٢٦٢ — ٢	سُدى
٢٠٩ — ٢	ما سعى	٢٥١ — ٢	سراب
٤٦٨ — ٢	جاءك يسمى	٢٢٤ — ٢	سرايلهم من قطران
٥٢٥ — ٢	يسمى بين ايديهم	٢٤٧ — ٢	سرايل تقيكم
١٧ — ٢	تسمى	٢٢٢ — ٢٠٢٠٥ — ٢	سارب
٥٦٩ — ١	اسموا	١٤ — ٢	سرحون
٤٧٢ — ٢	مسفة	٢٦١ — ٢	سرادقها
٤٨٨ — ٢	مساغات	٢٦٢ — ٢	واسرؤوه بضاعة
٢٧٢ — ٢	مسفوحا	٥٤٠ — ١	اسرؤوا
٥٤٨ — ١	أسفر	٢٦٩ — ٢	سروا
٢٥٩ — ٢	سفرة	٢٥٩ — ٢	سرائر
٥٢٥ — ١	أسفار	٢٢٦ — ٢	سارعوا
٥٢٥ — ٢	مسفرة	٢١٩ — ٢	الذين يسارعون
٥٨٦ — ٢	نسفعا بالناسية	٢٧٧ — ٢	سريع الحساب
٢ — ٢	نسفكون	٥٦٠ — ١	إسرافنا
٢٠٦ — ٢	نصفه نفسه	١٥١ — ٢	سرمدا
٥٤١ — ٢	سفينا	٥٢٥ — ١	أسرى
٢٢٦ — ٢	سيقول السفهاء	٢٤٧ — ٢	سريا
٢٦١ — ٢	سقط في ايديهم	٢٦٥ — ٢	سطحت
٢٥٥ — ٢	سقف مرفوع	٥٢٩ — ٢	يسطرون
١٠٢ — ٢	إلى سقيم	٢٩٦ — ٢	مسطورا
٥٢٦ — ١	أسقينا كوه	٥٢٢ — ١	أساطير
١٧٠ — ٢	سقاية	٤٨٩ — ٢	يسطون
٤٤٢ — ٢	ماء مكروب	٢٦٤ — ٢	سمرت

صفحة		صفحة	
٢٢١ - ٢	تسليها	٢٢٠ - ٢	سكت عن موسى الغضب
٥١٧ - ٢	مستقبلون	٢٦١ - ٢	سكرت أبصارنا
٤١٧ - ٢	مسلين	٢٥٢ - ٢	سكرة الموت
٢٦١ - ٢	سلا	٢٢٧ - ٢	اسكن
٢٢٩ - ٢	سلم	٢٦١ - ٢	ما استكانوا
٢٥٢ - ٢	سلا لرجل	٥٢٨ - ٢	مسكين
١٢٢ - ٢	فقالوا سلاما	٥٥ - ٢	جعل الليل سكنا
١٢٧ - ٢	فلام لك	٢٦٢ - ٢	مسكنة
٢٢٧ - ٢	سلام	٥٦٤ - ٢٢٧ - ٢	مكينة
٢٦٨ - ٢	بقلب سليم	٤٠٥ - ٢	يسلمهم الذباب
٢٢٥ - ٢	سكوى	٥٦١ - ١	السلخ منها
٢٥٥ - ٢	سامدون	٥٨٠ - ٢	نسلخ منه النهار
٢٥٠ - ٢	سامرا	٥٢٩ - ٢	يسلط رسله
٢٩٠ - ٢	إلا أسماء	٢٦٠ - ٢	ينزل به سلطانا
٢٢٢ - ٢	السماء الدنيا	٥٢٤ - ١	أسلفت
٢٤٧ - ٢	سميا	٢٢٦ - ٢	سلف
٢٨ - ٢	تسليم	٢٥١ - ٢	سلقوكم
٢٦٩ - ٢	سبن	٢٥٠ - ٢	سلك لكم
٤٦٠ - ٢	يتسبته	١١٤ - ٢	فسلكه بنابيع
٢٥١ - ٢	سنا برقه	٤٦٥ - ٢	سللكم في سفر
٢٧١ - ٢	سنا	٢٥٨ - ٢	
١٥٠ - ٢	بالساهرة	٤٩١ - ٢	يتسلطون
٢٥٩ - ٢	ساهرة	٢٦٢ - ٢	سلالة من طين
١١٢ - ٢	سام صبايح المنفدين	٢٢٧ - ٢	أسلم
٢٧٠ - ٢	سوء	٥٢١ - ١	أسلت وجهي
٥٤٥ - ٢	من غير سوء	٢٩٢ - ٢	من يسلم وجهه

صفحة	صفحة	صفحة	صفحة
٦٣٩ - ٢	على سواء	٢٦١ - ٢	سوء الحساب
٢٥٥ - ٢	سائحات	٢٦١ - ٢	سوء الدار
٢٥٢ - ١١٢ - ٢	نزل بساحتهم	٢٢٩ - ٢	سوء أخيه
٢٦٩ - ٢	سيروا	٢٢٢ - ٢	سيداها
٤٨٠ - ٢٢١ - ٢	سيارة	٢٤ - ٢	تسوروا
٥٤٠ - ١	أسلنا	٢٦٢ - ٢	سور
		٥٢٧ - ١	أساور
	حرف الشين المعجمة	١٥٦ - ٢	سوط عذاب
٥٦٨ - ١	اشمازت	٢٦٢ - ٢	سواع
٤٧٤ - ٤٤١ - ٢	المشاة	٢٤٦ - ٢	سائنا للشارين
٤ - ٢	تشابهت قلوبهم	٢٥٧ - ٢	ساق
٤٩٢ - ٢	مشتبها وغير متشابه	٥٤٥ - ٢	المساق
٤٨٣ - ٢	متشابهها	٢٦٢ - ٢	سوق
٤٨٩ - ٢	متشابهات	٢٥٤ - ٢	سائق وشيد
٥٥١ - ٢ ، ٥٢٧ - ١	أشتاتا	٤٣ - ٢	تسيمون
٢٦٠ - ٢	سميكم لشي	٢٧١ - ٢	يسومونكم
٢٨٦ - ٢	شنى	٤٨٤ - ٢	مسومة
٢٨٢ - ٢	شجر بينهم	٤٨٥ - ٢	مسومين
٢٤١ - ٢	ومنه شجر	١٥٥ - ٢	فسوى
٢٨٥ - ٢	شجرة مأمونة	١٥٧ ، ١٥٠ - ٢ ، ٩٩ - ٢	فسواما
٥٤٠ - ٠	أشعة	٢٤٧ - ٢	ساوى بين الصديقين
٤٥٦ - ٢	شع نفسه	٢٥٠ - ٢	مكانا سوى
٢٢٥ - ٢	الشح	٢٤٨ - ٢	سويا
٢٧٠ - ٢	مشحون	٢٢٥ - ٢	سواء السيل
٢٨٦ - ٢	شاخصة	٢٥٢ - ٢	سواء الطريق

صفحة	صفحة	صفحة	صفحة
٢٩٤ - ٣	شعوب	٢٢٢ - ٣	سبع شداد
٢٧٧ - ٣	يشعرون	٥٣٥ - ١	أشدّه
٥٥٤ - ٣	يشركم	٢٨٧ - ٣	شديد القوى
٢٨٤ - ٣	شعائر الله	٥٤٨ - ٣	يشرب منها
٢٦١ - ٣	مشعر	٢٩٥ - ٣	شرب
٢٩٥ - ٣	شعري	٢٨٧ - ٣	شراباً طهوراً
٢٩٨ - ٣	اشتعل الرأس	٢٨٥ - ٣	شرد بهم
٢٨٥ - ٣	شتفها	٢٩٥ - ٣	شرذمة
٢٩٠ - ٣	شفع	١٢٧ - ٣، ٥٤٣ - ١	أشراطها
٥١١ - ٣	مشفقون	٢٨٧ - ٣	شرع لكم
١٥٢ - ٣	بالشفق	٢٩٥ - ٣	شرعة
٢٨٨ - ٣	شفق	٢٩١ - ٣	شمرعاً
٢٨٥ - ٣	شفا جرف /	٢٨٧ - ٣، ٦٤٧ - ٢	شريعة من الأمر
٢٨٤ - ٣	شاقوا الله	٢٧٥ - ٣	مشارك الأرض
٢٠ - ٣	تشقق السماء	٥٠٦ - ٢	مشرقين
٢٩٤ - ٣	شقة	١٢١ - ٣	رب المشرقين
٢٩٥ - ٣	شق الأرض	٢٩٥ - ٣	وشاركهم
٢٩٤ - ٣	شقاق	٢٧٩ - ٣	شَرَوْا
٢٤٧ - ٣	لتشق	٤٦٢ - ٣	يشرون
٢٧٨ - ٣	شكور	٤٦٢ - ٣	يشترون الضلالة
٥٢١ - ٣	متشاكسون	٢٨٧ - ٣	شطاء
٢٨١ - ٣	شكّ	٢٨٦ - ٣	شاطيء الوادي
٢٨٧ - ٣	شككه	٢٧٩ - ٣	شطر المسجد الحرام
٢٨٥ - ٣	شاكله	٤٥ - ٢	تشطط
٣١ - ٣	تشكى إلى الله	٢٨٦ - ٣	شططا
٥٤٧ - ١٧٢ - ٢	مشككة	٥٦٤ - ٣	شياطينهم

صفحة	صفحة	تسمت في الاعداء
٥٦٥ - ٣ - ٥٤٨ - ٢	٤٢ - ٢	شامت في الاعداء
٢٢٢ - ٢	٢٨٧ - ٣	شامحات
٥٦٦ - ٣	٢٨٢ - ٣	شأن قوم
٥٢٠ - ١	٢٩٤ - ٣	شهب
٢٢٢ - ٢	١٢ - ٣	فن شهد
٦١٨ - ٢	١٢٥ - ٣	وأشهدوا ذوى عدل
٦١٧ - ٢	٢٥٤ - ٣	سائق وشهد
٥٢٥ - ١	٥٦٤ - ٣	شهداء كم
٢٢٢ - ٢	٢٨٢ - ٢	ما كنت من الشاهدين
٥٦٤ - ٣	٢٨٨ - ٣	شاهد ومشهود
٦١٤ - ٢	٢٨٢ - ٣	شهادة بينكم
٦١١ - ٢	٢٥٥ - ٣	يقول الاشهاد
٦١٢ - ٢	٤٧٩ - ٢	يوم مشهود
٦٠٢ - ٢	٢٨٦ - ٢	شوبا
٢٢٧ - ٢	٢٨١ - ٢	شاوهم في الامر
٦١١ - ٢	٢٩٤ - ٣	شواظ
٤٩٤ - ٣	٢٢٥ - ٢	لشوى
٥٥١ - ٢	٢٩٧ - ٣	شوى
٤٩٥ - ٣	٢٥٩ - ٢	شفيد
٥٦٤ - ١	٢٩٥ - ٣	شيع الاولين
٦٠٢ - ٢	٢٩٥ - ٣	شيعا
٦١٤ - ٢	٢٩٥ - ٣	شيعه
١٨٥ - ٣		حرف الصاد
٦٠١ - ٢		صاين
٦١١ - ٢	٥٩٩ - ٢	فالق الإصباح
٦٠٦ - ٢	٦٢ - ٢	

صفحة	منحة	منحة	صفحة
٤٥-٢	تصغر خذك	٦١٧-٢	صدقة
٥٢٢-٢	يصفقون	٥٢١-٢	المصدقين والمصدقات
٥٩٩-٢	صواعق	٤٩١-٢	مصدقاً لما بين يديه
٦٠٢-٢	صغار	٢٨-٢	تصدى
٦١٠-٢	صفت قلوبكم	١٠-٢	تصدية
٨-٢	تصنى	٦٠٥-٢	صرح
٥٦٨-١	اصفع	٤٩٢-٢	يستصرخه
٦٠٩-٢	صفحا	٦٠٦-٢	صرخ
٥٠٦-١	في الاصفا	٥٠٥، ٢١٢-٢	بمصر خكم
٥٢٦-١	أصفاد	٥٤٨-١	أصروا
٦٠٠-٢	صفراء	٥٢٤-٢	يصرون
٦٠٤-٢	صفًا	٦٠٩-٢	ضرة
٦٠٤-٢	صواف	٦١٧-٢	صير
٦٠٦-٢	صافات	٦٠٩-٢	صرصر
٦٠٧-٢	صافنات	٦١٧-٢	صراط
٥٥٩-١	اصطفي	٢٣٠-٢	سأصرف عن آياتي
٦٠١-٢	صفوان	٤-٢	تصريف الرياح
٦٠٠-٢	أصفى والمرورة	٦٠٥-٢	صرفاً ولا نصراً
٦١٠-٢	صكت وجهها	٢٤٤-٢	مصرفاً
٤٨٢-٢	مصلحون	٦١٠-٢	صريم
٦٠١-٢	صندل	٦١٠-٢	صارمين
٦١٠-٢	صلال	٥٢٢-٢	مسيطرون
٥٦٧-١	اصلوها	٤٢-٢	تُصعدون
٢٢-٢	تصطلون	٤٦٤-٢	يصعد
٥٨٩-٢	تصليم ناراً	٦١٠-٢	صعدا
٥٦٤-٢	وصلوات وماسجد	٦٠١-٢	صعدا
٦١١-٢	د		

صفحة	صفحة	صوامع
٦٢٤-٢	ضدا ٦٠٥-٢	وصفا
٦١٩-٢	ضرب ٥٦٤-٢	تصنع على عين
١٢٧-٢	فضرب الرقاب ٤٤-٢	مصانع
٥٥٤-١	اضطر ٢٧٠-٢	أصنام
٢١٥-٢	ولا يضار ٥٢٦-١	صنوان
٦١٩-٢	خسر ٦١٨-٢	يصير به
٦٢٢، ٢٢٤-٢	من ضريع ٤٨٩-٢	صبرا
٤٦٦-٢	يستضعفون ٦١٨-٢	صوابا
٦٢٢-٢	ضعف ٦١١-٢	الصور
٢٢٤-٢	والمستضعفين ٥٩٠-٢	صواع الملك
١٧٦-٢، ٤٩٠-٢	مستضعفين في الأرض ٦١٢-٢	صوم
٤٨٥-٢	مضاعفة ٦٠٢-٢	صوما
٥٢٥-١	أضغاث أحلام ٥٦٦-٢	مضية
٦٢٤-٢	ضغثا ٤٨٤-٢	مضيب
٥٤٢-٢	أضغانهم ٥٩٨-٢	إلا صيغة واحدة
٤٢٦-٢	ماضل صاحبكم ٤١٦، ٤٠٨-٢	صيد
٦٢٢-٢	ضللنا في الأرض ٦٠١-٢	صار
٦٢٢-٢	ضل ٦١١-٢	صير من
٢٦٢-٢	الضالين ٦١٢-٢	كياصيم
٥٥٧-١	اضم ٦٠٦-٢	حرف الضاد المعجمة
٦٢٠، ٢٥٢-٢	ضنكا	ضبطا
٤٧٢-٢	يضامثون ٤٤٢-٢	تضحي
٦٢٤-٢	ضيبي ١٨-٢	ضحي
٥٥٥-٢	بضيغوما ٦٢٢-٢	يضحاها
٢١٤-٢	مكانا ضيقا ٤٤٠-٢	
٦١٩-٢	خيشق	

صفحة	حرف الطاء	صفحة
٥٦٢ - ٢	طبع الله على قلوبهم	١٤٧ - ٢
٥٦٢ - ١	طبقا عن طبق	١٥٢ - ٢
٥٤٢ - ٢	من أطرافها	٢١١ - ٢
١٥٠ - ٢ - ١٥٢ - ٢	قاصرات الطرف	٢٠٩ - ٢
٥٤٩ - ٢	طرفي النهار	١٥٠ - ٢
٥١ - ٢	طارق	١٥٤ - ٢
٤٥٩ - ٢	بطريقكم المثل	١٥١ - ٢
٥١ - ٢	طرائق قددا	١٥٢ - ٢
٤٨٢ - ٢ - ٤٦٨ - ٢	سبع طرائق	٢٥٠ - ٢
١٥١ - ٢	أن يطعمون	٤٢٥ - ٢
١٥١ - ٢	وطعامه	٢٢٠ - ٢
٥٤٨ - ١	طعام	٥٧٠ - ٢
١٤٨ - ٢	طفي	١٥١ - ٢
١٢ - ٢	تطفوا في الميزان	٢٩ - ٢
١٤٧ - ٢	طاغوت	١٤٧ - ٢
١٥٠ - ٢	طاغية	١٥٢ - ٢
١٥٤ - ٢	بطنواها	١٥٤ - ٢
١٤٤ - ٢	طفيانهم	١٥١ - ٢
١٤٧ - ٢	مطففين	٥٢٥ - ٢
٤١ - ٢	طفا	١٤٩ - ٢
١٥٥ - ٢	طلع	١٥٢ - ٢
١٥٥ - ٢	طلّ	١٤٧ - ٢
٢١٢ - ٢	يطمئنّ	٥٢٢ - ٢
١٤٧ - ٢	طمنا أعينهم	١٥٢ - ٢
٥٦٧ - ١		
نظمس وجوما		
اطمس		
يطمع أن أزيد		
الطامة الكبرى		
المطمئنة		
فاطمتهروا		
يطهرن		
فطهر		
مطهرة		
طهورا		
طود		
أطوارا		
طوّعت له		
فن تطوّع		
طوعا		
طائف من الشيطان		
طوفان		
فطاف عليها طائف		
تطوّلا		
ما طاب لكم		
طبتّم		
طوبى		
كلمة طيبة		
طيات ما كبتم		
اطنبرنا		

منحة	منحة	طائره في عنقه
٥٢٤ - ٢	١٥٠ - ٢	على عبده
٦٤٢ - ٢	٥٢٦ - ٢	عبر
١٢ - ٢		تعبرون
٦٦٢ - ٢		عبرة
٥٤٦ - ٢	١٥٦ - ٢	يوما عبوسا
٦٤٧ - ٢	١٦٠ - ٢	عبرى
٤٩٦ - ٢	٥١٦ - ٢	يستعبون
٦٦٢ - ٢	٢٦٠ - ٢	عبي
٢٠٥ - ٢	٤١٢ - ٢	ما لدى عبيد
٥٦٩ - ١	٥٦٦ - ٢	اعنلوه
٦٦٢ - ٢	١٨ - ٢	عنل
٦٢٥ - ٢	١٥٧ - ٢	عنلوا
٦٤٨ - ٢	١٥٦ - ٢	عننت عن امر ربيها
٦٦٠ - ٢	١٥٦ - ٢	عنبا
٥٢٦ - ١	٤ - ٢	أعمرنا
٢٦٥ - ٢	٥٢٨ - ٢	وإن تعجب
٦٦١ - ٢	١٥٧ - ٢	عجاب
٥٤٥ - ١	٤٨٦ - ٢	أعجاز نخل
٤٧٨ - ٢	١٦٠ - ٢	معجزين
٢٢٥ - ٢	١٤٠ - ٢	ما هم بمعجزين
٥١٢ - ٢		معجزين
٦٦٦ - ٢		عجاف
٥١٠ - ٢	٦٤٦ - ٢	يستعجل بها
٢٩ - ٢	٦٤٦ - ٢	لن تعجل
٧٩ - ٢	١٢٥ - ٢	فلا تعجل
٦٦٦ - ٢	٦٢٩ - ٢	عجلا جسدا
		حرف الظاء المشالة
		ظلت عليه
		ظلال
		مظلومون
		بظلم
		بظلمهم
		وجعل الظلمات
		تظلم
		ظما
		ظنين
		ظهر أمر الله
		تظاهرون
		يتظاهرون منكم
		بظهوره
		ظهوريا
		فأصبحوا ظاهرين
		حرف العين
		عينا
		عبدت
		عبدنا
		عابدون

منحة	منحة	عد ، وأعد
٢٧٢ - ٢	معروشات	٦٤٢ - ٢
٦٢٩ - ٢	عرضتم به	٦٢٥ - ٢
٦٤٢ - ٢	عرضنا جهنم	٦٥١ - ٢
٤٧٨ - ٢	أعرض عن هذا	٦٢٦ - ٢
٤٤ - ٢	فأعرضوا عنهما	٦٢٧ - ٢
٢٢٧ - ٢	وأعرض	١٢ - ٢
٦٢١ - ٢	عرضها السموات	٤٦٦ - ٢
٦٤٧ - ٢	عارضاً	١٦ - ٢
٦٢٩ - ٢	عرضاً قريباً	٤٤١ - ٢
٦٥٩ - ٢	عرضة لايمانكم	٦٢٥ - ٢
٦٢٦ - ٢	عرض من الدنيا	٦٦٥ - ٢
٥١٢ - ٢	معرضون	٦٥٩ - ٢
٦٤٧ - ٢	عرفها لهم	٤٤ - ٢
١٤٨ - ٢	فالرسالات عرفنا	٥٦٥ - ٢
٦٦٠ - ٢	عرف	٤٦٧ - ٢
٥٢٤ - ٢	الأعراف	٤٠٢ - ٢
٦٥٩ - ٢	عرفات	٦٦٢ - ٢
٢٩٦ - ٢	معروفاً	٦٥٩ - ٢
٦١٧ - ٢	عرّاء	٤٩٦ - ٢
٥٦٤ - ١	اعتراك	٤٠١ - ٢
٤٧٦ - ٢ ، ٦٤٨ - ٢	يعزّب	٤٢٧ - ٢
٦٢٥ - ٢	عزّوهم	٥١٢ - ٢
٦٨٤ - ٢	بعزير	٤٣١ - ٢
٦٢٦ - ٢	عزير	٤٦٦ ، ٢٩٢ - ٢
٢٠ - ٢	فأعزلوا النساء	٦٢٢ - ٢
		٦٤٠ - ٢
		٤١٧ - ٢
		عرش عظيم
		عرشه على الماء
		على العرش
		يعرشون
		مرة بغير علم
		معر
		معارج عليها
		وما يعرج فيها
		يعرج إليه
		مخرج
		عرباً
		معذرون
		معاذيره
		عداها
		تعذبهم
		عدوان
		عدوة
		كعدوا
		والعاديات
		نفسد عيناك
		يعدون في السبت
		فمن اعتدى

منحة		منحة	
٦٢٧-٢	عاصم	٢٩٩-٢	من عزلت
٦٦٩-٢	عصم الكوافر	٢٨٥-٢	مغزل
٦٤٢-٢	عضدا	٦٣٤-٢	عزمت
٤٠٧-٢	بعض الظالم	٦٢٩-٢	عزموا الطلاق
٦٢٤-٢	عضل	١٢٦-٢	أولو العزم
٥-٢	تعضلوهن	٦٤٥-٢	عزما
٦٦٦-٢	عضين	٦٦٩-٢	عزين
٢٠٠-٢	من عطاء ربك	٢٤-٢	تعايرتم
١٢٥-٢	فقططى فقير	٦٥٠-٢	عمس
٦٦٨-٢	عفريت من الجن	٢٠٥-٢	هل عبيتم
٤١-٢	فليسفف	٦٢٤-٢	عاشروهن
٦٢٧-٢	عفا	٦٦٩-٢	عشار
١٢-٢	فن عفى له	٦٤٥-٢	عشير
٦٢٧-٢	عفونا	٤٠٢-٢	مشار
٥٦٩-٢	العفو	٤٢٧-٢	من يعشش
١٥٧-٢	افتحم العقبة	٦٤١-٢	عصيب
٥٥٥-٢	يعقب	٦٦٠-٢	عصبة
٥٠٤ ، ٣٠٦-٢	معضبات	٤٨٠-٢	يعصرون
٦٦٠-٢	عقبي الدار	٥٥٩-١	إعصار
٢٧٢-٢	عاقبة الدار	٦٥٨-٢	عصر
٦٦١-٢	عقدة	٦٤٧-٢	عاصف
٦٥٩-٢	عقود	١٤٧-٢	فالعاصفات عصفاء
٦٣٥-٢	عافر	١٧٥-٢	كعصف ما كول
٢-٢	تغفلون	٢١٧-٢	واعصموا
٦٤٥-٢	يوم عقيم	٥٦٤-١	استعصم
٦٢٥-٢	عاكفين	٤٦٣-٢	يعصمك

منحة		منحة	
٢٧٤-٢	من عهد	٦٥٦-٢	علق
١٨١-٢	كالصين	٦٢٥-٢	عالمين
٦٦٥-٢	عوجا	٨-٢	فضلكم على العالمين
٢٨٩-٢	مجاد	٥٤٦-١	الاعلام
٥٤١-٢	يهودون يرجال	٥٢٠-١	معلومات
٢٩٢-٢	معاذ الله	٥٤٣-٢	المعلوم
٦٤٦٠٥٠-٢	ثلاث عورات	٦٤٨-٢	علا في الارض
٥١٦-٢	موتقين	١٧-٢	تملو
٧-٢	تعولوا	٢٠٦-٢	قوما عالين
٦٥٦-٢	عائلا فاعني	٦٤٢-٢	عهد قرونها
٤٧٢-٢	يخلونه عاما	٤٨٩-٢	منعمدا
٦٢٧-٢	عوان	٥٢٥-٢	عهد مددة
٥٩١-٢	يبيدكم	٥٥٩-١	اضمر
٦٦٢-٢	عيدا	٥٦٤-١	استعمركم
٦٦٥-٢	غير	٤٠٢-٢	ما يعتمر من معتمر
٢٧٢-٢	معايش	١٩٩-٢	لمعرك
٤٦٧-٢	معاشا	٦٢٨-٢	عمل غير صالح
٦٢٦-٢	عيلة	٦٢٥-٢	عمه
٦٦٠-٢	عنين	٦٤٢-٢	عينين
٦٦٩-٢	عين	٤٥٠-٢	لاعتكم
		٥١٦-٢	لعتم
		٦٤٠-٢	عنيده
		١٥٦-٢	ظلك احناقهم
		٧٦٢٠٦٢٧-٢	تعت
٢٦-٢	التعابن	٦٢٨-٢	عهدنا الى ابراهيم
٦٨٤-٢	غناء	٦٢٩-٢	عاهدتم من المشركين
٥٥٤-٢ ، ٦٨٢-٢	ينادر		

حرف اللعين المعجمة

صفحة		صفحة	نمادر
٢٦٢-٢	المفضوب عليهم	٥٩٠-٢	ماء خدقا
٥٥٧-١	اغضض	٤٦٢-٢	بجانب الغربي
٥٥٠-١	أعطش ليها	٢٨٢-٢	غرايب سود
٤٢٩-٢	هم يستغفرون	٦٨٢-٢	مغاربا
٦٧٧-٢	غفور	٢٧٥-٢	عرورا
٦٨٥-٢	غلبت الروم	٦٨٢-٢	غرفة
٤٢٩-٢	مغلوب فانتصر	٦٨٢-٢	غرقا
١٢٠-٢	فاستغلط	١٤٩-٢	والغارمين
٦٨٥-٢	غلظة	١٦٥-٢	مغرمون
٢١٨-٢	غليظ القلب	٥٢٧-٢	غراما
٦٤١-٢	عذاب غليظ	٦٨٢، ٦٤٦-٢	مغرمأ
٦٨٢-٢	غلف	٢٨٠-٢	فاغرينا
٦٧٧-٢	غلوز	٥١-٢	أغرينا بينهم
٦٨٥-٢	غلب	٥٢٢-١	شزى
٦٨٢، ٧-٢	تعولوا في دينكم	٦٨٤-٢	غاسق إذا وقب
٦٧٨-٢	غمرات الارض	٦٨٢-٢	غشاقا
٤٧٠-٢	يتغامزون	٦٨٢-٢	مقتسل
٤٠-٢	تغمضوه	٥٢٠، ٥٢٠-٢	من غسلين
٦٨٤-٢	غمة	٢٢٤-٢	استغشوا
٦٧٧-٢	غمام	٥٧٠-١	يستغشون
٢٧٨-٢	غنم من شيء	٤٧٨-٢	يغشى
٢٦٩-٢	مغانم	٤٨١-٢	تغشاها
١١-٢	تشفن بالامس	٩-٢	غاشية
٤٦٦-٢	يكتفوا فيها	٦٨١-٢	غشاوة
٦٨٢، ٤٦٠-٢	غورا	٦٨٥-٢	غصة
٦٨١-٢	غار	٦٠٥-٢	
٢٧٩-٢	أو مغارات		

صفحة		صفحة	
٥٥-٢	أن يأتي بالفتح	٤٨٨-٢	يغوصون
١٨٤-٢	جاءكم الفتح	٦٨٢-٢	غور
٥١-٢	قرة	٤٢٦-٢	وما غوى
٤٧-٢	فلا	١٩٩٠٦٨-٢	فبا أغويتني
١٥٤-٢	فترا المؤمنين	٢٠٢-٢	الذين أغويتنا
٢٢٠-٢	ما فتروا	٥١٧-٢	يغضب بعضكم بعضا
١١٨-٢	فتنا سليمان	٤٠٥-٢	بالغيب
٢٢٦-٢	فتنا بعضهم	٥١٥-٢	يستغيثان الله
٨٦-٢	فتناك فتونا	٥٥٤-٢	يغاث الناس
٥٢١٠٤٧٥-٢	يفتنون	٤٤٢-٢	المغيرات
١١-٢	تفتين	١٤-٢	تفيض الارحام
٢٢٧-٢	لنفتنهم فيه	٦٨٦-٢	غيض الماء
١١٢-٢	يفاتنين	٦٧٨-٢	غانط
٤٦٢-٢	يفتون	٢٠٢-٢	تغيظا
١٦٩-٢ ٢٤١-٢	فتة	٦٨٠-٢	غيا
٢٢٨-٢	ألا تكون فتة	٦٨١-٢	غياة الحب
٥٦٧-١	استفتهم		
٤٦٢ ٢٢٤-٢	يستفتونك		حرف الفاء
٤٢-٢	تستفت	٢٨٧-٢	فتين
٦٤-٢	فتاما	١٣-٢	فتا
٩٥-٢	فج عميق	٢٨٦-٢	واستفتحوا
١٧٠-٢	لما جا	٤٥٧-٢	يستفتحون
٩-٢	فانفجرت	٤٠٢-٢	ما يفتح الله
٥٤٢-٢	يفجر أمامه	٥٦١-١	افتح علينا
١٤٥-٢	فاجرا	٢٨٥ ٢٦٣-٢	مفاتحه

صفحة		صفحة	
٩-٣	فرقا بكم	٧٦-٣	فجوة
٦-٣	تفرقوا	٤٧-٣	فاحشة ومقنا
٤٧٦-٣	ما تفرق	٥٢٧-٣	فاحشة مينة
٤٧٣-٣	بفرقون	٦٣-٣	فعلوا فاحشة
١٤٨-٣	فالفارقات فرقا	١٢٧-٣	ولما فداء
٢٧٨-٣	يوم الفرقان	٧١-٣	فقرث ودم
١٦٤-٣	فرقان	١٦٨-٣	فروج
١٠٠-٣	فارحين	٥٦٨-٣	فروجهم
٢٢٠-٣	يفترون على الله	٢٢-٣	تفرح
٥٦١-١	اقراء	١٧٠-٣	فردوس
٥٩٥-١	استفرز	١٦٦-٣	فراى
٩٣-٣	الفرع الاكبر	١٦٨-٣	فراشا
١٦٧-٣	فزع عن قلوبهم	١٦٣-٣	فراش
١٢٩-٣	فاسبحوا في المجالس	٩٩-٣	فرضناها
٢٢-٣	تسبحوا	٢٩-٣	فن فرض
٤١٨، ٢٧٠-٣	يفسدون في الارض	١٠٢-٤	فرض عليك
٥١٠-٣	مفسدون في الارض	٣١-٣	فتصف ما فرضتم
٣-٣	فسق	١١-٣	فارض
٢٦-٣	ولا فوق	١٦٥-٣	فريضة
١٦٦-٣	فوق بكم	٥٨-٣	فرطنا
٤٠-٣	فتلتم	٤٨٦-٣	يفرط
١٠-٣	تفشلوا	٥٠٨-٣	مفرطون
١١٤-٣	فصل الخطاب	١٦٧-٣	فرطنا
١٦٨-٣	فصال	٥٣١-١	أفرغ
٥٥٩-١	انقسام	٥٣-٣	فأفرق بيننا

صفحة		صفحة	
٤٦٧ - ٢	مفازا	٥٦٠ - ١	انفضّوا
٢٦٦ - ٢	مفازة	٥٠٩ - ٢	يتفطرون من
١١٤ - ٢	فواقي	٥٢٢ - ٢	متفطر به
١٦٥ - ٢	فومها	١١٦ - ٢	فطرن
٥٤٧ - ١	أفاء الله	٥٦٨ - ٢	فاطر
٢١ - ٢	فأوا	٢١٨ - ٢	فعلًا غليظ القلب
٢٧ - ٢	تقى	١٤٧ - ٢	فاقرة
٤٨٢ - ٢	يتفيا ظلا	١١ - ٢	فاعة
٤٢ - ٢	تفيضون	٤٦٢ - ٢	يفقهون
١١ - ٢	تفيض من الدمع	١٦٥ - ٢	فقه
٥٢٠ - ١	انفضتم	٥٢٦ - ٢	متفكّين
		٤٧٢ - ٢	فكّ رقة
	حرف القاف	٢٠ - ٢	تفكّهون
		١٢٢ - ٢	فكّين
٢٠٨ - ٢	ق	٥٥٠ - ١	أفلح
٢٨٢ - ٢	مقبوحين	٤٨٢ - ٢	مفلحون
٥٥٠ - ١	أقبره	٦١ - ٢	قالق الحب
١٥٢ - ٢	فأقبره	٥٥١ - ١	الفلق
٢٠٢ - ٢	قبس	١٦٥ ، ٩٥ - ٢	فلك
٤٧٥ - ٢	يقبضون	٤٠١ - ٢	فهم في فلك يسبحون
٢٠٥ - ٢	قبضت قبضة	١٢ - ٢	تفتدون
٥١١ - ٢	يقبل التوبة	٥٤٦ - ١	أفتان
٢١٨ - ٢	قبلة	٢٥ - ٢	تفاوت
٢١٦ - ٢	قبلا	١١٦ - ٢	فوج
١٧٩ - ٢	قبيلة	٢٩ - ٢	فورم
٢٠١ - ٢	قبلا		

صفحة		صفحة	
٢١٤-٢	فرآنا	٥٢٧-٢	مقابلين
٤٤١-٢	واقترِبْ	١٨٦-٢	قَسْر
٥٤٨-٢	المقرَّبون	٤-٢	تقتلون أنفسكم
٢١٥-٢	قربان	٢٢٢-٢	لا تقتلوا أنفسكم
٤٧٣-٢	تَقْرِبْ	١٥٧-٢، ٥٧١-١	اتحسم العقبة
٢٠-٢	قائى قريب	٥١٦-٢	مقبحون
٥٢٨، ٤٩٤-٢	مقرَّبين	٥٢٠-٢	مقبحم
١٧٥-٢	قَرْح	٢٧٤-٢	ما قدروا الله
٤٩٢-٢	مستقر ومستودع	١٥٦-٢	قدر عليه رزقه
٥٢٢، ٥١٤-٢	مستقرا	١٨٥-٢	قدره منازل
٢١٩-٢	قَرْن	٥٧٨-٢	قدر عليه
٢٢٠-٢	قَرْن	١٨٦-٢	قادرون عليها
٢١٥-٢	أَقْرَىٰ عينا	٥١٠-٢	مقتدرا
٢١٧-٢	قَرَّة عين	٢٦٦-٢	هذه بمقدار
٢١٣-٢	قوارير	٦٩٢-٢	على الموسع قدره
٤٤٦-٢	يفرض الله	١٧٤-٢	قدر
١٦-٢	تقرضهم	٢٦٠-٢	ماء بقدر
٢١٥-٢	قَرْضا	٣١٦-٢	بقدر معلوم
١٧٨-٢	قراطيس	٤٩١-٢	مقدسة
١٩٢-٢	قارعة	٥٤٩-٢	قدمت لحياتي
٥٦٢-١	اقتربوها	٤٧٨-٢	يقدم قومه
٤٦٤-٢	يقترفون	٦٨٥-٢	قدم صدق
٢١١-٢	قال قرينه	٥٢١-٢	مقتدون
٥٢١، ٤٢٧-٢	مقترنين	٥٠٠-٢	يقذف بالحق
٥٠٦-٢	مقترنين في الأصناد	٢١٥-٢	قروء
٢٠٩-٢	من القرينتين		

صفحة		صفحة	
١٩٧-٢	لقضى الامر	٢١٢-٢	فثورة
٢١٢-٢	قاضية	٢١٨-٢	قيسين
١١٩-٢	فقضاء من سبع سموات	٢١٢-٢	قاسطون
٥٤٠-١	أقطارها	١٧٦-٢	شهداء بالقسط
٢٢٢-٢	قطننا	٢١٦-٢	قسطاس
٩٤-٢ ١٨-٢	فقطعوا أمرهم	١٧٩-٢	قاسمهما
٢١٩-٢	قطع متجاورات	٢٠-٢	قاسموا بانه
٢١٩-٢	قطعا من الليل	٧-٢	نقسموا
٢١٨-٢	قطوفها	١٢١-٢	فالمقبات أمرا
٥٠٢-٢	يقططين	٥٦٤-١	المقتسمين
١٧٢-٢	قواعد	١٧٢-٢	قتت قلوبكم
٢٢٢-٢	من القواعد	٢٥-٢	تقشر منه
٢٠٨-٢	قميد	٥٦٧-١	انصيد في مشيك
٤٢٩-٢	مقعد صدق	٤٩١-٢	مقصد
٢٧٩-٢	مع القاعدين	٤٦٩-٢	لا يقصرون
٥٢٤-٢	منقمر	٥٢٢-٢	ومقصرين
١٧٢-٢	قنبنا	٢٠٩-٢	قاصرات الطرف
١٥-٢	قف	٢١٤-٢	قصر
٤٩٧-٢	يوم تقاب وجوههم	٤٤٠-٢	مقصودات في الحيام
٤٠-٢	فانقلبوا	٢٠٢-٢	قصص
٤٤-٢	تقلب	٢٠١-٢	قاصفا من الريح
٢٠-٢	تقلبك في الساجدين	٢٠٥-٢	قصمنا من قرية
٢٥-٢	تقلبهم	٣٤٦-٢	مكانا قصيا
٥٠٩-٢	منقلبيا	٢١٤-٢	قضبيا
٤٩٧-٢	متقلبون	٤٨٦-٢	ينفض
٤٢٠-٢	مقاليد		

صفحة	صنعة	صنعة	صفحة
١٩٣-٢	قائم على كل نفس	٥٢٤-١	أَقَلَّتْ
١٧٤-٢	قوايمون	٥٢١-١	أَقْلَامِهِمْ
٢٠٥-٢	قائمين	٢٠٦-٢، ٤٧٥-٢	قلى
٢٤٧-٢	مقاما	٢١٢-٢	قطريرا
٥٢٢-٢	مقام أمين	٢١٦-٢	قَلَّ
٤٢٩-٢	مقام كريم	٤٩٧-٢، ٢٩٧-٢	يقنت
٢٢٢-٢	مقام ربه	٥٦٥، ١٧٢-٢	قاتون
٥١٦-٢	قوم من قوم	١٧٤-٢	قاتات
١٧٤-٢	قيوم	١٧٥-٢	القناطير المقنطرة
٥٤٨-١	أقوم فيلا	٥١٢-٢، ٤٢٥-٢	ما قنطوا
٢٠٢-٢	قيما	٤٨٢-٢	يقت من رحمة الله
٢١٤-٢	قيمة	١٩٩-٢	من القاتلين
٤٤٢-٢	للقوين	٢٠٥-٢	قانع
٥٢٧-٢	مقننون	٥٠٥-٢	مقنى ودهوسهم
٢٨٧-٢	شد يد القوى	٥٤٥-١	أقنى
٢١٩-٢	قيعة	٢٩-٢	تقهر
حرف الكاف		٢١٢-٢	قاب قوسين
١٦٦-٢	كاس	٥٤٢-١	أقوات
٤٦٠-٢	مكنا على وجه	١٧٨-٢	قائلون
١٧٩-٢	كبتوا	٤٢٨-٢	قولا معروفا
٤٦١-٢	يكبتهم	٧٥-٢	لحق عليها القول
١٦٨-٢	كبرت كلمة	٤٩٧-٢	استقاموا
٥٢٥-١	أكبره	٢٥٤-٢	أقم وجهك
٤٨٦-٢	يكبر في صدوركم	٥٢٤-١	أقاموا الصلاة
١٨١-٢	كبارا	٥٤٧-٢	يقوم الناس
٥٢١-٢	منكبر	٥٠٦، ٤٩١-٢	مقيم

صفحة		صفحة	
١٦٢-٢	كافر	١٨١-٢	الكُبر
١٧٩-٢	كفران لسميه	١٨٤-٢	كُبره
١٧٠-٢	كف	١٩١-٢	قال كبيرم
١٦٢-٢	كافة	١٧٩-٢	كُتِبُوا فيها
١٦٤-٢	كفلها	١٧٧-٢	كُتِبَ عليكم
٢٤٩-٢	من يكفله	٤٢٥-٢	ما الكتاب
٥٤١-١	اكتفينا	١٨١، ١٧١-٢	كثيا
١٨٢-٢	كفّل منها	١٧٤-٢	كادح
٤٩٠-٢	مكتبين	٥٧٠-١	انكسرت
١٧٩-٢	كالهون	٥٤٤-١	أكدي
٥٦٥-٢	لا يكلف	١٨٥-٢	كذّابا
٤١٨-٢	من المتكفين	١٦٤-٢	كرة
١٦٦-٢	كل	١٨٠-٢	كرّنين
١٧١-٢	كلمة التقوى	١٧٨-٢	كريم
٤٨٥-٢	مصدقًا بكلمة	٢٢٩-٢	مكروها
٢٩٩-٢	ولا كلمة	٤٠٠-٢	ما اكتسبوا
٥٤٢-١	أكام	٢٩٢-٢	ماذا تكسب
٥٢٢-١	الأكثه	٥٦٩-٢، ١٨٢-٢	كسفا
١٧٤-٢	كنود	٦٢٩-٢	وكسوتين
١٦٩-٢	كنز لها	١٨٢-٢	كُشِطت
٥٦٥-٢	كنزها	٦٦-٢	كظيم
١٨٢-٢	كنس	١٦٤-٢	كاظمين الفيض
١٨٤-٢، ٥٣٢-١	أكثه	١٧٢-٢	كواعب
٢٢٢-٢	على قلوبهم أكنه	١٨٥-٢	كفانا
٤٥-٢	تكنّ مدورم	١٨٢-٢	كفؤا
٥٢٦-١	أكنان	١٦٩-٢	كفتر عنهم

صفحة	سورة	سورة	صفحة
٥٦٥ - ١	الحادأ	١٦٧ - ٢	كهف
٥٥٩ - ١	الحافا	١٨٢ - ٢	كهلا
٥٢٤ - ٢	يلحقوا بهم	٥٤٢ ، ٥٢٥ - ١	أكواب
٢١٨ - ٢	لحن القول	١٨١ - ٢	كوزت
٥٢١ - ١	ألد	٥٥٦ - ٢	يكور الليل
٢٢١ - ٢	لدا	١٢٤ - ٢	م المكيدون
٤٥١ - ٢	لاذب	١٨٤ - ٢	كيدمن
٤٩٢ - ٢	لزاما	١٧٥ - ٢	كيدم
٢٧٩ - ٢	بلسان قومه	١٧٢ - ٢	كالوم
٢٩٥ - ٢	لسان صدق	٥٧٠ - ٢	نكتل
٢٩٥ - ٢	وليتطف	٥٦٠ - ١	استكانوا
٢٢٢ - ٢	لطيف		
٢٩ - ٢	تلطى		حرف اللام
٢٢٠ - ٢	لظى		
٢٧٥ - ٢	لمعونة	٤٠٤ - ٢ - ٢٢٢ - ٢	لؤلؤ
٥٦٢ - ٢	لنضم	٢٢٤ - ٢	لب
٢٢٢ - ٢	لغوب	٥٤٢ - ٢ ، ٢٢٧ - ٢	لبدا
٥٦٨ - ١	للفسوا	٥٤٩ - ٢ ، ٤٧٢ ، ٢٢٤ - ٢	لبدا
٤٥١ - ٢	لاغية	١٩٧ - ٢	لبسنا عليهم
٢٦٧ - ٢	مروا بالغمر	٢ - ٢	تلبسون
١٩٧ - ٢	لغو اليمن	٧٥ - ٢	لباس الجوع
١٢ - ٢	تلقنا	٢٠١ - ٢	لبوس
٥٧٠ - ١	التفت للاق	٤٧٢ - ٢ ، ٢٧٩ - ٢	ملجا
٥٤٩ - ١	الفاقا	٢٢٢ - ٢	لمن
٢٠١ - ٢	لغينا	٥٥٤ - ٢	يلحدون
٥٢٠ - ١	الفينا	٥٠٩ - ٢	ملتجدا

صفحة		صفحة	
٢٢٤ - ٢	لواذا	١٩٨ - ٢	لواقع
١٤٤ - ٢	يتلاومون	٤٨٠ - ٢	يلتقطه
٢٢٠ - ٢	لواءة	٨ - ٢	تلقف
٥١٩ - ٢	لملم	٥٤٢ - ١	ألنى السمع
٤٢٥ - ٢	بمكروم	٥ - ٢ ، ٢ - ٢	تلقى آدم
١٩٨ - ٢	لوما فأتينا	١٩ - ٢	تلقونه بالسنتكم
٤٦١ - ٢	يلوون السنتهم	٥٢٢ - ٢	يلتقيان
٢٢٦ - ٢	تلووا	٤٩٤ - ٢	ملتقين
٢٠٢ - ٢	ليلة مباركة	٢٦ - ٢	تلاق
٢٥ - ٢	تلين جلودهم	٤٧ - ٢	تلقاء
٨٩ - ٢	قولنا لينا	١٤٨ - ٢	فالملقىات ذكرا
٢٢٥ - ٢	لينة	٢٨ - ٢	تلتزوا أنفسكم
		٤٧٢ - ٢	يلزك
		٢٠٩ - ٢ ، ٢٢٤ - ٢	لمزة
		٢٢٦ - ٢	لمنا السماء
٢٦ - ٢	نمشع بالعمرة	١٩٧ - ٢	لمستم ، لاصتم
٢٠٩ ، ٢٦٢ - ٢	مناع	٢٢١ - ٢	لما
٢٢٠ - ٢	مناع قليل	٢١٩ - ٢	اللمسم
٢٦٦ - ٢ ، ٢٧٦ - ٢	منين	٤٦٦ - ٢	يليث
٢٠٢ - ٢	مشلات	١٥٧ - ٢	فألمها لجورها
٤٢٦ - ٢	مثل الأولين	٥٥٢ - ١	أهائم التكاثر
٢١٢ - ٢	مثل الذين كفروا	٤٤ - ٢	نلبهم تجارة
٥٢٧ - ١	أمثهم	٢٨ - ٢	تلتى
٥١١ - ٢	مُثلى	٤٥٠ - ٢	لاية قلوبهم
٢٨٦ - ٢	مجيد	٢٠١ - ٢	لبنو الحديث
٢٦٢ - ٢	مجنوس	٢٢٠ - ٢	لواحة البشر

حرف الميم

صفحة		صفحة	
٢٥٨ - ٢	كان مراجعها	٤٦٠ - ٢	يمحق
٤٩٨ - ٢	مزقتم كل ممزق	٢٢٧ - ٢	يحونا آية الليل
٥٢٧ - ٢	مزن	٥١١ - ٢	يمح الله الباطن
٤٨١ - ٢	مسد	٢١٩ - ٢	مواخر فيه
٥٢٨ - ٢	يتاسا	٢٤٧ - ٢	يمدونهم
٢٦٥ - ٢	من	٢٦٥ - ٢	مد الظل
٥٤٧ - ٥	مساس	٥٠١ - ٢	مدكم بالث
٥٤٨ - ٢	مسك	٥٢٦ - ٢	معدة
٥٤٨ - ١	امشاج	٢٤٧ - ٢	مدا
٤٨٢ - ٢	مشوا فيه	٤٦٥ - ٢	مالا مدودا
٤٢١ - ٢	مشاء بنميم	١٦٠ - ٢	ظل مدود
٥١٢ - ٢	مضنة	٢٠٢ - ٢	مدة الارض
٥٦٩ - ٢	مطر	٢٦٦ - ٢	مرج البحرين
٥٤٥ - ٢	يتمطنى	٤٢٢ - ٢	مرج
٤٨١ - ٢	ماعون	٤٢٩ - ٢	مرجان
٢٦٧ - ٢	مقتا	٢٨٠ - ٢	مردوا على النفاق
٤٨٨ - ٢	مقينا	٢٦٩ - ٢	مريدا
٢٧٢ - ٢	مكث غير بعيد	٥١٦ - ٢	مرد
٤٢٩ - ٢	ما كشون	٥٢٣ - ٢	مستمر
٢٤٢ - ٢	ما كشين فيه ابدا	٥٤٩ - ٢	مرة
٢٧٢ - ٢	مكرنا مكرنا	٥٤٣ - ٥٥ - ٢	في قلوبهم مرض
٢٧٠ - ٢	مكشام	٤٢ - ٢	تممار
٢٤٥ - ٢	مكشاه في الارض	٤٦ - ٢	تمارونه
٢٤٥ - ٢	ما مكش	٥١٠ - ٢٠٠ - ٢	يمترون
٥٩٢ - ٢	تمكش لهم	١٢٤ - ٢	تمارى
		٤٨٥ - ٢	مشتريين

صفحة		صفحة	
٥٣٠-١	أمنيت	٤٠٩-٢	مكاتهم
٢٦٦-٢	أمانى	٢٥٨-٢	مكان البيت
٤٢٨-٢	مئة الثالثة	٢٧٤-٢	مكان السيئة
٤٦٥-٢	مهدت له	٢٧٢-٢	على مكاتكم
٤٩٥-٢	يسهلون	٢٦٠-٢٩٠-٢	ممكن
٤٢٤-٢	الماهدون	٢٦٥-٢	ملا
٢٤٦-٢	مهد	٤١٧-٢	بالملا الاعلى
١٨١-٢	كالمهل	٥٦١-١	إملاق
٥٠٩-٢	مهل	٢٦٨-٢	ما ملكك أيمانكم
٥٤١-١	أمتنا اثنتين	٢٩٢-٢	ملك الموت
٢٨-٢	تصور السماء		ملكوت السموات والأرض
١٤-٢	تميد	٢٦٢-٢٧١-٢	
٢٧٠-٢	مائدة	٥٢٤-٢	ملكا كبيرا
٥٧١-٢	نمير أهلنا	٤١٥-٢	في الملة الآخرة
٢٥-٢	تميز من النيط	٥٤٢-١	أملى لهم
٥٦٧-١	امتازوا اليوم	٥٥٦-١	أملى لهم
٤٦١-٢	يميز الخبيث	٥٨٨-٢	نمل لهم
٢٢٦-٢	ليميز الله	٢٩٨-٢-٢٤٦-٢	ملينا
		٢٥٥-٢	يسمعون الماعون
		٢٦٢-٢	من
	حرف النون	٥١٩-٢	يسمتون
		١٢٧-٢	فأما منّا
٥٧٤-٢	نأى بجانبه	١٦١-٢	بالمن والآذى
٢٢١-٢	ويناون عنه	١٦٠-٢	غير ممنون
٤٧٦-٢	يستبثونك	١-٢	تمشرون الموت
٥٦٥-٢	بأ	٤٦-٢	تمشرون
٥٦٥-٢	الأنبا	٤٨٢-٢	منون

صفحة		صفحة	
١٤٤ - ٢	فتادرا مصبحين	٥٥٩ - ٢	نبتا
٢٦ - ٢	تساد	١٨ - ٢	تفتت بالدهن
٥٧٤ - ٢	نديتا	٥٧٦ - ٢	نبتتها
٥٨٠ - ٢	ناد يسكم	٥٩٥ - ١	التفتت
٥٢٩ - ١	آأندرتهم	٢٨ - ٢	تأبذوا بالالاقاب
٥٢٥ - ٢	منذر من يخشاها	٤٦٢ - ٣	يستبطلونه
٥٨٢ ، ٥٦٨ - ٢	نذير	٢٠٠ - ٢	ينبوعا
٢٠٧ - ٢	خلت التذر	٥٠٣ ، ١١٤ - ٣	ينابيع
٢٩ - ٢	تزرع الناس	٥٦٥ - ٢	تتقنا الجبل
٧ - ٢	تنازعتهم	٥٨٦ - ٢	تجددين
٤٦٠ - ٢	يزرعشك	٥٦٧ - ٢	نجس
٥٧٢ - ٢	تزع الشيطان	٥٨١ - ٢	نجم
٤٥١ - ٢	يزفون	٥٨٢ - ٢	النجم والشجر
٥٩٠ - ٢	نولا	٢٠٨ - ٣	هم نجوى
٤٠٨ - ٢	منازل	٤٤٩ - ٣	من نجوى
٤٠٧ - ٢	ما كنا منزلين	٥٨٣ - ٢	نجوى
٥٦٧ - ٢	كسى	٥٩٠ - ٢	تجيبك بيدك
٥٦١ - ٢	نفسا	٢٩٦ - ٢	فضى نخبه
٥٤٨ - ٢	منشأه	٥٧١ - ١	انحمر
٩٩ - ٢	فلا الساب بينهم	٥٨٠ - ٢	نحسات
٥٦١ - ٢	نفسخ من آية	٥٩٣ - ٢	نحاس
٩٥ - ٢	فيلسخ الله	٥٩٤ - ٢	نحلة
٥٨٠ - ٢	نفسخ	٥٨٥ - ٢	نخرة
٥٩٣ - ٢	نفسف	٥٦٠ - ٢ ، ٥٢٩ - ١	أنداد
٤٨٨ - ٢	ينفسفها ربى	٥٧٤ - ٢	نادى ربه
٥٧٥ - ٢	لنفسفته	٥٧٧ - ٢	نادى من قبل
		٥٢٠ - ٣	ينادى المنادى

صفحة		صفحة	
٥٨٩-٢	نصب	٢٥٩-٢	نَشَكَ
٥٨٩-٢	نصيب بما اكتسبوا	٥٨٨-٢	نُفِكَ
٤١٦-٢	بنصب وعذاب	٢٦٤-٢	نَماسَكُنَا
٥٨٢-٢	نصوحا	٤٨٨-٢	يَنلُون
٥٦٥-٢	نصر ، نصر	٥٦٨-٢	نَسُوا اللهَ فَنَسِيهِمْ
٥٨٢-٢	نضاجتان	٢-٢	تَنُونَ
٤٤١ ، ٢٨٧-٢	منضود	٥٦١-٢	نُفْسُهَا
١٥٢-٢	طلع نضيد	٥٩٤-٢	نَسِيَا مَلِيَا
٥٦٥-٢	نطيفة	٢٤٧-٢	نَسَبًا
٥٦٥-٢	نظر	٥٢٧-١	أَنَامِي
٥٨٥-٢	ناظرة	٤٢٢-٢	وَنَفْسُكُمْ
٥١٤-٢	منظرون	٥١٤-٢	يَنشَأُ فِي الْحَلِيَّةِ
٤٢٩-٢	منظرين	٥٢٧-٢	مَنَشَات
٢٠٢-٢	نمجة	٥٨٤-٢	نَاشِئَةُ اللَّيْلِ
٤٥٩-٢	ينعن	٥٨٢-٢	النَّشْأَةُ الْأُولَى
٥٦٥-٢	نعم	٥٥٠-١	أَلْشَرُّ
٥٨٠-٢	نقمة	٤٨٨-٢	يَنشُرُونَ
٥٨٦-٢	نقائات	٥٢٤-٢	مَنَشْرَةٌ
٥٧٧-٢	نقشة من عذاب ربك	٥٢٢-٢	مُنَشْرِينَ
٢٠٢-٢	قال انفضحوا	٥٩١-٢	نَشُورًا
٤١٨-٢	يتفخ في الصور	١٢٩-٢	قَالَنشُرُوا
٥٧٤-٢	نقد البحر	٥٦٩-١	النَّشُرَا
١٦-٢	تفقد	٥٨٨-٢	نَشْرَهَا
٢٩٦-٢	وأعز نفرا	٥٨٩-٢	نَشُورًا
٥٨٤-٢	نفر من الجن	٥٧٩-٢	نَصِيكَ مِنَ الدُّنْيَا
٥٧٤-٢	نضيرا	١٦٠-٢	فَانصَبْ

صفحة		صفحة	
٤٥٠ - ٢	لا تنكحوا	٥٢٤ - ٢	مستنفرة
٥٦٥ - ٢	النكاح	١٥٢ - ٢	فليتنافس المتنافسون
٥٦٥ - ٢	نكيد	٢٨ - ٢	تنفّس
٥٦٨ - ٢	نكير م	٢٨٤ - ٢	فلا تنفسم
٥٧٩ - ٢	نكير	٥٧٧ - ٢	نفثت
٢٠٠ - ٢	قوم منكرون	٢٥٨ ، ٢١٦ - ٢	منافع
٥٩٠ - ٢	نكثرا	٥٦٦ - ٢	ما أنفقوا
٥٠٧ - ٢	منكرة	٥٦٥ - ٢	نفثا في الأرض
٥٠٩ - ٢	منكر	٤٦٩ - ٢ ، ٥٢٤ - ١	الأنفال
٥٢٩ - ١	أنكر الأصوات	٥٧٧ - ٢	ناقلة
٥٩١ - ٢	نكسوا على رؤوسهم	٥٨١ - ٢	نقشوا
٥٨٠ ، ٤٠٩ - ٢	تنكسه	٥٦٥ - ٢	نقيا
٥٦٧ - ٢	نكص على عقيبه	٥٩٣ - ٢	نقر في الناقور
٦٤٥ ، ١٩ - ٢	تنكصون	٥٦٤ - ٢	نقيرا
٥٦٠ - ٢	نكالا	٥٧٦ - ٢	تنقصا من أطرافها
٥٤٨ - ١	انكالا	٥٥٢ - ١	أنقص ظهرك
٥٨٥ - ٢	نلوق	٥٨٦ - ٢	نقما
٥٢٩ - ٢	منابجا	٤٧١ - ٢	ما نقصوا منهم
٤٠ - ٢	نهر	٥٦٨ - ٢	نقصوا
٢٠٤ - ٢	هذه الأنهار	٨ - ٢	تنقصون منا
٥٢٢ - ٢	منهى	٢٧٤ - ٢	ما تقم منا
٥٩١ - ٢	منهى	١٢٤ - ٢	متنقصون
٢٢ - ٢	تنوء بالعصبة	٦٤٥ - ٢	لنا كيون
٤٧٠ - ٢	بطفئوا نور الله	٤٦٠ - ٢	مناكبها
٢٦٢ - ٢	مثل نور	٤٢١ - ٢	فن نكت

صفحة		صفحة	
٤٨٢-٢	مستبرئون	٥٧٢-٢	نار السموم
٢٠٧-٢	مزل	٢٢-٢	تناوش
٥٢٧-١	أمن	٤١٥-٢	مناص
٢٠٠، ٧٦-٢	مشيا	٥٨٦-٢	ناقة الله
٢٠٠-٢	مضيا	٢٧٨-٢	منامك
٢٠١-٢، ١٥١-٢	مضم	٥١٦-٢	منين إليه
٥٠٥-٢	مبطين		حرف الماء
٢٠٧-٢	ملوا		هاؤم اقرءوا
٥-٢	تلك	٢٠٦-٢	في هذه أعمى
٢٠٧-٢	ملك عني	٢٤٢-٢	يبط من خشية الله
٥٥٤-١	أمل	٤٥٦-٢	مبا
٥٢٠-١	أملنة	٢٠١-٢	هاجروا
٢٠١-٢	هامة	٢٩٧-٢	تهجرون
٥٢٢-٢	منهر	١٩-٢	هجر
٢٠٩-٢	همزة	٢٠٧-٢	مهاجرات
٢٠١-٢	همزات الشباطين	٥٢٢-٢	مهجورا
٢٠٦-٢	متاز	٢٦٥-٢	يهجرون
٢٠٠-٢	مما	٥٢١-٢، ٤٢٢-٢	فهدى
٢٩٧-٢	ممت طاقة	١٥٥-٢	يهدى الله لتوره
٢٩٨-٢	ومم بها	٤٩٠-٢	يهدى
٤٩١-٢	مينا	٤٧٦-٢	مهد
٢٩٧-٢	مار	٥٢١-٢	مدا
٥٥٠-١	أمان	٢٠٠-٢	مدي
٥٢٩-١	أهون عليه	٢٠٧-٢، ٦-٢	مدي
٢٠١-٢	كونا	٢٩٧-٢	مدي
٢٠٨-٢	كون	٤١٥-٢	لا أرى أقدام
٤٢٨، ٢٩٤-٢	مين		

صفحة	صفحة	صفحة	صفحة
٢٤٨ - ٢	وجلت قلوبهم	٥٥٥ - ١	استهوت
٤٤٥ - ٢	وجه	١٤ - ٢	كتهوى إليهم
٤٢٩ - ٢	إلا واحدة	٤ - ٢	كتهوى
٥٥٢ - ١	أوحى لها	٤٢٧ - ٢	عن الهوى
٤٢٧ - ٢	ما أوحى	٥٠٥ - ٢	واقفتهم هواء
٢٤٩ - ٢	ودا	٩٩ - ٢	هواء
٢١٢ - ٢	ود	٢٩٧ - ٢	كفيت لك
٤٥١ - ٢٩١ - ٢	مودعة	٥٠٢ - ٢	ييج
٤٧٥ - ٢	ما ودحك ربك	١٨١ - ٢	تبيلا
٤٩٤ - ٢	ومستودع	٤٩٢ - ٢	ييمون
٤٦٦ - ٢	يذكرك	١٢٦ - ٢	شرب الهم
٤٧ - ٢	تراث		
٥٦٥ - ٢	ورد ماء مدين		حرف الواو
٢٦٢ - ٢	واردم	٤٦٨ - ٢	موءودة
٤٤٥ - ٢	وردا	٢٤٤ - ٢	موتلا
٤٣١ - ٢	ورنة كالدهان	٥٥٦ - ٢	يوسفين
٤٤٣ - ٢	يوارى	٢٤٤ - ٢	موقا
٤٦ - ٢	تودون	٢٢٠ - ٢	وبال أمره
٢٤ - ٢	توارت بالحجاب	٥١٦ - ٢	يترك
٢٩٧ - ٢	وراءم	٤٢٧ - ٢	وتين
٥٦١ - ٢	وراء ذلك	٥٢٧ - ٢	ميتاق
٢٦٩ - ٢	من وراني	٤١٥ - ٢	وتجبت جنوبها
٤٤٢ - ٢	الموريات	٤٤٥ - ٢	وجندكم
١١٠ - ٢	كثر	٥٢٥ - ١	أوجس
١٧ - ٢	تزر وازرة	٤٢٨ - ٢	واجفة
٢٩٩ - ٢	وزيرا	٥٤٦ - ١	أوجفم

صفحة		صفحة	
٤١٩-٣	وصلنا	٤٣٧-٣	وَزَر
٤٤٠-٣	تواصوا	٢٧-٢، ٥٢٤-١	أوزارها
٤٥٠-٣	لاوضموا	٤٤٥-٣	وزر
٤٧٣-٣	موضوعة	٤١٤-٣-٥٢٩-١	أوزعني
٤٤١-٢	موضوعة	٥٥٥-٣	يوزعون
٢٣-٢	نظروها	٤٧٨-٣	موازينه
٢٢٤-٣	ليواطتوا	٥٤٣-٢	موزون
٤٢٨-٣	وطرا	٤٠٠، ٢٢٨-٣	وشوئس
٥٤٩-٢	ميعاد يوم	٤٤٢-٣	وسطن
٢٤٤-٢	موجدا	٥٤٨-١	أوسطهم
٤٠٧-٣	وعدا مستولا	٢١٢-٣	وسطا
٥٠٥-٢	عطف وعدها	٦٠٠-٣	الصلاة الوسطى
٢٦٥-٢	مزعطة	٤٤٣-٣	وسما
٥٥٧-٣	يوعون	٤٤٣-٣	الموسيع
٢٥-٣	تعيها أذن راعية	٢١٢-٣	واسع
٤٤٤-٣	وتعيها	٤٢٨-٣	وسق
٥٤٨-١	أوعى	٤٢٩-٣، ٥٧٠-١	انسق
٢٩٨-٣	وفدا	٢٢٨-٣	وسيلة
٢٤٢-٢	موفورا	٢٥٦-٣	منفسمة
٥٥٧-٣	بوفضون	٥٠٦-٢	متوسمين
٤٩٦-٣	بثرفناكم	٥٢٢-٣	بسيام
٦٨٢-٢	إذا وقب	٢٦٩-٣	سنة
٢٦٩-٢	موقونا	٢٩٤-٣	لاشية فيها
٢٢٦-٣، ٥٥٨-١	استوقد	٢٤٣-٣	واصبا
٢٦٩-٢	موقوفة	٢٩٥-٣	وصيد

٤٢٩-٢	مولى عن مولى	٢٢٦، ٢٦-٢	وقارا
٤٣١-٢	مولى الذين آمنوا	٤٢٢-٢	وقعت الواقعة
٢٦٥-٢	مولانا	٥١٠-٢	مواقفها
٢٦٠-٢	مولاكم	٤٤٢-٢	مواقع النجوم
٥٢٢-١	أولى	٢٢٢-٢	رققرا على النار
١٢٨-٢	فاولي لهم	٦-٢	قوى
٢٠٨-٢	ممالك الولاية	٥٢٧-٢	منكبين
١٧-٢	تفينا	٥٠٤-٢	منكنا
٤٢٧-٢	وماجا	٤١٩-٢	وكزه
١٢٩-٢، ٦-٢	نمشوا	٤٨٦-٢	منوكين
٤٢٧-٢	وهنا على ومن	٢٩٥-٢	وكيلا
٥٠١-٢	مومن كيد الكافرين	٢٢٧-٢	وكيل
٤٢٧-٢	واحدة	٢٦٢-٢	ولج
٧٨-٢	قويل للذين كفروا	٤٠١-٢	ما بلغ في الارض
١١٨-٢	قويل للقاسية قلوبهم	٤١-٢	تولج اليل
٢١٢-٢	وينل	٢٥١-٢	وليعة
٤٤٩-٢	الويل	٤٤٥-٢	ولدان غلقدون
حرف الباء		٢١-٢	تولى الى الظل
		١٢٢-٢	قولى بركه
٤٦١-٢	ينس	٤٢٨-٢	ان توليتم
٥٢٩-٢	ينسوا من الآخرة	٤٦٨-٢	ينولس الصالحين
١٤-٢	نياسوا	١٢٤-٢	فتول عنهم
٤٧٨-٢	ينوس	٢٠٧-٢	من وال
٤٨٧-٢	ييسا	٢٤٥-٢	موالى
٥٤٥-٢	ينبا	١٤٢-٢	هو مولاه

صفحة		صفحة	
٥ - ٢	تيسموا	٦٢٦ - ٢	يد
٥٤٠ - ٣	يومهم الذي يرهدون	٥٥٩ - ١	امتير
٤٨٩ - ٣	يوم عقيم	٢٦٤ - ٢	مينر
٤٧٤ - ٢	مبمنة	٤٦١ - ٢	يسر
٤٤١ - ٢	ما أصحاب المينة	١٣١ - ٣	فالجاريات يسرا
٢٢٥ - ٢	منه باليمن	٥٢٠ - ٣	يسرا
٤٦١ - ٣	يمن	٢٢٧ - ٢	لبيشبنقن
٤٦٤ - ٣	ينمنه	٥٢٤ ، ٤٨٨ - ٢	ياقوت
		٨٢ - ٣	في اليم

٣ - فهرس الشعر

حرف الهمزة

الجزء والصفحة	قائل البيت	القافية
٢٩٨ - ٢	...	النساء
١٢٠ - ٢	الإمام علي	امتراة

حرف الباء

٢٤ - ٢	إل قائل	ينضب
٢٢ - ١	المتنبي	ثاقباً
٤٩٦ - ٢	بعضهم	بالغاب
١٥٥ - ١	...	تأ

حرف الجيم

٥٢٩ - ٢	أبو الفتح السني	يعالجه
---------	-----------------	--------

حرف الدال

٥٢٦ - ٢	أبو جندل	يبدأ
---------	----------	------

حرف الراء

١١٩ - ١	السيوطي	تتصر
٢٧٢ - ٢	القائل	القمطر
٤١٢ - ١	البحري	المجنر
٢٩١ - ٢	...	يذورها
٨٢ - ١	أبو شامة	السورا
٤٢٨ - ٢	الشاعر	الساري
٢١٩ - ٢	...	جائر

الجزء والصنعة

حرف العين		
٥٦٤ - ١	عمرو بن عبدكرب	صديق
٣٧٤ - ٢	ليد بن أبي ربيعة	صانع
٥٢٩ - ٢	آخر	يدع
حرف الفاء		
١٥٥ - ١	...	قاف
حرف القاف		
١٨٢ - ٢	بعض المتأخرين	مطلقا
٥٢٦ - ٢	بلال	بقى
حرف اللام		
٥٢٩ - ١	...	الملاح
٢٢٩ - ٢	القائل	لبنيل
حرف الميم		
٢٥٢ - ٢	...	برام
حرف النون		
١٢٢ - ٢	الإمام على	آنا
٢٢١ - ٢	أبو طالب	دقنا
٢٦٥ - ١	الصفدي	الفسران
حرف الهاء		
٥٢١ - ٢	جارية	أواه

٤ - فهرس أهم مراجع المؤلف *

الإبانة لمكي

الإتقان في علوم القرآن لجلال الدين السيوطي

إحكام الراي في أحكام الآي لابن الصائغ الحنبلي

أحكام القرآن لابن العربي

إحياء علوم الدين للغزالي

اختصار المستدرك للنهبي

الآداب لجعفر بن شمس الخلافة

الأذكار للتوحي

الإرشاد في القراءات العشر ، لأبي بكر الواسطي

اسباب النزول للواحدي

أسرار التنزيل للباركزي

أسرار التنزيل للسيوطي

الاسماء والصفات للبيهقي

الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز لعز الدين بن عبد السلام

إعجاز القرآن للقاضي أبو بكر الباقلاني

إعجاز القرآن للنطائي

إعجاز القرآن للزمخشاري

الإعجاز لابن سراج

إعجاز القرآن للفخر الرازي

الإغريض في الفرق بين الكناية والتعريض للسبكي

(*) ينس المؤلف على مرجعه الذي نقل عنه ، فأثرت أن أصنع هذا الفهرس ، ليسكون
مكتبة إسلامية أقوى تبين لنا الحمد الذي بذله المؤلف في تأليفه ، والطريق الذي سلكه فيه
حجته ، مما يدل على إخلاصه وحسنه أهله وطريقته في التأليف ،

الاقتصاص في الفرق بين الحصر والاختصاص لابن السبكي

الاقصى القريب للتوخى

أماى الرافعى للإمام الرافعى

الإمام فى أدلة الأحكام للشيخ عز الدين بن عبد السلام

أمثال القرآن للباوردى

الاتصار للقاضى أبو بكر الباقلانى

الايضاح للفروبنى

بديع القرآن لابن أبى الاصبع المصرى

البديع لابن المعتز

البديع لابن منقذ

البرهان فى علوم القرآن للزركشى

البرهان فى مشكلات القرآن لشبلة

البرهان فى مناسبة ترتيب سور القرآن لأبى جعفر بن الزبير

بستان العارفين لأبى التيث السمرقندى

البسيط والوجيز لابن برهان الشافعى

التاريخ الكبير للبخارى

تاريخ ابن حساكر

تاريخ المظفرى

التيان (إملأ مامن به الرحمن) للمكبرى

التيان فى أقسام القرآن لابن القيم

التيان فى المعانى والبيان للطيبى

تحرير التعبير لابن أبى الاصبع المصرى

التذكرة لأبى حيان

التعريف والإعلام لما أبهم فى القرآن من الاسماء

والاعلام للسبيل

تفسير الاصبهائى

تصريح المحوفى

تفسير أبو حيان

تفسير الخوري

تفسير الرماني

تفسير الطبري

تفسير عبد بن حيد

تفسير عبد الرزاق المناني

تفسير ابن عطية

تفسير ابن أبي الفضل المرسى

تفسير الكواشي

تفسير الماوردي

الطنخيص للقرويني

التمهيد لابن عبد البر

تهذيب الاسماء والصفات لنووي

التوبة لابن أبي الدنيا

التوشيح لخطاب

التيسير لابن عمرو الداني

الثمانية لابن جبير المكي

جامع الحل في أصول الدين والرد على الملحدين لابن إسحاق الاسفرايين

جمل القرآن لنجم الدين الطوفي

جمال القراء السخاوي

الجهان في تشبيهات القرآن لابن القاسم عبد الله بن الحسين

جواهر القرآن لغزالي

حواشي الكشف للرازي

الخطاريات لابن جنى

الخواطر السوانح في أسرار الفوائح لابن أبي الأصبع

درة التزويل وغرة التأويل لابن عبد الله الرازي

- دلائل النبوة لأبي نعيم
ردوس المسائل للنووي
الرد على من خالف مصنف عثمان لابن الأباري
رد معاني الآيات المتشابهات إلى معاني الآيات المحكمات لابن البان
الرسالة للشافعي
رسالة في إيجاز القرآن لرماني = إيجاز القرآن
روض الألفاظ في أقسام الاستفهام لابن الصائغ
الزهد لابن المبارك
الزينة لأبي حاتم
سر القصيدة للنفاجي
سند الترمذي = الجامع الصحيح للترمذي
سنن سعيد بن منصور
الشاطبية لأبي محمد القاسم الشاطبي
الشافعي للقراب
شرح آيات الإيضاح لابن كحشور
شرح البخاري (فتح الباري) لابن حجر
شرح البديعية لأحمد بن يوسف الرعيني الأندلسي
شرح البديعية للقاقي
شرح الشاطبية (كز الحقائق) للجبري
شرح الكافية لابن مالك
شرح المنهاج لسبكي
شرح المذهب للنووي
شرح الوسيط للنووي
شعب الإيمان للبيهقي
الصالح لابن فارس
الصالح الجوهري
صحيح البخاري = الجامع الصحيح

صحيح مسلم = الجامع الصحيح
ضمائر القرآن للكرمانى
عروس الافراح للشيخ بهاء الدين بن السبكي
المقدّم لآبى عبد ربه
عمدة الحكام فيما لا ينفذ من الاحكام للطرطوسى
الغرائب والمجائب للكرمانى
غرر البيان لمهمات القرآن لآبى عسكر
الفروق للقراقى
فضائل القرآن لآبى الضريس
فضائل القرآن لآبى عبيد
فنه اللغة للشعالى
الفلك الدائر لآبى أبى الحديد
فنون الاقنان فى عجائب علوم القرآن لآبى الجوزى
فوائد أبى بكر بن العربى فى رحلته
قانون التأويل لآبى العربى
القواسم لآبى العربى
الكامل للبرد
الكشاف للزمخشرى
كشف المعانى عن مثابه المثنى للقاضى بدر الدين بن جماعة
• ليس فى كلام العرب • لآبى خالويه
مثابه القرآن للكرمانى
المثل السائر لآبى الاثير
بجاز الفرسان الى بجاز القرآن للسيوطى
المحتسب لآبى جنى
المختار من الطيوريات للسلى
المنص لآبى سيده
مراصد المطالع فى تناسب المقاطع والمطالع للسيوطى

المرشد الوجيز في علوم تعلق بالقرآن العزيز لأبي شامة
مسائل نافع بن الأزرق
المستدرك للحاكم
مند أحمد
المصاحف لابن أشت
المصباح لبدر الدين بن مالك
معاني القرآن للفراء
المعجم الكبير للطبراني
المعرب للجواليقي
المعيار للزنجاني
المغني لابن هشام
مفتاح العلوم السكاكي
مفردات القرآن للراغب الأصفهاني
المقتصر في فوائد تكرير القصص
المقدمة في سر الألفاظ المفيدة لابن الصائغ
ملاك التأويل في مشابه التزيل لأبي جعفر بن الزبير
منهاج البلغاء لحازم القرطاجني
المهذب فيما وقع في القرآن من المعرب للسيوطي
الناسخ والمنسوخ لابن بركات السعدي
الناسخ والمنسوخ لأبي جعفر النحاس
الناسخ والمنسوخ لابن الحصار
الناسخ والمنسوخ للسمستاني
الناسخ والمنسوخ لأبي عبيد
الناسخ والمنسوخ لابن العربي
الناسخ والمنسوخ لمكي
النشر في القراءات العشر لابن الجزري
نظم الدرر في تناسب الآي والسور، لبرهان الدين البقاعي

التقيس لابن الجوزي
نقد الشعر لقدامة
نهاية الإيجاز في علم البيان لمرآزي
النوادر لأبي زيد
هداية المرتاب في المتشابه للسخاوي
الوقف والابتداء لابن الأنباري
تياقوتة لأبي خضص عمر بن أحمد النسفي
تياقوت لأبي عمر الزاهد

٥ - فهرس مراجع التحقيق

- الإبانة عن معاني القراءات لمكي بن أبي طالب تحقيق الدكتور عبد الفتاح شلبي
(نهضة مصر)
- الإتقان للسيوطي تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم (مطبعة المشهد الحسيني ١٩٦٧ م)
- أحكام القرآن لابن العربي تحقيق علي محمد البجاوي (مطبعة عيسى الحلبي ١٩٦٩ م)
- أساس البلاغة للزمخشري (طبعة دار الكتب)
- الاشتقاق لابن دريد تحقيق عبد السلام هارون (مطبعة السنة المحمدية ١٩٥٨ م)
- الإصابة لابن حجر تحقيق علي محمد البجاوي (مطبعة نهضة مصر ١٩٧٢ م)
- إعجاز القرآن للباقلاني تحقيق السيد أحمد صقر (دار المعارف ١٩٥٤ م)
- إعجاز القرآن للخطابي (دار المعارف)
- الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني (دار الكتب)
- الإكمال لابن ماكولا نسخة الخطية المحققة عن نسخة (دار الكتب رقم ٨)
- التيان (إملاء مامن به الرحمن) لأبي البقاء العسكري (مطبعة صبيح)
- إنباه الرواة للنفطي تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم (دار الكتب ١٩٥٠ م)
- البداية والنهاية لابن كثير (مطبعة المعادة ١٣٥١ هـ)
- بديع القرآن لابن أبي الأصبع المصري تحقيق الدكتور حفي محمد شريف
(نهضة مصر ١٩٥٧ م)
- البرهان في علوم القرآن للزركشي تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم
(مطبعة عيسى الحلبي ١٩٥٧ م)
- صائر ذوى التمييز لفيروز آبادي تحقيق محمد علي النجار (القاهرة ١٩٦٥ م)
- بنية الوهة للسيوطي (مصر ١٣٢٨ هـ)
- تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة تحقيق السيد أحمد صقر (مكتبة عيسى الحلبي ١٩٥٤ م)
- تاج العروس للزبيدي (القاهرة ١٣٠٦ هـ)
- تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (القاهرة ١٣٤٩ هـ)
- تاريخ الطبري تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم (دار المعارف)

تحرير التحرير لابن أبي الاصبع المصري تحقيق الدكتور حنفى محمد قرف

(القاهرة ١٣٨٣ هـ)

(حيدرآباد سنة ١٣٣٢ هـ)

تذكرة الحفاظ للنهي

تفسير الطبرى

(دار الكتب المصرية)

تفسير القرطبي

(مطبعة عيسى الحلبي)

تفسير ابن كثير

التقريب لابن حجر تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف (المكتبة العلمية بالمدينة المنورة)

تلخيص البيان في مجازات القرآن الشريف الرضو

تحقيق محمد عبد الغنى حسن (مطبعة عيسى الحلبي ١٩٥٥)

(مطبعة حيدرآباد ١٣٣٥ هـ)

تهذيب التهذيب لابن حجر

(مخطوطة دار الكتب)

التوضيح لابن ناصر الدين

(حيدرآباد سنة ١٣٥٠ هـ)

الدرر للسكامة في أعيان المائة الثامنة لابن حجر

(مطبعة الجوائب ١٣٠٠ هـ)

ديوان البحري

(مطبعة مصطفى الحلبي)

ديوان المتنبي بشرح المعكبري

(دار المعارف)

رسالة في إعجاز القرآن لرماني

(المطبعة الرحمانية ١٠٣٢ م)

سر الفصاحة للنخاسي

(القدس ١٣٥١ هـ)

شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلي

(مطبعة حجازي بالقاهرة)

شرح شواهد الشافعية لعبد القادر البندادي

(مطبعة عيسى الحلبي ١٣٦٤ هـ)

الشعر والشعراء لابن قتيبة

(المكتبة السلفية ١٣٢٨ هـ)

الصاحي لابن فارس

(دار الكتاب العربي ١٣٧٦ هـ)

الصحيح للجوهري

صحيح مسلم تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي (مطبعة عيسى الحلبي ١٣٧٤ هـ)

عروس الأفراح لبهاء الدين السبكي

(مصر ١٣١٨ هـ)

طبقات الشافعية لابن السبكي

(مطبعة عيسى الحلبي)

الفلك الدائر على المثل السائر لابن أبي الحديد

(نهضة مصر)

فضائل القرآن لابن كثير

(مطبعة عيسى الحلبي ١٣٧١ هـ)

قاموس المحيط للفيروز آبادي

(المطبعة المصرية ١٣٥٣ هـ)

- الكشاف للزمخشري (المطبعة البية ١٢٤٢ هـ)
 الكتاب لسيوره (بولاق ١٣١٦ هـ)
 كشف الظنون لحاجي خليفة (استامبول ١٣٦٠ هـ)
 الباب في الانساب لابن الاثير (القدس ١٣٥٧ هـ)
 لسان العرب لابن منظور (بولاق ١٣٠٠ هـ)
 المثل السائر لابن الاثير (نهضة مصر)
 المنهر لابن حبيب تحقيق الدكتور ايلزه (حيدرآباد ١٣٦١ هـ)
 المحتسب لابن جنى (المجلس الاعلى للثئون الإسلامية)
 المستدرک لابن تقي (مخطوطة دار الكتب ١٣٨٦ هـ)
 المشتبه للذهبي تحقيق على محمد البجاوى (مطبعة عيسو الحلبي ١٩٦٢ م)
 معجم البلدان لياقوت (مطبعة السعادة)
 مرصد الاطلاع لابن عبدالحق تحقيق على محمد البجاوى (مطبعة عيسو الحلبي ١٩٥١ م)
 المغرب للجوالقي تحقيق احمد شاكر (دار الكتب ١٣٦١ هـ)
 المغنى لابن هشام (مطبعة السعادة)
 مفردات القرآن لراغب الاصبهاني تحقيق مصطفى الحلبي ١٩٦١ م)
 مقدمتان في علوم القرآن تحقيق المستشرق آرثر جفرى (مطبعة السنة المحمدية ١٩٥٤ م)
 الموشح للرزباني تحقيق على محمد البجاوى (نهضة مصر)
 نسب قريش للصعب الزبيرى تحقيق بروفسال (دار المعارف ١٩٥٣ م)
 النشر في القراءات العشر لابن الجزوى (المكتبة التجارية)
 نقد الشعر لقدامة (المطبعة الملية ١٣٥٢ هـ)
 النهاية لابن الاثير (المطبعة العثمانية ١١١١ هـ)
 وفيات الاعيان لابن خلكان (مصر ١٢٩٩ هـ)

التصويب*

الجزء والمادة	السطر	الصواب	الجزء والمادة	السطر	الصواب
٢٧٧-٢	٣	بن	١٧٣-١	٢	فأذار أتم
٢١١-٢	٢	يشار به	١٨٤-١	١٠	ولكن
٢١٢-٢	١١	وسطاً	٢٢٠-١	٦	المينة
٢٢١-٢	١	وقراً	٢٦٢-١	١٧	افعل
٢٦٢-٢	٦	واردم	٢٦٨-١	١٧	مقرر
٢٦٥-٢	٦	أمر	٤٩٢-١	١٦	جدا
٢٩٩-٢	٧	ورضى له	٥٥٠-١	٩	لما
٤٠٥-٢	١٢	فليأنف	١١٢-٢	٢	رب
٤٤٢-٢	١٢	وسطن	١٢٢-٢	٧	بطلع
٤٥٠-٢	٩	ولا تودتهم	٢٢١-٢	١١	سورة
٤٥٨-٢	١٠	إن كانت	٤٤٢-٢	٨	للتقوين
٤٥٨-٢	١١	جوابه	٤٦٢-٢	١٢	طفا
٤٧٥-٢	٩	نما	٥٢٢-٢	٩	وقيل
٤٩٦-٣	٥	ببادلن	٦١٢-٢	٩	صمن
٥٢٦-٢	٦	بق	٦١٦-٢	١٦	أبو حيد
٥٥١-٢	٢	نحدث	٢٦-٢	٥	للحمرين
٥٦٢-٢	٢	ذكر	١٠٠-٢	١٦	أحوالهم
٥٦٥-٢	٦	وكل	١١٧-٢	١٠	انقيا
٥٨٤-٢	٧	الصبة	١٦٤-٢	١١٠٩	الفرش
٥٩٢-٢	لإلى	لإلى	٢٠٩-٢	١٢	ويقوم

* ولت في الطبع أخطاء مطبعية نورد أهمها هنا :



خاتمة

نمت فهارس الكتاب بحمد الله وتوفيقه ، وشكركم على هدايته ،
وارجو أن يكون النفع به بقدر ماذا لنا من جهد ، وما قصدنا إليه من خير ما

على محمد البخاري

مصر الجديدة في ذي الحجة سنة ١٣٩٢ هـ (يناير ١٩٧٣ م)



مرکز تحقیقات کتاب و اسناد

رقم الإيداع: ١٧٨٤/١٩٧٣